

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور عبدوي طيبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة بن القديري

From the Library of
Muhammad S. Hosien

الجزء الرابع

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا". سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(وَأَن كَرِيمٌ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يتعبد به يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدّر كل خطاب . ومحمد به يتم أهل التعم في دار الثواب . وباسمه ينسئ الأستغناء وإن أرخى دونهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السمء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إليه توبة من يوقن أنه ربّ الأرباب وسبب الأسباب . ونرجوه رجاء من يعلم أنه للآل الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف رجائنا من رج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونصل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتقدنا من هول اللطم يوم العرض والحساب . ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مكاب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام التوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال القارئ ، وأول إقدام الريدن ، ومفتاح استقامة السائلين ، ومطلع الاستعفاء والاجتناء للقرين ، ولأينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد ، والاعتناء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمي واجترأ ، فقه شفتين يعرفهما من أخزم ، ومن أشبه أباه لما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه في كلا طرفي التني والآيات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ الندم ، وتندم على ما سبق منه وتقدم . فنأخذ قدوة في الذنب دون التوبة قد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب الملازمة للقرين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجة الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك المباني . والتجرد للشر شيطان ، والتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان ، واضطحب في سجينان ، وكل بعد مصحح نسيه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسيه إلى آدم بملازمة حشد الإنسان ، والصبر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللائكة بالتجرد لمحض الخير فمقارح عن حين الامكان ، فإن الشر مجنون مع الخير في طينة آدم مجنبا محكما لا غلصه إلا إحدى التارين

(مكتاب التوبة)

[الباب التاسع
والأربعون في استنبال
التبار والأدب فيه
والعدل]

قال الله تعالى - وأتم
الصلاة طرق التبار -
أجمع للفرون على
أن أحد الطرفين
أراد به الفجر وأمر
بصلاة الفجر واختلفوا
في الطرف الآخر قال
قوم أراد به للفرج وقال
آخرون صلاة المشاء
وقال قوم صلاة الفجر
والظهر طرف وصلاة
العصر للفرج طرف
وزلنا من الليل صلاة
المشاء ثم إن الله تعالى
أخبر عن عظم بركة
الصلاة وشرف فائدتها
ونعمتها وقال - إن
الحسنات يذهبين

نار الندم أو نار جهنم ، فالأحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الإنسان من خباثات الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين ، والبادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطراب . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الواقع وجب تقديمها في صدر ربيع حقيقتها وشروطها وأوساطها وعلاقتها وثمراتها والآفات للنافعة منها والأدوية للبيرة لها وينضج ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على القور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيها عن التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صفائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ماضي من اللظام وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة . الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من اللذنين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتزم بثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وقدر ، فالعلم الأول والحال الثاني والقدر الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاءً مطرماً استعانة في الملك والملكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة محققة يتيقن غالب على قلبه ثار من هذه العرة تأمل القلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب منها شعر بفوات محبوبة تأمل فإن كان فواته بغفلة تأسف على الفعل الفوت فيسمى تألمه بسبب فوات الفوت لمحبوبه ندماً فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعله تعلق بالحال وبالماضى والاستقبال أما تعلقه بالحال فبالتارك للذنوب الذي كان ملابساً وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنوب للفوت للمحبوب إلى آخر العمر وأما بالماضى فيتعلق ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلاً للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الحيرت وأعى بهذا العلم الإيمان واليقين فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب محوم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نوار الندم فيتألم بها القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان أنعمار محبوباً عن محبوبة كمن يشق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بالفتاح سحب أو انحمار حجاب فرأى حبره وقد أشرف على الهلاك فتشتمل نيران الحب في قلبه وتنبث تلك النيران بارادته لالتهاض لتندارك فالعلم والندم والقصد للتملق بالتارك في الحال والاستقبال والتلافي للماضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطاق اسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والقدماء والتارك كالتأخر والتابع للتأخر وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة (١) » إذ لا يخلو الندم عن علم أو حبه وأمره وعن عزم بانه وتوفه فيكون الندم محفوفاً بطرفه أعى ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان المشأ لما سبق من الخطأ فإن هذا يعرض لجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تتهب وصدع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات أي الصلوات
الحس بذهبن
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كتب
إبن عمرو الأنصاري
كان يبيع الترفات
امرأة تبتاع تمراً فقال
لها إن هذا الخمر ليس
يحيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
قالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضمنها إلى
نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
رود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفضل
الرجال بالنسبة إلا
ركبه غير أنه لم يجامعها
قال عمر بن الخطاب

في السكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قبل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبدل الحركات المذمومة بالحركات الحميدة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أدار إلى الله الثالث من التوبة والأقويل في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من اقتنحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستنيراً عن قائد يقوده في كل خطوة .. فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهdy إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون بهذا الانقسام .. فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله وربما يهوى ذلك فيتغير . فبشر هذا وإن طال عمره وعظم جده عتصر وخطاه قاصرة ومن سيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتبته بأذن إشارة لسواك طريق معصومة وقطع عقبات متعبة وشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يجترى بأذن بيان فكأنه يكاد يزته يضيء ولو لم تمسه نار فإذا مسته نار فهو نور على نور يهdy الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ماهي ثم إلى الوجوب مامتناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوتها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ماهو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفضل الله وتركه لم يكن لو صفه بكونه واجباً بمعنى . وقول القائل صار واجباً بالإنجاب حديث محض فان مالا غرض لنا أجلاً عاجلاً في فعله وتركه فلا معنى لاختلافنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن المساعدة في دار البقاء إلا لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشق لا محالة محول بينه وبين ما يشتهى يحرق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والآكبات على حب مالا بد من فراقه قطعاً وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والأقبال بالكلية على الله طلباً للأنس به بدوام ذكره وللحاجة له بمعركة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إغرام عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله للبدن عن حشرته سبب كونه محبوباً مبعداً عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البدواجب للوصول إلى القرب وإغما يتم الانصراف بالمع والندم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يتدبر ولم يتوجه بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجه فلا يرجع ومعنى الرجوع التردد والعزم فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان بالحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشح لمل هذا اللقاع للترفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع

قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئاً وقال أنتظر أمر رب وحضرت صلاة الصبر وصل النبي عليه الصلاة والسلام الصبر . فلما فرغ أناء جبريل بهذه الآية قال النبي عليه الصلاة والسلام : أين أبو اليسر فقال هانذا يارسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فاتها كفاية لماعلمت قال عمر يارسول الله هذا له خاصة أو لنا عامة ، قال بل للناس عامة فيستعد العبد لصلاة التسبج باستكمال الطهارة قبل طلوع

(١) الأخبار المأثلة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر المزني بأبها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن ماجه من حديث جابر بأبها الناس توبوا إلى ربك قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعيف .

عجل ربح يتوصل به إلى النجاة، من الهلاك فلا يلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين
 قد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر للعموم
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى النصوح الخالص
 تعالى خالياً عن التوابع مأخوذاً من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
 لا ذنب له» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل
 في أرض دوبة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت
 راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أومأ الله قال أرجع إلى مكان الذي كنت فيه
 فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لم يمت فاستيقظ فأفاد راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه
 تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته» (٢) وفي بعض الألفاظ قال من جدد فرجه
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد - ويرى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم
 عليه السلام هأنذا لللائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى
 الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم ليته كاليتيم ومن
 سألني المغفرة لم أجعل عليه لأنى قرب عجب يا آدم وأحضر التائبين من القبور مستبشرين صاخبين
 ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع متفق من الأمة على وجوبها إذ معناه
 العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن
 قد تدهش الغفلة عنه فعنى هذا العلم بإزالة هذه الغفلة والاختلاف في وجوبها ومن ما يتركها للمعاصي
 في الحال والنزاع على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التفسير في سابق الأحوال وذلك لا يشك
 في وجوبها وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي
 فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع ألم يحصل لاحتالة عقاب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع
 في سخط الله - فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بغوات المحبوب وله حيل إلى تحصيل سببه وبمثل هذا القلق دخل العلم
 تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق الله ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والتململ
 والارادة والقدرة والقادر السلك من خلق الله وقضه - والله خالقكم وما تملكون - وهذا هو الحق
 عند ذوي الأبصار وماسوى هذا ضلال - فان قلت أغفلس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم
 وذلك لا يناقض قولنا إن السلك من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود
 بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب
 الثواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد بن زوائد
 السند وأبي جلى بسند ضعيف من حديث علي بن الله يحب العبد المؤمن للفق التواب (٢) حديث
 أنه أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض فلا دابة مهلكة الحديث متفق عليه من
 حديث ابن مسعود وأنس زاذ مسلم في حديث أنس ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبيد
 وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه التزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث
 أبي هريرة مختصراً .

الصبر ويستقبل الفجر
 بتجديد الشهادة كما
 ذكرنا في أول الليل ثم
 يؤذن إن لم يكن أجاب
 المؤذن ثم يلى ركعتي
 الفجر بقراً في الأولى
 بعد الفاعحة قل يا أيها
 الكافرون وفي الثانية
 قل هو الله أحد وإن
 أراد قرأ في الأولى
 - قلوا آمنا بالله
 وما أنزل - الآية في
 سورة البقرة وفي
 الأخرى - ربنا آمنا
 بما أنزل واتبعنا
 الرسول - ثم يستغفر
 الله ويرجع الله تعالى
 بما ييسر له من العدد
 وإن اقتصر على كلمة
 أستغفر الله لذني
 سبحانه الله محمد ربي
 آلى بالمقصود من

في الاختيار الذي له فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنتجزم الإرادة الباعثة على التناول فأبجزم الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختياراً ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فإذا حصل أبجزم الإرادة فخلق الله تعالى إيها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لاجتماع هذه تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضرورياً فتحصل الحركة فتكون الحركة خلق الله بعد حصول القدرة وأبجزم الإرادة وهما أيضاً من خلق الله وأبجزم الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضاً من خلق الله تعالى ولكن بسن هذه الموقوفات يرتب على البعض ترتيباً جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلاً - فلا يخلق الله حركة اليد ككتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الإرادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلاً في النفس ولا يثبت هذا الليل انهماكاً مالم يخلق علماً بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في الملك ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم واللذات الطبيعي أبداً يستتبع الإرادة المجازمة والقدرة والإرادة بدلتستدفع الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والسكن من اختراع الله تعالى ولكن بسن موقوفاته شرط لبعض فذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطاً لحدوث الحياة لأن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطاً لخلق العلم لأن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المهل لقبول العلم إلا إذا كان حياً ويكون خلق العلم شرطاً لجزم الإرادة لأن العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حياً عالم ولا بد من الوجود لإمكانه وللإمكان ترتيب لا يقبل التغير لأن تغييره محال فهما وجد شرط الوصف استعد المهل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والبدء بجرى هذه الحوادث الترتيبية وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كمال البصر ترتيباً كلياً لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى - إننا خلقناهم خلقاً قدر - وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة كلفاً بالبصر - وأما البقاء قائم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في بدالكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في قسه يسمى القصد وبعد علم بما إليه يميل يسمى الإدراك والفرقة فإذا ظهرت من باطن للملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشفادة المحبوبون عن عالم القلب والملكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب التيب وسرداقت للملكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قاتلهم ينسبهم الله بأيديكم وعند هذا تحير عقول القاعدين في مجبحة عالم الشفادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل إنه اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولوقح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم القلب والملكوت فظهر لهم أن كل واحد منهم من وجه وأن القصور شامل لجسيمهم فلم يدركوا أحدهم كنه هذا الأمر ولم يحيط عليه بجوانبه وتمام علمه ينال بأشراق النور من كوة نافذة إلى عالم القلب

التسبيح والاستغفار.

ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجتمع بها شملي وتعلم بها شقي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايي وترفع بها شاهدي وترزقني بها عي وتبيش بها وجهي وتعلق بها رشي وتصفني بها من كل سوء اللهم أعطني إيماناً صادقاً وغيثاً ليس بسدود كفر ورحمة آتالها بها شرف حكرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك التوفيق عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء

وأما تعالى - عالم التيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من أراضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والسليات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسط سلسلتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم عقابيتنا لأن خلقنا لا الله ولا مبدع سواه . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إرسال ذلك إلى الأهمام بمثل ، فاعلم أن جماعة من الميان قد صموا أنه حمل إلى البلية حيوان عجيب يسمى القيل يوما كانوا قط شاهدوا صورته ولا صموا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومن عرفته باللسان الذي قدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لسوه فوقع يد بعض الميان على رجله ووقع يدهم على نابه ووقع يدهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالمهم بقية الميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لس الشاب ليس كما يقول بل هو سلب لا لين فيه وألمس لا خشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريش غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم بمجلسهم تصرفوا عن الأحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا الكمال واعتبر به فانه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يناطح علوم المكائفة ويمرر أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بسدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقفا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم البدي والإرادة وقد مرت للخلقة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله .

(بيان أن وجوب التوبة على القور)

أما وجوبها على القور فلا يسترب فيه إذ معرفة كون الماصي بهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على القور والتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه فان هذه المعرفة ليست من علوم المكشفات التي لاتصلق بمثل بل هي من علوم العاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهده مالم يصير باعثا عليه فالعلم بضرب الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو قاصر لهذا الجزء من الإيمان وهو للراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (١) وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكشفة كالعلم بالله ووحديته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينفيه الزنا والماصي وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبدا عن الله تعالى موجبا لعقوب كما إذا قال الطبيب هذاسم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال تناولوه وهو غير مؤمن ليعني أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم يهلك فان العالم بالم لا يتناوله أصلا فالماصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البصرة بأن يكون مقصود الشارب مقولم الأظفار نفي البصرة عن الحب حتى يشيعر عن الهام الرسة للثوبة بأروائها المستكرهة الصور بطول مخالها وأطلانها وهذا مثال مطابق فالإيمان كالاتان

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء
ومرافقة الأنبياء اللهم
إني أنزل بك حاجتي
وان تصرف رأيت وضعت
عملي واقتربت إلى
رحمتك وأسألك
بإقاضي الأمور وإعافي
الصور كما تحب بين
البحور أن تجبرني من
عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة
القبور اللهم ماض
عنه رأيي وضعت فيه
عملي ولم تلتفت نيتي
وأمنيت من خير
وربه أحدامن
عباك أو خير أنت
معبط أحدامن خلقك
فأنا راضب إليك فيه
أسألك إليه يارب
العالمين . اللهم اجعلنا
هادين مهدين خير

وقد شهادة التوحيد بوجود البطلان بالكلية كفقده الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كائن مقطوع الأطراف مفقود العين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فزاياله الروح الضعيفة المنفرة التي تخلف عنها الأعضاء التي عدها وتقربها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إسمانه إذا سلمتها الرياح العاصفة المهركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الوتور ووجهه فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الحاتمة لما يتي بالمطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت سترين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الحرف عند ذلك تنقطع أسوك وتنتثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع النقلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا أبجل القبار أفرس تحتك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الحاتمة وإنما اقتطع نياط المارقين خوفا من دواعي اللوث ومقدماته المائلة التي لا يثبت عليها إلا الألقون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيبتة كالصحيح التيمك في الشبوات القصر إذا كان لا يخاف للوث بسبب محته وأن للوث غالبا لا يقع فجأة فقال له الصحيح يخاف الرض ثم إذا مرض خاف اللوث وكذلك العاصي يخاف سوء الحاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والبياد بالله وجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كلما كولات للضرورة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تفرج مزاج الأخلاط وهو لا ينشمر بها إلى أن يفسد الزاج فيمرض دفة ثم يموت دفة فكذلك العاصي فإذا كان الحافض من الهلاك في هذه الدنيا للفتنة يجب عليه ترك السموم وما يضره من اللأ كولات في كل حال على القور فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم عليه أن يتجاوز ويرجع عن تناوله باطلاله وإخراجه عن المدة على سبيل القور والمبادرة لتلافي بدنه المتشرف على هلاك لا يموت عليه إلا هذه الدنيا الثانية فتناول محوم الدين وهي القنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها لتدارك الممكن مادام يبقى لتدارك مهلة وهو الصبر فإن الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم للقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب العظيم الذي تصرم أضعاف أضعاف الدنيا دون عشر عشر مدته إذ ليس لمدته آخر ألبنة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل محوم القنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده إلا شفاء فلا ينفع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين ونحو الكلمة عليه بأنه من المهالكين ويدخل تحت محوم قوله تعالى - إنا جئنا في أعناقهم أغلافا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجئنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يترك لفظ الإيمان فنقول المراد بالآية الكفار إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون بابا وأن الزا إلى بزر حين يزني وهو مؤمن فالهجوم عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الحاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الفضيخ القائد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع وسياق إلى الموت المدمم للروح التي هي أصل فلا جاء للأصل دون القرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع ولا في شيء واحد وهو أن وجود القرع وبقاء جميع ما يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود القرع فبقاء الأصل بالقرع ووجود القرع بالأصل فالعلم بالكشفة وعلوم الحاتمة متلازمة كتنازم القرع والأصل فلا يستغنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في ربة الأصل والآخر في ربة

سالمين ولا مصلين حربا
لأعدائك وصلنا
لأولئك نخب عجبك
الناس ونضادى
بصدوتك من خالك
من خلقك اللهم هذا
الدعاء مني ومنك
الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان إن شاء
ولمنا إليه راجعون ولا
حول ولا قوة إلا بالله
المولى العظيم دى
الحبل الشديد والأمر
الرشيد أسألك الأمن
يوم العوید والجنة
يوم الخلود مع المقربين
الشهود والرك السجود
والموفين بالعهود إنك
رحيم وودود أنت فضل
حاتريد سبحانه من
تطعت بالعر وقال به
سبحان من ليس الجهد

(يان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة)

فلا تحسبن هنداً لها العذر وحدها سحرة نفس كل غانية هند

(۲۔ احیاء۔ رابع)

وَتَكْرِمُ بِسَبْحَانَ اللَّهِ
لَا يَنْفَعُ التَّسْبِيحَ إِلَّا هُوَ
سَبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ
وَالْتَمَسَ سَبْحَانَ ذِي الْجُودِ
وَالكَرَمِ سَبْحَانَ اللَّهِ
أَسْمَى كُلِّ شَيْءٍ بِفَضْلِهِ
اللَّهُ أَجْدَلُ نَوْرًا فِي قَبْرِ
تَلِي نَوْرًا فِي قَبْرِ
نَوْرًا فِي مَعْمَى نَوْرًا
فِي بَصَرِي وَنَوْرًا فِي
شَرِي وَنَوْرًا فِي شَرِي
وَنَوْرًا فِي لَحْيِي وَنَوْرًا
فِي دَمِي وَنَوْرًا فِي عَظَامِي
وَنَوْرًا مِنْ بَيْنَ يَدَيِ
وَنَوْرًا مِنْ خَلْفِي وَنَوْرًا
عَنْ يَمِينِي وَنَوْرًا عَنْ
شِمَالِي وَنَوْرًا مِنْ فَوْقِي
وَنَوْرًا مِنْ تَحْتِي اللَّهُمَّ
زِدْنِي نَوْرًا وَأَعْطِنِي
وَلَوْ أَنَّ أَجْدَلُ نَوْرًا
وَلَوْ أَنَّ الْبَاءَ نَوْرًا
كَثُرَ وَمَارَبْتُ

في التقدير فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام : «إنه إيمان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة» (١) الحديث ، ولذلك أكرمهم الله تعالى بأن قال - ليفرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فان قلت لا يخفى أن ما بطرأ على القلب من الموموم والمخاطر شمس وأن الكمال في الخلو عنه وأن القصور من معرفة كنه جلال الله نقص وأنه كما ازدادت المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فراغ من وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في التسرع فالمراد بقولك التوبة واجبة في كل حال . فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يغلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلة إلى وجه المرأة الصالحة فان تراكت ظلة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكم خشنا كما قال تعالى - كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - فإذا تراكم الرين صار طبعها فيطبع على قلبه كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالطوبوع من الخشب ولا يكتفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من هو تلك الأريان التي انطبعت في القلب كما لا يكتفي في ظمور الصوفى في المرأة قطع الأفئاس والبخارات للسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بهجو ما انطبعت فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتسمى ظلة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (٢) فاذن لا يستنى العبد في حال من أحواله عن هو آثار السيئات عن هو آثار الحسنات تضاداً تارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاته وجلاؤه ثم أظهر بأدب عارضة فأما التفتيل الأول ففيه بطول الصقل إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصدا عن المرأة كشفه في عمل أصل المرأة فبهذا اشتغال طويلا لا تنقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له معنيان : أحدهما ما يدخل في قوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرّب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته تركوا العايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدى ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية فانه ما فسدت للعايش لم يفرغ أحد للتقوى بل شغل الحباكة والحراثة والحزب يسغرق جميع العمر من كل واحد فاجتنب عتاج إليه جميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المأمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أى لمن يريد بها فانه لا يتوصل إليها إلا بها فأما من رضى بالنقصان والحرمات عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال العين والأذن واليد والرجل شرط في جود الإنسان يعنى أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا

(١) حديث إنه إيمان على قلبي فاستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغر الرزنى إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبى داود والبخارى من حديث أبى هريرة إنى لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار والدعوات (٢) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذى من حديث أبى ذر زيادة في أوله وأخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

أحدا حافظ عليه
إلا وعنده خير ظاهر
وبركهة وهومن وصية
الصادقين بعضهم يضاه
محفظه والمحافظة عليه
منقول عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
كان يقرأه بين الفريضة
والسنة من صلاة
الجمعة ثم يصد السجد
للسلاة في الجاعة
ويقول عند خروجه
من منزله - وقلرب
أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق
واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا - ويقول
في الطريق اللهم إني
أشكك عنى السائلين
عليك وعنى عمشى
هذا إليك لم أخرج
أشرا ولا بطرا ولا رياء

ينفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضى أن يكون كالحمل على وضم وكفرقة مطروحة فليس يشترط لئله هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات الداخلة في قوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السمادات التي بها ينتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنهي الحياة وفيه سمي الأنبياء والأولياء والعلماء والأئمة فالأئمة وعليه كان حرصهم وحواله كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا السلكة حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا الآخرة فقال نعم وما ألقى حدث فقال توسدك لهذا الحجر تتم في الدنيا فلم لاتضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان ربه لا يحجر توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله التوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزع ^(١) وشغله شراك نعله الذي جده حتى أعاد الشراك الخلق ^(٢) لم يعلم أن ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباد الله فإذا علم ذلك فلم يتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رأى مؤثرا في قلبه آرا يمنعه عن بلوغ مقام المأمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضى الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معمره ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في قوى الفقه إخراج ما علم من شربه بالندرك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقرى صدره عرفه ذلك السر أن قوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا بالصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبكر الله وبكلم الله والفرور بالله وإلا مرة واحدة أن ترك الحياة الدنيا وإياك ثم إليك ألف مرة أن يترك بالله الفرور ، فهذه أسرار من استشفق مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للبعد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه وهو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على القور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم ييك العاقل فيما بقي من عمره إلا على نفوت ماضى منه في غير الطاعة لمكان خليفنا أن يحزنه ذلك إلى اللات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بتل ماضى من جهله وإنسا قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وصنعت منه بشر فائدة بكي عليها لأحالة وإن صنعت منه وصار ضايعا سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد وكل ساعة من العمر بكل نفس جوهرة نفيسة لاخلف لها ولا بد منها فاتها سالحة لأن توصلك إلى مسادة الأبد وتقتلك من شقاوة الأبد وأبى جوهرة أعس من هذا فإذا ضيعتها في الفعلة فقد خسرت خسارنا بيننا وإن صرفتها إلى مصيبة فقد هلك هلاكاً قاشحا ، فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجبهلك ومصيبتك بجبهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجبل مصيبة لا يرف الصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الفعلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد رفع الناس عن التدارك . قال بعض السافرين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للبدأ أعلم أنه قد بقي من عمره ساعة وإنك لاتستأخر عنها طريقة عين فيبدو للبعد من الأمف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها فخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستتب فيها

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم التوب الذي كان عليه في الصلاة تقدم في الصلاة أيضا (٢) حديث نزع الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق تقدم في الصلاة أيضا .

ولا حمة خرجت انقاء
سخطك وانفشاء
مرضاتك أسألك أن
تنفذني من النار
وأن تغفر لي ذنوبي
إنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت . وروى أبو سعيد
الحندري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجهه الكريم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل المسجد أودخل
بجاده للصلاة يقول:
بسم الله والحمد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لي ذنوبي واتق لي

ويتدارك نضرته فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الاشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربى وأتوب وأتزوّد صالحا لنفسى فيقول فبئس الأيام فلا يوم فيقول فأخترني ساعة فيقول فبئس الساعات فلا ساعة فينلق عليه باب التوبة فينفرغ روحه وتردد أنفاسه في شر أسفه وتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سيقط له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعباد بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وفذلك سوء الخاتمة، ومثل هذا يقال - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضروا أحدم الموت قالوا إني نبت الآن - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قرب عهد بالحظيئة بأن يتندم عليها ويحسب أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل الهوى ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بفتنة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يسير ربنا وطيعا فلا يقبل الهوى . الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالهوى ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فإهلك من هلك إلا بالتسوية فيكون نسويده القلب قد جاوزوه بالطاعة نسيته إلى أن يحفظه الموت فيأتي الله بقاب غير سليم ولا يتجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيائته فأمره مخطر . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبيد قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك واتمنتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني . والثاني عند خروج روحه يقول عبيد ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني في العهد فأتاك على الوفاء أو أضعتها فأتاك بالمطالبة والعقاب وإليه الاشارة بقوله تعالى - وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم - وبوجهه تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

(١) بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائعها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالتأخر عن نور البصائر للمستمدون من أنوار القرآن علما أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستمد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلوا أن القلب خلق سليا في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإيمانا فغوته السلامة بكسورة تهرق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها ، وعلوا أن نار الندم تحرق تلك القبره وأن نور الحسنة يمجو عن وجه القلب ظلمة السيئات لا محالة فظلام المعاصي مع نور الحسنات كالأطعمة لظلام الليل مع نور النهار بل كالأطعمة لكسورة الوسخ مع يياض الصابون ، وكما أن الثوب لا يقبله للثوب لأن يكون لباسه فالقلب لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الحسية يوسخ الثوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده له أصلا .

أبواب رحمتك وتهدم
رجله الجني في الدخول
واليسرى في الخروج
من المسجد أو السجادة
فسجادة الصوف بمنزلة
البيت والمسجد ثم يصل
صلاة الصبح في جماعة
فإذا سلم يقول : لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو حي
لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده ونصر
عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله أهل النعمة
والفضل والشاء الحسن
لا إله إلا الله ولا يعبد
إلا إياه عيسى له الدين
ولو كره الكافرون
ويقرأ هو الله الذي

بالصابون والياء الحار ينظفه لاحتالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره ويزكيه ، وكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فاعلم عليك الزكية والتطهير . وأما القبول فيبدول فتدبر في القضاء الأثر الذي لا مرد له وهو للمسي فلاحا في قوله - قد أقنع من زكاهما - ومن لم يعرف على سبيل التعقيب معرفة أقوى وأجل من مشاهدة البحر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمر لأحدهما لفظ الظلمة كما يستمر للجلل ويستمر للآخر لفظ النور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يبق به إلا المأزومة وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفاته نفسه ومن جعل نفسه فهو بغيره أجمل وأعمى بقلبه إذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تبتل كن يتوهم أن الشمس تطعم والظلام لا يزول والثوب يشل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن ينوس الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخله فلا يقوى الصابون على قلته فثالث ذلك أن تراكم الذنوب حتى يصير طبعا وريئا على القلب فثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا بل يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتكبر به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق القليلين على الدنيا المرغبين عن الله بالكيفية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكننا نشد جناحه بنقل الآيات والأخبار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يورثني به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويخفف عن السيئات - وقال تعالى - غافر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح توبة أحدهم » الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار والمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (١) » . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم (٢) » وقال أيضا « إن العبد لذنب الذنب فيدخل به الجنة فقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه تابا منه فإرا حتى يدخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب التدامة (٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالثوبة لمسيء الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بسط يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسيء الليل أن يتوب النهار الحديث (٢) حديث لو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بالنظر لو أخطأتم وقال ثم تبتم (٣) حديث إن العبد لذنب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسل ولأبي نعم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد لذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر له الحديث وفيه صالح المري ، وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث ولابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله لينع العبد بالذنب بذنبه والحديث غير محفوظ قاله القتيبي (٤) حديث كفارة الذنب التدامة أحمد والطبراني وحق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك اليشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما إلى آخرها فإذا فرغ منها يقول : اللهم صل على محمد ورسولك النبي الأمي وعل على آل محمد صلاحة تكون لهم رضا ولحمه أدام وأعطه الوسيلة والقام الحمود الذي وعدته وأجزه عنا ما هو أهله وأجزه عنا أفضل ما يجازت نبيا عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح

وبروي « أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولى ثم رجع فقال يارسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه (١) وبروي أن الله عز وجل لما لن إبليس سأله النظرة فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا أخرج من قلب إن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أحببت عنه التوب بسلام الروي (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ (٣) » والأخبار في هذا لأقصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن السيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا -

في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر الذين بأنهم إن تابوا قبأت منهم وحذر الصديقين أني وإن وضعت عليهم عدلي عذبتم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها اليد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه بحيث عنه في أم الكتاب . وبروي أن نبيامن أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لأن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصمني لأعودن فصممه الله تعالى وقال بعضهم إن البعد لذهب الذنب فلا يزال ناديا حتى يدخل الجنة فيقول إبليس لئني لم أوقفه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إلى قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له . وبروي أن رجلا جلس إلى ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينه تدرفان فقال له إن لجة غمانية أبواب كلها فتفتح وتخلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يخلق فاعمل ولا تبأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذكرنا مع عبد الرحمن توبة الكافر وقول الله تعالى - إن يتوبوا بغفرلهم ماقد سلف - فقال إني لأرجو أن يكون السلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة السلم كسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن البعد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرق أثدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومضى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم الغفرة أي الغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة وبروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم ندم على عاصيته عشرين سنة ثم نظر في الرأفة فرأى الشيب في لحته فسأه ذلك فقال ألمى أهلك عشرين سنة ثم عصى عبتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أضلتي فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأجبتك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأهملك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون الصوري رحمه الله تعالى إن الله عبادا تصبوا أشجار الخطايا تصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثرت ندما وحزننا فجنونا من غير

(١) حديث أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم قال فلما لم يجد له أصلا (٢) حديث إن الله لما لن إبليس سأله النظرة فأ نظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا أخرج من قلب إن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أورده للسنن بسنية وبروي كذا ولم يزه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكرته احتباطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي وتقدم قريبا .

محمد في الأرواح وصل
على جسد محمد
في الأجساد واجمل
شرائط صلواتك
ونواي برحمتك
ورأفك ورحمتك
وعفوك ورضوانك
على محمد عبدك
ونيك ورسولك اللهم
أنت السلام ومنك
السلام وإليك يعود
السلام غفنا ربنا
بالسلام وأدخلنا دار
السلام تباركت إذا
الجلال والاعظام
الهم إلى أصبحت
لاستطيع دفع ما أكره
ولا أمك قمع ما أرجو
وأصبح الأمر بيد
غيري وأصبحت مرتهنا
بصل فلا تقصر أقر
منى اللهم لا تنمت بي

جنون وتلهوا من غير عي ولا يك وإهم هم البلاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم توبت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلناو أخشونة للضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في الملا حتى أناخوا في رياض النعم وخاضوا في بحر الجأتوردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى زلوا غناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة القنطرة وأقلعوا برح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن المزا والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لأعماله . فان قلت أقول ما قاله المذلة من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لأعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع للماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد المذلة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للسيئة والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدرة مقسمة بخلافه لوسيط به الشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبق به إرادته الأزلية فواجب كونه لأعماله . فان قلت فما من تاب إلا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شك في القبول كشك في وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه لاسبال في أنه هل يسهل وذلك لشك في حصول شروط الاسبال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته وجوده عقاقيره وأدويته فهذا أمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبوله لأعماله على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبًا معرفة الذنوب إذن واجبة والذنب جارية عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكاليف من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أسماءه والله الوفي للوفا رحمة

(بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات البعد)

اعلم أن للإنسان أوصافًا وأخلاقيات كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب هجاب القلب وغوايته ولكن تتحصر ماثرات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بهيمة وصفات سعية وذلك لأن طبيعة الإنسان مجتهد من أخلاق مختلفة فانتهى كل واحد من الأخلاق في الميرون منه أثرًا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والفرغان في السكبين آثارًا مختلفة . فأما ما يقتضي الزرع إلى الصفات الربوية فثلث السكر والخل والجبرية وجب للصح والثناء والمز والتقى وحسب دوام البقاء وطلب الاستسلام على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يتشعب منه جملة من كابر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يصدوها ذنوبًا وهي للسلكات المنظمة التي هي كالأسباب لأكثر الناس كما استغنينا في ربيع السلكات . الثانية هي الصفات الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغى والحيلة والحدام والأمر بالقصاد والتكر وفيه يدخل النسي والتفاني والدعوة إلى

عدوى ولائى .
صديق ولا تجلس
صديق في دين ولا
تجمل الدنيا أكبر همى
ولا تسقط على من
لا يرحمهم هم هذا
خلق جديد فاتحه
على بطاعتك وأختمه
على غفرتك ورضوانك
وارزق في حنة
تقبلها منى وزكها
وضمها وماعمت فيه
من سيئة فاعف عنك إنك
غفور رحيم ودود
رغبت بالله ربا
والاسلام دينًا وعهد
صل الله عليه وسلم نبيا
اللهم إلى أسألك خير
هذا اليوم وخير
ما فيه وأعوذ بك من
شره وشر ما فيه
وأعوذ بك من شر

البدع والضلال . الثالثة الصفة البهيمة ومنها ينشعب الشره والسكب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه ينشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . الرابعة الصفة السبعية ومنها ينشعب الغضب والحقد والتهميم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويترفع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في القطرة فالصفة البهيمة هي التي تقلب أولائم تلزها الصفة السبعية ثانيا ثم إذا اجتمعا استعملا الفحل في الحقد والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تقلب الصفات الربوية وهي الفخر والعز والمو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنها بهائم تنشعب الذنوب من هذه النابع على الجوارح فيضها في القلب خاصة كالسكر والبدة والتفاق وإضمار سوء الناس وبضها على العين والسمع وبضها على اللسان وبضها على البطن والفرج وبضها على البدن والرجلين وبضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح . قصة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين البدن وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد لها ينشعب في البدن خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقته النفس وغصبه الأموال وسخمه الأعراس وكل متناول من حق الغير فاما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جوارح متناول الدين بالاغواء والدعاء إلى البدة والترغيب في العاصي وتمهيج أسباب الجرامدة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ يتلبيب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركا فالغو فيه أرجى وأقرب وقد جاء في الخبر «الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فالذي لا يترك فظلم العباد (١) أي لا بد وأن يطالب بها حتى يرضى عنها : قصة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صفات كبر وأقرب وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لأصغرية ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضيف إذ قال تعالى «إن تجنبنوا كبرا ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما» وقال تعالى «الذين يجتنبون كبرا الإثم والفواحش إلا اللمم» وقال تعالى «والصالحات الحسنة والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن» إن اجتنبت الكبائر (٢) وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» وقد قال صلى الله عليه وسلم قبارواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإثم والشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الفموس (٣)» واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة لها فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما سوى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعده الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مهيمة لا يعرف عددها كلية القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها أقر من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عقدها وإن تجتنبوا كبرا ما تنهون عنه» فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب السك

طوارق الليل والنهار
ومن بذلت الأمور
ولجأة الأندار ومن
شرك طارق يطرُق
إلا طارقا يطرُق منك
غير يارحم الدنيا
والآخرة ورحيمها
وأعوذ بك أن أزل
أو أزل أو أضل أو أضل
أو أعظم أو أعظم أو أجمل
أو أجمل على عمارك
ونجل تناؤك وتقدس
أسمائك وعظمت
نعمائك أعوذ بك من
شرب ما يلج في الأرض
وما يخرج منها ما ينزل
من السماء وما يخرج منها
أعوذ بك من حسنة
الحرس وشدة العطب
ومسورة الغضب وسنة
النفلة وضابط الكلفة
الهم إلى أعوذ من

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر الديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك فالذي لا يترك فظلم العباد (٢) أي لا بد وأن يطالب بها حتى يرضى عنها : قصة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صفات كبر وأقرب وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لأصغرية ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضيف إذ قال تعالى «إن تجنبنوا كبرا ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما» وقال تعالى «الذين يجتنبون كبرا الإثم والفواحش إلا اللمم» وقال تعالى «والصالحات الحسنة والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن» إن اجتنبت الكبائر (٢) وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» وقد قال صلى الله عليه وسلم قبارواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإثم والشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الفموس (٣)» واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة لها فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «هن تسع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما سوى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعده الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مهيمة لا يعرف عددها كلية القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها أقر من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عقدها وإن تجتنبوا كبرا ما تنهون عنه» فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب السك

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس ، وهي التي يحق بها باطلاؤو
 يبتل بها حقاً ، وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم باطلاً ولو سوا كامن أزاله . وصحبت غوسما
 لأنها تمس صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يثير الانسان وسائر الأجسام عن موضوعات
 الخلق . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظفواً أو أكل الربا
 وهو يلم . واثنان في الفرج هما الزنا والواط . واثنان في اليدين هما القتل والسرقة . وواحدة
 في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد
 وهو عقوق الوالدين . قال وجملة عقوبتهما أن يقبض عليهما في حق فلا ير قسمهما وإن سألأ حاجة
 فلا يعطيهما وإن يسأه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل
 به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والتقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر
 وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كباير النفوس إلا القتل فأما فقه العين وقطع اليدين وغير
 ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أظرفه
 لا شك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالبسة ومن الكبائر
 استنطالة الرجل في عرض أخيه للسلم ^(١) » وهذا زائد في قذف المحصن . وقال أبو سعيد الخدري
 وغيره من الصحابة : إنكم لتصلون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشر كننا نعدّها على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(٢) . وقالت طائفة : كل عبد كبيرة وكل منتهى الله عنه
 فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى

إنه لا يفر الذنوب
 إلا أنت . اللهم اجعل
 أول يومنا هذا صلاحاً
 وآخره نجاحاً وأوسطه
 فلاحاً . اللهم اجعل
 أوله رحمةً وأوسطه
 نعمةً وآخره تكريمةً
 أصبحنا وأصبح الملك
 لله والعتمة والكبرياء
 لله والجبروت

والحدث منكسر يعرف به . وأما الوقوفات فروي الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال
 الكبائر الإشرار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله . وروى
 البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشرار بالله والياس من روح الله والأمن من مكر الله
 وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف
 وأكل الربا والسحر والزنا واليمين الغموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكان الشهادة
 وشرب الخمر وترك الصلاة متعمداً وأشباه مما فرضها الله وتعض المهد وقطعة الرحم . وروى ابن
 أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف
 فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لأصغرة مع الإصرار وإسناده
 جيد فقد اجتمع من الرفوعات والوقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضاً لا يصح
 إسناده كما تقدم وإنما ذكرت الوقوفات حتى يعلم ما ورد في الرفوع وما ورد في الوقوف . وفي الشعب
 عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضاً فيه عن
 ابن عباس قال كل منتهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم ^(١) حدث من الكبائر السبتان بالبسة ومن
 الكبائر استنطالة الرجل في عرض أخيه السلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد
 وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربى الربا استنطالة في عرض
 السلم بغير حق كما تقدم ^(٢) حدث أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة إنكم تملكون أعمالاً
 هي أدق في أعينكم من الشر كننا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد
 والبرار بسند صحيح وقال من الوثائق بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم
 من حديث عبادة بن قرص وقال صحيح الإسناد .

والسلطان لله والليل
 والنهار وما سكن فيها
 لله الواحد القهار .
 أصبحنا على فطرة
 الاسلام وكلة الاخلاص
 وعلى دين نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم
 وملة آيينا إبراهيم
 حنيفاً مسلماً وما كان
 من الشركين ، اللهم إنا
 نسألك بأن لك الحمد
 لا إله إلا أنت الحنان

الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لا مطمح في تعريفه إلا بعد تحرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الصفات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى مادونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه فالضاحجة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله ، نعم للإنسان أن يطلق على ما تعدد بالذات على نفسه خاصة اسم الكبيرة ، ونص يوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ماوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما جهل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظم وله أن يطلق على ماورد في نص الكتاب الهني عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته ثم يكون عظماً وكبيرة لاهالة بالإضافة ، إذ منصوبات القرآن أيضاً تفاوتت درجاتها فهذه الأطلاقات لا حرج فيها وماخل من ألفاظ الصعبة يتردد بين هذه الجهات ولا يحد تزيدها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من الجهات أن تعلم معنى قول الله تعالى - إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات كفارات لما بينهن» إلا الكبائر» فان هذا أثبت حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلو استظامه بإهاويل إلى ما يعلو أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن إلا بالسامع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن أردت بالكبائر عشرين أو خمسين فضلاً ، فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ «ثلاث من الكبائر (١)» وفي بعضها «سبع من الكبائر (٢)» . ثم ورد «أن السبطين بالسبة الواحدة من الكبائر» وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما عصفركيف يقطع في عدد ما لم يده الشرع وربما قصد الشرع إيهامه ليكون العباد منه على وجل كما أبهم ليل القدر ليحطم جذ الناس في طلبها ، نعم لما سبيل كل يمكن أن تعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فتعرفها بالظن والتقريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته . ويانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الشارع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة قائه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكنهه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدوا عبيداً ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالرؤية ونفسه بالعبودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الأنصبي يمتنع الأتباع ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو الذي قوله عليه الصلاة والسلام «الدين مزرعة الآخرة (٣)» فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً تابعاً للدين لأنه وسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبي بكره ألا تنشكركم بأكر الكبائر ثلاثاً الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طبع في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبدالله بن عمر . من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عددهن سبعاً وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع الموحات (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ مرفوعاً وروى الترمذي في الضعفاء وأبو بكر بن أبي عمير في مناقب الأئمة من حديث طارق بن أنس نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث وإسناده ضعیف .

للتان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لحي في جمجمة ملكه وجاته يا حي يحيى للوفى يا حي يحيى الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور

والمسلم من الدنيا بالآخرة شيئا النفوس والأموال فكل ما يسهل باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر
 وبليه ما يسهل باب حياة النفوس وبليه ما يسهل باب العايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب ،
 لحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضرورى فى مقصود الشرائع
 كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها للكل فلا يجوز أن الله تعالى يمت نينا يريد يسهل
 إصلاح الخلق فى دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بمساكنهم عن معرفته ومعرفته رسله أو يأمرهم بهلاك
 النفوس وإهلاك الأموال لحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما يمنع من معرفة
 الله تعالى ومعرفته رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر . ذ الحجاب بين الله وبين المبعوث الجبل
 والوسيلة للقرية له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفة وبسده بقدر جهله ويترك الجبل الذى
 يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة فان من أياضعين الجبل لمن عرف الله لا يتصور
 أن يكون آمنا ولأن يكون آسوا وتلو هذه الرتبة البع كلها الثلاثة بذات الله وصفاته وأضافه
 وبسببها أحد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجبل . وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وأضافه
 وشرائعها وأوامره ونواهيها ومراتب ذلك لا تنحصر وهى تنم إلى ما يبلغ أنها داخلة تحت ذكر
 الكبائر المذكورة فى القرآن وإلى ما يبلغ أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه وطب دغ الشك فى القسم
 للتوسط قطع فى غير مطمع . الرتبة الثانية : النفوس إذ يقاها وحفظها تنوهم الحياة وتوصل المعرفة
 بالله قتل النفس لاحتالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصد عين التصود وهذا
 يصد وسيلة للتصود إذ حياة الدنيا لا تاراد إلا للآخرة . والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويترك هذه
 الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يقضى إلى الهلاك حتى الضرب وبسببها أكبر من بعض ويشع فى
 هذه الرتبة تحريم الزنا والواط لأنه لواجتمع الناس على الأكثاف بالله كور فى قضاء الشهوات
 اتقطع النسل ودفع الوجود قرب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا يؤت أصل الوجود ولكن
 يشوش الأنساب ويصل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التى لا ينتظم الميضى إلا بها بل كيف
 يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم مالم يتميز الفعل منها بإثبات يخص بها عن سائر
 الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا فى أصل شرع قصد به الإصلاح وينبى أن يكون الزنا
 فى الرتبة دون القتل لأنه ليس بفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولعكته يفوت تميز الأنساب
 وعركه من الأسباب ما يكاد يفسى إلى التقاتل وينبى أن يكون أشد من الواط لأن الشهوة
 داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه وعظم أثر الضرر بكثرته . للرتبة الثالثة : الأموال فلها ما يسهل
 الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما لينبى أن يحفظ
 لتبقى يقاها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تفرعها
 فليس يحظ الأمر فيها ، نعم إذا جرى تناولها بطريق يفسر التدارك له فينبى أن يكون ذلك من
 الكبائر وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهى السرقة فانه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف
 يتدارك . الثانى أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأمن به فى حق الولي والقيم فانه مؤمن
 فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظم الأمر فيه واجب بخلاف التصب فانه ظاهر
 يعرف وبخلاف الحياة فى الودعة فان للودع خصم فيه يتصرف لنفسه . الثالث : تزويها بشهادة
 الزور . الرابع : أخذ الودعة وغيرها باليمين المدوس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز
 أن تختلف الشرائع فى تحريمها أصلا وبسببها أحد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

إعالم ما فى الصدور
 يا صبح يا قرب يا محجب
 الدنيا يا لطيفا يا شاء
 يا رءوف يا رحيم يا كبير
 يا عظيم يا الله يا رحمن
 يا ذا الجلال والاكرام
 اللهم الله لا إله إلا هو
 القيوم وعنت الوجوه
 لحي القيوم يا لمي
 وإله كل شىء يا ذا
 واحدا لا إله إلا أنت
 اللهم إنى أسألك باسمك
 يا الله الله الله الذى
 لا إله إلا هو رب العرش
 العظيم فتعالى الله الملك
 الحق لا إله إلا هو رب
 العرش الكريم أنت
 الأول والآخر والظاهر
 والباطن وصمت كل
 شىء رحمة وعسا
 كبحسب حم عسق
 الرحمن يا واحد يا قهار

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافض في إلا كل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يجعل التصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه قد عظم أيضا الظلم بالنصب وغيره عظم الخيانة والصبر إلى أن يأكل دافع بالخيانة أو النصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة العكس وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن تخلص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى كما ذكره أبو طالب الحكيم القذف والتسبب والسحر والقرار من الزحف وعقوق الوالدين . أما التسبب لما يزيل العقل فهو جدري بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل محظوظ كما أن النفس محظوظة بل لاخير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجرى في قطرة من الحرق فلا شك في أنه لو شرب ماء في قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإنجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فبعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية التوقف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فالتوقف فيه بحال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية وتناولها مراتب وأعظمها تناول القذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يحدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الجس وهو الذي تريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف في الشرائع فالتقياس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد التسرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجعله للشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته فله ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على المصلحة الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه لا يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فخطيئة بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما القرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث التقياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليخلق بالكبائر . فإذا رجع حاصل الأمر إلى أننا نفي بالكبيرة مالا تكفره الصلوات بحكم الشرع وذلك بما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه التوقف فيه بشه مظنون للثب والاثبات وبشبه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإذن لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فاعلم أن كل مالا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإجهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيان حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرفة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الجس لا تكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإجهام ألحق به حتى يكون الناس على وجل وحذر

يا عزم يا جبار يا
يا صمد يا ودود يا غفور
وهو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين
اللهم إني أعوذ بك
للكون الخزون
للزل السلام الطهر
الطاهر القدوس القدس
يا دهر يا دهور يا ديار
يا بد يا زل يا من لم يزل
ولا يزال ولا يزول هو
يا هو لا إله إلا هو يا من
لا هو إلا هو يا من
يا كان يا كائن
يا روي يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا مكنون

فلا يشجعون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الحسن وكذلك اجتناب الكبائر بكثر الصغائر بموجب قوله تعالى - إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكثر الصغيرة إذا اجتنبتها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فكيف نفسه عن الوقاع يقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيرا في تنوير قلبه من إقامته على النظر في إطلاعه فهذا معنى تكفيره فإن كان عنيبا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للمعجز أو كان قادرا ولكن امتنع لحوف أمر آخر فهذا لا يصلح للتكفير أصلا وكل من يشتهي الحمر بطبعه أو أيسح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كبيع الأدهم والأوتار، ثم من يشتهي الحمر وسباع الأوتار فيسكت نفسه بالمجاهدة عن الحمر ويطبقها في الباع لمجاهدته النفس بالكف ربما تنحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية الباع فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبق بعضها في محل الشك وتكون من التشبهات فلا يعرف تفصيلها إلا بالصلح ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفات : قد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراف بالله وترك السنة ونكث الصفة (١) » قيل ماترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونكث الصفة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا أمثاله من الألفاظ لا يحيط بالمدلول ولا يدل على حد جامع فينبى لاحالة مبهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا من يجنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخصم رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع للالهى ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب وشرب في أواني الذهب والنضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الخنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفا وإثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تندرج في المدالة إلا ما لا غلو الإنسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالنسية والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسباع الغيبة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والعلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على الصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا تصور أن ينكث الشاهد عن قلبها أو كثرها إلا بأن يعزل الناس ويتجرد لأمر الآخرة ومجاهدة نفسه مدة بحيث يبقى على سمعته المخالطة جد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لمز وجوده وطلعت الأحكام والشهادات وليس ليس الحرير وسباع اللهوى واللب بالترد ومجالة أهل الشر في وقت الشرب والحلوة بالأجنبيات وأمثلة هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا النجاح ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة ورددها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها ولو اطلب عليها لأثر في رد الشهادة كمن اتخذ النسية وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكسر بالمواظبة كما أن الباع يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشرطنج والتزم بالقضاء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر .

(بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم النيب والملكوت وأعلى الدنيا ملك قبل

لكل كون أهيا
شراها أدواني
أميوت بأجل عظام
الأمور - فان تولوا
قل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم - ليس كذلك
وهو السميع البصير -
الهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعليه آل محمد كما
باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم إنك
حريص عبيد الله إلى
أعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يخضع
ودعاء لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة
الدجال وعذاب القبر

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراف بالله وترك السنة ونكث الصفة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الاسناد .

الموت وبالأخرة حالته بعد الموت فذالك وأخرتك صفاتك وأحوالك يسمى التبريد الذي منها دنبا والتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في البقعة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الأمثال الموجهة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في بقعة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعني بكثرة الأمثال ما تراه في علم التعبير ويكتفي منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصبت الزيت في الزيتون فقال إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإن أمك سببت في صفرك لأن الزيتون أصل الزيت فهو برد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سببت في صفه وقال له آخر رأيت كأنني أفلد الدر في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نعي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقا وإن نظر إلى صورته وجده كاذبا فال مؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والحتم به على الفروج رآه كاذبا فإنه لم يحتم به قط وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الحتم ومعناه وهو النع الذي يراد الحتم له وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الملق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والتأني لا يكتشف له عن شيء إلا بمنثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن لكل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من اللات الذي لا يحق له إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر اللات لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصمعا، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن ههنا زل من زل في صفات إلهية حق في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه بطول وكذلك قد برد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها اللحد بجمود نظره على ظاهر اللات وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح فيثور للحد الأحق ويكذب» (٤) ويستبدل به على كذب الأنبياء ويقول يا بئحان أله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا إلا إعمال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال - وما يعقلها إلا العالمون - ولا يدري السكين أن من قال رأيت في منامي أنه جئ بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال العبر صدقت والأمر كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يوجد قط لأن

- (١) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب
- (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح فثقب منفق عليه من حديث أبي سعيد .

ومن فتنة الهياويلات
 اللهم إني أعوذ بك من
 شر ما عملت وشر ما لم
 أعلم وأعوذ بك من
 شر سمعي وبصري
 ولسان وقلي اللهم إني
 أعوذ بك من القسوة
 والغلظة والذل والسكينة
 وأعوذ بك من الفقر
 والكفر والفسوق
 والشقاق والنفاق وسوء
 الأخلاق وضيق
 الأرزاق والسمة
 والرياء وأعوذ بك من
 الصمم والبكم والجنون
 والجذام والبرص وسائر
 الأستقام، اللهم إني أعوذ
 بك من زوال نعمتك
 ومن تحوّل عافيتك
 ومن فجأة تهتكك ومن
 جميع سخطك، اللهم
 إني أسألك الصلاة على

المذبح وقع اليأس منه فإن العبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن الوكيل بالرؤيا وهو الذي يطالع الأرواح عند النوم على مافي اللوح المحفوظ عرفة بما في اللوح المحفوظ بمثل ضربه له لأن التألم إنما يعمثل المثال فكان مثله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للماني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفًا بعباده وتيسيرا لأدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل بقوله يؤتى بالموت في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وتبوت للماني فيها بواسطة تلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب المؤمن بين أربعين من أصابع الرحمن» عن سرعة التقليب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلنرجع الآن إلى الغرض فالقصد أن تعريف توزع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثل فلنظم من المثل الذي نضربه معناه لاصوره . فقول : الناس في الآخرة ينقسمون أسنفا وتتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتوا لا يدخل تحت المحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولاتفارق الآخرة في هذا المعنى أصلا ألبيته فإن مديرك الملك والمسكوت واحد لا يترك له وسسته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا يتبدل لها إلا أن إنسان هجرتا عن إحصاء أحد الدرجات فلا ينجز عن إحصاء الأجناس . فقول الناس ينقسمون في الآخرة بالفردوس إلى أربعة أقسامها لكنهم وممذيين وناجين وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم المالكون ويغصب بعضهم مدة ولايتهم فهم المذبذبون وغلب بعضهم فهم الناجون ويغلب على بعضهم فهم الفائزون فإن كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يتبدل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة ولا يجذب لإلزامن قصر خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغلب الإمتزاق له رتبة الملك لكنه لم يقصر لعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع إلا على من أبل عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك المالكين إما تحقيقا بحز الرقية أو تسكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في العاندة وتغيب للممذيين في الخفة والشدّة وطول المدة وقصرها وأحاد أنواعها واختلافها بحسب درجاتهم في تقصيرهم فنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن ناج يخل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يغفل عن جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس والمذبذبون ينقسمون إلى من يذب قليلا وإلى من يذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك المالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والعماس فلذلك كيفية توزعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة المالكين . نحن بالمالكين الآيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتل للملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضاء الملك وكراماته فتقل عن معنى المثال وهذه الدرجة لا تنسكون إلا للباحدين والمرضين المتجربين في الدنيا المسكينين باقه ورسله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلا إلا بالمرقة التي يبرعها

محمد وعلى آله وأسألك
من الحسير كله عاجله
وأجله ما علمت منه
وما لم أعلم وأعوذ بك
من التوكله عاجله
وأجله ما علمت منه
وما لم أعلم وأسألك الجنة
وما قرب إليها من قول
وعمل وأعوذ بك من
النار وما قرب إليها من
قول وعمل وأسألك
ما سألك عبدك ونبيك
محمد صلى الله عليه
وسلم وأستعيذك مما
استعاذك منه عبدك
ونبيك محمد صلى الله
عليه وسلم وأسألك
ما قضيت لي من أمر أن
تجعل عقابته رشدا
ترحمتهك بالرحم
الرحمن يا حي يا قيوم
ترحمتهك أنتنيت

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكانا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

بالإيمان والتصدق والجاحدون هم للسكران والمكذبون هم الآيسون من رحمة تعالى أبداً لا بد
وهم الذين يكذبون رب العالمين وبأنبيائه المرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لجوابون لا عالة وكل
محجوب عن محبوبه فحول بينه وبين ما يشتهي لا عالة فهو لا عالة يكون محترقاً نار جهنم نار القراق
ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للجنات والدين وإنما مطالبنا للقاء ومهربنا
من الحجاب قطع ، وقالوا من يبعد الله بوض فهو لئيم كأن يبعده أطلب جنته أو لحوف ناره بل
العارف يبعده لذاته فلا يطلب إلا ذاته قطع ، فأما الجور الدين والفراكة فقد لا يشتهيها وأما النار
فقد لا يتقيها إذ النار القراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار القراق نار الله
الوقدة التي تطلع على الأنفة ونار جهنم لا تشغل لها إلا مع الأجسام وأما الأجسام تستحرق مع ألم القواد
ولذلك قيل :

وفي قواد الحب نار جوى أحر نار الحجب أبرها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد ترى من غلب عليه الوجد
فقد على النار وعلى أصول القصب الجارية القدم وهو لا يحس به لقرط غلبة ما في قلبه ونرى الضيفان
يستولى عليه الغضب في القتال فتصفيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار »^(١) واحتراق القواد أشد من احتراق
الأجسام والأعدى يبطل الإحساس بالأضغ كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث إنه
يفرق بين جود من يرتبط بأحدهما بالآخر برابطة التآلف الممكن في الأجسام فالذي يفرق بين القلب
وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تآلف أشد إحكاماً من تآلف الأجسام فهو أشد إيلاماً للقلب
كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحرقه
بالإضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على الكربة والصولجان وبين ألم الحرمان عن
ربة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن ربة السلطان أصلاً ولم يعد ذلك ألماً وقال العدو في للبدان
مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجليوس عليه ، بل من تغلب شهوة البطن
لو خير بين الحريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأكثر الحرسة
والحلواء ، وهذا كله لفقد للمنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً وبوجود المعنى الذي بوجوده يصير
الطعام لذياً وذلك لمن استرقت صفات الهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات اللائكة التي لا يأس بها ولا
يلها إلا الترتيب من رب العالمين ولا يؤهلها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع
إلا في الأذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع ولا
بصر ليس له لذة الألوان وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لا سمع قوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً من القلب ، واستأعنى
بالقلب هذا الذي تستكشفه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من عالم الأمر وهو اللحم الذي
هو من عالم الخلق وعرشه والصدر كرسية وسائر الأعضاء طله ومملكته والله الخلق والأمم جميعاً
ولكن ذلك السر الذي قاله تعالى في - قل الروح من أمر ربي - هو الأمير ولذلك لأن بين
عالم الأمر وعالم الخلق ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صاحبت صلح لها
سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد
مبادئ روحاني المعنى للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظير معين
(١) حديث الغضب قطعة من النار الترمذي من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تنكس إلى حصى
طرفة عين وأصلح لي
شأنى كله يا نور
السموات والأرض
يا جمال السموات
والأرض يا عماد
السموات والأرض
يا ديع السموات
والأرض إذا الجلال
والاكرام يا صريح
المتصخين يا غوث
المتغيثين يا منتهى
رغبة الراغبين
والفرح عن الكروبين
والروح عن القوميين
ومحب دعوة
الضطرين وكاشف
السوء وأرحم الراحمين
والله العالمين منزل
بك كل حاجة يا أرحم
الراحمين اللهم استر
عوراني وآمن روغاني

الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتسفين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمة للمتسفين في التأويل لأن الرحمة على قدر الصية ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتروا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله بؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولنمد إلى القرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أعل من علوم للممات التي قصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فذلك لم يوردها . الرتبة الثانية : رتبة للمذنبين وهذه رتبة من نحلي بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بقتضاه فإن رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله ومن اتبع هواه قد أخذ إلهه هواه فهو موحدا لئلا بالحقيقة بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تذبذبا بكيفية غير الله ، ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استغماوا - ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشر وأحد من الصراط مثل الصراط للوصوف في الآخرة فلا يترك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاصح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لامحالة نقصانا في درجات القرب ومع كل نقصان نار نار الفراق لذلك الكمال الغائب بالانتماء ونار جهنم كأومئها القرآن فيكون كل ما مل من الصراط للمستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول اللذة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضمنه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقتله وإذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى - وإن مسك إلا وأردنا كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحيمًا - ولذلك قال الحائفون من السلف : إنما خوفنا لأننا نقتنا أنا على النار واردون وشككتنا في النجاة ، ولما روى الحسن الجبري الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان ^(١) قال الحسن ياليتي كنت ذلك الرجل . وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على التكرير خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر المدد وأن الاختلاف بالشدة لانهاء لأعلاه وأدناه التعذب بالناقشة في الحساب كأن تلك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالناقشة في الحساب ثم ينفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب وينتقل إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المسال فقط كن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وتعذب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضمنه وكثرة الطاعات وقتلها وكثرة السيئات وقتلها . أما عدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكترتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بوله تعالى - وما ربك بظالم للعبيد - وبقوله تعالى - اليوم نحجز كل نفس

وأقلنى عثاقي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوق وأعوذ بك أن أغتال من تحتي ، اللهم - مني مني ضئيف تقو في رضاك متقي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضائي ، اللهم إني ضئيف تقسوني اللهم إني ذليل فأعزني ، اللهم إني فقير فأغني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنك تعلم سري وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا ييسر قلبي ويثينا صادق حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال التميمي عن أنس وأبو ظلال ضئيف واسمه هلال بن ميمون .

بما كسبت - ويقول تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - ويقول تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك يبدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرفع ، إذ قال تعالى في آخره نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمي غضبي »^(١) وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا غنا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار فتقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائن : أعنى الأركان الخمسة ولم يكن منه لإسفاثر متفرقة لم يجر عليها فيشبه أن يكون عذابه الناقصة في الحساب قطف فانه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لسيئين ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الليزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب الجنتين أو بالمقربين وزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فذلك يبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان السوام يصدقون بما يستمؤمن ويستمرون عليه ، وإيمان كسفي يحصل بالتسارع الصدر بنور الله حتى يتكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيفتح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم المقربون المزلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللائ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم ، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات المعارف في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلالة الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يخص فيه القواصون بقدر قواهم ويقدر ما سيطر لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهائية لمازله فالسالكون سبيل الله لانهائية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فيؤمن بأصحاب الجنتين ودرجته دون درجة المقربين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الجنتين تقارب رتبة رتبة الأدنى من درجات المقربين ، وهذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائن كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان وال صلاة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كباثر أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثواب المنسول كالتي لم يتوسع أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر يحظر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لنزول إيمانه فيفتح له بسوء الحاجة لاسيا إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للاعتماد بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الحاجة ، وكلاهما إن مانا على الإيمان يبدان إلا أن يخفو الله عذابا يزيد على عقاب الناقصة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل إليه المهلدون في درجات أصحاب الجنتين والعارفون المستبصرين في أهل عليين ،

أنه لن يسيئ إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والإكرام اللهم يهادي المضلين وبارحهم المذنبين ومقبل عنة العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والسليين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الغيبات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لإله إلا هو أنت الوكيل

في الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف ^(١) » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كتقول القائل أخذ منه جملا وأعطاء عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من المثل إلا التل في الوزن والتقل فلا تسو بمائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشرة عشر بل هو موازن لثمانى الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد ثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لما فيه فروسه للسالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسائية وهذا صادق عند من يعرف روح السالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيتك عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرة لا يدرك بمجرد البصر بل بغطاة أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيتك عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لاسيلى إلى تحق في ذلك عنده إلا بأن ينظر به البويع والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فذلك يتكشف له الصديق والعارف عاجز عن تفهيم الثقل القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات ^(٢) » كما ورد في الأخبار والسماوات ثلث الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يحجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكأن الجوهري مرحوم إذا بلى بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبلد الأبله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عاقلين الجاهل بالجاهدين ولا تغلوا الأولياء والعلاء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا بفنك الأولياء عن ضروب

وإليك الصبر يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشغله عليه الأصوات ويا من لا تغلظه السائل ولا تخلف عليه الفئات ويامن لا يترحم بالخالج الملحين أذقنى برد عذوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعقلا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام التوب . اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرعة عين الأبد ومرافقة نيك محمد وأسألك حبك

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات الخ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عاقلين بين الجاهل الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضعيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلاعب به الصبيان وفيه أبو اليحترى، وإمسه وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل الترمذى وصححه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء وللطبراني من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر

البخارى من حديث ابن مسعود .

من الإبداء وأنواع البلاد، الأخراس من البلاد والسماوية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالسكر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل للفرقة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون للناس عن الجبل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المؤمنين، فإذا عرف هذه الله تعالى فآمن بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإلا كان تنصير تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً برجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسراً إلى عرض على السموات والأرض والجيال فأين أن يحمله وأشفق منه فإذا كان يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها للإعراض عنها فلا تمكنوا كالدن نساء الله فأنا اسم أنفسهم نكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات المدرك في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لهاملة نفسه وتزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافرًا لأنسه ومتعرضاً لثقلته إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة فإن البهيمة تتخلص بالوت . وأما هذا فنه أمانة مترجع لهاملة إلى مودعها فإله مرجع الأمانة ومصرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هي بط إلى هذا القالب الثاني وغربت فيه مستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إمام ظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة . والزاهرة المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمبصر لكل إليه إلا أنها ناكسة رأساً عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى «ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم - فيبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد أقبلت وجوههم إلى آفتينهم واتسكت رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهدمه طريقه ، فتعود باقة من الضلال والتزلزل إلى منازل الجهال فهذا حكم الانقسام من أخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعي بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الثائمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة حيث لا يبقى رتبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله . وعلمته أن لا ينضب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى بسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من لا يمان بالتوحيد مثل الجبال . ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة . ومن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار . وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة . والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كذكر نافي الموازنة بين أعيان الأموال وبين النفود وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد قد عيون العباد هو الدين الذي لا يترك فأما بقية السبب فتستار العفو والتكفير إليها ففي الأمر إن البعد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة يقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فقص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة ، فتقول

(١) حديث أخرجه من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان الحديث تقدم .

وحب من أحبك
وحب عمل يقرب إلى
حبك . اللهم بملك
الطيب وقدرتك على
خلقك أحياناً ما كانت
الحياة خيراً لي وتوفى
ما كانت الوفاة خيراً لي
أسألك خشيتك في
الطيب والشهادة وكلة
العدل في الرضا والفضيل
والصدق في النفي والفرق
ولذة النظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وفنة
مضلة . اللهم اقم لي
من خشيتك مأخول
به بين وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ماتهمون به علينا
مصائب الدنيا . اللهم
ارزقنا حزن خوف

اللائكة ياربنا هذا قد فئت حسناته وبنى طالبون كبر فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وسكوا له مكا إلى النار وكما بهلك هوبسبة غيره بطريق القصاص فكذلك بنحو الظلوم بحسنة الظالم إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستعله فقال لأفضل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أحموها وقال هو وغيره مذنب إخواني من حسنتي أريد أن أزين بها صحيفتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف البعاد في العباد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاها حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لاجالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه حين فأن ذلك ظن يسبب في أكثر الأحوال ولكن قد تنوق إلى الشرف على المهلك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأمعاء ونحو الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والقوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها بغير عن ذلك السبب الحق القلبي إلى النجاة بالعفو والرضا ومحاماض إلى المهلك بالتضيق والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والتضيق على الطييع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الاعتدال على التقوى والتقوى في القلب وهو أغض من أن يطاع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضى العفو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والتضيق جزاء على الأعمال والأوصاف ولولا ذلك لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولولا ذلك لم يصح قوله تعالى - وما ربك بظلال للعبد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم متقال ذرقة وسلك ذلك صحيح فليس للإنسان إلا ما سمي وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما راغوا نزاع الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا واضحا من الشاهدة بالبراذ البصر يمكن القلبي فيه إذ قد يرى الجيد قريبا والكبير ضيقا ومشاهدة القلب لا يمكن القلبي فيها وإنما الشأن في اختراع بصيرة القلب وإلا فما يرى بها بعد الاختراع فلا يتصور فيه السكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب القواد ما رأى . . . الرتبة الثالثة : رتبة التاجين وأعلى بالنجاة السامة فقط دون السعادة والقوز وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم يفسدوا فيمذبوا وبشبه أن يكون هذا حال المجانين والسبين من الكفار والعنوين والذين لم يلقهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا مصلحة فلا دوسية تقرهم ولا جانية تبدمهم فقام من أهل الجنة ولأمن أهل النار بل يزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين القامتين عبر الشرح عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق^(١) فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

الوعيد وسرور
رجاء للوعود حتى
نجد لغة مانطلب
وخوف مامنه نهرب
الهم أليس وجوهنا
منك الحياء واملأ
قلوبنا بك فرحا وأسكن
في قوسنا من عظمتك
مهابة وذلل جوارحنا
لخدمتك واجعلك
أحب إلينا مما سواك
واجعلنا أختى لك بمن
سواك نألك تمام
النعمة بتمام التوبة
ودوام العافية بدوام
الصحة وأداء الشكر
بحسن العبادة اللهم
إني أسألك ببركك الحياة
وخير الحياة وأعوذ بك
من شر الحياة وشر
الوفاة وأسألك خير
ما بينهما أحبي حياة

(١) حديث حول طائفة من الخلق الأعراف الزيار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعهم العصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضيف ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن الذي عن أبيه مختصرا وأبو معشر يجمع السندى ضيف ويحيى ابن شبل لا يعرف وللحاكم عن حديفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

ومن أنوار الاختيار فأما الحكم على العين كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستقيم والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوة ويعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عن الملمات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاختكال والاشتباه غلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم المارفون دون للتقدين وهم القربون السابقون فإن للتقدين وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب الجنتين وهؤلاء هم القربون وما يليق هؤلاء بمجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ماضيه القرآن فليس يعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجله قوله تعالى - فلأنتم تسمى ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الخور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والحجر والحلى والأساور فاتهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا الله النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الترمذي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحجرة وعلى وجعفر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من السكانيين (١) حديث عائشة أنها قالت لملمات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأنكر ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال المصنف والأخبار في حق الصبيان متعارضة ، قلت روى البخاري من حديث مرة بن جندب في رؤيا التي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قيل بإرسول الله وأولاد الشركين قال وأولاد الشركين وللطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد الشركين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضيف برويه عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان وللنسائي من حديث الأسود ابن سريع كنا في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية ، وفيه أولاد خياركم أبناء الشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا بإرسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد الشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود مامن نسمة خلفه الله في بطن أمه إلا أنه شق أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لبيعة ولأبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والموودة في النار وله من حديث عائشة قلت بإرسول الله ذراري المؤمنين فقال لمع آباءهم قلت بل لآلهم قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال لمع آباءهم قلت بل لآلهم قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت بإرسول الله أين أطفال منك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفالك قلت قال في النار قلت بل لآلهم قال الله أعلم بما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصب بن جثامة في أولاد الشركين هم من آباءهم وفي رواية هم منهم .

السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفى وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه بإخبر الرازيين وأحسن التواصين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحم مخلصي وأغفر ما قدرت وطيب ما قدرت وبارك في نعمهم وأنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استخففت ولا تهتك ما سترت فانه لإله إلا أنت أستغفرك من كل لغة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خديمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير بجالستك ومن كل

ولذلك قبل رابطة العبودية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة ضالت الجار ثم الدار فهو لا يقوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل عن كل شيء سواء حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال الماشق الصنتر يمشوقه السنوفى همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويبيع عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه ما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لتغير محبوبه حتى يلتفت إليه لانه ولا يغير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرعة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأبكم إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا أنه لم يتصور أن تخطر ياله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق ويرفعه ينكشف التطاء فند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لمسى الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والله الوفاق بطفه.

(بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الاصرار والواظية ولذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تصمم ولا يقيمها مثلها لو تصور ذلك كان الضوغم أرحم من صغيرة بواظب البعد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توالت فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل »^(١) والأشياء تسببان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للنصرم قبل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة تقللها يتصور المجهوم عليها بفتنة من غير سوايق ولواقح من جملة الصغائر قلما يرى الزاني بفتنة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بفتنة من غير مشاحنة سابقة ومعادة فكل كبيرة كتفتنها صغائر سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بفتنة ولم يتفق إليها عدد ربما كان الغفو فأرحم من صغيرة وانظرب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه البعد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن ثور القلب عنه وكراهيته له وذلك الثفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الألف بوزنك وجوب شدة الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمختور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه في الفتنة فإن القلب لا يتأثر بما يجرى في الفتنة وقد جاء في الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنه فأنظره »^(٢) وقال بعضهم الذنب الذي لا يغير قول البدي ليت كل ذنب عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لملمه بمجال الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنتظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنتظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض المارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بشير معاملتك اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه اللهم إني أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم إني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على قوتي بها على مصميتك اللهم إني أستغفرك من كل عمل عملته لك فخالطه ما ليس لك اللهم إني أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفوائده وخوائمه وأعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخوائمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما أعطيتنا واحفظ

- (١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
- (٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه قد ذكر هذا وحديث لله أفرح بتوبة البعد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه موقوفا ومرقوفا .

رضى الله عنهم للتابعين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشرر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم من المواقف إذ كانت معرفة الصغائر بحلال الله أمّ فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والخالفه يكبر بقدر معرفة الخائف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد المتكبر من ذلك نعمة والفتنة عن كونه سبب الشقاوة فسلكها غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد

قلبه حتى إن من الذين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بتعارفه إياه كما يقول أمارأيتني كيف مزّقت عرضة ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول العامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الخرافات وكيف خدعته وكيف غيبت في ماله وكيف استحمتته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر

فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحبل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن ينسكر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجي شفاؤه . ومنها أن يهاون بستر الله عليه وحله عنه وإهماله إياه ولا يدرى أنه إنما يعمل مقنناً ليزداد بالإهمال إنما فيظن أنه تمكن من المعاصي عتية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجعله يكلمن القروء بالله كما قال

تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المرءون ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإن ذلك جنايته من عثر الله الذي سده له عليه وتحريك الرغبة الشريفة من أعمه ذنبه أو أشهده ضلّه فيها جنابان انضمتا إلى جنايته فطلعت به

فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيج الأسباب له صارت جناية رابطة وتخاصش الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين بيب أحمدم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه ^(١) » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل ويستر القبيح ولا يهتك السر فلا يظهر كفران هذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذب ذنبين ولذلك قال تعالى - للناقصون والناقصات بعضهم من بعض بالتمسك والزبور

عن العروف - وقال بعض السلف ما لتهلك الرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على مصيبتهم بهونها عليه . ومنها أن يكون الذنب علماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه لكس العالم الأبريم وركوبه مراكب الذهب وأخذ مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إليهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في المناظرة وتصدد الاستخفاف واستغالة من العلوم بلا قصد منه إلا لإلجاء كمل الجدول والمناظرة فهم ذنوب

يتبع العالم عليها فيموت العالم ويقيم شره مستطيراً في العالم آماداً متطاولة فطوبى لمن إذا مات مات ذنوبه معه وفي الخبر « من سنّ سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارها شيئاً ^(٢) » قال تعالى - وتكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يبق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأمم يزل زلة فرجيع عنها ويعلمها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بألفظ كل أمي وقد تقدم (٢) حديث من سنّ سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبيدة وقد تقدم في آداب الكسب .

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويفرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن طالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فصل في الإصلاح دهرًا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له إن ذنبك لو كان فيا بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار . فبهذا يتضح أن أمر العلماء خطير فعلهم وخطيئان : إحداهما ترك الذنب والأخرى إغناؤهم كاتصاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا آمنوا فإذا ترك التجمل والليل إلى الدنيا وقنع منها اليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق يتقنع عليه ويتقنى به العلماء والموالم فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الخطيئة من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كانت العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالبرج وإما بالحرمان وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر)

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أو ربه المأمور به المأمور به المأمور به المأمور به وبين محبوه ولكل واحد من العلم والندم والعزم ودوام وتتمامها وعلامتها ودوامها وشروطها بد من يأتها . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي . وأما الندم فهو توجع القلب عند شموه بفوات المحبوب وعلاته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والمكره من استعصر عقوبة نازلة بولده أو يعض أعضائه أو يعض أطال عليه مصيبته وبكائه وأى عزز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من العاصي وأى غير أصدق من الله ورسوله ولوحده إنسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعز ولا الصديق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من العاصي على سخط الله تعالى والتعرض به للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تسكير الذنوب به أرجى فعلاحة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر « جالسوا التوابين فأنهم أرقق أفدة »^(١) ومن علامته أن تحسكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدل عذابه حلاوتها فيستبدل باليل كراهية وبالرغبة نفرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله يقول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم يرقب قبول توبته فقال وعزنى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالذنوب هي أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عسلا كان في قسم ولم يدركه اللذوق واستغله ثم مرض وطال مرضه وألمه وتآثر شره وقلبت أعضاؤه . فإذا قدم إليه عدل فيمثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة قبل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ . فإن قلت فلهو وجدد للشهادة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا تشبه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم والاصح التوبة ولا تصدق إلا بئيل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا عن الله تعالى متابونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت

اللهم يارب يا الله ما ناله أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة يا من لا تنصره الذنوب ولا تنصه المغفرة هب لي ملا يضررك وأعطني مالا ينقصك ياربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفى مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا

(١) حديث جالسوا التوابين فأنهم أرقق أفدة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله وهو ابن أبي الدنيا قال جالسوا التوابين فان رحمة الله إلى التائب أقرب وقال أيضا فاعلموا غلظة على قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمعة وأرق قلبا .

وينبني أن يجد هذه للراية في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في الصل الفترة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من السبل بل مخافه ولم يكن ضرر الثابت من صرته وزاته من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما التصد الذي يثبت منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو واجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك العصية إلى الموت . وشروطه ثمانية تعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنس أو الاحتلام ويقتضى عما مضى من عمره مستغفرا وتوهم اشهرها ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر إلى الطاعات ما لذي قصر فيه منها وإلى المعاصي ما لذي تارة فرط منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهل بشرط النية فيقضها عن آخرها فإن شك في عدد فافاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستقي أنه أداه ويقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بظالم الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيصير مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستثنى بقضائه ، وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدى ما علم بظالم الظن أنه في ذمته فإن أداه لآلئ وجهه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البذل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فإن ذلك لا يجزيه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أقفل ضلعي الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس ضلعي أن ينسب من الحال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال ضلعي أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يحجب به فاته إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودي وإن شاء نصرانيا (١) » والعجز الطاريء بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تخفيفه عن الطاعات وتداركها . وأما المعاصي فيجب أن يقتض من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وخطه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معايش حتى يطلع على جميع صفاتها وكبائرها ثم ينظر فيها فساكن من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بظلمة العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنباء ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر ومماغ ملاء وغير ذلك مما لا يتعلق بظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتصر عليها بأن يحب مقدارها من حيث التكبر ومن حيث اللذة ويطلب لكل معصية منها حسنة تتأسسها فيأتي من الحسنات بتقدير تلك السيئات أخذا من قوله يُؤْتِكُمْ (٢) واتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها (٣) بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر بمماحق الإلهي ببيع القرآن وبعبال السيئات المذكور ويكفر القعود في المسجد جنبيا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر من الصفح بعد ثباتها كرام الصفح وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تغيبه بأن يكتب مصحفا ويعمله وفقا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير محتمل وإنما المقصود سلوك

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودي الحديث تقدم في الحج (٢) حدث اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب السكس وبهذه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

أتنا في الدنيا حسنة وقى
الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
وارزنا المون على
الطاعة والعصية من
العصية وإفراغ الصبر
في الخدمة وإيداع
الشكر في النعمة
وأسألك حسن الخاتمة
وأسألك البقية وحسن
المرقة بك وأسألك
الحبة وحسن التوكل
عليك وأسألك الرضا
وحسن الثقة بك
وأسألك حسن التلقب
إليك اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد
وأصلح أمة محمد اللهم
ارحم أمة محمد اللهم
فرج عن أمة محمد
فرجا عاجلا ربنا اغفر

الطريق المضادة فإن المرض بالج يشده فكل ظلة ارتفعت إلى القلب بمصبية فلا يجوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها والتضادات هي التناوبات فذلك ينبغي أن تسمى كل سبقة بحسنة من جنسها ولكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج التحقيق من التلطيف طريق الحق فالجواب فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواطى على نوع واحد من البادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في الحق فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وبدل على أن الشيء يكفر بصدده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحسين إليها فلا جرم كل كل أدى بسبب السليبيو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى للمهموم والصوم عن دار المهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم ^(١) » وفي لفظ آخر « إلا المهم بطلب العيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تسكفها أدخل الله تعالى عليه المهموم فتكون كفارة ذنوبه ^(٢) » ويقال إن المهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والمهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول الطلوع . فإن قلت لم الإنسان غالباً بما له ولله وجهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرام عنه كفارة ولو تونغ به لثقت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ السكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة تسكف عليك قال فساه عندنا قال أجر مائة شريد فاذن المهموم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد ففيها أيضاً مصيبة وجبابة على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً لما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتجسس وترك مثله في المستقبل والاتبان بالحسنات التي هي أضعافها فيقال بإيذاه الناس بالاحسان إليهم ويكفر غضب أموالهم بالصدق علىه الحلال ويكفر تناول أعضائهم بالقبية والقبح فيهم ببناء على أهل الدين وإظهار ما يضر من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتناق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ البعد مفقود لنفسه موجود لسيدته والاعتناق إجماع لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقال بالإعدام بالايحاد وهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتناق رقيقته ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجم له بكفارة ما لم يخرج من مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراس أو القلوب أعني به الإيذاء المفض . أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى الشئح إمامته أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمداً موجبا لقتلصاص فالتصاوس فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتبرع عند ولي الدم وبمحكه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة الإيذاء ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كاللوزن أو شرب أوسر أو قوطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فوه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يرضخ نفسه وممتلك ستره وبتلمس من الوالي استغناء حق الله تعالى بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب بالفوق وفي محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين التاديبين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقدمه وقصه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي « أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين سبقونا بالإيمان ولا نجعل في قلوبنا غلا فذنبت أمنا ربنا إنك رءوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي ولبن تولدا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعمهاتنا وأخواننا وخالاتنا وأزواجنا وفريقاتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات بأمرهم الراحمين يا خير العافرين ولما كان الدعاء مع العبادة أحبنا أن نستوفى من ذلك نصيبا صالحا نرجو بركته وههنا الأدعية استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم وفي لفظ آخر إلا المهم في طلب العيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في السكاح
- (٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تسكفها أدخل الله عليه القوم وتقدم أيضاً في السكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحن .

فقال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فردته فلما كان من الغد أتاه فقال يارسول الله إني قد زنيت فردته الثانية فلما كان في الثالثة أمر به لحفر له حفرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقال يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول مأتوبة أصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو منهم (١) وجاءت المأمدية فقالت « يارسول الله إني قد زنيت تطهرني فردتها فلما كان من الغد قالت يارسول الله إني أردت لملك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لجلبي فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فأذهبي حتى تضعي فلما ولدت أنت بالصبي في حفرة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى غطيه فلما غطته أتت الصبي وفي يده كسرة خبز فقالت يا بني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر به لحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتشقق الدم على وجهها فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إليها فقال ملا بإخاله فوالله نفسي بيده لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فعلى عليها وقت (٢) .

وأما القصص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه للتمتع فيه وإن كان التناول مالا تناوله بصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترويج زائف أو ستر عيب من البيع أو هضم أجرة أجبر أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يغفر عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراج جسد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به إذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحيات والموافق من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة أحداً حصل مجرم مع عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب الظالم والظالم واحد والحادى والظلم في نواحي العالم وليطهروهم وليستحلهم أو لا يؤد حقهم وهذه التوبة تشق على الظالمة وعلى التجار فاتهم لا يقدرون على طلب المالمين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تنفي عن يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب الظالم وتلكن كثره حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تنف بها حسناته حمل من السيئات أرباب الظالم فيهلك ببئسات غيره فهذا طريق كل تائب في رد الظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريافيني أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في الماضي في متسع الأوقات هذا حكم الظالم الثانية في ذمته . أما أمواله الحاضرة فايرد إلى المالك ما يعرف له مالاً كما عينا وما لا يعرف له مالاً فليعلم أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فليعلم أن يعرف قدر الحرام بالاجتراد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بمشاقمة الناس بما يسوؤهم أو يغيهم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو أذى قلبه بفعله أو أقواله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا بدرك إلا بشكرك الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفراره وعليه أن يعرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربعا وقوله لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصب (٢) حديث المأمدية واعترافها بالزنا ورجوعها وقوله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب المكبر رحمه الله في كتابه قوت القلوب وعلى قلبه كل الاعتناء وفيه البركة فليدفع هذه الدعوات منفرداً أو في الجماعة إماماً أو مأموماً ويختصر منها ما يشاء [الباب المحسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات]

فمن ذلك أن يلازم موضعه الذي صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو الثقات إلى شيء فإن السكوت في هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين عبده أهل

وتعرض له بالاستحلال لهم لا يكتفى وربما لو عرف ذلك وكثرة تحديه عليه لم تطب نفسه بالاستحلال
وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسنة أو يجمله من سيئة فان كان في جملة جانيه على
الغير مالم ذكره وعرفه تأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبه باللسان إلى عيب من خفايا
عيوبه يعظم آذاه مهما شوقه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم
تبقى له مظلة فليجيرها بالحسنات كما يجبر مظلة الليل والناس . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة
جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جانيه وعرفه الجاني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال
بقيت المظلة عليه فان هذا حقه فليبه أن يتطابق به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
حبه والشفقة عليه ما يستعمل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نقر ببسطة مال بحسنة
فأدأب قلبه بكثرة تودده وتلطفه صححت نفسه بالاستحلال فان أبي إلا الاسرار فيكون تلطفه به
 واعتذاره إليه من جملة حسنة التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جانيه ولكن قدر سعيه في فرجه
وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قدم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذنا ذلك
منه عوضا في القيامة يحكم الله به عليه كمن أظلم في الدنيا مالم جاء بثلثة فامتنع من له السالك من
القبول وعن الإبراء فان الحاكم يحكم عليه بالتقبض منه شاء أم لم يشأ فكذلك يحكم في صعيد القيامة
أمكم الحاكمين وأعدل القسطين وفي التتق عليه من الصالحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
أهل الأرض فدل على راهب فأناه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
فقتله فشكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها
أناسا يبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا
نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
جاء تابيا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأنهم ملك في صورته آدمي
جلوه حكا بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاموا فوجدوه أدنى
إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) . وفي رواية : فكان إلى القربة الصالحة أقرب
منها بشبر فقبل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى
وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فقبل له ، فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا رجحان
ميزان الحسنات ولو بمثل ذرة فلا بد للذائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالمعاش .
وأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعتقد مع الله عقدا مؤكدا ومجاهدا . بهذا وثيق أن لا يعود
إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزمًا جزما
أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تخليه
الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تابيا مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يترك التائب
في أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فان كان له مال موروث
حلال أو كانت له حرفة يكسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس المعاشي أكل الحرام
فكيف يكون تابيا مع الاسرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشهوات من لا يقدر على ترك الشهوات

(١) حديث أبي سعيد الخدري التتق عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا
عن أعلم أهل الأرض الحديث هو . تتق عليه كما قال المصنف من حديث أبي سعيد .

للعامة وأرباب القلوب
وقد ندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى
ذلك ثم يقرأ الفاتحة
وأول سورة البقرة وإلى
الفلقون والآيتين
والمحكم إلى الواحدوية
السكس والاثنتين
بعدهما وآمن الرسول
بآية قبلها وشهد الله
وقل اللهم مالك للكل
وإن ربكم الله الذي
خلق السموات
والأرض إلى الحسين
ولقد جاءكم رسول إلى
الآخر وقل ادعوا الله
الآيين وآخر الكهف
من إن الذين آمنوا
وذا النون إذ ذهب
مغاضبا إلى خير الوارئين
فببأن الله حين
تسعون وحين تصبحون

في المأكولات واللحوسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يثقل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن ينظم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يتمكن الاستقامة وإن لم يؤثر الزلزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والتب مئة مئة . وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لاتصح وقال قائلون تصح ولقظ الصحة في هذا التمام بحسب بل قول لمن قال لاتصح إن عنيته به أن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتها سبب لقلته وهول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولستنا نتكلم في خلاف أسرار عفو الله فان قال من ذهب إلى أنها لاتصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجهه لأجل المعصية فان الملة شاملة لها إذ من يتوجه على قتل والده بالسيف يتوجه على قتله بالكين لأن توجهه بغوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالكين فكذلك توجه البعد بغوات محبوه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرة أو الزنا فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مغفوة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا تصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر فان استحالة ذلك من حيث إن المعصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض التائبين فهو كالمملك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول قول إن العقد لا يصح أي لم ترتب عليه المحرمة وهو المملك وتحقيق هذا أن محرمة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وتحرمة الندم تكفي من سبق ترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم إلا لكونها معصية وذلك يتم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستلحق النصف بتفصيل به يكشف الغطاء . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لأغلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق المغفر إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي ينجى على أهل المملك وحرمة ويحجى على دابته فيكون خائفا من الجناية على أهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استظام الذنب واعتقاد كونه بعيدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثرت التائبون في الأعصار الحالية ولم يكن أحد منهم موصوما فلا تستدعي التوبة المعصية والطبيب قد يحذر المريض المسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن المسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلمهما جميعا بحكم شهوته ندم على أكل المسل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والتب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كأي تفاوت

وسبحان ربك إلى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بذات الصدور وآخر
سورة الحشر من
لو أنزلنا تمسح ثلاثا
وثلاثين وهكذا يحمده
مئة ويكره مثله وتمسحها
مائة بلإله إلا الله وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يستغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
قصور وقصور وناس
فان التوب في هذا الوقت
مكروه جدا فان غلبه
النوم فليتم في مصلاه
فانما مستقبل القبلة
فان لم يذهب النوم
بالقيام يخطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ ينضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترجيع شرب الخمر عنده يثبت منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل ونداما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كاللدي يتوب عن الفرية أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا يمكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو حائف من معاصيه وندم على فعله ندما إما شديدا وإما قويا ولكن تكون لذته في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والفتنة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون ملبا بتحريك العزم ولا قويا عليه ، فإن سلب عن شهوة أقوى منه بأن لم يمارضه إلا ما هو أضعف فحرق الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتت ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالقية وتلب الناس والنظر إلى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقطع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف أبعث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه : إن فحري الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالسكينة بل أجاهده في بعض المعاصي فمضاني أغلبه فيكون فحري له في البعض كتمارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم ولقليل له إن كانت ماله لك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فترك التسبيح لله فإن أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تمضد بصلاته الترتيب إلى الله تعالى ما لم يتقرب بترك التسبيح وهذا حال بأن يقول لله تعالى على أمران ولي على الخالفة بينهما عتوبتان وأنا على في أحدهما بغير الشيطان عاجز عنه في الآخر فأنا أفهرك فيما أقدر عليه ، وأرجو بجراحته في أن يكفر عني بعض ما مجرت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أورت الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « التند توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متائلة في حق الشهوة وحق التعرض إلى سخط الله تعالى ، ثم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط وتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمرض الذي حفره الطبيب الفا كره فانه قد بدأ بالقليل ولكن لا يستتر منها قد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد أن يكون ما تاب عنه مثالا لما يق عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التماثل في اعتداد التائب بصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيصور اختلاف حاله في الترتيق فقدمه على ذلك الذنب ووافقه بعزمه على الترتيق بلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي . فإن قلت هل تصح توبة العن من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يثبت العزم على الترتيق يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله قد انعدم بنفسه لا بتركه إياه . ولكن أقول لو طرأ عليه سدة الله ككشف ومعرفة تحقق في ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق ونحس وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

نحو القيلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدر القيلة في إدامة استقبال القيلة وترك السلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت ثم كبير وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بعد الله ونوصي به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من جمع في الأدكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فإذا أحكم أوله هذه الرعاية فقد حكم بقية . وتبين أوقات النهار جميعا على هذا البناء فلذا قارب طلوع الشمس يستدعي جمرة السماعات الشر

لكانت حرقه الندم تنفع تلك الشهوة وتخليها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبيه وماجبا عنه
سيئه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ
عليه حالة تبيح فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تاب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا
أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لم يستجب أن تبلغ قوة الندم حتى يصح هذا البلغ
إلا أنه لا يخرقه من نفسه فان كل من لا ينهض شيئا بقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله
تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فبذلك يظهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله
ترجع إلى أن ظلة اللصبة تمتعي عن القلب بشيئين : أحدهما حرقه الندم ، والآخر شدة المجاهدة
بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى
على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل عالم يشي التائب بعد التوبة مدة مجاهد
نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا. فقلت فإن
إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن الزنوع إلى الذنب والآخر بقي في نفسه زنوع إليه وهو
مجاهدها وعينها فأيهما أفضل ؟ . فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبي الحواري
وأصحاب أبي سليمان النخعي إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة ذلك
الآخر أفضل لأنه لو قر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عزة الشوق وعن
المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والخير في أن
الذي انقطع زنوع نفسه له سالكان : إحداهما أن يكون انقطاع زنوعه إليها يغتور في نفس الشهوة
فقط فالجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو
دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأعلى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنهت بمشارة اليقين
وتنفع الشهوة للتيمة بإشارة الشياطين فهاهنا قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً وقول القائل إن هذا
أسهل إذ لو قر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل
المتين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة والذي أفضل من البالغ لأنه أسلم والفلس أفضل
من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن الفلس لا عدو له وللكل ربما يقبل مرة وإن غلب مرات وهذا
كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلو شوطه إتمام
الاعزاز بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة
من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمع به فرسه فتسكّر أعضاؤه عند السقوط على
الأرض وآمن من أن يشبه الكلب ويستدعي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان
قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد . الحالة الثانية : أن يكون طلائع
الزنوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا وقع هيجان الشهوة حتى تأتت بأدب
الشرع فلا تنهج إلا بالإشارة من المدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من
المجاهد اللقائي لهيجان الشهوة وبقها ، وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة
بقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا ليعينه بل للتصديق قطع ضراوة المدحوى لا لتجبرك إلى شهواته
وإن عجز عن استجرائك فلا جدك عن سلوك طريق الدين فاقهرته وحصلت القصود فقد ظفرت وحادت
في المجاهدة فأت بدني طلب الظفر ومثاله كئال من قهر المدحوى واسترقة بالأضافة إلى من هو مشغول بالجهاد
في صف القتال ولا يدري كيف يسلم وئاله أضامثال من علم كلب السيد وراض الفرس فيها نائمان عنده
بعد ترك الكلب الضراوة والفرس المالح بالأضافة إلى من هو مشغول بتأديب الكلب بدو لعدول

وهي من تعليم الحضر
عليه السلام عليها
إبراهيم التيمي وذكر
أنه تلمذها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
وبنا بالمدامه عليها
جميع التفرق في
الأذكار والدعوات ،
وهي عشرة أشياء
سبعة سبعة الفاتحة
والعودتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
الكافرون وآية
الكرسى وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر والصلاة
على النبي وآله وسبح
نفسه ولوالديه
والمؤمنين والمؤمنات
ويقول سبحان الله أفضل
فيهم عاجلا وآجلا
في الدين والدنيا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عواقب الطريق وظن آخرون أن قم الشهوات وإباطها بالسكينة مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فنجزعته فقال هذا حال فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع الهللكات . فان قلبك لما ذك في تائبين أحدهما من الذنب ولم يشغل بالالتفات فيه والآخر جله نسب عنه ولا يزال يشكر فيعترق بمدام عليه فأيهما أفضل . فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تصب ذنبك بين عينيك . وقال آخرون حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام للتسوية أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يجرب عن حال نفسه قسطولا ليهمه حال غيره فختلاف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا نقصان بالإضافة إلى المهمة والارادة والجديت يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لاهمه أمر غيره . إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله وقد يكون طريق البعد إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب ودركه ما تمنع عليه كالقبح في حق البتدى . لأنه إذا نسى لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانباعته لسلك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى النفاق كمال ولكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يرجع على غير السلك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولواعيب التيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ماضي من أحواله وهو الكمال بل لو عاق السافر عن الطريق إلى بلدين البلاد تهرحاجز طالع تيب السافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ البحر بعد عبوره يتيك متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر للقrag من ذلك المنع ، للمنع نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان لا يقدر السلك أو كان على طريقة أتهاروه يحاف في نفسه أن يمر بها فليظل بالليل بكاء وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فلو سلك الطريق أولى بمن الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرف إلا من عرف الطريق والتقصير والماثق وطريق السلك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع الهللكات بل قول شرط دوم التوبة أن يكون كثير الفكر في النعم في الآخرة ليزيد رغبته ولكن إن كان شافيا فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ماله نظير في الدنيا كالخور والقصور فان ذلك الفكر عاير لمراد رغبته في طلب الماحول برضى بالأجرة بل ينبغي أن يفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدى أيضا قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد يزولون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات الالهية بأعمهم فاقهم ما بعثوا إلا لأرشادهم فطهرهم للتلبس بما تنفعهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مره به بنوع رياضة إلا ويحرض معه فبأنه كان مستغنيا عنها لغرضه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهلا للأمر على المرید ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشترع ^(١) » وفي لفظ « إنما أسهر لأسن » .

مائت له أهل ولا
تصل ربنا يا مولانا
ما نحن له أهل إنك
غفور حلیم جواد كريم
رموف رحيم . وروى
أن إبراهيم التيمي لما
قرأه بعد أن تعلمها
من الحضر رأى في المنام
أنه دخل الجنة ورأى
للجنة والأنبياء
عليهم السلام وأكل
من طعام الجنة وقيل
إنه مكث أربعة أشهر
لم يطعم وقيل لعله كان
ذلك لكونه أكل من
طعام الجنة فاذا فرغ
من المسببات أقبل
على التسبيح
والاستغفار والاكلاوة
إلى أن تطلع
الشمس قدر رمح .

ولا تسب من هذا فان الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستطلق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن «كن كع^(١)» لما أخذ تمره من تمر الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفيهم منطق ترك الفصاحة ووزل إلى لكنته بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تنسبها بالبيحة والطائر ناطقا فيطيعه فأياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها منزلة أقدام العارفين فضلا عن العاقلين ، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أقسام العباد في دوام التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيندارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة التوبة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها السابق بالخيرات السديد بالسيئات حسنة واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إلهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق الفردون للشتهرون بذكر الله تعالى وضع الله كبر عنهم أو زارهم فوردوا القيامة خفافا^(٢) » فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الله كبر عنهم وأهل هذه الطبقة على رب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن نأثب سكنت شهواته تحت قهر المرفة ففتر زأعها ولم يشغله عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملى بمجاهدتها وردها ثم تفاوتت درجات النزاع أيضا بالكرة والقة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن عتبط يموت قريبا من توبته يخط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن مهمل طال جهاده وصبره وعادته استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة فأنسا بمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشترط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغي للعديد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطعم في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على الصبية وينقض توبته بل طريقها القرار من ابتداء أسبابه لليسرة له حتى يسد طريقها على نفسه ويسمى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلل توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : نائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كباثر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تتره لاعتد عود وتجرب تصد ولكن ينزل بها في مجاري أحواله من غيره أن يقدم عزمها على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمز للاحتراز من

لا يوجد في اللوط إلا مرسل لا إسناد له وكذا قال حمزة الكفائي إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنصاري وقد طالع يحيى عنه وسؤالي عنه للأئمة والمخاطف فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به قال وادعي بين طلبة الحديث أنه وقع له مسندا (١) حديث أنه قال للحسن كن كع^(١) لما أخذ تمره من الصدقة ووضعها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للفردون للشتهرون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أصد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة التداو إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعق أربع رقاب » ثم صلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه قد خلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان صلى الركعتين وبهاتين الركعتين تبين فائدة رعاية هذا الوقت وإذا صلى الركعتين جمع ثم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ في باطنه آثرا ونورا وروحاً وأنسا إذا كان ساداً والقي يحمد

أسيبها التي تعرض لها وهذه النفس جذيرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستدلف له من الأحوال الذميمة لأن تصمم عزم وتحمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطيبة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي فلا ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يظلب خيبره شره حتى يغل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة - فكل للمم بقع صغيرة لأن طوبى من نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المنفوق عنه قال تعالى - والذين إذا ضلوا فأحسوا ضلالهم أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم عفا الله عنهم فظلهم لا شيء لهم ولنمدهم أولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على كرم الله وجهه «خيركم كل مفتق تواب» (١) وفي خبر آخر «الؤمن كالسنبلة ينعى أحيانا ويميل أحيانا» (٢) وفي الخبر «لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة» (٣) أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يفتق التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة الصبرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كاطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من القواكح والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالضيق الذي يؤيس الشفة عن نيل درجة الفقهاء بغفوره عن التكرار والتسليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على ضمان الطبيب والفتي بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفقرات ومقارعة السيئات المحتططات قال النبي ﷺ «كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون» (٤) وقال أيضا «الؤمن واه رافع نظيرهم من مات على رقبته» (٥) أي واهم الذنوب رافع بقية التوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وادبروا عن بالحنة السيئة فلما وصمهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لمجزء عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو بدو أو قدره الله تعالى على قهها وكنا شرها هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يندم ويقول إني لأفعله وسأجوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى وبوما جد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس اللوالة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عفا الله عنهم من حيث مواظبتهم على الطاعات وذكر اهتلهما على ما عايناهم رجوعا

(١) حديث على خباركم كل مفتق تواب البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن كالسنبلة تنعى أحيانا ويميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلها وكأها ضعيفة وقالوا تقوم بذلك في وفي الأمثال للرامهرمزي إسناده جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستغفره والحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون . قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث المؤمن واه رافع نظيرهم من مات على رقبته الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وفلا فسميد بدل نظيرهم .

من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض إلى آخر الآيات وتكون نيته فيها الشكر لله على نعمه في يومه وليته ثم يركعتين أخريين يقرأ العوذتين فيها في كل ركعة سورة وتكون صلاته ههنا ليستبد بالله تعالى من شر يومه وليته ويذكر بعد هاتين الركعتين كانت الاستعاذة فيقول أعوذ بالله وكلتك التامة من شر السامة والهامة

[illegible]

(١١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة والحسن من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة وشهر مختلف فيه

وأعوذ بآهلك وكلتك
 التامة من شرعائك
 وشر عبادك وأعوذ
 بآهلك وكلتك التامة
 من شر ما يجري به الليل
 والنهار إني ربّي الله لا اله
 إلا هو عليه توكلت
 وهو رب العرش العظيم
 ويقول بعد الركنين
 الأولين اللهم إني
 أصبحت أستطيع
 أن أدفع ما ذكره ولا أملك
 نفع ما أرجو وأصبحت
 مرتهنا بعملي وأصبح
 أمرى بيد غيري فلا
 تقهر أقرمي الله
 لا تشمت بي عدوّي
 ولا تني بي صديق
 ولا تجعل مصيبي من
 يدي ولا تجعل الدنيا
 أكبر همي ولا مبلغ
 علمي ولا تسلطني من

تضيق على مثلي ومهصبي ليست تضربه ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدنار وإذا قيل إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تنصر عن قهرك وكسلك تترك التجارة ليس يضرك فأجلس في بيتك ففساد برزقك من حيث لا تعتب فيستحق قائل هذا الكلام ويستهرى به ويقول ما هذا المحوس السماء لا تعطر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولا يتبدل لسنة الله ولا يعلم الضرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا يتبدل لها فانهما جميعاً وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستعداه كرم في الآخرة وليس بكرم في الدنيا وكيف يحول ليس مفضي الكرم الفطور عن كسب اللال ومقتضاه الفطور عن العمل لللال في الغالب الأخرى في الدنيا وبشي قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فهو ذائق من المعنى والضلال لما هذا إلا انتكاس على أم الرأس والتماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلًا تحت قوله تعالى - ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً - أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الاهتلاب ويحق عليه العذاب فهو ذائق من دواعي الجهل والشك والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء الثقل والمآب.

(بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبية أو عن إلمام بحكم الإنفاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاستشفال بالتكفير بحسن تعاده كما ذكرنا طريقه فإن لمساعدته النفس على العزم على الترك لثبته الشهوة قد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يدرك بالحسنة السيئة ليحوها فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأحسنات الكفارة للبيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والشفو وتذلل العبد الآبق ويكون ذلك بحيث يظهر لسان المباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما لعبد الآبق الذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمن قلبه الخيرات للفساد والعزم على الطاعات . وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من شروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشعائير أعمال كان الطهور عنه مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحبال الانزعاج عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبعده مائة مرة ثم تصدق بصدقة تصوم وما وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين^(١) وفي بعض الأخبار تصل أربع ركعات^(٢)

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له لفظ أبي داود وهو في الكبرى للسنائي مرفوعاً وموقوفاً فلعل الصنف غير بالآخر لإرادة الوقوف فذكرته احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كثنائي (٢) حديث التكفير بصلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

لا يرحم الله إن أعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التي توجب النعم ثم صلى ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمل في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بتسبيح الدعاء على الإطلاق وإلا فلا استخارة التي وردت بها الأخبار هي التي يصلها أمام كل أمر يريد ويقرأ في هاتين الركعتين - قل يا أيها الكافرون - وقل هو الله أحد - ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول نسيه كل قول وعمل أريده

وفي الخبر « إذا علمت سيئة فأتبها حسنة تكفرها السر بالسر والملائنة بالملائنة » (١) ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة المجر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس فاقبل على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة القعدة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات » (٢) وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرا أو كبيرا الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » ففى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجهد في دفعها بالحسنات. فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار ، وفي الخبر « المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتزنى. بآيات الله » (٣) وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارتنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن المصنف ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول قينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هاتكنا (٤) . فنقول : الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الفيلة استغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وإباليه في سؤال الغفرة عن صدق إرادة خلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فاصطلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحصل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة » (٥) وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فها رأها جالس منها مجلس الرجل من أمرته وحرك ذكره فإذا هو مثل المدة بقاء نادما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأزله الله فعرجل وأتم الصلاة طرفي النهار - الآية وسأله جلد (١) حديث إذا علمت سيئة فأتبها حسنة تكفرها السر بالسر والملائنة بالملائنة البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما علمت من سوء فأحدث لله فيه توبة السر بالسر الحديث (٢) حديث إن رجلا قال يارسول الله إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة القعدة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٣) حديث للمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتزنى. بآيات الله إن أبى الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس يلفظ كالمتزنى. بربه وسنده ضيف (٤) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورضه الترمذي من حديثه أنزل الله على أماتين الحديث وضعفه وابن مردويه في تخريجه من قول ابن عباس (٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تخدم في الدعوات .

في هذا اليوم اجل فيه
الحفرة . ثم يصلى
ركعتين أخريين بقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سنورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
حبك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأشياء عندي واقطع
عنى حاجات الدنيا
بالشوق إلى لقاءك وإذا
أفرت أعدى أهل
الدنيا بدينهم فأفر
عنى بدينك واجعل
طاعتك في كل شيء
منى يا أرحم الراحمين
ثم يصلى بعد ذلك
ركعتين بقرأ فيهما
شيئا من حربه من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ، ولذلك قال سهل لا بد لعبد في كل حال من مولا فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء ، فإن عصى قال يارب استر علي فإذا فرغ من العصية قال يارب تب علي فإذا تاب قال يارب ارزقني العصمة وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنا ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والابانة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولا به بأن يترك الحق ثم يستغفر الله ثم تصديره الذي هو فيه ومن الجهل بالعمة وترك الشكر فند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفرد ثم التبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السرو هو الحلة ولا يستغفر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه ، والذي كرواهم والرضا ادهم والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرضه إلى العرش فيكون مقامه مقام حلة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » فقال ، إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى - التائبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فبا يكرهه حبيبه ، ولقد ورد أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فمضه نحو لأصل الذنب بالكيفية وحضه تخفيفها وينافوت ذلك متفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يغلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لأرباب فيها أن قوله الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كالا تخلو شجرة تطرح في اللزائن عن أثر ولو خلت الشجرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلهما ولكن لا يرجع اللزائن بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال بل من أن الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يتقل قترفع كفة السيئات فيألك أن تستغفر ذرات الطاعات فلا تأتينا وذرات العاصي فلا تنفها كالمرأة الحرقاء تسكل عن الغزل تملأ بأنها لا تنفد في كل ساعة إلا طي خط واحد وتقول أي غي يحصل يحيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى العتوه أن ثياب الدنيا اجتمعت خطا خطيا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لاتضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بنسبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان الغري - إن لسان في بعض الأحوال يعجز بالذكر والقرآن وقائي غافل . قال أشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يوده الفضول وما ذكره حتى فأن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من الماصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول لسانه سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مباديء الشر من شرير قال بحكم سبق لسانه نمود بالله . وإذا تعود الفضول قال لمت الله فيمضي في إحدى الكلمتين - وسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة بضاعها ويؤثم من لدنه أجرا عظيما - فانظر كيف ضاعها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع تلك العادة شر العيبان بالقيمة واللعم والفضول هذا تحذف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضعب الآخرة لكرهوا كانوا

إن كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا ينقل في أنواع العمل من الصلاة والتسلاوة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما نفسه أو عياله فليمن حاجته ومهامه بعد أن يسلي ركعتين لخروجه من اللزائن وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن صلى ركعتين ليقيه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا وصلى ركعتين ليقيه الله سوء الدخول بعد أن سلم على من في اللزائن من الزوجة وغيرها وإن لم يسكن في البيت

يسلمون - فإياك وأن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفر بربغبتك عن العبادات من هذه مكنة روجها الشيطان بلعته على الضرورين وخيل إليهم أرباب البصائر وأهل النطق للخفايا والسر الرأى خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الحلق في هذه السكينة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . أما السابق فقال صدقت يا سلمون ولكن هي كلمة حق أردت بها اطلاعك لاجرم أعذبك صريتين وأرغم أفئك من وجهين فأضيق إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بشر للملح عليه . وأما الظالم للفرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدققة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسقط الشيطان بتدلي عجل غروره وتمت بينهما المشاركة والواقعة كاقبل : وافق عن طريقه . وافقه فاعتنقه . وأما المقتصد فلم يقدر على إرغامه بشارك القلب في العمل وتغفل لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن اهتدى إلى كاله بالإضافة إلى السكوت والضرور فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتبار الجرح فكان السابق كالحائك الذي ذمت حيا كنهه فتركها وأصبح كاتباً والظالم التخلّف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً والمقتصد كالذي هجر عن الكتابة فقال لا أنسرك مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب بالإضافة إلى الكناس فإذا هجرت عن الكتابة فلا ترك الحياكة وكذلك قالت رابعة العدوية استغفارتنا يحتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم مذهبنا بدم واحد ما عمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق: حسنت الأبرار سيئات القربين . فإن هذه أمور ثبتت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستغفر درات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى جأ ثلاثاً في ثلاث رضا في طاعته فلا تحقرها منها شيئاً فقلل رضا فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقرها منها شيئاً فقلل غضبه فيه وخباً ولايته في عبادته فلا تحقرها منهم أحدا فقلله ولي الله تعالى وزاد وخباً إيجابته في دعوته فلا تتركوا الدعاء فرجاً كانت الأجابة فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قلمان : شاب لاصوبة له نشأ على الخير واجتنب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صوة ^(١) » وهذا عزير بن نادر : والقسم الثاني هو الذي لا يغلو عن مقارفة الذنوب ثم ينقسمون إلى مصريين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إلا بمعنى لدواء إلا منافسة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فهو داء وحل ذلك السبب ورضه وإبطاله ولا يبطئ الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا اللغو والشهوة ولا ضاد للغفلة إلا العلم ولا ضاد للشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم المنافقون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - فالدوام إذن للتوبة إلا بمجون يسجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكتنجيين بين حلاوة السكر وحموضة الخل وينقد بكل منهما غرض آخر في العلاج مجموعهما فيقعم الأسباب للهجة للفساد فيكذب ما ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فإذا لهذا الدواء أصلان : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بينهما .

(١) حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

فان قلت أبتغى كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم جعلتها آدوية لأعراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن بعض كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمر : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبته مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يتقبل العلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه ما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة والشقاوة سببا هو العصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تخليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يبرع عنه لا يلبس ولا يكذب فان إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، وزانه ما نحن فيه العلم بصديق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . الثالث أنه لا بد أن يصنى إلى الطبيب فيما يحذر عنه من تناول القواكه والأسباب للضرر على الجملة حتى يلبس على الخوف في ترك الإحياء فتكون شدة الخوف باعثا له على الإحتواء ووزان من الدين الأصناف إلى الآيات والأخبار للشملة على الرغبة في التوبة والتحذر من ارتكاب الذنوب واتباع الحق والتصدق بجميع ما يلحق إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى يثبت بها لحوف القوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يترفع في نفسه الإحتواء عليه فعلا أو لتفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الإحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بأفاتها وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء قالوا صي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعل العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم بأقليم أو بلدة أو حلة أو مسجد أو مشهد فعمل أهله دينهم وعبر ما يضرهم مما ينفعهم وما يشقهم مما ييسرهم ولا يبتلى أن يصبر إلى أن يسئل عنه بل يبتلى أن تصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورثة الأنبياء والأنبياء متركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الاشتاء ويطلون واحدا واحدا فيرشونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه مالم يعرف غيره . وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل حلة قريبا متدينا يعلم الناس دينهم فان الحق لا يولدون إلا جهلا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع والدنيا دار الرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا مقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار الرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بعداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب للمريض الذي لا يحتمى أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقده بالسلاسل والأغلال ويكشف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرضى القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداهن أن المرض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء . ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وصلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والمائة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها فما باله يطل ولا يتم بخدمة الله تعالى . قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فإذا ارتفعت الشمس

فإن عاقبت موت مشاهد تنفر الطباع منه وما يبد للوث غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم قتلت النفرة عن الذنوب وإن عليها مرتكبها فذلك تراه بشكل على فضل الله في مرض القلب ويجهد في علاج مرض البدن من غير انكال . والثالثة : وهو الداء الضال فقد الطبيب فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضاً عديداً واعن علاجه وصارت لهم سلة في محوم للرض حتى لا يظهر قصصهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والاعانة عليهم بما يزيد مرضاً لأن الداء للقلب هوج الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استكاناً من أن يقال لهم لما لكم تأمرون بالعلاج وتغشون أنفسكم فهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الواء واضمح الدعاء وهلك الخلق فقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بغير الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوهم بالمشورة وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا ولينهم سكتوا وما نطقوا قائم إذا تكلموا لم يهجم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإجراء وتطلب أسباب الرجاء وذكر الدلائل الرحمة لأن ذلك أهدى في الأسماع وأخف على الطباع فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من زيادة الرحمة على العاصي ومزيدة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلاً أو خائفاً أهلك بالدواء حيث يصفه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواء ولكن لشخصين متضادى الملة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه بالالتحاق وضيق المشي على نفسه بالكلية فتكرسوا لرسالة الله في الحرف يذكر أسباب الرجاء يعود إلى الاعتدال وكذلك الصبر على الذنوب المشتهى لتوبة للمتع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاماً لذنوبه التي سبقت يبالغ أيضاً بأسباب الرجاء حتى يطعم فيقول التوبة قتيوب ، فأما معالجة القنوط للترور للترسل في العاصي يذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة القنوط بالوصل طلباً للشفاة وذلك من دأب الجاهل والأغبياء فاذن فساد الأطباء هي المصلحة الزبالة التي أجهل الدواء أصلاً . فان قلت : فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه ، نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع : الأول أن يذكر مافي القرآن من الآيات المخوفة للذين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم طلع جرة ولا ليلة غاب شفقها إلا وممكن يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدها : يا ليت هذا الخلق لم يخافوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ^(١) » وفي بعض الروايات « ليتهم تجالسوا تذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا بما عملوا » وقال بعض السلف إذا أذنب البعد أمر صاحب المئين صاحب الشال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتب عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبد يصحى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخفف به واستأذن سقته من السماء أن يسقط عليه كففاً ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كففا عن عبيدي وأمهلاء فانكلم لم تخلفاء ولو خلفاء لرحمتاه ولعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله لحسنات

(١) حديث ما من يوم طلع جرة ولا ليلة غاب شفقها إلا وممكن يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدها يا ليت هذا الخلق لم يخافوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ^(١) » وفي بعض الروايات « ليتهم تجالسوا تذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا بما عملوا » وقال بعض السلف ما من عبد يصحى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخفف به واستأذن سقته من السماء أن يسقط عليه كففاً ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كففا عن عبيدي وأمهلاء فانكلم لم تخلفاء ولو خلفاء لرحمتاه ولعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله لحسنات

وتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتصف العصر بين الظهر والغروب حتى أفضى الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وهو أن يتم الفصيل في ظل أمه عند حرّ الشمس . وقيل الضحى إذا ضحيت الأندام بحر الشمس وأفلّ صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ يَمَسُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ يَدَيْهِ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلّت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب مفاقيح^(١) » وفي حديث مجاهد « القلب مثل الكف المفتوح كلما أذنّب العبد ذنباً انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع^(٢) » وقال الحسن : إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوقفه بعدها خير والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لأخصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما خلف ديناراً ولا درهماً وإنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه^(٣) .

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من الصواب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقوع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيهم من الإخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبنت عورته فاستنجا التاج والإكيل من وجهه أن يرتقا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكيل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبطا من جوارى فإنه لا يجاورني من عصائي قال فالتفت آدم إلى حواء يا كيا وهذا أول شؤم للعصية أخرجنا من جوار الحبيب. وروى أن سليمان بن داود عليها السلام لما عوقب على خطيئته لأجل القتال الذي عبد في داره أربعين يوماً وقيل لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال له ولم يفعل وقيل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمسكانها منه فسلم ملكه أربعين يوماً فهرب تأمها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطم فأذا قال أطمعوني فاني سليمان بن داود شيخ وطرد وضرب . وحكى أنه استطمع من بيت لأمرائه فطرده وصفت في وجهه . وفي رواية أخرجه مجوز جرة فيها بول فصته بي رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الموت قلبه بعد انقضاء الأربعين (أيام العقوبة) قال فجات الطيور فمكتت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذرت إليه بعض من كان جرى عليه فقال لا أولكم بها فلعنتم من قبل ولا أحمداً من في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى أن الأسرانيات أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فأروته نفسه وطالبته بها فبجدها واستنصم قال فبأنه الله يركه ففواه فكان نينا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال لخضر عليه السلام بم أطمعت الله على علم القلب قال بترك المعاصي لأجل الله تعالى . وروى أن الرمح كانت تسير سليمان عليه السلام فنظر إلى قصبة نظرة وكان جديداً فكأنه أعجبه قال فوضعت الرمح فقال لم فعلت هذا ولم أترك ؟ قالت إنما نطبعك إذا أطمعت الله .

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوح . قلت هكذا قال الصنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد يقول بمجاهد كذا ذكره القسرون من قوله وليس بمرفوع وقد روي أنه في شب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف ديناراً ولا درهماً وإنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث عمرو بن الحرث قال مارك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة وسلم من حديث عائشة مارك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بئرا روى حديث أبي الدرداء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

حق بقضى عما ندب إليه من زيارة أو عبادة بعض فيه وإلا فقديم العمل لله تعالى من غير قصور ظاهراً وباطناً وقلبا وقالباً وإلّا فباطل وترتيب ذلك أنه يصل مادام منسرحاً وقسه عجية فإن سُمّ ينزل من الصلاة إلى التلاوة فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فإن سُمّ التلاوة أيضاً يذكر الله بأقرب واللسان فهو أخف من القراءة فإن سُمّ الذكر يدع ذكر اللسان ويلزم بقلبه الرقابة والرقابة إلى القلب ينظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم مسلماً قلبه فهو مراقب والرقابة عين

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال فلو كنت لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنهم عنه غافلون - لم خنت عليه الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتدري لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأتيني بهم جميعا - وبما قلت - أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأنسا الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار وزود الأسفار بل القرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الضار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب السكار، ثم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأخسقاء يهلون ليزدادوا إنما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر حسنه على أسلم الصبر فانه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر عندهم أن تتجمل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ماصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فيقضى أن يخوف به فان الذنوب كلها تتجمل في الدنيا شؤمها في غالب الأمور كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه يندبني على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » (١) وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى المم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنبا فارق عقل لا يولد إليه أبدا » (٢) وقال بعض السلف ليست اللثة سودا في الوجه وقصا في اللال إنما اللثة أن لا تخرج من ذنب إلا وقت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللثة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير وسرله الشر فقد أبعد والحرم من رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة الطماء النسكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يقتله الله تعالى لمجته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشى في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يمشى في وسط الوحل ويكسى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجهلها حتى يقع في ذنب وذنبين فتندها بحوض في الذنوب خوفا وهو إشارة إلى أن الذنب تتجمل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من خير الزمان وجهاء الإخوان قد نوبك ورتك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حمارى وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فأر يبنى وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فربى ابن الجلاء الدمى فأشده يدي فاستجيت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحانه الله تعجب من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنة المحكمة كيف خلقت لثان فمضى يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يغت أحد أصلا جماعة إلا بدنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فبا غيرتم من أعمالكم » (٣) وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما صنع (١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده والفظه إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنبا فارق عقل لا يولد إليه أبدا تقدم (٣) حديث ما أنكرتم من زمانكم فبا أنكرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

الذكر وأفضله فان يحرم
عن ذلك أيضا وتلكه
الواسوس وتزاسم في
باطنه حديث النفس
فليم في النوم السلامة
وإلا ففكرة حديث
النفس تفسى القلب
كثرة الكلام لأنه
كلام من غير اسان
فيحترز عن ذلك قال
سهل بن عبد الله أسوأ
المعاصي حديث النفس
والطالب يريد أن يعتبر
باطنه كما يعتبر ظاهره
فانه بحديث النفس
وما يتخيل به من ذكر
مامضى ورأى ومع
كشخص آخر في باطنه
فيقيد الباطن بالمراقبة
والرعاية كابتدع الظاهر
بالعمل وأنواع الذكر
ويمكن لطلاب المجد

داعيد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذته مناجاتي (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علاون في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائماً ذات يوم أصلي غافراً فابى هوى طاولته بفكرتي حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غشله في الحمام بالصابون فلا يزاد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث فلقبت بالجنيد وكان قد وجه إلى فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فصاررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك رقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلو لا أني دعوت الله لك ونبت إليه عنك لقيت الله بذلك اللون قال فصبرت كيف علم بذلك وهو يفيداد وأنا بالرقة . واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره ليبرز وإن كان شقيماً أخفى عنه حتى يهيمك ويستوجب النار والأشجار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنوب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما يهدمه صفته فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له وبجرم جيل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وإن أسأته نعمة كانت استدراجاً له وبجرم جيل الشكر حتى يحاقب على كفرانه وأما للطبع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته . النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالحر والزنا والسرقة والقتل والنيسة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولاً بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العليل الباطنة ويشغل بعلاجها فليستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتربص لما وقف عليه اعتداه برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يارسول الله ولا تتكبر على قال لا تنصب (٢) » وقال له آخر « أوصني يارسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الفنى وليالك والطعم فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وليالك وما يستدر منه (٣) » وقال رجل لمحمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون مسلماً في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكاكته صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول مخايل الغضب فقام عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لماذا أوصني فقال كن رحيماً أكن لك بالجنة عيافاً كنهته نمرس فيه آثار القضاة والمظلة . وقال رجل لآبراهيم بن آدم أوصني فقال: ليالك والناس عليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي الناس وما أرام بالناس بل غسوا في ماء اليأس فكاكته نمرس فيه آثار المظلة وأخبر كما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب أذاه بالناس والسلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتفي لي كتاباً توصيني فيه ولا تتكبري فكتبنت إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال غريب تغرد به هكذا العقبيل وهو عبد الله بن هاشم . قلت : هو منهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما أضع باليد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لغة مناجاتي غريب لم أجده (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تتكبر على قال لا تنصب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

أن يصلى من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة . يصليها خفيفة أو بغيراً في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وجد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يجيبهم إذا فرغوا أن يناموا طلباً للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يبين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الإنتباه

ومن الحق رضا الله بسخط الناس كراه الله مؤنة الناس ومن الحق سخط الله رضا الناس وكراه الله إلى الناس^(١)، والسلام عليك فانظر إلى قهقهة كيف تعرضت لآفة التي تكون الولاية بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكنبت إليه مرة أخرى : أما بعد ؟ فاتق الله فانك إذا اتقيت الله كمالك الناس وإذا اتقيت الناس لم ينفوا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناصح أن تكون عتائته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال الالفة ليسكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواظب الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوخط فيه تشجيع زمان . فان قلت : فان كان الواظ يتكلم في جمع أوساله من لا يدري باطن حاله أن يحظه فكيف يعمل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكلية والأدوية لأرباب العلل . ومثاله ماروي أن رجلا قال لأبي سيد المحدثي أوصني قال عليك بتقوى الله عزوجل فانها رأس كل خير وعليك بالجهد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء وعليك بالصمت لأن من خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل للحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركتك ولا تجادلهم فيمتنوك وخذ من الدنيا بلاغك وأتق فضول كسبك وآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعتاق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تغالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عمالينيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما دمست ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسل ومن يقل الخير يغم ومن يقل الشر يأتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل ما لوجاءك الموت عليه فربأيته غنية فآثره وكل ما لوجاءك الموت عليه فربأيته مصيبة فاجتنبه . وقال موسى للخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكُن غناعا ولا تكن ضرارا واتزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تميز الخطيئين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل للحمد بن كرم أوصني فقال اجتهد في رضا الخلق بقدر ما تجتهد في رضائهم وقال رجل لحامد اللعاف أوصني فقال اجعل لديك غلافا كغلاف الصحف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا بما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا بما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا بما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، غف محامدك فك الله وأحذر محامدك الله وخذ محامدك بيدك لما بين يديك فسد الموت بأيتك الخير اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فككتب إليه : أما بعد ، فان الهول الأعظم والأمور القظما أمائمك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إماما للجاه وإماما للطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجح ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غصبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عمل له وبها ينتر من لا علم عنده فسكن فيها يا أمير المؤمنين كالمدواي جرحه يسير

(١) حديث عائشة من الحق رضا الناس بسخط الله وكراه الله إلى الناس الحديث الترمذي والمحاكم وفي مسند الترمذي من لم يحس .

من نوم النهار تجسد
في الباطن نشاطا آخر
وشغفا آخر كما كان
في أول النهار فيكون
لصادق في النهار بهاران
يغتنمها خدمة الله
تعالى والدؤوب في العمل
ويبني أن يكون
استباهه من نوم النهار
قبيل الزوال بساعة
حتى يتمكن من
الوضوء والطهارة قبل
الاستواء بحيث يكون
وقت الاستسواء
مستقبل القبلة ذا كرا
أومسبحا أو تاليا قال الله
تعالى - وأنم الصلاة طرفي
النهار - وقال - فسيح
بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها -
تيل قبل طلوع
الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الدواء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن أرطاة أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياءه فضعفهم وأما أعداؤه فغريبتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله : أما بعد ، فقد أسكنتك القدرة من ظلم البعاد فإذا هممت بظلم أحد فلا تذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لاتأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل آخذ للظالمين من الظالمين والسالم . فكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة وعظم من لا يدري خصوص واقته فينهذ الواعظ مثل الأغذية التي يشترك السكاة في الاتعاف بها ولأجل ذلك مثل هؤلاء الواعظ انهم باب الاماظ وغلبيت الماصي واستشرى الفساد وبلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعا وينشدون أريانا ويتكلمون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب لصل إلى القلب بل القائل متكلف والتسمع متكلف وكل واحد منهما مبدى ومتكلف ، فإذا كان طلب الطبيب أول علاج الرضى وطلب العلماء أول علاج المصاعين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر وجه الحاجة إليه أن الرضى إنما يطول مرضه تناوله ما يضره ، وإجماع تناول ذلك إنما يفتله عن مضرته وإما الشدة غلبة شهوته فله سيان فإذا كثرناه هو علاج الشفة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله أن الرضى إذا اشتدت ضرراؤه لما كثر مضر فطرقة أن يستشعر ضرره ثم يثب ذلك عن عينه فلا يضره ثم يتسل عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكسر ضرره ثم يصير قوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك جالغ اليهودي الماصي كالشاب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السمع وراء شهوته فيبني أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخوفات التي جاءت فيمن كتاب الله تعالى ويستقرسوله صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب للهجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور الشهية والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذات الأطمع وقولع علاج الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة واختكار أو عن صماع وتقليد فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل معصوف إلى السماع ثم التفكير فيه لتمام الفهم وينبت من تمامه لعمالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونه الصبر وابتشت الدواعي لطاب العلاج وتوفيق الله وتيسره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فائق وانتظر الثواب وصدق بالحسن فسيبره الله تعالى ليسرى ، وأما من بغل واستغنى وكذب بالحسن فسيبره الله للعسرى لا يفي عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وماعلى الأنبياء لا يشرح طرق الهدى وإجماع الآخرة الأولى . فان قلت قد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بعزيمة الخوف والخوف لا يكون إلا بالمعالم والعالم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لنصف الإيمان اذ كل مؤمن مصدق بأن النصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور : أجدوها أن العقاب الموعود غيب ليس محاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود وضميف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباغية على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال خفة بالحق وقد قوى ذلك واستولى عليها اسباب الاعتقاد والإلف والمادة طيبة خاصة والزوم عن

وقبل غروبها صلاة
الصر - ومن آتاه
الليل فسيح - أراد
المساء الأخيرة
سواطراف النهار ساراد
الظهر والغرب لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
الأخر غروب الشمس
وفيها صلاة المغرب
فصار الظهر آخر
الطرف الأول والمغرب
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
بالشفقة والذكر كما
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كالكان بنوم
الليل ويصل في أول
الزوال قبل السنة
والعرض أربع ركعات

المجال لحوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى - **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْمَاجِلَ وَتُنْفَرُونَ** الآخرته وقال عز وجل - **بَلْ تَوَثُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا -** وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّوَاهِدِ** » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « **إِنْ أَقْبَلَ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ قَالَ لَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا وَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَخَلَّاهَا فَخَلَّاهَا بِالشَّوَاهِدِ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا فَنَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَلِيقَ أَحَدٌ بِإِدْخَالِهَا، وَخَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا فَخَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَخَلَّاهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا فَخَظَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ** » (٢) فإذا كان الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً إلى المآل سيان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا بأصل الطب ولا مكذبا بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهن عليه الألم المنتظر. الثالث أنه مامن مذهب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير في حيث رجاؤه والتوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان. الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو متقدم أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها استكمالاً على فضل الله تعالى فنهض أسباب أربة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان ، ثم قد يقدم الذنب بسبب خاص فيقع في أصل إيمانه وهو كونه حاكماً في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يفتخره الطبيب بتناول ما يضره في للررض فإن كان المحدث بمن لا يجتهد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يزال به فهذا هو الكفر . فان قلت لما علاج الأسباب المحضة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدره لعل الساعة قريب والتأخر إذا وقع صار ناجز أوبئد كرقسه أنه أبداً في دنياه يتبع في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن الموت ألد لحظة إذا لم يخف ما جده ومفارقته لدنيا لا بد منها فكيف نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً فيظن كيف يبادر إلى ترك ملاذنه بقول ذي لم تهم معجزة على طبعه فيقول كيف يلبق بمقتضى أن يكون قول الأنبياء الواسع بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ولا يشهد له بالإعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب الرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير بينه وبالجاذبة التالية عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبداً الأبد وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة وأما تسويف التوبة فمعالجه بالسكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن التسويف بيني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فقله لا يلقى وإن بقي

(١) حديث حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم ومعه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة .

بتسليمة واحدة كان
صليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذه
صلاة الزوال قبل الظهر
في أول وقتها وحجاجة
أن يراعى لهذه الصلاة
أول الوقت بحيث
يفطن لوقت قبل
لؤذين حين يذهب
وقت العسكرية
بالاستواء فيشرع في
صلاة الزوال ويسمع
الأذان وقد توسط
هذه الصلاة ثم يستعد
لصلاة الظهر فإن وجد
في بطنه كدراً من
عاطلة أو مجالسة
اتفقت يستنفر الله
تعالى ويتفرغ إليه
ولا يشرع في صلاة
الظهر إلا بعد أن يجد
الباطن عائداً إلى حاله

فلا يقدر على الترك غذا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل يحز في الحال إلا القليلة الشهوة والشهوة ليست تخارقه غذا بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتقاد فليست الشهوة التي أكرهها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك السوفون لأنهم يظنون الفرق بين التائبين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبدأ شاق وما مثاله السوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فراحقوه ولا تتقاع إلى بشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت زاد راسخوها وهو كما طال عمره ازداد ضعفه فلا حاقة في الدنيا أعظم من حاقته إذ يحز مع قوته عن مقاومة ضعفه فأخذ ينظر الظلة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المني الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فصلاحه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كثر في أرض خربة فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع التهب من الظلة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفعها وإخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسقط عقلة أو عفوته على الظالم الناهب حتى لا يتضرع إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والعقلة ممكنة . وقد حكي في الأمصار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله منتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحاقة والجهد إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك بطول ولكن يمكن أن يجال يعلم قريب يليق بمجد عقلة فيقال له مقاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه يمكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة كذلك فهو أحرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شك فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولعت فيه حبة أو لقت مهابه وجوزت صدقة فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألد الأطمعة فيقول أتركه لا محالة لأنني أقول إن كذب فلا نفوتي إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم عن مظاهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعي بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فان صدقوا فقد أشرف على عذاب يبق أبدا الآباد وإن كذبوا فلا نفوتك إلا بحض شهادات هذه الدنيا الفانية للسكرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبدا الآباد بل لو قدرنا الدنيا معلومة بالقدرة وقدرنا طائر بالنبط في كل ألف سنة حبة واحدة منها لتثبت القدرة ولم ينقص أبدا الآباد شيئا فبكيف يغتر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبدا الآباد ولذلك قال أبو العلام أحمد ابن سليمان التتوخي المرى :

قال النجم والطبيب كلاهما لا يثبت الأموات قلت ليكما
إن صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولي فالحاسر عليكما

ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقلة عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا من صاقلات فقد تخاضنا جيما وإلا فقد تخاضت وهلكت أى العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فان قلت هذه الأمور جارية وأمكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر عنها واستسلمت له وما علاج القلوب لردّها إلى التفكير لاسما من آمن بأصل الشرع وتفصيله . فأعلن أن المنع من الفكر

من الصفاء واللاهوت
حلاوة الناجاة لا بد أن
يجدوا صفو الأئسي في
العقلاء ويتكبدون
ببسر من الاسترسال
في اللباح وبسر على
بواطنهم من ذلك عقد
وكدرو قد يكون ذلك
عجرا المخالطة والمجاسة
مع الأهل والولد مع
سكون ذلك عبادة
ولكن حسنات الأبرار
سيات للقرين فلا
يدخل الصلاة إلا
بسد حل العقد
وإذهاب الكدور حل
العقد بصدق الانابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكدر
بمجالسة الأهل والولدان
أن يكون في مجاسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم اللقيم وهذا فكر لداع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدين باطنى سبيل التفرغ والاستراحة . والثانى أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وعامر إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنه من ذلك ، وأما علاج هذين للنامين فهو أن يقول لقلبي ما أشد غياوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذلك ثم مع استحضار ألم مواقفه فكيف يصبر على مقامته إذ واقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثانى وهو كون الفكر مغوا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فاتها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سيرة الدؤور وهي مشوبة بالمسكدرات لما فيها لذة صافية عن كدر وكيفى في التوبة عن المعاصى والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمرقته وطاعته وطول الأنىس به ولو لم يكن للطبع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلالة الطاعة وروح الأنىس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة ، ثم هذه اللذة لا تتكون في ابتداء التوبة ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخبر ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابضة تعودها الخير عادة والشر لاجبة ، فاذن هذه الأفكار هي الهيجة لضوف الهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار وعط الوعاظ ونسيات تنفع للقلب بأسباب تتفق لاندخل في الصبر موقفا للصبر فيميل القلب إليه ويعبر عن السبب الذى أوقع المواقفة بين الطبع والفكر الذى هو سبب الخبر والتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذى هو طاعة ناعمة في الآخرة وقد روى في حديث طويل أنه قام عمران بن ياسر فقال لعل لى أبى طالب كرم الله وجهه يأمر بالؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابى ، فقال على رضى الله عنه بنى على أربع دعائم : على الجفاء والمعنى والنفقة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت الملباء ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشيد ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والدمامة وبدا له من الله ما لم يكن محسب ، فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكير وهذا التقدير في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثانى من ربيع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء ، المنفرد برباد الكبرياء ، التوحيد بصفت الجود والملاء ، اللؤ بصفة الأولياء ، بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على الامور والنعماء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه أئمة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الصلاة محروسة بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتعاقب عن الصيرم والانتفاء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما أيضا نصفان من أوصاف الله تعالى وإحسان من أصفائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً فالجمل عقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شرطى الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من

غير راكن إليهم كل
الركعون بل يسترى
القلب في ذلك نظرات
إلى الله تعالى فتكون
تلك النظرات كفارة
لتلك المجالبة إلا أن
يكون قوى الحال
لا يجبهه الخلق عن
الحق فلا يتخذ على
باطنه عقدة فهو كما
يدخل في الصلاة
لا يجدها ويجد بطنه
وقلبه لأنه حيث
استرحت نفس هذا
إلى المجالبة كان
استروح نفسه متغصرا
روح قلبه لأنه عالى
ويعاط وعين ظاهره
ناظرة إلى الخلق وعين
قلبه مطالعة للحسرة
الإلهية فلا يتخذ على
باطنه عقدة وصلاة

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف تصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة مآبه الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك مآبه الإيمان فما أوجع كل الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لا يرتبط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميهِ باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر البركات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل بمأصروا وقال تعالى - ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - وقال تعالى - أولئك يؤثرون أجورهم مرتين بمأصروا - وقال تعالى - إنما يؤتى الصابرون وأجرهم خير حساب - فمن قرأه لا وأجره ما يتقديروا حساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعده الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واسبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النعمة على الصبر فقال تعالى - بل إن صبروا وتقاوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المتهنون - فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان ^(١) » على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصروا على ما أتمم عليه أحب إلى من أن يوافق كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تنزع عليكم الدنيا جدى فينكر بضعكم بضعاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم ^(٢) » الآية وروى جابر أنه سئل ^(٣) عن الإيمان فقال « الصبر والسجدة » وقال أيضاً « الصبر كزمن كنوز الجنة ^(٤) » وسئل مرة « ما الإيمان قال الصبر ^(٥) » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج معرفة ^(٦) » معناه معظم الحج معرفة

رواية يزيد الرقاشي عن أنس وبزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والحطيب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الإيمان فقال الصبر والسجدة الطبراني في معارج الأئمة وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن السكندر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً بالصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وبزيد ضعيف (٦) حديث الحج معرفة تقدم في الحج .

بروال التي ذكرناها
تحل الصدق وتهيبه
الباطن صلاة الظهر
فيقرأ في صلاة الزوال
بقدر سورة البقرة
في النهار الطويل وفي
الصغير ما يتيسر من
ذلك قال الله تعالى :
وعشوا وحين تظهرون
وهنا هو الإظهار فان
انتظر بسد السنة
حضور الجماعة للقرض
وقرأ الدعاء الذي بين
الفرصة والسنة من
صلاة الفجر غش
وكذلك ماورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا به إلى
صلاة الفجر ثم إذا
فرغ من صلاة الظهر
يقرأ الفاتحة وآية
الكرسى ويسبح

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس» (١) وقبل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخليق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لم يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال «أؤمنون أنتم؟ فسكتوا فقال عمر بن الخطاب رسول الله قال وماعلمة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فى الصبر على ماتكره خير كثير» (٣) وقال المسيح عليه السلام : إنكم لا تدركون ما يحبون إلا يصبركم على ماتكرهون . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين» (٤) والأخبار فى هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى عليك الصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر فى الصيحات حسن وأفضل منه الصبر محارم الله تعالى . واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى الصبر وقال صلى الله عليه وسلم «فى الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل . وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولو اجسدت الرأس لم يأت الإيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضى الله عنه يقول : نعم الإعلان ونمت الصلاة للصابرين يعنى بالمدلين الصلاة والرحمة وبالملاة والهدى والملاوة ما يعمل فوق المدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحموا أولئك هم المحسنون وكان حبيب بن أبى حبيب إذا قرأ هذه الآية إننا وجدناه صابرا ثم الصبر إننا وأبى سبيك وقالوا الصبر على الصبر أى هو الملقى بالصبر وهو الشئ . وقال أبو البرداء ذموا الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا ما غنى الصبر من حيث الثقل وأما من حيث النظر يعنى الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلتحصل قبل معرفة الموصوف فلذلك حقيقته ومعناه وبالله التوفيق .

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إيمان تنظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هى الأصول وهى تورث الأحوال والأحوال تشرم الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مظهر فى جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان تارة يخص بالمعارف وتارة يطلق على السلك كإكرامه فى اختلاف اسم الإيمان والاسلام فى كتاب قواعد المفائد وكذلك الصبر لا يمت إلا بمعرفة سابقة وبمالة قائمة فالصبر على التحيق عبارة عنها والعمل هو كالقوة صدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة حقيقة الترتيب بين اللاتسكة والإنس والبهايم فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك فى البهايم ولللاتسكة أما فى البهايم فلتفصاتها . وأما فى اللاتسكة فلكلها بيان أن البهايم ساطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا يثبت لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا . وأما اللاتسكة

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال أؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر ثم يارسول الله الحديث الطبراني فى الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث فى الصبر على ماتكره خير كثير الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي .

وعبد وبكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها الفى ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحى بسين الظهور والصبر كالحى بين المشاءين على الترتيب الذى ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والراقبة ومن دام سهره ينام نومة خفيفة فى النهار الطويل بين الظهور والعصر ولو أحيا بين الظهور والعصر ركعتين يقرأ فيهما ربع القرآن

عليهم السلام فأنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بمجرد آخر غلب الصوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الفناء الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة السكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى فضله وسعة جوده كرم به آدم ورفع درجاته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه . والآخر يقويه تميز بمونة الملكين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالح المتعاقبة بالمواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة المواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فذلك لا يتطلب إلا اللبث . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا يطلبه ولا تعرفه فصار الإنسان بغير الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مفيات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر ففكر من مضر يرفه الإنسان كالارض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى تدرية وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها تلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بمجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنفس هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعثا دينا ولنفس مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليتهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما مجال ومعرفة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والحق بالصائرين وإن تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال الشبهة عمل يسميه حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال ثمرها العرفة بدواوة الشهوات ومضادها أسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى يقينه أعنى العرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا للطريق الذي هو الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تنافاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة العرفة والأيمان تنبسط نفية الشهوات وسوء غايتها وهذان الملكان هما التمكنان بهذين الجنسين باذن الله تعالى وتسخيرهما إليهما ، وهما من الكرام السالكين وهما للملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك القوى لم يخف عليك أن جانب اليقين هو الذي أشرف الجانبين من جنبتي الدست ، ينبغي أن يكون مسلما له فهو أذن صاحب اليقين والآخر صاحب التكاليف ولعبد طوران في التفقة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالفتنة معرض عن صاحب اليقين ومضى إلى فيكذب أعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه يستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب أقباله وحسنه وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باتباعها فذلك مما كراما

أوتبرأ ذلك في أربع
وكلمات فهو خير كثير
وان أراد أن يحي هذا
الوقت بمائة ركة
في النهار الطويل يمكن
ذلك أو بشرين
ركعة قرأ فيها قل هو
الله أحد ألف مرة
في كل ركة خمسين
وستاك قبل الزوال
إذا كان سائما وان لم
يكن سائما فأى وقت
تخير فيه التمس . وفي
الحديث « السواك
مطهرة لقلوب مرضاة
لرب » وعند القيام
من الفراش يستحب
قيل إن الصلاة بالسواك
تفضل على الصلاة
بغير سواك سبعين
ضعفا ، وقيل هو خير
وإن أراد أن يقرأ بين

كاتبين أما الكرام فلا تتفاح العبد بكرمها ولأن لللائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبون فلا ياتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فاتها وكنتهما وخطبها وصحائفها وجملة ما تملق بهما من جملة عالم الغيب ولللكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم لللكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعي بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات قد قامت قيامته ^(١) وفي هذه القيامة يكون المبعود حده وعندهما يقال - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملائمن الخلق وفيها يساق الثقلون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا والهلوالأهلوالأول هو هول القيامة الصغرى وجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تزول في الموت فانت تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت يلبثه صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده قد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزرزلة مسكه لا بزرزلة مسكن غيره فحسنت من الزلزلة قد تورفت من غير تصان . وعلم أنك أرضى مخلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بدتك قطعاً ما بدتك غيرك فليس يحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدتك طرف ومكان وإنما تخاف من بزرزلة أن يتزلزل بدتك بسببه وإلا فالهواء أبداً متززل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدتك فحطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدتك قطع فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبالاً وأرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وجمعك وبصرك وسائر خواصك نجوم جمالك وميض العرق من بدتك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزاءك فإذا أهدم بالموت أركان بدتك قد زلزلت الأرض زلزلة إذا انضلت العظام من اللحوم قد حلت الأرض والجبال فدكت دكة واحدة فإذا رمت العظام قد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت قد كورت الشمس تكويراً فإذا بطل سمك وبصرك وسائر خواصك قد انكسرت النجوم انكساراً فإذا انشقق دماغك قد انشقق السماء انشقاقاً فإذا انشجرت من هول الموت عرق جبينك قد فطرت البحار تفتيحاً فإذا انتفت إحدى سابقك بالأخرى وهما مطباتك قد عطلت العشار تطلعا فإذا انفارت الروح الجسد قد حلت الأرض فهدت حتى ألفت ما فيها وتخلت ولست أطول بمجيب موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يغتفر لك من القيامة الكبرى شيء مما يحسبك بل ما يغنى غيرك فإن جاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد تأثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأصمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاءها لأنها قد كشفت في حقه دفعة واحدة وهو حسنة منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشقق رأسه قد انشقق سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جبهة الرأس فمن لا رأس له لا سماؤه فمن أين ينفعه جاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والحرف بعد أسفل والهلوالهدم مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال . وعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين: إحداهما الخروج من الصلب والتراب إلى مستودع الأرحام ^(١) حديث من مات قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف.

الصلابين في صلاته في
عشرين ركعة في كل
ركعة آية أو بعض آية
تقرأ في الركعة الأولى
- ربنا آتانا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب
النار - ثم في الثانية
- ربنا أفرغ عنا صبرا
وثبت أقدامنا واصرنا
على القوم الكافرين -
ثم - ربنا لا تؤاخذنا
إلى آخر السورة ثم - ربنا
لا تزغ قلوبنا - الآية
- ربنا إنا صممنا نأبدا
بنادى لإيمان - الآية
ثم - ربنا آتنا بما
أزلت - ثم - أنت
ولينا فاغفر لنا - ثم
- فاطر السموات
والأرض أنت ولي -
ثم - ربنا إنك تعلم

فوق الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فتنسب عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم تقس الآخرة الأولى فما خلقتكم ولا بشئ إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لاعدلن - فالمرء بالقيامتين مؤمن

بإمام القرب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالأعور إلى سجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك للسكين وبين يديك هذه الأهوال فان كنت لاتؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالمرء غفلا »^(١) أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت »^(٢) أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعا الغافلين الذين لا ينظرون إلا لصيغة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذرا من الموت فلا ينجرون ويأتيهم الشيب رسولا معه فما يجترون في حصرة على العباد ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيطنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كما هلكنا قباهم من القرون أنهم إلهام لا يرجعون أم يحبون أن الوئي سافروا من عندهم فهم معدومون كلان كل لما جتمع له بنا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولترجع إلى الأرض فان هذه نواعث تشير إلى أمور هي أعلى من علوم العالمة . فتقول قد ظن أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكائنين ولا يكتفيان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال وإعراض وهما لا يكتفيان إلا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والإعراض ولعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم المدك والوالى البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على صمت الكرام الكائنين البررة الأخبار أن يكتب على الصبي سيئه وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالمحفظ ثم ينشره عليه بالتحريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولى هدامته في حق الصبي فقد ورث أخلاق اللامسكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته اللامسكة فيكون مع التبيين وللقربين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريح بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذى وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلغظ اللهم أغنى على سكرات الموت .

مانحني وما نعان -
الآية ثم - وقل رب زدني علما - ثم - لا إله إلا أنت سبحانك - ثم - رب لا تدركني فردا -
ثم - وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ثم - ربنا هب لنا من أزواجنا - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين -
ثم - بعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور - ثم - رب أو زعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي - والآية من سورة الأعراف ثم - ربنا اغفر لنا

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» (١) وأشار إلى أصبيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم .
(بيان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليها جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشغال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد القائلين من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين : أحدهما أن يطلق على الصدقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والبراد بالصبر والعمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن العصبية صارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك العصبية والمواطبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال «من أفل ما يؤتىم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال الشكر للثمرة للأعمال لأجل المعارف وعند ذلك ينضم جميع ما يلاقى الصبر إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقدير فغنى أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى يثبت باعث الدين وكان باعث الهوى تسمين . باعث من جهة الشهوة ، و باعث من جهة الغضب فالشهوة تطلب الفزيد والغضب للهروب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار «الصوم نصف الصبر» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن تفهم تعديرات الشرع بمحدود الأعمال والأحوال ونسبها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(بيان الأسامي التي تجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل الشاق بالدين والنيات عليها وهو إما بالقل كتمانى الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتيا كالصبر عن الضرب الشديد والرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمدا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشيتيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وإن كان على احتيالكمروه اختلفت أساميها عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجوع والملمع وهو إطلاق داعى الهوى ليستترسلى رضى الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتيالكم نفسى صبر النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة وضاده الجبن وإن كان فى كظم التيط والغضب سمى حلا وضاده التذمر وإن كان فى نائمة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر وضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وإن كان عن فضول النيش سمى زهدا وضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

ولاخوانا الدين -
الآية ثم - ربنا عليك
توكلنا - ثم رب اغفر
لى ولوالدى ولمن دخل
يقم مؤمنا وللمؤمنين
والؤمنات ولا يزد
الظلمين إلا تبارا -
مهما يصل فليقرأ بهذه
الآيات وبالحفاظ على
هذه الآيات فى الصلاة
مواطاة القلب واللسان
يوشك أن يرقى إلى
مقام الاحسان ولورد
فرد آية من هذه فى
ركعتين من الظهر أو
الصبر كان فى جميع
الوقت مناجيا لمولاه
وداعيا وتاليا ومصليا
والمدحوب فى العمل
واستيعاب أجزاء التمار
بلذاته وحلاوة من
غير سامة لا يصح

الحرس وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ متى قناعة وضادته الشره فأكثر أخلاق
الإنسان داخل في الصبر وذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفة»^(١) وقد جمع تعالى أقسام ذلك وصي الكل صبرا فقال تعالى
- والصابرين في البأساء - أي اللصية - والضرراء - أي الفقر - وحين البأس - أي المحاربات وأولئك
الذين صدقوا وأولئك هم للتقوى - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من
الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذاتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفوا الذي
يسلك الطريق للتقوى وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيقطع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي
فاتها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع
لا بد وأن يزل وإلى الترتيق الإشارة بقوله تعالى - أفمن ينشئ مكبا لي وجهه أهدى أمن يمشي
سويا على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يفلطوا فيها غلطوا فيه إلا بئلت هذه الانكسارات ، نال
الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه .

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال : أحدها أن يهزم داعي الهوى فلا يبقى
له قوة للمنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه المرتبة
هم الأقويون فلا جرم هم الصديقون للقرآن الذين قالوا ربنا الله ثم استغما هؤلاء لا ملازموا الطريق
للتسليم واستنوا على الصراط القويم وأطاعت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي للنادي
- يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى
وتسقط بالكيفية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة
وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرحمهم شيطانهم وغلبت عليهم شغوتهم فمكروا
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله وإليه الإشارة بقوله تعالى
- ولوشئنا لآتيناك نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة غفرت صفقتهم وقيل لمن قصدا رشادهم - فأعرض عنهم
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك يلقهم من ألم - وهذه الحالة علامتها اليأس والفتنوط
والغرور بالأمان وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الوفاة والأحق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله»^(٢) وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قائلاً ناشطاً
إلى التوبة ولكنها قد تدمرت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتتاً إلى التوبة ولكن قال إن
الله غفور رحيم كبريم فلما حاجة به إلى توبته وهذا الكيس قد صار عتقه رقيقاً لشهوته فلا يستعمل
عتقه إلا في استنطاق دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته قد صار عتقه رقيقاً لشهوته فلا يستعمل
أسير في أيدي الكفار فهم يستخرونه في رعاية الخنازير وحفظ المحور وحملها وعمله عند الله تعالى
محل من يهزم مسلماً ويسلحه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه مسخر
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يتسلط عليه وإنما استحق السلب أن يكون متسلطاً
لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإتما استحق الكافر أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل
بالدين وباعث الشياطين وحق السلب على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما مسخر للشيء الشريف

إلا لعل تترك شه
بكال التقوى
والاستصاء في الزهد
في الدنيا وانتزع منه
متابعة الهوى ومتبقى
على الشخص من
التقوى والزهد الهوى
بقية لا يدوم روحه في
العمل بل ينشط وقتاً
ويسأم وقتاً ويتأوب
الفتنط والكسل فيه
ليقاء متابعه شيء من
الهوى ينقصان تقوى
أوعية الدنيا وإذا صح
في الزهد والتقوى فإن
ترك العمل بالجوارح
لا يتر عن العمل بالقلب
فمن رام دوام الروح
واستحلاء الذنوب في
العدل فليبه بحسب مادة
الهوى والهوى روح
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يسير وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الغرور .

الذي هو من حزب الله وجند للملكة لعن الحفيس الذي هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلًا لكافر بل هو كمن قصد للكم التمس عليه فأخذ أعز أولاده وسله إلى أبهى أعدائه فأنظر كيف يكون كفرانه لثمته واستجابته لثمته لأن الهوى أبهى إله عبد في الأرض عند الله تعالى والضل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحروب سجلا بين الجندين فخاره له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يمد مثله لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وهذا باعتبار القوة والضعف وينطبق إلى أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يثلب جميع الشهوات أو لا يثلب شيئا منها أو يثلب بعضها دون بعض وتزبل قوله تعالى - خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون المجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأغنام بل هم أضل سبيلا إذ البهيمة لم تخلق لها البرقة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حق الدبر يقينا ولذلك قيل :

وَمِمَّنْ أُرِى فِي عَرَبِ النَّاسِ عِيَا كَنَقَصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْجَنَامِ

وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجهود شديد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير عدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دامت القوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسن تيسر الصبر ولذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسن فستيسره لليسر - ومثاله هذه القصة قدرة الصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إنياء ولا لقوب ولا تضرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديدا لا يثيب ومزيد جهد وعرق جبين فكذلك تكون المصارعة بين باعث الدين وبعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات واقتضت وتسلطت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواظبة أورد ذلك مقام الرضا كليا في كتاب الرضا على ما أتى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تتركه خير كثير (١) » وقال بعض المارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على اللصائب والبلايا . وأعلم أن الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وتلق ومكروه ومحرم . فالصبر عن المحظورات فرض وعلى الكارهة نقل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يده وله وهو يصبر عليها كذا وكن يقصد حرمه بشهوة محظورة قبيح غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر للمكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليسكن الشرع محلك الصبر فيكون الصبر نصف الإيمان لا ينفى أن يخيل إليك أن جيمه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصصة .

(يان مظان الحاجة إلى الصبر وأن الصبر لا يستثنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يليق البعد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أسدها هو الذي يوافق هواه .

(١) حديث اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تتركه خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم .

زول متابته والتي
عليه السلام المستأذ
من وجود الهوى
ولكن استأذ من
متابته فقال « أعوذ
بك من هوى متبع »
ولم يستأذ من وجود
الشح فانه طبيعة
النفس ولكن استأذ
من طاعته فقال « وشح
مطاع » ودقائق متابته
الهوى تتبين على قدر
صفاء القلب وعلا حال
فقد يكون متبعا للهوى
باستعلاء مجالسة الخلق
ومكالتهم أو النظر
إليهم وقد ينسج الهوى
بشجاوز الاعتدال في
النوم والأكل وغير
ذلك من أقسام الهوى
التي تبغ وهذا شغل من
ليس له شغل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يواقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة المشيرة واتساع الأسباب وكثرة الاتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أوجع البعد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه من الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها للباحة منها أخرجها ذلك إلى البطر والظنآن فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والمؤاني لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء . ولما تفتحت أبواب الدنيا على الصعابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بخنة الضراء فصرنا وابتلينا بخنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من خنة السراء والزوج والولد فقال تعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كُتُبَ الْأَمْوَالِكُمْ وَلَا تُولَدِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ - وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة عجنة عزنة (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه ينثر في قبضه نزل عن الثبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إلى لما رأيت ابني ينثر لم أمك نفس أن أخذته (٢) » ففي ذلك عبرة لأولى الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويسلم أن كل ذلك متوقع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرج بها ولا ينهيك في التمتع واللذة واللهو واللعب وأن يرضى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه بذيول المنة للخلق وفي لسانه بذيول الصدق وكذلك في سائر ما أتمم الله به عليه وهذا الصبر منصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سبق وأنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالصحة ومن الصعوبة أن لا تتقدم والصبر على المحنة والنصد لهذا تولا غريكم أبصر من الصبر على صدقك نصدك وحجابتك نصدك والجاه على غيبة الطمام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلماذا عظمت فتنة السراء . النوع الثاني مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختبار البعد كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختباره كالصائب والنواب أولاً يرتبط باختباره ولكن له اختياري في إزالته كالشتم في المؤذي بالانتماء منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختباره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والبعد محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتنشئ الربوبية ولذلك قال بعض العارفين مامن نفس إلا وهي مضجرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجدله بجلا وقيولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبدهم وخادمه وأتباعه مكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان محتما من إظهاره فإن استخبطته وغيطه عند تصغيره في خدمته واستبداده ذلك ليس يصدر إلا عن إظهار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء ؟ فاذن العبودية بخاتمة على النفس مطلقاً من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالجهد والمجاهدة فالصبر على الطاعة صبر على الشدة والاحتياج للطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح التيقن الاخلاص والصبر عن شوائب الرياء

ثم يصل البعد قبل الصبر أربع ركعات فإن أسكنه مجتهد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلوات وقراء في الأربع قبل الصبر وإذا زلزلت والعاديات والقارعة والمهاجم وجلى الصبر ويجعل من قراءته في بعض الأيام والسبأ ذات البروج ومممت أن قراءة سورة البروج في صلاة الصبر أمان من الدمايل وقراء بعد الصبر ما ذكرنا من الآيات والدعوات يتيسر له من ذلك فإذا صلى

(١) حديث الولد عجنة مبخلة عزنة أبو يعلى اللؤلؤي من حديث أبي سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن ينثر في قبضه نزل عن الثبر الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب .

ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النبوة والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يشكك في تحقيق آدابه وسنته ويؤدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي التور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويعبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبنّ والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن البنّ والأذى فقد أبطل عمله . والطاعات تنقسم إلى فرض وتقل وهو يحتاج إلى الصبر عليها جميعا وقد جمعا الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو التقل ، وإيتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر . الضرب الثاني للعاصي لما أوجع العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع العاصي في قوله تعالى - ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » (٢) والعاصي مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن العاصي الصبر عن العاصي التي صارت مألوفا بالمادة فإن المادة طيبة خاسدة والناس ذات المادية إلى الشهوة تظاهر جنود الشيطان على جنده الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك القمع مما يتيسر فله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن عاصي اللسان من الغيبة والكذب والراء والتناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع اللزج المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصدها الأزرار والاستحقار وذكر اللوثي والقدح فيهم وفي علوهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شورتان : إحداهما نفى الغير والأخرى إثبات نفسه وبها تم له الربوبية التي هي في طبعه ، وهي ضد ما أمر به من العبودية واجتماع المشوئين وتيسر تحريك اللسان ومضرب ذلك ممتداد في المحاورات يسر الصبر عنها ، وهي أكبر اللوثيات حتى بطل استنكارها واستنباها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الناس بها فترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن القبية أشد من الزنا ومن لم يترك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه المزة والانفراد » (٣) فلا ينبجيه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع مخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد العاصي باختلاف داعية تلك الدعية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج الوسوس فلا جرم يبقى

الصبر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبق وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجاهدة من يزهد في الدنيا ويسند كلامه عرا التقوى من الصلاة الزاهدين التكمين بما يقوى عزائم المؤمنين فاذا صحت نية القائل والسمع فهذه المجاهدة أفضل من الانفراد وللازمة على الأذكار وإن عمت هذه المجاهدة وتعدرت فايروح بالتفعل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والقسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جيدين وقد تقدم (٣) حديث إن القبية أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

حدث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يطلب على القلب هم آخر في الدين يستخرفه
 كمن أصبح وهو مهوم هم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور قنور الوسواس
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالكوا أودى بفعل أو قول وجى
 عليه في نفسه أوماله ، فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال
 بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأدنى ، وقال
 تعالى - ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل التوكان - « وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرةً مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحرمت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر
 من هذا فصر^(١) » وقال تعالى - ودع أدام وتوكل على الله - وقال تعالى - واصبر على مايقولون
 واهجرهم هجراً جميلاً - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا
 أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - أى تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح
 الله تعالى الصائرين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى - وإن عاقبتهم فاقبوا بثل ما عاقبتهم
 به ولئن صبرتم لهو خير للصائرين - وقال صلى الله عليه وسلم « صل من قطعك وأعط من حرملك
 وأعف عن ظلمك »^(٢) ورأيت في الإنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من
 قبل إن السن بالسن والألف بالآلف وأنا أقول لكم لا تخافوا الشر بالشر بل من ضرب خدك
 الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداك فأعطه إزارك ومن سترك لتسير معه ميلا فسر
 معه ميلاًين وكل ذلك أمر بالصبر على الأدنى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب البر لأنه
 يتأون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والتضبط جميعاً . القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الأثرة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعي العين
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثة درجات
 وصبر عن محارم الله تعالى فله ثمانية درجات وصبر على الصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعة درجات
 وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن بقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعه الصديقين فان ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « سألت من اليقين ما يهون على به مصائب الدنيا »^(٣)
 فهذا صبر مستندة حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما صبر على ما يحب فكيف نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فبدنه أوماله
 أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصبب من أناء وأنشر له ديوانا »^(٤)

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على الوضوء .
 وكره جمع من العلماء
 تحية الطهارة بعد
 صلاة الصبر وأجازه
 الشافعي والصلحون
 ويقول كلاً خرج من
 منزله بسم الله ماشاء
 الله حبس الله لاقوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجتنى ، ولقرأ
 الفاتحة للمؤذنين ولا
 بدع أن يصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 حمرة أو لقمة فان
 القليل بحسن التوبة
 كثير . وروى أن
 عائشة رضى الله
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 سألت من اليقين ما يهون به على مصائب الدنيا الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدى
 مصيبة فبدنه أوماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظار الفرج بالصبر عبادة »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأغني خيرا منها إلا فضل الله به ذلك »^(٢) وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا قال تعالى جزاؤه الملود في داري والنظر إلى وجهي »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكى إلى عواده أبدله لحا خيرا من لحه وهما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته لا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي »^(٤) وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاه الحزن الذي يصير لي الصاب ابتداء مرضاته قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما نمت الله على عبد نعمة فأنزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرأ - إنما يوفى الصابون أجرهم بغير حساب - سئل فضيل عن الصبر قال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضي لا يبتغي فوق منزلته ، وقيل حبس الشئلى رحمه الله في السارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أحياؤك جاءوك زائرين فأخذ يرسمهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحيائي لصبرتم على بلائي ، وكان بعض الدارقين في جيرة رمية بها الحجارة فأخذوا يطالها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك ، أيمتنا - ويقال إن امرأة فتح الرولى عثرت فأنقطع ظنرها فضحك قيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن لغة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وقال داود لسلمان عليها السلام يستدل على تحوى المؤمن ثلاث حسن التوكل فيها لم يزل وحسن الرضا فيها قد نال وحسن الصبر فيها قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك »^(٥) وروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كد حيرة فافقه ما فاذا هي قد أخذت من كره فقال بارك الله له فيها لله أحوج إليها ففى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أستاذك ما قال جرنى قليلا إلى العدو وأجل الماء في الترس فإني صائم فان عشت إلى الليل شربته فهكذا كان صبر السالك طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاء في مسند الشباب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث طى دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد البالى في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة ولقترمدى من حديث ابن مسعود أفضل البادة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس إن الله قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرميته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية ابن ظلال القسلى واسمه علا أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بعجبتي فصر عوضته منها الجنة رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ إذا أخذت كرميتى عبدي لم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سالم قال ابن عدى ضيف (٤) حديث يقول الله إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكى إلى عواده أبدله لحا خيرا من لحه الحديث مالك في الوطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعبد بن كثير ضيف ورواه البيهقي . ووفقا على أبي هريرة (٥) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والسكافات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تركى نفسك .

عنة واحدة وقالت : إن فيها لتأقيل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من الصبر إلى الغرب مائة مرة إلا الله وحده لا شريك له في الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الأخرة على بلاء الله تعالى . فان قلت فيأذا تنال درجة الصبر في الصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان الراد به أن لا تكون في شه كراهية الصبية فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود وبالبلغة في الشكوى وإظهار الكتابة وتغيير العادة في اللبس والفرش والطعم وهذه الأمور داخلية تحت اختياره فينبى أن يجنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتد أن ذلك كان ودية فاسترجعت كما روى عن الرميضاء أم سلمة رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فغاب قممت فسجنت في ناحية البيت فقدم أبو طلحة قممت فبأت له إلفطارة فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأمكن منه الليلة ثم تصمت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب من حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعبروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال يس ما صنعوا قتل هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله وأسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما ^(١) قال الراوي فلقد رأيت لم بعد ذلك في السجدة كلمة فقدره والقرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة ، وقد قيل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب الصبية من غيره ولا يخرجها عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الوت سواء . ولأن البكاء توجع القلب إلى البيت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى اللوت وقلبك لمسامات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقبل له « أما نهيئنا عن هذا فقال إن هذه حقوق إبراهيم الله من عباده الرحمة » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الجمالة والقصداض بهوه متأم بسببه لاجلته وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسأقت ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيع يمزى بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيها أخذته من عظم حق الله تعالى عنده فيها أهناه له . واعلم أن السامى قبلك هو الباقي لك والباقي بعده هو الأماجور فيك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يوافقون منه فأن مهادم الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين . نعم من كمال الصبر كتمان الرضا والفقر وسائر الصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان الصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التسميات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأعمال الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافراد ظاهرا وعن الصبر عن وسواس الشيطان باطنا فان اخلاص الحواطر لا يمكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فائت لا تداركه له وفي مستقبل لا بد أن يحصل منه ما هو مقدر فهو كفيما كان شحيح زمان وآلة البعد قلبه وبطاعته حمرة فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر ينبت به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمرعة بعبادة الله تعالى فهو مغبون هذا إن كان فكره ووسواسه في الباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجهه الخليل لقضاء الشهوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع حمرة ومن يتوهم أنه ينازعه ويغالب أمره أو غرضه بظهور أمارته له منه بل يقدر الخافقة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم بحاميتهم للون به

إلا أحد حمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين قد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يسل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله والكلمات ومائة مرة سبحان الله ومحمد سبحان الله العظيم ومحمد أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما تمة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحق اليوم وأسأله التوبة ومائة

(١) حديث الرميضاء أم سلمة توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فغاب قممت فسجنت في ناحية البيت الحديث طلب ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقص في الصحاحين من حديث أنس مع اختلاف .

في محالته ولا يزال في شغل دائم فلله الشيطان جندان جند بطير وجند سير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالغفار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار مشتملة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطعمها وقد كلف اللهب الخلق من النار أن يطعم عن حر كته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستصصى وعبر عن سبب استصصائه بأن قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فأذن حيث لم يسجد للملأنا آدم صرأت الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطعم في سجوده لأولاده ومهما كلف عن القلب وسوامه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر اعتياده وإذعائه واتقياده بالأذعان سجود منه فهو روح السجود وإتمامه الجبهة على الأرض قاله وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانطباع بين يدي العظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهتك سدف الجوهر عن الجوهر وقال الروح عن الروح وكثر القلب عن القلب فكأن من قبله عالم الشهادة بالسكينة عن عالم القرب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالسكينة عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبغ وهو موكم هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يعود الملأنا جملالا فيك فند ذلك تكون من عباد الله المخلصين في الاستثناء عن سلطنة هذا الملعون ولا تظن أنه يغلو عنه قلب فارغ بل هو سبال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فانك إن أردت أن تغلو الله عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو غيره قد علمت في غير مطعم بل بقدر ما يغلو من اللبأ يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بشكرهم في الدين لا يغلو عن جولان الشيطان والإلهي غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس لفي تلك اللحظة قرب من إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يمش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً قبوله قرب - وقال صلى الله عليه وسلم وإن الله تعالى يقبض الشاب الفارغ (١) وهذا لأن الشاب إذا غفل عن عمل يشغل باطنه يباح يستعين به على دنسه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يعش فيه الشيطان ويبيض ويبرخ ثم تدوج أفرأه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان وتوالد أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلقاء اليابسة كثر تولد فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئاً فشيئاً على الاتصال فاشموة في نفس الشاب للشيطان كالحلقاء اليابسة للنار وكما لا يتبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شموة فأذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم تشغلها فشلتك فأذن حقيقة الصبر وكاله الصبر عن كل حركة مندومة وحر كالباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يظلمه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أزل الداء أزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وإن كان شاقاً أو ممتنعاً فتحصي له يمكن عيجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تتركب الأدوية لأمر أراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام الملأنا منه مختلفة وإذا اختلفت الملأنا اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة الملة وقمها واستيقا ذلك عما يطاول

(١) حديث إن الله يقبض الشاب الفارغ لم أجده .

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فقول إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الواقع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحث ليس يملك منها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه وتغلبه إذا زال تحذره بمنغضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواطئة في الذكر والفكر والأعمال الصالحة . فقول قد قدما أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يفلح أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فتسبيل تضعيفه ثلاثة أمور : أحدها أن تنظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المهر كالأشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جسده فيحترز عن اللحم والأطعمة اللذيذة للأشهوة . الثاني قطع أسبابه المبهجة في الحال فانه إذا تيسر بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالجزلة والاعتزاز عن مظان وقوع البصر على الصور الشتهية والقرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس »^(١) وهو سهم يسده اللون ولا ترس يمنع منه إلا التقيض الإحسان أو الحرب من صوب رمية فانه إما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصيب سهمه . الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالكساح فان كل ما تشتهيه الطبع في المباحات من جنسه ما ينبغي عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الأرفع في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقطع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فقلبه بالصوم فان الصوم له وجاء »^(٢) فنهى ثلاثة أسباب فالعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع الملعف عن البهيمية الجروح وعن الكلب الضاري ليضعف فقسقط قوته . الثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكلب وتغيب الشعر عن البهيمية حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يجلب إليه طبعها حتى يبقى منها من القوة ما تنصبر به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين فأما تكون بطريقين أحدهما إطامه في فوائد المجاهدة ومخارباتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر في حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصيبة أكثر مما ثواب غيره بسبب ذلك مضبوط بالصبيبة إذ فاته ما لا يتيق معه لإمددة الحياة وحصل له ما يتيق بعد موته أبد الدهر ومن أسلم خسيما في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب الماروف وهو من الإيمان فتارة تضعف وتارة تقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجها شديدا وإن ضعف ضعفه وإيمانا قوة الإيمان يجبر عنها باليقين وهو المحرك لزعزعة الصبر وأقل ما يؤتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يجد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدرجيا قليلا قليلا حتى يدرك لهذة الطغرى فيستجري عليها وتقوى منه في مصارعة فان الاعتدال والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الحالين والقاتلين وبالجملة قوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد في قوة الحياتين والقطارين والفقهاء والمصلحين وذلك لأن قواهم لم تتأكدها بالممارسة فالعلاج الأول يضاهي أطماع الصارع بالحماة عند القلة ووعده بأنواع الصكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إفرائه بإمام يعصى حيث قال - وإنكم إذا لمن القربين - والثاني يضاهي تمويده الصبي

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فقلبه بالصوم الحديث تقدم في الكساح .

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الختان للثان سبحان الله السبع في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقال له الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما سمكت فقال مهابياتك قلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أوري له . وروى أن عثمان رضى

الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يانسى، ويستجري عليه وتغوى فيه منته فأن ترك السكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وإيما أشدها كلف الباطن عن حديث النفس وإيما يشتد ذلك على من نفعه له بأن يقع السموات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فإن الوسواس لا يزال يجاذب من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع الملاقى كلها ظاهرا وباطنا بالقرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر المحموم بها واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض ومحاسن صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووساؤه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينبغي إلا الأوراد المتواصلة الترتبية في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات واحتياج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بضعا إذ لا يغفل في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغیان من مخالط إذ لا يستغنى عن مخالطة من يبينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم واللبس وأسباب المعاش فإن تهيبه ذلك أيضا محجوب إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يغفل عن شغل قلب من يتولاه ولكن بعد قطع الملاقى كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم مملوءة أو واقعة تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر غيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالملاقى والالتها إلى هذا هو أقصى القامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف وبإتباع ما يرمد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق وقدرة على الجهد ومجمل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الخطو للمولود وهذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فأنها توأزى أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار البعد، ثم اختيار البعد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فإن المجنوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عليين وكل مهوم بالدنيا فهو منجذب إليها قطع الملاقى الجاذبة هو الراد بقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ لأن تلك الفتحات والجذبات لها أسباب محمولة إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وهذا من أمثي أنواع الرزق والأمور السالوية غائبة عنا فلا ندري متى يسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلا تفريغ الحمل والانتظار لزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالتى يصلح للأرض وبقيتها من الحشيش ويبيت البئر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا بغير ولا يدري متى يقد الله أسباب المطر إلا أنه يتق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يغل سنة عن مطر فكذلك فلما غلغلسه ونشور يوم من جذبة من الجذبات ونفحة من الفتحات فينبغي أن يكون البعد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والاخلاص وعرضه لمهب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور القيم فيقوى انتظار تلك الفتحات في الأوقات الثمينة وعند اجتماع المهتم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن المهتم والأفاس أسباب يحكم تقدير الله تعالى لاستدراجه رحمة حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقاليد السموات
والأرض - قال سألني
عن شيء عظيم ما سألني
غيرك هو إلا إله إلا الله
والله أكبر وصيحات الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
واستغفر الله الأول
الآخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحمد
الحمد وهو على كل شيء
قدير من قالها عشرا
حين يصبح وحسين
يسمى أعطى ست خصال
فأول خصلته أن يحرس
من إبليس وجنوده
الثانية أن يعطي قطارا
من الأجر الثالثة يرفع
له درجة في الجنة

تستدر بها الأقطار في أوقات الاستسقاء، وهي لاستندرار أمطار السكسات ولطائف المعارف من خزائن
 للملكوت أشد مناسبة منها لاستندرار قطرات النداء واستجرار القيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال والكشافات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملذاتك وشهواتك فصار ذلك
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشقى أنوار المعارف من
 باطن القلب وظواهر ماء الأرض يحضر القى أسهل وأقرب من استرسال إليهما من مكان بعيد مخضف عنها
 ولكونه حاضراً في القلب ومنسباً بالشئله عنه صلى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكر أفعال تعالى
 - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولينذر أن أولو الألباب - وقال تعالى وقد
 يرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإتمام الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر - قال الجنيدي رحمه الله الصبر من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد وهجران الخلق وأعداءه الصلح
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر هذه الصبر عن شواغل القلب ثم عدة هجران الخلق وأعداءه الصلح
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن هذه الرئاسة والتولية والاستيلاء والاستياع أغلب الذنات في
 الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب الذنات ومطاولها صفات الله تعالى وهي الربوبية
 والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من اللطافة لمأمور الربوبية وعنه الباطنة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على حبه وذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب
 تقرر الشيطان المعين البعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه وكيف يكون
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الإبقاء لافاء فيعوز إلى الدنياه وأما الخوف فيه
 ونحوه لا تقرر فيه ولا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل
 حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له وطالب الملك طالب للموت والهلاك والهلاك والهلاك ولكن الملك
 ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك محدد
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان محملاً غريزياً بالعاجلة فجاء
 الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي طبعه فاستغوا بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الخلق فوعده بالفرور في الآخرة ومناء مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام «والأحق من أتبع نفسه
 هواها وتغنى على الله الأمان» فاستغنى الخلد بفرور واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم
 يتدل الموقف بحمل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فصر عن الخلد وبين بقوله تعالى - كلا
 بل نجوبن العاجلة وتندرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة وينفون الآخرة وما
 يتقلا - وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك ينالهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحى إليهم بأنهم على الخلق
 من إهلاك البدو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل
 له إن سلم ودوام له أصلاً فنادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل
 الله أنما قلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فالنوراة والإنجيل والزيور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما نزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم الخلد والبراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا
 فالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بدوام بقاء لافاء فيه وعزا
 لادله فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لا تلمها غش من النفوس والشياطين يدعونهم إلى ملك
 الدنيا لطمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضربان ولطمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الرابعة يزوجه الله من
 الخور العين الحامسة
 اثنا عشر ملكاً
 يستغفرون له السادسة
 يكون له من الأجر كمن
 حج واعتسر ويقول
 أيضاً في هذا الوقت وفي
 أول النهار اللهم أنت
 خلقني وأنت هديني
 وأنت تطمئني وأنت
 تميتني وأنت تحيي
 أنت ربى
 لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت جسدك
 لا شريك لك ويقول
 ماشاء الله لا قوة إلا بالله
 ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير
 كله يد الله ماشاء الله
 لا يصرف نسوء إلا الله
 ويقول حسبي الله لا إله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان عسدها أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المازعات والمكدرات وطول المصوم في التديرات وكذا سائر أسباب الجاه ثمهما تسلم وتم الأسباب ينقضي العمر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أناها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس - ف ضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فيفقدان لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به بصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه بصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة أفعدا بجنته إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم افتقار الإنسان إذ ظن أنه تعالى الملك بأن يصير مملوكا وبئال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون لامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض اللوكة لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة سوى أن أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالله يدعو عن فرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وقوا الاستعداد على الصراط المستقيم فازالوا الدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلظ في ذلك وكيفية تسمية الشيطان وتلبسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألق الجاه وأنس به ورست فيه بالمادة مباشرة أسبابه فلا يكتفي في العلاج بمجرد العلم والكتب بل لابد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيصير عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحرمة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمه الله إذ قال تعالى سألتك أرض الله واسعة فتهاجروا عنها والثاني أن يكلف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل ويزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومأوى ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده فواء بمقتضى جاهه فينبغي أن يبدلها بغيره أيضا حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياده ضد فلامعنى العمل على الإلصادة : الثالث أن يراعى في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع نور ولا يمكن قتله عن أخلاقه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسلم نفسه : البعض ثم إذا تمت نفسه بذلك البعض ابتداء يترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقع بالبقية وهكذا يعمل شيئا فشيئا إلى أن يقع تلك الصفات التي رست فيه في هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنفض إلى نفسك عبادة الله فإن التبت لأرضه انقطع ولا تظهره أبقي (١) » وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه (٢) » فأنشأ ذكر تاه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أصفه إلى ما ذكرناه من قرأتين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع الهلكتات فأعقده دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد بطول ومن راعى التدرج يرفق بالصبر إلى حال يشق عليه الصبر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأورد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه تقدم فيه .

وهو رب العرش العظيم
ثم يستعد لاستقبال
الليل فالوضوء والطهارة
وقرأ للسمعات قبل
النسروب . وبديع
التسبيح والاستغفار
بعث تيب الشمس
وهو في التسبيح
والاستغفار وقرأ عند
الغروب أيضا والشمس
والليل واللوذين
يستقبل الليل كما
استقبل النهار قال الله
تعالى - وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفه
لمن أراد أن يذكر أو
أراد شكورا - فكما
أن الليل يعقب النهار
والنهار يعقب الليل
ينبغي أن يكون العبد
بين الذكر والتذكر
يعقب أحدهما الآخر

دونه كان كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده مقبواً وما كان مكروهاً عنده مشرباً هيئاً لا يصبر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والقوى وله نظير في العادات فإن الصبر يعمل على التعلم في الابتداء فهراً فيشقى عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب وإلى هذا يشير ما حكى عن بعض المأرئين أنه سأل الشبل عن الصبر أيه أشد ؟ فقال الصبر في الله تعالى قال لا قال الصبر في الله تعالى قال لا قال الصبر في الله فصرخ الشبل صرخة كادت روحه تتلف . وقد قيل في معنى قوله تعالى - اصبروا واصبروا واصبروا - اصبروا في الله واصبروا في الله واصبروا في الله وقيل الصبر في غناء والصبر بالله غناء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه : والصبر عنك للمدوم عواقبه والصبر في مآثر الأحياء حمود وقيل أيضاً : الصبر يعمل في المواطن كلها إلا عليك فانه لا يعمل هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسواره .

الشرط الثاني من الكتاب في الشكر ، وله ثلاثة أركان

الأول : في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه . الثاني : في حقيقة النعمة وأنواعها الخاصة والعامة . الثالث : في بيان الأفضل من الشكر والصبر .

الركن الأول في نفس الشكر

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالله كرفي كتابه مع أنه قال - والله كبر - قال تعالى - فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون - وقال الله تعالى - ما ينفع الله بشرككم إن شكرتم وآمنتم - وقال تعالى - وسنجزي الشاكرين - وقال عز وجل إخباراً عن إبليس العيين - لأفعلن لهم صراطك المستقيم - قبل هو طريق الشكر ولعلوربة الشكر طعن العيين في الخلق فقال : ولا نجد أكرم شاكركم وقال تعالى - وقليل عن عبادي الشكور - وقد قطع الله تعالى بالزبد مع الشكر ولم يستثن قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - واستثنى في خمسة أشياء في الأغناء والأجابة والرزق والنفرة والتوبة قال تعالى - فسوف ينصركم الله من فضله إن شاء - وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وقال : يريز من يشاء بغير حساب وقال : وبغير ما دون ذلك لمن يشاء وقال : ويثبت الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى - والله شكور حلیم - وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة قال تعالى - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - وقال - وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»^(١) وروى عن عطاء أنه قال «دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرني بأمر أحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكسك وقالت وای شأنه لم يكن عجباً أناني ليل قد دخلت معي في فراشي أو قالت في لحاف حتى مس جلدي وسلم فيكسك ثم قال يا بنة أبي بكر ذريني أتدري لبي قالت قلت إني أحب قربك لكني أوتر وهو الشفاء فقلت له قام إلى قرية ماء فوضاً فلم يكثر صب الماء ثم قام إلى بيكسك حتى سالت مدعوه على صدره ثم ركع بيكسك ثم سجد بيكسك ثم رفع رأسه بيكسك فلم يزل كذلك يسكن حتى جاء بلال فأذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما بيكسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلاً كون عبداً شكورا ولم لأفضل ذلك

ولا ينخلها شيء كما لا ينخل بين الليل والنهار شيء والله كرم جميعه أعمال القلب والصكر أعمال الجوارح قال الله تعالى - اعلموا آل داود شكراً - والله للوفى للعين .

[الباب الحادى والخمسون في آداب الرياء مع الشيخ]
أدب الريدين مع الشيخ عند الصوفية من مهمات الآداب والقوم في ذلك اعتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله

(١) حديث الطعام الشاكر بمنزلة الصائم الصابر علقه البخارى وأسنده الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة ورواه ابن ماجه من حديث ستان بن سنة وفي إسناده اختلاف .

وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روى أنه من بعض الأنبياء هجر صغير فخرج منه ماء كثير فصب منه فألقته الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يغيره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقم المحادون فتقوم زمرة فينسب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن المحادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال (٢) وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن (٣) » وأوصى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام أن يرضى بالشكر مكافأة لمن أوليائي في كلام طويل وأوصى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دأروهم دنار السلام إذا دخلوها أهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم والنظر إلى أزيدهم ولما نزل في السكوز ما نزل . قال عمر رضي الله عنه « أي لئلا يتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً ذا كراو قلباً شاكراً (٤) » فأمر بقتائه القلب الشاكر بدلا عن اللسان . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من اللبم والحال هو الفرح الحاصل بالنعمة والعمل هو القيام بما هو مقصود للتمتع ومحبوه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم ثلاثة أمور بين النعمة ووجه كونها نعمة في حقها وبذات النعم وجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ونعم ونعم عليه تصل إليه النعمة من اللبم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو اللبم والوساطة لم يسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم علم أن كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافتقار بالقلب وعن هذا خبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرنا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأعجب أمره لم يكن عجبا الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله عليه السلام ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضمه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأى أمره لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث (٢) حديث ينادى يوم القيامة ليقم المحادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضمه الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده إلا صلاحي من حديث أبي هريرة السكندر داود الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لساناً ذا كرا وقلبا شاكراً الحديث تقدم في التكلم .

الله جميع عليهم - .
 روى عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القنقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأفرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلاقي وقال عمر ما أردت خلاقي قنقاريا حتى امرتت أصواتها فأزل الله تعالى عليهما الذين آمنوا - الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقدموا لا تسلكوا بين يدي كلامه وقال جابر كان الناس يضحون قبل رسول الله فقوا عن تقديم الأضحية على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله » وأفضل الدعاء الحمد لله (٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله (٣) » ولا تظن أن هذه الحسنت إزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول ما فيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنت إزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين.

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال، فمن أتم عليه ملك من الملوك جرى فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدًا في حق الملك، ثم لا ينض من توحيد في حق الملك وكال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيه الذي كتبه بقله وبالكفد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكفد ولا يشكرها لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الوصل والحازن أيضاً مضطران من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبة لما سلم إليه شيئاً فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الحازن الوصل كتنظره إلى القلم والكفد فلا يورث ذلك شركاً في توحيد من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أوصاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالمثل في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو للسلطان الدواعي عليها لفضل شامت أم أبت كالحازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خول ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر لإسقاطه عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذن إنما يعطيك لمرض نفسه لا لمرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعة من منفعتك لما تفعلك فهو إذن إنما يطلب نعم نفسه بنفسك فليس نعمها عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما التي أتم عليك هو التي سخره لك وأتقن في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطراً إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت قلبه وكنت موحدًا وقد رت على شكره يا كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيديك وضعت وفقت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل اعلم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرًا فاذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن السكلمنة فان خالجت رب في هذا لم تكن عارفاً بالنعمة ولا بالتمن فلا تفرح بالتمن وحده بل وبغيره فبتقصان معرفتك بتقص حالك في القرح وبتقصان فرحك بتقص عملك فهذا بيان هذا الأمل. الأصل الثاني: الحال للتمتعة من أصل المعرفة وهو القرح بالتمن مع هيئة الخشوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقت عائشة رضى الله عنها أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال الكلبي لا يسبقوا رسول الله يقول ولا فصل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا أدب الريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا تصرف في نفسه وماله إلا عرجاجة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى في باب الشيخة وقبل لا تقدموا لاعتشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى

(١) حديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله أجدهم فروا إلى أخباره ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام تضييعة.

شكره على تجرده كما أن اللرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا بشرطه ، وشروطه أن يكون فرحك بالتمتع بالنعمة ولا بالإتمام ، ولعل هذا مما يتعذر عليك فيه فحضر بك مثلاً يقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأتمم فرسه على إنسان يتصور أن يفرح التمتع عليه بالفرس من ثلاثة أوجه : أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به يوم كوب ، يوافق غرضه وإنه جواد فليس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجدته في سمراء فأخذته لكان فرحه مثل ذلك الفرح . الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وعففته عليه وإهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في سمراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائاه عن الفرس أصلاً أو استحقاقه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك . الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتجمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس بفتح بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد إلا بواسطته ، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضاً بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات ، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لأن نظره صاحبها تصور على الفرس فقرحه بالفرس لا بالمعنى ، وهذا حال كل من فرح بتمتع من حيث إنها لذنية وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر ، والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالتمتع ولكن لأن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستجبه إلى الإتمام في المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يجدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لنوابه وإتمام الشكر التام في الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بتمتع الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والوصول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا . وأما رتبة أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويعينه عليها ويعز عن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصد عنه سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها للذنية كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد وممهلج بل من حيث إنه يحمله في محبة الملك حتى يندم مشاهدته له وقربه منه ، ولذلك قال الشبلي رحمه الله : الشكر رؤية التمتع لرؤية النعمة . وقال الحوامس رحمه الله : شكر العامة على الظلم والبس والشرب ، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من أعصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتفت في حال الصحة إلا يذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الحلوين وبكاستسبح بعض الرضى الأشياء الحلوكة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل :

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

فإن هذا شرط الفرح بتمتع الله تعالى ، فإن لم تكن إبل قمزي ، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية . أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكيف من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكيف من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليلبس بها إليه . الأصل الثالث : العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة التمتع وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح . أما بالقلب قصد الخير وإضاره لكافة الخلق . وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه . وأما بالجوارح : فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من

الاستماعة بها على مصبته حتى إن شكر المنيب أن تستر كل عيب تراه لسلّم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لظاهر الرضا عن الله تعالى وهو مأثور به قد قال صلى الله عليه وسلم لرجل «كيف أصبحت قال غير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة غير أحمد الله وأشكره قال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك» (١) وكان السلف يتساءلون وينهم استخراج الشكر حتى تعالى ليكون الشاكر مطعياً والستطعق له به مطعياً وما كان تصدّم الرأى بظاهر الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فيجيبه من أهل الدين وكيف لا تصبح الشكوى من ملك للولك ويده كل شيء إلى عبد ملوك لا يقدر على شيء إلا بحري بالبعد إن لم يحسن الصبر على البلاء والتضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو الجلي والقادر على إزالة البلاء وذلك البعد لملا عز والشكوى إلى غيره ذل وإظهار الذل للبعد مع كونه عبداً مثله ذلك فيجيب قال الله تعالى - إن الذين يقبضون من دون الله لعل يكون لكم رزقا فائشوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له - وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يأمر المؤمنين لو كان الأمر بالنسب لكان في السلمين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وفد الرغبة ولوا فد الرغبة أما الرغبة فقد أوصلنا إلينا فضلك وأما الرغبة فقد آمنتنا منها عدلك وإيماننا وفداً الشكر جثا لنفكر بك باللسان وتصرف . فإنه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة التسم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو الثناء على الحسن يذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود لإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون التضرع شكر النعمة أن ترى نفسك في شكر طفلياً إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنب الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب في الخوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في اثنين لأنهم لا يشكرون إلا عن حالهم الرهانة الغالبة عليهم اختلافاً بما بهمهم أو يشكرون بما يرونه لاحقاً بما السائل اقتضاه على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن نظن أن ما ذكرناه ملن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يتكرونها بل لا يظن ذلك باعقل إلا لأن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصوداً وبقيّة المعاني تكون من توابعه ولو ازمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الوفي برحمته .

المرید فی حضرة
الشیخ کمن هو قاعد
على ساحل بحر ينتظر
رزقاً يساق إليه فظلمه
الى الاستماع وما يورق
من طريق كلام الشيخ
بحق مقام إرادته وطلبه
واستزادته من فضل الله
وتعلمه الى القول بده
عن مقام الطلب
والاستزادة الى
مقام إثبات شيء
لنفسه وذلك جنابة
للريد . وينبغي أن يكون
تعلمه إلى مهم من حاله
يستكشف عنه
بالسؤال من الشيخ
عسى أن الصادق
لا يحتاج إلى السؤال
باللسان في حضرة
الشيخ بل يباديه بما
يريد لأن الشيخ يكون
مستطاعاً لنقله بالحق

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال غير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة غير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه قال في الثالثة غير أحمد الله وهذا مفضل ورواه في المجمع الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضمه الجهور لسوء حفظه ورواه مالك في اللوطاً موقفاً على عمر باسناد صحيح .

(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك تخبط بياك أن الشكر إنما يحل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر المالك إما بالثناء لزيد علمه في القلوب وبظهر كرمه عند الناس فزيد به صيته وجاهه أو بالخدمة التي هي إغانة لهم على بعض أغراضهم أو بالتول بين أيديهم في صورة الخدمة وذلك تشكيك لسوادم وسب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا شيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين: أحدهما أن الله تعالى منزوع عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإغانة وعن نشر الجاه والخشعة بالثناء والإطراء وعن تشكيك سواد الخدم بالتول بين يديه ركعا سجدا فاشكرنا إياه بما لاحظ له فيه بجاهي شكرنا الملك النعم علينا بأن تام في ريوثنا أو تسجد أو تركع إذا لاحظ للملك فيه وهو غائب لاعم له ولا حظ له تعالى في أفعالنا كلها. الوجه الثاني أن كل ما تعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر له وركبناه أو أعطانا الملك مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الأول منا بل كان الثاني محتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا نشك في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الحائط قد خطر له اود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام قال يارب كذب أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى رعت منك بذلك شكرا . فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا يفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر قد شكر وأن قبول الخلة الثانية من الملك لشكر الخلة الأولى والقيم قاصر عن درك السر فيه فان أمكن تعريف ذلك بتال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا فرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم العامة ولكنها تنير منها إلى ملامح وتقول ههنا نظران نظر بين التوحيد المحض وهذا النظر يرفق قطعا بأنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الوجود الحقيقي هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلفت إلى غيره لم يكن له وجودا بالية وإثما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو يقوم ولا يقوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذن ليس في الوجود غير الحق القويوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب - وقال وبجاء أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فلي نفسه أثني فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميثي حيث قرىء بين يديه - بحمهم ومحبونه - فقال لعمري بحمهم ودعه بحمهم

وهو عند حضور
الصادقين يرفع قلبه
إلى الله ويستغفر
ويستقلم لهم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والنطق مأخوذين إلى
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما يفتح به عليه لأن
الشيخ يعلم تطلع
الطالب إلى قوله
واعتداده بقوله
والقول كالبدن يقع في
الأرض فاذا كان
البدن قاسدا لا يثبت
وفساد الكلمة بدخول
الهوى فيها فالشيخ
يتقن بذر الكلام عن
شوب الهوى ويسلمه
إلى الله ويسأل الله
المعونة والسادات يقول
فيكون كلامه بالحق

فبحق عيهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه الحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لانهما
إلا يقال على حد عقلك فلا يغني عليك أن للصف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا
أحب صنعه فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل مافي
الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعتة فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب
إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بين التوحيد وتصير الصوفية عن هذه الحالة بخلاف
النفس أي في عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن فيهم هذا ينكر عليهم ويقول
كيف نفى وطول ظله أربية أذرع ولله يأكل في كل يوم أرطالا من الحنظل فيضعك عليهم الجبال
لجلبهم بمافي كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى
- إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انشربوا إلى
أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوه قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين - ثم بين أن
ضحك المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على
الأراكان ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا ضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة
قال - إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظيرين . النظر الثاني نظر من
لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قهان قسم لم يشبوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون
لهم رب يبد وهؤلاء هم العيان للتكسوس وعمام في كتنا العيين لأنهم نقوا ماهو الثابت تحقيقا
وهو اليوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقام به ولم يقتصر واطى
هذا حق ابتنوا أنفسهم ولو عرفوا لملوا أنهم من حيث هم لم يلابت لهم ولا وجودهم وإنما وجودهم
من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الوجود وليس في الوجود إلا موجود
واحد موجود فالوجود حق والوجود باطل من حيث هو هو الوجود قائم ويوم والوجود هالك
وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الطريق الثاني
ليس بهم عي ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى العيين وجود للوجود الحق فلا ينكرونه
والعين الأخرى إن تم محامها لم يصير بها فناء غير الوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى
وهذا مشترك تحقيقا كما أن الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد الصمى إلى العمى أدرك تفاوت
بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل
في حد التوحيد ثم إن كل يصره بما يزيد في أنواره فيقل عشمه ويقد ما يزيد في بصره يظهر له
نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يغشى به النقصان إلى المحو
فينمى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك قصا
في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينها درجات لأخصى فهذا تفاوت درجات
الموحدين وكتب الله الميزة على ألسنة رسله هي السجدة التي به يحصل أنوار الألبار والأنبياء هم
السكاون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى
إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأنفون والجاحدون والمتركون أيضا فليقولون
على الطرف الأسمى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى
الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضيقاً والتوسطون كل الأكتون
وفهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال خلوص له حقائق التوحيد ولكن بالقرب الحافظ
لا يثبت وفهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والوهم فيه عزز :

من الحق الحق فالشيخ
للمريدن أمين الإلهام
كان أن جبريل أمين
الوحى فكلا لا يخون
جبريل في الوحى
لا يخون الشيخ في
الإلهام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس في القول
بشيئين : أحدهما طلب
استجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما هذا من شأن
الشيخ . والثاني ظهور
النفس باستحلاء
الكلام والمحب وذلك
حيانة عند المحققين

لكلّ إلى غاوى العلا حرّكات ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قبل له وساجد واقترب - قال في سجوده «أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١) قوله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بفنوك من عقابك» كلام عن مشاهدة فعل الله قط فكنّا لم ير إلا الله وأضاله فاستأذ بفعله من ضله ثم اقترب قفى عن مشاهدة الأضال وترقى إلى مصادر الأضال وهى الصفات فقال «أعوذ برضائك من سخطك» وهما متان ثم رأى ذلك

تصانفا في التوحيد فأقرب ورقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال «وأعوذ بك منك» وهذا قرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستغيثاً ومتنبهاً عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك تصانفا واقترب فقال «ولأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» قوله صلى الله عليه وسلم «ولأحصى» خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله «أنت كما أثنيت على نفسك» بيان أنه لفتى ولتلى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات اللوحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأضاله فيستغنى بفعل من فعل فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا يرى الأولى يبدأ بالإضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك تصانفاً ولو كونه تصانفاً في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» (٢) فكان ذلك ترقية إلى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أولها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان تصانفاً بالإضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك، ولما قانت عاشقة رضى الله عنها «وآليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبداً شكوراً» (٣) مناه أفلا أكون طالباً للزهد في القامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا قلنا فلنا في بحار المكاشفة

فلنقبض الصان، ولترجع إلى ما يليق بعلوم العامة، فنقول : الأنبياء عليهم السلام بشوا الدعوة الحق إلى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرح كله تريف بطريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك تمام بالإضافة إلى تلك للمشاهدة الشكر والشاكر وللشكور ولا يبرف ذلك إلا ابتداءً، فأقول : يمكن أن نعلم أن ملكاً من الملوك أرسل إلى عبده بعد مده من كروبا وملبوساً وهذا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان : إحداها أن يكون قصده من وصول البعد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته، والثانية أن لا يكون لذلك حظ في البعد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد على ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضائك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقوله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها للتقدم قبل هذا بقصة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصراً وكذلك هو في الصحيحين مختصراً من حديث القبر بن شعبة .

والشيخ فيها يجرى على لسانه راقد النفس تشبه معاملة نعم الحق في ذلك فاقده الحظ من قوائد ظهور النفس بالاستسحلاء والسحب فيسكون الشيخ لما يجره الحق سبحانه وتعالى عليه مستعماً كأحد للشمسين وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يشكاه مع الأصحاب بما يلقي إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكلك ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كتمت لا يعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته

لأنه لا يشق على القيام بخدمة تنفي فيه غناه وغيبته لانتقص من ملكه فيكون قصد من الإنعام عليه بالركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا ينتفع الملك به وباتساعه فنزل العباد من الله تعالى في اللزلة الثانية لافي اللزلة الأولى فإن الأولى بحال الله تعالى والثانية غير حال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركب والوصول إلى حضرته ما لم يتم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنعمه الله به من ماله في حبسه لأجله لا لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يسلطه أو يستعمله فيما يزيد به ماله من غير ما أجلس العبد الثوب وربك الفرس ولم ينفع الزاد إلا في الطريق فقد شكره مولاه إذا استعمل نعمته في محبة ذيها أحمه لعبدته لأنفسه وإن ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته : أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبدته لأنفسه وإن جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته إذا أهملها وعطلها وإن كان هذا دون ماله يبعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرته يحتاجون إلى استعمال الثبوتات لتشكل بها أبدانهم فيعبدون بها عن حضرته ثم إنهم بعد ما عاهدوا الله تعالى إذ قال - قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آلات يترق العبد بها عن أسفل السافلين خالقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم يبعد والعبد ذهابين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لما أوقاه محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لانتقامه ما بكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إما مخلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاوس استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشعلها الشبهة ولكن لا تشعلها المحبة والكرهية بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الحقيقة سر القدر الذي منع من إفساده وقد نال بهذا الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر . وبهذا أيضاً يحل الثاني فإن لم ينشأ بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة فبطل الله فقد حصل الراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت عملك فأتى عليك وتناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتى وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة الله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل للنعم الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للام وموجد ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فك فوضك بأنك عاكر إثبات شيتك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيتاً وإبناً أنت لشيء إذا كنت أنت طائناً لنفسك شيتاً من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيتاً فأنت شيء إذ جعلك شيتاً فإن قطع النظر عن جعله كنت لشيء متحققاً وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١) «لما خلق الله رسول الله فبهم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفضاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل لبعض وقوله اعلموا وإن كان جارياً على

في المنام كأن قاتلاً يقول له أليس التماس يوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في محلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل فهم بالنام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب المرید مع الشيخ المسكوت والحمود والحمد حتى يبادنه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلًا وقيل أيضاً في قوله تعالى - لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - لا تطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من

(١) حديث اعلموا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث علي وعمران بن حصين .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعاله تعالى والله سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة والنبات الداعية أيضا من أفعاله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفعاله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الأول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعاله تعالى وبعضها سبب للبعض : أى هو شرط ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهره ولا يستعد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل بمعد شرط الحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة اعتقادنا فكيف ندعم وإنما الكل إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومربتها فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى يعود بسلسلتها إلى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلاما ليس لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن معاصي كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا حتى يقادون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من غدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالتقوى يساقون إلى الجنة فقهروا والمجرمون يقادون إلى النار فقهروا ولا قهر إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الله الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين المتأقلين فشاهدوا الأمر كذلك كما سمعوا عند ذلك نداء النداء - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - وقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن المتأقلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للمتأقلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف ، فعوذ بالله الحليم الكريم من الجبل والهمى فانه أصل أسباب الهلاك .

(بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الشكر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في سكره وتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان : أحدهما السمع ومستند الآيات والأخبار . والثانى بصيرة القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لأجل ذلك عزيز ، فلذلك أُرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق إلى الحق ومعرفة ذلك تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً . وأما الثانى وهو النظر بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفقه حكمة ونعت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جليو خفية . أما الجلية فكأنما بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً لتفسير الحركة عند الإحصار والسكون عند الاستئثار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها

عما حسن الآداب
وأعزها ويبنى للمريد
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل يجب
للشيخ كل منزلة عالية
وتسنى للشيخ عز
النسب وغرائب الواهب
وهذا يظهر جوهر
للمريد حسن الإرادة
وهذا يزى للمريد
فإرادته للشيخ تحليه
فوق ما يتنى لنفسه
ويكون قائماً بلُجب
الإرادة . قال السرى
رحمه الله حسن الأدب
ترجمان القل . وقال
أبو عبد الله بن حنيف
قال لى روم يابى
اجعل عملك ملحا
وأدبك دقيقا ، وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في السم ونزول الأمطار وذلك لتشقاق الأرض
 بأنواع النبات مطعمها للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي جعلها
 أفعالها الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صبنا السماء صابغاً ثم نقننا الأرض
 شفاً فأثبتنا فيها حياء وعنباً - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب الباردة والساكنة في الثواب غنية لا يطالع
 عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه
 قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا زينة الكواكب - لجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه
 وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من
 حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها
 كالمع أن العين لا تبصر إلا للبصير واليد للبصير والرجل للمشي واللسان للشم فأما الأعضاء الباطنة من
 الأمعاء والراة والكبد والكليو أكباد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاوب وبفسد الانكشاف
 والاشتباك والأعراف والدقة والظطوساير الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها
 لا يعرفون منها إلا قدراً يسيراً بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى وما أوتيتهم من العلم لا يقلل ما فادن كل من
 استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمته تعالى فمن
 ضرب غيره يده فقد كفر نعمته اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه
 لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجهه غير المحرم فقد كفر نعمته العين ونعمته الشمس إذا أبصرت بهما
 وإنما خلقتا ليصير بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيها فقد استعملها في غير
 ما أريدتا به وهذا لأن الراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأشباهها أن يستعين الخلق بهما على الوصول
 إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بحجته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا والانس إلى الإبدوم
 الذكر ولا حيلة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن
 ولا يبقى البدن إلا بالتذاء ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والسماء والهواء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض
 وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع إلى الله
 تعالى هي النفس للطمعة بطول العبادة والفرقة فلذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
 ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمته الله في جميع
 الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك العصية . ولذك مثلاً واحداً الحكم الخفية التي ليست في
 غاية الحفاة حتى تتبين بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على التيم فنقول : من تم الله تعالى خلق
 الدرامم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حبران لامتعة في أعينها ولكن يضطر الخلق إليهما من
 حيث إن كل إنسان يحتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يجبر عما يحتاج
 إليه وبذلك ما يستغنى عنه كمن ملك الزعفران مثلاً وهو يحتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل يربما
 يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاونة ولا بد في مقدار العوض من تقدير لا يذلل
 صاحب الجمل جلته بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى من مثله في
 الوزن أو الصورة وكذا من يشتري داراً بلباب أو عبداً بخنفساً أو دقياً بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها
 فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتعذر للمعاملات جداً فافتقرت هذه الأعيان للتنافرة
 للتباعدة إلى متوسط بينها بحكم فيها بحكم عدل يعرف من كل واحد رتبته ومزنته حتى إذا
 تهرت المنازل وترتبت الترتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي غلق الله تعالى الدنانير
 والدرام حاكين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تهدر الأموال بها فيقال هذا الجمل يسوى

لكل وقت وأدب ولكل
 حال أدب ولكل مقام
 أدب فمن يلزم الأدب
 يبلغ مبلغ الرجال ومن
 حرم الأدب فهو بعيد
 من حيث يظن القرب
 ومردود من حيث
 يرجو القول ومن
 تأدب الله تعالى أصحاب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قوله تعالى
 - لا ترفعوا أصواتكم
 فوق صوت النبي - كان
 ثابت بن قيس بن ثعلبة
 في أذنه وفر وكان
 جهودى الصوت فكان
 إذا كلم إنساناً جهر
 بصوته وربما كان
 يكلم النبي صلى الله عليه
 وسلم فيأذى بصوته
 فأنزل الله تعالى الآية
 تأدياً له ولتوبيخه .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث أيتها مساوئ بشئ واحد إذن
مساويان وإنما أمكن التبديل بالدين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما
انضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض
له فلا ينظم الأمر فاذن خلقهما الله تعالى لتداولهما الأبدى ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل
ولحكمة أخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها
ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكان ملك كل شئ لا يمكن ملك ثوباً
فانه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة
مثلاً فاحتجج إلى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في مناه كأنه كل الأشياء والشئ
إنما تستوى نسبته إلى الختافات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها خصوصاً كالمرآة لا لون لها
وتعكس كل لون فتكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له نفسه
وتظهر به المعاني في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكيم بطول ذكرها فكل من عمل فيها
عمالاً يلبي الحكيم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيها فاذن من كثرها
قد ظلمها وأبطال الحكمة فيها وكان كمن جلس حاكم للسليدين في سجن يمنع عليه الحكم
بسببه لأنه إذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدينار لزيد
خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأفراد في أعيانها فاتها حيران وإنما خلقا لتداولهما الأبدى
فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يبيعون
عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الوجودات غلط إلى الحرف فيه ولا صوت الذى
لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله صلى الله
عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت اللغى الذى يحجزوا عن إدراكه فقال تعالى
والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم وكل من أخذ من
الدراهم والدينار آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لأن مثال هذا
مثال من استسخر حاكم البلد في الحياة والسكس والأعمال التى يقوم بها أخساء الناس والحسب
أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والفضة والنحاس تنوب مثاب الذهب والفضة في حفظ
المالعات عن أن تنفد وإنما الأدوات لحفظ للمالعات ولا يكتفى الحرف والحديد في المقصود الذى
أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من
ذهب أو فضة فكأنما يجر مجرى بطنه نار جهنم^(١) وكل من عامل معاملة الرابح الدراهم والدينار فقد كفر
النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لانتفيسهما إذ لا غرض في عينيهما فإذا أبحر في عينيهما فقد أخذها
مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا قد معه نقد
لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيه بقدر
آخر ليحصل النقد فيوصل به إلى مقصوده فاتهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانها وموقعهما
في الأموال كوقع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لغى في غيره
وكوقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيختد التعامل على النقد غاية
عمله فيبقى النقد مقبداً عنده وينزل منزلة السكوز وتقييد الحاكم والبريد للوصول إلى الغير ظلم

(١) حديث من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجر مجرى في بطنه نار جهنم متفق عليه من
حديث أم سلمة ولم يصرح بالصنف بكونه حديثاً .

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن على
قال أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
البرقي قال أنا أبو محمد
الجراسي قال أنا
أبو العباس الميوسي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال أنا محمد
ابن الشفي قال أنا مؤمل
ابن إسماعيل قال أنا نافع
ابن عمر بن جبل الجهمي
قال حدثني حابس بن
أبي بليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير أن
الزُّرَّع بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بصير
استمع له في قومه فقال
عمر لا تستمع به يا رسول
الله فتسكما عند النبي
صلى الله عليه وسلم

كَأَنَّهُ حَبَسَهُ ظَلْمٌ فَلَا مَعْنَى لِبَيْعِ التَّقْدِيقِ إِلَّا اتِّخَاذُ التَّقْدِيقِ مَقْصُودًا لِلادِّخَارِ وَهُوَ ظَلْمٌ . فَانْ قُلْتُ :
فَلَمْ جَازِ بَيْعُ أَحَدِ التَّقْدِيقِينَ بِالْآخَرِ وَلَمْ جَازِ بَيْعُ الدَّرَمِ بِثَلْثِهِ . فَأَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَ التَّقْدِيقِينَ يَخَالِفُ الْآخَرَ
فِي مَقْصُودِ التَّوَصُّلِ ، إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ التَّوَصُّلُ بِأَحَدِهِمَا مِنْ حَيْثُ كَثَرَتْ كَالدَّرَامِ تَتَفَرَّقُ فِي الْحَاجَاتِ قَلِيلًا
قَلِيلًا فِي النَّعْمِ مِنْهُ مَا يَشُوشُ لِلْمَقْصُودِ الْخَاصِّ بِهِ ، وَهُوَ تَبَيُّنُ التَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ . وَأَمَّا بَيْعُ الدَّرَمِ
بِدَرَمٍ عَيْنَانِهِ بَخَازٍ مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ لَا يَرِغِبُ فِيهِ عَاقِلٌ مِمَّا تَسَاوَى وَلَا يَشْتَبِلُ بِهِ تَاجِرٌ فَانْ عَثَرْتُ
بِجَرَى جَرَى وَضَعُ الدَّرَمِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَهُ بَيْنَهُ وَنَحْنُ لَا نَخَافُ عَلَى الْعَقْلِ أَنْ يَصْرِفَ أَوْقَاتِهِمْ
إِلَى وَضْعِ الدَّرَمِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَهُ بَيْنَهُ فَلَا تَمْنَعُ عَمَّا لَا تَشُوقُ النَّفْسُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا
أَجُودَ مِنَ الْآخَرِ وَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَتَوَصَّرُ جَرِيَانَهُ ، إِذْ صَاحِبُ الْجَلِيدِ لَا يَرْضَى بِثَلْثِهِ مِنَ الرَّدَى ، فَلَا يَنْظُمُ
الْعَقْدُ وَإِنْ طَلَبَ زِيَادَةً فِي الرَّدَى ، فَذَلِكَ مِمَّا قَدْ يَقْصِدُهُ فَلَا جَرَمَ نَمْنَعُهُ مِنْهُ وَنَحْكُمُ بِأَنْ جِيدهَا وَرَدَّيْهَا
سَوَاءٌ لِأَنَّ الْجُودَةَ وَالرَّدَاةَ يَبْنِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمَا فَمَا يَقْصِدُ فِي عَيْنِهِ ، وَمَا لَغَرَضٍ فِي عَيْنِهِ فَلَا يَبْنِي
أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَصَافَاتٍ دَقِيقَةٍ فِي صِفَاتِهِ وَإِنَّمَا الَّذِي ظَلَمَ هُوَ الَّذِي ضَرَبَ التَّقْوِدَ مُخْتَلَفَةً فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاةِ
حَقٌّ صَارَتْ مَقْصُودَةً فِي أَعْيَانِهَا وَحَقًّا أَنْ لَا تَقْصِدُ . وَأَمَّا إِذَا بَاعَ دَرَمًا بِدَرَمٍ مِثْلَهُ نَسِيتُهُ فَانْ مِمَّا يَجِزُ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا مَسَامِحٌ قَاصِدُ الْإِحْسَانِ فِي الْقَرْضِ وَهُوَ مُكْرَمٌ مَقْدُودٌ عَنْهُ لَتَبْقَى صُورَةُ
لِلْمَسَامِحَةِ فَيَكُونُ لَهُ حَمْدٌ وَأَجْرٌ . وَالْمَعَارِضَةُ لِاحْسَدِ فِيهَا وَلَا أَجْرَ فَهُوَ أَيْضًا ظَلَمٌ لِأَنَّهُ إِضَاعَةُ خُصُوصٍ
لِلْمَسَامِحَةِ وَإِخْرَاجُهَا فِي مَعْرِضِ الْمَعَارِضَةِ وَكَذَلِكَ الْأَطْعِمَةُ خَلَقَتْ لِيَتَنَفَّذَ بِهَا أَوْ يَتَدَاوَى بِهَا فَلَا يَبْنِي
أَنْ تَصْرِفَ عَلَى جِهَتِهَا فَإِنْ فَتَحَ بَابَ الْعَامِلَةِ فِيهَا بِوَجوبِ تَقْيِيدِهَا فِي الْأَيْدِي وَيُؤْخِرُ عَنْهَا الْأَكْلَ الَّذِي
أُرِيدَتْ لَهَا فَخَلَقَ اللَّهُ الطَّعَامَ لِأَلْيُؤَكَلَ وَالْحَاجَةُ إِلَى الْأَطْعِمَةِ شَدِيدَةٌ فَيَبْنِي أَنْ تَخْرُجَ عَنْ يَدِ
السَّخْفِ عَنْهَا إِلَى الْحَتَّاجِ وَلَا يَمَامِلُ عَلَى الْأَطْعِمَةِ إِلَّا مُسْتَعْنٍ عَنْهَا . إِذْ مِنْ مَعِ طَعَامٍ ظَلَمٌ لَأَبَا كُلِّهِ
إِنْ كَانَ حَتَّاجًا وَلَمْ يَحْمِلْهُ بِضَاعَةً تَجَارَةً وَإِنْ جَطَلَهُ بِضَاعَةً تِجَارَةً فَلْيَمْنَعْ مِنْ بَطْلِهِ بَعُوضَ غَيْرِ الطَّعَامِ
يَكُونُ حَتَّاجًا إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُهُ بَعِيْنُ ذَلِكَ الطَّعَامِ فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَعْنٍ عَنْهُ وَلِهَذَا وَرَدَّى الشَّرْعُ لِمَنْ
الْمُتَحَكِّرُ وَوَرَدَ فِيهِ مِنَ التَّشْدِيدَاتِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ آدَابِ الْكَسْبِ ، نَمَّ بِالْعَبْرِ بِالْعَمْرِ مَعْدُورٌ
إِذْ أَحَدُهُمَا لَا يَسُدُّ مَسَدَ الْآخَرِ فِي الْقَرْضِ وَبِاتِّعَ صَاعٌ مِنَ الْبُرِّ بِصَاعٍ مِنْهُ غَيْرُ مَعْدُورٍ وَلَكِنَّهُ عَابَثُ فَلَا
حَتَّاجَ إِلَى مَنَعِ لَأَنَّ النَّفْسَ لَا تَسْمَعُ بِهِ إِلَّا عِنْدَ التَّفَاوُتِ فِي الْجُودَةِ وَمُقَابِلَةِ الْجَلِيدِ بِثَلْثِهِ مِنَ الرَّدَى
لَا يَرْضَى بِهَا صَاحِبُ الْجَلِيدِ . وَأَمَّا جَلِيدُ بَرْدِثِينَ فَقَدْ يَقْصِدُ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْأَطْعِمَةُ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ
وَالْجَلِيدُ يَسَاوِي الرَّدَى فِي أَسْلِ الْفَائِدَةِ وَخَالِفُهُ فِي وُجُوهِ التَّعْنُّمِ أَسْقَطَ الشَّرْعُ غُرْضَ التَّعْنُّمِ فِيهَا هُوَ
الْقَوْمُ فَبِهَذِهِ حِكْمَةُ الشَّرْعِ فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا وَقَدْ انْكَشَفَ لَنَا هَذَا جِدَ الْأَعْرَاضِ عَنْ غِنَى الْفَقْهِ فَلَنُلْحِقْ
هَذَا بَيْنَ التَّهْقِيبَاتِ فَانَّهُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِيَّاتِ وَبِهَذَا يَنْصَحُ رَجُلَانِ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ
رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي التَّخْصِيسِ بِالْأَطْعِمَةِ دُونَ السَّكِينَاتِ إِذْ لَوْ دَخَلَ الْجَمْسُ فِيهِ لَكَانَتْ الثَّيَابُ وَالْهَوَابُ أَوَّلَى
بِالسَّخُولِ وَلَوْلَا الْمَلْحُ لَكَانَ مَذْهَبُ مَا لَكَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَقْوَمُ الْمَذَاهِبِ فِيهِ إِذْ خَصَّصَهُ بِالْأَوْقَاتِ وَلَكِنْ كُلُّ
مَعْنَى يَرَاهُ الشَّرْعُ فَلَا يَدَّ أَنْ يَضْبُطَ بِحَدِّ وَتَحْدِيدِ هَذَا كَانَ يُمْكِنُ بِالْقَوْتِ وَكَانَ يُمْكِنُ بِالْمَطْغُومِ فَرَأَى
الشَّرْعُ التَّحْدِيدَ بِجَمْسِ الْمَطْغُومِ أُخْرَى لِكُلِّ مَا هُوَ ضَرُورَةٌ لِبَقَاةِ وَتَحْدِيدَاتِ الشَّرْعِ وَقَدْ تَحْتَظُّ بِأَطْرَافِ
لَا يَبْقَى فِيهَا أَهْلُ الْمَعْنَى الْبَاطِعُ عَلَى الْحُكْمِ وَلَكِنْ التَّحْدِيدُ يَقَعُ كَذَلِكَ بِالضَّرُورَةِ وَلَوْ لَمْ يَحْدُثْ تَحْدِيدُ
الْحَقِّ فِي اتِّبَاعِ جَوْهَرِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِلَافِهِ بِالْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ فَبَيْنَ اللَّغَى بِكُلِّ قُوَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ بِاخْتِلَافِ
الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ فَيَكُونُ الْحَدُّ ضَرُورِيًّا فَلِلَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

حق علت أصواتها
فقال أبو بكر لمر
ما أردت إلا خلافي وقال
عمر ما أردت خلافك
فأنزل الله تعالى الآية
فكان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يسمعه . وقيل لما نزلت
الآية أتى أبو بكر أن
لا يسمع عند النبي
صلى الله عليه وسلم إلا
كأن السراير فكذا
يبنى أن يكون المريد
مع الشيخ لا يسهل
يرفع الصوت وكثرة
الضحك
السكام إلا إذا بسطه
الشيخ فرفع الصوت
تجني جلباب الوفاة
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه اللعان لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحذر شرع عيسى ابن مريم عليه السلام بتحريم الحجر بالسكر وقد حذرنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعو إلى كثيره والدخايل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل اللع في الجملة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة سون يؤت الحكمة قد أوفى خبرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزايل الشهوات وملابيح الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ولولأن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (١) » وإذا عرفت هذا المثال قص عليه حركتك وسكونك وتطوكت وسكونك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن يفتك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقيه الذي تناطق به عوام الناس بالكرهه وبضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موسوف بالحظر . فأقول مثلا لو استنجيت بالتي قد كفرت نعمة الدين إذ خلق الله لك الدين وجعل إحداها أقوى من الأخرى فاستنحت الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك من أسطاك الدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ للصحف وبضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت الصفح باليسار وأزلت النجاسة باليمين قد خصصت الشريف بما هو خسيس فضضت من حقه وظلته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة قد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سمة العالم لأن خلق الجهات تكون متمسك في حركتك وقسم الجهات إلى مالم يجرها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أصافه إلى نفسه أسافة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدتك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبت ربك وكذلك أخصمت أصافك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فإذا رميت بصافك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة في المخطوط فينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتقيضه ظلو كدران لنعمة الحف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن ساء الفقيه مكرها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرار من المخططة وكان يتصدق بها فسل عن سبه فقال لبست للداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سواء فأريد أن أكفره بالصدقة ، ثم الفقيه لا يضر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين على باصلاح العوام الذين تقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغفوسون في ظلمات ألم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فتبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ الفدح ييساره قد تصدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خرا في وقت النداء يوم الجمعة فتبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فتبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة ممن حيث إنه لم يعمل القبلة عين عينه فالعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فيمنعق بضها في جنب البعض فالسيد قد يصاب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعزأ ولادم يبق

(١) حديث لولأن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء . تقدم في الصوم .

القلب عقل اللسان
مايقول وقد ينازل
باطن بعض الرديين
من الحرمة والوقار من
الشيخ مالا يستطيع
الردي أن يشبع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم فدخل على عمي
وشيخي أبو العجب
السروردي رحمه
الله فيترشح جسدي
عرقا وكنت أتمنى
العرق لتخف الحمى
فكنت أجد ذلك
عند دخوله الشيخ
على ويكون في قدومه
بركة وشفاء وكنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهبه لي الشيخ وكان
يتمتع به فوقع قلمي
على التنديل أضافا قلام

لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكابة في نفسه فشكل ماراءه الأنياب والأولياء من الآداب وما يحسنها فيه في الفقه مع العوام فسيبه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه اللكارة عدول عن العدل وكفران للعمة وتقصان عن الدرجة لليلة للبعد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في البعد بتقصان القرب واعطاط للترلة وبعضها يخرج بالكيفية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهيمة من غير حاجة غرض صحيح فقد كفر لعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فأنها لم تخلق للعب بل للطاعة والأعمال الصالحة على الطاعة . وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إلى الماء وخلق فيغوثه لا اعتناء به بل ليعمل منتهى نشوة فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوة لعل وجه ينتفع به عباده خالفة لقصود الحكمة وعدول فأتان حال كان كافئا الأخص في بناء الأشرف مدينا أقرب إلى العدل من تقسيمها جميعا وإليه الإشارة بقوله تعالى - وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينهما لا تفي بمحاجات عباد الله كماهم بل تفي بحاجة واحدة ولو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إلى الماء وقام بالتهدي فهو أولى به من غيره فيرجع جانبه بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لا يسمي آدمي اختص بغيره أو بغيره فلا يد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وغير التقضاء عن هذا الترجيح بملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا للملك للوك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون البعد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، ثم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينسب مائدة لبيده ، فمن أخذ لعمة بينه واحتوت عليها راجعه فجاء عبد آخر وأراد انتراعا من يده لم يمكن منه لأن اللعمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن الذي وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لعمة بينهما لا تفي بحاجة كل البعد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص بغيره به البعد فنع من لا يدل بذلك الاختصاص عن مزاحته ، فهكذا ينبغي أن نهم أمر الله في عباده وذلك قول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأمسكه وفي عباده الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكثرزون السهب والنفقة ولا يتفقونها في ميل الله وإحسان سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعة أموال الدنيا ، إذ بها تندفع ضرورتهم وترتفع حاجاتهم ، ثم لا يدخل هذا في حد تناوى الفقه لأن مقدار الحاجات خفي وألغى في استعمار الفقر في الاستقبال بخاتفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتسكين العوام ذلك يجري تكبير الصبيان الوفاق والثؤدة والسمكوت عن كل كلام غير مهم ، وهو بحكم تقصانه لا يطبقونه فتركنا الاعتراض عليهم في الحب والهوى وإاحتنا ذلك لإيهم لا يدل على أن الهوى والحب حق فكذلك إاحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جابوا عليه من البذل لا يدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكوها فيحكمم تبخلوا - بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأك فشكل عباد الله ركاب لطايا الأبدان إلى خصرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منه عن ركب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر لعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعدل وصائر الأسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الرأك وبال عليه

باطن من ذلك وهاتئ
الوطء بالقدم على
مندبل الشيخ وابن
من باطن من الاحترام
ما أرجو بركته . قال
ابن عطاء في قوله تعالى
- لا ترضوا أموالكم -
زجر عن الأدنى لئلا
يشغلي أحدا من مافوقه
من ترك الحرمة وقال
سبل في ذلك لا غلطوه
إلا مستغنيين . وقال
أبو بكر بن طاهر
لا يمددو بالخطاب ولا
تجيبوه إلا على حدود
الحرمة ولا تجروا له
بالقول كبحر يستكم
لبعض أي لا تظنوا له
في الخطاب ولا تادوه
بهمه بل بمحمد وأحمد كما
ينادي بكنم بسنا
ولكن غصموه

في الدنيا والآخرة لمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستنصاف ذلك محتاج إلى مجلدات ثم لا نفي إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم على الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس لئله الله بقوله - ولا ننجيكم كثرهم شاكرين - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخروا، ذلك تنقض الأعمار دون استنصاف مباديها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فان قلت فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتأتم تلك الحكمة وبلوغها غاية الزاد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقية وهو أن فعل العبد النقص إلى ما يتيمم الحكمة وإلى ما رفضها هو أيضا من فعل الله تعالى فإن البديق البين حتى يكون شاكرًا مرة وكافرًا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات مباديها ونحن الآن نبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها بهمها من عرف منطق الطير وبعدها من عجز عن الإيضاح في السير فضلائع أن يحول في جو المكسوت جولان الطير فنقول : إن لله عز وجل في دلائله كبريائه صفة عنها يصدر الحلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلحقها عين واضع اللغة حتى يمر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا تموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم للملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم للتأطيق باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فجاسروا بسبب استعانتهم على الطرق فقلنا لله تعالى صفة القدرة عنها يصدر الحلق والاختراع ثم الحلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر اتسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة الشئ في نوبتها أمرا مجالا عند المتأطيقين باللغات التي هي حروف وأصوات للتفاهيم بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كتنصير لفظ القدرة ثم انقسمت إلى أفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمة الله إلى ما يتوقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة الهبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقبل إنهاجيما داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ الهبة والكراهة منهما أمرا مجالا عند طلي الفهم من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله فيهم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقته له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقته لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستمالين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الأزل فضل وقت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنعمة اللعن والمدة زيا دق النكال وظهر على من ارتضاء في الأزل فعل انساق بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف

واحترموا وقولوا له :
يا بني الله يا رسول الله
ومن هذا القبيل
يكون خطاب المرید
مع الشيخ وإذا سكن
الوقار القلب علم اللسان
كيفية الخطأ . ولما
كلفت النفوس بحجة
الأولاد والأزواج
وغسكت أهوية
النفوس والبطاع
استخرجت من اللسان
عبارات غريبة وهي
نحت وقتها صاغها
كلف النفس وهواها
فاذا امتلا القلب حرمة
ووقارا تعلم اللسان
العبارة . وروى لما
نزلت هذه الآية فقد
ثابت بن قيس في
الطريق يبيك قمر به
عاصم بن عدى فقال

غلبة الشاء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجلال ثم أتى وأعطى النكال ثم قبح وأردى وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من ع الحسن ثيابه فإذا تم زينهته قال يا جميل ما أجلك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجميل وهو اللئى على الجلال فهو اللئى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه وأما البدهف الشاء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا تتسلسل الأسباب والسيئات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالصر أو هو أقرب فاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد التقدرات بضمها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يزاؤه الأسمى الواحد الكلى ولفظ القدر يزاؤه التفصيل للتأدى إلى غير نهاية وقيل إن شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر غطر لبعض العباد أن القسمة لما إذا اقتضت هذا التفصيل وكيفما انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمر والاختواء على جماعه فأجفوا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام اللع وقيل لهم استكثروا لما لهذا خلقتم لا يسل عما يضل ووم يشلون وامتلات مشكاة بضمهم نورا متبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زينههم أولا ما فيا بكاد يضىء ولو لم تمسه نار فست نار فاشتعل نورا في نور فأشرقت أقطار للسكراتيين أبيهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه قبل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واستكثروا إذا ذكر القدر فأمسكوا ^(١) فان للحيطان أذنانا وحوايكهم شغاف الأضمار فسروا بسر أضفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأضمار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وآزولوا إلى حماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الشغاف ويقتسبوا من بقايا أنواركم الشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والسكراتيين في جنح الليل فيجاء به حياة محتلمها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة التردد في كمال نور الشمس وكونوا كمن قبل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب هكذا شراب الطيبين يطيب

شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له فثبت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يهتدك والأعمى يمكن أن يهتد ولكن إلى حد ما فإذا ضاع الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن البيور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يجير بنفسه وربما على أن يستجر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السيرة على السيرة على ما هو حال جماهير الخلق كنسبة المشى على الماء إلى المشى على الأرض والسباحة يمكن أن تتم فأما المشى على الماء فلا يكتب بالتعليم بل بنال بقوة اليقين ، ولذلك قيل للشيء على الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لشيء على الهواء ^(٢) » فهذه

مايكيك يا ثابت قال
هذه الآية أخوف أن
تكون زلت في - أن
تخط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون - وأنا
رفيع الصوت على النبي
صلى الله عليه وسلم
أخاف أن يخط على
وأكون من أهل النار
ففى عاصم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وغلب ثابتا البكاء
فأتى امرأته جيلة بنت
عبد الله بن أبي بن ساول
فقال لها إذا دخلت
بيت فرسى فدى على
الضبة بشار ففترته
بشار حتى إذا خرجت
عطفته وقال لأخرج
حتى يتوفاني الله أو
يرضى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما

(١) حدث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم وصرح الصف بكونه حديثا (٢) حدث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لشيء على الهواء وهذا حديث منكر لا يعرف وهكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون نبيهم قبيلا له توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه . فلما اتهموا إلى البحر

رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والنسب والشكر والكفران لا يليق بـ علم الملائكة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا لإبداءه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيد يعب أحدهما واسمه جبريل والآخر إيليس وهو الأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويضئ الآخر واسمه إيليس وهو اللهب للنظر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قل تله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلي الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إيليس فقال تعالى - ليلد عن سبيله - والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد ساقا لهم إلى الغاية فانظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحججه وينظف قنائه منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يسعين للجحامة والتنظيف إلا لأحدهما وأخسهما ولا يفرغ من حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأحسهما إليه ولا ينفى أن تقول هذا فعله ولا يكون فعله دون فعله؟ فأنك أخطأت إذ أمنت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل للسكران بالشخص السكران والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماما للفعل فان عدله تارة يتم بأمره لا يدخلك فيها وتارة يتم فيك فأنك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي ربه بالعدل ترتيبا تصد منه الأفعال للعدالة لأنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عنك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الريب واللكوت فذلك تضيئه إلى نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليل إلى لعب للشعب الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزق وتقوم وتقوم وتقوم مؤلفة من خرق لا تتحرك بأشياء وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلال الليل ورومها في يد للشعب وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقدم ، وأما العقلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس يتحرك ولكم ربما لا يعلمون كيف تفصله والذي يعلم بعض تفصيله لا يفعله كما يفعله الشعب الذي الأمر إليه والجاذبة يده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها تتحرك فيجولون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محررون لأنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا الأمازون والعلماء الراسخون فانهم أدركوا بعدة أبصارهم خيوطا دقيقة متشعبة يتقبل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشعبة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرلك تلك الحويط بل تلتها الأبطال الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الحويط في مناطق لها هي معلقة بها وشاهدوا تلك المناطق مقابض هي في أيدي الملائكة المراكين للسماوات وشاهدوا أيضا تلك السماوات معسوفة إلى حلق العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا العلماء الأمر ويعلمون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما ننعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من الأمر والقدر والأمر قليل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهما فتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما - وهذه أمور لا يملك تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن إخصاص إذا هو قد أقبل على الدنيا فذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شرة مشى على الماء وروى أبو منصور الدبليسي في مسند الترمذي بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لوعرتم أقد حق معرفته لشيت على البحور وزالت بدعائكم الجبال

آلى عاصم النبي وأخبره
بغيره قال أذهب
فادع جاء عاصم إلى
الملك الذي فيه رآه
فلم يجد جاء إلى أهله
فوجد في بيت العرس
قال له إن رسول الله
يدعوك فقال أكر
الشيء فأبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما يبيحك
يا ثابت فقال أنا صبت
وأخاف أن تكون هذه
الآية نزلت في فقال له
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما رضي أن
تعيش سعيدا وتقتل
شهيذا وتدخل الجنة
قال قد رضيت بشري
الله تعالى ورسوله ولا
أرفع صوتي أبدا على

الراغبين في العلم يعلموا لا تحتلها أنهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمر بينهن - فقال لود كرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجعتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بلم العاملة مالميس منه فلترجع إلى مقاصد الشكر فنقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملا في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد إجماع إلى الله وأقرهم إليه وأقرهم إلى الله اللائكة ولهم أيضا ترتيب ومناهم الأوله مقام معلوم وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرائيل عليه السلام وإنما علو درجته لأنهم في أخسهم كرام بررة وقد أصلح

الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وبلى درجته من درجة الأنبياء فاتهم في أخسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق ونعم بهم حكته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ أكل الله به الدين وختم به النبيين وبيهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فاتهم في أخسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيرهم بهيهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتباع الدين والملك والسلطة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكل الله به صلاح دينهم ودينهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم بلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم يتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعا . وإعلم أن السلطان بقوام الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن الماس رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتسكرون ويغسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فليهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فليهم الوزر وعليكم الصبر (١) . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعا السلطان فله جحيم فهو بدعي ومن أنعم من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كثر أي أن شر الناس السلطان قتالهم . إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أديانهم فيقطع في صحيفته فيفترله جميع ذنبه وكان يقول الخشب السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصيصون .

(الركن الثاني من أركان الشكر ماعليه الشكر)

وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها وأصنافها وبعدها ما فيها من خص وبم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتمل بذكر الأحاد والله للوفيق للصواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

أعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء فتمرون وتسكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أكثر قال حسن صحيح وللإتراء بسند ضيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض بأوى إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر . وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فرغ إليه الناس لما أنسكروا سيرة الوليد بن عتبة فقال عبيد الله اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فقد كره حديثا والإمامة العاجرة خير من الهرج رواء الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأزل الله تعالى - إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجفة يعشى بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة في حرب ميلقترى ثابت من المسلمين بضم الانكسار وانهمزت طائفة منهم فقال آف هؤلاء وما يستنون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم نبأ ولم يزالا يقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعد رسول الله

السعادة الأخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتحمية السعادة الدنيوية التي لا تمنح على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويمنع عنها إما بواسطة واحدة أو بواسطة فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب العينية والذات السالبة نعمة تشرحها بتفسيرات [القصة الأولى] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجمل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في الآخرة كالتلذذ بتأنيع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في الآخرة كقطع الشهوات ومخالفة النفس الفاتنة في الحال والآخرة هو النعمة حقيقة كالعلم وحسن الخلق والضرر فيها هو البلاء حقيقة وهو ضد النافع في الحال للضرر في الآخرة بلاء محض عند ذوي البصائر وتكلمة الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فانه يمد نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضرر في الحال النافع في الآخرة نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأقسام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شره ظنه بلاء والعاقل يمد نعمة ويتفقد الخلة بمن يهديه إليه ويقر به منه ويبره له أسبابه فلذلك تمنع الأمم له من الحجة والأب يدعو إليها فان الأب لكامل عقله بلع العقوبة والأم لم ترق حياء وتصورها لتحظ الحال والصبي لجهله يتفقد منة من أمه دون أيوب أو ناس إلى جهل أو شغفها ويقتدر الأب عدوا له ولو عقل لعم أن الأم عدو باطن في سورة صدق لأن منها إياهم من الحجة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجة ولكن الصدق الجاهل يشر من العدو والعاقل وكل إنسان فانه صدق نفسه ولكنه صدق جاهل فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو [قصة ثالثة] اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها شرها قلما يصفو خيرها كالسالم والأهل والولد والأقارب والجاء وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ماضرة أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالسالم الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص قرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفعه في سبيل الله ويصرفه إلى الحيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق موزر إنسان يستغنى بالقليل أيضا إذ لا يزال مستغنيا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الحذفان بلاء في حق [قصة ثالثة] اعلم أن الحيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته تعالى وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لذاته ولا يبره . فالأول ما يؤثر لذاته لا يبره ككلذة النظر إلى وجهه تعالى وسعادة لقائه ، وبالجمل سعادة الأخرى التي لا تضاهي لها فاتها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها . الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدرهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضى بها لكنت هي والحساب بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى الذات سرية الإقبال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكثرونها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتمهيد الرسول وصراعته وتقديسه وهو غايه الجهل والضللال . الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد لغير سببها على الذكر والتفكير الموصولين إلى لقاءه تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتبذل أيضا لذاته فان الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فريد أيضا سلامة الرجل

صلى الله عليه وسلم
وعليه درع فراء
رجل من الصحابة بعد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلانا رجلا من
المسلمين نزع درعي
فذهب بها وهو في
ناحية من السكر
وعنده فرس يستن
في طلبه وقد وضع على
درعي رمة فاشتد خالده
ابن الوليد فأخبره
حقا بستر درعي واثت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قتل
له إن على ديني حق
يقضى على وفلان من
عبيدي عتيق فأخبر
الرجل خالدا فوجد
الدرع والفرس على
ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالدا أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذا نزلت لذاته قطع هو الخير والنعمة تحققت وما يؤثر لذاته ولغيره يضاف هو نعمة ولكن دون الأول فأما ملا يؤثر إلا لغيره كالتفدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمرا ليس بينهما أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعها الكفاية التي هي ضرورته حاجاته استوى عنده القهقري واللدن فكان وجودهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغل وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاه في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] اعلم أن الحريات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذبة وجيل فاللذبة هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في الآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والضرور أيضا تنقسم إلى ضار وقيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالمعلم والحكمة فانه ناعمة وجميلة ولذبة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالمجهل فانه ضار وقيح ومؤلم وإنما يحس المجهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبهت منه شهوة العلم اللذبة ثم قد يمنه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن العلم فيتجاهله متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالمجهل ودرك نقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو ترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا نهاية . والضرب الثاني للقيح وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع للتأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع فيصح كالخمر فانه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع فقد قبل استراحته من لافعل له فانه لا ينهم بالعاقبة فيسترعج في الحال إلى أن عين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع فبما ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعيى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وإلى ملا يكون ضروريا كالسكرانين مثلا في تسكين الصفراف فانه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه [قصة خامسة] اعلم أن النعمة يبر بها عن شكل اللذبة واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصها بها أو مشاركتها لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة إذ ليس يستلذهما السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وإنما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يبر عنها بالفكر وهذه أقل اللذات وجودا وهي أشرفها أما قلها فلا أن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذه إلا حكيم ومما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر التمسعين بهمهم والتمسعين برسومهم وأما شرفها فلا أنها لازمة لا تزول أبدا لافي الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمحل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل العلم والحكمة قط لا ينصرون أن عمل وتستقل ومن قدر على الشرف الباقى أبدا الأباد إذا رضى بالحسب الثاني في أقرب الآمال فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظه بخلاف المال إذ العلم محرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالإفراق والمال ينقص بالإفراق والمال يسرق والولاية يزل عنها والعلم لا تمتد إليه أبدى السراق بالأخذ ولا يبدى السلاطين بالمزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبدا ثم النافع تألم ولذبة وجميل في كل حال أبدا والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ولذلك لم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن ساء خيرا في مواضع وأما بقصور أكثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت ثابت بحسن خواء وأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المرید الصادق وسلم أن الشيخ عنده تذكرتم الله ورسوله وأن الذي يتمدع مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حاله واثني عليهم قال - أو تلك

عن إدراك لذة العلم فلما لعدم الذوق لمن لم يذق لم يعرف ولم يشفق إذ الشوق تبع الذوق وإلما لفساد أمرهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك حلالة العمل وبراء مرأ وإلما لتصور فطنهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السنان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذيفة ولا استطابته اللبن يدل على أنه ألد الأشياء فالتأصرون عن ذك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحس باطنه كالطفل وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحس حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموت وإن كان عند الجهال من الأحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فريح وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلفة الرياسة والقلية والاستيلاء وذلك موجود في الأسود والنمر وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أحسنها ولذلك اشترك فيها كل مادي ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة نشبت به لذة القلبية وهو أشدها تنصافا بالخفايين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه مرتبة الصديقين ولا ينال تمامها إلا بخرج استيلاء حب الرياسة من القلب وأخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة وأما شره البطن والفرج فكسره حمايقى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يلقى على كسرها إلا الصديقون فأما قهرها بالسكينة حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم فلهذه معرفة الله تعالى في الأحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والقلية ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تقربه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على المدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا لزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدرك مائدة المعرفة وماعنى الأنس بالله وإيمانه بالذات بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغرب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثره في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثره في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية الابدوام أما الثاني فالدنيا طائفة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية الدور ولا يتصور أن يكون ذلك إلا نادرا شاذا وهو مع الدور يتفاوت في القلة والكثرة وإمما تكون كثرته في الأنصار القريبة من أنصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد المهدي طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تغرب الساعة ويقضى الله أمرا كان مفعولا وإمما يجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذلك في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فإنها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم القلب وعالم الشهادة تابع لعالم السبب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فأنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا تعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا في سبيل المحاكاة فالتابع في الوجود متبوعا في حق المرآة والقلب التأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - أى اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكان اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب فهذا يذهب أن يكون للسريد مع الشيخ - قل بوعثان الأدب عند الأكبر وفي جملة السادات من الأولياء يباغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والحير في الأولى والعقوى الأخرى إلى قول الله تعالى - ولو أنهم سمعوا خيرا لهم - وعما عليهم الله تعالى قوله سبحانه - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات

ولكن الانكسار والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والعبادة محاك لعالم الملكوت والملكوت فن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولي الألبار - ومنهم من عمت بصيرته فلم يعتبر فاحتسب في عالم الملك والعبادة وستفتنح إلى حيمه أبواب جهنم وهذا الحبس مجلوه نارا من غائبات أن تطلع على الأئمة إلا أن بينه وبين إدراكها حجابا فإذا رُفِعَ ذلك الحجاب بالموت أدركه وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة - النار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو توبلون علم اليقين لآتوكم الجحيم - أي في الدنيا - ثم لآتوكم عين اليقين - أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح الملك الآخرة لا يكون إلا عزرا كالشخص الصالح الملك الدنيا .

(قصة سابعة حاوية لمجامع النعم)

اعلم أن النعم تقسم إلى ما هي مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الثانية فاتها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناه له وسرور لا غنى فيقول له لا جيل معه وغنى لا قصر بده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعيش إلا يعيش الآخرة (١) وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر - وقال ذلك مرة في السرور من النفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحقاق الناس به في حجة الوداع (٢) وقال رجل اللهم إني أسألك بتمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم بتمام النعمة فقال قال بتمام النعمة دخول الجنة (٣) وأما الوسائل فتتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب وبما جاوز إلى غير البدن كالأسباب للنفية بالبدن من اللال والأهل والمشيئة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجية عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والمساعدة فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم العامة ، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والنضب وإسمه العفة ومراعاة العدل في السكف عن مقتضى الشهوات والإندام حتى لا يتنعم أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى سأن لا تطغوا في البران وأقموا الوزن بالقسط ولا تخسروا البران - فمن خشي نفسه ليزل شهوة التكحل أوترك التكحل مع القدرة والأمن من الآفات أوترك الأكل حتى تنصف عن العبادة والتذكر والفكر قد أخسر البران ومن انهمك في شهوة البطن والفرج قد طغى في البران وإسمه العدل أن مخلووز بنو قد يديره عن الطيبان والخسران فتنتد به كفتا البران فاذن الفضائل الخاصة بالنفس للبرية إلى الله تعالى أربعة علم مكشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا ينف هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يتفكرون - وكان هذا الحال من وقد بنى نجم جادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج إلينا فان مدحتنا زين وذمنا عين قال فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول وإنيما ذلكم الله الذي فمه عين ومدحه زين في قصة طويلة وكانوا أنوا بهاعرم وخطيبهم فطلبهم حسان بن ثابت وشيبان الهاجري والأصهار بالخطبة وفي هذا تأدب المرید في الدخول على الشيخ والإقدام عليه وتركه الاستعجال وعبره إلى أن يخرج الشيخ من

(١) حديث قوله عند حفر الخندق لا يعيش إلا يعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حجة الوداع لا يعيش إلا يعيش الآخرة الشافعي مرسلا والحاكم متصلا وصححه وعظم في الحج (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك بتمام النعمة الحديث القرطبي من حديث معاذ بنسند حسن

وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة الطيفة بالدين وهي أربعة المال والأهل والمجاهة وكرم العشرة ولا يتنفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يتناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسيده وتأييده ، فمجموع هذه النعم ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافلة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما معي وليس لأحد في الآخرة إلا ما زود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة الدين ضرورية . وأما الحاجة النافلة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل فإن ذلك لو عدم ربما تطرق للحلل إلى بعض النعم الداخلة . فإن قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والمجاهة والعشرة ؟ فاعلم أن هذه الأسباب جارية بحري الجناح للبلغ والآلة السهلة للمقصود . أما المال فالتقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية : كساع إلى المبدأ بشر سلاح ، وكبازي بروم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تم للمال الصالح للرجل الصالح (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « تم للمون على تقوى الله المال (٢) » وكلف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات وفي تهتة اليأس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغل عن الفكر والفكر ولا تتدفق إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإقامة الحجرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال : الله فاني رأيت التقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكان ما ذكره إشارة إلى نعم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه أتمنى أن يربى عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣) » وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « تم للمون على الدين المرأة الصالحة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم في الولد « إذا مات البعد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له (٥) » والحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فهما أكثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فينسى له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرده بطال شغل وكل ما يفرغ قلبه عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما العز

موضع خلوته . صحت
أن الشيخ عبد القادر
رحمه الله كان إذا جاء
إليه تقير زائر فغير
بالتقير فيخرج ويضع
جانب الباب ويصافح
التقير ويسلم عليه ولا
يجلس معه ويرجع
إلى خلوته وإذا جاء
أحد ممن ليس من
زمرة الفقراء يخرج
ويجلس معه غفط
لبعض الفقراء نوع
إنكار لتركه الخروج
إلى التقير وخروجه
لتسريح التقير فأنهى
ما خطر للفقير إلى
الشيخ فقال التقير
رابطنا معه رابطة
قلبية وهو أهل وليس
عنده أجنبية فنكتفى
معه بموافقة القلوب

(١) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد (٢) حديث نعم المون على تقوى الله المال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن النكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن النكدر مرسلان من طريقه رواه القاضي في مسند الشهاب هكذا مرسل (٣) حديث من أصبح معافى في بدنه أتمنى أن يربى عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٤) حديث تم للمون على الدين المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات البعد انقطع عمله إلا من ثلاث ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضمير ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وعالم يشوش عليه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تدفع هذه الشواغل بالمرء والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - ولا معنى للجاه إلى ملك القلوب كالأمة للتي لا ملك الدرامم ومن ملك الدرامم تسخرته أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكل يدفع الدتب عن ماعينه فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا التصديكان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطة يرعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لاهي قصد التناول من خزانهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بتأبئهم ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم الشجرة وشرف الأهل هو من التمس أم لا ؟ فأقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٢) ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيروا لنظفكم إلا كفاراً » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن ، قليل وما خضراء الدمن » قال المرأة الحسناء في الثبث السود (٥) ، فهذا أيضاً من التمس وأنتى به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة الملأ وإلى الصالحين والأبرار التوسمين بالعلم والعدل . فان قلت لما معنى الفضائل البدنية . فأقول لا يخاف بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

ونقع بها عن ملاقة الظاهرة بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمضى ليوف حته حسن الظاهر استوحش خلق الريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ قبيل لأي منصور للقرني كم صحبت أبا عثان قال خدمته لاصحبه فالصحية مع الإخوان والأقران ومع الشايع الحخدمة وينبغي للعريده أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الحضرة عليهما السلام كيف كان الحضرة يفعل أشياء

(١) حديث ماله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى افتقر إلى الحرب والهجرة البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت لني صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لعبت من قومك وكان أشد ما لعبت يوم القبة إذ عرضت نفسي ل ابن عبدالمطلب والحديث في الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس قد أخذت في الله وما يخاف أحد ولا يؤذي أحد وقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومال وبلال طعام بأكله ذكيد لا شيء يواريه بطلال قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال والبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أحد ماصنع الشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبخاري وأبو يعلى من حديث أنس قال قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلك أشقون رجلا أن يقول ربي الله وإسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائي والحاكم من حديث أنس بسند صحيح (٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة الأصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث وائلة بن الأسقع مرفوقا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من ولد إبراهيم اصطفى ولهم من حديث العباس وحسنه وابن عباس والطلب بن ربيعة وصححه والطلب بن أبي وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله أنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موصلاً (٤) حديث خيروا لنظفكم إلا كفاراً من حديث عائشة ونظم في النكاح (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضاً .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أفضل الساعات طول العمر في طاعة الله تعالى (١) وإيمان يستقر من جلته أمر الجبال فيقال يكنى أن يكون الدين سلبا من الأمراض الشاغلة عن تحري الحيراث ، ولعمري الجبال قليل الضياء ولكنه من الحيراث أيضا أما في الدنيا فلا يغني نعمة فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن التيسير مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجبل إلى الإجابة أقرب وجهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه يحتاج مبلغ كماله والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يتقدر الجبل الوجه على تنجيز حاجات لا يتقدر عليها التيسير وكل ممن على قضاء حاجات الدنيا فعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجبال في الأكثر بدلة على فضيلة النفس لأن نور النفس إذ يتم إنشائه تأدى إلى البدن فالنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة كرام النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ، ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنعم ، ولذلك قيل طلعة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافي ، واستعرض للأموث جيشا غرض عليه رجل قبيح فاستطقه فاذا هو ألكن فأسقط اسمه من المديون وقال الروح إذا أشرفت على الظاهر فصباحة أو على الباطن فصباحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «اطلبوا الخير عند صلب الوجود» (٢) وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بستم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم ، وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات الصالحين فأحسنهم وجهها أولام بالامامة ، وقال تعالى معتادك وزاده بسطة في العلم والجسم - ولنا نفي بالجمل ما عرك الشهوة فإن ذلك أنوثة وإيمان نفي به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتسايب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا يتنبوا الطباع عن النظر إليه . فإن قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وكذا العلماء قال تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاخذروهم - وقال عز وجل - إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال في كرم الله وجهه في ذم النسب : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه ، وقيل للرء بنفسه لأبويه فامنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ النقول المثلثة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه ثم معنية على أمر الآخرة لأسبيل إلى جدها لأن فيها فتنا وخاف ، فقال اللال مثال الحية التي فيها تريق نافع وسم نافع فإن أصابها العزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن مهابط طريق استخراج تريقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى الفر فمى عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أمتاف الجواهر والآلى : فن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق القوص وطريق الاحتراز عن

(١) حديث أفضل الساعات طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولترمذى من حديث أبي بكر أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما من طالع عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسن الوجود أبو يوسى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأمها لا أعرف حالها ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء واليهيقي في الضعيف من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ذم المال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ماذنيان جاثمان أرسلنا في غم يأخذ لها من حب المال والشرف لمديه وقد خدم في ذم المال والبلبل .

ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرهما يرجع موسى عن إنكاره فأيضا ينكره الرب لثقله على حقيقة ما يوجد من الشيخ فليشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة . سأل بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد فأجابته الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فإن لم تؤمنوا لي فاعزلون وقال بعض الشافعيين لم يظلم حرمه من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب ، وقيل من قال لأستاذة لا ، لا يطلع أبدا . أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي

مهلكات البحر قد ظفر بنمه ، وإن خاضه جاهلا بذلك قد حلك فذلك مدح الله تعالى اللال
وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم المؤمن على شوى الله تعالى اللال »
وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله
وبيه في قلوب الخلق وهو للشيء بالجاه ولكن النقول في مدحها قليل وللتقول في ذم اللال والجاه
كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك
القلوب وإنما كثر هذا قول ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لجة اللال وطريق
القوس في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم اللال قبل الوصول إلى تزيانه ويهلكهم
تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانوا في أعينها مذمومين بالاضافة إلى كل أحد لما
تصور أن يضاف إلى النبوة لذلك كان رسولنا صلى الله عليه وسلم ولأن يضاف إليها الشيء كان
لسلمان عليه السلام فاناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والمرافون معزومون قد ضلوا
ملايض العزم ، نعم العزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجدسيه تعلم أنما لو أخذها لأجل
تزيانها لا تقي به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلب بها فبهلك فله غرض في التزيان وله غرض في حفظ
الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في التزيان يفرغه في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن
التزيان ولا يتضرر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي وبسط ضرره جهلا كه فواجب
عليه أن يهرب من الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالحرب ويضع صورته في عينه ويعرفه أن
فيها ساء فالا لا ينجو منه أحد ولا يحدته أصلا بما فيها من تقع التزيان فان ذلك ربحا يره فقدم عليه
من غير تمام الفرقه وكذلك التواضع إذا علم أنه لو فاضل في البحر جبرأى من ولده لا يمتدحه فواجب
عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والهر ، فان كان لا ينجو الصبي بمجرد التزجر مهما رأى والده
يعوم حول الساحل فواجب عليه أن يعد من الساحل مع الصبي ولا يرب منه بين يديه فسذلك
الأمة في حبر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والأغنياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم
مثل الوالد لولده » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تنهاون على النار تنهاون على الفرائس وأنا تأخذ
بجزكم » (٢) وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهلاك فانهم لم يشعوا إلا ذلك وليس لهم في اللال
حظ لا يقدر القوت فلا جرم انحصروا على قدر القوت وماض فلم يسكوه بل انقضوه فان الإخاق
فيه التزيان وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب اللال ورغبوا فيه لما ألوا إلى سم الامساك
ورغبوا عن تزيان الاقاف فذلك قبض الأموال والتمس بهيج إسكها والحرس عليها لا يستكثر
منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذا أنها تأخذها بتدرك الكفاية وصرف الفائض
إلى الحريات فليس بمنوم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا قدر زاده في السفر إذا صم العزم على أن
يخص بما يحمله . فأما إذا صحت نفسه بطعام الطعام وتوسع الزاد على الرقاء فلا بأس بالاستكثر
وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الزاد » (٣) معناه لا تشكم خاصة

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد
الجسراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن كوني
مات كنتكم وإذا
حدثكم غداوا عني
فإنما هلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبياءهم »
قال الجنيد رحمه الله
رأيت مع أبي حفص
اليسابوري إنسانا
كثير السم لا يشككم
فقلت لأصحابي من هذا

- (١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
- (٢) حديث إنكم تنهاون على النار تنهاون على الفرائس وأنا تأخذ بجزكم صحيح من حديث
أبي هريرة بلفظ مثل ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب
والفرائس يقعن فيه فأتا تأخذ بجزكم وأتم فتعتمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأما تأخذ بجزكم
من النار وأتم فتهتتون من بدى (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الزاد وأبى ابن ماجه

وإلا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويصل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد وغيره في موضعه ولا يمسك منها حبة * ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فزول جبريل عليه السلام ، وقال : مه بأن يعلم للسكين ويكسو المارى ويرى الضيف (١) الحديث . فأذن الترمذي في مشيئة قد استخرج دواؤها بدلتها وصرجوها بخونها وشعبها بسرهما فمن وثق يصبرته وكال معرفة أنه أن يقرب منها متقيا دامها ومستخرجا دواها ، ومن لا يثق بها فالجهد والبذل والفرار القرار من مظان الأخطار فلا تملد بالسلامة شيئا في حق هؤلاء . وهم الخلق كله إلا من عصمه الله تعالى وهدهد لطرجه . فان قلت : فما معنى الترمذي التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد . فأعلم أن التوفيق لا يستثنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتفريق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلهاد عبارة عن الليل فخصص بمن ماله إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد لادخاله بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله لفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتباه

فأما الهداية فلا يسيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينصف مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والتدبر والأبواب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى - ربنا نادى أعطى كل شئ . خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكن من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم * ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أى هدايته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا (٢) . والهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أتم الله تعالى به على كافه عبادته بصفه بالقل وبصفه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وأما نود فقد يتناهم فاستجوبوا للعلم على الهدى - فأبواب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر القول وهي مبدولة ولا يمنع منها إلا الحسن والكبر والنداء والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - فاتها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة المعينات الإلهية والمادة وحسب استصحابها وعنه البشارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة وقال مثل زاد الرأب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أنسباخه غير مسمين وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الرأب (١) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فزول جبريل فقال مه بأن يعلم للسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا فيه خلاف بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة أن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله بفضل منوره وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث وانفقا عليه من حديث عائشة واخره بمسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قيل لي هذا إنسان
يصحب أبا حفص
ومحمدنا وقد أنفق
عليه مائة ألف درهم
كانت له واستدان مائة
ألف أخرى أنفقها عليه
مايسوغ له أبو حفص
أن يشكلم بكلمة واحدة
وقال أبو يزيد البسطامي
صحب أبا على السدي
فكنت ألقنه مايقوم به
فرضه وكان يملنى
التوحيد والحقائق
صرفا . وقال أبو عثمان
صحب أبا حفص وأنا
غلام حدث فطردنى
وقال لا تحاسنى عندى
فلم أجعل مكافأتى له على
كلامه أن أولى نظرى
إليه فانصرفت أمشى
إلى خلف ووجهى
مقابل له حتى غيب

- إنا وجدنا آياتنا على أمة - الآية وعن الكبير والحسد العبارة بقوله تعالى - وقالوا لولا هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أيسرا منا واحدا يتبعه فيه الصليبات هي التي منعت الاعتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي عبد الله تعالى بها البعد حالا وبد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وهو للراد بقوله تعالى: - والذين اهتدوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم الظلمات والولاية بعد كمال المجاهدة فيهدى بها إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإسكان قلم العلوم وهو الهوى للطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى - قل إن هدى الله هو الهدى - وهو للسمى حياة في قوله تعالى - أومن كان ميتا فأحييناه ورجلنا له نوراً يمشى به في الناس - والحق بقوله تعالى - أفمن نرحم الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فمضى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصد فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتقر عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكناه عاقلين - فالرشد عبارة عن هداية باقية إلى جهة السعادة محركة إليها فالصبي إذا بلغ خبيراً يحفظ المال وطرق التجارة والاستمالة ولكنه مع ذلك يدر ولا يرد الاستمالة لا يسمى رشيداً لالتمه هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك دواعيه فكأن من شخص يقدم على ما يملك أنه يضربه فقد أعطى الهداية ويميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضربه ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بمجرد ما لا تنكفي بل لا بد من هداية محركة لا داعية وهي الرشد والرشد لا ينكفي بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم الترادف مما انبثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتسيقظ وتحرك والتسديد إغانة وتصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع لكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالصبر من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو الرادة بوله عز وجل - وإذا يدك روح القدس وتقرب منه الصمة وهي عبارة عن وجوده إلى يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كائن من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله تعالى - ولقد هممت به ونمى بالولان رأيت رهاً ربه - فهذه هي جامع النعم وإن تثبتت إلا بما يؤله الله من الفهم الصافي والتائب السمع الواعي والقلب البصير التواضع للرأى والملم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن الهبات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعزم الذي يصونه عن منه السفاه وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخر إلى دليل التبريرين ومطلب التشعيرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا تختمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها أنموذجاً ليطلع به معنى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والله التوفيق.

عنه واعتقدت أن أحسن نفس يبرأ على بابها وأزل وأشد فيه ولا يخرج منه إلا بأذنه ففكرت في ذلك من قريب وتقبلت وصبري من خواص أمحاه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن للرشد لا يستعجده مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فإن للرشد من شأنه التبذل للخدمة في السجادة إجماع إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في البيع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد الغيظ وهيبة الشيخ تخلك المسريد عن الاسترسال في البيع وهتيد واستخرقه في

(بيان وجه الأعوذ في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعت النعم في ستة عشر ضرباً ورجلنا نعمة البدن نعمة النعم الواصفة في الرتبة الثالثة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستعصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة بقدر عليها ولكن الأكل أشد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فدل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو أكلها ولا بد لها من قدرة على

الحركة ولابد من إرادة للحركة ولابد من علم بالمراد وإدراك له ولابد للأكل من مأكول ولابد
للمأكول من أصل منه يحصل ولابد له من صانع يصلحه فلذلك ذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الارادات
ثم أسباب القدرة ثم أسباب الأكل على سبيل التلويح لاسي سبيل الاستقصاء .

(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكل وجود من الحبوب والدر والجلد والنحاس وسائر الجواهر التي
لا تنسى ولا تحصى فإن النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في
الأرض وهي له آلات فيها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تلتظأ أصولها ثم
تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب إلى عروق شجرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تخيب عن البصر إلا
أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يكنه
طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة للطلوب وبالتنقل إليه والنبات عاجز عن
ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى
ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خانت
لك حتى إذا استكنت نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا
يتصور حيوان إلا ويكفون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس يحوان وأشخص درجات الحس أن
يحس بما لا يلامسه ويماسه فإن الاحساس مما يعبد منه إحساس أتم للاحالة وهذا الحس موجود لكل
حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للهرب لالكليات فان النبات يقطع
فلا ينقبض إلا بحس يقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على
طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل مامس يدرك فحس به فتجذب به إلى نفسك فقط فاقترحت إلى
حس تدرك به ما بعد عنك خلق لك الشم لأنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية
فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فرما تثر على الغذاء الذي شممت ربحه وسمعت ربحه وسمعت ربحه
في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا خلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك به ما قصدت لك
الجهة بينها لأنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر
غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأمام عينيك وبينه حجاب فلا تبصره
وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب المدفوع فتبصر عن الحرب تنطلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من
وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك البصر إلا شيئا حاضرا أما الغائب فلا يمكنك
معرفة إلا بالكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فتشتد إليه حاجتك فخلق لك ذلك
ويزوت فهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان ينبغي لو لم يكن لك حس التذوق إذ يفسد الغذاء
إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتلك الشجرة تصب في أصلها كل ما عذ ولا ذوق لها
فتجذب وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكتفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر
يسمى حسا مشتركا تتأذى إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولا لطل الأمر عليك فانك إذا
أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرعا فالله لك قرنته فاذا رأته مرة أخرى فلا تفرق أنه مرع مرام فتلذذ
ثانيا لو لالحس المشترك إذا لم ينصر الصفرة ولا تدرك الحرارة فكيف تتجنب عنه والذوق يدرك الحرارة
ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والحرارة جميعا حتى إذا أردت الصفرة حك بأنه
مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لا شاة هذه الحواس كلها لو لم يكن لك
إلا هذا لكنت ناقصا فان الهمزة يحال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف

الشيخ بالنظر إليه
ومطالعة موارد فضل
الحق عليه اتبع لمن
الإسقاء إلى السباع ومن
الأدب أن لا يكتم على
الشيخ شيئا من حاله
ومواهب الحق عنده
وما يظهر له من كرامة
وإجابة ويكشف
لشيخ من حاله ما يعلم
الله تعالى منه وما
يستحي من كشفه
يذكره إيماء وتقريرا
فإن المراد من أنطوى
ضميره على شيء
لا يكشفه للشيخ
تصريح أو تقريرا
بصر على باطنه منه
عقدة في الطريق
وبالقول مع الشيخ
تجمل العقدة وتزول
ومن الأدب أن

تتخلص إذا قدمت وقد تلقى نفسها في بر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البيضة ما تشاءه في الحال ويضرها في ثاني الحال تعرض وتموت إذ ليس لها إلا الاحساس بالحاضر فأبادر إلى العواقب فلاه فترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضره الألعمة ومنفعتي في الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في علمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقا فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار للوكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بامر يخص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخسنة وللالة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتضون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحسن المشترك في حقا المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي عتومة ويسلمها لإذليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب الماقل الذي هو الأمير والملك سلم إليها آت إليه عتومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام بحجة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والصلاح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تمن له فهذه سبابة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظن أننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها تسج السكبوت وبعضها كالشعيرة وبعض تلك الرطوبات كأنه يابض البيض وبعضها كأنه الجلد ولكن واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدور وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وهجز عنه الأطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد نفس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمة في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة نعم أن جملة لا تزيد على جورة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى خلق الادراكات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إلى المشوبهة تستشك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أتعن الأشياء لو قد سقطت شوهته فلا تناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطرت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة وضره عما يخالفك تسمى كراهة تتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلاها بك كالتفاض الذي يضطر إلى تناول حتى تتناول وتغذى فيبقى بالتغذية وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها لا تالزع فانه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يغد فيحتاج إلى أدمى بقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به يدك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نفسك ولو قصصنا عليك هجاب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صحة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومضى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لاتصفو سمعته ولا ينفذ القول فيه ولا يستمد باطنه لراية حال الشيخ إليه فان الريد كما أيقن نفرد الشيخ بالشيخفة عرف فضله وقويت محبته والمجبة والتألف هو الوساطة بين للريد والشيخ وعلى قدر قوة المجبة تكون سربة الحال لأن المجبة علامة التعارف والتعارف علامة المجنبية والمجنبية جالبة للريد حال الشيخ أو بعض حاله

دم الحىض وتأليف الجبين من اللى ودم الحىض وكيفية خلق الأثنين والعروق السالكه إليهما من القفار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تمتع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتتميز في بعضها فتتشكل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقه ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويدين ورجل وبطن وظاهر وساير الأعضاء لتقصيت من أنواع ثم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل المعجب فضلا عما تراه الآن ولكننا لسنا نريد أن نتعرض إلا لثم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهلكات من الجوابب فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك لقيت عرصة اللات فأت ولا تخدمنك كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشهى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعون إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في المال فلا تسكني فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل العرف للمواقب كالخلق للشهوات والغضب مسخرة تحت إدراك الحالى للدرك للعامة الحاضرة ثم بها انتفاعك بالمثل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تصرفك لا يفيك في الاحتراز عنها مالم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم كراما لئلي آدم كما أفردت بمعرفة المواقب وقد سمينا هذه الارادة بعاشا دينيا وفلسفا في كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا .

(الطرف الثالث في ثم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا ينفيد إلا الادراك والارادة لا معنى لها إلا لليل إلى الطلب والمهرب وهذا الكفاية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فك من مريض مشتاق إلى شيء يبيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه فقد رجليه أولا يمكنه أن يتناول له فقد يده أو قلعج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتسكون حركتها بتمتص الشهوة طلبا وتعقبى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فتهاوى للطلب والمهرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للانسان والقرون للحوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر أعداؤه ويعد غداؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح لطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها ما يذهب وذكر ذلك بطول فلذلك كالأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : فأثم الله تعالى عليك خلق الدين وما طويلتان تمتدان إلى الأشياء ومشتعلتان على مقاصل كثيرة لتحرك في الجهات فتند وتنتى إليك فلا تكون كشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف خمسة أقسام هى الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور إلى الأرضة الباقية ولو كانت خمسة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضعا بسطها كانت لك حمرة وإن صممتها كانت لك مفرقة وإن صممتها كانت لك آلة للهرب وإن شترتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أطقارا وأسند إليها راس الأصابع حتى لا تفتتحت حتى تنقطع بها الأحياء الدقيقة التى لا تحويها الأصابع فأخذها برؤوس أطقارها ثم هب أنك أخذت الطعام بالدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى المعدة وهى فى الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
سلجاني قال أنا أبو الفضل
حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال ثنا سليمان
ابن أحمد قال ثنا أنس
ابن أسلم قال ثنا عتبة
ابن رزق عن أبي
أسامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولاة يبنى
له أن لا يغذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد ضمم عروة
من عر الاسلام » ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جزئيات الأمور
وكلياتها ولا يستحقر
كراهة الشيخ ليعبر

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل القم منفذا إلى اللدنة مع مافيه من الحكم الكبير يسوى كونه منفذا للطعام إلى اللدنة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام تخلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لتطحن بهما الطعام لطحا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسور وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عرضة طواحين كالأضراس وإلى جادة قواطع كالزباجات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ثم جعل مفصل اللحين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر لأضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركا كحدودورة والحي الأعلى ثابتا لا يتحرك فانظر إلى عجب صنع الله تعالى فان كل رضى منه الخلق فثبتت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرضى الذى صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسيحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه. وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الاسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فانه بطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالخبرة التي تترد الطعام إلى الرضى هذا مع مافيه من فائدة اللدق ومحاجب قوة النطق والحكم التي لسانا تطب بذكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنه وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يترقى إلى الحاق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينجم به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإفك ترى الطعام من بعد فيثور المنحكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تحلب أشد ذلك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام اللطحن للتمعن من يوصله إلى اللدنة وهو في القم ولا تقدر على أن تدفعه إلى اللدنة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرعى والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لأخذ الطعام ثم تطبق وتتصغط حتى يتقلب الطعام ينضغط فيهرى إلى اللدنة فيدهليز للرعى فاذا ورد الطعام على اللدنة وهو خبز وفاكة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى اللدنة على هيئة قدر فقع فيها الطعام فحتوى عليه وتخلق عليه الأبواب فلا يزال لاينا فيها حتى يتم المعضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمدنة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأسر الطحال ومن قدام التراب ومن خلف لحم الصلب فتتدنى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير ما نأما متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف المروق وعند ذلك يشبه ما الشعر في تشابه أجزائه ثم وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من المروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد معمون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزائه الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصفيه بلون الدم فيستقر فيها رشا يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم السافي الصالح لتغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تضع هذا الدم فيقول من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداهما شبيهة بالبردى والمكر وهو الحاطط السوداء والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فقد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى للرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عتقا ممدودا إلى الكبد داخل في تجويفه

حركاته معتدا على حسن خلق الشيخ وكامل حله ومداراته. قال إبراهيم بن شيان كنا نصح أبابعد الله للرقى ونحن شيان وسافرنا في البرارى والفوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتخير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان . ومن أدب الربيد مع الشيخ أن لا يستغل بوقاته وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه الفتوح إلى الله أكبر

فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداء فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لحافيه من اللبائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء خلق الله سبحانه السكتين وأخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عتقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد حتى يجذب مايلها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتنبت قبل ذلك لفظ ولم يخرج من العروق فإذا انفصلت منه اللبائية قد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث تها من كل ما يغد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسم ما بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم يشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تنبر العروق للشفة شعرية كمروق الأوراق والأشجار بحيث لا تمك بالأيصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ولولحت بالمراة فة فل تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان واليثور والحمرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداء حدثت الأمراض السوداء كالبلق والجذام والبالخوليا وغيرها وإن لم تندفع اللبائية نحو السكى حدثت منه الاستسقاء وغيره ، ثم انظر إلى حكمة القاطر الحكيم كيف رتب النافع على هذه الفضلات الثلاث الحسيسة أما المرارة فاتها تجذب بأحد عتقها وتغذف بالنعق الآخر إلى الأمعاء ليحسد له في مثل الطعام رطوبة مزقة ومعدت في الأمعاء لدع يحركها للدفع فتضط حتى يندفع النفل وينزلق وتسكون صفرتة لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بمحومته وينبها ويثيرها ويخرج الباقي مع النفل وأما السكية فاتها تغذى بما في تلك اللبائية من دم وترسل الباقي إلى اللبائية وتلتصق على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولود كرتا كريمة احتياج الكبد إلى القلب والدماع واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضواري من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الأعضاء وعددها وعظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال السلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواء في الأرض أو في الفضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصفرة والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلة ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جعلها عرق متحرك أو غير عرق ساكن هلكت يأسكين فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف إلا ما يعرف الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فأأكل والجار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجاءع ويستنهض فينهض ويرجع فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الجار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا إليه على الإجازة قطر من بحر واحد من بحر نعم الله قطت نفس على الاجمال مأهدها من جهة ما عرفنا حذرا من المظول وجمل ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أن من عرق من بحر إلى أن من علم شيئا من هذا أعرك بمقمن معاني قوله تعالى - وإن تدعوا نعمة الله لا تحصىها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوامها وإدارتها وقواها بخار لطيف يتصاعد من الأخطار الأرضية ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضواري فلا يتبني إلى جزء من أجزاء البدن

فان كان واهية للريد من الله تعالى يواقة الشيخ وبعضها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة نزول شبهة الواهية بطريق الشيخ ويكذب الريد علما بصحة الواقع والكشوف فالريد لله في واقعة بخامره كون إرادة في النفس فيشتبك كون الإرادة بالواقعة منها كان ذلك أوقيطة ولهذا سر عجيب ولا يعود للريد باستتال خافة السكاكن في النفس وإدراكه للشيخ فاش في الريد من كون إرادة النفس مفقود في حق الشيخ فان

إلا وجدت عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حسي وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله من كل أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جبل السراج سبباً له بحكته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح وعمله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالسرجة والشم الأسود الذي في باطن القلب له كالفيتة والنفذ له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في حجرة البيت وكان أن السراج إذا انقطع زنه انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ معها انقطع غذاءه وكان الفتية قد تحترق وتصير رماداً بحيث لا تغيب الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الشم الذي تشتت به هذا البخار في القلب قد يحترق بخرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فإنه لا يغيب الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يغيب الرماد الزيت يقولوا تشتت النار به وكان أن السراج نارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه ونارة بسبب من خارج كزجاج عاصف فكذلك الروح نارة تنطفئ بسبب من داخل ونارة بسبب من خارج وهو العقل وكان أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتية أو برشح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنوار التي كان يستضيئها من الروح هي أنوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يحسها معنى لفظ الحياة فهذا بضار من جزئي عالم آخر من عوالم الله تعالى وبحجاب منتهى حركته لئلا يلهو لو كان البحر مداداً لكلمات ربك لند البحر قبل أن تنفذ كلمات ربك - عز وجل قصصاً لمن كفر بالله تصا وصحفاً لمن كفر نعمت سحفاً فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ ومثل عن الروح فلم يزد من أن قال - قل الروح من أمر ربي - (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه . فاعلم أن هذه غفلة عن الاعتراك الواقع في لفظ الروح فإن الروح يطلق لحيان كثيرة لا تطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلها جساماً لطيفاً تسميه الجواهر وحاو قد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانها في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علواً أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يصلون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها وما لجونها بما يفتح السدة فإن هذا الجسم بطهه ينفذ في شبك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقى إليه معرفة الأطباء فأمر سهل نازل . وأما الروح التي هي الأمل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فكذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال تعالى - قل الروح من أمر ربي - والأمور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تحجب فيها عقول أكثر الخلق وأما الأوهام والحالات فغاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات وتبطل في ذكر مبادئ وصفها ما قد العقول القليلة بالجواهر والمرض المحبوسة في منصفها فلا يدرك العقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يتبرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية فيسببه إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والحيل وتد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الحي المحسوسات ولا يدرك العقولات لأن ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ العقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه بعد

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان ينزع واقته إلى كون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة الريد ويتجمل الشيخ مثل ذلك لقوة حاله وحمة إيوائه إلى جناب الحق وكما معرفته ومن الأدب مع الشيخ أن الريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دينه لا يستجيب بالإقدام على مكاتبة الشيخ والمجود عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولما كان كلامه متفرغاً فكان أن لدهاء أوقافاً وأدباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح بحايف القلب .

وإنه لهام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك للشراب أعز من أن يكون شرعة لسلك وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولباب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رجب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحالة أن يصل للبدان فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من المشاهدات العالية وذلك قيل من لم يعرف حقه لم يعرف ربواً تصادف هذا في خزنة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل التي للشيء روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يجرها سولجان لذلك بالإضافة إلى ذلك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يجرها سولجان لذلك فظن أنه رأى لذلك ولا يشك في أن خطأه فاحش وهذا الخطأ ألغى منه جدا ولما كانت القول التي بها يحصل التكليف وبها تترك مصالح الدنيا يقولوا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبته وفضله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربى - وأما فضله فقد ذكر في قوله تعالى - يأيتها النفس اللطيفة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلنى جنى - ولترجع الآن إلى الفرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آيات الأكل .

(الطرف الرابع: في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأكلمة)

وتصير صالحة لأن يصلحها الأذى بعد ذلك جنته)

اعلم أن الأكلمة كثيرة وفيه تعالى في خلقها عجائب كثيرة لأخصى وأسباب موابلة لا تنتهي وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الأكلمة إما أموية وإما فواكه وإما أغذية فلأخذ الأغذية فانها الأمل ولأخذ من جملتها حبة من البر ولتسع سائر الأغذية فتقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها قيتت وبقيت جاما فما أوجبك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تنمو بتمام حاجتك خلق الله تعالى في حبة الحنطة من التوى ما يتخذى به كما خلق فيك فان النبات إنما يشارك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاختفاء لأنه يتخذى الماء ويمتدب إلى باطنه بواسطة العروق كما تتخذى أنت وتجنب ولست تطلب في ذكر آيات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشر إلى غذائه . فتقول : كما أن الحشب والتراب لا يخفيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتخذى بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس محيط بها إلا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لتغذائها ولو تركتها في اللاء لم تزد ولو تركتها في أرض الماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى - فينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبنا للاء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا ونباتا وفضاير وتوتوا ونخلا - ثم لا يكتفى للاء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة مترا كما تم تبيت لقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة يتخلل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بهجر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - وإيضا لإقاصها في إيغاف الأزواج بين الهواء والاء والأرض ثم كل ذلك لا يكتفى لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج إلى حرارة والرياح والصفى قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج للاء لينساق

فقل قول مع الشيخ أيضا
أدب وشروط لأنهم
معاملة الله تعالى وبسال
الله تعالى قبل الكلام
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد نيه الحق سبحانه
وتعالى على ذلك فيما أمر
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
عاطفته قال - يأيتها
الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول قدموا بين
يديكم سجدة
بني أمام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأكثروا حتى شقوا
عليه وأخفوه بالمسكة
فأدبهم الله تعالى
وفطمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار والعيون وأنهارها من الأرض ثم الأرض ربما تكون مرعقة وللهاء لا ترتفع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى التروم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باده إلى أقطار الأرض وهي سحب تعال حولها لماء ثم انظر كيف رسمه مدرارا على الأرض في وقت الريح والحريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظا للهباء تنجر منها العيون تدرجها فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع والواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحساؤها وأما الحرارة فأنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخّر الشمس وكيف خلقها مع مدحها على الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فلهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في القواكه استفاد وصلاية فتنفر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج القواكه ويصنها بتقدير القاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت ناسفة ناسفة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتظلم على رأسك الرطوبة التي يمر عنها بأزمار فكما يرطب رأسك يرطب القواكه أيضا ولا تغول فيما لا مطمع بل استقصاته بل تقول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كاستخرا الشمس للتسخين والقمر لترطيب فلا تغلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تقي قوا البشر باحصائها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقوله عز وجل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين - وكأأنه ليس في أعضاء بدنك عضوا لا فائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشيء واحد وأحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن نظن أن الأعيان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة عفاف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل للنهي عنه في النجوم أمرا : أحدها أن تصديق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يجربون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط بالظن فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلاف الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق وإسكان دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان ملك ثوب غسلته وتردد نجفائه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمل النهار والهواء لا يترك تكذيبه ولا يترك الإنكار عليه بحوائثه حتى

وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام يطلبون الفقراء على المجلس حتى كرهه النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند الحاجة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فلما أهل العرة فلاشهم لم يجدوا شيئا وأما أهل البصرة فدخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى - أشفقتن أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

(١) حديث النبي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس عن أقتبس علما من النجوم أقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وللطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإسنادها ضيف وقد تقدم في العلم والمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت لرسول الله أمورا كنا نصنعها في المجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث .

الماء على طلوع الشمس وإذا سألت عن تثير وجه الإنسان قال قرعنى الشمس في الطريق فأسود وجهى لم يلمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بضه معلوم للناس كافة كسكول الضياء والحرارة بطولع الشمس وبضه لبعض الناس كسكول الزكام بشرق القمر فاذا الكواكب ماخلفت عتبا بل فيها حكم كثيرة لأخصي ولهذا «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ماخلفت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سيلته (١) ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويتنصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه الهائم أيضا فمن قنع منه بتمرة ذلك فهو الذى مسح بها سيلته تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأقنص والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المجهول لله تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا يطلب صائفيه ليزداد مجزى الوقوف على عجائب خلقه جبا له فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه من تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تصبغت من تصنيف فلا تصبغ من الصنف بل من الذى - سخر المصنف تصنيفه بما أتم عليه من هدايته وتدريبه وتعرفه كما إذا رأيت لب للشمس ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلاتصحب من اللعب فاتها خرق محرركة لا تتحررك ولكن تصبغ من حلق الشموع المحركة لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذا للقصور أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأكلاكلة التى هى مركوزة فيها ولا يتم الأكلاكلة إلا بحركاتها ولا يتم حركاتها إلا بالإنسكة سبابة بحركاتها وكذلك يتبادر ذلك إلى أسباب يبيده تركنا ذكرها تنبيه بما ذكرناه على ما هملناه ولتقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : في نعم الله تعالى في الأسباب للصلة للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعدهم عنهم الأطعمة ويجول بينهم وبينها البحار والبرارى فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرس حب لبال وشهوة الربيع مع أنهم لا ينهم في غالب الأمر شي لم يجمعون فلما أن تخرق بها السفن أوتنها قطع الطريق أو يجوتوا في بعض البلاد يأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجبل والنفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربيع ويركبوا الأخطار ويضربوا بالأمواج في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البرارى وانظر إلى الابل كيف خلقت وإلى القرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب وإلى الجمال كيف تعطى البرارى وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليجلوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ماخلفت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سيلته أى ترك تأملها التلوي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يشكر فيها وفيه أوجه جواب يحيى بن أبى حبة ضعيف .

لم ينج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبى طالب قدم دينار اقتصد به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبل ولا يعمل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا عليا وقال ما ترى في الصدقة كم تكون ديناراً قال على لا يبطئونه قال كم قال على تكون حبة أوشيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نهى الحق عليه بالأمر بالصدقة وما فيه من حسن الأدب وتقيد اللفظ والاحترام

إلى الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما يحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حلة الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويشمادى ذلك إلى أمور خارجة عن المحضر ترى تركها طلباً للإيجاز .

(الطرف السادس : في إصلاح الأطعمة)

اعلم أن الله يثبت في الأرض من النبات وماخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر انحصى واستقصاء ذلك في كل طعام بطول فلقين رغيفاً واحداً ولننظر إلى محتاجنا إليه الرغيف الواحد حتى يستدر ويصلح للأكل من بدإلقاء البذرة في الأرض فأول محتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك الصمغ يسقي الماء مدة ثم تقي الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من تجار وحداد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والراس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار وللعادن وكيف جبل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فان قشقت علفت أرغيفاً واحداً لاستدر بحيث يصلح للأكل يامكبن ما لم يصلح عليه أكثر من ألف صانع فابدى من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة اللائحة حتى تنتهي التوبة إلى عمل الانسان ، فاذا استدبر طلبه قرب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصول الصانع التي تهايم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات حتى انتهى إلى الأبرة التي أصغرت فاعلمتها خياطة اللباس الذي ينع البرد عنك لاتكسل صورتها من حديثة صلح للآلة لا يد أنمر على يد الأبري خمساً وعشرين مرة ويتماطى في كل مرة منها عملاً ، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد واقتصر إلى عمل اللبيل الذي تعصب به البرملا بعد نباته لقد عمرك ومجرت عنه . أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة قدرة لأن يصل هذه الأعمال المبيدة والصنائع الثرية فانظر إلى اللقراض مثلاً وما جلمان متطابقان ينطق أحدهما على الآخر فيقولان الشيء مما ويقطعاه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق أخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا واقتصرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرتنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يصلح للقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوى أكل العقول قصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسيحان من الحق ذوى الأبصار البعيان وسيحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخص الصالح أو عن الخائف أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أموروك كلها ، فسيحان من سخر بعض العباد لبعض حتى هذت به منبشه وتعت به حكته . ولننجز القول في هذه الطبقة أيضاً فان الفرض التنبيه على التمع دون الاستقصاء .

(الطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصناع الصالحين للأطعمة وغيرها لو غرق آراؤهم وتافرت طبائعهم تافرت طبائع الوحش لتبدوا وتباعوا ولم يتنفع بشئ بل كانوا كالوحوش لا يحومهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد ، فانظر كيف آلف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمحبة عليهم ولو اهتقت مافي الأرض جميعاً

مانسخ ، والقائدة باقية . أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد ابن سلمان قال أنا أبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان ابن أحمد قال حدثنا مطلب بن شبيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال ثنا ابن لمجة عن أبي قبيل عن عباد بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعائننا حقه فاحترام العلماء توفيق وهذا بقوله إجمال ذلك خذلان وعقوق .

ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلا جُل إلا لفص وتعارف الأرواح اجتمعوا والتفتوا وابتغوا
 المدن والبلاد ورتبوا المساكن والحدود متقاربة متجاورة ورتبوا الأوقاف والحانات وسائر أصناف البقاع
 مما يطول إحصاؤه ثم هذه الحبة تزول بأغراض يترأخون عليها ويتنافسون فيها في جيلة الإنسان النبط
 والحدس وللنافسة وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتناثر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدم
 بالقوة والعدة والأسباب وألقى عليهم في قلوبهم الرأى حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها كيف هدى السلاطين
 إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينفع
 البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون
 العدل وأزموهم التساعد والتعاون حتى صاروا الحداد ينفع بالقصاب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم ينفعون
 بالحداد وصار الحجام ينفع بالحراث والحراث بالحجام وينفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم
 واضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يشاؤون جميع أعضاء البدن وينفع بعضها ببعض وينظر
 كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أسلموا السلاطين الصالحين للرعاء وعرفهم قوامهم وقوانين الشرع في حفظ
 العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفتنة ما اعتدوا
 به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما رزقهم من إصلاح الدين وانظر كيف أسلم الله تعالى الأنبياء باللائكة
 وكيف أسلم اللائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك القرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى
 فالخازن يحضر الميعين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلح الحصد بالحداد يصلح آلات
 الحراثة والتجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات الصالحين لآلات الأعمدة والسلطان
 يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم العلماء يصلحون السلاطين واللائكة يصلحون
 الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ
 كل ترتيب وتأليف وكل ذلك ثم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى
 - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - لما اهتدينا إلى معرفة هذه البنية البسيرة من نعم الله تعالى ولولا
 عزله إيانا عن أن نطعم بعين الطمع إلى الإحاطة بكنهه نعمته لتشوقنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه
 تعالى عزنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى - وإن تعدوا نعمته الله لا تحصوها - فان تكلمنا بقاذه انبسطنا
 وإن سكنا فقهره اقتبضا ، إذ لا مطنى لما منع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات
 العمر قبل الموت نسمع بنعم القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحد
 لله الذي ميزنا عن الكفار وأمعنا هذا النداء قبل اقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللائكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك سابق من نعمة الله في خلق اللائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ
 الوحي إليهم ولا نطق أنهم مقصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات اللائكة كم كثرتها ورتب مراتبها
 تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات : اللائكة الأرضية والسموية وحملات العرش . فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك
 فيما يرجع إلى الأكل والنفاء الذي ذكرنا مدون ما يجاوز ذلك من الهدايا والارشاد وغيرهما . واعلم أن كل
 جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يفتدى إلا بأن يוכל بمسح من اللائكة هو الله في عشرة
 إلى مائة إلى ماوراء ذلك ويأمنه من الفناء أن يقوم جزء من النماء مقام جزء وقد تفسد ذلك الفناء جبر
 دما في آخر الأمر ثم يصير لحما وعظما وإذا صار لحما وعظما ثم اغتذوا بالدم والحمم أجسام ليس لها قدرة
 ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأعضائها ولا تنقبض بأعضائها مجرد الطبع لا يكتفي في ترددها في أطوارها كما
 أن البر ينفسه لا يصير طعنا ثم يحيا ثم يموت مستدبرا غير أن الإصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما

[الباب الثاني والآخر
 في آداب الشيخ وما
 يستعمل مع الأصحاب
 والتلامذة]

أم الآداب : أن
 لا تعرض الصادق
 للتقدم على قوم ولا
 تعرض لاستجلاب
 بواسطهم بلطف الرفق
 وحسن الكلام عبة
 للاستتباع فإذا رأى
 أن الله تعالى يمت
 إليه السريدين
 والمسترشدين بحسن
 الظن وصدق الإرادة
 عذر أن يكون ذلك
 ابتلاء وامتحانا من
 الله تعالى والنفس
 مجبولة على محبة إقبال
 الخلق والشهرة وفي
 الجحون السلامة ، فالبلغ
 الكتاب أجهلوا وتغن

وعظما وعروفا وعصبا إلا بصاع والصناع في الباطن هم الثلاثة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمة طاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تنفل عن نعمة الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفائض عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلقى ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى التقادير في الإصاقي فيلحق بالمستدير ملا يبطل استدارته وبالعرضي ملا يزيل عرضه وبالحوفي ملا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غفده لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقت له بل يبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحديقة مع صفاتها وإلى الأنفخاد مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يلبس بكل واحد منها من حيث القدر والشكل ولا بطلت الصورة وربما بعض الواضع وضعف بعض الواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينبو به إلا إحدى الأرجاء من ثلاث بقيت تلك الرجل كما كانت في حد الضر وكبر جميع البدن فكنت ترى خضفا في ضحاقرجل ورجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فراعاه هذه الهندسة في هذه القسمة فمؤنة إلى ملك من الثلاثة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان يحمل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الثلاثة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي النعم تتفرد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للاجواز والملازمة الأرضية مدداهم من الثلاثة الساجدة على ترتيب معلوم لا يحيط بكفه إلا الله تعالى ومدد الثلاثة الساجدة من حملة العرش والنعم على جلهم بالتأييد والهداية والتسديد المهين القدوس المنفرد بالملك والملكوت والمنة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام والأخبار الواردة في الثلاثة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجز من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فذلك تركنا الاستنباط به . فان قلت ففلا فوضت هذه

(١) حديث الأخبار الواردة في الثلاثة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجز من جانب إلى جانب انتهى . وفي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اتهم وفيه حتى آت السماء الثانية فقال لحازنها اتهم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أممي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد ياليل فنادا ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبئت إلا تحتها ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو عمر البكر الأدي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاما هائلا في النظر إلى من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة يزولون في كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الغزاة إلا دابة في عنقها جرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قال النبوة يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب ولهم من حديث أبي هريرة بينا رجل يخلد من الأرض سمع صوتا من سحابة اسقى حديقته فلان فتتبع ذلك السحاب فأفرغ مائه في حرة الحديث.

العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكملهم حينئذ كلام الناصح المشتق والدولة له بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله تعالى إليه . راجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجوء إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يشكك مع المرید بالسكينة إلا وقبله ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للضوابط من القول سمعت شيخنا بالذبيب السهر وردي رحمه الله يوصي بعض أصحابه ويقول لانسلكم أحدا من الفقهاء إلا في أقصى

الأفضل إلى ملك واحد ولم أقتر إلى سرعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولئك إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانياً ، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثاً ، ثم إلى من يعبئ رابحاً ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامساً ، ثم إلى من يرقها رغفاً ناعماً سادساً ، ثم إلى من يصبها بالنور سابغاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهل كانت أعمال اللائكة بأطناء أعمال الانس ظاهراً ؟ فاعلم أن خلقه اللائكة تخالف خلقه الانس وما من واحد منهم إلا هو وحده في الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إله واحد ، وإليه الإشارة قوله تعالى - وما من إله إلاه مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالمهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس فإن البصر لأزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم لأزاحم البصر في إدراك النعم والشم وليس كاليد والرجل فانك قد تطبق بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً قزاحم به اليد وقد تقرب غيرك برأسك قزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والحزب فإن هذا نوع من الأعوجاج والدولج عن العدل سيء اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني القمل ولذلك نرى الإنسان يطعم الله مرة ويصبه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع اللائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للصبيحة في حقهم فلا يعرفون إلا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراعي منهم راعي أبداً والساجد منهم ساجد أبداً والثاني قائم أبداً لاختلاف في أفعالهم ولا قنور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك ، فانك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجناف لم يكن للجنح الصبح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومصيبتك أخرى بل كأنه منظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلاً بإشارتك فهذا يشبه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذ الجنح لا يحل له بما يصدر منه من الحركة قنحاً وإبطافاً واللائكة أحياء معلون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في اللائكة الأرضية والسموية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ماعدها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها ، فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم وبجوامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحت جماع الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله تعالى نعمة عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإثم وباطنه - فترك باطن الإثم لما لا يعرفه الخلق من الحمد وسوء الظن والبدة وإضار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر لثمن الباطنة وترك الإثم الظاهر الجوارح شكر لثمن الظاهرة ، بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في تطرفة واحدة بأن قصه منه ملاحية يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى اللائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملة نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضاً به فان الله تعالى في كل تطرفة بالجنح نعمتين في نفس الجنح إذ خلق تحت كل جنح عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجنح الأعلى وارتفاع الجنح الأسفل وعلى كل جنح شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يغرق الضوء والوداد بجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفاء واحداً أن يكون ما تنالها من اليبس إلى باطن العين ومتشرباً لاقتداء التي تتماثر في الهواء وله في كل شجرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصيبها وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصير فيجمع الأجفان مقدار ما تشاك الأهداب فينظر من وراء شبك الشر فيكون شبك الشعر ما ناه عن وصول القذى من خارج وغير ما منع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار قد خلق

أوقاتك ، وهذه صفة نافعة لأن الكحة تنفع في مع الربد الصادق كالجبة تنفع في الأرض وقد ذكرنا أن الجبة الفاسدة تهلك وتضعب وفساد جبة الكلام بالموى وقطرة من الموى تكدر مجرا من العلم فنصد الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما أن اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند البصير فيكون ناظراً إلى الله معنياً إليه متلقياً ما يرد عليه مؤيداً للأمانة فيه ثم ينبغي

أطراف الأنفان خادمة منطقية على الحدقة كالصلاة للفرأة فيطيقها مرة أو مرتين وقد انصرفت الحدقة من التيار وخربت الأقداء إلى زوايا العين والأنفان والذباب لما لم يكن لحديثه جن خلقه يدبر قراء على الدوام يسبحهما حديثه ليصلقهما من التيار وإذا تركا الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقاربه إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولما نساخه كتاباً صودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسبه بمجائب صنع الله تعالى ، ففرحنا إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم فقد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجنان ولا تقوم إلا بين ولا بين ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالبقاء ولا الغذاء إلا بالبقاء والأرض والهواء والطرو والنسيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكل كاشي الواحد وربط البصير منه بالبصير ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فأنه قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الترتيب إلى منتهى الترتيب فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا لاجد إلا ويطهه وذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلهم إذا تفرقوا أو تستغفرهم (١) وكذلك ورد في العلم باستغفر له كل شيء حق الحوت في البحر (٢) وأن اللائكة يملنون الصاة (٣) في أنماط كثيرة لا يمكن إحصاؤها وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطرفة واحدة جن على جميع مافي الملك وللكتوب وقد أهلك نفسه إلا أن يقع السبئية بحسنه تحوّلها فيقبل العين بالاستغفار فصي الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبد لي من الآدميين إلا وسمه ملكاً فإذا شكرني على نعمائي قال للسلطان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكمن من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندى آنى أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبيعان عليهم والآلات تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفتين نعمة فاعلم أن في كل شيء ينسب وتبعض نعمتين إذا بناسطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك وبأخاضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدت متنفسه لاحترق قلبه باضطباع روح الهواء وبرودته عنه هلك بل اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف شيء وكل شيء قريب من عشر لحظات فليكن في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فأنظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شجرة من جسدي نعمتان أن لفت أصلها وأن طمست رأسها وكذا ورد في الآثار أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه وشربه فقد سل على وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع إلى اللطيم وللشرب فاعتبر ما ساء من النعم به فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده ولا يتحقق أن له فيه نعمة عليك فلذلك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطعم .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا بالجهل والفتنة فأنهم أعمى بالجهل والفتنة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحدقة الشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين العريتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم لم أجده أصلاً (٢) حديث إن العالم يستغفره كل شيء حق الحوت في البحر تخدم في العلم (٣) حديث إن اللائكة يملنون الصاة قسّم من حديث أبي هريرة لللائكة تملن أحداً إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه .

الشيخ أن يعتبر حال للردين ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحاته واستمداده فمن للردين من يصلح لتبديد الخس وأعمال القلوب وطريق الأبرار ومن للردين من يكون مستعداً صالحاً للقرب وسلوك طريق للتقرب المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الأبرار والتقريب مباديهايات فيكون الشيخ صاحب الاشتغال في البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعباد الصالحين

واستلاء الشيطان . أما النعمة عن التمجيد فهي أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجلمهم لا يدون مايج
 الخلق وسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من التمجيد لأنها عامة
 للخلق منبوذة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يجده نعمتولا
 تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختلهم لحظة حتى أطلع الهواء عنهم ما توألو وحسوا في
 بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء قتل برطوبة للناس ما توألو تخافان ابتلى واحد منهم حتى من
 ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكرا لله عليها وهذا غاية الجمل إذ صار شكرهم موقوف على أن تسلب
 عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال الأولى بأن تشكر في بعضها فلا تترى
 البصير يشكر صحة بصره إلا أن تصمي عينه فقد ذلك لو أعيد عليه بصره أحسب يشكر موعده نعمة
 ولما كانت رحمة الله واسعة بهم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يجدوا الجاهل نعمة وهذا الجاهل
 مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تخلد به متفان ترك ضربه على الدوام
 غلبه البطر وترك الشكر صار الناس لا يشكرون إلا للثال الذي يطرق الاختصاص إليهم من حيث
 الكثرة والقلعة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كأشكا بعضهم قهره إلى بعض أبواب البصائر وأظهر
 شدة اغتيابه به قال لا يسرك أنك أعمى ولا عشرة آلاف درهم قال لا قال يسرك أنك أخرس
 ولا عشرة آلاف درهم قال لا قال يسرك أنك أنقطع الدين والرجلين ولا عشرة آلاف قال لا
 قال يسرك أنك مجنون ولا عشرة آلاف درهم قال لا قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله
 عندك عروض نجسين أقام . وحكى أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام
 كأن قائلا يقول له تود أنا أنيسناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة
 هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا فصدق عليه سورة ثم قال فلك قيمتها ألف دينار وأنت تشكو
 فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن السكك على بعض الخلفاء ويده كوز ماء وشر به فقال له عظمي قال
 لو لم تعط هذه الشربة إلا بثلث جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم هالولم
 تعط إلا بملكك كله فهل كنت تركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا بين
 نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة
 إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة ، وقد ذكرنا التمجيد العامة فلندكر إشارة وجيزة إلى التمجيد
 الخاصة فنقول ما من عبد إلا ولو آمن النظر في أحوال الرأى من الله نعمة أو نعم كثيرة تخصه لا يشاركة
 فيها الناس كافة بل يشاركة عدد يسير من الناس وربما لا يشاركة فيها أحد وذلك يترتب على كل عبد
 في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والسم أما العقل فما من عبد حتى تعالى إلا وهو راغض عن الله في عقله يعتقد
 أنه أعقل الناس وقيل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الحالي عنه كما يفرح به
 التصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر
 واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فلهو نعمة في حقه فمن وضع كثر زاعمت الأرض فهو
 يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثر من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه
 في حقه كالباقى وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوبها ويكرهها وأخلاقها يمتدحها ويأتمن بها من
 حيث يرى نفسه بريئا عنها فإذا لم يشتغل بدم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى لإحسان خلقه
 وابتلى غيره بالخلق السيئ . وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمورهم وخفايا أفكاره
 ما هو منعم به ولو كشف النطاء حتى اطلم عليه أحد من الخلق لا تفتضح فكيف لو اطلم الناس كافة
 فاذن لكل عبد غم بأمر خاص لا يشاركة فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي
 أرسله على وجه ملبو به فأظهر الجليل وستر التبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص عليه به

يسلم الأرض والتروس
 ويسلم كل غرس وأرضه
 وكل صاحب صنعة يسلم
 منافع صنعة ومضارها
 حتى للراء تلم قطعا
 وما يتأتى منه من الغزل
 ودقته وعظله ولا يسلم
 الشيخ حال للريد
 وما يصلح له . وكان
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يكلم الناس
 على قدر عقولهم
 وبأمر كل شخص بما
 يصلح له فمنهم من كان
 يأمره بالإتقا ومنهم من
 أمره بالإسك ومنهم
 من أمره بالكسب
 ومنهم من قرره على
 ترك الكسب كأصحاب
 السفة فكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم

عرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فأما في رتبة الدعوة فقد كان بجمع الدعوة لأنه يبعث لإثبات المحبة وإيضاح المحبة يدعو إلى الاطلاق ولا يخص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره . ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسهه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها أن استدامة الملاحظة مع الخلق والكلام معهم لازمه ولا يأخذ منه وأنه غير محتاج إلى الخلوة فإن رسول الله

حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يجترف بها كل عبد إماما مطلقا وإماما في بعض الأمور فلتنزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أهم منها قليلا فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلبه أو رفيقه أو آثار به أو عزه أو جاهد أو قسائر محابه أمور لو سلب ذلك منه وأعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى بذلك مثل أن جبهه مؤننا لا كافرا وسيا لا جمادا وإنسانا لا بهيمة وذكر الأثر وصحبا لا مريضا وسليبا لا معيبا فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها محوم أيضا فإن هذه الأحوال لو بدلت بأمدانها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من أبا حنن الخلق أو لا يبدله بما خص به الآخر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص فاذن تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليتنظر إلى عدد البعوث عنده فإنه لا محالة راح أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير مما هو فوقه فسا باله لينظر إلى من فوقه ليرى نعم الله تعالى على نفسه ولا لينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى دنياه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارن بغيره إليها بأن في الساق كثرة فليتنظر أبدا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظري في الدنيا كذلك فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خير منه وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفيه إلى من هو دونه لم يكن له الله صابرا ولا شاكرا (١) » فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجده تعالى على نفسه نعماء كثيرة لا يحصى من خص بالجنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك ولذلك قيل :

من شاء عيشا رحيبا يسطيل به في دينه ثم في دنياه إقبالا
فليتنظر إلى من فوقه ورعا وليتنظر إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستن بآيات الله فلا أغناه الله (٢) » وهذا إشارة إلى شمة العلم وقال عليه السلام « إن القرآن هو النقي الذي لا غنى بعده ولا فقر معه (٣) » وقال عليه السلام « من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله (٤) » وقال عليه السلام « ليس من آمن لي بشئ بالقرآن (٥) » وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى (٦) » وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب التوبة (١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه اللين في الصياح ضيف (٢) حديث من لم يستن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الغناء الذي لا غناء بعده ولا فقر معه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضيف بلفظ إن القرآن غنى لا فقر بعده لا غنى دونه قال الدارقطني رواه أبو معاوية عن الأعمش عن زيد الرقاشي عن الحسن مرسلا وهو أقيم بالصواب (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله البخاري في التاريخ من حديث رجاء الترمذي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحدا أغنى عنه لا غنى له لا غنى صفر أعظم النعم وقد تقدم فضل القرآن ورجاء مختلف في صحته ويورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلمة ضيفة (٥) حديث ليس من آمن لي بشئ بالقرآن تقدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى باليقين غنى الطبراني من حديث عقبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقفا على وقد تقدم.

إن عبداً أعينته عن ثلاثة لقد أعمت عليه تعمق عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعسا في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت بأنيك ككذا الصعة والأمن
وأصبحت أخا حزن فلا فارقت الحزن

بل أرشق الببارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالصاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال «من أصبح آمناً في سربه معاف في بدنه عند عقوبت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (١) ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصلوهم إلى النعم اللبم والمالك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالعرفه واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من الشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علك بل عن عشر علك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ثمان جود بكبالة فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلًا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفركه به لكان لا يأخذها لعله بأن لذة العلم دأمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تنضب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يرضى مرجوها يخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بنعمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذا ما خلقت لذات الدنيا لا لتلجب بها العقول النافسة وتخدع حتى إذا اتخذت وتغيدت بها أبت عليها واستصحت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين للشباب الشقي التي حتى إذا تعبد بها قلبه استصحت عليه واحتجبت عنه فإزال منها في حب قائم وعناء دائم وكل ذلك باعتراره بقله النظر إليها في لحظة ولو عقل وعض البصر واستهان بتلك اللذة لم يجمع عمره فكذلك وقت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وجبانيتها ولا ينبغي أن شول إن العرض عن الدنيا متأتم بالصبر عنها فإن القبول عليها أضماماً بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتأتم العرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتأتم التقلب يفضي إلى الألم في الآخرة فليقرأ للعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فإنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون - فاذا نزعنا سدد طريق الشكر على الحلق لجبههم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والحاضرة والمآلة . فان قلت فما علاج هذه القلوب الغالطة حتى تشعر بنعم الله تعالى قصصها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيآمرزنا إلى يمن أضاف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتمد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاد ما فيها فله أن ينظر أبداً إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذا كان يحضر كل يوم دار للرضى والقيام والرواضع التي تهاجم فيها الحدود فكان يحضر دار الرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحتة وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصعة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعدون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنيات ومن تلك العذوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى اللوئ أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً أما من عصى الله فليندرك وأما من أطاع فليزد في طاعته فان يوم القيامة يوم التباين المطلق مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غنى إذ ضيقت بعض الأوقات في الباحات، وأما المصطفى فبشره بظاهر فذا شاهد المقابر

(١) حديث من أصبح آمناً في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع
كل حاله كان له قيام
الليل وصلاوات يصلها
ويدوم عليها وأوقات
يغلو فيها فطبع البشر
لا يستغنى عن السياسة
قل ذلك أو كثر
لطف ذلك أو كنف
وكم من مفروق قانع
باليسير من طيبة القلب
أخذ ذلك رأس
ماله وأغتر بطيبة
قلبه واسترسل في
للمازجة والمخالطة
وجعل نفسه مناة
للباطلين باقعة تؤكل
عنده وبرق يوجه
منه فيقصده من ليس
قصده الدين ولا بعينه
سلوك طريق التفتين
فانتفتن وأنتفتن وتفتي في
خطة القصور ووقع في

وعز أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من المراميق في فصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور النود لأجله ليكون ذلك معرفة لهم الله تعالى في بقية العمر بل في الإسهال في كل نفس من الأخاس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر لأجله وهو التزود من الدنيا لا آخر فهذا علاج هذه القلوب العالقة لتشعر بعم الله تعالى فصاها تشكر وقد كان الربيع من خيف مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في عقبه ويأتي في لحدته ثم يقول رب ارجو أن أعمل صالحاً ثم يقوم ويقول يا رب قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد . وما ينبغي أن تعالج به القلوب الجيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تنكسر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليكم ملازمة الشكر على النعم قل نعمة زالت عن قوم فمادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشية قبيدها بالشكر وفي الخبر وما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه ^(١) فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن .

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر (بيان وجه اجتناع الصبر والشكر على شيء واحد)

لعلك تعلم ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاد لا وجوده أصلاً فإمضى الصبر إذ وإن كان البلاد موجوداً فإمضى الشكر على البلاد وقد ادعى مدعوناً أن الشكر على البلاد فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاد وكيف يشكر على ما جبر عليه والصبر على البلاد يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما يتضادان وما معنى ما ذكرناه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة في عباده فاعلم أن البلاد موجود كما أن النعمة موجودة والقول بآيات النعمة يوجب القول بآيات البلاد لأنها متضادة فقد فقد البلاد نعمة وقد فقدت البلاد نعمة ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكمسادة العبد بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يصين عليها وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح للدين من وجه وخسسه من وجه فكذلك البلاد ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى بإمادته وإمادتها وأما في الدنيا فالسكر والصبية وسوء الخلق وهي التي تنفي إلى البلاد المطلق وأما التقيد فكالتقيد بالمرض والخوف وسائر أنواع البلاد التي لا تنكسر بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاد المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن السكر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا للصبية بل حتى الكافر أن يترك كفره . وكذا حتى المصطفى نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به عتوه ولا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والمصطفى يعرف أنه عاص فله ترك المصيبة بل كل بلاء بقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يتصور أن مجتمع عليه وطفقة الصبر والشكر فإن التقى مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدي وابن حبان في الفضلاء من حديث معاذ بن جبل بلنظ لإعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

دائرة القصور فما يستفي
التشيع عن الاستمداد
من الله تعالى والتضرع
بين يدي الله قبله إن لم
يكن بقا له وقته يكون
له في كل كلة إلى الله
رجوع وفي كل حركة
بين يدي الله خضوع
وإماد دخلت الفتنة على
الغرورين الدعين للقوة
والاسترسال في الكلام
والخالطة لقلة
ممرتهم صفات النفس
واغترارهم بيسير من
الوجهة وقلة تأديبهم
بالشيوخ . كان الجنيد
رحمه الله يقول لأصحابه
لو علمت أن مسلة
ركبتين لي أفضل من
جلوس معكم ما جلست
عندكم فإذا رأي
الفضل في الخلوة بخلو

والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم النبوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فربما تكون الحيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبشى قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحیی عبده المؤمن من الدنيا وهو يحیه كما يحیی أحدكم مريضه (١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من التمس سوى الإيمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضعافها إذن نعمة في حقهم إذ قد سبق أن للرفقة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قد ضاع نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنقص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهل بما يحضره الناس عليه من معارفه وأقارب نعمة عليه إذ لو عرف الستر واطلع عليه لطال ألمه وحده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات الذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالفضل المحموده في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانتها ولوعرف ذلك وأدنى كان إليه لأعالة أعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إيهام الله تعالى أمر القیامة وإيهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض السكائر فكل ذلك نعمة لأن هذا الجبل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجمل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل الأنام ولا يستثنى عنه الباطن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التائب بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من اللصية كقطعه يد نفسه ووجهه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرفوا التسعون قدر نعمة ولا أكثر فرحمهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تشكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض فيجهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما حمت لم يصعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباد الله أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاد نعمة أيضا إما على اللبثي أو على غير اللبثي فاذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلقا ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا . فان قامت فهما متضادان فكيف فيجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد ينتمى به من وجه ويخرج به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الانتقام والشكر من حيث الفرح وعلى كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تثناهي فلورضفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويجزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا . الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبت في دينه . قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل الله يتيق

(١) حديث إن الله ليحیی عبده الدنيا الحديث الترمذی وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وإذا رأى الفضل في
الجلوة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوته
في حماية خلوته وجلوته
مزيدا لخلوته وفي هذا
سر وذلك أن الأدنى
ذو تركيب مختلف فيه
تضاد وتناظر على
ما أسلفنا من كونه
مترددا بين السفلى
والعلوى ولما فيه من
التناظر له حظ من
الفتور عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل ففي وقت
الفترة للمريدین
والسالكین قضیة

وأخذ تمناعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفقد التوحيد ماذا كنت تصنع ولعلك استماد عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما بتليت بيلاء إلا كان لله تعالى في فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذا لم يكن أعظم منه وإذا لم أحرم الرضا به وإذا أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق غلبه السلطان فأرسل إليه بعله ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضر به فأرسل إليه بعله ويشكو إليه فقال اشكر الله فجاءه بمجوسى طغس عنده وكان مبطونا قعيد وجهل حلقة من قيده في رحله وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكسب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأى بيلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فادن مامن إنسان قد أصيب بيلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك أحداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النار فالتقصير على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتسبت الأمطار فقال أنت تستبطلون المطر وأنا أستبطلى الحجر . فإن قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت مصيبتهم ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار . فاعلم أن الكافر قد خسر له ما هو أكثر وإنما أهل حتى يستكبر من الأثم ويطول عليه العذاب كما قال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا - إنما . وأما الماضى فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظم من شرب الحجر والزنا وسائر الماضى بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - ونعصونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم اعلم قد أخرجت عقوبته إلى الآخرة وبعثت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا بتسلي عنها بأسباب آخر تهون الصيبة فيخف وقها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تنم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكيفية في الآخرة عن المذنبين ومن مجلت عقوبته في الدنيا فلا عاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا » (١) الرابع أن هذه الصيبة والبلاء كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فلهذه نعمة . الخامس أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما الوجه الذى يكون به الدواء الكسرة نعمة في حق المريض ويكون للنعم من أسباب اللاب نعمة في حق الصبي فإنه لو خلى واللعب كان يمتعه ذلك عن العلم والأدب فكان يجسر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

واستراح للفنس وركون إلى البطالة فمن بلغ رتبة الشبيبة انصرف قسم قترته إلى الخلق فأطلع الخلق جسم قترته وما ضاع قسم قترته كضياعه في حق الريدن فالمريد يهود من الفترة بقوة الشدة ووحدة الطلب إلى الإقبال على الله والشيخ يكتب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فقرته ويسود إلى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشربة أكثر من عود الفقير بمجة إرادته من فقرته فيعود من الخلق إلى الخلوة منزعة القصور بقلب متعطف وافر النور وروح متخلصة عن

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة أو بلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فأنه أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فبطل عقوبته في الدنيا وقال حسن والشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فموجب به فهو كفارة له الحديث.

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأعياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتنحون لو كانوا عابدين أو صابرين ولم يصبروا بقولهم في دين الله تعالى فإسمن شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فله أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو يصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلاء إذا رآوا ثواب الله على البلاء كما يشكر الصبي بعد القتل والبلوغ أستاذة وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرك نعمة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عنايته الآباء بالأولاد فقد روي «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنه الله في شيء فضاء عليك (١)» «ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسرّاء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضرّاء رضى وكان خيرا له (٢)» الوجه الثاني أن رأس الخطايا للهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور وموانع التمسك على وفق الراد من غير امتزاج بلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسيائها وأنه بها حتى صبر كالخنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب اززع قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأمن بها وصارت سببا عليه وكانت نجاة منجا غاية القلة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٣)» والكافر فكل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلى الحياة الدنيا ورضى بها وأطمأن إليها والمؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا شديد الحزن إلى الخروج منها والشكر بفضه ظاهر وبعضه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الحقني بل الموجد للطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق فاذن في البلاء تنم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك بضاهي فرحك عند الحاجة إلى المجاعة بمن يتولى حجامتك عجنا أوبستيك دواء ناضبا شعا عجنا فانك تألم وتفرح قصير على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في الآكل بل من دخل دار ملك للضيافة وعلم أنه يخرج منها لاحتالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يومه الأتس بمنزل لا يمكنه التمام فيه ولو كان عليه في التمام خطر من أن يظلم عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى فره عن القادر كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما رزع قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصوّر منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب الصيبة أكبر من الصيبة لم يتصور منه الشكر على الصيبة . وحكي أن أعرابيا عزي ابن عباس على أية قال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنه الله في شيء فضاء عليك أحمد والطبراني من حديث عبادة زبادة في أوله وفي إسناده ابن حبة (٢) حديث نظرت إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صبيب دون نظره إلى السماء وضحك عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له ولفسني في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمدته وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار
قائمة بحمد شغفها إلى
دار القرار . ومن
وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الإرادة
والطلب والزول من
حسه فيها عجب من
التبجيل والتعظيم
للمشايخ واستعماله
التواضع . حكي الرق
قال كنت بصبر وكنا
في السجد جماعة من
الفقراء جلوسا فدخل
الزقاق فقام عند
أسطوانة يركع قلنا
يسرع الشيخ من
صلاته وتوهم نسل عليه
فما فرغ جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
قال ما عذب الله

اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعدد والله خير منك للعباس

قال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تعزيتي. والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يصبر به»^(١) وقال عليه السلام «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدته أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنصره ديوانا». وقال عليه السلام «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى - إن الله وإننا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وعافني خيرا منها إلا أضل الله ذلك بعوالم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كريمته فجزاؤه الخلود في حداري والنظر إلى وجهي» وروى أن رجلا قال لرسول الله ذهب مالي وستم جسمي قال عليه السلام «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسم جسمه

إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره»^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليشكون الدرجة عند الله تعالى لا يلقها بعمل حتى يبلى يلاه في جسمه فيلقها بذلك»^(٣) وعن خباب بن الأرت قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة فشكونا إليه قلنا يا رسول الله ألا تدعو الله تستصره لنا جلسي محرا لونه ثم قال «إن من كان قلبكم يؤذي بالرجل فيخفر له في الأرض خيرة وعجاة للشارع فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين يا صبره ذلك عن دينة»^(٤)

وعن علي كرم الله وجهه قال : أما رجل حبسه السلطان ظلمات فيؤشيد وإن ضربه فبات فهو شيد . وقال عليه السلام «من إجلال الله ومعرفة حق أن لا تشكرو وجلك ولا تذكر مصيبتك» وقال أبو البرداء رضي الله تعالى عنه: تودون الموت وتسمرون للخراب وتحرصون على ما يخفى وتلثرون ما يبيح الأحبذا للكرهات الثلاث الفقر والمرض واللوث . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يصفاه صب عليه البلاء صيا ونجعه عليه فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى ليك عبيدي ومهديك لئلا تأتي شيئا إلا أعطيتك أودعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة جئى . بأهل الأعمال فوقوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

(١) حدث من يرد الله به خيرا يصبر منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حدث أن رجلا قال لرسول الله ذهب مالي وستم جسمي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب البر والرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حدث أن الرجل ليشكون الله الدرجة عند الله لا يلقها بعمل حتى يبلى يلاه في جسمه فيلقها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن عبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية الثوري ورواه أحمد وأبو جلي والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو الليث الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يرو عنه خالد إلا أنه عهد وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده الجلاج بن سليم فله أعلم وعلى هذا فإنه خالد بن الجلاج العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فله أعلم (٤) حديث خباب بن الأرت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث تقدم .

قلى بهذا قط يحيى
ما تحيت بأن أحترم
وأقصد . ومن آداب
الشيخ التزول إلى
حال الريدين من
الرق بهم وبسطهم .
قال بعضهم : إذا رأيت
القمير الله بالرق ولا
تلقه بالرق فإن الرق
يؤنسك والعلم يوحشه
فإذا ضل الشيخ
هذا المعنى من الرق
يتدرج التزول بركة
ذلك إلى الانتفاع
بالعلم فيعامل حينئذ
بصرع العلم . ومن
آداب الشيخ
التعطف على الأصحاب
وقضاء حقوقهم في
الصحة والمرض ولا
يترك حقوقهم اعتمادا
على إرادتهم وصدتهم

فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تفرس أجسادهم بالمقاربين لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب ^(١) فذلك قوله تعالى - إنا بما في الصابرون أجرهم بغير حساب ^(٢) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكنا في من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال يارب العباد المؤمنين بطيعك وبمجتب معاصيك تروى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك وبمجرى عليك وعلى معاصيك تروى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاد لي وكل يسبح بحمدي يكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقي فأجزبه بحسناته ويكون الكافر له الحسرات فأبسط له في الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزبه بحسناته في الدنيا حتى يلقي فأجزبه بسبأته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجزيه ساء ما يجازي - قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض ألست يصيبك الأذى ألست تحزن فهدى عما تجزون به ^(٣) » حتى أن جميع ما يصيبك يكون كفارة للذنوب . وعن عتبة بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيت الرجل جلبيته الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به فنحننا عليهم أبواب كل شيء - ^(٤) » يعني لما تركوا ما أمروا به فنحننا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما أنعموا أو أي بسا أعطوا من الخير أخذناهم بفتنة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة تروى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الحلة فجعل يمشي خلفها فبسط رجل يلمسها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فألقى النبي عليه السلام فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبده خيرا يحمله عذوبة ذنبه في الدنيا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أمأرتكم من مصيبة فبا كسبت أيديكم ويهفو عن كثير - فلما صاب في الدنيا بكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فأنكر من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فأنكر من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت فطرة

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يصابه صيب عليه البلاء صاب الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصمها في الترغيب والترهيب بشامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرارين عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجزيه ساء ما يجازي - قال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض » الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له إسناد صحيح وقال الدارقطني وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير قال وليس فيها شيء ثبت (٣) حديث عتبة بن عاصم إذا رأيت الرجل جلبيته الله ما يحب الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (٤) حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فجعل يلمسها يلمسها وهو يمشي فصدمه حائط الحديث وفيه إذا أراد الله بعبده خيرا يحمله عذوبة ذنبه في الدنيا أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا واصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه الرفع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا ينفع حق أخيك بما بينك وبينه من الودة . وحكى عن الجبري قال وابت من الملح فابتدت بالجند وصلت عليه وقلت حتى لا يتنى ثم أتيت منزلي فلما صليت العداة التفت وإذا بالجند خلفي فقلت يا سيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تنحني إلى ههنا فقال لي يا أبا محمد هذا ححك وذاك فضلك . ومن آداب الشيوخ أنهم إذا علوا من بعض الشرعدين ضعفا في مراعاة النفس وقهرها وانحازا صدق العزيمة أن يرقوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلة الرحم ^(١) . وعن أبي المرداء قال : توفي ابن لسلمان بن داود عليها السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأثاء ملكان فيصيا بين يدي في زى الحصىم ، وقال أحدهما : بذرت بذراها تصدح مر به هذا فأفسده ، وقال الآخر مأقول ، قال أخذت الجادة فأثيت على زرع فنظرت بيننا وشلا فاذا الطريق عليه ، قال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أماعلت أن لا يذ للناس من الطريق . قال فلم تحزن على ذلك أماعلت أن الموت سبيل الآخرة كتاب سبابان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، قال يابى : لأن تكون في ميزان أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، قال يابى : لأن يكون ماعب أحب إلى من أن يكون ماعب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمى إليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفهاها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل صلى ركعتين ثم قال قد ستمنا أمر الله تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن الباركة أنه مات له ابن فزماه مجوس يعرفه ، فقال له يبنى لما قال أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، وقال ابن الباركة كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله يبئى العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمضى على الأرض وما له ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنس على أربعة أجناس على الأغنياء ببلبان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى الرضى أيوب صلات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بنى إسرائيل واختفى في الشجرة فصرخوا ذلك فجاء بالنتشار ففتش الشجرة حتى بلغ المنتشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لأن صدقت منك أنه ثانية لأعونك من ديوان النبوة فضى زكريا عليه السلام على أصمعه حتى قطع شطرين . وقال أبو السمود البلخي : من أصيب بمصيبة ففرق ثوبا أو ضرب صدره فكأنما أخذ ربحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابى إن الذهب يجرب بالنار والبلد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وقال الأخنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى ضرسى ، قلت لعلى ما نمت الباردة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا ، فقال : لقد أكرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا زلت بك بلية فلا تشكى إلى خلقى واشك إلى كالأشكوك إلى ملائكتي اذا صدت مساوبك وضامحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجليل في الدنيا والآخرة .

به ويوقوه على حد الرخصة في ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتخطى حصرم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالف الفقراء وتدريب في لزوم الرخصة بدرج بالرفق إلى أوطان الزعة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يصرف إبراهيم السامع وكان لأبيه نعمة فاهطع إلى الصوفية وهب أبا أحمد القلاني فرمى كان يقع يد أبي أحمد شيء من الهوام فكان يشتري له الرفاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد نمود

(١) حديث أنس مأنجوع عبد قط جرعين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بعلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدا ابتغاء وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما فطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفدكي منكر الحديث .

(بيان فضل النعمة على البلاد)

لهلك تخول هذه الأخبار تدل على أن البلاد خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاد .
 فأقول لأوجه ذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعائه من
 بلاد الدنيا وبلاد الآخرة (١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتنا في الدنيا حسنة
 وفي الآخرة حسنة (٢) » وكانوا يستعبدون من شجاة الأعداء وغيرها (٣) . وقال على كرم الله وجهه
 اللهم إني أسألك العبر فقال صلى الله عليه وسلم « قد سألت الله البلاد فأسأله العافية (٤) » وروى
 الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سأل الله العافية فما
 أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين (٥) » وأغار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك
 ضافية القلب إلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحبر الذي لا شرف فيه العافية مع الشكر
 فكيف من منعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله « لأن أعافى فأعكر أحب إلي من أن أجلى فأهجر
 وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وعافيتك أحب إلي (٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل .
 واستشهد وهذا لأن البلاد صار نعمة باعتبارين : أحدها بالاضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في
 الدين ، والآخر بالاضافة إلى ما يرجى من الثواب فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقها من
 البلاد ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه
 على العبر . فان قلت : قد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم
 فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس في سواك حظ فكيفما شئت فاستعنى

فهذا من هؤلاء سؤال البلاد فاعلم أنه حكي عن ممنون الحب رحمه الله أنه بنى بهذه البيت بمكة الحصر
 فكان يمد ذلك بدور على أبواب للكاتب ويقول للصبيان : ادعوا العكم الكذاب ، وامعها الإنسان
 ليكون هو في النار دون سائر الخلق فخير ممكنة ولكن قد تنقلب المحبة إلى القلب حتى يظن الحب بنفسه
 جبا مثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب
 عليه كان حالة لاشقية لها فاسمته من هذا الفن فهو من كلام المشائخ الذين أفرط حبهم وكلام المشائخ

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعائه من بلاد الدنيا والآخرة أحمد من حديث
 بشر بن أبي أطرطة بلفظ أجرتنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإن ساء جدي ولا في داود من حديث
 عائشة اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقاء وهو مدلى ورواه بالنعنة
 (٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 اللهم آتنا في الدنيا الحديث ولأين داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتنا الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شجاة
 الأعداء تضم في الدعوات (٤) حديث قال على رضي الله عنه اللهم إني أسألك العبر فقال صلى الله عليه وسلم
 قد سألت الله البلاد فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه وإسماعيل
 قال مع رجلا وله ولنسائي في اليوم والليلة من حديث على كنت ما كنا في رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فان كان بلاد فصرى فصر به رجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن
 صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سأل الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد
 جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلي ذكره ابن اسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى
 الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية من رسلا

النعمة فيجب أن ترقى
 به وتؤثر على غيره .
 ومن آداب الشيوخ
 التنزه عن مال الغريب
 وخدته والارتفاق
 من جانيه بوجه من
 الوجوه لأنه جاء في
 تعالى فيجعل نفسه
 وإرشاده خالصا لوجه
 الله تعالى فما يسدى
 الشيخ للغريب من
 أفضل الصدقات .
 وقد ورد « متصدق
 متصدق بصدقة أفضل
 من علمه في الناس »
 وقد قال الله تعالى
 تنبها على خلوص
 ماله وحراسته من
 الثواب - إنا نطعمكم
 لوجه الله لا نريد منكم
 جزاء ولا شكورا فلا
 ينبغي للشيخ أن يطلب

يستدعيه ولا يؤمل عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمتعه فقال مالىدى عنك عنى.
ولواردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لقمته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام
فاستدعاه وعاتبه فقال يانى الله كلام المشاق لا ينبغي وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأتى ما يريد لما يريد

وهو أيضا حال ومعناه أنى أريد ما لا يريد لأن من أراد أن لا يزال صال ما أراد المجر فكيف أراد المجر الذى لم يرد به
لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الأحوال حتى يكتب به رضاه الذى يتوصل
به إلى مراد الرضال فى الاستقبال فيكون المجران رضى إلى الرضا والرضا رضى إلى الرضا والحبوب والوسيلة
إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال حب المال إذا سلم درهم فى درهمين فهو يحب الدرهم بترك الدرهم
فى الحال . الثانى أن يصبر رضاء عنده مطلقا بمن حيث إنه رضاء مطلق ويكون له فى ذلك استعارة رضاء محبوبة
منه ترك ذلك اللذة على لذة فى مشاهدته مع كراهته فصدق ذلك يتصور أن رضاء محبة الرضا فى ذلك قد انتهى حال
بعض المحبين إلى أن صار تركتهم فى البلاع استثمار رضاء الله عنهم كتر من تركتهم فى العاقبة من غير شعور
الرضا فهو لا ، إذا قد رضاء فى البلاع صار الالباب إليهم من العاقبة وهذه حالة لا يدور عنها فى غلبات
الحب ولكن لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة احتضا حالة أخرى وردت على القلب فالت به
عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العاقبة خير من البلاع
فقال الله تعالى لأن فضله على جميع خلقه الضو والمافية فى الدين والدنيا والأخرة والجميع السليين .

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

اعلم أن الناس اختلفوا فى ذلك فقالون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون
ما سياتى وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الانطراب بعد من
التحصيل فلامنى لتطويل بالنقل بل البادرة إلى إظهار الحق أولى فتقول فى بيان ذلك مقامان : المقام الأول
البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينهى أن
يخاطب به عوام الخلق قصور أفهامهم عن إدراك الحقائق الفاضلة وهذا الذى من الكلام هو الذى ينهى أن
يتمتع الوعاظ إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظفر للشفقة لا ينهى أن تصلح الصبي الطفل
بالطوبى البان وضروب الحلاوات بل بالعين اللطيف وعليها أن تؤثر عنه طاب الأمل على أن يصبر احتملا
لما يقوته ويغارق الضعف الذى هو عليه فى بيته فتقول : هذا التقاضى البيان بأن البحث والتفصيل ومقتضا
النظر إلى الظاهر المقصود من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فى الشكر وإن وردت أخبار كثيرة
فى فضله فإذا أضيف إليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألقا صر محبة فى التفضيل
كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما يؤتىم اليقين وعززة الصبر » (١) وفى الخبر « يؤتى بأشكر أهل
الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له : أما ترى أن يجزى
كما جزى هذا الشاكر ، فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى : لا أنمت عليه فذكر وأبليت
فصبرت لأضيق لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين » (٢) وقد قال الله تعالى : إنما
بوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطامع الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (٣)

ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من مجهول (١) حديث من أفضل
ما يؤتىم اليقين وعززة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين
ويؤتى بأصبر أهل الأرض الحديث لم أجده له أصلا (٣) حديث الطامع الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة . وقد تقدم .

على صدقه جزاء إلا
أن يظهر له فى شئ
من ذلك علم يرد عليه
من الله تعالى فى قبول
الفرق منه أو صلاح
يرادى للشيخ فى حق
للريد بذلك فيكون
التبس بالله والارتفاق
بخدمته لمصلحة تود
على الريد مأبونة
الفائسة من جانب
الشيخ قال الله تعالى
- يؤتىكم أجوركم ولا
يسألكم أموالكم
إن يسألكموها
فيحكم بينكم
ويخرج أضعافكم -
معنى يحكم أى يحكمكم
ويبلغ عليكم . قال
قادة : علم الله تعالى
أن فى خروج اللال
إخراج الأضعاف وهذا

فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذا ذكر ذلك في معرض الباطنة لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مباينة في الشكر وهو كقولهم صلى الله عليه وسلم «والجمعة حج» (١) للساكنين وجهاد للرأى حسن التبتل (٢) وكقولهم صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كقائد الوثنيين» وأبدا التشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر منه ، وهو كقولهم عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما قال الإمامان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليها السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه» (٣) وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» (٤) وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان لإبواب الصبر فانه مصراع واحد وأبواب من يدخله أهل البلاء أمامهم أبواب عليه السلام» (٥) وكل ما ورد في فضائل التقوى يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال التقوى والشكر حال التقوى، فهذا هو المقام الذي ينتج العوام ويكتفيهم في الوظن اللائق والتعريف لما فيه صلاح دينهم . المقام الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بمقتضى الأمور بطريق الكشف والإيضاح فنقول فيه : كل أمرين مهيئين لا يمكن للوازنة بينهما مع الإيهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكتشف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تفرق الأحاد بالوازنة حتى يبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حج للساكنين وجهاد للرأى حسن التبتل الحارث بن أبي أسامة في مسنده بالشرط الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يدل ذلك من أفعالهم من الطاعة قال طاعة لأزواجه وفي رواية ما جرى غزوة للرأى قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن قياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقى رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كقائد الوثنيين ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ ممن الخمر ورواه بلفظ شارب الخمر ابن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني (٣) حديث آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا شبيب بن خالد وهو كوفي ثقة ، وروى البراز من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أنبياء أمي عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن نجيم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الهذلي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان لإبواب الصبر فانه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصارع أبواب الجنة تخرقة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي تيسر يده إن ما بين المصراعين من مصارع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كابين مكة وبصري وإلى الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين سنة ولأربعين عليه يوم وهو كعظيم من الزحام .

تأدي من الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الخليلي جاء
رجل إلى الجند وأراد
أن يخرج عن ماله
كله وجلس معهم
على الفقر فقال له الجند
لا تخرج من مالك
كله أجس منه مقدار
ما يكفيك وأخرج
التفضل وتوالت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك فاست
أمن عليك أن
تطالب نفسك وكان
النبي عليه السلام إذا
أراد أن يعمل عملاً
ثبت وقد يصحون
الشيخ يعلم من حال
الريد أنه إذا خرج
من الشيء يكسبه من

والنقصان مع الاجمال فتقول : قد ذكرنا أن هذه اللغات تنتظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر اللغات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها ببعض لاح للتأخير في الظواهر أن العلوم تراد للأحوال والأحوال تراد للأعمال والأعمال هي الأفضل . وأما أبواب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد فغيره فذلك التبر لاهلته أفضل منه . وأما اتحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تختلف وإذا أشبهت بعضها إلى بعض وكذا اتحاد الأحوال إذا أشبهت بعضها إلى بعض وكذا اتحاد المعارف وأفضل المعارف علوم للكشف وهي أرفع من علوم للعادة بل علوم للعادة دون للعادة لأنها تراد للعادة فتأديتها لإصلاح العمل وإتمامه أفضل من العلوم للمعاملة على العابد إذا كان علمه جامعاً فنه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فتقول : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن يكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأضاله فأرفع علوم للكشف معرفة الله سبحانه وهي الثابتة التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للمرة الحرة التي لا يعديها فلا يتغير بها وكل ما عدها من المعارف عبيد وعدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نعمها في الإضافة إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يغني إلى بعض إما بواسطة أو بوسائل كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فتغني بها أحوال القلب في تصفيتها وتطهيره عن شوائبه البنية وشوائب الخلق حتى إذا طهر وصفاً أصبح له حقيقة الحق فاذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره . وإعداد أدل أن يحصله علوم للكشف ، وكما أن تصديق المرأة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرأة بعضها أقرب إلى العقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالهالة القريبة أو القريبة من صفات القلب هي أفضل مما عدها لأعمال بسبب القرب من التصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيده صفات القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مائة من المكشوفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مائة من المكشوفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول للصية واسم الثاني الطاعة والعامى من حيث التأثير في ظلمة القلب وقواته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب ووصفيتها فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول للطلق ربما قول الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره . ولكن التحقيق فيه أن الشيء الذي معه ما لو قد غلبه البخل وحسب المال على إسباكه فاخراج الدرهم له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرهما وأومنه الشبع عن صفاء الفكر من علوم للكشف فأراد صفية القلب بالجوع فأما هذا الدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغنى بشهوة بطنه ولا هو مشغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كلريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في الهلاك الذي استولى عليه والشبع الطامع من جملة الهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزال إلا إخراج المال فليس أن يصدق بما معه ، وتفضل هذا مما ذكرناه في ربيع الهلكات فليرجع إليه فاذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال لا يتطلع به إلى المال فينتد بجوز له أن يفسح للرديد في الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض الرديين مكروها أو علم من حاله أوجاجاً أو أحسن منه بدعى أو رأى أنه داخله هيب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكتف عن وجه اللمعة بجملة تحصل بذلك الفائدة لكل فهدأ أقرب إلى العاراة وأكثر أثراً ثنائف

إذ لو قال لنا قائل الحزب أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حتى الآن الحزب للجامع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتماعا فيلظر إلى الأغلب فان كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل وإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل فان تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكينين أفضل أم شراب البنو فلم يسع الجواب عنه مطلقا أصلا ، ثم لو قيل لنا السكينين أفضل أم عدم الصغراء ، فنقول : عدم الصغراء لأن السكينين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاهلته فافان في بندل الحال العمل وهو الإغناق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ونبيا القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للفرقة ودونها الحال ودونها العمل . فان قلت قد نتج التبرع على الأعمال والبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - وبأخذ الصدقات - فكيف لا يكون الفضل والاخلاق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يبدل على أن الدواء مراد له أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كمرض على وجه من لمرأة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسيل معمه للبالغة في التنازع على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا يعيب مرضه فانه لو ذكر له أن القصور زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا يعيب فيه ولتضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد عليه العلم والقرآن وأراد أن يشتد ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليق له محفوظا فقال إنه عنوطا لا حاجة في التكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم البعيد ووعده على ذلك بالجلب لتوفر داجيته على كثرة التكرار بالتعليم فرميا يظن الصبي السكين أن القصور تعليم البعيد والقرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول مالي قد استخدمت لأجل البعيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم البعيد لقد قدر عليه دون تكليف به وأعلم أنه لا نقصان لأبي بقدر هؤلاء البعيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فرميا يتكسل هذا السكين فيترك تعليمه اعتيادا على استثناء أبيه وعلى كرمه في الضو عنه فينبى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخضع بمنثل هذا الحال طائفة مسلمة كطريق الإياحة وقالوا إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستغنى منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطعام السكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا الذي كفروا الذي آمنوا أنظم من لو يشاء الله أحسنهم القول أو أياهم أو الله ما شر كنا ولا آباءنا - فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بسدقهم فبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل بضل به كثير أبدي به كثيرا هؤلاء لما غفلوا عنهم استخدموا لأجل السكين والقرآن أو لأجل الله تعالى ثم قالوا لاحظنا في السكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أعتقنا أو أمسكتنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل البعيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتوا كمن قله حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تطلقا به في استجراره إلى ما فيه سعادته فهذا للتأليل لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن السكين الإختلال يستوفى بواسطة التلاخي البخل وحسب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج مخرج الدم المله الهلكة من باطنك كالحجام خادم لك لأنك خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
للريد نصير في خدمة
نذهب إليها لعمل نصيره
ويسفو عنه ويحرمه
على الحسنة بالرفق
واللين وإلى ذلك نذب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو القتيح
الكروخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر الترقا
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو اليباس
المجوي قال أنا أبو عيسى
الرمزي قال ثنا قتيبة
قال ثنا رشدين بن
سعد عن أبي هلال
الحولاني عن ابن
عباس بن جليل
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للباطن ومزكية لها من خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام وصحائها وأوسع أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) ولتصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كاسبق في دفع الهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستمد لقبول الهداية ونور المعرفة هذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال للمارف ولترجع إلى أن خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التنااسب ويدان التناصب يظهر الفضل ومهما قبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر رجعنا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة المنيب مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى المنيب من الله وهو امرتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرنا في البلاد والمصاب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن الصبر فيها يبعد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو القصد منها بالحسنة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إيمان لمسي واحد باعتبارين مختلفين خبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحسنة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصد الحسنة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف فضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة : الطاعة والصبر والبالودة تظهر حكمها في الطاعة للصبر وأما البلاء فهو عبارة عن قد نعمة والنعمة إما أن تجمع ضرورة كالصبر مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كإزالة على قدر الكفاية من اللال أما البيان فصر الأعمى عنها بأن لا يظهر تشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب المنيب في بعض الماصي وشكر الصبر عليها من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بها على معصية ، والآخر أن يستعملها في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجلية لأنه لا يراها والصبر إذا وقع بصبره على جبل فصر كان هاكرا لنعمة المنيب وإن أتبع النظر كفر نعمة المنيب فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالنيب على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى محاب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة أنفسه بها وتعالى يكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعب عليه السلام مثلا وقد كان ضررا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغیره من الأنبياء لأنه صبر على قد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكن الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلم على وضد ذلك حال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يفوت فبوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيها هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كإزالة على الكفاية من اللال فانه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهدا للفقير ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في المعصية فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

(١) حديث الترمذي عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وصحائها وأوسع الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأهل لنا إنسا هي أوسع القوم وإنها لأهل الحمد ولا لآل محمد وفي رواية ٤ أوسع الناس .

عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام قال يا رسول الله كم أعفو عن الحامد قال كل يوم سبعين مرة وأخلق للتائب مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وم أحق الناس بأحياء سنته في كل ما أمر ونهى وأشكر وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار الريدن فيها يكشفون به وينحون من أنواع التسخ : فسر الريد لا يمتد ربه وشيخه ثم يحتر الشيخ في نفس الريد ما يجده في خلوته من كشف أو صامخ خطاب أو شيء من خوارق العادات يعرفه

تعالى وفيه احتمال ألفى صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التتم المباح وكان الحاصل يرجع إلى أن عيشين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أبقى رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أعضائها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على مصيبة بل يصرفه إلى التتم المباح فالصبر به أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف بإياه إلى المباحات لأن من التقي الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسرتهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذا الحالة تستدعي لامحالة قوة والتي أتبع شهته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير على ما تهم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التتم على المباح والشرف لتلك القوة التي بدلت العمل عليها فإن الأعمال لا تتراد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان فإدلى على زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لامحالة وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والتي بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المصيبة لأن يصرفها إلى الطاعة ، فاذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تضمنه السامة أفضل من الشكر الذي تضمنه العامة وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجليل رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس منسج التي بالوجود والامدح الفقير بالدم وإما اللح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط التي يصح فيها عليه أشياء تلائم صفته وتحميها وتلدها والفقير يصح فيها عليه أشياء تلائم صفته وتحميها فاذا كان الإنسان قاعين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها ثم حالا من منع صفته ونسبها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جهة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير ذكرنا ما هو لم يرد سواء وقال كان أبو الباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال التي الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجليل فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإفلاق أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجليل أصابني ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على التي الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كالسقي ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو التي الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمكن لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمكنه على اعتقاد أنه خازن للحاجات وللأساكين وإما ينتظر حاجه تسع حتى يصرف إليهم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاء وصيت ولا تقليد منه بل أداء لحق الله تعالى في تقدي عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر . فإن قلت فهذا لا يثبت على النفس والفقير يثبت عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدر وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان مثلاً فراق المال فينجبر ذلك بقلته في القدرة على الانفاق . فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكل حالا ممن يتفق وهو يجزل به وإما ينقطع عن نفسه فقرا وقد ذكرنا تفضيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإيلا من النفس ليس مطلوب البينة بل تأديها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب التأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلا والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤملا في حقه للبدنة عند ما يصير التتم عند الصبي العاقل للبدنة وقد كان مؤملا أو لا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية في قبل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجليل القول بأن الذي يؤمته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراد من عموم الخلق ، فإذا كانت لأفضل الجواب ونطقه لإدالة أكثر

أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرف أن هذه نعمة تشكر ومن ورأهاهم لا تحصى وعرفه أن شأن الريد طلب التتم لا النعمة حتى يتيق سره عنوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الوجوب لإذاعة السر يوصف به النسوان وضغفاء القول من الرجال وسبب إذاعة السر أن للناس قوتين أخذت ومطبوكتها تتشوف إلى الفصل الخمس بها ولولا أن الله تعالى وكل للعطية بإظهار ما عساه

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح نالني السابق إلى الأنفهام فإذا أردت التحقيق ففضل فان للصبر درجات أنفهام ترك الشكرى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذا الصبر مع التأمل والرضا مع التأمل أي ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أفضاها ويدخل في جعلها أمور دونها فان حياة البعد من تابع نعم الله عليه شكر ومعرفة بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله وكفى ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر وألم بأن الشكر أيضا نعمته من نعم الله وموهبه منه شكر وحسن التواضع النعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله (١)» وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكوة والاعتراف وحسن الأدب بين يدي النعم وشكر وتلقى النعم بحسن التبول واستعظام صفيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر أحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كالورد في الأخبار والآثار وتدرى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسأته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواي زوجها مني فليز فقلت فأنها قالت تعالى حتى نحكي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جنته فضليا تلك الليلة وأبصرني أحدا من أصحابه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فضليا طول الليل فمضى سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت المجوز هو كما يقول الشيخ فاقتر إلهما لوصيرا على بلاء الفرقه أن لو لم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقه إلى شكر الوصال على هذا الوجه ولا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذن لاوتوف على حقائق الفضلات إلا بتفضيل سابق والله أعلم .

﴿ كتاب الخوف والرجاء ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربح النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الرجو لطفه وثوابه الخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجاؤه حتى ساقهم بطائفت آلامه إلى الزوال بفنائهم والعدول عن دار بلاءه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخوف وزجره العنيف وجوه المرصين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لأثمة والتهديد لخطئه وحثه قودا لأصناف الخلق بسلاسل التهر والنصف وأزمة الرق والاطف إلى جنته ، الصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليفته وعلى آله وأصحابه وعتريته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان هما بطير القربون إلى كل مقام محمود ومطمان هما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء فتقبل الأعباء محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء بالأزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الألم مع كونه محفوفًا بطائفت الشهوات ومحايث اللذات لإسباط التخوف وسطوات التنصيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وقضيتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادها وتمازجها ونحن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة .

﴿ كتاب الرجاء والخوف ﴾

ما ظهرت الأسرار
فكامل الخل كل
طلبت القوة القمل
قيدها ووزنها بالعدل
حتى يضمها في مواضعها
فيجل حال الشيوخ
عن إذاعة الأسرار
لرؤا عقولهم وبني
لهريد أن يحفظ سره
من يث في ذلك سمته
وسلامته وتأييد الله
سبحانه وتعالى له
بسدرك الزبدون
الصادقين في مورد
ومصدر .

[الباب الثالث]

والنجون في حقيقة
الصحة وما فيها من
الحير والثر [
للتخو للصحة وجود
الجنسية وقد يدعو
إليها أعم الأوصاف

تجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يشتمل به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان بارزاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابته كصفرة الذهب وإلى سرية الزوال كصفرة الوجع وإلى ماهو بينهما كصفرة الريح فسلك صفات القلب تنقسم هذه الأنعام فإحدى هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يشر الحال والحال يضيء العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلائقك من مكروه ومحبوب ينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في المستقبل فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى متى ذكرنا وتدكرنا وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمى وجداً ودوقاً وإذا كان وإنما سمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في المستقبل وغلب ذلك على قلبك سمى انتظاراً وتوقعاً فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده أليال لذة في القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب للانتظار ماهو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب للتوقع لا يد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انحراف أسبابه واضطرابها فاسم الرجاء هو الرجاء وعليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتهاء فاسم الرجاء أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما قطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، ثم يقال أرجو زول الضر وأخاف اشتعاله وقد علم أن أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جازية بحري قلب الأرض وتطهيرها ومحري خمر الأنهار وسياقة السماء إليها والقلب السهتر بالدنيا السهتر في بلاد الأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقلنا ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد للفترة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير غفن ولا مسوس ثم أنه بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نفي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات الفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وإن بثر البذر في أرض صلبة سبخة مرفوعة لا ينصب إليها الماء ولم يشغل بهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حقاً وغروراً لارجاء وإن بثر البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تنلب الأمطار ولا ينتفع أيضاً سمى انتظاره تخمياً لارجاء ، فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والفسادات فالعبد إذا بثر الإيمان وسقاه بماء الطاعات

وقد يدعو إليها أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف ككل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف ككل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك ككل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وككل أهل العصية بعضهم إلى بعض فإذا علم هذا الأصل وأن الجاذب إلى الصلحة وجود الجنية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليفتقد الإنسان نفسه عند الليل إلى صفة شخص وينظر ما الذي يميل به إلى محبتهم ومن أحوال من يميل إليه بيزان الشرع فإن

وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثيبته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة للقبض إلى النفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه بائناً له على اللواظبة والقيام بتقضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب النفرة إلى الموت وإن قطع عن بند الإيمان تمهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق واتهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر للنفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله الجنة» (١) وقال تعالى - غلغف من يبدم خلف أشاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً - وقال تعالى - غلغف من يبدم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما أظن أن تبدي هذه أبداً وما أظن الساعة تأتيه ولن يردت إلى ربى لأجدن خيراً منها متقبلاً - فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تعالى النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير لحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهها للمصيبة تسوءه السيئة وتسره الحسنه وهو يذم نفسه ويلومها وينهى التوبة ويشاق إليها لحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمصيبة وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد بغضى إلى التوبة وإتمام الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من يهتمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يزمم على التوبة والرجوع فرجاؤه للنفرة حق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتهدده بسقى ولا تنقية قال يحيى ابن معاذ من أعظم الاغترار عندى القمادى فى الذنوب مع رجاء الغفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يذر النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط :

رجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فأما عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة أمرها العلم بحريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تتيجن الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه بصدق رجاءه فلا يزال يعمل بصدق الرجاء على تفقد الأرض وتمهدها ونتيجة كل حبش يشب فيها فلا يفتقر عن تمهدها أصلاً إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التمهده إن عرف أن الأرض سبخة وأن البناء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لأعماله تفقد الأرض والتعب في تمهدها والرجاء محمود لأنه باعث اليأس مذموم وهو مشدء لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتى بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال واللواظبة على الطاعات كما قبلت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتزم بتجانيته والتلطف في التعلق له فان هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدلل به على الحرمان عن مقام الرجاء والمزول في حضض النور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل (١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أخواله مسددة فليشتر نفسه بحسن الحال قد جعل الله تعالى مرآته مجلوة يلوح له في مرآة أخيه جمال حسن الحال وإن رأى أخاه غير مسددة فليرجع إلى نفسه لللائمة والاهتمام فتد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله فيالجدير أن غر منه كبره من الأسد قاتلها إذا اصطحبا لزدا دافعة واعرجا جاً ثم إذا علم من صاحبه الذي مال إليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك في مرآة أخيه فليعلم أن الميل بالوصف الأعم مركوز في جبلت والميل بطرئه واقع وله

وبدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبه لهم والحب يوجب الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء ثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن «رَغَابٌ لِمَا فِي وَاقْتِ الْوَيْتِ قَالَ تَعَالَى - لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - حَرَمَ أَمَلُ الْيَأْسِ وَفِي أَخْبَارِ يَتَقَوَّبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْتَدِرُ لَمْ تَفِرْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ يَوْسُفَ لِأَنَّكَ قُلْتَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ النَّعْبُ وَأَتَمَّ عَنْ غَافِلُونَ لَمْ تَخَفْتَ النَّعْبَ وَلَمْ تَرْجُوهُ وَلَمْ تَلْزَمْ إِلَى غَفْلَةِ إِخْوَتِهِ وَلَمْ تَتَوَقَّعْ إِلَى حَفْظِهِ لَهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَوْنُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى (٢)» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنِّ» فِي مَشَاءِ (٣) «وَوَدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِي التَّرَجُّعِ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ أَجِدُنِي أَخَافُ ذُنُوبِي وَأَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُمْ فِي قَلْبِ عَبْدِي بِهَذَا لِلْوَطَنِ إِلَّا لَأَعْطَاهُ اللَّهُ مَرَجًا وَأَمَنَةً وَمَخَافًا (٤)» وَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ أَخْرَجَهُ الْخَوْفُ إِلَى الْقَنُوطِ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ بِهَذَا يَأْسُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَقَالَ سَعْيَانُ : مَنْ أَذْنِبَ ذَنْبًا فَعَرَأَنِي اللَّهُ تَعَالَى قَدَرَهُ عَلَيْهِ وَرَجَا غَفْرَانَهُ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَرِ قَوْمًا قَالَ - وَذَلِكَ ظَنُّكَ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ كَمْ - وَقَالَ تَعَالَى - وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بِرِءَاسٍ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ لِلنَّكَارِ تَتَكَبَّرُ فَإِنَّ لِقَاءَهُ اللَّهُ حَجَّتَهُ قَالَ يَرْجُو ذَلِكَ وَخَفَّتِ النَّاسُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ غَفَرْتُمْ لَكُمْ (٥)» وَفِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ «أَنْ رَجُلًا كَانَ يَدَابِنُ النَّاسَ فَيَسْمَعُ الْفَنَى وَتَجَاوَزَ عَنِ الْعُصْرِ فَقَالَ أَفْعَلُ بِمَعْلُومٍ خَيْرًا قَطُّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنَّا (٦)» فَصَافَا عَهْدَ لِحَسَنَ ظَنَّهُ وَرَجَاؤَهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُ مَعَ إِفْلَاسِهِ عَنْ الطَّاعَاتِ وَقَالَ تَعَالَى - إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(٢) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(٣) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(٤) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(٥) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

(٦) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد قال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبشيت بثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحنتُ إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أُرِدَكَ لَأَخْرَى هَيْأَتَهُ لَهَا ثَمٌّ لَا يَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَةٍ هَلَكْتَ قَدْ دُرِ كَسَلِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامته من أُرِيدَهُ الخير فإن رَجِمَ أَنْ يَكُونَ مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)» .

بحبه أحكام والنفس بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الأعم جسدي الميل بالوصف الأخصى وصير بين للتصاحبين استرواحات طبيعية وتلفذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصلحة إلا بالعلم الزاهدون وقد يفسد المرید الصادق بأهل الصلاح أكثر مما يفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقتهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فقال إليهم بحسنة الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلاية يرجون تجارة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصدقات فلهي من صدوركم تحياؤنوني إلى ربكم فبهط جبريل عليه السلام قال إن ربك يقول لك لم تهبط عبادي غفرج عليهم ورجاهم وشوقهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحب من عني وجيبي إلى خلقني قال يارب كيف أحبيك إلى خلقك قال أذكرني بالحسن الجليل وأذكر آلائي وإحساني وذكركم ذلك فاتهم لا يبرون مني إلا الجليل (٢)» ورؤي أن ابن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء قال أوقفني الله تعالى بين يديه قال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أحبيك إلى خلقك قال قد غفرت لك ورؤي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال أوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب ما يملأه الله ثم قلت يارب ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني قلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أأعند ظن عبيدي في فلسطين بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تصدقني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فأبست ومشي بين يدي الولدان إلى الجنة قلت يا هذا من فرحة . وفي الخبر «أن رجلاً من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشده عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوبسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا ناس يا ناس فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فأتني ببدي قال فيجيبه به فيوقه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويأبست لله ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تصدقني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة (٤)» قد دل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه.

(يان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وبغلب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في اللواظبة على العبادة حتى أضر نفسه وأهله وهذا رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما الداعي للفرور التمتع بالله مع الأعراض عن العبادة واتحام المأوى فأدوية الرجاء تغلب مومنا مهلكة في حقه وتزول منزلة السمل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب اللهيجة له فلذا يجب أن يكون واعظ الحق متلفظاً ناظر إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضاعها لا بما يزيد فيها فإن اللطوب هو العدل

وأي هريرة بنحوه (١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً الحديث وفيه يهبط جبريل الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال «أله متفق عليهم من حديث أنس ورواه زيادة وخرجته إلى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢)» حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبيده داود عليه السلام أحب من عني وجيبي إلى خلقني قال يارب كيف أحبيك إلى خلقك قال أذكرني بالحسن الجليل وأذكر آلائي وإحساني وذكركم ذلك فاتهم لا يبرون مني إلا الجليل (٣) حديث أن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا ناس يا ناس فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فأتني ببدي قال فيجيبه به فيوقه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويأبست لله ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تصدقني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة (٤) قد دل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه.

والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بها
 رده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق
 أسباب الرجاء بل للبالغة في التخوف أيضا تكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسن الصواب فأما ذكر
 أسباب الرجاء فيهمهم ويردهم إلى الكليّة ولكها لما كانت أخف على القلوب وأقل عند النفوس ولم
 يكن غرض الوطأ إلا استئالة القلوب واستئطاف الخلق للثناء كما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد
 الفساد فسادا وازداد التهمكون في طغيانهم تهاديا قال على كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يفتقد الناس
 من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس
 أو فيمن غلب عليه الخوف اتقوا بكتاب الله تعالى سنة رسوله ﷺ فانها مشتملان على الخوف
 والرجاء جميعا لأنها جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف الرضى ليستعمله العلماء الذين هم مورة
 الأتباء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية
 صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يفتل بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استمراء الآيات
 والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع مآذركناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى
 إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وبجانب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أنه في
 الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار
 وما هو زينة له كاستقواس الحجابيين واختلاف ألوان الميئين وحرارة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يتوهم
 بفقد غرض مقصود وإنما كان يغوث به مزية جمال فالغاية الإلهية إذا لم تقتصر عن عباده في أمثال
 هذه الدقائق حتى لم يرض لبيادته أن تخوتهم الزايد والزاي في الزينة والحاجة كيف يرض بسياهم إلى
 الهلاك المؤبد بل إذا نظر الانسان نظرا شافيا علم أن أكثر الحقائق قد هيء له أسباب السعادة في الدنيا
 حتى أنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يجذب بعد الموت مثلاً أو لا يحترص أصلا
 فليست كراهتهم للمم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يمتنى الموت نادرا لا يمتناه إلا في
 حال نادرة وواضحة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة
 فبنته الله لا يجعلها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو
 غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حتى التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن
 الاعتبار أيضا النظر في حكمة التبرعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض
 العارفين يرى آية اللدانية في البرقة من أقوى أسباب الرجاء قليل له وما فيها من الرجاء قال الدنيا
 كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى في أول قول آية
 يهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحتفظ دينه الذي لا عوض له منه .

القن الثاني استمراء الآيات والأخبار : لما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى
 - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه
 هو الغفور الرحيم - وفي قرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يئلى إنه هو الغفور الرحيم (١) وقال
 تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها
 لأعدائه وإنما خوف بها أولياءه فقال - لهم من فوقهم ظلمن النار ومن تحتهم ظلمة ذلك خوف الله به
 عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى - فأنذركم نارا تظن لا يصلاها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
 جميعا ولا يئلى الترمذي من حديث أحمد بن زيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أتقى
 إبراهيم بن آدم قال
 لأني إذا رأته أحسن له
 كلامي وأظهر نفسي
 بآظهار أحسن أحوالها
 وفي ذلك القننة وهذا
 كلام عالم بنفسه
 وأخلاقها وهذا واقع
 بين الشاكرين لإمن
 عصمه الله تعالى . أخبرنا
 الشيخ الثقة أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 إجازة قال أنا الحافظ
 أبو بكر محمد بن أحمد
 قال أنا أبو القاسم
 اسمعيل بن مسعود قال
 أنا أبو عمرو محمد بن
 عبد الله بن أحمد قال
 أنا أبو سليمان أحمد بن
 محمد الحطاب قال أنا
 محمد بن بكر بن
 عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأثقي الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما رضى وقد أنزلت عليك هذه الآية - وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - (١) » وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أن أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه عليه السلام أنه قال « أمي أمية مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة مجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب قيل هذا فداؤك من النار (٢) » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيبقى فيها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحق من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار (٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أن أجعل حساب أمته إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تخزيك فيهم (٥) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم هم أمته وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري ثلاث تنظر إلى مساوهم أنت ولا غيرك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حيأت خير لكم وموت خير لكم أما حيأت فأنس لكم الدين وإشعر لكم الشرائع ، وأما موت فأن أعمالكم تعرض على فإرأيت منها حسنا حدث الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم (٧) »

(١) حديث ابن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزل عليك وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والسمعاني في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزوه ما هنا أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمية مرحومة لا عذاب عليها مجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كاسياتي ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يوت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حدث الحق من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأضمرى عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمته إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى الحديث لم أقصه على أصل (٧) حديث حيأت خير لكم وموت خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورواه رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف.

سلمان بن الأشعث
قال ثنا عبد الله بن
مسلة عن مالك عن
عبد الرحمن بن أبي
صهمة عن أبيه عن
أبي سعيد الحدرى
قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« يوشك أن يكون
خير مال العلم غنا يتبع
بها شمامس الجبال
ومواقع القطر يفر
بدينه عن الفتن » قال
الله تعالى إخباروا
عن خليله إبراهيم
- وأغفر لكم وما تدعون
من دون الله وأدعو
ربي - استظهر بالمرلة
على قومه . قيل :
المرلة نوعان فريضة
وفضلة فالمرضة
المرلة عن الشرواؤه

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم الضو قال جبريل عليه السلام أتدري ما تخشع يا كريم الضو هو إن غشا عن السيئات برحمة بدلها حسنات بكرمه (١)» وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول «اللهم إني أسألك تمام النعمة قال هل تدري ما علم النعمة؟ قال لا، قال يدخل الجنة (٢)» قال الفداء قد آمى الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - قالوا الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فعمل أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشدكم أن قد غفرت له (٣)» وفي الخبر «لو أذنب البديع تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرت له ما استغفرتي ورجائي (٤)» وفي الخبر «لو لقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لبيتني بقراب الأرض منفرة (٥)» وفي الحديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتب عليه (٦)» وفي قسط آخر «فاذا كتبها عليه وعمل حسنات قال صاحب الجنين لصاحب النبال وهو أمير علي ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تصفيع الشر وأرفع له تسع حسنات خلقني عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي وإن تاب عنه قال هي عنه قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال أعرابي فإن تاب قال هي من حيفته قال إلى متى؟ قال إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار فإذا أذنب بحسنه كتبها صاحب الجنين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمئة ضعف وإذا لم يخطئ لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن غفوا الله عز وجل (٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم الضو قال جبريل تدرى ما تخشع يا كريم الضو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (٢) حديث سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فعمل أن له ربا يغفر الذنوب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلطف إن عبداً أصاب ذنباً قال أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً قال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس يابن آدم لو لقيت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لو لقيتني عبدی بقراب الأرض ذنوباً لبيتني بقرابها منفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيتني بقراب الأرض خطيئة لا يضرني شيئا لقبتني بها منفرة والترمذي من حديث أنس الذي قبله يابن آدم لو لقيتني الحديث (٦) حديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال في لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الجنين لصاحب النبال وهو أمير علي ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تصفيع الشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضاً أطول منه وفيه إن صاحب الجنين أمير علي صاحب النبال وليس فيه أنه يأمر صاحب النبال بإلقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ولم أجده كذلك أصلاً (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعرابي فإن تاب عنه قال هي عنه قال فاد عاد قال فاد الحديث وفيه إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل العبد من الاستغفار

والفضيلة عزلة الضلوع
وأهله ويجوز أن يقال
الحلوة غسيرة العزلة
فالحلوة من الأغيار
والعزلة من النفس وما
تدعو إليه وما يشمل
عن الله فالحلوة كثيرة
الوجود والعزلة قليلة
الوجود. قال أبو بكر
الوراق ما ظهرت الفتنة

إلا بالخالط من لدن آدم
عليه السلام إلى يومنا
هذا وما سلم لإلهم
جانب الخلطة وقيل
السلامة عشرة أجزاء
تسعة في الصمت وواحد
في العزلة وقيل الخلوة
أصل والخلطة عارض
فليزيم الأصل ولا يخالط
إلا بقدر الحاجة وإذا
خالط لا يخالط إلا
بحجة وإذا خالط بلازم

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم (١) « وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمة تطلب غنبيه (٢) « وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تطلب غنصه (٣) « وعن معاذ بن جبل وأُس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسه النار (٥) . ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار (٦) . « ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٧) « وفي خبر آخر « لو علم الكافر نعمة رحمة الله ما لبس من جنته أحد (٨) « ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست النار من ذريتك فيقول كم يقال من كل ألف تسماة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يكونون يمشون يومهم عن الاشتغال والصل ففرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تملكون فقالوا ومن يشغل جعل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أتم في الأم أين تأويل وتاريت ومنسك وأجوج وما جوج أتم لا يحضيا إلا الله تعالى إنما أتم في سائر الأم كالشمرة البيضاء في جلد الثور الأسود كالرقعة ذراع

إلى الجنة لم أجده هكذا وبخى عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يجاه بهم إلى الجنة في السلاح (٩) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم لم ألق له على أصل (١٠) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يقبله وجعل رحمة تطلب غنصه أبو الشيخ ابن جبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب للزيان ليس بواه ولا محبوب (١١) حديث إن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تطلب غنصه متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (١٢) حديث معاذ وأُس بن قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة للناسي بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وقد تقدم في الأذكار (١٣) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسه النار أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (١٤) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أن صلى الله عليه وسلم قال لحاذ مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لا حرمة الله على التاروزاد البخاري صادقا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ورأه أحمد من حديث معاذ بلفظ جبه الله في الجنة والنسائي من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يقى عبد مؤمن بها إلا حب عن التاريزاد في القيام (١٥) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن يضاء من شهد أن لا إله إلا الله حرمة الله على النار وفيه إقطاع وله من حديث عثمان بن عفان إلى لأعلم كلة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلة الإخلاص واسناده صحيح ولكن هذا نحوه شاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من اللوحين النار وإخراجهم بالتفاعة ، ثم لا يقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان كذا هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه فمن وجدته في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان (١٦) حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما لبس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأحرص
عن عبد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يأتين على الناس زمان
لا يسلم لدى دين دينه
إلا من فر بدينه من
قرية إلى قرية ومن
شاهق إلى شاهق ومن
جهر إلى جهر كالملب
الذي يروغ قالوا متى
ذلك يا رسول الله قال
إذا لم تنل البعثة إلا
بعاصي الله فإذا كان
ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وقد
أمرنا بالنزوح قال إنه
إذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على
يد أبويه فان لم يكن له
أبوان فملى يذبحونه

الدابة (١) فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأمره إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوام بدواء الرجاء ودرهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول ما رآسيه الشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى للمالحة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فلي الواعظ أن يتدبى سيد الواعظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة الطل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يصد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تدبوا خلق الله خلقا يذنبون لغير لهم (٢) وفي لفظ آخر « ذهب بك وجاء بخلق آخر يذنبون لغير لهم إنه هو النور الرحيم » وفي الخبر « لو لم تدبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال العجب (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده أنه أرحم بعبده المؤمنين من الوالدة الشقيقة بولدها (٤) وفي الخبر « ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليطاول الحار جاء أن تصبه (٥) وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عدة تساو تسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق فتنس الوالدة على ولدها وتعتطف البيه على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعين ثم يسطها على جميع خلقه موكل رحمتها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) وفي الخبر « ما منكم من أحد يدخه عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٧) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدنا لن ينجي بعمله (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « إني أخشأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي أترونها لمطينين التيقن بل هي للتوطين المطينين (٩) »

وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فليبد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيقي للبيعة فيسكنف مالا يطيق حتى يوردوه موارد الملكنة . وقد رغب جمع من السلف في الصبة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا قال سبحانه وتعالى - وادكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبدع نصره وبالمؤمنين وألف

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أندرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تدبوا لخلق الله خلقا يذنبون لغير لهم ، وفي لفظ ذهب بك الحديث مسلم من حديث أن أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تدبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البرار وابن حبان في الشفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب (٤) حديث والذي نفسى بيده أنه أرحم بعبده المؤمنين من الوالدة الشقيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٥) حديث ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد يدخه عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدنا لن ينجي بعمله أيضا (٩) حديث إني أخشأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة وإن خبات دعوتي شفاعتي لأهل الكبائر من أمي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمي ، ولا ينافي ما به من حديث أبي موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أهم وأكفى أترونها للتدبى الحديث وفيه من لم يسم .

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالحنفية السمعة السهلة» (١) وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة» (٢) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للؤمنين في قولهم - ولا نحمل علينا إضرأ - وقال تعالى - وبضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال «لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عمن ظلك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فافقه تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعت الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال إن ربكما يقركما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ملايشه كرمي» (٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فافقه أن الله تعالى أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنباً فغوب عليه في الدنيا فافقه تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري مأخوذاً أن يجعل حسابه إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : لاؤمن إذا دعى الله تعالى ستره عن أصداء اللاتسكة كإتراء فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرغ يديه بدعو ويقول : يارب حبيت لللاشكة موته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تعجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يفرغ الذنوب غيري أشهدك أني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله عليه خلا لي الطواف ليله وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقف في اللزوم عند الباب قلت : يارب اعصمني حتى لأعصيك أبداً فنفذ في هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي للؤمنين يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم ضل من أفضل ولمن أغفر . وكان الحسن يقول : لو لم يذنب للؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قبه بالذنوب . وقال الجليل رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم لحقت السيئين بالمتقين . ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له لي كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إنني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما غرق له كساره هذا من الترح . وفي حديث ربي بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو بمن تكلم بعد الموت . قال لما مات أخي سجي يؤبه . أتقننا على نفسه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً ، وقال : إنني لقيت ربي عز وجل لحياضي بريح وريحان ورب غير غضبان وإنني رأيت الأمر أيسر مما ظننونا فلا تفوتوا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ينتظرون أصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكانت كانت حصة وقت في طشت فحملناه ودقناه . وفي الحديث

(١) حديث بشت بالحنفية السمعة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة اسمه ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنفية السمعة وفيه محمد بن إسحق رواه بالضعفة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنع الجليل - قال يا جبريل وما الصنع الجليل قال إذا عفوت عمن ظلك فلا تعاتبه الحديث ابن مردويه في تفسيره موقوفاً على علي مختصراً قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناده نظر .

بين قلوبهم لو انقفت
ما في الأرض جميعا
مالفت بين قلوبهم
ولكن الله ألف
بينهم - وقد اختار
الصحة والأخوة في
الله تعالى سعيد
ابن السبب وعبد الله
ابن المبارك وغيرها .
وقالته الصحة أنها
تفتح مسام الباطن
ويكتب الإنسان
بها علم الحوادث
والعوارض . قيل :
أعلم الناس بالآفات
أكثرهم .
ويتصلب الباطن
برزين العلم ويتسكن
الصدق بطروق
هوب الآفات ثم
التخلص منها بالإيمان
ويضع بطريق

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يظهريه ويرجيه فكان يقول دعني وربي أبشع على رقبيا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال يقول الله تعالى يوم القيامة : أبتطيع أقدان عظمي رجمي على عبادي أذهب أنت قد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت قد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أمسكت دنياه وآخرته (١) » وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلقه عابد من عباد بني إسرائيل من الحوارين فقال للصم في نفسه هذا بني الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً قال فزّل لجل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيماً للحواري ويقول في نفسه مثل لا يمتني إلى جنب هذا العابد لو أحسن الحواري به فقال في نفسه هذا يمتني إلى جاني ضم نفسه ومشي إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فبقى الصم خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستأنا العمل فقد أحبطت مخلصاً من أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدري على نفسه فأخبرهما بذلك وضم الصم إليه في سياحته وجعله من حواريه . وروى عن مسروق أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً فوطئ* عقه بعض الصاغة حتى ألقى الحصى بجمته قال فرغ النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مضطرباً فقال اذهب قلن بنصر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تاتي على عبادي إلى قد غفرت له . وتقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتي على المشركين ويلهمهم في صلواته فزّل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام (٢) وروى في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فإذا أدخلنا الجنة رضع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرضته على في عليين فيقول الله سبحانه إنه كان بسأئي في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عيسو وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف فكمن من فرق في اللوك بين من يخدم انقاء لعقابوين من يخدم ارتجاءاً لانعاموا كرامه وقل ذلك أمر الله تعالى بحسن الظن وقل ذلك قال ﷺ «سلوا الله الدرجات العلى فائتمسألون كريمة» (٣) وقال «إذا سألت الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يتماطلهم» (٤) وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على

الصحة والأخوة
التماضد والتماون
وتتو جنود القلب
وتستروح الأرواح
بالتشام وتنفق في
التوجه إلى الرفيق
الأعلى ويصير مثالها
في الشاهد كالأسوات
إذا اجتمعت خرفت
الأجرام وإذا تفردت
فصرت عن بلوغ
المرام . ورد في الخبر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم «للمؤمن
كثير بأخيه» وقال
الله تعالى عزيراً عن
لا صدق له فلانسان
شافيع ولا صدق
حبيب ولا محب في الأصل
المهم إلا أنه أبدلت
الماء بالماء فحرب
عزجها إذ هما من

(١) حديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بأسناد جيد (٢) حديث ابن عباس قال يفتي على المشركين ويلهمهم في صلواته فزّل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - فترك الدعاء عليهم الحديث البخاري من حديث ابن عمر أنه كان إذا رضع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من التجر يقول اللهم المن فلانا وفلاناً وفلاناً بعد ما يقول مع الله لمن حمد ربنا ولك الحمد فزّل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فانهم ظالمون - ورواه الترمذي وصححه إمامان وأبو حنيفة بن هشام ومفوض بن أمية وزاد فتاب عليهم فأسلوا الحسن إسلامهم وقال حسن غريب وفي رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال فوداهم الله للإسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سلوا الله الدرجات العلى فائتمسألون كريمة لم أجده بهذا اللفظ وللترمذي من حديث ابن مسعود سلوا عنه من فضله قال الله يحب أن يسئل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألت الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتماطلهم شيء مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم

مالك بن أنس في العتبة التي قبض فيها قتلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لأدري ما أقول لك إلا أنكم ستأمنون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أخصهنا. وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي مع لك الذنوب ينقلب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتصم في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتصم على عفوكم وكيف لا تنفروا لو أنتم بالجوهر موصوف. وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أمنتك ففر المجوس فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم لم تطمع إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطمع على كفره فلو أضفته ليله ماذا كان عليك فر إبراهيم يسعى خلف المجوس فرده وأضافه فقال له المجوس ما السبب فيا بذلك فذكر له قتال له المجوس أهكذا يسلمني ثم قال اعرض على الإسلام فأسلم. ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الترجاسي في المنام وكان يقول وعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا. ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذ بم تلت هذا فقال بحسن ظني برفي. وحكى أن أبا الباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موثق منامه أن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاءوا ثم قال ماذا علمتم فيا علمتم ول قتلنا يارب قصرتنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فقبس في صحنك الشرك وقد وعدت أن تنفخ ما دونه فقال انهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك ثلاث ليال. وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يخرى شيئا من التواكل كالمجلس فر التلاميذ ياب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لتغير شيئا ويقول من دفع إلي أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التلاميذ إليه الدرهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك قال قال لي سيد أريد أن أخلص منه فمعا منصور وقال الأخرى قال أن أخلف الله على دراهمي ففعل ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي ففعل ثم قال الأخرى قال أن يغفر الله لي وسيدي ولك ولقوم ففعل منصور فرجع التلاميذ فقال له سيده لم أبطلت قصص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت نفسي العتق فقال له انهب فأنت حر قال وأبش الثاني قال أن أخلف الله على الدرهم قال لك أربعة آلاف درهم وأبش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تمت إلى الله تعالى قال وأبش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك وقوم قال هذا الواحد ليس إلى قفا بات تلك الليلة فرأى في المنام كأن قاتلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك أقربى أتى لأصل ما لي قد غفرت لك وللبلاد ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين. وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال امرأة يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وعلينا عليها ودفنا البيت فقلت للمرأة من كان هذا البيت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صفروا أمره قلت وأبش كان هذا قالت غشنا قال فحسبنا وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وخطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل ينشكرني فقلت من أنت فقال قال الخنثى الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتجار الناس إلي. وقال إبراهيم الأطروش كنت قوما دينا فدمع معروف السكرخي على دجلة إذ مر أحداث في ذروق يضربون بالدف وبشربون ويابسون فقالوا لمعرف ما نزال يصمون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفف يديه وقال إلي كما فرحهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقال

اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم ويعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاطى شيء أعطاه والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وعادة بن الصامت

حروف الحلق والمهم
مأخوذ من الاهتمام
أى بهم بأمر أخيه
فالاهتمام بهم الصديق
حقية الصداقة. وقال
عمر إذا رأى أحدا
ودا من أخيه
فلينسك به قلنا
يصيب ذلك وقد قال
القائل :

وإذا صفالك من زمانك
واحد
فهو للراد وأين ذاك
الواحد

وأوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام
قال يا داود مالي أراك
منتبذا وحسبك قال
إلى قلبت الحلق من
أجلك فأوحى الله إليه
يا داود كن يقظانا
مرتادا لنفسك اخوانا

للوم إنما سألتك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السافه يقول في دعائه يارب وأى أهل دهر لم يصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابعة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحملك وعزتك إنك تمصى ثم تسبخ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لا تنضب فهدى هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليسين ، فأما الحق الموروثون فلا ينبغي أن يسموا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنوده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كاليد السود والصبي العرم لا يستقيم إلا بالأسوط والعسا وإظهار الخشونة في الكلام . وأما ضد ذلك فيسعد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(الشطر الثاني من الكتاب في الخوف)

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام الخواف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واختراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أسس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له الفئات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أسمى من الخوف والرجاء فانهما زمانان ينمان النفس عن الخروج إلى دعواتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يقيق فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالحجب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في انشغابه وعدم ادوام الشهود غاية القامات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل القامات فنقول : حال الخوف ينقسم إلى ثمان علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب الذي يفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب للفتنة إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه مخفوا بمن يحته على الانتقام خائلا بمن يتشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنه نحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتد سبب جنايته قارفا الخائف بل عن ضعف الخوف كالذي وقع في مخالاب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرمة وسطوته على الأقراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للسفوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الساء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث للثر لإحراق القلب وتألم ذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بتقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفة بربوب نفسه ومعرفة بجلال الله تعالى واستغفائه وأنه لا يسل على ما يفعل ومم يشغلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا أخوفكم لله » (١) وكذلك قال الله تعالى - إنما غشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كملت المعرفة (١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث أنس والله إني لأخشاكم لله وأنفاكم له ولا تخشون

وكل خدن لا يوافق على سرقى فلا تصحبه فإنه عديوى قلبك وياعدك مى . وقد ورد في الخبر « إن أحبك إلى الله الدين يأفسون وبؤلهون فالؤمن أكف مألوف » وفي هذا دققة وهي أنه ليس من اختار العزلة والوحدة فله ينهب عنه هذا الوصف فلا يكون أكفا مألوفاً فإن هذه الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجليل ، وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة وشيئا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس خطا

أورثت جلال الحوف واحتراق القلب ثم يفنى أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أمافي البدن فبالتحول والصفار والفتية والزعة والبكاء وقد تنشق به البرارة فيفضى إلى الموت أو حصد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى قيوث القنوط واليأس . وأمافي الجوارح فبفكها عن اللماص وتقيدها بالطاعات تلافيا لمخاطر واستمدادا للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يبكى ويحس عينيه بل من يترك ما يخاف أن يحاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى التوّن متى يكون البعد خائفًا قال إذا زل نفسه منزلة السقيم الذي يحمى مخافة طول السقام . وأما في الصفات فبأن يقيم الشهوات ويكدر اللذات تصير للعاصي المحبوبة عنده بكرهه كما يصير العمل مكروهًا عند من يشبهه إذا عرف أن فيه ما يفسد في الشهوات بالحوف وتآذّب الجوارح ويحصل في القلب الدبول والخشوع والدلة والاستكانة وبفارقة الكبر والحد والحد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطراته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا للراقية والمحاسبة والمجاهدة والفتنة بالأنفاس واللحظات ومواخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في غلاب سبع صار لا يدري أنه فذل عنه فقلت أوجهيم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الحوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة الله لراقية المحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الحوف الذي هو تآلم القلب واحترافه وقوة الحوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعبوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الحوف بما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المخطورات، ويسمى الكف الحاصل عن المخطورات ورعًا ما زادت قوته كف عما ينطرق إليه إمكان التحريم فكيف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذا التقوى أن يترك ما يريه وقد عمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة صار لا يبين ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرّف إلى غير الله تعالى نفسًا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقًا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الحوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعمّ لأنه كف عن كلّ محظور ، وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا وقواء اسم الصديق والقرّيب وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخس من الأيام فاذا ذكرت الأخسّ قد ذكرت الكلّ كما أنك تقول الانسان إما عربي وإما عجمي والعربي إما قرشي أو غيره والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي إما علوي أو غيره والعلوي إما حنسي أو حنسي فاذا ذكرت أنه حسن مثلاً قد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه بما هو أعظم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن نطعن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباعدة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للعاني فهذه إشارة إلى مجامع معاني الحوف وما يكتنفه من جانب العلوك المرفة للوجبة له ومن جانب السفلك لأعمال السائدة منه كلها وإقداما .

من حديث عائشة والله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية .

من هذا الوصف
الأنبياء ثم الأولياء
وأنتم الجميع في هذا
نينيا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنبياء أتم ألفه كان
أكثر تبعا ونيينا
صلّى الله عليه وسلم
كان أكثرهم ألفه
وأكثرهم تبعا وقال
وتناكروا تكثرنا
فاني مكاتبكم بكم الأمم
يوم القيامة وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف من رسول الله
صلّى الله عليه وسلم
ققال - ولو كنت فظا
غلاظ القلب لاتنصوا
من حولك - وإنما
طلب العزلة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى أو أكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى اللاذعة على الطموح العمل لئلا يولها رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبيئة أن لا تغلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن البالية في الضرب محمود وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء ونفيس الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى العفة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضيف النفع وهو كالضئيف الضعيف الذي تضرب به أبقية لا يؤهلها المأمير حافلا يسوقها إلى القصد ولا يصلح لرايتها وهكذا خوف الناس أنهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله والعارفين والعلماء ولست أعني بالعلماء للتسمين برسوم العلماء والتسمين بأسمائهم قائم أبعد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وأيامه وأضالته وذلك بما قد عز وجوده الآن، وذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كثرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن اللعاس ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحر كخاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً. وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والبهشة وزوال العقل، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الخلق على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأ الجهل والعجز. أما الجهل فإنه ليس يدرى عاقبة أمره ولوعرف لم يكن خائفاً لأن الخوف هو الذي يرد فيه. وأما العجز فهو أنه متعرج للحدود لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى نقص الأدمى وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكاف في ذاته وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض ولتو فتخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والبهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يعرضها أو يكسر عظامها من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاؤا أكثر من الباعج به صدمة الخوف المفرط للقضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يرد الأمر فالحمود منه ما يقضي إلى المراد للقصد منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحد والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والمكر والذكر وسائر الأسباب للوصول إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما قدح في هذه الأسباب فهو مذموم. فإن قلت من خاف فئات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً. فاعلم أن معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا يتأهلها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه ضئيلة فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والورع في درجات المارفين كل لحظة رتبة شهيد وشهداء، ولولا هذا لكانت رتبة الصبي يقتل أو يجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أوولي يموت خنقاً أنه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يطل العمر أو المثل أو الصحة التي يتطل العمر بتعطيلها فهو حيران وضمآن بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها ضئيلة بالإضافة

أقوى وأهم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلو في أول أمره وكان يخلو في غار حراء. وينتسب إلى ذيوات السدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه أكفأ لولاه وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلباً لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة من هذا الوصف فيه أتم من الأتباء ثم الأمتل فالأمتل ما أسلفنا في أول الباب إن في الإنسان ميلا إلى الجنس بالوصف

إلى أمور آخر كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى مادونها لا بالإضافة إلى درجة التمتع والصدق فاذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وإن أُرِفَته درجات بحسب ظهور أثره فان لم يعمل إلا على العفة وهي السكينة عن مقتضى الشهوات فله درجة فإذا تكرر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يشر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما يعمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لمواجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريد إن للزلازل الجوع أياما كثيرة احتفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل .

(بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والكروه إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار والإيمان يكون مكروها لأنه يفضي إلى المكروه كما تتركه العاصي لأدائها في مكروه في الآخرة كما يتركه المريض الدواء الكثرة لأدائها إلى الموت فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد القسمين وغوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استنعاذه ذلك المكروه ومقام الخائفين يخفف فيما ينبل على قلوبهم من المكروهات المهذورة فالتدب ينبل على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين ينبل عليهم خوف اللوت قبل التوبة أو خوف نفس التوبة ونسكت العهد أو خوف ضيف القوة عن الوفاء . يتعلم حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الليل عن الاستقامة أو خوف امتلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة أو خوف أن يكلفه الله تعالى إلى حسنة التي اتكل عليها وتمزجها في عبادة الله أو خوف البطر بكثره نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتوار النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في القبيحة والحباثة والنفس وإضمار السوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بيته عمرة أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والانقضاض قبل اللوت أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريره في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند اللوت بخاتمة السوء أو خوف السابعة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها أعواف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى الخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على النظام من العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريره يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان الأمر فيه محطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف السابعة لأن الخاتمة تتبع السابعة وفرع يتفرع عنها بعد تحمل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابعة كرجلين وقع الملك في حفهما فتوقع به احتمال أن يكون فيه حر الرقة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشده وأنه عما إذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفية وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا الخوف إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزل الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فيقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأعمالهم وأعمالهم لا زاد لهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى

الأعم فلما علم الخداف ذلك ألهمهم الله تعالى حجة الحلوة والعزة لتصفية النفس عن الليل بالوصف الأعم لترتق الحمم العالية عن ميل الطباع إلى تألف الأرواح فإذا وفوا التصفية حقها اشترأت الأرواح إلى جنبها بالتألف الأصلي الأولي وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخاطبتهم بمفاته واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفات الجسلة من الألفة للكلية ألفة مألوفة فصارت الزلة من أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لإزاد فيهم ولا ينقص وليعلم أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستقدم الله قبل اللوث ولو خواف ناقة وليعلم أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل اللوث ولو خواف ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والأعمال بالحوادث (١) وهذا كاتساق الخائفين إلى من يخاف مصيبته وجنائه وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لاهلته فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة الفرور والأمن وإن اطلب على الطاعات والخوف من المصيبة خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف مصيبته ولولا أنه يخوف في نفسه لما سخر للمصيبة ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسر أسباب المصيبة إبعاد ولم يسبق منه قبل المصيبة استحق بها أن يسخر للمصيبة ونجى عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توصل بها من سبب له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمصيبة شاء أم أبى وكذا للطبيخ فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفته جلالة فان من أطاع الله أطاع على إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لأنه ساط على إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شمرى مالى أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المصيبة عليه وكيف يحال ذلك على العبد وإذا كانت المحاولة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف بمن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن فهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن التسرع لم يستجري على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يداود خفي كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا التال بمفهوم حاصل للمعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجنابة سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يتألى بل يرق قلبه ولا يتألم بتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عند أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثمة عنده على وثيرة واحدة إذ لا يقدر ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته وفه التل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجل من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله وهؤلاء إلى الجنة ولأبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » وبكيفية من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم اللبالات.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود يداود خفي كما تخاف السبع الضاري لم أجده له أصلا ولعل للصنف قصد بإزادته من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التي هي غير مرفوعة .

يألف فيؤلف ومن أدل الدليل على أن الذي اعتزل ألف مألوف حتى يذهب اللط عن الذي غلط في ذلك وذم المزلعة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصلحة وحقيقة المزلعة فصارت المزلعة مرغوبا فيها في وقتها والصلحة مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بمحكيم من لم ياتر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحرث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنس فالأُنس يهيشه الله

الطيفة الثانية من الحافزين : أن يمثل في أنفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة أو سؤال منكر ونكير وأعذاب القبر أو هول المطلع أو هيبه الوقت بين يدي الله تعالى والحياء من كشف السر والسؤال عن القبر والقطمير أو الخوف من الصراط وحديثه وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلاها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة ذار النعم والملك القيم وعن قصاص الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لأعمال محوفة وتختلف أحوال الحافزين فيها ولأغلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين كافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تفتح بصيرته لم يشعر بقله الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما أنكر لغة النظر إلى وجهه في الكريم لولامع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والإقباطه لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لغة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لغة تشاركه فيها اليأس فأما لغة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فإلى هذه الأنعام يرجع خوف الحافزين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فسيهله أن فضيلة التي بقدر غناها في الانضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة ولا مساعدة لعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أنعم الله عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غنايته وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبة والأنس به في الدنيا ولا يحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تيسر للواظبة على الذكر والفكر إلا باطّاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك للشهوات إلا بجمع الشهوات ولا تتمتع الشهوة بشيء كما تتمتع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن اللامسي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذاتية وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلي . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فشاور في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للحافزين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي جامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ومنهم بالعلم لحشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الحافزون فان لهم الرقيق الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمراقبة الرقيق الأعلى وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مراقبة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومراقبة الرقيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

لصادقين رقا من الله تعالى وثوابا للبعد معجلا والأنس قد يكون مفيدا للشاطئ وقد يكون مستفيدا كالسريدين فصحيح الخلو والعملة لا يترك من غير أنيس فان كان قاصرا يؤنس الله بمن يتم حاله به وإن كان غير قصر يقبض الله تعالى له من يؤنس من الربدن وهذا الأنس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفي الله. وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون

تعالى كان يقول أسألك الرقيق الأعلى (١) « فأذن إن نظر إلى مشرعه فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلها حتى إن العاقبة صارت موسومة بالتقوى خصوصاً بها كما صار الحمد خصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للتقوى والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وإنما التقوى عبارة عن كسب بمتقن الخوف كما سبق وقدك قال تعالى - إن أكرمكم

عند الله أتقاكم - وكذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضف ويكون ضف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين لمقات يوم معلوم فادام بصوت يسمع أصنام كما يسمع أذانهم فيقول - يا أيها الناس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم - أيها الناس إنى قد جعلت نسباً وجعلت نسباً فوضعت نسباً ورفعت نسباً - قلت - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فالقوم أضع نسبكم وأرفع نسبى إلى التقوى فيرفع القوم لواء فينبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة خافة الله (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بدي (٤) » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير - وقال الثعلبي رحمه الله : ما خفت الله يوماً إلا أراته باباً من الحكمة والعبادة ماراً به قط - وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل بسيرة إلا يلبثها حسنات خوف الصواب ورجاء العقوب كمثل بين أسدين - وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقضته الحساب وقتنت عما في يديه إلا الورع إن فاني أستحي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أمام اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلعت عن الخوف لم تسم بهذه الأسماء وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى خصوصاً بالحقين فقال - سيدك ركن يحنى - وقال تعالى - ولئن خاف مقام رب جنتان - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزنى

ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضىء حسنها لأهل الجنة كما نفض الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى التحاين في الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنها لأهل الجنة كأنهم الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء التحاينون في الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولاني له إذا إن أحبك في الله فقال له أيسر ثم أيسر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينبس لطافة من الناس كرامى حول

- (١) حديث لماخبر في مرض موته كان يقول أسألك الرقيق الأعلى متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة غير فلما نزل به ورأسه في حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرقيق الأعلى فعلت أنه لا غنارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث
- (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين لمقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أصنام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إنى قد أنصت إليكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إنى جعلت نسباً الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والعلقي في التفسير مقتصر على آخره إنى جعلت نسباً الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة خافة الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقیبة بن عامر ولا يصلح أيضاً
- (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف سدى قاله لابن مسعود من أقف له على أصل.

لا أجمع على عدى خوفين ولا أجمع له أمين فان أمين في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمته يوم القيامة (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء » (٢) وقال عليه السلام « أنعم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا » (٣) وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف التارك الخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حبه وصح له به . وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدكم خوفا اليوم . وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن بأبائه بكيف نصنع نجالي أو ما يخوفونا حتى نكاد نقولنا تطير قال والله إنك إن تخالط أو ما يخوفوك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب أو ما يؤمنوك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما قرأ الخوف قلبا إلا خرب وقالت عائشة رضى الله عنها « قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلته هو الرجل يسرق ويرزى قال لا ، بل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » (٤) والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك تناء على الخوف لأن مذمة الشيء تناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكادت مذمة القطوع في فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف للضاد له بل تقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوا فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لاجبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل اتسكك أحدهما عن الآخر ثم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وما يعتد به من يجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لفتلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ للمؤمن لا يرجي ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجب القلب وهو الخوف والتقديران يتبادلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر للتشتر مشكوكا فيه ثم أحد طرفي التشكك يرجع على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك بسبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفا وطعما - ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى - المالك لارجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

(١) حديث لا أجمع على عدى خوفين ولا أجمع له أمين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسل (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوابين حديث أن أمانة بسند ضيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين باسناد ضيف معضل وقد تقدم (٣) حديث أنعم عقلا أشدكم خوفا أشدكم له خوفا الحديث لم أنقب له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء (٤) حديث عائشة قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلته هو الرجل يسرق ويرزى قال لا ، الحديث الفرزدق وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاستاذ . قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة
وحوهم كالقمر ليلة
البدر يفرغ الناس
ولا يزعجون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم
أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
قبيلى من هؤلاء
يا رسول الله ؟ قال
التحابون في الله عز
وجل . وروى عبادة
ابن الصامت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « يقول الله عز وجل
حق عبيى للمتحابين
في والزوارين في
والتبائدين في
والتصادقين في »
أخبرنا الشيخ
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي بإجازة قال
أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفائدة الخشية فإن البكاء عمرة الخشية فقد قال تعالى - فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً - وقال تعالى - يكونون يزبدن خشوعاً وذلّاً عز وجل - أفمن هذا الحديث نجيبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - وقال **عليه السلام** « ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دموع وإن كانت مثل رأس الدباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حروجه بإحرامه الله على النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا اقتصر قلب المؤمن من خشية الله تخافت عنه خطاياه كما يتحاشى من الشجرة نورها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يلبغ النار أحد بكى من خشية الله تعالى حق - جود اللين في الضرع ^(٣) » وقال عتبة بن عامر « ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وتعالى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقني عيني هطالين تشفيان ^(٧) » [١] بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً أو الأضراس جمر ^(٨) » وقال **عليه السلام** « سبعة يبظلم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلاً ذكر الله خاليا فاضت عيناه ^(٩) » وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتناك . وكان محمد بن السكندر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه وخطبه بدموعه ويقول : يا بني أن النار لا تأكل موضعاً من دموعه . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أبكوا فإن لم تبكوا فبكاكوا أو الذي نفس يده يوطئ العلم أحدكم كصر حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينسكر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما نغرت عين بعمائها إلا لم يرق وجه صاحبها فقلوا ذلة

(١) حديث مامن مؤمن يخرج من عينه دموع وإن كانت مثل رأس الدباب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا اقتصر جلد المؤمن من خشية الله تخافت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يلبغ النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والفسائي وإن ما به من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عتبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه بكى لم أنفك على أصل (٦) حديث مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دموع من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عيني هطالين تشفيان بذروف الدمع الحديث الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحليين من حديث ابن عمر بإسناد حسن ورواه الجاهليين الروزي في زيادته على الترهذ والرفائق لابن المبارك من رواه أيضاً ابن عبد الله بن مسعود ذكر الله وذكر الدار قطن في الملل أن من قال فيه عن أبيه وهم إنما هو عن سالم بن عبد الله بن مسعود قال وسأله ما يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في الصحيح وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحارثي كان الرواية له عن سالم عبد الله أبو سلمة وإعنا ذكرناه له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم، نعم حتى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عن سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يبظلم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

[١] قوله تشفيان بذروف الدمع الذي في الجامع الصغير تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك .

ابن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الهاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر ابن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحارثي قال حدثنا حماد بن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال إصلاح ذات البين وإيّاكم والبضعة فاتها هي الحائلة وبإسناد إبراهيم الحارثي عن عبد الله بن عمر عن أبي أمامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

يوم القيامة فان سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها مجارا من البراء ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلى من أن أتصدق بميل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموعى من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهل فدت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه قتلنا في نفسى فدنناقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرفة فخرجت وجعلت أنادى نافع حنظلة فاستجاب أبوبكر الصديق رضى الله عنه فقال كلامى بنافع حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلامى بنافع حنظلة فقلت يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجأت منها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلى فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لاصفكم الملائكة فى الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) فاذن كل ماورد فى فضل الرجاء ، والبكاء ، وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

اعلم أن الأخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما نظرت الناظر إليها فمترية شك فى أن الأفضل أهما بقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهى قول القائل الحزب أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الحزب أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتماعه نظر إلى الأغلب فان كان الجوع أغلب فالحزب أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل مايراد لقصود ففضله يظهر بالاضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا أن يداوى بهما القلوب فتضاهى بحسب الدواء الوجود فان كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغتراب به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد العصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذى يقال فيه الحزب أفضل من السكينة إذ يعالج بالخوف مرض الجوع والسكينة مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الحزب أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصى والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقيم من بحر الرحمة ومستوى الخوف من بحر غضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فستنده الانفاتح إلى الصفات التى تقتضى العنف فلا يمازجه المحبة بمازجتها للرجاء . وعلى الجملة فأيراد لغيره ينفى أن يستعمل فيه لفظ الأصلى لفظ الأفضل فنقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصى . فاما التتمى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يستدل خوفه ورجاؤه ولذلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافع حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصرا .

فيلووزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أنيته بهسات أهل الأرض لم يتقبلها منك وإرجاء الله رجاء ترى أنك لو أنيته بهسات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غلبة الحوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فكل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما المصطفى إذا ظن أنه الرجل الذي استقى من الدين أمراً ويدخل النار كان ذلك دليل على اعتداله . فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلِبَ رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزروع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تربة وواظب على تهذيبه وجاء به شربوط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فكذلك ينبغي أن تكون أحوال المؤمنين . فاعلم أن من يأخذ للعارف من الألفاظ والأمثلة يذكر لله وذلك وإن أوردنا مثلاً لا فليس يشاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وتهاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق البليكة في تلك البقاع وغيره أو اعتدال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يجدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أكثر الصواعق فيها أم لا فلهذا هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدورة فلا يظن رجاءه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الإيمان وشروط صحته دقيقة الأرض القلب وخفاياها وصفاته من الشرك الخفي والتفاني والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والفتنات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يفسد بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال السكرات والوث واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لاحتياجه كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلِبَ رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في غميش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آيات التفاني شيئاً إذا كان قد خسه رسول الله ﷺ يعلم المنافقين ^(١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا التفاني والشرك الخفي وإن اعتقد خفاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتبليس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه وإن وثق به فمن أين يتق يقامه على ذلك إلى تمام حسن الحاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا عشر ^(٢)» وفي رواية «لا قدر فوق

الحرب قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن لله تعالى ملكاً تصفه من نار ونصفه من ثلج وإن من دعائه اللهم فكا ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا تلتج بظمي النار ولا النار تذب الثلج ألفت بين قلوب عبادك الصالحين وكسيف لا تألف قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز بقاب قوسين في وقت لا يسه فيه شيء لظف حال الصالحين وجدتم في ذلك اللام المسرور

(١) حديث إن حذيفة كان خسه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم المنافقين مسلم من حديث حذيفة في أصحابي إنما عشر مناقباً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الحياض الحديث (٢) وفي رواية لا قدر فوق ناقة الحديث مسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يجتهد به يعمل أهل النار ولا يزال والطيراني في الأوسط سبعين سنة وإنسانه حسن وقشيعين في أثناء حديث لابن مسعود إن أحدهم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث

ناقة فيسبق عليه الكتاب فيحتم له بعمل أهل النار وقد فواك الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح ما هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا أنص غايات المؤمن أن يبتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستعدة للاغترار وقلة التمرقؤ لذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أتى عليهم فقال تعالى - يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل - ويدعوننا رغبا ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه فالحق للوجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطعم من التفرقة فيكون ذلك سببا لتكامل عن العمل وداعيا إلى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس خوف إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار القنوط فهو الخوف الم محمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في السكف والخوف ودون اليأس لوجه القنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الأذكار - وقال مكحول الدمثي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالهبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والهبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الاشراف على الموت أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف جار مجرى الوسط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالتشرف على الموت لا يقدر على العمل لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تمجيل موته وأما روح الرجاء فانه يوقى قلبه ويحب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يغارق أحدا الله إلا بالعبادة تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تدارنه الهبة فلو أن يحيى كرهه فهو محبوب والقنوط من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تشر المرفة الهبة فان الصبر إليه والقنوط بالموت عليه ومن قدم على محبوه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوه اشتدت محبته وغدا به فهما كان القلب التائب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمسال والسكن والعقار والرفقاء والأصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فهو تخرج من الجنة وحلوله بينه وبين ما يشبهه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشبهه فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة له عن المحبوب فانه لا ياذن سبحانه لأن السجن عبارة عن البقعة السائمة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فهو تقدم على محبوه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن ودخل بينه وبين محبوه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من التواب والعقاب فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكأ والاسلاسل والأغلال وضروب الخزي والتكال ففسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين وبلقنا بالصالحين ولا طمطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال «اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد» (١) والفرض

ليس فيه تحدير زمن العمل خمسين سنة ولا ذكر شر ولا فوق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والدعوات .

وقال السلام عينا
وطي عباد الله الصالحين
فهم مجتمعون وإن
كانوا متفرقين
وصحبهم لازمة
ودعيتهم في التواصل
في الدنيا والآخرة
جازمة . وعن عمر بن
الحطاب رضي الله عنه
لو أن رجلا صام النهار
وقام الليل وتصدق
وجاهد ولم يحب في
الله ولم يفيض فيه
ما فقهه ذلك . أخبرنا
رضي الدين أحمد بن
إسماعيل بن يوسف
إجازة إن لم يكن صامعا
قال أنا أبو المظفر عن
والده أبي القاسم
القشيري قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت عبد الله

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أدب للمعدة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لئلا الشهوات والألق لهية الدنيا عن القلب ولذلك قال **عليه السلام** «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» وقال تعالى «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لا يهينني حديثي بالرخس وإذا ذكر لي الرجاء حتى أتني الله على حسن الظن بذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جرحه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لا يبعد الموت إذا ذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والتقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه وكذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن يحبني إلى عبادي فقال بسألك بأن تذكركم آلائي ونصائي فأذن غابة السعادة أن يموت محبا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن النافع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين بإسبيلان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أقلت فلما أصبح سألت عن حاله فقيل له إنه مائة البارة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وعشرته في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا المرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يسبق الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حُفَّت بالمسكار فلا يصير على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حُفَّت بالشهوات فلا يصير على قمعها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الهرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستقام من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والتفكير فيه إلى الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأُنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأُنس إلى المحبة ويقبض مقام الرضا والتوكل وصائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد تظاهروا باطناً ولا مقام بعدهما المجاهدة فتح له الطريق إلى الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأُنس ومن ضرورة المحبة الرضا بعل المحبوب والتمتع ببنائه وهو التوكل فإذا ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكننا نرد الخوف بكلام جلي فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما على من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت قد دخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية يأخذها ويلبس بها ولكن إذا كان معه أجروء وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أي أجروء تدمر فاصبر ومثاله في الحرب ما قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غلوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسهما وخايمتها وسلطة السبع وبطشه وقوة مبالاته . وأما خوف الابن فأيمانه بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فبطل أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي المحبة والخوف والحذر المطلقين على سر قوله تعالى - وعذركم الله نفسه - وقوله عز وجل - أتتوه الله حق خضوعاً - وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونها جزاء من على الطاعة والمصيبة وضغفه بسبب التفقة وسبب ضعف الإيمان وإغماز أول الفقة بالذكور والوعظ وملازمة الفكر في أهوال

(١) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

ابن المسلم يقول
سمعت أبا بصير
التفاني يقول سمعوا
مع الله فان لم تطيقوا
فاحبوا مع من يحب
مع الله توصلكم بركة
صحبته إلى صفة الله.
وأخبرنا شيخنا شهاب
الدين أبو العجب
إجازة قال أنا عمر
ابن أحمد الصفار
التيابوري إجازة قال
أنا أبو بكر أحمد بن
خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن السلمي
قال سمعت أبا نصر
الأصفهاني يقول سمعت
أبا جعفر الحداد يقول
سمعت علي بن سهل
يقول : الأُنس بالله
تعالى أن تستوحش
من الخلق إلا من أهل

يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الحائنين وجمالهم ومشاهدتهم فان قامت الشاهدة فالساجد لا يغلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأولى فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد المحبوب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كنظرة فطرت في بحر لحي وهذه خشية الطاء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو مجرد التقليد يضيء خوف الصبي من الحية تقليدا لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم ينفذ ويذول على قرب حق إن الصبي ربما يرى العزم يتقدم على أخذ الحيلة فينظر إليه ويترقب فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احتزم من أخذها تقليدا لأبيه والعوائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قوت بمشاهدة أسبابها للؤكد لها على الدوام وبالواجبة على مدتها في تذكير الطاعات واجتناب العاصي مدة طويلة على الاستمرار قاذن من أوفى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نسه واقفا في محال به لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة لجلب في الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في محال به فلا يحتاج إلى حيلة سواء أم أبى عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي وبحكم ما يريد ولا يخاف قرب للانسكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إليس من غير جرعة سابقة بل صفته مآثره قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهو لا في النار ولا أبالي وإن خطر بياك أنه لا يمايق إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعد للطبع أسباب الطاعة حتى يطع شاء أم أبى ولم يعد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصى شاء أم أبى فانه مهما خلق الفعلة والهوية والقدرة في قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم حله على المعصية هل ذلك لمصبة سابقة حتى يسلسل إلى غير نهاية أو يقف لاحالة على أول لعله من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فخرج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله يده ونفخ فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطك الناس يخطئوك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكرك وحدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها زعيمي آدم ربهم قال نعم الله قال آتوا مني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن أعمله وقبل أن يغفلني بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى (١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص البارفين للظلمين على السر القدر من مع هذا قائم به وصدي بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من القريتين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد يتقبل بالانفاق فيخيل به وقد يهجم عليه فيقتسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الانفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه صبي انفاق وإن أضيف إلى علم الله لم يحزن أن يسمى انفاقا الواقع في محال السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقترى وإن سلط عليه الغفلة غفل وترك قائما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بالفاظ أخر .

ولايه الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد نبه القائل نظاما على حقيقة جامعة لمعان الصبغة والحلوة وفائدتها وما يحذر فيها بقوله : وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قوم الزم وحده
[الباب الرابع]
والجسوسون في اداء حقوق الصبغة
والأخوة في الله تعالى
قال الله تعالى
- وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى
- وتواصوا بالحق - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف الظاه علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن الهلك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ماخلق لهخلق الجنة وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شادوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شادوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتهم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فنهض مخاوف المارقين بسر القدر فن قدبه التصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيب له أن يبالغ نفسه بباع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين المارقين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناسبهم إلى مناسب الراجين للفرورين فلا يتسارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأتينا والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم القراعة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفا (٢) حتى روي أنه كان يصلي على طفل ، ففى رواية أنه مع في دعائه يقول « اللهم عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه مع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصفائر الجنة فغضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكرى أحدا بعد عثمان (٥) وقال محمد بن خولة الحنيفة والله لا أذكرى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذي ولدنى قال فارت الشيعية عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصفائر الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يفهم وينتج ما لا يشعر (٦) » وفي حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداه على الكفار رحما بينهم . وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصبة فن اختار صيغة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة في الصبة فانه يتنجح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يتنجح بينهما خير فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . وقيل

(١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبى هريرة أن ناسيد ولد آدم ولا غفر الحديث (٢) حديث كان أشد الناس خوفا تقدم قبل هذا خمسة وعشرين حديثا قوله والله إنى لأخشاكم كفه وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأخدهم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلي على طفل نسمع في دعائه يقول اللهم عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم على طي صبي أوصية وقال لو كان أحد نجا من شمة القبر لجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبى أيوب أن صيدا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من شمة القبر لأفلت هذا الصبي (٤) حديث إنه مع قائلة تقول لطفل مات هنيئا لك عصفور من عصفائر الجنة فغضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوي من عصفائر الجنة الحديث وليس فيه فغضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة الحديث البخارى من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهاده عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا له عصفور من عصفائر الجنة الحديث أبو يولى من حديث أنس بسند ضعيف بلطف إن أمه قالت هنيئا لك يا بى الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أنه قال إن رجلا قال له أشر بالجنة وقد تقدم في دم المال والبخل مع اختلاف.

لما الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه النافلة على الله تعالى فقال المريض هي أمي يا رسول الله فقال وما يدرك لعل فلانا كان يتكلم بما لا ينبغي ويصعل بما لا ينبغي^(١) وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيتي هود وأخواتها^(٢) » سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كتوبه تعالى - ألا بعدا لعاد قوم هود - ألا بعدا لنجد - ألا بعدا لمدين كما بدت عود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة - خاصة راضة - أي جف العلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خافه قوما كانوا مرفوعين في الدنيا وإما راضة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا ، وفي سورة التكويد أروا ليدوم القيام وانكشف الحاتمة وهو قوله تعالى - وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت علت نفس ما أحضرت - وفي عم يتساءلون - يوم ينظر المرء ما قدمت يداه - الآية ، وقوله تعالى - لا ينكاهون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى سواي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النفرة على أربعة شروط يسجد الصبد عن تابها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فمسي أن يكون من المؤمنين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لكم أيه الضلالين - وقوله عز وجل - أفأمنوا بكرة الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا والآيتين وقوله تعالى وإن منكم إلا واردها - الآية وقوله - اعلموا ما شئتم - الآية وقوله - من كان يريد حرث الآخرة زدده في حرثه - الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآيتين وقوله تعالى - وقد منالنا إلى ما عملوا من عمل - الآية وكذلك قوله تعالى - والصبر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فذهب أثره بغيره وطغى فخلص من الحيران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من التمس لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله إلا القوم الحاسرون - حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيا وقد استكفا فقالا ومن يأمن مكر الله^(٣) وكانها إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد استكفا ابتلاء وامتناعا لهما ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما أظهر أنهما قد آمنان المكروا وما فيا فو لهما كان إبراهيم عليه السلام لا موضع في التجنح قال حسي الله وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال لك حاجة قال أما إليك فلا فكان ذلك وقاء بحقيقة قوله حسي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال - وإبراهيم الذي وفى - أي عوجب قوله حسي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى عليه السلام حيث قال - إنا نخاف أن يقرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما أتى السحرة سحرم أوصى موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضغفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله . فإن قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع ويرفع أخوه إلى درجته وإن فضح الله تعالى عليهما بالصحة شرا فهو باب من أبواب النار . قال الله تعالى - ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا - وإن مكنت الآية

- (١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنبل له الجنة الحديث تقدم أيضا
- (٢) حديث شيتي هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم ومعه من حديث ابن عباس وهو في التواتر من حديث أبي جحيفة وقد تقدم في كتاب السباع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليهما وسلم بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم تبكيا الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبك » (١) فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه مع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو آمن لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالكفر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال السليح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أأنت قلت للناس اتخذوني وأني إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وقال - إن تذهب فأنهم عبادك وإن تغفر لهم - الآية . فوض الأمر إلى الشبهة وأخرج نفسه بالكيفية من البين لعله بأني ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد العلوات والمألوفا فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حساب فضلا عن التحقيق والاستيعان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيتك من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك عن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يذهبهم بأواع الآلام والأمراض ومرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والتفاني ثم يخمد العقاب عليهم أيد الآدام ثم يغير عنه ويقول - ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتعتكف ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لإخفاف ماحق من القول في الأزل ولا يطعم في تداركه ولو كان الأمر أنما لكأن الأطماع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستغناء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على التلب والجوارح فمن يسر له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وحسنت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابعة التي سبقته له بالشقاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الحيرات كلها ميسرة والقلب بالكيفية من الدنيا منقطعا وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موفوقا به ولكن خطر الحافة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن خير الحال وقلب المؤمن بين أصعبين من أصابع الرحمن وإن القلب أعظم قليلا من القدر في غلباتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذابهم غير ما يؤمنون فاجعل الناس من آمنهوه ينادى بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لا احترق قلوبهم من نار الخوف . فأصاب الرجاء رحمة الخواص الله وأسباب الفتنة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف الغطاء لذهقت النفوس وتطلمت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد تخمين سنة أسطوانة فإني لم أقطع له بالتوحيد لأنني لأدري ما ظهر له من القلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لا اخترت الموت على الإسلام لأنني لأدري ما يمرض قلبي بين باب الحجرة وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحافة عند كل خطرة وعند كل

وردت في قصة مشهورة واصبحن الله تعالى فيه بذلك عبادته على الحذر من كل خايل يقطع عن الله واختيار الصعبة والأخوة انفاقا من غير نية في ذلك وثبتت في أول الأمر شأن أرباب للفتنة لجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يغسد الناس إلا الناس ، فالنساء بالصعبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يجرى في أوله ويحكم الأمر فيه بكرة اللعاب إلى الله تعالى وصدق الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبك البخاري من حديث ابن عباس باللفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة دم الدين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - . ولما احتضر سفيان جل يمينه ويخرج قبيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك ، قال أو لم أذنب ذنوبي أبكى ؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الحطايا . وحكى عن بعض الحائزين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرتي الوفاة فأقعد عند رأسى ، فإن رأيته متاً على التوحيد غفد جميع ما ملكتك فأشتر به لوازكرا وأشره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا عرس للفتل ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يتبرأوا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فأشترى السكر والاوز وفرقه . وكان سهل يقول : للريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والمارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى المسجد فكان فى وسطى زلزال أخاف أن يلهب بى إلى البيعة ويبت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزلزال فهذا لى فى كل يوم خمس مرات . وروى عن السبع عليه الصلاة والسلام أنه قال : يامعتر الجواردين أنتم تخافون المعاصى ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى فى أخبار الأنبياء أن نبيا هكأ إلى الله تعالى الجوع والقمل والبرى سنين وكان لباسه الصوف ، فأوصى الله تعالى إليه : هبى أمارشيت أن عصمت قلبك أن تكفروا حتى تسألى الدنيا فأخذ التراب فوضه على رأسه ، وقال لى قد رضيت يارب فاعصنى من الكفر ، فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الحائمة فكيف لا يخافه الضعفاء ، وسوء الحائمة أسباب تتقدم على اللوث مثل البعثة والنفاق والكبر وجملة من الصفات الذمومة ، ولذلك اشتد خوف الصالحين من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنى برى من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وما عتوا به النفاق الذى هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما مناقا ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فيه شعبة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر » (١) وفى لفظ آخر « وإذا هاجد خدر » وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شئ منه لإصديق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف للدلس والهرج ، ومن الذى يخلو عن هذه الممانى بل صارت هذه الأمور مأثورة بين الناس متادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة ، فكيف الظن زمانا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليحكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقا لى لأجمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات (٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتمولون أعمالا هي أدق فى أعينكم

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم فى قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليحكم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقا الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم فى قواعد العقائد.

وسؤال البركة والحيرة
فى ذلك وتهدى صلاة
الاستخارة . ثم إن
اختيار الصعبة
والأخوة عمل وكل
عمل يحتاج إلى البية
وإلى حسن الحائمة
وقد قال عليه الصلاة
والسلام فى الخبر
الطويل « سبعة
يظلمهم الله تعالى فمنهم
اثنان تحابا فى الله
ضاما على ذلك وماتا
عليه » إشارة إلى
أن الأخوة والصعبة
من شرطها حسن
الحائمة حتى يكسب
لها ثواب للواخاة
ومنى أفند للواخاة
بتضييع الحقوق فيها
فند الفصل من
الأول . قيل ما حصد

من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(١). وقال بعضهم : علامة النفاق أن تكره من الناس مائتاً مثله ، وأن تحبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أمجبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إننا ندخل على هؤلاء الأعماء فنصدهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢). وروى أنه سمع رجلاً يذمّ الحجاج ويثبّ فيه ، فقال : أرايت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣). وأشد من ذلك ما روى أن قراً قدّموا على باب حذيفة ينظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا جاء منه ، فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤). وهذا حذيفة كان قد خضع بطل النفاقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يتلى بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرر إبرة ويأتي عليه ساعة يتلى بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرر إبرة . قد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ، ومع يغلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من آمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إنني أخاف على نفسي النفاق ، فقال لو كنت منافقاً لما خفت النفاق فلا يزال العارفين بين الالتفات إلى السابقة والحاتمة خائفين منها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله فاض فيه فو الذي تشي يده ما بهد الموت من مستعيب ولا بهد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ^(٥) » ، والله المستعان .

(بيان معنى سوء الحاتمة)

فلان قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحاتمة فما معنى سوء الحاتمة . فاعلم أن سوء الحاتمة على رتبتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة الهائلة : فإن يغلب على القلب عند سكرات اللوت وظهور أهواله إما الشك : وإما المجود فقبض الروح على حال غلبة المجود أو الشك فيكون مغالب على القلب من عقدة المجود حجاباً

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد والبراز من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قرص وصحيح إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إننا ندخل على هؤلاء الأعماء فنصدهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث سمع ابن عمر رجلاً يذمّ الحجاج ويثبّ فيه فقال أرايت لو كان الحجاج حاضراً الحديث تقدم هناك ولم أجده فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن قراً قدّموا عند باب حذيفة ينظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجده أصلاً (٥) حديث العبد المؤمن بين مخافتين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب أبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب التزهد بلاغاً وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولم يصفه في مسند الفردوس .

الشیطان متعاونین علی بر حسنه متأخین فی الله متحاین فیہ فانه یحید نفسه وبعث فیسله علی إفساد ما بینهما . وكان الفضیل یقول : إذا وفیت القیبة ارتفعت الأخوة ، والأخوة فی الله تآلی مواجهة قال الله تعالی - إخوانا علی سرر متقابلین - ومی أضمر أحدهما للآخر سوءاً أو کره منه شیئاً ولم یثبه علیه حق یزله أو یتسبب إلى إزالته منه فإخوانهم بل استدره قال الجنید رحمه الله مانواخی اثنان فی الله واستوحش

بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد . والثانية وهي دونها أن يلبس على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيقبل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينتق قبض روحه في تلك الحال فيكون استراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ ناز الله اللوذة لا تأخذ إلا المحبوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المعروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك قد أطمأ لمحي فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر خطير لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة التالية عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يعو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد متفائل أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا متفائل جبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين . فإن قلت فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة وبمهل طويل هذه الدلة . فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما صحت به الأخبار وهو «أن القبر إما حفر من حفر النار أو روضة من رياض الجنة» (١) . «وأنه قد يفتح إلى قبر العذب سبعون بابا من الجحيم» (٢) كما وردت به الأخبار فلا تغارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شق بسوء الحاقفة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر (٣) والتعذيب بعده (٤) ثم المناقشة في الحساب (٥) والافتضاح على ملاء من الأشهاد في القيامة (٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتعمده الله برحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويدهدها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أنس بن مالك قال غريب وتقدم في الأدكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر العذب سبعون بابا من الجحيم لم أجده أصلا (٣) حديث سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث المناقشة في الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملاء الأشهاد في القيامة أحمد والطبراني من حديث ابن عمر باسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤوس الأشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافرو المنافق فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والعتيلي والضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر (٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة جملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران . قال صاحب میزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منسكي أحدكم كما بين الشرق والغرب .

أحدهما من صاحبه إلا لفة في أحدهما فالأخاء في الله أسمى من الباء الزلال وما كان لله فاقه مطالب بالصفا فيه وكل ماصفا دام والأصل في دوام صفاته عدم المخالفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخار أخاك ولا تمازحه ولا تعدده موعدا فتخلفه » . قال أبو سعيد الخراساني : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف قليل لهو بك ذلك ؟ قال لا في كنت مهمم على نفسي .

أخبرنا شيخنا أبو النجب السمرودي بإجازة قال أنا عمر بن أحمد الصغار قال أنا

فتجتمع الأجزاء للتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت الموت إلى
الاعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه
الحال إن كانت والعياذ بالله شقية . فان قلت لما السبب الذي يفضي إلى سوء الحائمة . فاعلم أن
أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجملها أما الحتم على
الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهّد وتتمام الصلاح
في الأعمال كالمتبذع الزاهد فان عاقبته محظرة جدا وإن كانت أعماله سالمة ولست أعني مذهبا .
فأقول إنه بدعة فان بيان ذلك بطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومقوله ونظرة الذي بهجاد
الحصم وعليه يعمل وبه يفتتر وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهّرت له ناصية
ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا
إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومباعدى سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور فبما بطل
عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد
خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن
عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصالحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف
بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكها فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه
الخطرة قبل أن يثبت ويسود إلى أصل الإيمان قد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد
بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبه وله عزوج
- قل هل ينسئلكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا - وكأأنه قد ينكشف في اليوم ما يكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن
القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي الشائكة
القلب من أن ينظر إلى اللبكات فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتكشف له الأمور على ما هي عليه
فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من
اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما نظرا بالرأى والمقول
فهو في هذا الخطر والزهّد والصلاح لا يمكن لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد بالحق والبه
بمجرد عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا جملا راسخا كالأعراب
والسوادية وسائر العوام الذين لم يغوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استطلاعا ولا مستورا
إلى أصناف التكلمين في تقليد أقوالهم المختارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة
البه (١) » ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والفتيش عن هذه الأمور
وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جمعا وبكل ما جاء من الظواهر
مع اعتقاد نفى التشبيه ومنعهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم
وعقباته كثورة ومسالكه وعرة والمقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور
البقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون بيضاة عقولهم
مضطرب ومتمازض والقلوب لما ألقى إليها في مبدأ النشأة آفة وبه متعلقة والتصبّات الثائرة بين
الخلق مسامير مؤكدة للمقائد الورثة أو للأخوة بحسن الظن من الطرفين في أول الأمر ثم الطباع

(١) حديث أكثر أهل الجنة البه البرار من حديث أنس وقد تقدم .

أبو بكر أحمد بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السبكي قال سمعت
عبد الله الداراني قال
سمعت أبا عمرو والدمشقي
الرازي يقول سمعت أبا
عبد الله بن الجلاء يقول
وقد سأله رجل على أي
شرط أصعب الخلق
قال إن لم نبرم فلا
تؤدم . وإن لم نبرم
فلا نسؤم . وبهذا
الاسناد قال أبو عبد الله
لاضيع حق أخيك
بما بينك وبينه من
لودة والصداقة فان الله
تعالى فرض لكل
مؤمن حقوا لم يضيها
الإيمان لم يراع حقوق الله
عليه ومن حقوق
الصحة أنه إذا وقع
فرقة ومباينة لا يندكر

عجب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشغوت الدنيا بتحقها آخذة وعن تمام الفكر صارقة فإذا تسح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأى والمقول مع تفاوت الناس في قرائعهم واختلافهم في طبائهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الأحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لسكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب الصغين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فأنشد بالكيفية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتبعوا المأه وخارج عن حد طاعتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم وإستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أنه ما وقع به من حقد وتحمين علم اليقين وعين اليقين - ولعل من بناء بعد حين - ويبنى أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تحف سوء ما يأتي به القدر

وسألتك الليالي فأغررت بها وعند صفو الليالي يحدث السكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتقى أن يقيه إلى الساحل وذلك بعيد والمهلك عليه أغاب . وكل نازل على عقيدة تلقى بها من الباحثين يضاعف عقولهم إلى مسمع الأدلة التي حرروها في تصباتهم أودون الأدلة فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واقفا به فهو آمن من مكر الله مقتر بصفه الناقص وكل خائض في البحث فلا يفتك عن هاتين الحاتتين إلا إذا جاوز حدود العقول إلى نور المكشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأنى يتيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر الله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يغوصوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الحاتمة. وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لمح حب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في محالة النفس والدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يسير طيعا ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتم القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانسكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضعيفا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انتلب ذلك الحب الضعيف بغضا فإن اتفق زهوق روجه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه المخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يقضى إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء الضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا عبادة إلا من عرفه ولهذا قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم أو زواجكم وعشيرتكم وأموال اقترمها وتجارة تنحون عنها كسادها ومسكان ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترضوا حتى يأتي الله بأمره - فاذن كل من فارقته روجه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بالله وظهور بغض قلبه لله تعالى في نفسه يترقبه بين يمين أهل وماله

أخاه لا يغبر . قيل

كان بعضهم زوجة

وكان يعلم منها ما كره

فكان يقال له استخبرا

عن حالها فقول لا ينش

للرجل أن يقول في أهله

لا أخيرا فارقها وطلقها

فاستخبر عن ذلك فقال

امرأة بسدت عني

وليست مني في شيء

كيف أدكرها وهذا

من التحق بأخلاق الله

تعالى أنه سبحانه يظهر

الجميل ويستر القبيح

وإذا وجد من أحدهما

ما يوجب التقاطع فهل

بين نفسه أولا اختلف

القول في ذلك . كان

أبو ذر يقول إذا اختلف

عما كان عليه أبغضه

من حيث أحببه فموقال

غيره لا يغضب الأخ

وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما يفضيه وفرقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم البديع فيفيض الآتي إذا قدم به على مولاه فهرا فلا يخفى ما يستحقه من الحزى والسكال وأما الذي يتولى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم البديع الحسن الشائق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام وبلوائح الانعام . وأما الحاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا سببان : أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك لأن مقارفة المعاصي سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكرة الإلف والمادة وجميع ما ألله الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فان كان ميلا أكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وإن كان ميلا الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تفيض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومغصبة من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصر محبوا بغير الله تعالى فالذي لا يتراف الذنب إلا القينة بعد القينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الانسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عيها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما اعتاد في اليقظة وحتى إن الراهق الذي يجتمل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد وقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدقلا رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالمعاش والعبادة أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأصحابها أكثر مما يراه الطبيب والفقير لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له من متاعب مع القلب بطول الإلف أو بسبب آثر من الأسباب والموت شيء النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتهدده من النقشة قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر الآلوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب الرجعة لحصول ذكره في القلب طول الإلف وطول الالتفات بالمعاصي والطاعات أيضا مرجع وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات القساق فتكون غلبة الإلف سببا لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل إليها نفسه فربما تفيض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمه وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجو له الخلاص منها وكما أن ما غطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص بملء الله تعالى فكذلك أحاديث المنامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كأننا نعلم أن الحاطر ينتقل من شيء إلى شيء ما يناسبه إما بالمشاهدة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشاهدة فيأن ينظر إلى جميل فيتذكر جملا آخر وأما بالمضادة فيأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل في شدة التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فيأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل يعلم إنسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الحاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسيته له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطة من مثل أن ينتقل من شيء إلى شيء ثان ومنه إلى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لا تنتقل الحواطر في المنامات أسبابا من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فكل هذا هو عداقه من كانت الحياة أكثر إشغاله فانك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه بأخذة إيرته ليعطيها وييل أصبهه التي لها عادة بالكسوتان وبأخذة الأزار من فوقه وتقدره ويشبهه كأنه يتعاطى فضله ثم يعيده إلى القراض ومن أراد أن يفك خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طرق له إلا المجاهدة طول العمر في طمأنه

بعد الصبغة ولكن يفيض عمله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - فإن عصىك فقل إني بريء مما تعملون - ولم يقل إني بريء منكم . وقيل . كان شاب يلازم مجلس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتنى الشاب بكبرية من الكبرائر وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه قتيلا له لو أبعدته وهجرته فقال سبحانه الله لا يتركك صاحب شيء . كان منه . قول : الصداقة لحمة كحلقة النسيب . وقبل لحكم مرة أما أحب إليك أخوك أو صدقك فقال إنما

نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختبار ويكون طول الواو الظلمة على
الحرب وتخزيه الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة السكرات الموت فانه يوت الرمي ما عاش عليه ومحسر على
ما مات عليه ولذلك نقل عن قال أنه كان يلقي عند الموت كلتي الشهادة فيقول خمسة سنة أربعة فكان
مشغول بنفسه بالحساب الذي طال الله له قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تلالاً
نورا فلا يكون البعد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات
الموت كشف له صورته من العرش فرمى ما يرى نفسه على صورة مصيبة وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى
أحوال نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجلي عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة
قريب من ذلك فان النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء
النوبة فإذا رجع سوء الحاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الحواطر ومقلب القلوب والله والاغاثات
للتفتية لسوء الحواطر غير داخلية تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان لادول الإلف فيه تأثير فهذا
عظم خوف العارفين من سوء الحاتمة لأنه لو أراد الانسان أن لا يرى في النائم إلا أحوال الصالحين
وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليها محمياً يؤثر فيه
ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب متناسبة ما يظهر في النوم
غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبي القارمذي رحمه الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد
لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة له فقال حكيت لشيخني أبي القاسم
السكرماني مناما لي وقلت رأيته قلت كذا فقلت لم ذاك قال فهم جرت شراويل يكلمني وقال لولاه
كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كمال إظهار
يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو التبرير الذي نسمح به كره في علم
العامة من أسرار أمر الحاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن
الأمن من سوء الحاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله
من غير مصيبة فان كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما عاين على
العارفين حتى يطول بسببه بكاءك ونياحتك وبدموع به حزنتك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء
والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب الموجبة لئلا الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال
العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج
الحواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول إني لأعجب ممن هلك كيف هلك ولكني
أعجب ممن نجح كما نجح ولذلك قال حامد اللغات إذا صمدت الملائكة برجع البعد المؤمن وقدمت على
الحرب والاسلام تهيجت الملائكة منه وقالوا كيف نجح هذا من دنيا فسديها خبارنا وكان النورى يوما
بيكي فقيل له علام تبكي فقال بكيتا على الذنوب زمانا فالآن تبكي على الاسلام. وبالجملة من وقعت سفينته
في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك
وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج الحواطر أعظم النظام من أمواج البحر وإنما الخوف
عند الموت خاطر سوء بخطر فقط وهو الذي قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل بعمل
أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب (١)»
ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة بل هي الحواطر التي تضطرب وتخطر خطور الرق الحافظ وقال
سهل رأيت كأنى أدخلت الجنة فرأيت ملائمة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا لو أسوء

(١) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم .

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلاف
في المفارقة ظاهرا وباطنا
وأما الملازمة باطنا وإذا
وقعت المباعدة ظاهرا
فتختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطلق
القول فيه إطلاقا من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تغيره رجوعا
عن الله وظهور حكم
سوء السابقة فيجب
بعضه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان تغيره غيرة
حدثت وقرة وقمت
يرجى عوده فلا ينبغي
أن يفيض ولكن
يفيض عمله في الحالة
الحاضرة ويحاط به من
الود منتظرا له المرح
والعود إلى أوطان

الحامئة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مشبوعا عليها وكان موت النجاة مكروها ، أما اللوث فبأنه فاعله ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخول عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو ينور للفرقة ، وأما الشهادة فلائها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والوالد وجميع الشهوات عن القلب فلا يلهيهم على صف القتال موطننا نفسه على لوث الإحباط وطلبا لمراضته وباعادنا به بآخرته وراضيا بالبيع الذي باعه الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبايعون راغبون عن البيع لإعالة ومخرج حبه عن القلب ويجرد حب الموضع المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يلبس على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها نصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا يبين ليس بقصد العلية والنتيجة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله وإن قتل في الحركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كأدلت عليه الأخبار (١) وإن كان معنى سوء الحامئة وما هو مخوف فيها فاستغنى بالاستعداد لها فوظائف على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرس عن فعل الماصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة الماصي ومشاهدة أهلها جهدها فإن ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخوارك وإياك أن تسوف وتقول سأستعد لها إذا جاءت الحامئة فإن كل نفس من أغفاسك خائنتك إذ يمكن أن تختطف فيمروحك فراق قلبك في كل طرفة وإياك أن تهمل لحظة فتلد تلك اللحظة خائنتك إذ يمكن أن تختطف فيمروحك هذا ما دمست في يقظتك وأما إذا تمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يلبسك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول في لسانك فإن حركة اللسان مجردة ضيقة الأثر . وواعلم قطعا أنه لا يلبس عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه وأنه لا يلبس في النوم إلا ما كان غالبا قبل النوم ولا يلبس عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك والوث والبعث شبه النوم واليقظة فسكا لبنايم البعد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومك فكذلك لا يعوت للره إلا على ما عاش عليه ولا يغتر إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا وبينا أن اللوث والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصدقا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بين اليقين ونور البصيرة وراقب أغفاسك ولحظانك وإياك أن تغفل عن أقطر فعيين فانك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل والناس كلهم هلكت إلا العالمون والعالمون كلهم هلكت إلا العالمون والعالمون كلهم هلكت إلا العالمون والعالمون كلهم هلكت إلا عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك . طعم وليس ومسكن والباقي كله فضول والضرورية من الطعم ما يغني سلبك ويسد رمقتك فيبغى أن يكون تناولك تناول مضطرب كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إلا لافرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في الجلبة ولا يكون قضاء الحاجتين همتك التي يستغنى بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك . واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك قصبتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا الفتوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء

الصلح فقد ورد وأن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بأخفته قال له وزجرهم قوله ولا تتكفونا عونا للشيطان على أخيك وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وفي الخبر واخشا زلة العالم ولا تنظموه وانتظروا فيثبه روى أن عمر رضى الله عنه سأل عن أخ له كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ماضل أخى فقال له ذلك أخو الشيطان قال له ما قال له إنه قارف

(١) حديث القتول في الحرب إذا كان قصده العلية والنتيجة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلا قال لرسول الله الرجل يقاتل بغيره والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليري مكانه فمن في سبيل الله قتاله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وفي سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقال حمية ويقال رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك صلاة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مألولك في وقته وقدره وجسه أما الوقت فأقله أن يكفى في اليوم واليلة مرة واحدة فيوالب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جسده فأن لا ينطبل للانداء الأظمة بل ينعج بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشوة الشهوات والذائد قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فان الحلال يمر ولا يلبس بجميع الشهوات وأمامابك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسة بدائق فطيلك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلومك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب صمة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهما ما دفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تنكشف به في خسة قدره وجسه لم يكن له موقف ومرد يمد به بل كنت ممن لا يعلل بطنه إلا التراب وكذلك السكن إن اكنثبت بقصوده ككنك السياه سقفا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليلك بالساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمره هو بضاعتك ثم إن تيسر لك قصصت من الخاطى سوى كونه حائلا بينك وبين الأبدان ومن السقف سوى كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الخيطان وتزين السقوف قد تورطت في موهاة يبعد ريقك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصر عليها تفرغت لله وقدرت في التزوّد لأخرك والاعتماد لحاضتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى نصبت همومك ولم يال الله في أى واد أهلك فليلك هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير فإذا ضعه يوما بيوم في تسويفك أو غفلتك انخسفت فجأة في غير وقت إرداك ولم تفارقك حسرتك وتذامتك فان كنت لاتقدر على ملازمة ما أرشدت إليه يضيف خوفك إذ لم يكن فيها وصفاته من أمر الحاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الحائنين ما نرجو أن يزيل بعض التساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والمعلم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملهم ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعشى عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصق ويضهم بهضهم ببعضهم يسقط مششيا عليه ويضهم بغير ميتا إلى الأرض ولاخرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما تنفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقى فيفجر منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

(بيان أحوال الأنبياء وللانكسار عليهم الصلاة والسلام في الخوف)

روث عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله^(١) وقرأ الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصق^(٢) وقال تعالى سوخر موسى صفار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موهرة جبريل عليه السلام بالأبطح فصق^(٣) وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصق العروف فباروى من هذه القصة أنه قرئ عنده سألينا أنكلوا وجوبا وطعاما ذا غصة وعذابا لهما فصق كما رواه ابن عدى والبيهقي في الشعب مسرلا وهكذا ذكره الصنف على الصواب في كتاب السجاء كما تقدم (٣) حديث إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصق البرار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يرأه في صورته فقال ادعوك فنفخ به فطلع عليه من قبل الشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صق ورواه ابن الباركن من رواية الحسن مسرلا

الكبار حتى وقع في الحجر فقال إذا أردت الخروج فكأنى قال فكتب إليه - حم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم عاتبة تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت عينا ونم لافسأله فقال يا رسول الله آخيت رجلا فانا أطبله ولا أراه فقال يا عبد الله إذا آخيت أحسدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو يرعد فرقا من الجبار (٢)» وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يتكلمان فأوحى الله إليهما ما يكتبان كل هذا البكاء فقالا يارب منأمانا مكره فقال الله تعالى هكذا كونا لأنأمانا مكرى . وعن محمد بن السكندر قال لما خلقت النار طارت أئنة لللائكة من أكمافا فها خلق بنو آدم حدث وعن أنس أنه عليه السلام سأله جبريل «مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما مضحك ميكائيل منذ خلقت النار (٣)» وقال إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يضرب الله عليهم فيعلم بها . وقال ابن حجر رضى الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الخروباكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت يا رسول الله لاأشفيه فقال لكنى أشتيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجد ولم أسألت ربي لأعطاني ملك فصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بيت في قوم يخشون رزق منتهى ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوافقه ما ربحنا ولافنا حتى نزلت سوكان من دابة لا يحمل رزقها إلا برزقها وإياكم وهو المسيح الطيم . قال فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يأمركم بكثرة المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنائير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله ألاوانى لا كنز دنار ولا دراهم ولا أخبار رزقه (٤)» وقال أبو الرداءة كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من سيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بن كادود عليه السلام أربعين يومنا ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت للرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فتودى بأوداد أجمع أنت قطعهم ظمآن فسقى أمهم فارتضى حتى فزع نعمة هاج الود فاحترق من حر خوف ثم أزل الله تعالى عليه التوراة والفرقة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفى فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يدسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثناء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يشبه على شفته حتى يبيض القدح من دموعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : إلهى إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض رجها وإذا ذكرت حجتك ارتدت إلى روحى . سبحانه إلهى أتيت أطباء عبادك ليدوا وخطيئتي فكلمهم عليك بدلى فؤسا لفاقطين من رحمتك . وقال الفضيل بن عياض أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على بلفظ فغشى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل لهفتة جناح (١) حدث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والترمذى في التباين والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب الجبار (٢) حدث ما جاءني جبريل قط إلا هو وترتد فرائضه من الجبار لم أجد هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائضه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن ممالك الحنفى يحتاج إلى معرفته (٣) حدث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لأرى ميكائيل يضحك فقال «اضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الحائمين من رواية ثابت عن أنس ناسدا جبرورا وابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسل وورد ذلك أيضا في حق إسرائيل رواء البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواء ابن أبي الدنيا في كتاب الحائمين (٤) حدث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الخروباكل الحديث ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول الجراح من مهال متصنف.

كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته » وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما ماختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة تكون له فقلت ما كان فانه في الله واليا وكان يقول سعيد بن العاص لجبريل حتى ثلاث إذا دنا رجبته وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسمت له وعلامة خلوص الحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو إحسان فان ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلقه إلى علق يحكم بدوام خلقه ومن شرط الحب في الله

رأسه حتى لحق الجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم إنما أريد كل بكاءه على خطيئته فلا
 يستغفرني إلا بالكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فلياصنع بدادوا الحطاء وكان بجانب في كفة البكاء يقول
 دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتامت الحشا وقبل أن يؤمرى ملائكة غلاظ
 شداد لا يصون الله مأمروهم ويؤمنون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة
 نقص صوته فقال إلهي مع صوني في صفاء أصوات الصديقين يوروي أنه عليه السلام لما طاع بكاءه ولم
 ينفعه ذلك شاق فدعه واشتد غمه فقال يارب آماترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبتك
 وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كفت الماء الجاري عن
 جريه وسكن هبوب الريح وأطلق الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى عماري إلهي وسيدى فما
 هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنسى الطاعة وهذه وحشة للعبية
 يا داود آدم خلق من خلقى خلقته يدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وأبست ثوب
 كرامتي وتوجته بتاج وقارى وشكلى إلى الوحدة فزوجته حواء أمي وأسكنته جنى عصاني فطرده عن
 جزاري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق أقول أطمعنا فأطعناك وأسألتنا فأعطيناك الوعصيتنا فأهلناك
 وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلك . وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان
 إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك مبسلا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان
 قبل ذلك يوم أخرجه له النهر إلى البرية فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما هو لهمان
 على نسه فليات قال فتأتى الوحوش من البراري والأكام وتأتى السباع من التياض وتأتى الهوام من
 الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى المذارى من خدور هن وجميع الناس لذلك اليوم وتأتى داود
 حتى يرقى النهر ويعيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدة يعيطون به وسليمان عليه السلام قائم
 على رأسه فيأخذ في الشتاء على ربه فيضجون بالكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والثائر فتدوت
 الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أحوال القيامة وفي الناحية على نفسه فيموت من
 كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة اللوثي قال يا ابتاه قد مزقت للسممين كل عرق وماتت طوائف من
 بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فيبناهو كذلك إذ ناداه بعض عبادي بني إسرائيل
 يا داود هلمت يطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود ممشيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى
 بسرر فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادى الأمن كان له مع داود حبيب أو قريب فليات بسرر فليجمله فإن
 القرن كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والثائر فكانت المرأة تأتي بالسرر وتعمل قريبا وتقول يا من قتلته
 ذكر النار يا من قتلته خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عباده وأغلق
 بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال ينادي ربه فيأتى سليمان ويقعد على الباب
 ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقو بهذا على ماتر بدنيا كل من ذلك القرص
 ملأه الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس
 يحظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وسار جمع إلى عشرة آلاف قال وكان له
 جارتان أخذاهما حتى إذا جاءه الحوف ومقط فاضطرب فعدتا على صدره وعلى رجله عانة أن
 تتفرق أعضاؤه ومفاسله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عابها السلام
 بيت القدس وهو ابن ثمان حجيج فظفر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشمر والصوف ونظر إلى
 مجتهديهم قد خروا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وهدوا أنفهم إلى أطراف بيت المقدس فهاهنا ذلك

إشار الأفعى بكل ما يقدر
 عليه من أمر الدين
 والدنيا قال الله تعالى
 - يحبون من هاجر
 إليهم ولا يجدون في
 صدورهم حاجة مما
 أوتوا ويؤثرون على
 أنفسهم ولو كان بهم
 خصاصة - وقوله تعالى
 لا يجدون في صدورهم
 حاجة مما أوتوا - أى
 لا يجدون إخوانهم
 على ما لهم وهذا من
 الوصفان بهما بكل
 صفو المحبة أحدهما
 انتزاع الحسد على شيء
 من أمر الدين والدنيا .
 والثاني إشار بالقدور .
 وفي الخبر عن سيد
 البشر عليه الصلاة
 والسلام والزم على
 دين خليله ولاخير

فرجع إلى أبويه ثم بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر فعصا فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا وصباح فيه ليلا حتى أمت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أقم رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وتكعزتك وجلالك لأذوق بارد التراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يخطروا على قبرس كان معهما من شعير وشرب من ذلك الماء فضل وكفر عن بيته فدمج بالبرفرد أبواه إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى يسيى معه الشجر والدر ويسكى زكريا عليه السلام لبعاله حتى يضي عليه فمزل يسيى حتى خرفت دموعه لم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يابى لوأذنت لي أن أتخذلك شيئا توارى به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعمدت إلى قطيعة لود فأصغتها على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقمت دموعه في القطعتين أمت إليه أمه فصرتما فإذا رأى دموعه تسيل على فرائضه أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يابى إنما سألت رب أن يهلك لي التفرعتين بك فقال يحيى يابى إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا لعل بكاء فقال زكريا عليه السلام يابى فبك. وقال السبع عليه السلام : معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على الشقة ويباعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشعير واليوم لي الزايل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل . وقول كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يثني عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول بآجبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلقه فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فاتهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله للقرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الحوف)

روى أن أبابكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر يلقي مثلك باطائر ولم أخلق بشرا . وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تصعد وكذلك قال طلحة . وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أيت وقال عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الحوف إذا سمع آية من القرآن متشيا عليه فكان يباد أياها وأخذ يوما تبتة من الأرض فقال يابتي كنت هذه التبتة يابتي لم أك شيئا مذكورا يابتي كنت نسيا منسيا يابتي لم تظنني أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خضاب أسودان من السموع . وقال رضي الله عنه من خلف الله لم يشف غيظه ومن انتفى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه - إذا الشمس كورت - وانهى إلى قوله تعالى - وإذا الصحف نشرت - خر متشيا عليه وصر يوباد إنسان وهو يسيى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لواقع ما من دافع - نزل عن محاربه واستند إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزله فرض شهر أبوده الناس ولا يدرون ما مره وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقبل يده قد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شمناء غافرا بين أعينهم أمثال الركب للمزى قد بانوا الله سجدا وقياماتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله فأنشأوا كما يبد النجر في يوم الرب وهملت أعينهم بالسموع حتى تبل ثيابهم والله فسكن باليوم بانوا غافلين

لك في صجة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان يقول أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قبل وكيف ذاك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن ضلني في شدة فهو خير مني وليسهم نطقا : تذلل إن نذلت له يرى ذاك الفضل لا إليه

وجانب صداقة من من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له . [الباب الحادس والخمسون في آداب الصعبة والأخوة] مثل أبو حفص عن آداب الفقراء في الصعبة

ثم قام فإرؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أنا أن أكون
رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أن أكن كلبا
فيذبحني أهلي فبأ تكون لحى وعيون مرقى ، وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توسأ أصر
لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتأذك عند الوضوء فيقول أتندرون بين يدي من أريد أن أقوم .
وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بالمنازل من خوفه وجرعه
وقرأ مضر القاريء يوما - هذا كنا بنا ينطق عليكم بالحق - الآية فيكي عبد الواحد بن زيد حتى
غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لأصعبتك جهدي أبدا فأعنى بتوفيقك على طاعتك ، وكان للسور
ابن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عند الحرف والآية فيصيح
الصيحة فلما يقفل أبوابا حتى أتى عليه رجل من ختم قرأ عليه - يوم نحشر للشئين إلى الرحمن وقد
ونسق الجرمين إلى جهنم وردا - فقال أنا من الجرمين ولست من التقيين أعد على القول بها القاريء
فأعادها عليه فشق شققة فلقق بالآخرة ، وقرىء عند يحيى البكاء - ولو ترى إذ أقوا على ربهم -
فضاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يناد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينما أنا
أطوف بالبيت إذ أنا بجورية متبعدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شوقه فذبت لها
وبقيت تحتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار ونبيك فما زال ذلك مقامها حتى طلع الهجر ،
قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول نكلت مالك أمه وروى أن الفضيل
رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يسكب بكاء الشكوى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تقرب لبش
على لحيتي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسأأنا منك وإن غفرت ثم انقلب مع الناس ، ولسان ابن
عباس رضي الله عنهما عن الحاشئين فقال قلوبهم بالحوف فرحة وأعينهم بأكية يقولون كيف شرح
والموت من ورائنا والقرى أماننا والقبالة موعدا على جهنم طريقنا وبين يدي الله بناموقتنا . ومرو
الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن باق على هلم مرت
بالصراط قال لا قال فهل تدرى إلى الجنة نصير أم إلى النار قال لا قال فها هذا الضحك قال فما روى ذلك
الشيء بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس مجلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو أطعنا ننت
فيقول تلك جلسة الأمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إن جامع الله
هذه القفلة في قلوب البعاد رحمة كيلا يمتوتوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار قد همت إذا
أنا مت أرمهم أن يقدوني ويقتلوني ثم ينطلقوا في إلى ربي كما ينطلق بالعباد الآتي إلى سيده . وقال حاتم
الأصم لا تخرت بومض صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مائتي ولا تخرت بكثرة
العبادة فإن إبليس بعد طول تبعده لقي مائتي ولا تخرت بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم
فانظر ماذا لقي ولا تخرت برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من العصفى صلى الله عليه وسلم
ولم ينتفع بلفائه أقاربه وأعداؤه . وقال السري : إني لا أنظر إلى أنفي كل يوم مرات فانه أن يكون
قد اسود وجهي ، وقال أبو حمص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلى نظري السخط
وإعمالى تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجتأأت البارحة على الله سأته
الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها يابى إني أعرفك صفيار طيبا وكبير طيبا وكانك أحدثت
حدثا موهبا لما أراك تصنع في ليلىك وتبارك فقال يا أمه ما يؤمنى أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على
بعض ذنوبي فمقتنى وقال وعزى وجلالى لا غفرت لك ، وقال الفضيل إني لا أعظم نسيب مرسلا ولا مملكا
مفريا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يمايون يوم القيامة إنما أعظم من إلحاق . وروى أن فقي من أنصار

قال حفظ حرمت
المشايخ وحسن
المشورة مع الإخوان
والنصيحة للأصاغر
وترك صحبة من ليس
في طبعهم وملازمة
الاشارة ومحاجة الإساءة
والمعاونة في أمر الدين
والدنيا فمن أديهم
التغافل عن زلل
الإخوان والنصح فيها
يجب فيه النصيحة
وكنم عيب صاحبه
وإطلاعه على عيب
يعلم منه . قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
رحم الله أمرا أهدى
إلى عبوي وهذا فيه
مصلحة كلية تكون
للشخص ممن ينهيه
على عيوبه قال جعفر
ابن برقان قال لي

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة وبحكم ليس هذا زمان حدث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الرقيق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تصرف ودع ما تنكر ورؤى الفضيل يوما وهو يمشي قفيل له إلى أين؟ قال لأندري وكان يمضي ولها من الخوف . وقال ذو بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بال التكملين يشككون فلا يحد أحدا فذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست الناعمة الشكل كالناعمة للسنجرة وحكي أن قوما وقفوا ما يبد وهو يسكن فقالوا ما الذي يريك رحمك الله ؟ قال قرعة يجدها الحافدون في فلوهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الحواسي يسكن ويقول في مناجاته قد كبرت وضفت جسمي عن خدمتك فأعتني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن السكاة مرة فقال أرى شيئا من بعض عجائب عبادكم فنسبت به إلى رجل في بعض الأعياء في خصه له فاستأذنا عليه فإذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه - إذا الأغلال في أعناقهم والسهال يسحبون في الجهم ثم في النار يسجرون - فخطب الرجل شقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتر كنا على حاله وفذهبا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فخطب شقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا إن لم تشعروا عن ربنا قرأت - ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد - فخطب شقة فبدأ الصم من منبره وجعل يشحط في دمه حتى يسس فتركناه على حاله وخرجنا فآذرت على ستة أنفس كل يخرج من عنده وتره مغشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الحصن تقول ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في معلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا قلت بصوت عال إلا أن لخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدي من وعك ثم بقي مبهوتا فأعياها فاه ضاحيا يصره يسبح بصوته ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا لا يؤذي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل ممنا أبدا لما روى صاحبنا ولا مضطجعا ولا أكل ممنا حتى مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجههم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال الرجل الحسن يا أبا سعيد كيف أصبحت قال خير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حال ما ظنك بناس ركبو سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتملق كل إنسان منهم بخسبة على أي حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حال أشد من حالهم . ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلغلت عيناها فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال وما ذلك ؟ قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جرى بالصراط فوضع على منها قال هيه قالت جئي ببعد للك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه إلا يسير حتى انكسفا به الصراط فهوى إلى جهنم قال عمر هيه قالت ثم جرى بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلى يسير حتى انكسفا به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جرى بسلطان بن عبد الملك فامضى عليه إلا يسير حتى انكسفا به الصراط فهوى كذا قال عمر هيه قالت ثم جرى بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين إني رأيته والله قد يموت إني رأيته والله قد يموت قال وهي تنادي وهو يصيح ويغص برجله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وضه يديه فقال إذن لا يرده إلى مكانه غريدا ولا يكون لك سلم غبر عاتقك حجر فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون أنفسهم ملكا يخصون به قال ابراهيم بن شيان كنا لانصب من يقول نبي . أخبرنا بذلك رضي الدين عن أبي القاسم القشيري قال سمعت أبا حاتم الصوفي قال سمعت أبا نصر السراج يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسي دخلت على قوم من القراء يوما بالبصرة فأكرموني

وبحكي أن أويسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيسبكي من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طامس يغرش له الفرش فيضطجع ويتلى كما تتلى الحبة في القلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طبر ذكر جهنم نوم الحائفين . وقال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام بالقي كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه مضاجع أربعين سنة قال وكنت إذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تسكلم كأنه يباين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فإذا سكت كأن النار تسمر بين عينيه وعوب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد أطلع فيّ على بعض ما يكره ففتنى فقال اذهب فلا تغتر بك فانا أعمل في غير متمثل . وعن ابن الهك : قال وعظت يوما في مجلس قدام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنتأ أتالي أن لا نسمع غيرها قلت وماهى رحمتك الله قال فوك لقد قطع قلوب الحائفين طول الخلودين إمامي الجنة أوفى النار ثم غاب عني فقصدته في المجلس الآخر فلم أرمه سألته عنه فأخبرت أنه مريض يماد فأتيته أعوده فقلت يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الحائفين طول الخلودين إمامي الجنة أوفى النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال غفرلى ورحمى وأدخلنى الجنة قلت بماذا ؟ قال بالكلمة فيه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال العرق والافليس أمتنا لقله ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهورنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا فقلنا قسوتنا فلانقرب الرحيل ينهبنا ولا كثرة الذنوب نحركنها ولا مشاهدة أحوال الحائفين نخوفنا ولا خطر الخاتمة زهجننا فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضل وجوده أحوالنا فيصالحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا . ومن المعجبات أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرنا وغرشنا ونعجزنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقهننا وتجنبا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجهد في طلب أرزاقنا ولا نتق بضمان الله لنا ولا نجلى في يوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم القيم قلنا بأن نقول بالسنن اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى إلى الرجاء وما يعجزنا أن ينادينا ويقول - وأن ليس إلا نسان لإلامسى . ولا يفرنكم بالله الفرور . بأنها الانسان ما تترك برك الكرم - ثم كل ذلك لا ينبتنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانتنا فهذه الإحنة هائلة إن لم يفضل الله علينا بنبوة تصوح بتداركنا بها وبمحيرتنا فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأله أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حقتنا فتكون بمن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوعظ بكبتنا وإذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للعدلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والشديتين ونوفله ولتقتصر من حكاية أحوال الحائفين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيسبكي والكثير منه وإن أفيض على القلب الناقل فلا يفيض . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار الباد أنه رآه على باب بيت القدس واقفا كهيئة المزمون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمه من كثرة البكاء قال عيسى لما رأيته هالتي منظره قلت أيها الراهب أوصى بوصية أحفظها عنك فقال بأخى بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والموافم فو خائف حذر

وبجلى قتل يوما
ليضمهم أين إذ ارى
فسقطت من أعينهم .
وكان إبراهيم بن آدم
إذا صاحبه إنسان شارطه
على ثلاثة أشياء أن
تسكون الخدمة
والأذان ولأن تكون
يده في جميع ما يقع
الله عليهم من الدنيا
كيدهم فقال رجل من
أصحابه أنا لا أقدر على
هذا فقال أجبى
صدقت . وكان إبراهيم
ابن آدم ينظر البسائين
ويجمل في الحصاد
ويتفق على أصحابه .
وكان من أخلاق
السلف أن كل من
احتاج إلى شيء من
مال أخيه استعمله من
غير مؤامرة قال الله

خفاف أن يخل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهسه الهوام فهو مذخور القلب وجل فهو في الخفاة ليله وإن أمن القترون وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون ثم ولى وتركنى قلت لو زدنى شيئاً عسى ينفعنى فقال الضمآن يحزبه من الساء أيسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد يتبو عنه كل التواظ وما ذكره من تقديره أنه احتوته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحوناً بأنصاف السباع وأنواع الهوام مثل الضفب والشهوة والحقد والחסد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهى التي لا تزال تترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محبوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تثلث لك بصورها وأشكالها لما نيا ترى بينك القارب والحيات وقد أحدثت بك في قبرك وإنما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتطهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصمم قلبك فضلاعن ظاهر بترتك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى تسبح له الرجال ، وتسجد له الظلال ، وتدركك من هيبته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالندو والأصال ، ثم بكل بصيرة الخاص في خدمة بنور البصرة حتى لاحظ بضائه خضرة الحلال ، فلاح له من الهجة والبهاء والكمال ، ما استسبح دون مبادئ إشرافه كل حسن وجمال ، واستنقل كل ماضيه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستقلال ، وتخلله ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تبس وتختال ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجمت من طينة الحزنى وضربت في قالب النكال ، وهى متلفعة بجلبابها لتخفى قبايح أسرارها بطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت حياثلها في مدارج الرجال ، فهى تقتنصهم بضروب السكر والاعتغال ، ثم لا تجترى معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلال والأغلال ، وتلبس بأنواع البلى والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبايح الأسرار والأصال ، زهدوا فيها زهد البغى لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكبر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتقن منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدة أبدية لا يعتريها فناء ولا زوال ، والصلاة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل يروها ضل من ضل وبكرها زل من زل فإرأس الخطايا والسيئات ، ونفسها أم الطغاة وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربيع الهللكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغى لها والزهد فيها فانه رأس النجيات ، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعث منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بازواً عنها من العبد ويسمى ذلك قفراً وإما بازواً عن العبد عنها ويسمى ذلك زهداً وإسكلاً واحداً بهما درجة في نيل السعادات وحفظ الأمانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودور حاتمهما وأقسامهما ومشروطتهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فتقول : [الشطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقاً وبيان

(مكنات الفقر والزهد)

تعالى وأمرهم شورى
بينهم - أى مشاعهم فيه
سواء ومن أدبهم أنهم
إذا استعملوا صاحباً
يتمون أنفسهم
وبتسبيون في إزالة
ذلك من بواطنهم لأن
انطواء الضمير على
مثل ذلك للمصاحب
وليجه في الصحة. قال
أبو بكر الصكتاني
صحبني رجل وكان على
قلبي قبلاً فوهبت له
شيئاً بنية أن يزول قلبه
من قلبي فلم يزَل فخلوت
به يوماً وقلت له ضع
رجلك على خدى فأنى
فعلت له لا بد من ذلك
فصلى ذلك فزال
ما كنت أجده في
باطني قال الرقي صدقت
من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على النبي وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قوله المطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار النبي المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه .

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسايبه)

اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه إما قدماً لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستغاد من فضل الله تعالى وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستغاداً من غيره فهو النبي المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الوجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداه فاتهم محتاجون إليه ليجدوا وجودهم والدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى - والله النبي وأشم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقاً ولكل السانقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص وإلا فقير العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا يحصر لأن حاجاته لا تحصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي يريد الآن بيانه فقط يقول: كل فاقده للمال فانا نسميه فقيراً بالاضافة إلى المال الذي فقدته إذا كان ذلك المفقود محتاجاً إليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نميزها ونخص كل حال باسم يتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضاً له ومحتزماً من شره وشغلته وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه برغبة لفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهده فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً . الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يهضم لطلبه بل إن أتاه صفواً عفواً أخذته وفرح به وإن انفق إلى أتى بطلبه لم يستغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعاً إذ قنع نفسه بالوجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب له جزء وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سيلاً إلى طلبه ولو بالتمس لطلبه وأهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالخريص . الخامسة أن يكون ماقده من المال مضطراً إليه كالجائع القاعد للخبز والعاري القاعد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقفاً تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عنده وجود المال وقدته فأن وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن قدته فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاه ما أتى ألف درهم من المطاء فأخذتها وفرقتها من يومها قالت خادمتها ما استنطت فيما فرقت اليوم أن تفتري لنا بديراً لما نطهر عليه فقالت لو ذكرتني لقلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بمنزلة أفرها في يد موزع الله ثم أنضرمه إذ هو يرى الأموال في خزائن الله تعالى لاقى بد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره . وينبغي أن يصح صاحب هذه الحالة للسخط لأنه غنى عن قد السال وجوده جميعاً وليتهم من هذا الاسم معنى يشارك اسم النبي المطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإعماؤه غنى عن دخول المال في يده لاعتقائه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص ففرغ غنى عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده عن خروجه من يده أيضاً فإنه ليس يتأذى به ليجتاح إلى إخراجه وليس يفرح به ليجتاح إلى بقاءه وليس فاقداً له

حتى سألت الكافي عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والإتيار بالوضع . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في صفعة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا فكانهم فاشتر ذلك عليهم فأقر الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا - الآية وحكى أن علي بن دينار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خنيفة زائراً فقام على قال له

لاحتاج إلى الدخول في يده ففناء إلى المموم أميل فهو إلى الشيء الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإعسا
 قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لأقرب المكان ولكننا لانسى صاحب هذه الحالة غيابة
 مستخيا ليقى الشيء أصلا لمن له الشيء المطلق عن كل شيء وأما هذا البعد فإن استغنى عن المال وجودا
 أو عدمًا فلم يستغن عن أشياء أخرى سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين
 الله به قلبه فإن القلب للقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه من هذا
 الرق فهو محتاج إلى دوام هذا المنق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأتباع
 أصبين من أصابع الرحمن فذلك لم يكن اسم الشيء مطلقا عليه مع هذا الكمال بالإجازة. واعلم أن
 الزهد درجته كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من الذين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصا إذ حسات
 الأبرار سيئات الذين وهذا لأن الكراهة للدنيا مشغول بالدنيا كأن الراغب فيها مشغول بها والشغل
 بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا يمد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه أقرب
 إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب
 بينك وبينه ولا شغل بغيره وشغل بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك
 وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محبوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول
 بنفسه نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع
 العاطق والمشوق فإن التفت قلب العاطق إلى الرقيب وإلى نفسه واستغنى عنه وكراهة حضوره فهو في حال
 اشتغال قلبه بنفسه مصروف عن التفت بمشاهدة مشوقه ولو استغرقه المشق لغلل عن غير المشوق
 ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير المشوق لحبه عند حضور المشوق شرك في المشوق ونقص فيه
 فكذلك النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال
 في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا
 يجتمع أيضا بغض وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول ببغضا غافل وهو في غفلة سالك في
 المشغول بحبا غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول ببغضا غافل وهو في غفلة سالك في
 طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتبدل بالشغور والكمال له مرتبة لأن
 بغض الدنيا عطية توصل إلى الله فالهوى والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة
 وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكمية والآخر مستدبرها فهما سيان بالإضافة إلى الحال
 في أن كل واحد منهما محبوب عن الكمية ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى
 للتدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالإضافة إلى المتكسف في الكمية اللازمة لها الذي لا يخرج
 منها حتى يتغنى عن الاشتغال بالداة في الوصول إليها فلا ينبغي أن نظن أن بغض الدنيا مقصود في عبث
 بل الدنيا طاق عن الله تعالى ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله
 من زهد في الدنيا واقتصر عليه قد استجبل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخره فيبين أن سلوك
 طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع التمر العائق عن الحج، فإذن قد ظهر
 أن الزهد في الدنيا أن أربده عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أربده الرغبة في
 عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الرضى والقانع والحريص ونقصا بالإضافة إلى درجة الاستغنى بل
 الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون
 على طاق البحر ولاقلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه
 فلا يكون قلبك مشغولا بالماء الكثير ولا يفيض الماء الكثير بل نقول لا شرب

أبو عبد الله قدّم فقال
 بأى عذر فقال بأنك
 لقيت الجنيب وما لقيته
 ومن أدبهم ترك محبة
 من هم شيء من
 فضول الدنيا قال الله
 تعالى - فأعرض عن
 تولى عن ذكرنا ولم يرد
 إلا الحياة الدنيا -
 ومن أدبهم بذل
 الانصاف للأخوان
 وترك مطالبه الانصاف
 قال أبو عبيد الحري
 حق الصعبة أن توسع
 على أخيك من مالك
 ولا تطمع في ماله وتصفه
 من نفسك ولا تطلب
 منه الانصاف وتكون
 تبعاله ولا تطمع أن
 يكون تبعالك وتستكثر
 ما يصل اليك منه
 وتستقل ما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا يعمل به على أحد فكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخير والياء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله تعالى ووقت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الخير يأتك لا بمحالة مادية حيا كما يأتك قدر حاجتك من الماء على ماسيأتي يانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الخوارزمي قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للفقير اذهب إلى البيت فخذ الزكاة أي أهديتك إلى فان المدعو

يوسوس لي أن الالم قد أخذها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلبك بالصوفة قزادة في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الزكاة في بيته التفات إليها سببه الضعف والنفاس . فان قلت قال بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار . فأقول : كما هربوا من الماء معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يعموه في القرب والروايات يدور مع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بعباده وبفضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوا وهو وضوعها في مواضعها وماهر بولائها (١) إذ كان يستوى عندهم للماء والذهب والخير وما ملكتهم من امتناع فاما أن ينقل عمن خاف أن لو أخذ من المال وعنده المال ويقد قلبه بفدوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا حرم البئس المال والحرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الحائق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قولي بلغ الكمال ولكن أظهر القرار والقرار والقرار إلى درجة الضعفاء ليقنوا به في الترك إذ لو اتدوا به في الأخذ لفسدوا كما يفسد الرجل العزم بين يدي أولاده من الحيلة لضعفه عن أخذها ولكن لعله أنه لو أخذها أولاده إذا رآها فليس يكون والسيه يسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والماء فقد عرفت إذن أن الراتب ست وأعلاهما رتبة المستغنى ثم الراتب الراضى ثم القانع ثم الحريص ، وأما الضرر فيتنصّر في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية السنتي فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل ينحى فقيرا فيسمى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغناؤه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقر بها فانه أحق باسم العبد من العاقلين وإن كان اسم العبد عاما للحق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير قاسم الفقير مشترك بين هذين العبارتين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر (٢)»

(١) حديث إن خزائن الأرض حلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدّم في آداب العيشة من عبد البخاري تلقيا مجزوما به من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عمال من البحرين وكان أكثر مال أبيه بفضرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلبث إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فقفا كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد البحري في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بنال من البحرين فسمعت الأنصار يقدموه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاء ما مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أودين فليأتها فقلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني لثلاثا (٣) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم في الأذكار والدعوات .

منك . ومن أذهب في الصعبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوك قحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز ومن أذهب أن لا يجزى في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا ولت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه التدبيرات عليه اعتراضا . ومن أذهب في الصعبة حذر للمارقة والحرس على الملازمة . قيل صعب رجل رجلا ثم أراد المارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصعب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا » (١) لا يناقض قوله « أحب مسكينا ومتى مسكيا » (٢) إذ فقر الضطر هو الذي استعاض منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأل في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطلي من أهل الأرض والسما .

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقر المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقول تعالى - للفقر الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم الهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر . وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن نحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسل الله قال فقير يعطى جهده » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « ألق الله فقيرا ولا تلقه غنيا » (٤) وقال عليه السلام « إن الله يحب الفقير للتنف أبيا المال » (٥) وفي الخبر المشهور « يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائها بخمسةائة عام » (٦) وفي حديث آخر « أربعين خريفا » أي أربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحرص على التي الحرص والتقدير بخمسةائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التي الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتها بين القراء بين درجاتهم وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسةائة ولا تظن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدي على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستطيق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وهذا كله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » (٧) فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين فأما بالتحقق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته واللائكة والدار الآخرة لا كباية غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحبي مسكينا ومتى مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى جهده أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصر على الرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال ألق الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم في مسند علامته أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلقط مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاهما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير للتنف أبيا العيال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل قراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسةائة عام الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال قراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلقط رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك محبتنا أولا فقال الرجل زال عن قلبي نية الفاقة . ومن أديم التنطط على الأسافر . قيل : كان إبراهيم بن آدم يعمل في الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان تأخر في بعض الأيام في العمل فقالوا اليلة تعالونا كل فطورنا دونك حتى يعود بعد هذا يسرع فأفطروا وناموا فخرج إبراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لطعم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شيء من الدقيق فمجه فاقربوا وهو ينفع في النار واضنا

بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها
 تتم له الأحوال الحارقة للمعادت كما أن لنا صفة بها تتم الحركات القرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة
 وإن كانت القدرة وللقدر جميعا من فعل الله تعالى. والثالث أن له صفة بها يصير للانسكوت وشاهد من كان
 للصبر صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها البصائر. والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب
 إما في اللحظة أو في النام إذ بها يطالع الوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كالات وصفات يعلم
 ثبوتها للأنبياء ويسلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نخسها إلى أربعين وإلى
 خمسين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن نتكلف تخسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة
 جزءا واحدا من مجملها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التفتيات الممكنة لا يمكن إلا بظن
 وتخمين فلا ندري تحققة أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما المعلوم مجامع الصفات
 التي بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لإرشادنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن القراء
 لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحرص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد
 حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقضى ذلك التقدم بمسافة عام قليل
 في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والترض التنبه على
 منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فان الضعيف الايمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك. ولترجع إلى نقل الأخبار فقد
 قال صلى الله عليه وسلم أيضا «خير هذه الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضفأها» (١) وقال
 صلى الله عليه وسلم «إن لي حرتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر
 والجهد» (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ
 عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا (٣) وتكون ممكنا أيما كنت فأشرق رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له وما لمن لا مال له ولها جمع من
 لا عقل له فقال له جبريل يا محمد تبتك الله بالقول الثالث. وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في
 سياحته رجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني؟ إني
 قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا جبريل وصر موسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب
 وتحت رأسه لبنة ووجهه وخطبه في التراب وهو منزعج بمبادة فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع
 فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا
 كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فزججده عنده ما صلحه
 فأرسلني إلى رجل من يهودي خيري وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بني دقيقا إلى هلال رجب
 قال فأنيته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله
 إنني لأبين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأودت إليه أذهب بدرعي
 (١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضفأها لم أجده له أصلا (٢) حديث
 إن لي حرتين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهد لم أجده له أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل فقال
 إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار
 من لا دار له الحديث هذا ملفق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي
 ليصل لي بطعام مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن
 والأحد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد ختم في ذم الدنيا.

حسانه على التراب قالوا

له في ذلك قال قالت

لعلكم لم تجدوا فطورا

فغنم فقالوا انظروا

بأى شيء عاملناه

وبأى شيء ياملنا.

ومن أدبهم أن لا يقولوا

عند الدعاء إلى ابن ولهم

وبأى سبب قال بعض

النساء إذا قال الرجل

لصاحب قم بنا فقال

لئى أين فلا تصعبه.

وقال آخر من قال

لأخيه أعطني من

مالك فقال كم تريد

ماقم بحق الإخاء وقد

قال الشاعر:

لا يسألون أخام حين

يتدهم

للتأثبات على مال برهانا

ومن أدبهم أن

لا يشكفوا للاخوان

هذا إليه فارغه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تمزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزكى المؤمنين من الغنى الحسن على خد القرس (٢)» وقال علي (عليه السلام) «من أصبح منكم مافي جسمه آتانا في سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كعب الأحبار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشعار الصالحين». وقال عطاء الخراساني مرثي من الأنبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا قال بسم الله وألقى الشبك فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكه فخرج فيها من الحيتان ما كان يقاوس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا رب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك قال الله تعالى لللائكة اكشفوا العبدى عن منزلتها فلما رأى ما عاين الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الموان قال رضى يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطمعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطمعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي لفظ آخر «قللت ابن الأغنياء قبل حسم الجحيم» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قللت ما شأهن قبل شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليها السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال السجسج صلى الله عليه وسلم وبسطة يدخل التي الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحب إليه الحب البالغ اقتناه قبل وما اقتناه لم يترك له أهلا ولا (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشعار الصالحين وإذا التي مقبلا قتل ذنب مجلت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أجاؤك من خلقك حتى أحبهم لأجل ذلك قال: كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديدا الضعيف وقال السجسج صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورده على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزكى المؤمنين من الغنى الحسن على خد القرس الطبراني من حديث هدد بن أوس بسند ضعيف والعرف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم مافي في جسمه الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطمعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب النكاح مع الزفارة التي في آخره (٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الهلبلى في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود روى في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت يحيى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت التي مقبلا قتل ذنب مجلت عقوبته أبو منصور الهلبلى في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي بردة ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى فذكره زيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب

قول لما ورد أبو حصص السراق تكلف له الجسد أنوعا من الأطعمة فأكثر ذلك أبو حصص وقال صير أصحابي مثل الخائثين يقدم لهم الألوان والفنوة عندنا ترك التكلف وإحضار ما حضر فإن التكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف ويسترك التكلف يستوى مقامه وذمها ومن أدبهم في الصعبة المداواة وترك المداواة وتشبه المداواة بالماهتوق الفرق بينهما أن للمداواة ما أردت به صلاح أخيك فدايته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما نكره

عليه وسلامه إلى أحب المسكن وأبيض النعماء، وكان أحب الأسماء إليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنيأؤم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما لهم وما يجيئون إليك ولا يجيئني ونجني إليك ولا يجيئون بنونك بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأثرث وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفوة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برأيتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فترسل عليه قوله تعالى - وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريد زينة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطلع من أغفل قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ^(١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأترسل الله تعالى - عيس وتولى أن جاءه الأعمى وما يديرك له بركي أوبذكر فتتمه الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استخفى فانت له تصدى ^(٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - يؤتى بالبعد يوم القيامة فينظر الله تعالى إليه كما ينظر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعدت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فن أطلعكم في أو كاسك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم الفرق فيختل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة ^(٣) - وقال عليه السلام «أكثرُوا معرفة الفقراء واتخذُوا عندهم الأباذي فإن لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطلعكم كسرة أوسقاكم شرية أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة ^(٤) »

والله اعلم ما قصدت
به شيئا من الهوى
من طلب حظ أو إقامة
جاء . ومن أذهبهم في
الصبر عتبة الاعتدال
يسين الانقباض
والانقباض ، قل عن
التأني رحمه الله أنه
قال : الانقباض عن
الناس مكسبة لعداوتهم
والانقباض إليهم مجلبة
لقرناء السوء فكفر
يسين التقبض
والتبسط . ومن أذهبهم
سرعورات الأخوان
قال عيسى عليه السلام
لأصحابه : كسب
تصنعون إذا رأيتم
أحباكم تأمنا فكشف
الريح عنه ثوبه قالوا
نستره وننظفه فقال
بل تكشفون عورته

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات العرب وأغنيأؤم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما لهم وما يجيئون إليك ولا يجيئني ونجني إليك ولا يجيئون بنونك بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأثرث وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفوة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برأيتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فترسل عليه قوله تعالى - وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريد زينة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطلع من أغفل قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ^(١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأترسل الله تعالى - عيس وتولى أن جاءه الأعمى وما يديرك له بركي أوبذكر فتتمه الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استخفى فانت له تصدى ^(٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - يؤتى بالبعد يوم القيامة فينظر الله تعالى إليه كما ينظر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعدت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فن أطلعكم في أو كاسك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم الفرق فيختل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة ^(٣) - وقال عليه السلام «أكثرُوا معرفة الفقراء واتخذُوا عندهم الأباذي فإن لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطلعكم كسرة أوسقاكم شرية أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة ^(٤) »

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمانى فظنرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يارب ما شأنهم قال أمال النساء فأمرهن الأحرار الذهب والحريير وأمال الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ونفقت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبيى فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت للشياطين وظننت أنى لأراك ، فقلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالى ^(١) فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابعة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة ^(٢) وهو من الأغنياء الذين ذل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلامن قال بالمال هكذا وهكذا ^(٣) ومع هذا فقد استنصره بالنفى إلى هذا الحد » ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال : لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أنتم على الله لأبره ^(٥) وقال عمران ابن حصين « كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم بأني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقف بياب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بك بك الحق نيبا ما لى إلا عيادة قال أصغى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف يرأسى فأننى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أدنت له فدخل فقال السلام عليكم بالإتناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله جمعة وزادنى وجعا لى ما لى أنى لست أقدر على طعم أكله فقد أشربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأبى تالبة يا تالبة فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمنى ولكنى أثمرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنسكن فى بيوت من قصب لا ذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقمى بأين عمك إلى أخيه فى الدنيا [١] [١] حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمانى فظنرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم الحديث الطبرانى من حديث أبي أمامة بسند ضعيف بحمودة فى بلال فى الصحيح من طريق آخر [٢] حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح [٣] حديث إلامن قال بالمال هكذا وهكذا ومتفق عليه من حديث أبي ذر فى أثناء حديث تقدم . [٤] حديث دخل على رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا لى أهل الأرض لوسعهم لم أجده [٥] حديث ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً ولم يقلوا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أبى العباس بخط بعض الفضلاء حديث أخذوا مع الفقراء أيدى وكذا حديث الفقر فخرى قال كلاهما كذب انتهى وكذا رأيت فى كلام له آخر .

قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحكم بسمع فى أخيه بالسكامة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها ومن أدهم الاستغفار للاخوان بظهر التيب والاهتمام لهم مع الله تعالى فى دفع السكارة عنهم . حكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال لى ابتليت بهوى فان شئت أن أنفد على محبتي لله فأنفد فقال ما كنت لأحل عقد إختاك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقداً أن لا يأكل ولا يشرب حتى يمافيه الله تعالى من هواه وطوى ربهين يوماً كما يسأله

فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس فقراهم وأظهروا عمارة الدنيا وتساكبوها على جميع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقص من الزمان والجور من السلطان والحياة من ولادة الأحكام والشوك من الأعداء (٢)». وأما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذوالدرهمين أشد حسبا أو قال أشد حسبا من ذي درهم، وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا قالت إمرأته إرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى يدرك الخلق شفقه وجهه صررا وفرقه ثم قام يسلى ويسكى إلى القعدة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء خمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يفسل ثوبه فلم يكن له خاق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله قال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لسكرته تخريبه للفقراء وإعراشه عن الأغنياء. وقال للؤلؤ ما رأيت الفتي أشد منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لتجا جعبا جعبا ولورغب في الجنة كما يرغب في الجنة لم يكن أبدا ركبوا جعبا ولوخاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسمد في الدارين جميعا وقال ابن عباس: «لمون من أكرم بالفتى وأهان بالفقر». وقال لقمان عليه السلام لانه لا تخف من أحد خلقا ن ثياب فان ركب وره واحد وقال يحيى بن معاذ: حيك الفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بحالهم من علامة الصالحين وفراكم من صحتهم من علامة للناقين، وفي الاخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمقتك تقسط من عبي فأصب الدنيا عليك صبا، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعا لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشترت لك بدرهم لحا تظفري عليه وكانت حاتمة فقالت لو ذكرني فقلت، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت الاحقوق بي فطيك ببش الفقراء وإياك ومجالة الأغنياء ولا تنزع يدك حتى ترقميه (٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحواسي من ديوان الفقراء بشرة آلاف درهم؟ لا أنضل ذلك أبدا رضي الله عنه.

عن هوال يقول مازال
فبعد الأربعين أخبره
أن الهوى قد زال
فأكل وشرب. ومن
أدبهم أن لا يجوجوا
صاحبهم إلى الداراة
ولا يلجئوه إلى الاعتذار
ولا يتكلموا للصاحب
ما يشق عليه بل
يكونوا للصاحب من
حيث هو مؤثرين مراد
الصاحب على مراد
أنفسهم قال علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه
شر الأصدقاء من
حوجك إلى مداراة
أو إلجأك إلى اعتذار
وتسكتف له. وقال
جعفر الصادق أفضل
إخواني علي من
يتسكتف لي وأحفظ
منه وأخفهم على قلبي.

- (١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عبادة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس فقراهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جملة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء خمسمائة عام الحديث وفي أوله قصة إلا أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار فجاء كئيبا حزينا وفرقها، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أن قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورتين.
- (٤) حديث قال لما شئت إن أردت الاحقوق بي فطيك ببش الفقراء وإياك ومجالة الأغنياء الحديث الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم.

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والفقراء والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به »^(١)
 وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من غلوكم تنظفروا ثواب فقر كبر الإغلاص »^(٢)
 فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بعفوه أنه أن الحريص لأثوابه على فقره ولكن المومات
 الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فطمع الرادى بدم الرضا والسكراته لتدل
 الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقله إنكار على الله تعالى ولا كراهة في ضله
 تلك السكراته هي التي تحبب ثواب الفقر ، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء
 الله تعالى يوم القيامة »^(٣) وروى عن علي بن كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى
 الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد
 كفافا »^(٥) وقال « ما من أحد غنى ولا فقر إلا ودته يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا »^(٦) وأوصى الله
 تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال
 صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا »^(٧) وقال ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة
 أين صفون من خلقي فقول الملائكة ومن هم إرنا فيقول قراء للسلمين القانعون ببطائى الراضون
 بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها وبأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون »^(٨) فهذا في
 القانع والراضى . وأما الزاهد فنذكر فضله في الشرط الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الآثار
 في الرضا والقناعة فكثير ولا يحصى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه إن
 الطمع قهر والياس غنى وإنه من يش عما في أبدى الناس وقنع استغنى عنهم . وقال أبو مسعود رضى الله
 تعالى عنه ما من يوم إلا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال
 أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا
 مسرورا وبالليل والهارد بالبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويع ابن آدم ما ينفع مال يزيدو عمره نقص وقيل
 لبعض الحكماء ما لقي قال قلعة تخنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النمر غراسان
 فيناها وشر من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فقال أكل
 نام فقال لبعض غفاته إذا قام لجنى به فلقاه جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع
 (١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث
 يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من غلوكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
 أبي هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان المصرى منهم بالكذب ووضع الحديث
 (٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الدار قطنى في غرائب مالها
 وأبو بكر بن لال في مكالم الأخابق وابن عدى في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر .
 (٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى من الله ثم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند
 ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير التذمف (٥) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا مسلم من
 حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث ما من أحد غنى ولا فقر إلا ود
 يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل
 من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفون من خلقى ؟
 فقول الملائكة ومن هم إرنا ؟ فيقول قراء السلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

من أكون معه كما
 أكون وحدى فأذاب
 الصحة وحقوق
 الأخوة كثيرة
 والمحبات في ذلك
 يطول قلها وقد رأيت
 في كتاب الشيخ أبى
 طالب المسكى رحمه الله
 من المحبات في هذا
 للمنى شيئا كثيرا قد
 أودع كتابه كل شئ
 حسن من ذلك وحاصل
 الجميع أن العبد ينبغي له
 أن يكون لمولاه ويريد
 كحل ما يريد لمولاه
 لأنفسه وإذا صاحب
 شخصا تكون محبته
 إياه لله تعالى وإدابعه
 لله تعالى يجتهد في كل
 شئ يزيد عند الله
 زلفى وكل من قام
 بمحقق الله تعالى يزرقه

قال نعم قال فضيحت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصعب أيا بالدينا والنفس تنزع بهذا القدر ومن رجل يمازى بن عبد القيس وهو يأكل ملحا ويقتل قال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا قال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال: بل على من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابس فيه بلغم ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم ينجح إلى أحد . وقال الحسن رحمه الله لمن الله أقواما أقسم لهم أنه تعالى ثم لم يصدقهم ثم قرأ - وفي السماء رزقكم وما تعدون فوق رب السماء والأرض يعلمن - الآية . وكان أبو ذر رضى الله عنه يوما جالسا في الناس فأتته امرأته فثقلت له أن يجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هبة ولا سفة قال يا هذله إن بين أيدى بناغية كشودا لا ينجومها إلا لعل خفف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس إلى الكفر ذواقاة لاصبر له وقيل لبعض الحكماء ما لك فقال التجليل في الظاهر والتقصير في الباطن والياس بما في أيدي الناس وروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة للزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك يكن لك منها إلا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأحسن اليك وقد قيل في القناعة:

اضرع الى الله لاتضرع الى الناس واقنع بئاس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قرين وذى رحم إن التنى من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا الثنى أيضا :

يا جامعا ما لنا والهدى برمقه مقدرا أئى باب منه يثقله
مفكرا كيف تأتبه منيته أغاديا أم بها يسرى فطرقة
جمعت ما لا يقلل هل جمعت له يا جامع المال أياما تغرقه
للحال عندك مخزون لو ارتبه ما للال مالك إلا يوم تنفقه
أرؤه يال فقى يبدو على هقة أن الذى قسم الأرزاق برزقه
فالعرض منه مصون ما يدنس والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يهلل بإساحتها لم يبق في ظلها هم يؤرقه

بيان فضيلة الفقر على الثنى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجليل والحواص والأكثرون إلى تفضيل الفقر . وقال ابن عطاء القتي الشارح القائم عفته أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجليل دعا إلى ابن عطاء لمناقشته إياه في هذا فأصابته حجة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبيننا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب فضيلة الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل ، فأما الفقر والثنى إذا أخذنا مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول : أما يتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس يحرص على الطلب بل هو قانع أو راض بالأضافة إلى غنى منفق ماله في الحريات ليس يحرص على إمساك المال والثاني فقير يحرص مع غنى يحرص إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الثنى الحرص المسك وأن الثنى للنفق ماله في الحريات أفضل من الفقير الحرص أما الأول فرمما يظن أن الثنى أفضل من الفقير لأنهما تساويا في صنف الحرص على المال والثنى متقرب بالصدقات والحريات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فها نصيبه ، فأما الثنى المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشبهه ماروى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحريات والصدقات والحج والجهاد فظلمهم كلمات في التبريح وذكر لهم أنهم يذالون بها فوق ما ناله الأغنياء فذلم الأغنياء ذلك

الله تعالى علما بعمرفة النفس وعيوبها وبصرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ووقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويثقفه في ذلك كله ولا يغوته شئ مما

يحتاج إليه فيها يرجع إلى حقوق الحق وفيها يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبت النفس وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمات بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والمحسبات والوعاظ والآداب وصحابها لا يعمل في النفس

مكناوا يقولونه فساد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لماسأل عن ذلك فقال النبي أفضل لأنه وصف الحق أماديله الأول فيه نظر لأن الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب التقير في التسبيح يزيد على ثواب الثنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روي زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «بث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إننا أغنياء ذهبوا بالفقر إلىك فقال مرحبا بك وبمن جث من عندهم قوم أحبهم قالوا يا رسول الله إننا أغنياء ذهبوا بالخير مجبورون ولا نهدر عليه ويستمرزون ولا نهدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منك ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصال واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء يدخلها إلا بني قنبر أو شبيب قنبر أو عو من قنبر ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة إذا قال النبي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال التقير مثل ذلك لم يلحق النبي بالتقير ولو أثنى فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كما فرج إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن النبي وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوع فقال أتري أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبى أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا يبنى أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فإبرأ روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء رداى والمظنة إزارى فمن نازعى واحدا منها قصمت (٣) وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها إثم من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في فضيل النبي والفقر وحاصل ذلك تعلق بمومات قبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تمتد مناقضها إذ كما يناقض قول من فضل النبي بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم النبي لأنه وصف للبد بالعلم والعرفه فأنه وصف الرب تعالى والجهل والغلظة وصف للبد وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد لهبه بل يراد لتبريه فينبى أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والله باليست محذورة لعينها ولكن لكونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوب له لئلا يكون لأن فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه ومن غنى لم يشغله الثنى عن الله عز وجل مثل سلبان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ومن قنبر شغله الفقر وصرفه عن التصدقة أو القصد في الدنيا

(١) حديث شكا الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه

(٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إلى الأغنياء ذهبوا بالجنة مجبورون ولا نهدر عليه الحديث وفيه بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر واحتسب منك ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والمروفي في هذا النبي مارواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشترك فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الله به عليهم أغنياءهم فقال يا بعض الفقراء ألا أبركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء رداى والمظنة إزارى تقدم في العلم وغيره.

زيادة تأثير ويكون كبر يقب فيه للماء من فوقه فلا يمكث فيه ولا يمتنع به وإذا أخذت بالتقوى والزهدة في الدنيا نبع منها ماء الحياة ونفثت وعلقت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

[الباب السادس والخمسون في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزيني قال أنا كريمة للروزي قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير يمكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الثنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للثنى مشغول به سواء كان في فراقة أو في رصاه وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا مشغولة الغافلين المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتجسس بها فإذا إن فرضت فإرغبت عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من قنعه إذ الجائع يسلك سبيل اللوث لاسبيل للفرقة وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الحظر أبعد إذ قنعة السراء أخذت من قنعة الضراء ومن الصحة أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضى الله عنهم بئنا بقتة الضراء فبئنا بقتة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ القذ الذي لا يوجد في الأصناف الكبيرة إلا نادرا ولما كان خطاب الترفع مع السكك لأمع ذلك النادر والضراء أصلح للسكك دون ذلك النادر زجر الترفع عن الثنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال السبيح عليه السلام : لا تتقربوا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم ينهب بنور إيمانكم . وقال بعض العلماء : تغلب الأموال بمس حلاوة الإيمان وفي الخبر « إن لكل أمة محملا ومحمل هذه الأمة الدينار والدرهم » (١) وكان أصل عمل قوم موسى من حلية الذهب والنضة أيضا واستواء المال واللواء والذهب والحجر إيمانهم بتصوره لآنياء عليهم السلام والأولياء ثم يتم لهم بذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا « إليك عني » (٢) إذ كانت تتمثل له بزيتها وكان على كرم الله وجهه يقول : يا صفر غري غري ويا بقاء غري غري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الإغتراب بها ولأن رأى برهان ربه وذلك هو الثنى المطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الثنى عن كثرة المرض إنما الثنى غنى النفس » (٣) وإذا كان ذلك بعيدا فإذا الأصلح لكافة الخلق فقد للمال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستثمار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما بأنس السيد بالدنيا يستوحش من الآخرة ويقدر ما بأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله من جهة ومهما انحطت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لآماله إلى الله فلا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها مثل الشرق والغرب فانهما جفتان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فبين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغي أن يكون منقطع نظر العارف قلبه في عزوه عن الدنيا وأنه بها فإذا فضل الفقير والثنى بحسب تلقى قلبهما بالمال حفظ فان تساويا فيه تساوت درجتها إلا أن هذا مزلّة قنم وموضع غرور فان الثنى ربما يقطع القلب

التكشيب في قال أخبرنا أبو عبد الله القريري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال ثنا عمر ابن حفص قال ثنا أبي قال ثنا الأعشى قال ثنا زيد بن وهب قال ثنا عبد الله قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق للصدوق قال « وإن أحدكم جمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغته مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ووزنه وحق أمه عليه ثم ينفخ فيه الروح وإن الرجل ليعمل بعمل

(١) حديث لكل أمة محمل ومحمل هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الدبلي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول للدنيا إليك عني الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الثنى عن كثرة المرض الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن السال ويكون حبه دفتنا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقدته فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفاتا فليعلم أنه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق إذن أنه كان مغرورا وأن المشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فانطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأسنه بالدنيا أضنف وقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسيحاته وعبادته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالله كور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير الله كور كتأثيرها في قلب مشغول ووقاك قال بعض السلف مثل من تميد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحرقاء ومثل من يضل يده من الثمر بالسلك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصر واحتجب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله : ادع الله في قدر أضمر في البقال فقال إذا قال لك عباك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الثني المتصد مثل روضة على منية ومثل الفقير المتصد مثل عقد الجواهر في جيد الحسنة وقد كانوا يكرهون سماع علم المرفقين الأغنياء ، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدل عند النصف من نسي الزهر فيها جاوز السكاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله مجتهد من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن قد السال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الثني أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن توفى الحساب قد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حاثونا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأرجع كل يوم خمسين دينارا وأصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تنكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدّة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن الثني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان البديع غنيا عن وجود السال وعنده جميعا بأن يستوى عنده كلاهما فأما إذا كان غنيا بوجوده ومنفردا إلى بقائه فلا يضاغي غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والالتصوير زواله بأن يسرق وما ذكر من الرد عليه بأن غنى ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالبعد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للبعد بل منتهى البعد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق يصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالبعد فإن التكبر على من لا يستعقب التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستعقبه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به ، ثم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإبداء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والبيد ما مور

أهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل يعمل بعمل
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلاسل من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين -
أي حرز لاستقرارها
فيه إلى بلوغ أمهاتها
قال بعد ذلك تبارك وتعالى
أنشأنا مخلقا آخر - قيل
هذا الإنشاء نفع الروح
فيه - وأعلم أن الكلام
في الروح صعب المرام

به بأنه يطلب أعلى للراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حق لا بالباطل والتليس الضل
 البعد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطيع أكبر من العصي والمسلم أكبر من الجاهل والابن
 أكبر من البهيمة والجسد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية عصفية
 لاشتد فيها لكثرت صفة التكبر حاصلة له ولاهبة به وفضيلة في حقه لأنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك
 موقوف على الحاشية وليس يدرى الحاشية كيف تكون وكيف تنقضي فليجعله بذلك وجب أن لا يستند
 لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يغتم للكافر بالإيمان وقد يغتم له بالكفر فربما يكون ذلك لاهاب
 لتصوره عنه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم قصصا في حقه إذ ليس
 من أوصاف الله تعالى علم يضربه لمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في البعد من صفات
 الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والطاهة فاذن لو استوى عنده وجود
 المال وعدمه فهذا نوع من الثنى يضاهي بوجه من الوجوه الثنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو
 فضيلة ما لا يثني بوجوده لئلا يفضله أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الثنى الشاكر ،
 [المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الثنى الحريص] ولنفرض هذا في شخص واحد
 هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فلهالة الفقد وحالة الوجود فأى حالتيه أفضل فنقول:
 ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد منه في الحياة وكان تصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
 حال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والله كرا لا قدر تمدخوة
 يشغل والسكنى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل داود » وقال « كاد
 الفقر أن يكون كفرا » أي الفقر مع الاضطراب في ما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة وكان
 المطلوب قدرا الحاجة ولكن لا يمكن التصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين لحالة الفقر أفضل وأصلح
 لأنها استوى في الحرص وحب المال واستوى في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة في طريق
 الدين واستوى في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لصحبة بسبب الفقر والثنى ولكن افترا في أن الواجد
 يأمن بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطن إلى الدنيا والقائد الضطر يتجاف قلبه عن الدنيا وتكون
 الدنيا عنده كالسجن الذي يني الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وأخرج من الدنيا رجلا أحدهما
 أشد ركونا إلى الدنيا لحاله أشد حاجة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد
 أنه بالدنيا وقد قال **عليه السلام** « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فأنتك مفارقة » (١)
 وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فبني أن يحب من لا يفارقه وهو الله تعالى ولا يحب ما يفارقه وهو
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدمك بالوثى على ما تكرهه وفراقك لا
 تبعو كل من فارق محبوبا فيكون إذا فراقه قد رحبه وقد رآه به وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر
 من أنس القائد لها وإن كان حرصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأثر والأفضل
 والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود
 والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستبد به أدعية الفقراء ولما يكن وجع مهم والثاني الفقر عن
 مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه وجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يثني حياته
 ثم يستعين بقوة حياته على الكفر والعاصي ولومات جوار كانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت
 جوار ولا يعمدا يضطر إليه أيضا فلهذا تفصيل القول في الثنى والفقر ويبقى النظر في فقر حريص متكاتب على

والإمساك عن ذلك
 سبيل ذوى الأحلام وقد
 عظم الله تعالى شأن
 الروح وأسجل على
 الخلق بقية العلم حيث
 قال - وما أوتيت من
 العلم إلا قليلا - وقد
 أخبرنا الله تعالى في كلامه
 عن إكرامه بن آدم
 قال لو قد كرمتنا بنى
 آدم - وروى أنه لما
 خلق الله تعالى آدم
 وذريته قالت الملائكة
 يارب خلقهم يأكلون
 ويشربون ويتكلمون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا
 الآخرة فقال وعزنى
 وجعلنا لأجل ذرية
 من خلقت يدي كمن
 فلتله كن فكان فلع
 هذه الكرامة واختاره
 سبحانه وتعالى بإمام على

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له ثم سواء وفي غنى دونة في الحرص على حفظ المال ولم يكن نتجه بفقد المال لوقته كمنفج الفقير بفقره فهذا في محل النظر والأظهر أن الله تعالى يدرق قوة تفهمهما لتفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفهمهما بفقدته والعلم عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في قهره)

اعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره وعاملته وأفعاله ينبغي أن يراعيها ما أدب باطنه فإن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أثنى أنه لا يكون كارهها فدل الله تعالى من حيث إنه فعله وإن كان كارهها للفقر كالحجوم يكون كارهها للحجامة لتأله بها ولا يكون كارهها فعل الحجام ولا كارهها للحجام بل ربما يتقصد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب وتجنبه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام «يا معشر الفقراء أعطوا الله الزمان من فؤادكم نظفروا شباب قهركم وإلا فلا» وأرفع من هذا أن لا يكون كارهها للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعله ينوئ الله التي ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى واتقاه في قدر ضرورته أنه يأتيه لعلها ويكون كارهها للزيادة على الكفاف وقد قال في كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان شوبه أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ولا يسكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويسمى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل الممود الذي لا يتسخط ويرضى وأدبر بالفقر ويرضى لعله يشمره إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذته على ثلاثة : كثرت رغبته وطول حساب . وأما أدب ظاهره فإن يظهر التفتق والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر قهره ويستره بستره في الحديث «إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف» بالأميال وقال تعالى «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» وقال سفيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر . وأما في أعماله فأدبه أن لا يتواضع لشيء لأجل غناه بل يشكر عليه قال في كرم الله وجهه ما أحسن تواضع النبي للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تبه الفقير على النبي تبه بالله عز وجل فله رتبة وأقل منها أن لا يجالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراد وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لى . وقال بعض العارفين إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت هروته فإذا طمع فيهم انحطت عصمته فإذا سكن إليهم ضل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطعناً في العلماء وأما أدبه في أفعاله فإن لا يفتربسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذلك قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد للقل وضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ودرم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين ليعلم غبرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة» ألف (١) وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن لا يدخر لأربعين يوماً فإن زاد على ذلك داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام فقام منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين ليعلم غبرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة» ألف (١) في الزكاة وأصلها من رواية زيد بن أسلم مرسل .

في أصل الحياة أربعين يوما وهذه درجة للتقير والثالثة أن يدخل رسته وهي أقصى للراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكيفية ففي الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوما وبعضهم يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

(بيان آداب التقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال)

يبنى أن يلاحظ التقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس للبالوغرض اللطفي وعرشه في الأخذ أماهني اللال فيبني أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليترجم من أخذموقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنباه وما يستحب وأما غرض اللطفي فلا غلو ما أن يكون عرشه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الفكر والبراه والسمة إما على التجرد وإما بمزجها ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن يبنى أن لا يكون فيماتة فان كان فيها منة فالأولى تركها فان علم أن بعضها مما نظم فيه لئلا يقلد البعض دون البعض فقد أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال « قد هممت أن لأتهب لإلأمن قرشي أوتهني أو أنصاري أو دوسي » (٤) وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح اللوصلى صرة فيها خسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ومن أتاه رزق من غير مسألة فرده قائما يرده على الله » (٥) ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا وزرمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا فليأخذ الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والمواعظ أشد في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث لم يلى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من ممن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر وإنشاده جيد وقال وكعب مرة عن يلى بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وأبى الله لأقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يصكون مهاجريا الحديث فيه محمد ابن اسحق ورواه باللعنة (٤) حديث قد هممت أن لأتهب لإلأمن قرشي أوتهني أو أنصاري أو دوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله تثات (٥) حديث عطاء مرسلان أنما رزق من غير وسيلة فرده قائما يرد على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولأحمد وأبى يلى والطبرانى بإسناد جيد من حديث خاله بن عدى الجهني من بلفه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إنتراف نفس فليقبله ولا يرده قائما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولأحمد وأبى داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا اللال شيئا من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا اللال وأنت غير مشرف ولا مسائل غلظه الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تماخت الأخصى الانسانية للتطلعة إلى الفضول التشوقة إلى العقول التحركة بوضنها إلى كل ما أمره بالسكون فيه وللشورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تحويه وأطلقت عنان النظر في مسارب الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتوعدت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو رزمت النفوس حدها مترفة بسيرها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويمرض عليه غريم اللين فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صدقة شيئا يقول أركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل من قبل القبول فأخبرني حتى أخذته وإلا فلا ، وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقول ويرى اللذة على نفسه في قبول صدقة هديته ، فإن علم أنه يجازجه منه فأخذه مباح ولكه مكروه عند الفقهاء الصادقين . وقال بشر : ما سألت أحدا قط شيئا إلا سرى السقطي لأنه قد مسح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتمرر ببقائه عنده فأكون عوناً له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجليلد رحمه الله يسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا . قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الحل والبتل بل في الحلاوات والطيبات قبل ذلك منه ، فقال الخراساني ما أجد في بقاء أمن على منك ، قال الجليلد ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون للثواب المجد وذلك صدقة أو زكاة فليد أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن اشتباه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فليست على باطله ، فإن كان مقارفاً لمصلحة في السر يعلم أن العطى لو علم ذلك لفرط طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كالو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة فيه . الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ، ويقول : لو علمت أنهم لا يدركون ذلك افتخاراً به لأخذت ، وعوبت بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، قال إنما أرد صلتهم إشفاقاً عليهم ونصائحاً لهم لأنهم يدركون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجاً إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في العطى فالأفضل له الأخذ . قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما للعطى من معة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعسا هو رزق ساقه الله إليه ^(٢) » وفي لفظ آخر « فلا يرد » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطوقد كان سرى السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليه شيئا فرد مرة ، فقال له السرى : يا أحمد احذر أفة الرد فأتها أشد من أفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فاجسه في عندك فإذا كان بعد شهر فأشده إلى ، وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما إذا كان مأثماً زاد على حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكامل بأمر الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء ، فإن كان مشغولاً بنفسه فلاجبه لأخذه وإسماكة إن كان طالباً لطريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو دواعي إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في العلاية

(١) حديث ما للعطى من معة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً للطبراني من حديث ابن عمر وقد تقدم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعسا هو رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرد

وأولى فأما أقاويل من ليس متمسكاً بالشرائع فتسزّه الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال أبرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطعت على الفساد ولم يصبا نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالى - كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً - . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب - فلما حججوا عن الأنبياء لم يسمعوها وحيث لم يسمعوها لم يهتدوا فأصروا على

الجهالات وحجيبوا

بالمقول عن المأمول

والقول حجة الله تعالى

بهدي به قوما ويضل

به قوما آخرين فلم

تقل أنوالم في الروح

واختلافهم فيه . وأما

التمسكون بالشرائع

الدين تكلموا في الروح

قعود منهم بطريق

الاستدلال والنظر

وقوم منهم بلسان

الدوق والوجد

لا باستعمال الفكر

حق تكلم في ذلك

مشايخ الصوفية أيضا

وكان الأولى الإمساك

عن ذلك والتأدب

بآداب التي عليه الصلاة

والسلام . وقد قال

الجنيد : الروح شئ

استأثر الله ببله ولا

وردد في السر أو بأخذ في العلانية وبشرقي في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من أطمأنت نفسه بالرياسة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليعرف صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيعمل كليهما في السر أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا جل الأفضل إظهار الأخذ أو إسخاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فيطلب من موصيه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطي رحمه الله فأما كان لاستنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرش لنفسه أن يستغل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإتقاف في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أما جالس كما ترى عريان كما ترى لها ترى فيا ربنا يامن يرى ولا يرى فظنرت فإذا عليه خلقان لا تسكدا نواريه قلت في نفسي لأجد لدرهمي موصيا أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليهما ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أريته بمن موزون ودرهم أخفه ثلاثا فلا حاجة في إلى الباقي فرد . قال فرأيت اليلة الثانية وعليه مئزران جنيديان فجهش في نفسي منه شئ فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من مدائن الأرض يتخذه شئ تحت أقدامنا إلى السكبين : منها ذهب وقضة وباقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أتعامل وقتها وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، وللقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وقتها لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدرة الحاجة بأنك رعاك ، فلا تقفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه ، فما زاد فهو حساب » (١) فاذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيها زاد عليه إن لم تمس الله متعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب ، ومن الاختيار أيضا أن تزم على ترك لذة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأنيك عفوا صفوا لتتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نفس الزم أن تفقد هضم الممد وعادت لمادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذه وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتسكف بحق الفقراء وتمهد جماعة من الصلحاء نقد مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إمساكك ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختيار فرعا يخلو في قلبك فتسلك فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتمتع في العلم والشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستعرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله ممن حلال فشاءه وإن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يقرض ولا يغدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقيم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكنه فسادا فهو حساب الترمذي من حديث عمار بن عفان وقال وجلف الحيز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح .

ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله - قبل معناه ليسع أحد توبه وقيل معناه فليسترض
بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم إن لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائهم والله عباد ينفقون
على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله ثلاث طوائف الأولياء والأقرباء والأغنياء
قبل من هؤلاء ؟ قال أما الأولياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل حسن الظن بالله
تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فاذن مهما وجدت هذه الشروط في حق المال لولي
المعنى فليأخذه ويضي أن يرى ما يأخذه من الله لامن للمعنى لأن المعنى واسطة قد سخر لقطعه وهو
مضطر إليه بما سطر عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات . وقد حكى أن بعض الناس مداعفتها
في خسران من أصعابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما صدق الله له أسعابه إن هذا الرجل يقول لمن يرى
صنعت هذا الطعام وقدمت قطعامي عليه حرام قاموا كلهم وخرجوا لإعاشائهم كان دونهن إلى الدرجة
قال صاحب التلزل لثقيف ما صدقت بهذا قال أردت أن أخير توحيد أصحابي كلهم . وقال موسى
عليه السلام : يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يديني هذا يوما وشيئي هذا ليلة
فأوصى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا
فيهم فلا ينفني أن يرى المعنى إلا من حيث إنه مسخر ما جور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرشاه .
(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أنه قد وردت منه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة إذا قلنا صلى الله عليه
وسلم والسائل حق ولو جاءه من فرس (١) وفي الحديث وردوا السائل ولو بظلف عرق (٢) ولو كان
السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة للتدبير على عدوانه والاعطاء إعانة فالكاشف للظلمة به أن السؤال
حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان غناية فهو حرام
وإذا قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله
تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر قصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكأن العبد المملوك
لو سأل لكان سؤاله تشبها على سيده فكذلك سؤال العباد تشبيح على الله تعالى وهذا ينفى أن
يحرم ولا يعلل بالضرورة كما نحل لليلة . الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس
للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لولاه فإن فيه عزه فأما صائر الخلق فانهم
عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم بالضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى للشؤل . الثالث
أنه لا ينفك عن إهداء للشؤل غالبا لأنه ربما لاتسمع نفسه بالبدل عن طيب قلب منه فإن يذل
حياء من السائل أوردناه فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استعجا وتأذى في نفسه بالذم إذ
يرى نفسه في صورة البخله ففي البخله قصان ماله وفي اللع قصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل
هو السبب في الإهداء والإيذاء حرام بالإضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث قد فهمت قوله

(١) حديث للسائل حق وإن جاءه من فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي
وفي الأول يدل على أن يحيى جهه أبو حاتم وروته ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما
أبو داود وما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه يله عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث
تدور في الأسواق ليس لها أصل منها لسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد فقد أخرج حديث
الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو بظلف عرق أبو داود والترمذي وقال
حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مضطرب .

يجوز العبارة عنه
بأكثر من موجود
ولكن نجعل للصادقين
محلا لأقوالهم وأفعالهم
ويعجز أن يكون
كلهم في ذلك بمثابة
التأويل للكلام
الله تعالى والآيات
المنقولة حيث حرم
نفسه وجوز تأويله
إذ لا يصح بالقول وفي
التفسير لا نقل وأما
التأويل فتحتد
القول إليه بالباع
الطويل وهو ذكر
ما تحتد الآية من
اللعن من غير القطع
بذلك وإذا كان الأمر
كذلك فللقول فيه
وجه ومحل . قال
أبو عبيد الله النجاشي
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها»^(١) فانظر كيف ساهاها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح للضرورة كالإباحة شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره. وقال صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم»^(٢) «ومن سأل وله ما يفيته ما جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقفع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدحا في وجهه»^(٣) وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد «وبابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة: ولا تسألوا الناس شيئا»^(٤) وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سأنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا»^(٥) وقال عليه السلام واستغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى^(٦) «ومع عمر رضى الله عنه سألنا يسأل بعد الغرب فقال الواحد من قومه عش الرجل فضاه ثم صممه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيتني فظهر عمر فاذا تحت يده حمالة مملوءة خيرا فقال لتسألا ولا ولكنك تاجر ثم أخذنا الخلاف وترها بين يدي إيل الصدقة وضربه بالردة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولأخذ غلاته ولعل الفقيه الضعيف لئله الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الصريح بالتعزير وأما أخذ ماله فهو مصادرة والتعزير لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجاز وهو استبعاد مصدره التصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كما هم في حصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مواعظ على أسرار دين الله ومصالح عباده أترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة وإنما ذلك ولكن أقسم عليه غضبا لمعصية الله وحاشاه أوزار الدجر بالمصلحة بغير طريق شرعي نهاي الله وجهها فإن ذلك أبغض معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك وردده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا مالا له له فوجب صرفه إلى الصالح وإبل الصدقة وعطفه على الصالح ويتزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كآخذ الدملوى بقوله إني أعلى وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى الصالح الذي يبطى لصالحه وهو في الباطن مقارف لمصليق لو عرفها لبطى لما أعطاه وقد

عن الحسن ويكبر
عن الحسن ولا يجبر
عنه بأكثر من
موجود وهو وإن منع
عن العبارة فقد حكم
بأنه جسم فسكانه عبر
عنه. وقال ابن عطاء
خلق الله الأرواح قبل
الأجساد لقوله تعالى
«ولقد خلقناكم - بينى
الأرواح - ثم صورناكم -
بينى الأجساد - وقال
بعضهم الروح لطيف
قام في كسيف
كالبرص جوه روح لطيف
قام في كسيف وفي هذا
القول نظر وقال
بعضهم الروح عبارة
والقائم بالأشياء هو
الحق وهذا فيه نظر
أيضا لأن يجعل على
معنى الإحياء قد قال

(١) حديث مسألة الناس من الفواحش وما أحل الله من الفواحش غيرها لم أجده أصل (٢) حديث من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفلية مقتصر على ما ذكره وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة عن سأل الناس أموالهم تكثر فأنما يسأل الحديث للبخاري والطبراني من حديث مسعود بن عمر «وبزاد العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه وفي إسناده لين ولشيوخين من حديث ابن عمر مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفيته كانت مسأله خدوشا وكدحا في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة (٤) حديث بابع فوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة: ولا تسألوا الناس شيئا حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه وبقايم ثقات (٦) حديث استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث البخاري والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السوك وإسناده صحيح وله في حديث قففوا ولو يحزم الخطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ.

ذكرنا في مواضع أن مأخذوه في هذا الوجه لا يعلو كونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه في محبة هذا النبي الذي ينقل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بفنائك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما للضرر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية التشرط في اللئول بكونه مباحا والمثلول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطل ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالورقة . وأما المستغنى فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا من طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فمثل المريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكن له جبة لا قيم تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشيء بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه بالإحالة لأنها أيضا حاجة عفيفة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جيب قبض والبرد يؤذي أذى أطبقه ولكن يشق على فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة مثل سؤاله قيصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الحروق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للغبزوكن يسأل الكراء لقرص الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإبداء اللئول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات . فاعلم أن الشكوى تدفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالني رعونة النفس ثوب فوق ثيابي وهي فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما الذل فيأن يسأل أباؤه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا يتصدق ذلك في عينه ولا يزدر به بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعد ماله لكل هذه السكائر فيخرج بوجود مثله ويتصدق منه منة فيقبله فيسقط عند الذل بذلك فإن الذل لازم لفئة لأحالة . وأما الإبداء فصيل الخلاص عنه أن لا يبين شخصا بالسؤال بينه بل يلقى السلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبدل لكان يلام فهذا إبداء فانه ربما يبدل كرها خوفا من اللامة ويكون الأجاب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يرضى بيق له سبيل إلى التنازل إن أراد فإذا لم يتنازل مع القدرة عليه فذلك لا رغبة وأنه غير متأذي وينبغي أن يسأل من لا يستجيب منه لورده أو تخالفه عن فان الحياة من السائل يؤدي كأن الرابح من غير السائل يؤذي . فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطى هو الحياة منه أو من الحاضرين ولو لا ما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ المال بالضرر والصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهرا جلده ببساط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياة وخوف اللام وضرب الباطن أشد نكاف في قلوب العقلاء

بعضهم الإحيا صفة
الحبي كالخلق صفة
الحال وقول تل الروح
من أمرى - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بخلق أى صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح معنى في الجسد
فمن الأقوال ما يدل
على أن قائله يعتقد قسم
الروح ومن الأقوال
ما يدل على أنه يعتقد
حدوته ثم إن الناس
مختلفون في الروح الذي
سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
فقال قوم هو جبرائيل
وقد قل أمير المؤمنين
عليه السلام أن طالب رضى
الله عنه أنه قال هو
ملك من الملائكة

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى بهوقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »^(١) فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم إلى الواطن وقرائن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين اليد وبين الله تعالى والحكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللغة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أتوك أو أتوك فان التقي مع القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومضى القلوب هم علماء الآخرة ويتوهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كأن ينهوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه فان كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فله أن يشبه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهدية والقبالة ليتعفى عن عهده فان لم يقبل هديته فله أن يرد ذلك إلى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى . فان قلت فهذا أمر باطن يمسر الاطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فرجأ بظن السائل أمراض ولا يكون هو في الباطن راضيا . فأقول لهذا ترك المتن السؤال رأسا لما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا لإمن السرى رحمة الله عليها وقال لأن علت أن يفرح بخروج السالمن يده فأنأ أعينه على ما يجب وانما عظم التكبير في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الخنزير فكان الانتفاع طريق الورع ومن أرباب القلوب من كان ولا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بضا ويرد بضا كما فعل رسول الله ﷺ في الكيش والسمن والأخط وكان هذا فبا بأنهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جأ وأطلب للربا والسحمة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا إلى موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم سألوا لإمن علوانه رغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والأخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علوان أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكذا وقد وثقوا بأخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمسائمتهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلّا فكانوا يستفتون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن السؤال يستقل علم ما لك من الحاجة لا بتدراك دون السؤال فلا يكون لسؤال تأخير لإقاي تعريف حاجتك فأما في تحريك الجأ وإثارة داعيته بالحيل فلا وتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فأخذ في الحالة الأولى حلالا لطلق وفي الثانية حرام سمعت وبتدد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليست قلبه فيها وليترك حوازل القلب فانه الآثم وليدع ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشبوهه فان قوى الحرس وضعفت الفطنة تراءى له ما وافق فرضه فلا يشغلن للقرائن إلا ما على البركة التي بهذه الدقائق يطالع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »

سبعون ألف وجهه
ولكل وجه منه
سبعون ألف لسان
ولكل لسان منه
سبعون ألف لغة يسبح
الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل
نسيجة ملكا يطير مع
اللائكة إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خلق
الله صورهم على صورة
بن آدم وما نزل من
السماء ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهيئة
الإنسان وليسوا بناس
وقال مجاهد الروح على
صورة بن آدم لم يبد
وأرجل . وروى

(١) حديث إنما تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلا وكذا قال الذي لماسئل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحقر إياه في كل من أيدى الناس وإن أعطى بشر سؤال فأتى يسطى بدنه متى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يسطى بدنه فيكون ما يأخذ حراما وإن أعطى يسؤال فأتى من يطيب قلبه بالعطاء إذا سئل وأتى من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا قُتِلت أحوال من يأكل من أيدى الناس علت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطبيب هو الكسب الذى اكتسبه بجهلك أنت أو مورتك فأذن يبيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدى الناس ، ففسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يثينا بحلاله عن حرامه ويضله عن سواء ماله وسمة جوده فانه على ما يشاء قدير .

(بيان مقدار النفي المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من سأل عن ظهر غنى فأنما يسأل جراً فليستقل منه وأليستكثر » صريح في التحريم ، ولكن حد النفي مشكل وتقديره عسيره وليس إلينا وضع القادر بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث « استفتوا بني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة ^(١) » وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل الحافا ^(٢) وورد في لفظ آخر « أربعون درهما » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبى أن يقطع بوزوده على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير مجتمع وغاية الممكن فيه تقرب ولا يمت ذلك إلا بتجمع محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحق لا ين آدم إلا في ثلاث طعام يقيم عليه وثوب يوارى به عزوته ويبت بكنهه فإزاد فهو حباب » فلتجلب هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والقادر والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها الكراء للسافر إذا كان لا يقدر على الشيء وكذلك ما يعجز مجراه من اللهات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالة كالأب أيضا . وأما القادر فالثوب يراضى فيه ما يلقى بذى الدين وهو ثوب واحد وقرص ومنديل وسراويل ومبداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينبى أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والفضة يكفي فيه الحذف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ما يقتات ولو كان من الشعر والأدمى على الدوام ففدته وقطعه بالكلية إضرار فى طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأنه لما يعجز من حيث القدر وذلك من غير رتبة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة إلى الأوقات لما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتف به فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات : إحداهما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوما أو خمسين يوما . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتقطع بأن من معه ما يكتفيه له ولعائلته إن كان له عيال لسنة نسوا له حرام فإن ذلك غاية النفي وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسة دنانير تكفى الفرد

(١) حديث استفتوا بني الله قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة تقدم في الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا ما ينهى قال ما ينهيه أو يعشيه ولأحمد من حديث على بن أسد حسن قالوا وما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلته وأما اللفظ الذى ذكره الأصنف فذكره صاحب التردوس من حديث أنى هريرة .

(٢) حديث من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب قد سأل الحافا وفي لفظ آخر أربعون درهما تحمدا في الإكراه .

في السنة إذا اقتصد أما للليل فرجاً لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادراً على السؤال ولاخوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يبشئ إلى التدفيع وقد سأل مالا يحتاج فكيفه غداً يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر القوي ورحمى التقدير بهذا القدر وإن كان يغوثه فرصة السؤال ولا يجد من يسئله لواخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء مستغفر بيدفوق بتأخير السؤال تخاف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يجنبه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضيقاً وكان مالا لجه السؤال خارجاً عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية ويمكن كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا قبل القسط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفق فيه قلبه ويسئل به إن كان سالماً طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بجي الرزق في المستقبل أم وقاعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد أتاك الله قوت يومك لك وليالك إلا من ضعف اليقين والاحشاء إلى تخوف الشيطان وقد قال تعالى: فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يصدكم الفقر ويأمركم بالفتشاء والله يصدكم مغفرة منه وفضلاً - والسؤال من الفتشاء التي أبيض بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان ما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثاً وادخره لحاجة وراء السنة وكلاماً مباحاً في الفتوى الظاهرة ولكنها صادرة عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الحصلة من أمهات الهلكات ، نسال الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير ليسأل وإن أعطى لا يأخذ فهذا هم الروحانيين في عليين وفقير ليسأل وإن أعطى أخذ فهذا هم القريين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا هم الصادقين من أصحاب الجبىن فإذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أن منع الفتاة عطل الرقية والدرجة . قال شقيق البلخي لإبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أمهات بك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منوا صبروا وظن أنهم لا وصفهم ترك السؤال قد أتى عليهم فأباحت له فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق قال الفقراء عندنا إن منوا شكروا وإن أعطوا آثروا قبل رأاه وقال صدقت بأستاذي فاذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة أحوالها واختلاف درجاتها فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقية من حبسها إلى إتباعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يترك إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفلى والعالى لا يقدر على الرقية قطعا وإنما السفلى من عرف ذلك فإنه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تعلم حالة تختص أن يكون السؤال مزدا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإن مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا إسحق التوري رحمه الله عديده يسأل الناس في بعض الواضع قال فاستعظمت ذلك واستحيته له فأنيت الجند رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا تعظم هذا عليك فإن التوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم وأما أسألهم ليشيهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم ويد العطي هي العليا ^(١) فقال بعضهم يد العطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطى الثواب والقدرة

على الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح للشؤل عنه شيئاً من هذا القول فهو غير الروح الذي في الجسد صلى هذا يسوغ القول في هذا الروح لا يكون الكلام فيه ممنوعاً وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله إلى أما كن معروفة لا يمر عنه بأكثر من موجود بل يعاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كني لأنه لو خرج من كني كان عليه الدل قيل فمن أى شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خساً بسلامه وحياءه بكلامه

(١) حديث يد العطي هي العليا مسلم من حديث أبي هريرة .

لأما يأخذه ثم قال الجنيدهات اليزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على اللسان ثم قال اسلمها إليه فقلت في نفسي إنما يوزن الشيء ليرفع مقداره فكيف خلطه بمجول وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال هات اليزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل أنا لا أقبل منك أنت شيئا وأخذ مازاد على اللسان قال فزاد تصبى فسأته فقال الجنيده رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن اللسان نفسه طلبا للثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها إلى الجنيده فيكي وقال أخذ ماله ورد مالنا الله السحان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطق باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والآقبال إلى الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقته فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء سهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتداه حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسهر فلم يؤثر في حقه خاصة لمصلحة في بطنه فأخذ ينكر كون الدواء سهلا وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهل بل البصيرة أصدر جليل إمارا جل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب التدقيق والفرقة وقد وصل إلى عين اليقين وإنما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وسدقه فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصل إلى عين اليقين ولم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وعشر يوم القيامة في زمرة المجاهدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في الطعام والملبس والسكن والأثاث وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .

(بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كإقبال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أهم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن والإلتفات القول مراداً لعينه وإن لم يكن صادراً عن حال من إسلاما ولم يسم إيمانا والمعروف السبقي حال يجري مجرى الشعر والعمل يجري من الحال يجري مجرى الفترة فلنذكر الحال مع كل طرف من العلم والعمل . أما الحال فتنبى بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فاتعادل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافة إلى المدلول عنه يسمى زهدا وبالاضافة إلى المدلول إليه يسمى رغبة وحبا فإذا استدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من الرغوب عنه وشرط الرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهدا إذا تارك الحجب والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وإنما يسمى زهدا من ترك الدرهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا مظنة الرغبة وشرط الرغوب فيه أن يكون عنه خيرا من الرغوب عنه حتى تخلص هذه الرغبة الباطع لا يقنع على البيع إلا واشترى عنه خيرا من البيع فيكون حاله بالاضافة إلى البيع زهدا فيه وبالاضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وجاؤ لذلك قال الله تعالى - وشروه بشئ ثم عسى دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهو مستقنع فله كن
وسئل أبو سعيد الخزاز
عن الروح أغلقة هي
قال نعم ولولا ذلك
ما أقرت بالروبية
حيث قالت بلى الروح
هي التي قام بها البدن
واستحق بها اسم الحياة
وبالروح ثبت العقل
وبالروح قامت الحجة
ولو لم يكن الروح
كان العقل معطلا
لا حجة عليه ولا له
وقيل إنها جوهر مخلوق
واكتفى بالطف
المخلوقات وأسمى
الجواهر وأتورها وبها
تترادى المنيات وبها
يكون الكشف لأهل
الحقائق وإذا حببت
الروح عن مراعاة
السير أساءت الأجوارح

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يخلو لهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباءوه طعما في الموض فاذا نكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن يعبد إلى الباطل خاصة وإن كان هو للبل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور إلا بالدول إلى شيء هو أحب منه ، وإلا تركه المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الترابيس ولا يجب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والتصور والأنهار والقواكف فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمد في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض الماصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض الماصي صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك اللباحات التي هي حظ النفس ، ولا يمد أن يقدر على ترك بعض اللباحات دون بعض كالإيمد ذلك في المحظورات ، وللتعصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخص هذا الاسم بترك اللباحات فاذا نكل الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في للرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في للرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يازهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا رائحة فتركها ، وأما أنا فهاذا زهدت ؟ . وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون التروك خيرا بالاضافة إلى للأخذ كعلم التاجر بأن الموض خير من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا للعلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لادها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من التلج مثلا . ولا يسر على مالك التلج يسه بالجواهر والآلات . فكذا مثال الدنيا والآخرة فالذي كالتلج الموضوع في الشمس لا يزال في القوبان إلى الاقراض والآخرة كالجواهر الذي لانفاء له فيقدر قوة اليقين والسرقة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تنوى الرغبة في البيع والماملة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - . ثم بين أن صفقتهم راحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا ؛ إما لنصف علمه ويقنه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم إلى أن يخطفه للووت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت وإلى تعريف خسارة الدنيا الاشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف قاسمة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - فنه على أن العلم بنفاسة الجواهر هو الرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد إلا بماؤنة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . فالرجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تخل هكذا ولكن قل أرني

الأدب ولذلك صارت الروح بين تجل واستار وقايش ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة ونسمع ما تحدث به في السماء عن أحوال آدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شاءت على اقتدارها من السعي إلى الله أيام الحياة . وروى سميد بن السبب عن سلمان قال أرواح للمؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردّها

الدنيا كأثرينها الصالحين من عبادك (١) وهذا لأن الله تعالى رآها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالإنضافة إلى جلاله حقير والمبد رآها حقيرة في حق نفسه بالإنضافة إلى ماهو خير له ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستثنى عن الحشرات أصلاً وليس مستثنى عن الفرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ماسواه فيرى السكك في درجة واحدة بالإنضافة إلى جلاله وراه متفاوتا بالإنضافة إلى غيره والراهد هو الذي يرى تفاوته بالإنضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يبيع وسامته واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى فكأن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ الموضع فكذلك الزهد يوجب ترك للزهود فيه بالسككية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومدة مآنها وعلاقتها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويعطى على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم للبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وفي بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليست بشرط يبيعه الذي يبيع به فإن الذي يبيع به هذا البيع وفي بالهدى فن سلم حاضر في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسقى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوفق بصدقه وقدرته ووفائه بالهدى وما دام ممسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم وتركوا ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند الحرمان على إخراجه بل عند التسليم والبيع ضلالة الرغبة الإمساك وعلامة الزهد الإخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيها أخرجت فقط . ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعد الدنيا لم يتصور منك الزهد لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره وغيبيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتلك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تدلى بمجل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تتق بالقدرة على الترك عندها فكمن من طأن بنفسه كراهة للمامى عند تمسكها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المخطورات فبإياك أن تتق برعدها في الساحات وللوثق التليظ الذي تأخذه عليها أن تجرب مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وصت بما وعدت على الدوام مع اشتفاء الصور والأغذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تتق بها وثوقاً ما ولكن تكون من خبرها أيضاً في حذر قائمها سرعة النفس للمهد قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإنضافة إلى ما تركه فذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لأن شربة آلا ترى إلى ابن الحائك هذا لا ترضى في مسألة إلا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شربة لا أدري أهو ابن الحائك أم ماهو لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها وهربت منها فطابتها وكذلك قال جيع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء محبته لقلنا حتى نزل قوله تعالى - ولو أنا كنبناعليم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم - (٢)

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تنقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القصور ولم يخرجوه لوله (٢) حديث قال السلون إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء محبته لقلنا حتى نزل قوله تعالى - ولو أنا كنبناعليم أن اقتلوا أنفسكم - الآية لم أفعل له على أصل .

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء النشوا وتعذبوا وتساءلوا وكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعتذر إلى الله ظاهراً عنه فإنه لا أحد أحب إليه المذرم من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بمسئلتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أت منهم يعنى من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل إسالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا يدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا للملك محاربتها بالإضافة إلى نفاة الآخرة فأما كل نوع من التارك فانه يتصور من لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مسمومة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ المعالجة وهي الدواهي من المال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في المولى ليس من الزهد فذلك ترك طمعا في الذكر والشاء والاشتيا بالفتوة والسخاء واستغفالا لهما في حفظ المال من الشقة والساء والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استبدال حظ آخر للنفس بل الزاهد من آتته الدنيا راحة صفوا عفوا وهو قادر على التمس بها من غير نقصان جاد وبيع اسم ولا فوات حفظ النفس فتركها خوفا من أن يأني بها فيكون آتسا بغير الله ومجبالا سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فتركه التمتع بأثرية الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسرائر والنسوان طمعا في المحور العين وترك التمتع في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك الزين والتجمل بزيه الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك الطعام اللذيذة طمعا في قواك الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا - فأتر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تبصر له في الدنيا فعوا صفوا لعله بأن مافي الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا شغلات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - نخرج على قومك في زيتته إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ولعلكم نواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالملم وهو غاية الشاء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ليلوم أيهم أحسن عملا - قيل معناه أيهم أزهدها فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمته منها وماله في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متصا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستنجون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك لفهمهم أن المؤمنين هو الذي يتصف بتقيته وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فهاورد منها في دم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب دم الدنيا من ربيع الهللكات إذ ذهب الدنيا من الهللكات ونحن الآن نتعرض لفضيلة بض الدنيا فانه من النجيات وهو المني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره وفرق عليه ضيقه وجعل قهره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيقه وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيت العبد وقد أعطى صتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه

وتزداد وجوههم بإصا وإشراقا » فانهوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خير آخر « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من اللوق فان كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجيد وليست بمحمان وأعراض ، سئل الواسطي لأي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صعبة التفكير والاستمرار ألا تراه يقول « كنت

(١) حدث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - الآية البيهقي في دلائل النبوة بإسناد حسن (٢) حدث من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره الحديث ابن ماجة من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه

فانه يلقى الحكمة (١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد آتوا خيرا كثيرا وذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله بياض الحكمة في قلبه وأطلق بهالائه. وعن بعض الصابغين قال « قلنا يارسول الله أي الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخوم القلب صدوق اللسان قلنا يارسول الله وما مخوم القلب ؟ قال التقى النقي الذي لاغل فيه ولاغش ولابني ولاحد قلنا يارسول الله فمن على أثره ؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) ومفهوم هذا أن عمر الناس الذي يحب الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) فجعل الزهد سبيلا لمحبة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل اللقائات ومفهومه أيضا أن عب الدنيا متعرض لبعض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا (٤) ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت ضي عن الدنيا فاستوى عندي حبرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأن برش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم غرقت قازم ، عبد نور الله قلبه بالإيمان (٥) فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليتين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالإيمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له وهذا الشرح ؟ قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح به الصدر وانفتح قلب يارسول الله « وهل ذلك من علامة إقبال نعم التجاني عن دار القرورو والإجابة إلى دار الخلود والاستعداد للهوتقبل زوجه (٦) فانظر كيف جعل الزهد شرط للإسلام وهو التجاني عن دار القرورو والى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إننا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تبون مالا تسكون وتحيمون مالا تكلون (٧) فينب أن ذلك يتناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بوجع القضاء وترك العناية بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تحسبوا مالا تكلون ولا تبنيوا مالا تسكون ولا تافسوا فبا عنه ترحلون (٨) » فجعل الزهد تسكئة لأيمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد آتوا صنا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلد بسندي في صف (٢) حديث قلنا يارسول الله وما مخوم القلب ؟ قال التقى النقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يارسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه هذه الزيادة بالاسناد للذكور الحرثاني في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادقا قلبا فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث مثل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساکر في تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر .

نباء وأدم بين الروح والجسد « أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال - خلقتني من نار وخلقتني من طين - ولم يدر أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي لطاقاتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالتغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسان يتو الحيوانية عرضان خلقا في الانسان واللوت يدمهما وأن الروح هي الحياة بينهما صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة قدام إله على كرم الله وجهه ، قال : بآي أنت وأمرى يا رسول الله ما يخلط بها غيرها ؟ صف لنا قسره لنا ، قال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويسلمون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر : السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك (٢) . وقال أيضا : السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار (٣) . والبخل حمرة الرغبة في الدنيا والسخاء حمرة الزهد والثناء على الفجرة ثناء على الثمرة لعمالة . وروى عن ابن السلب

عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنتطق بها لسانه وعرفه داله الدنيا ودوامها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام» (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم «مر في أصحابه بشار من التوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأفسها عندهم لأهلها تجمع الظهر والاحم واللين والور ، ولنظمها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا العشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفس صبره قبل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم تنتظر إليها قال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به - (٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت «قلت يا رسول الله ألا تستظم الله فطمعك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، قال يا عائشة والذي نفس يده لو سألت ربي أن يجرى مني جبال الدنيا ذهباً لأجرها حيث شئت من الأرض ولكي اخترت جوع الدنيا على شبعها وقر الدنيا على غناها وحرز الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لاثنين لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولى الزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكفني ما كلفهم ، قال - فأصبر كما صبر أولوا الزم من الرسل - والله مالى يد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا ويهدى ولا قوة إلا بالله» (٦)

(١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أر من حديث جابر روى الترمذى الحكمي في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء لم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث السخى قريب من الله الحديث الترمذى من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب فم الدينامن حديث صفوان بن سليم مرسل ولا يثبت في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها البادة أجرى الله بها نبيح الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضيفة (٥) حديث مرفى أصحابه بشار من التوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به - (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يا رسول الله ألا تستظم ربك فطمعك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولى الزم من الرسل إلا الصبر الحديث

أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد ابن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : يا عائشة إن الله لم يرض من أولي الزم

البدن بوجودها حيا

وبالإعادة إليه في القيامة

يصريها وذهب بعض

مشكلى الإسلام إلى أنه

جسم لطيف مثبث

بالأجسام الكثيفة

اشتباك للباد بالعسود

الأخضر وهو اختيار

أبي للعالي الجويني

وكثير منهم مال إلى

أنه عرض لأن تردم

عن ذلك الأخبار

الدالة على أنه جسم

لموارد فيمن العروج

والهبوط والتردد في

البرزخ حيث وصف

بأوصاف دل على أنه

جسم لأن العرض لا

يوصف بأوصاف إذ

الوصف معنى والشيء

لا يقوم بالمعنى واختار

بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضي الله عنه « أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها
 اليس أئين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، و مر بسبعة طعام تطعمه وتظم من
 حضر ، فقال عمر يا حفصة ألت تملين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت لي قال ناشدتك
 الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليث في التوبة كذا وكذا سنة لم يشع هو ولا
 أهل بيته غدوة إلا ساعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا ساعوا غدوة . و ناشدتك الله هل تملين أن
 النبي صلى الله عليه وسلم ليث في التوبة كذا وكذا سنة لم يشع من الثمر هو وأهله حتى فتح الله عليه
 خير ، و ناشدتك الله هل تملين أن رسول الله ﷺ قرّبهم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع
 فشق ذلك على حتى تثير لونه ثم أمر بالمائدة فرقت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض
 و ناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثبت له ليلة
 أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام الليلة بهذه العبادة اثوها بالثنتين كما كنتم
 تثونها ، و ناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتفصل فأيته
 بلال فيؤذنه الصلاة فلما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تحفّ ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ،
 و ناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كسامين
 إزارا ورداء وبشت إليه بأحدهما قيل أن يبلغ الآخر تخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره
 قد عقد طرفه إلى عنقه فلي كذلك فلما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب
 حتى ظننا أن قسه ستخرج ^(١) » وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروهاها والصبر عن محبوباتها ثم لم يرض إلا أن كلّفني ما كلّفهم فقال تعالى
 - فاصبر كما صبر أولوا الزمزم الرسل - وجماله يختلف في الاحتجاج به (١) حديث إن عمر لما وضعت
 عليه الفتوحات قالت له حفصة اليس أئين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك
 الله هل تملين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى الخ لم أجده
 هكذا مجموعا في حديث وهو مغرق في عدة أحاديث فروى البرار من حديث عمران بن حصين قال
 ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو
 ابن عبد الله القدرى متروك الحديث وللترمذي من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشأ
 أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها
 والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديثها ما شبع آل محمد
 منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخارى من حديث أنس كان لا يأكل على
 خواف الحديث وتقدم في آداب الأكل وللترمذي في الثمائل من حديث حفصة أنها لما سلت ما كان
 فرأى النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح ثيابه ثنتين فنام عليه الحديث ولا بن سعد في الطبقات من
 حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بالثنتين الحديث وتقدم في آداب
 اللبسة والبرار من حديث أبي البرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينخل له اللبنة
 ولم يكن له إلا لبس واحد وقال لا نعلم بروي بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد قال يونس بن بكير قد
 حدث عن سعيد بن مسيرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما فيها قلت فيه سعيد
 ابن مسيرة قد كذب به يحيى القطان وضمعه البخارى وابن حبان وابن عدى وغيرهم ولا بن ماجة
 من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد المنطري في جزئه للشهور فمقدما في عنقه
 ما عليه غيرها وإسناده ضيف وتقدم في آداب اللبسة .

سئل ابن عباس رضي
 الله عنهما قيل أين
 تذهب الأرواح عند
 مفارقة الأبدان فقال
 أين يذهب ضوء
 الصباح عند فناء
 الأدهان قيل له ف أين
 تذهب الجيوم إذا
 بليت قال ف أين يذهب
 لها إذا مرضت .
 وقال بعض من يهيم
 بالمعلوم الردودة
 للذمومة وينسب إلى
 الاسلام: الروح تنفصل
 من البدن في جسم
 لطيف . وقال بعضهم
 إنها إذا فارت البدن
 تحمل معها القوة الوهمية
 بتوسط التطفية
 فتكون حينئذ
 مطالعة للعاني
 والمحسوسات لأن

صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإن الله سأمير على عيشهما الشديدا لئلا أدركهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد كان الأنبياء قبل بيئتي أحدم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة وإن كان أحدم ليبتلى بالقمل حتى يشته القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم » (١) . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترمي في بطنه من الخزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لما نزل قوله تعالى - والذين يكسرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم تبأ الدنيا تبأ الدينار والدرهم فقلنا يارسول الله هنا الله عن كثر الذهب والفضة فأى شيء يندخر قال ﷺ : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجا حالحة تمسه على أمر آخرته » (٢) وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أثر الدنيا على الآخرة ابتلاء الله بثلاث ما لا يبارق قلبه أبدا وقرأ لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا » (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلبه الذي أحب إليهم من كثرته » (٤) وقال المسيح ﷺ الدنيا قطرة فاعبروها ولا تصمروها وقيل له يا بني الله لو أمرت أن نبني بيتا فبنيته الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بئان على الماء قال وكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربى عز وجل عرض على أن يجعلني بطحا منكم فهاقتل لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأشعر إليكم وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحذك وأتني عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشي وجبريل معه فصدق على الصفا فقال له النبي ﷺ يا جبريل والذي يشك بالحق ما أمسى لآل محمد كسف سويق ولا سفة دقيق فم يكن كلامه بأسرع من أن مع هبة من السماء أفضطته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله

نجردها من هيات
البدن عند الفارقة
غير يمكن وهي عند
اللوت شاعرة باللوت
وبعد اللوت متخلة
بنفسها مقبورة
وتصور جميع
ما كانت تعتقد حال
الحياة وتحس بالثواب
والعقاب في القبر قال
بعضهم أسلم القالات
أن يقال الروح شيء
مخلوق أجرى الله تعالى
العادة أن يحجب البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يدوق اللوت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
يفارقه يدوق اللوت
فإن الكيفية والمادية
يتعاضى القمل فيها
كما يتعاضى البصر في

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء قبل بيئتي أحدم بالفقر فلا يجد إلا العباءة الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدم ليبتلى بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكسرون الذهب والفضة - الآية قال تبأ الدنيا والدرهم الحديث وفيه فأى شيء يندخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في النسخ دون قوله تبأ الدينار والدرهم والزائدة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وإسحاق الصفري عنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى لئال يتخذ كفى رواية ابن ماجه وكما رواه البزار من حديث ابن عباس (٣) حديث حذيفة من أثر الدنيا على الآخرة ابتلاء الله بثلاث الحديث لم أجده من حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرف قلبه حب الدنيا التاط منها ثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ مثواه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلبه لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون قلبه أحب إليه من كثرته لم أجده استنادا وذكره صاحب القردوس من رواية علي بن طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلبه الذي أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرجوه وفيه في مسند القردوس وعلي بن أبي طلحة أخرجه له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله فالحديث إذن معضل .

القيامه أن تقوم قال لا ولكن هذا إسرائيل عليه السلام قد نزل إليك حين مع كلامك فأنا إسرائيل
 فقال إن الله عز وجل مع ما ذكرت فبشيء بغايتك الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن
 أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتا وذهبا وفضة فضلت وإن شئت نينا مسلكا وإن شئت نينا عبدا
 فأمرأ إلي جبريل أن تواضع لله فقال نينا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده
 خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره ببؤس نفسه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «أزهد في الدنيا
 يحبك الله وأزهد فيها في أيدي الناس يحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤثبه
 الله علما فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة
 سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا
 هانت عليه الصييات» (٥) وروى عن نينا وعن النسيج عليها السلام «أربع لا يدرنك إلا يتبع
 الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة التذكرة التي» (٦) وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح
 بعض الدنيا ودمجها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا الصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وتبليبه يرجع
 أكثر كلامهم مع الخلق وفيها أوردناه كناية والله المستعان ومأما الآثار: فقد جاء في الآثار: لا تزال لألله
 إلا الله تدفع عن العباد سطخ الله عز وجل ما لم يسألوا ما من من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا وصادقة
 دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بما صدقتم. وعن بعض
 الصحابة رضى الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد الدنيا وقال
 بعض الصحابة لصدر من التابعين أتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا أخيرا
 منكم قبل ولم ذلك؟ قاله كانوا أزهد في الدنيا منكم. وقال عمر رضى الله عنه الزاهد في الدنيا راحة
 القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال
 زجل لسفيان أغشى أن أرى علما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن
 للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد
 قبل الزاهد في الدنيا عاشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إن لأشهى من الله ثلاث خصال
 أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فأعطى ذلك كله. وروى
 أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجواز قبيلها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فلم يقبلها فقال
 له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فيك الفضيل وقال أتدرون ما مثل ومثلكم
 كمثل قوم كانت لهم بقرة مجرثون عليها فلما هربت دعوها لأجل أن ينتقموا بجملها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا
 الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتا وذهبا وفضة
 الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة
 وبصره ببؤس نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد
 قبه في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث أزهد في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث
 من أراد أن يؤثبه الله علما فليزهد في الدنيا وهدى بنير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث
 من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب
 (٦) حديث أربع لا يدرنك إلا يتبع الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث
 أنس وقد تقدم .

شعاع الشمس ولما
 رأى التكمون أنه
 يقال لهم الموجودات
 محصورة قديم وجسم
 وجوهر وعرض
 فالروح من أمي هؤلاء
 فاخار قوم منهم أنه
 عرض وقوم منهم أنه
 جسم لطيف كذا كبرنا
 واختار قوم أنه قديم
 لأنه أمر والأمر كلام
 والكلام قديم فما أحسن
 الإمساك عن القول
 فيها هذا سبيل وكلام
 الشيخ أبي طالب الشك
 في كتابه يدل على أنه
 يميل إلى أن الأرواح
 أعيان في الجسد وهكذا
 النفوس لأنه يذكر
 أن الروح تتحرك
 للخير ومن حركتها
 يظهر نور في القلب

أنتم أردتم دعوى على كبريتي موتوا يا أهل جوعا خير لكم من أن تغربوا فضيلا . وقال عبيد بن حمير كان السبع ابن مريم عليه السلام يلبس الشجر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا يتغير بولا يدخر لده أيضا أدركه الساء نام . وقالت امرأة أبي حازم لأن حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولابد لنا من الطعام واللباب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بده ولكن لا بد لنا من الموت ثم الشتم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحسن لم لا تحسل ثيابك قال الأمر أهمل من ذلك .

وقال إبراهيم بن آدم قد حبيت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالوجود والحزن على الفقد والسرور بالمدح وإذا سررت بالمدح فأنت حريص وإذا حزنت على الفقد فأنت سائح والسائح ممدب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والسحب يحيط العمل . وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد فله خير له وأجب إلى الله من عبادة التبعدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدنا . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فية صرف عنا أكثر من نعمته فيها صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يجمع عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ^(١) » فافهم هذا عا أن النعمة في اللع المؤدى إلى الصحة أكبر منها في الاعطاء المؤدى إلى السقم . وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاءه . وقال سهل لا تخش العمل لتبذل حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والعدل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا أسوء على شيء منها أدبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يبش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطول ثوب ولم ينصب له قدر ولم يحمل بينه وبين الأرض شيئا ولأمر من في بيته بصنة طعام قاطا فكان الليل قيام على أندامهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم ينجون ربه في فكاك رقايم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن ينظرها لهم غفر يزالوا على ذلك والله ماسلوا من الذنوب ولا نجوا إلا بالفرقة رحمة الله عليهم ورضوانه .

(بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى خمسة وإلى الرغوب عنه وإلى الرغوب فيه)

اعلم أن الزهد في خمسة يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: الدرجة الأولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل وضه إليها ملتصق ولكنه يجاهد بها ويكفها وهذا يسمى التزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والتزهد بذيئ أو لأقسامه ثم كيسة والزاهد أو لا يذنب كيسة ثم يذنب نفسه في الطاعات إلى الصبر على ما قارعه والتزهد على خطر فانه ربما قلبه خسه وتجذبه شهوة فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير . الدرجة الثانية : الذي ترك الدنيا طوعا لاستقارها إليها بالإضافة إلى ما طمع فيه كادى ترك درهما لأجل درهمين فانه لا يثيق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحماله زهد وبلغت إليه كما يرى الباحث للبيح وبلغت إليه فيكاد يكون معبأ بنفسه وبزهد و بظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان . الدرجة الثالثة : وهي العليا يزهد طوعا وبزهد في زهد فلا يرى زهد ولا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خرفة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كاللرفة

(١) حديث إن الله يجمع عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

واه لذلك فليهم الخير عند ذلك وتحرك لشر ومن حركتها تظهر ظلة في القلب فيرى الشيطان الظلة فيقبل بالأغوا مويحي ووجدت أقوال الشايع تشير إلى الروح أقول : ما عسدى في ذلك على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أطلع به إذ ملى في ذلك إلى السكوت والاسكاف أقول والله أعلم : الروح الانساني العلوي الناقص من عالم الأمر والروح الحيواني البشري من عالم الخلق والروح المبيسوان البشري هل الروح العلوي وسوءه والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الانفلات إلى الدنيا كما أن تارك الخرفة بالجوهرة آمن من طلب الأقاله في البيع . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا فنفذ يده وقال طننت أنه يتكلم في شيء والدنيا لاشئ . إيش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل العرفه وأرباب القلوب العمورة بالمشاهدات والمساكنات مثل من منه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشقه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أخذ أمره في جميع علمه كثرى أنه يرى نفسه يدا عند الملك بقمة خبز ألقاها إلى كلب في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلممة خبز إن أكلت فلقطتها في حال الضغ وتغنى على القرب بالاتباع ثم يبق تغلها في اللذة ثم تنهى إلى التأن والتقدير ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف بلغت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لا نسبة للتناهي إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تسادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولدت الدنيا مكدره غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلا لأنه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا مبتدأ به إلا لقصور معرفته فسيب قصان الزهد تصان العرفه فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ تصير للزهد مختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر الشقة في الصبر وكذلك درجة اللجب يزهد بقدر التفاته إلى زهده . وأما انقسام الزهد بالإضافة إلى الرغبة فهو أيضا على ثلاث درجات : الدرجة الأولى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما يبدى العبد من الأهوال كالورود في الأخبار إذ فيها وإن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بئر عطاشا على عرقه لصدرت رواء (١) فهذه هو زهد الحائضين وكانهم رزوا بالعدم ولو أعدوا فان الخلاص من الألم يحصل بمجرد المدم . الدرجة الثانية أن زهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات للعودة في جنته من المحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعم سرمد لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقاءه فلا يلتفت قايه إلى الآلام ليقتد الخلاص منها ولا إلى الذات ليقتد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق المم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهو مومم . واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عيبه وكل مطلوب مبيود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من التترك الحق وهذا زهد المحبين وهم المارقون لأنه لا يجب الله تعالى خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف قوة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالمحور العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بئر عطاشا على عرقه لصدرت رواء أحمد بن حنبل في حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه إني حببت بسبك عجبنا فظننا كرهنا ما وصلت إليك حتى سال من العرق ما لو ورد ألف بئر أكلة حمض لصدرت عنه رواء وفيه زريد غير منسوب يحتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحيوانى جنات لطيف
حامل لقوة الحس
والحركة ينبعث من
القلب أعنى بالقلب
هنا الضقة اللحية
المرورة الشكل المودعة
في الجانب الأيسر
من الجسد وينتشر
في تجاويف العروق
الضوارب وهذه
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذي
توامه بأجراء سنة الله
بالغذاء غالبا ويتصرف
بسلم الطب فيه
باعتدال مزاج الأخلاط
ولو ردد الروح الانسانى
الساوى على هذا
الروح تجنس الروح
المبوانى وبأين
أرواح الحيوانات

والنظر إلى نفس القصور وخضرة الأنجار غير ممكن فلا يحب إلا الله النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن
أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق لذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة
بالإضافة إلى لذة تنعم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة
إلى لذة الاستيلاء على صفور واللب به والطالبون لنعم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي
الطالب للعب بالصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن القلب بالصفور
في نفسه أعمى وأدنى من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما انقسامه بالإضافة إلى الرغوب
عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا تستغل بنقل الأقاويل ولكن
نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل . فنقول :
للرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرف لآحاد الأنعام وبعضها أجل
للجمل . أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل مأسوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه
أيضا ، والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها تمة وهذا يتناول جميع مقتنيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد
في المال والجاه وأسبابهما إذ بهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم
والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، فإذا أموال والجاه وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه
وإن كثرت أساليبها في العلم والقدرة وأعمى به كل علم وقدره مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى
الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كأن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا
التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج مافيه الزهد عن المحصر وقد ذكر الله
تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المتقطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى
إلى خمسة فقال عز وجل - علوا أسماء الحياة الدنيا لرب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الأموال إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي التأوى - فالهوى لفظ يجمع
جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت
أن البصير من هذه الأقسام الخمسة والجاهل يعرف في التفرقة - فالأقسام الخمسة - فالأقسام الخمسة - فالأقسام الخمسة
عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا
فقصرا له لأصالة لأنه إنما يريد البقاء ليستمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أراد
دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فإذا رغب عنه لم يردا
ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - قال
تعالى - قل متاع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف
حال الشائقين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم ببيان مرسوم وانتظروا
إحدى الحسينين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه بمبادرة الظمان
إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو ليل وكنى من مات منهم على فراشه يتعسر
على فوف الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر لقوت على فراشه كان يقول
كم غررت بروحي وهجمت على الصغوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على
جسده ثمانية أشتين من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
ضار ضارعا للخلق
والإمام قال الله تعالى
- ونهى عما سواها
فألمها فجسورها
وهوها - فتسويتها
بورود الروح إلى الإنسان
عليها وانقطاعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فصارت النفس
يكون الله تعالى من
الروح الملوى وصار
تكون النفس التي
هي الروح الحيوانية من
الآدمي من الروح
الملوى في عالم الأمر
كنكون حواء من
آدم في عالم الخلق وصار
بينهما من التألف
والشائق كما بين آدم
وحواء وصار كل واحد
منهما ينفق للآخر

وأما للتائقون قهروا من الزحف خوفا من الموت قهيل لهم - إن الموت الذي نفرون منه فانه ملائكم - فإيتارهم إبقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فارتعت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فدارأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبدشروا بيهيم الذي يساويه فهذا بيان الزهد فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ماذكرة للتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ماركه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بسر رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فيقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي الشهجة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو التنازع وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بإبقاء فطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أوس إذا خرج الزاهد يطلب زهد الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أوس أيضا الزهد هو ترك الطلب للضمون وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والقول بالزهد إتباعه أو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقطوع أوهامه يقتضي عمر الإنسان في الاشتغال بواحدة من أضطر الزاهد أن يكون الفضول أو لم مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فغضب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والمعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بسهم الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أوس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الحزن من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أقاويل ورأى ما شئتاه فلم نرى قطها فائدة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدته من قلبه لا يتلف من صميمه قد وثق بالحق وأطلع على قصور من قصر لتصور بغيره وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا قصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروهم بقصر الحاجة والمحتاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المخيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واهداً ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكمال في نفسه وإن لم يكن في نفسه فبذلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك مصاداً للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - إلا من آمن أتى الله بقلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا فنزع قلوبهم من همومها لآخره ، فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف الزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرضي وهل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فالزهد هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات . وقد ذكرنا تفاصيل درجات الوجود في كتاب الحلال

بغارة قاصبه قال الله تعالى وجعل منها زوجيا ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العلوي إلى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكنون الروح إلى النفس القلب وأعني بهذا القلب الطيفي الثاني عظاما الضعفة للحمية فاضفة اللحمية من عالم الحلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرة من آدم وحواء في عالم الحلق ولولا الساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ساكنون القلب فمن

والحرمان وذلك من الزهد إذ قيل لملك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالاشاقة إلى خفايا ما يتركه فلأهمية الزهد فيه لإلتهامة لما تمتنع به النفس في الخطرات والعطشات وسائر الحالات لاسيا خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا محاسنة العلماء بل الأموال الظاهرة أضر درجات الزهد فيها لا تنتهي فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد جبيرا في نومه قال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا لما الذي بدا لك قال وما الذي تجد قال توسدك الحجير . أي تمتعت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجير وقال خذ مع ما تركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليها السلام أنه ليس للسوح حتى تقب جبهه تركا لثمن بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسأته أنه أن يلبس مكان اللبس جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أكثر على الدنيا فيكبي وتزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أوسيل يلمن من العسر أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أنت أنت إنما أقضى الذي لم يرش لي أن أتم بظل الحائط فأذن درجات الزهد ظاهر أوابنا لا حصر لها وأقل درجاته الزهد في كل شبة ومحظور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة المحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يسق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن . فان قلت مما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس وغائلة الناس ومكالمهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الأقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء لإبقاء الإضروريات النفس فيها انقضت من الدنيا على دفع الهلكات عن البدن وكان غرضك الاستمانة بالدين على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فاشتغل بملف النافعة وسبقها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن يبنى أن يكون بدتك في طريق الله مثل نائقك في طريق الحج ولا غرض لك في تتم نائقك بالذات بل غرضك مقصور على دفع الهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك يبنى أن تكون في صيانة بدتك عن الجموع والعطش للهلاك الأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلاك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تصدق التذلل والتقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلابد وأن أنقذ بالأكل عند الجموع فاعلم أن ذلك لا يضر لك إذا لم يكن صدقك التذلل فان شارب الماء الباردة يستقل الشرب ويرجع حاصه إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عند من مطلوبه بالصدق فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسم الأسفار وصوت الأظفار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة لم يصبه من ذلك خير بقدر لا يضره وقد كان في الحائزين من طلب موضعا لا يصبه فيه نسم الأسفار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا وتعمان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جيب مكتشف فيه ماء فكان لا يرفقه من الشمس ويشرب للماء الحار ويقول من وجد قلة للماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شافا فدهته قرينة والاحتفاء مدة يسيرة للتنتم على التأيد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرة لنظم سياسة الشرع للتصميم بعبودية البتة في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

(بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن ما الناس منه يكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم والفضول كالخيل للسومة مثلا إنقلب الناس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوى مبال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رواه خديجة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الصكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان وتناق فذلك الإيمان فيمثل البقة عدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة عدها القيح والصد يد فأي للمادتين

إنما يقتنيا لقرنه ركوبها وهو قادر على الشيء واللهم كالأكل . والشرب ولنا قدر على تفصيل
أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر اللهم الضروري واللهم أيضا يتطرق إليه فضول في
مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والهمات ستة أمور : العلم واللبس والسكن
وأثامه والتكسب والسال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جعلها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب
حب الحق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربيع الهلكات ونحن الآن نتصير على بيان
هذه الهمات الستة [الأول العلم] ولا بد لسانان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض
فلا بد من قبض طول وعرض حتى يتم به الزهد فأما طولها فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من ملك طعام
يومه فلا يشتغ به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طولها فلا يقصر إلا بقصر الأمل
وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند غدة الجوع وخوف الرض ومن هذا حاله
فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لثماته وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر
لشهر أو أربعين يوما . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضغف الزهاد ومن ادخر
لأكثر من ذلك قسميته زاهدا محال لأن من أمل جاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم
منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين
دينارا فأفسكها وأشقه في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد
وأما عرضه فبالإضافة إلى التقدير وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلى مدته
واحد وهو ما قدره الله تعالى في طعام السكين في الكفاية وما وراء ذلك فهو من التسامع البطن
والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصاد على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى
الجنس فأقله كل ما يقرب ولو الحزين من النخالة وأوسطه خبز الشعير والقدرة وأعلاه خبز البر غير منخول
فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التزم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما
الأم فأقله للتع أو البقل والحل وأوسطه الزيت أو دبس من الأدهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي
لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائما أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر
أبواب الزهد فربك من صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة
وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويصرب ليلة ولا يأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن
يتقى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه
في ربيع الهلكات ولنظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في
كيفية زهدهم في الطعام وزكهم الأدم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أربون
ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فهم كنتم تعيشون قالت
بألسودين القرو واللآء (١) » وهذا ترك اللحم والرفقة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتعلم المصوف ويلبغ أصابعه ويأكل على الأرض ويقول
إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد (٢) » وقال المسيح عليه السلام بحق
أقول لكم إنه من طلب الفردوس يغتر بالشعر لهو النجوم على الزبال مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

(١) حديث عائشة كانت تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد الشعر مابرى في بيت من بيوتهم
دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه نار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من
بيوتهم نار وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر (١) . وكان السليح صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني إسرائيل عليكم بالماء الدراج والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سورة الأنبياء والسلف في الطعام والشرب في ربيع الهكبات فلا تضيد ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن يسلف فوضع القدح من يده وقال «أما إنني لست أحرمه ولكن أركه تواضعاً لله تعالى» (٢) وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد وإليه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجود إدامه والحكمة كلامه والرب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حبه والعدل دله والعبادة حرفه والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [اللهم الثاني] اللبس وأقل درجته ما يدفع الحر والبرد ويستر الدورة وهو كساء يتطوى به وأوسطه قميص وضمدان وأعله أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث القدر فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلمسه القمود في البيت ، فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث القدر ، أما الجنس فأقله السويع الحشنة وأوسطه الصوف الحشن وأعله القطن الغليظ ، وأما من حيث الوقت فأقله ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بضم ثوبه يورق الشجر وإن كان يسد الجفاف إليه وأوسطه ما يتعاسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد ينفع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فبغني أن تصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان عبداً للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصعابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت قمض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس» (٤) وقال عمرو بن الأسود العنسي لأبي لهيب مشهوراً أبداً ولا أنام لبيل على دثار أبداً ولا أركب على ما توار أبداً ولا أملاً خوفاً من طعام أبداً قال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود (٥) وفي الخبر «مامن عبد ليس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يبرئه وإن كان عنده حبيبا» (٦) واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً بأربعة دراهم (٧)

الحديث تقدم دون قوله إنما أعد فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حدث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٢) حدث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن يسلف فوضع القدح من يده الحديث تقدم (٣) حدث أخرجت عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت قمض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الشيطان وقد تقدم في آداب المعيشة (٤) حدث إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس ما لبس له أصلاً (٥) حدث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد (٦) حدث مامن عبد ليس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذرٍ ناستاد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

ومن جذب إلى تدبيرها من وجه إذ لا بد له منها وقول القائلين واختلافهم في حمل الفضل فمن قائل إن عمله الدماغ ومن قائل إن عمله القلب كلام القاصرين عن ذلك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار الفضل على نسق واحد وانجذابه إلى البارتارة وإلى العاق أخرى وقلوب والدماغ نسبة إلى اليار والعاق فإذا روى في تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ وإذا روى في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح الهوى يجر بالارتفاع إلى مولا شوقاً وحسناً وتزهاً

وكانت قيمة ثوبه عشرة ^(١) . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف ^(٢) . واشترى سراويل بثلاثة دراهم ^(٣) . وكان بلبس هملتين يضاوون من صوف ^(٤) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانين أو سحوليين من هذه الفلاظ وفي الخبر كان قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلبس قيس ريات ^(٥) . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا بسياء من سندس قيمته مائتا درهم ^(٦) فكان أصحابه يمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهدها إليه اللقوي ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم زعه وأرسل به إلى رجل من الثركين وصلبه ثم حرم لبس الحرير والديباغ وكان إنما لبسه أولًا تأكيذا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوم مات زعه ^(٧) فحرم لبسه على الرجال وكما قال عائشة في شأن بريرة افتترطى لأهلها الولاء ^(٨) فلما اشترطته صد عليه السلام للبر حرقه وكما أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر التسكح ^(٩) وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمته لما علم فلما سلم قال لثغلى النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم واتقوا بأنبيائته ^(١٠) حتى كساهم فاختار لبس السكاه على الثوب الناعم وكان شرا له منه فخلق فأبدل بسر جديد فضلى فيه فلما قال أعيادوا الثرك الحلق وانزعوا هذا الجديد فأنظرت إليه في الصلاة دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس إلى البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضيف ^(١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده ^(٢) حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلان ردا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي ^(٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح ^(٤) حديث كان بلبس هملتين يضاوون من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانين أو سحوليين من هذه الفلاظ تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه لشعلة والبرد والخبرة . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحروب وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غايط عما يصنع باليمن وتقدم في آداب العيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رثة وعليه بردان أخضران سككت عليه أبو داود وإسناده الترمذي والبرازين من حديث قدامة الكلبي وعليه حلة خيرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي ^(٥) حديث كان قيحه كأنه قيس زيات الترمذي من حديث أنس بسند ضيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحبه حتى كان ثوبه ثوب زيات ^(٦) حديث لبس يوما واحدا ثوبا بسياء من سندس قيمته مائتا درهم أهدها له اللقوي ثم زعه الحديث ^(٧) حديث لبس يوما خاتما من ذهب ^(٨) ثم زعه متفق عليه وقد تقدم ^(٩) حديث قال عائشة في شأن بريرة اشترطى لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها ^(٩) حديث أباح للثمة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ^(١٠) حديث صلى في خيمته لما علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة .

[١] قول العراقي ثم زعه الحديث هكذا في النسخ بغير ذكر راو ولم يشكلم عليه الشارح فليظنراه .

عن الأكواع ومن
الأصحوان القلب
والنفس فإذا ارتقى
الروح نحو القلب إليه
حدو الولد الحسب
البار إلى الوالد ونحو
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حين الوالدة
الحنية إلى ولدها وإذا
حنت النفس ارتقت
من الأرض واتزوت
عروفا الضاربة في
العالم السفلى وانطوى
هواها وانحسرت
مادته وهزهدت في الدنيا
وتخافت عن دار
الفرور وأتابت إلى دار
الخلوة وقد تغلغل النفس
إلى هي الأم إلى
الأرض بوضعه الجلي
لتسكنها من الروح
المسرواى الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على للنبر نظرة فرسى به قال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فخرهما ما جادا وقال : أهيبي حسنها فتراضعت لرى خشية أن يعقبن ثم خرج بهما فدفنهما إلى أو لم يكن ركة» (٢). وعن سنان بن سعد قال حيث حيك رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال «انظروا ما أحسنها وما أليتها قال قاما إلى أعراي قال يارسول الله هيا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فلبس صلى الله عليه وسلم وهي في الحياكة» (٣). وعن جابر «قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الأبل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لتبكي الأبد فأقول الله عليه وسلم يسطيك ربك قرضي» (٤). وقال صلى الله عليه وسلم «إن من خيار أمتي فبا أنيائي للآل الأبي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤثما على الناس خيفة وعلى أنفسهم ثقله يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأذانهم عند العرش» (٥). فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللباس «وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذا قال «من أحبني فليستن بسنني» (٦) وقال «عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عنوا عليها بالواجب» (٧). وقال تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» «وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال إن أردت الحقوقي فيأياك ومحاسنة الأغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعه» (٨). «وعلى قيس عمر رضى الله عنه ثلثا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الحلافة وقطع كبة من الرننين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من ريشه. وقال الثوري وغيره ليس من الثياب ما لا يشرك عند العطاء ولا يغفرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليجر في وأنا أحمل فأدعه يجوز ويمر في واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرقة فألقته ولأدعه يجوز. وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وقلعه بدرهم وأربعة دواقي. وقال ابن هبيرة خير ثيابي ما خدمني وشركها ما خدمته. وقال بعض السلف : ليس من الثياب ما يغلطك الناقصة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك. وقال أبو الهيثم الداراني : الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم من رق يورق دينه

(١) حديث ليس خاتما فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٢) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٣) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٤) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٥) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٦) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٧) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم (٨) حديث ثملين جديدين فأعجبهما حسنها فانظر إليه على للنبر فرسى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إلى ونظرة إليكم

ومستندها في ركنها إلى الطابع القى هي أركان العالم السفلى . قال الله تعالى - ولو شئت لرفعتها بها ولكنه أخلسها إلى الأرض واتبع هواه - فإذا سكنت النفس القى هي الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب للشكوى انجذاب الولد لوالده إلى الوالدة الموجهة النافسة دون الوالد الكامل للستيم وتجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الولد إلى والده فذلك يخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة

وكان جمهور الطعام من التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطنتين قبيص ومترزخته وربعا يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول الفسك الذي وفي الخبر « البذاة من الايمان » وفي الخبر « من ترك ثوب جمال وهو بقدر عليه نواضا لله تعالى وابتناء لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في ثغث الباقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأولياي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر السكونة وهو يوظف فقال انظروا إلى أميركم بسط الناس عليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في برته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الناس ولا يزدى بالفتور فقره ولما عوب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتتمين (١) » ورؤى فضالة بن عبيد وهو والي مصر أعتق حافيا قبيل له أنت الأمير وتعمل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نخفى أحيانا (٢) . وقال على لم رض الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبك فارع القميص ونكس الإزار وأخسف النعل وكنر دون الشبع وقال عمر اخشعوا وإياكم وزي السم كسرى وقبصر . وقال على كرم الله وجهه من زيا يرى قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمم الذين غذاوا بالنم يطوبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزره المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه بما بينه وبين السكين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشر من أمم إلا مراء أو أحرق (٥) » وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفرة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتية بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتية مادماك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أملك ولا تجيبني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو أقرا فأشكروني وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خليلا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فاذا غفل أحداهما لبس

الترمدى وقال غريب والحاكم ومصححه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهي عن التتم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتتمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء [١] وأمرنا أن نخفى أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أمم الذين غذاوا بالنم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف سيكون رجال من أمم يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمم وقد تقدم (٤) حديث أزره المؤمن إلى أنصاف ساقيه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشر من أمم إلا مراء أو أحرق لم أجده إلا إسنادا .

[١] الإرفاء بكسر الهمزة ثم راء ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست ثاء : التدهن والتزجيل كل يوم . وقيل التوسع في العلم والمشرع برهقان اه .

- ذلك تقدير الميز
العلم . - وقد ورد
في أخبار داود عليه
السلام أنه سأل ابنه
سليمان بن موضع العقل
منك قال القلب لأنه
قلب الروح والروح
قلب الحياة . وقال
أبو سعيد القرشي
الروح روحان روح
الحياة وروح المات فاذا
اجتمعا عقل الجسم
وروح المات هي التي إذا
خرجت من الجسد
بصر الحي ميتا وروح
الحياة ما به مجاري
الأنفاس وقوة الأكل
والشرب وغيرها ،
وقال بعضهم : الروح
نسب طيب يكون به
الحياة والنفس ربح
حارة تكون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال لإلا وعورته مستورة ، وقيل لسان الفارسي رضى الله عنه مالك تليس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فإذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا ، ويرى عن محمد بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يليهما من الأبل إذا قام بصل ، وقال الحسن لقد رد السبيخى تحسب أن لك فضلا على الناس بكبائكى بلنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من الزايل ويسلها ويلفها ويلبسها قتل إنك تسكى خيرا من هذا فقال ماضرم ما أصابهم فى الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويكى [اللهم الثالث] للسكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موصفا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موصفا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من صف أو مشي أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشره أو بإجارة فإن كان قدر سعة السكنى على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجسس والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكسوة حد الزهد فى السكن فاختلف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإساقفة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستجرا أو مستمرا وللزهد مدخل في جميع ذلك والجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا والآخرة . وروى عنه وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والفرض من للسكن دفع للحر والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدرج والتشديد يمتد بالتدرج كيف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلا والتشديد هو البيان بالجص والآجر وإنما كانوا يبنون بالسقف والجريد (١) وقد جاء فى الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود البجانية » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهزم عليه كان قد علا بها (٢) « ومروا عليه السلام بمجنبة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فقال الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فهدمها (٣) » وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة له لينة ولا نصبة على قبة (٤) » (١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسقف والجريد أماثل الثياب من غير كف فروى الطبرانى والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء فى الصحيحين من حديث أنس فى قصة بناء مسجد المدينة فصفوا التخل قبل المسجد وجعلوا عسائره بالحجارة الحديث ولهم حديث أنس سيدكان للسجد على عريش فوكف للسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه له كان قد علاها الطبرانى من زوايا إلى العالية أن العباس بنى غرفة حلاله التى صلى الله عليه وسلم أهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر بمجنبة معلاة فقال لمن هذه ؟ فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس باسناد جيد لفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والمجنبة التبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة الحديث إن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية هكذا مرسل الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة من سأل عن أوسرمان نظرى فلينظر إلى أشعث شاب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

الحركات للذمومة والتهنوت وشال فلان حار الرأس وفى الفصل الذى ذكرناه جمع التنبيه بماهية النفس وإشارة الشايع بماهية النفس إلى ما يظهر من آثارها من الأفعال للذمومة والأخلاق للذمومة وهى التى تعالج بحسن الرياضة وإزالتها وتبديلها والأفعال الرديئة زوال الأخلاق الرديئة تبدل . أخبرنا الشيخ العارضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى قال أنا إجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الحلبي قال أنا القاضي محمد بن سعيد القزوينى قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين»^(١) وقال عبد الله ابن عمر «مررت علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا فقال ما هذا فقالنا خسا لنا قد وهى فقال أرى الأمر أجعل من ذلك»^(٢) وأخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب فقدمنا عليه فقيل له لو أصلحتنا فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يجعله يوم القيامة»^(٣) وفي الخبر «كل نفقة للمعبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين»^(٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرياسة والتطاؤل في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبنا على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن»^(٥) أو برد «^(٥)» وقال صلى الله عليه وسلم «رجل الذي عشا إلى صديق منزله اتسع في السماء»^(٦) أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قديس يحس وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بانيان هاما من لفرعون يعني قول فرعون - فأودعني يا هاما من على الطين - يعني به الأجر ويقال إن فرعون هو أول من بنى له بالجنس والأجر وأول من عمله هاما من ثم تبهما الجبايرة وهذا هو الخزف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا المسجد ببنيان من الجريد والسعف ثم رأيتهم ببنيان من رهص ثم رأيتهم الآن ببنيان بالطين فكان أصحاب السعف خير من أصحاب الرهص وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بناه وقصرا له وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا نزح بيته أو وجهه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الخشب والجلود وهي عادة العرب الآن يلاذ بالطين وكان ارتفاع بناء السقف قائم وبسطة قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف ، وقال عمرو

أبو اسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السفاني
قال حدثنا محمد
ابن الحسن القطيني
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
القبيلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن لهيعة عن
خالد بن يزيد عن

ورأى آخر يشرب من التمر بكفيه فرس بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه إنما يارب المقصود إذا استنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستنى عنه فيقصر فيه على أقل الدرجات وهو الحزف في كل ما يكتفي فيه الحزف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به أو وسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالتى معه قصة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ التناع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء لتخفيف وأعلاما أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحديس فان زاد في العدد أوفى قلته الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف^(١) . وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عبادة مثنية وسادة من أدم حشوها ليف ، وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط مجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه فقال: يا نبي صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكتك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقبعر وماها فيه من لك وذكرك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم ما ترى يا عمر إن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك^(٢) . ودخل رجل على أبي ذر فضيل قلب بصره في بيته فقال يا أباذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا جينا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يبدع فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له ما منك من الدنيا فقال لمضى عصى أبوك عليها وأنتل بهاية إن لقيتها ومعى جرائ أحمل فيه طعامى ومعى قصتي أكأكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرى أحمل فيها شراى وطهورى للصلاة لما كان بعد هذا من الدنيا فويع لى ما عسى قال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يدها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبوراغ فقال من أجل السر والسواوين فأرسلت بهما بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فصدقت بهما فذهب فيه وأدفعه إلى أهل الصدقة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال بأبى أنت قد أحسنت^(٣)

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف أبوداود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبادة مثنية وسادة من أدم حشوها ليف الترمذى في الشاغل من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط النخل فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على باب منزلها سترا وفى يدها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ ولأبى داود وابن ماجه من حديث سفيانة بن سعيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضعت يديه على عضاقتى الباب فرأى الترام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لمن أنظر فارجه الحديث والناس من حديث ثوبان بن أسد جيد قال جاءت ابنة هبيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفى يدها قنبر من ذهب الحديث

النفس لطيفة مودعة في انساب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتم والمعدة محل الترويق وهكذا النفس محل الأوصاف للذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدها الطيب والثاني الشر وطبيها من جعلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طبيها بكرة مستديرة على مكان أملس

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فنهكه وقال «كفاراً» بتدكرت الدنيا أرسل به إلى آل فلان (١) و فرغت له عائشة ذات ليلة فراشا جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عبادة مثنية فأزال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقعة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة (٢) وكذلك أتته دنائير خمسة أوستة ليلاً فيبيتها ففسر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنهما فنام حينئذ حتى سمعت غطيظه ثم قال «ما ظن محمد بربه لولتى الله وهذه عنده (٣) وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا نوبة وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض نوباً قط كان إذا أراد النوم باشر الأرض بحمسه وجعل نوبة فوقه [اللهم الخناس] للنسك وقد قال قائلون لا معنى للزهد فى أصل النسك ولا فى كثرة توبته وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد جيب إلى سيد الزاهد بن النسا فكيف زهد دين وواقفه على هذا القول ابن عيينة وقال كان زهد الصحابة على أن يأبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع تسعة وبعش عشرة سريرة والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال كل مشاغل عن المؤمن أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون المزمة أفضل فى بعض الأحوال كما سبق فى كتاب النسك فكيف يكون ترك النسك من الزهد وجب يكون النسك أفضل لدفع الشهوة الغالية فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه أفة تركه ولا ضلته ولكن ترك النسك احترازا عن ميل القلب إلىهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر واللصاحبة والمرافقة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمته محمد ﷺ من الترابيات واللذة التى تلحق الإنسان فيها هو من ضرورية الوجود لا تنصره إذ لم تكن هى التصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من قلة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شيء لأن فى ترك ذلك فوات بدنه فكذلك فى ترك النسك استطاع

وفيه أنه وجد فى يد فاطمة سلمة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلمة من نار وأنه خرج ولم يقمده فأمرت بالسلسلة فيمت فاشترت بئسها عبداً فأعتقته فلما سمع قال الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار (١) حديث روى على باب عائشة سترًا فنهكه الحديث الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديثها (٢) حديث فرغت له عائشة ذات ليلة فراشا جديداً وفيه كان ينام على عبادة مثنية الحديث ابن حبان فى كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة مثنية فاطلقت فيمت إلى بفراش خشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه مجاهد بن سعيد يختلف فيه والمعروف حديث حصاة التفتيم ذكره من التبرائل (٣) حديث أتته دنائير خمسة أوستة عشاء فبيتها ففسر ليله الحديث وفيه ما ظن محمد بربه لولتى الله وهذه عنده أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما فعلت بالذهب فجاء ما بين الحمى إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد الحديث وزاد أفتقها وفى رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غام [١] الوجه قالت لحسبت ذلك من وجع فقلت يا بنى الله مالك غام الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التى أتنا أمسينا وفى فى خضم الفراش وفى رواية أمسينا ولم تنفقا .

[١] غام بالمجمة مثير يقال شهم تغير عن حاله لعارض اهـ .

مضوب لا تزال متحركة
بجلبها ووضعها وشبهت
فى حرصها بالفراش
الذى يلقي نفسه على
ضوء الصباح ولا يقع
بالضوء اليسير دون
المحبوب على جرم الضوء
الذى فيه هلاكه فى
الطيش توجد الصجلة
وقلة الصبر والصبر
جوهر القتل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا يشبه إلا
الصبر إذ القتل يجمع
المحوى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وهما اللذان ظهرا فى
آدم حيث طمع فى
الحلوة فحرص على أكل
الشجرة وصفات النفس
لها أصول من أصل
تكونها لأنها مخلوقة

نفسه فلا يجوز أن يترك التسكح زهدا في ذاته من غير خوف آفة أخرى وهذا معناه سهل لا محالة ولا وجه تنكير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن^(١) والاتفاق عليهن^(٢) فلامعنى زهد فيه من حذر من مجردة الواقع والنظر ولكن أي يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فيبغى أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف أن تشغله الكثرة منهن أو جمال الزينة فتسلك واحدة غير جلية وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة السون أو البتيمة على المرأة الجلية والشريفة . وقال الجنيد رحمه الله أحب للمرء البتيدة أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تبتير حاله : التسكيب وطلب الحديث والزوج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمة فإذا ظهر أن هذه النكاح كلدة الأكل لها شغل عن الله فهو محذور فيها جميعا [اللهم السادس] ما يكون وسيلة إلى هذا الخسة ، وهو المال والجاه : أما الجاه فعناء ملك القلوب بطلب محل فيها يتوصل به إلى الاستقامة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر على من يخدمه اقتصر إلى جاء لاهالة في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يتم خدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له أول وقرب ولكن يتعاضد به إلى هوانه لا يمتدح لها ومن علم حول المحي بوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لطلب نعم أولدفع ضرر أو لخلاص من ظلم فاما النفع فيمنع عنه المال فان من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للسأجر قدر وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يملك فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بتسلل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضب لاسيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والمخاض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا فلا يشتغله بالدين والعبادة بمعمله من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهمات والتفديرات التي تنحوي إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة إذ من طلب الجاه أيضا يغفل عن أذى في بعض الأحوال فالحاصل ذلك بالاحتال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ، فإذا نزل المحل في القلوب لارخصة فيه أصلا واليسير منه داع إلى الكثير وضارته أشد من ضرراته فليحترز من قليله وكثيره . وأما المال فهو ضروري في العيشة أعني القابل منه فإن كان كرويا فإذا اكتسب حاجة يومه فيبغى أن يترك الكسب كان بعضهم إذا اكتسب حنين رفع سقفه وقام . هذا شرط الزهد فإن جاوز ذلك إلى ما يكتفي أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد أو أتوا بهم جميعا وإن كانت له ضمية ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأسكت منها مقدار ما يكتفي ربه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفايته سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو إسحق القرنى رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا إنه خرج من حد الزهاد نفى به أن ما وعد للزاهدين في الحد الآخر من اللقائات المحمودة لا يتأهل باله إلا فاقسم الزهد قد لا يفرقه إلا شاة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر للزهد في جميع ذلك أن يفتن من أمر العبد وقد قال أبو سليمان أن يفتن أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم وفضل نفسه ماشاء معناه أن التضيق للشرط على الزاهد بخسه ولا يؤمره كل ذلك في عياله . نعم لا يفتن أن يحجب أيضا فلا يخرج عن حد الاعتدال وليست من رسول الله صلى الله عليه وسلم

من تراب ولها محبة وصف وقيل وصف الضعف في الآدمي من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الصبوة فيه من الجأ للسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شيء من الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن ذلك الخدام والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستئذنة بإمرائها واطرها فلا يتحقق البعد بالإنسانية إلا بسد أن يدبر دواعي الحيوانية فيه بالصلم والعدل وهو

(١) حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والاتفاق عليهن تقدم في التسكح .

إذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فإذا ما مضى الإنسان إليه من جاء ومال ليس بجذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل وللتصبر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سابقاً فهو مضّر وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم محظور شر به والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبّه أمره فمن احتاط فاحتاط بحتاط نفسه ومن تساهل فاحتاط بتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما يريه وردّ نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من الفرقة الناجية لاحتالة ، وللتصبر على قدر الضرورة وللمم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة الشروط ، وبدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمأته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خذلك لأعطاك فقال يارب عرفت منك للدنيا خلقت أن أسألك منها شيئاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من بخر أموال الأغنياء وما عليهم من الخنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتال القليل فيه ، وطاعة سعادته به أن يسر لورثته فيما كلونه ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على اللصبة فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياثم يروم الخروج فلا يجد غطاء فيموت وبهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فاحتاط بحكم على قلبه بسلامة تقيده بما يشتهيه حتى تظهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشبابة الأعداء وصراة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه قصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولوترك محبوباً من حبابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك اللوث بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معانة الدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا وغالب ملك الموت قد عانت بروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كمنخص ينشر بالمشتر ويصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي ينشر بالمشتر إنما ينزل اللؤلؤ بيده ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنزه لما طمأن به أن يتسكن أولاً من صميم القلب مخصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حشرة فوت الزلزل في أمي عليين وجوار رب العالمين ، فبالزروع إلى الدنيا يعجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مسيطرة إلا على محبوب . قال الله تعالى : كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فربب المذاب بالنار على ألم الحباج وألم الحباج كاف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ، فنسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا ما نمت في روح رسول الله جلبي الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فانك مفارقة (١) وفي معنى مذكراته من المثال قول الشاعر :

رعاية طرفي الافراط
والغريظ ثم بذلك
تتقوى إنسانيته
ومعناه ويدرك صفات
الشيطة فيموال الأخلاق
المنسومة وكال
إنسانيته ويتفاضه
أن لا يرضى لنفسه
بذلك ثم تتكشف له
الأخلاق التي تنازع
بها الروبسية من
الكبر والمز وروية
النفس والعجب وغير
ذلك فيرى أن صرف
البسودية في ترك
النزاعة الروبسية
والله تعالى ذكر النفس
في كلامه القديم
بثلاثة أوصاف :
باطمأنينة قال
- فأيتها النفس
الطمعنة وسهاها لامة

مكدود كدود القز ينسج دائماً وبذلك غما وسط ماهو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله وإتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالسكينة حتى قال الحسن : رأيت سبعين بدرجا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالحسب والرخاء لو رأيتموهم قلم بجهنين ، ولورأوا خباركم قالوا بالهؤلاء بمن خلاق ، ولورأوا استمراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء يوم الحساب . وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يغسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لاهل له يخاف من فسادة والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى - ورفضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز وجل - ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتابيع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ذلك مبتليهم من العلم - فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام إحماني ممك في سياحتك ، فقال أخرج منك والحقني . فقال لأستطيع فقال عيسى عليه السلام بسبب يدخل التي الجنة أوقال بشدة . وقال بعضهم : ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك يتدانون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا ثلثا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لدوا لموت وإبنوا للخراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتعوا اطول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب للمع بالزهد فكم من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا دبرا لا باب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكفل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع ليس الأصواف الفاخرة والسياب الرقيقة كما قال الحواص في وصف الدعين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يمهون بذلك على الناس لبيدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتفروا فيعطوا كما تعطى الساكين ويعجبون لنفوسهم بإتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعله غيرهم . هذا إذا طوبوا بالحقائق والجأوا إلى الضائق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم ينصوا بصفة أسرارهم ولا بتبذير أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فقلبتهم فادعوا حالهم فهم مائلون إلى الدنيا متبوعون للهوى . فهذا كله كلام الحواص رحمه الله . فإذا من معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجوده ولا يهزن على مفقوده على ما قال تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - بل ينبغي أن يكون بالخذ من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذممه ومادحه فأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون أنه بالله تعالى والغالب على قلبه حلوة الطاعة إذ لا يخلو القلب عن حلوة المحبة إمعة الدنيا وإمعة الله وهما القلب كالما هو الهواء في التمتع فالما إذا دخل خرج الهواء ولا يجمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشغل بشيء

قال - لأنهم يوم القيامة ولا أنتم بالنفس اللوامة - وسبها أمانة ، فقال - إن النفس لأمانة بالسوء - وهي نفس واحدة . ولها صفات متفارقة ، فإذا امتلأ القلب سكرة خلج على النفس خلج الطمأنينة لأن السكرة مزيد الإيمان وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منع من حظ البقيع وعند توجه القلب إلى محل الروح توجه النفس إلى محل القلب ، وفي ذلك طمأنينتها وإذا ازهدت من مقام جيبسائها ودواعي طبيعتها متطلعة إلى

ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الأُنس بالله . فأما الأُنس بالدنيا والله فلا يحتملان وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما وإذا بطعن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبيض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لهما ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيساءياشر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه شغل عن الناس وهذا مقام الماعلين ومن شغل ربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا يد وأن يكون في أحد هذين المقامين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده للمع والهم والوجود والعدم ولا يستدل بأساكه قليلا من اللال على قد زهده أصلا . قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يحسك الدنانير ، فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالتحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ماسوى الله حق لا يتوسد حجرا كامله للشيخ عليه السلام ، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجروا على الطمع في غايته وإن كان قطع الرضا عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا محامد نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطفه شيء فلا بد في أن نعظم السؤال اعتيادا على الجود المجاوز لسلك كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمسلح والذم وذلك لطلبية الأُنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لاحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يلبس من أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطا أو أعمر مسجدا . وقال يحيى ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من اللك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوفاء من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفيا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال الصرابي : الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة . وقال أيضا الزاهد قد يسقط الخلق والجرود والعارف يشمك السك والعزير وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأضجع الزاهدين ، فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حد لوقطع الله عنك الرزق ثلاثاً لم تأخذ في نفسك . فأما ما يبلّغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تنفض . وقال أيضا : الدنيا كالمرس ومن يطلبها ماشطاً والزاهد فيها يسبح وجهها ويتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف يشغل بالله تعالى ولا ينفث إليها . وقال السري مارس كل شيء من أمر الزهد فقلت منه ما يزيد إلا الزهد في الناس فأنفذ بلطفه ولم أطلقه . وقال القليل رحمه الله جعل الله الشركه في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخبر كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى .

مقار الطمأنينة فهي
لواصة لأنها تعود
بالأمسة على نفسها
لتنظرها وعليها محل
الطمأنينة ثم إغداها
إلى محلها التي كانت
فيه أمارة بالسوء ،
وإذا أفادت في محلها
لا يشأها نور العلم
والصرفة فهي على
ظلمتها أمارة بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فخارة
بملك القلب دواعي
الروح ، وتارة بملك
دواعي النفس . وأما
السر فقد أشار
القوم إليه ووجدت
في كلام القسوم أن
منهم من جعله بسد
القلب وقيل الروح ،
ومنهم من جعله بسد

﴿كتاب التوحيد والتوكل﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر الملك واللكوت النفرذ العزة والجبروت الرافع لجهاد بغير حماد القدر لها أرزاق البقاع الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب ورفع همهم عن الالتفات إلى ماعداه والاعتدال على مدرسه فلم يبدؤا إلا بإياه علما بأنه الواحد القادر الصمد الإله وتحققا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثاله لا ينتهي عندهم الرزق وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقها وما من ذرة إلا على قدرها فلما تحققوا أنه لربهم عباد ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل الهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الوقين بل هو من معالي درجات القربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث أنهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتناقل عنها بالسلكة طعن في السنة وقبح في الشرع والاعتدال على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تنير في وجه العقل وانعاس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية القدوس والسرور لا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء لإلماسرة السواء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل المتوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب المتوكلين - وأعظم مقام موسوم بحسبه الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملايه فمن الله تعالى حسبه وكافيه وحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يندب ولا يبعد ولا يجب وقال تعالى - ليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو المكذب لهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق الخلق كقولته تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا - وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل يحكم - أي عزز لا يزل من استجاب به ولا يضيع من لا يجنبه والتجأ إلى ذمائه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين يمددون من دون الله لا يملكون لهم رزقا فإنهم يغفرون الله الرزق ويعبدوه - وقال عز وجل - ولهم خزائن السموات والأرض ولكن لنا عقابن لا يقرهون - وقال عز وجل - يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه - وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار . وأما الأخبار : فقد قال

الروح وأولى منها وألطف وقالوا السر محله للشاهدة والروح محل الحية . والقلب محل العرفة والسر الذي وتمت إشارة القوم إليه غير مذكور في كتاب الله وإنما المذكور في كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والقوادر والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ورأينا الاختلاف في القول فيه وأما قوم إلى أنه دون الروح وقوم إلى أنه أطف من الروح فنقول والله أعلم : الذي صوره سرا ليس هو بشيء مستقل بنفسه

﴿كتاب التوحيد والتوكل﴾

صلى الله عليه وسلم قبا رواه ابن مسعود «أريت الأم في اللوم قرأت أمي قدملأوا السبل والجليل فأجبتني كثرتهم وهياتهم قبل لي أرضيت قلت نعم قبل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل : من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوبون ولا ينظرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون قام عكاشة وقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم قام آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم : سيبك يا عكاشة ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تقذو خماها وتروح بطانا ^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «من اتطعم إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤثر وزعمه من حيث لا يحتسب ومن اتطعم إلى الدنيا وكفه الله اليها ^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوفى منه بما في يده ^(٤)» ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني رب عز وجل قال عز وجل - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - ^(٥)» الآية وقال ^(٦) «لم يتوكل من استرقى واسترقى واكتوى ^(٧)» وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالجنيح أنك حاجة قاتل أمالك فلدواها بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذا قال ذلك حين أخذ لرمي فأزل الله تعالى سوار إبراهيم الذي وفي وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإداده مامن عبد يتصم في دون خلق فتكديه السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا . وأما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدغني عتق فأكسمت على أمي لتسترقين فناولت الرافق يدي التي تم تدغ وقرأ الحواس قوله تعالى - توكل على الحى الذى لا يعوس - إلى آخرها فقال مابني لأميد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقبل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أرزقوته وقال بعض العلماء لا يفتك الضمون لك من الرزق عن القروض عليك من العمل فضيع أمر آخرتك ولاتلن من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود البعد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطاب البعد . وقال إبراهيم ابن آدم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربى من أين يطعمني . وقال هرم ابن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف العيشة قال أوس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأم في اللوم قرأت أمي قدملأوا السبل والجليل الحديث رواه ابن منيع بإسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير الحديث الترمذي والحاكم وصحاه من حديث عمرو وقد تقدم (٣) حديث من اتطعم إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوفى منه بما في يده الحديث والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربى قال تعالى - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الشيق أمرهم بالصلاة ثم أراهذه الآية محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جدي فيسمع دما عن جد أبيه (٦) حديث لم يتوكل من استرقى واكتوى الترمذي وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له إلا أنه قال أومن حديث الثوري بن شعبة وقال الترمذي من اكتوى واسترقى قد برى من التوكل وقال النسائي ما توكل من اكتوى واسترقى.

له وجود وذات كالروح
والنفس وإنما لما
صفت النفس وتزكت
انطلاق الروح من وثاق
طلقة النفس فأخذ في
المروج إلى أوطان
القرب والترح القلب
عند ذلك عن مستقره
متطلعا إلى الروح
فاكتسب وصف الذا
على وصفه فأنجم على
الواجدين ذلك الوصف
حيث رآوه أصنى من
القلب فسموه سرا
ولما صار للقلب وصف
زائد على وصفه بتطلعه
إلى الروح اكتسب
الروح وصف ما زاد
في عروجه وأنجم
على الواجبين فسموه
سرا والذي زعموا أنه
الطيف من الروح روح

لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الوعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنطبق إلا على حال واحد وهو التوكل كذا
ينظم من علم هو الأصل وعمل هو الفرة وحال هو الراد باسم التوكل . فليبدأ ببيان العلم الذي هو
الأصل وهو للشيء إيماناً في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بقلب فهو علم وإذا
فوى سمى يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نفي عليه التوكل وهو
التوحيد الذي يترجمه توك : لإله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالله الذي يترجم عنها توك : له
الملك والإيمان بالوجود والحكمة الذي يدل عليه توك : وله الحمد فن قال لإله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول
وصفا لازماً قبله عليه غائباً التوحيد فهو الأصل والقول يدل على وهو من علم الكشفية ولكن بعض
علوم للكشفات تتعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم مع العلمة إلا بها فإذن لا تشرى إلا بالقدرة الذي
يتعلق بالمعاملة والأفعال وحيد هو البحر الحفم الذي لا ساحل له فتقول: التوحيد أربع مراتب وينقسم
إلى لب وإلى الب وإلى قشر وقشر القشر وتلك ثلاث تفرق إلى الأقسام العقيمة بالحوز في قشره
الطيفان لا تشرى به لب وللب مدح هو لب القلب الفاتية الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه
لإله إلا الله وقلبه غافل عنه أومنكر له كتوحيد للمافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ كله كما صدق
به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق
وهو مقام القربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار
والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لأنه
من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان بائناً
نفسه في توحيد بمعنى أنه نفي عن رؤية نفسه والحق الأول موحده بمجرد اللسان ويصمد ذلك صاحبه
في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحده بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب
بما اعتقد عليه قلبه وهو عقدته على القلب ليس فيه انشراح وانسراح ولكنه غفط صاحبه من العذاب
في الآخرة إلى توفي عليه ولم تنصف بالمعاشي عقدته ولهذا العقد جبل يصدها تضيقه وتخلجه تسمى
بدعوة جبل يصعبها دفع حيلة التجليل والتكليف ويقصدها أيضاً إحكام هذه المقدمة وشدها على
القلب وتسمى كلاماً والمعارف به يسمى متكلماً وهو في مقابلة البتبع ومقصده دفع البتبع عن
تحليل هذه المقدمة عن قلوب العوام وقد غشى للتكلم باسم للوحده من حيث إنه بمعنى بكلامه
مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتلبد عقده والتك موحده بمعنى أنه لم يشاهد إلا فعلاً
واحداً إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلاً بالحقية إلا واحداً وقد انكشف له الحقيقة
كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يصدق له مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والتكلمين إذ لم
يفارق التكلم العامي في الاعتقاد بل في سنة تطبيق السلام الذي به جبل البتبع عن تحليل هذه
المقدمة والرابع موحده بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الشكل من حيث إنه كثير
بمعنى حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ، فأقول كالقشرة العليا من الجوز ،
والتا، كالقشرة السفلى ، والثالث كالب ، والرابع كالدنه المستخرج من الب وكأن القشرة
العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو من الدقائق وان نظرائها باطنه فيكم كذا للفظ والتأخذ

متصفه بوضف اخس
ماعمدهو،والذى صوه
قبل الروح سر اهو قلب
اضف بوضف زائد
غير ماعدهو وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب تترقى النفس
الى العقل والحب تستخدع
من وصفها قصير فسا
مطمشة ترتد كثيرا
من مهدات القلب بمن
يقبل اذصار القلب بريد
ما يزيد مولا متبرعا
عن المحصول والقوة
والارادة والاختيار
وعنهما ذاتي طم
مصرف البهودة حيث
صار حرا عن ارادته
واختياره وامالقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح ثابتة

حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وإن ترك في البيت متيق السكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى بعنه فكذاك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق القلب عدم الجدوى كثير الضرر مدموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدقق حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السليمة القلب والبدن وتوحيد للثائق يصون بدنه عن سيف القزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبق لتوحيده قائمة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النعم بالاضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب ونحوه عن الفساد عند الاذخار وإذا فصلت أمكن أن يتمتع صاحبها بالسكنا نازلة القدر بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النعم بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى الكشف والشاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك الشرح هو الراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله عز وجل - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وكان القلب شمس في نفسه بالاضافة إلى القشر وكله القصد ولكنه لا يغلو عن شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد القلب مقصد عال للسالكين ولكنه لا يغلو عن شوب ملاحظة التبر والاتفات إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد والحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السواء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا . فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب قد قال المارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم العالمة ثم ذكر ما يكسر سورة استبعادك يمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من للشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن التفث إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأمشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ هو إله إنسان واحد فهو بالاضافة إلى الإنسانية واحد ومن شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرته أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بوحد ايسر في تفريق وكأني في عين الجمع والمثنت إلى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخرى سواء كثير وبضها أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينيه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم للشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والوجود لقام لم يبله وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما أنت به مفنك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بدرك وإنما لك وهذه الشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تنظر أكلرب في الحافظ وهو لا كثره الدوام نادر عزو إلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الحق أس يدور في الأسفار فقال فإدأت فقال أدور في الأسفار لأصبح حائقي في التوكل وقد كان من التوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران بالهك فأين الفناء في التوحيد فكأن الحق أس كان في تصحيح القام الثالث في التوحيد فطالبه بالقام الرابع فهذه مقامات الوجدن في التوحيد على سبيل الاجمال . فان قلت فلا بد لهذا من شرح بغيره دار ما يفهم كيفية إبقاء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانها وليس التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث . وأما الأول وهو النفاق فواضح . وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم السالكين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والسفل بشأته
اللسان . وقد ورد في
الحجر عن رسول الله
على الله عليه وسلم أنه
قال : أول ما يسأل
الله العبد قال له أقبل
فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال له أقدم
فقدم ثم قال له انطق
فنطق ثم قال له اصمت
فصمت فقال وعرفني
وجسلاي وعظمي
وكبريائي وسماطائي
وجسدي ما خلقت
خلقا أحب إلي منك
ولا أكرم علي منك
بك أعرف وبك
أحمد وبك أطعم
وبك أحسن وبك
أعطي وإليك أعاتب
ولك الثواب وعليك
العقاب وما أكرمك

البتة في هذا كور في علم السلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر القدر منهم . وأما الثالث : فهو الذي يبنى عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمل أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير إلى غير ذلك مما ينطق عليه اسم فالمتنرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه هتكك وعليه انكسارك فانه الفاعل على الافراد دون غيره وما سواه مسخرون لاستقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا انفتحت لك أبواب الكاشفة اتضح لك هذا اتصاحا آتم من المشاهدة بالبرهان صدى الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتنى به أن يطرأ إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى الجادات أما الالتفات إلى الجادات فكأنك قد علمت على الطرفين خروج الزرع ونباته ونعائه وعلى التنبؤ في نزول المطر وعلى البرد في اجتاع النعم وعلى الربيع في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمغائيق الأمور ، ولذلك قال تعالى - فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الربح لما نجونا ومن انكشف له أسر العالم كما هو عليه علم أن الربح هو الهواء والهواء لا يحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محرك وهكذا إلى أن يتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو من محرك في نفسه عز وجل فالتفات البعدي النجاة إلى الربح يضاهي التفات من أخذ لبحر رقبته فكسب الملك توقيفا بالنعمة عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الخير والكاعد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لأن محرك القلم هو غايه الجهل ومن علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يفتأ إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والخير والقدرة والشمس والقمر والنجوم والمطر والنعم والأرض وكل حيوان ومجمد مسخرات في قبضة القدرة كمنسخر القلم في يد الكاتب بل هذا اعتيّل في حقه لاعتقاده أن الملك الموقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائوا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأناك في اللبس الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى الشكل من الله وهذا الإنسان يطيعك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبته بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حر رقبته وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا ، لم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو السخر له وعند هذا زل أقدم الأكرمين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم الشيطان المبين فتشاهدوا بنور البصائر كرون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضمائم كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضمائم في ذلك كغلط الخلق من اللواتك تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد بدمه بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فطلعت وظلت أن القلم هو للسود للبياض وذلك انصورت بصرها عن مجاوزة رأس القلم لتعقب حديثها فكذلك من لم ينشرح نور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومتناهدة كونه ظاهرا وراء الكل فوقه في الطريق

جى . أفضل من
الصبر . وقال عليه
السلام « لا يجزيك
إسلام رجل حتى
تعملوا ما عده عقله »
وسألت عائشة رضى
الله عنها إلى صلى الله
عليه وسلم قالت قلت
« يا رسول الله بأي شيء
يتفاضلون الناس ؟ قال
بالعدل في الدنيا
والآخرة قالت قلت
أليس يجزي الناس
بأعمالهم ؟ قال يا عائشة
وهل يعمل بطاعة
الله إلا من قد عقل
ففرد عقولهم يسمعون
وعلى قدر ما يسمعون
يجزون » وقال عليه
السلام « إن الرجل
ليطلق إلى المسجد
فيصلي وصلاته

على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها تنطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسيبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلك تكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم من السمع مزلون ولست أعي به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك في قولنا لا يشارك في البهائم وإنما أريد به مما يدرك به الكلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فإن قلت فهذا مجهول لا يقبلها العقل نصف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سمعت وقدمت وكيف شهدت على نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله ينتهي فانها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا

لكلمات ربى لقد البحر - الآية ثم إنهما يتناحى بأسرار الملك وللكوت وإنشاء السر لزم من لدن الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوى بغيره على ما من الخلق ولو جاز إنشاء كل سر - لما قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكونوا لا يضحكون . ولما نعى عن إنشاء السر القدر (٢) . ولما قال «إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أماني فأمسكوا» (٣) . ولما نص حذيفة رضي الله عنه بعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة قدرات الملك وللكوت قلوب أرباب الشاهدات ما ناض : أحدها استعانة بإنشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن المحصر والتهابة ولكننا في المثال الذي كانها وهي حركة القلم نحكى من مناجاتها قدرا يسيرا فيهم يعطى الأجل كيفية ابتداء التوكل عليه ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفها وأصواتها ولكن هي ضرورة التفهم فتقول : قال بعض القائلين عن مشكاة نور الله تعالى للكافذ وقد رآه أسود وجهه بالجر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا وآلان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما لك السبب في ذلك الكافذ ما أنصفتني في هذه اللقاة فاني ماسودت وجهي وبني ولكن سل الخبر فإنه سل الجبر فإنه سل مجموعا

في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فدا فرعن الوطن ونزل بساحة وجهي ظمأ وعدونا قال صدقت فسأل الجبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فاني كنت في الهجرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمسه الفاسد واختطفني من وطني وأجاني عن بلادى وفرق جمعي وبدنى كآزى على ساحة رخاء فالسؤال عليه لاهل قال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظله وعدوانه وإخراج الجبر من أوطانه فقال سل اليد والأصابع فاني كنت قصبا تابنا على غطاء الأنهار منتزها بين خضرة الأشجار لجأفتي اليد بسكين ففتحت عنى قشري ومزقت عنى ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنا وبينى ثم برتني وشقت رأسي ثم غسقتني في سواد الخبر ومرارته وهي تستخذمني وتحشني على فقه رأسي ولقد ثرت للبحر على جرحي بسؤالك وعنايتك فتفتح عنى وسل من فبرتي فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا إلا لظلم وعظم ودم وهل رأيت لحنا يظلم أوحيا يتحرك بنفسه وإنما أنا مترك مسخر ركبتى فارس يقال له القدرة والعزة فهى التي تردنى

(١) حديث لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث الهى عن إنشاء سر القدر ابن عدى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا فهو رجل سره أنظر أبي نعيم وقال ابن عدى لا تسلكوا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضيف ولقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن حبان في الضعفاء وقد تم في العلم (٤) حديث أنه خض حذيفة يعرض الأسرار تقدم .

لا تعدل جناح بموضة
وإن الرجل لآتى
السجد فيصلى وصلاته
تعدل جبل أحد إذا
كان أحسنهما عقلا
قيل وكيف يكون
أحسنهما عقلا ؟ قال
أورعهما عن محارم
الله وأحرصهما على
أسباب الخير وإن
كان دونه في العمل
والطوع . وقال :
عليه الصلاة والسلام
«إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أثنائنا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وربهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل
كالدرية في جنب أحد»
وروى عن وهب بن

وتجول في نواحي الأرض أما ترى الدر والحجر والشجر لا يمتدنى شيء منهما مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أمأ ترى أيدي الوتر تساوين في صورة العمل والمظن والهم ثم لامعته بينهما وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فأني مركب أزهيجي من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأني في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبي فكم من لأم ملوم وكمن ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أسمى وكيف ظننت أنني ظلت اليد لما ركبها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون في أنني ميتة أو معدومة لأن ما كنت أحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزهيجي وأرهنني إلى مآثره متى فكنت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا لو كان يسمى الإرادة لأعرفه إلا باسمه وهجومه ومصلابه إذ أزهيجي من غمرة النوم وأرهنني إلى مكان لي مندوبة عنه لو خلا في ورأي فقال صدقت ثم سألت الإرادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة الطمئة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهنها إلى إرهابها لم نجد عنه خلاصا ولا مناصا فقالت الإرادة لا تميل على فعل لا تعذر وأنت تلوم فاني ما تهتفت بنفسي ولكن تهتفت وما تهتفت ولكني بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان القلب بالإشخاص بالقدرة فأشخصها بإشطار فاني مكيئة مسخرة تحت قهر العلم والقلب ولا أدري بأي جرم وقعت عليه وسخرت له وأثرت طاعته لكي أدرى أنني في دعة وسكون مالم يرد لي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وقفا وأثرت طاعته إثرأما بل لايتق لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المكافحة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتعير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استعمار وانتظار لحكمه فإذا انجزم حكمه أزهيجت بطبيع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عنى عتابك فاني كما قال القائل :

مق ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تغارهم قالوا احلون م

فقال صدقت وأقبل على العلم والقلب ومطالبا لهم ومعابيا لإمام على استباض الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال القلب أما أنا فسرأج ما اشتملت بنفسي ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا ففتش فتش في رياض لوح القلب لما أشرق سرأج القلب وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خالي عنى فسل القلم عنى لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فندد ذلك تمنع السائل ولم يلقه جواب وقال قد طال بي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحليني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكي كنت أظن أنها كثيرة التردد لما كنت أسمع كلاما متهولا في القواد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط وتشي وإنما خطيت فلم فلتست أفهمه فاني لأعلم قما لإمن القصب ولا لوجا لإمن الحديد والنجس ولا خطا لإلا بطي ولا سراجا لإمن النار وإني لأسمع في هذا التزل حديث اللوح والسرأج والخط والقلم ولأشاهد من ذلك شيئا أسمع جمعة ولا أرى طحنا فقال له القلم إن صدقت فاقبلت فضاعتك مزجة وزادك قليل ومركبك ضعيف . واعلم أن الهالك في الطريق التي توجبته إليها كثيرة فالصواب لك أن تصرف مائت في هذا بهشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استقام الطريق إلى القصد فألق صممك وأنت شهيد . واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها . لقد كان السكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت

منه أنه قال إني أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك بكثير ولا تؤثر تدل الأقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم : العقل من العلوم فإن الحال من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فإن الحال من جميع العلوم بوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

تلك المنازل على سهولة والثاني عالم للملكوت وهو ورأى فإذا جاوزته انتهى إلى منزله وفيه للمهامه والقيح والجمال الشاهقة والبحار العذبة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض وللهاء فلا هي في حد اضطراب اللهاء ولا هي في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشي على اللهاء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تمتع فإن كنت لا تعتمد على الشيء على اللهاء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا اللهاء الصافي وأول عالم للملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوزاداد يقينا لشيء في الهواء» (١) لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السائل قد تجبرت في أمري واستعمر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطيع قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا فهل لك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فإن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أمأرى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذا تزلزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فقال السائل لقد فحمت بصري وحدقه فوالله ما أرى نصبا ولا خشيا ولا أعلم قلما إلا كذوك فقال العلم لقد أبعدت النجبة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الدواب فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قفه الأقدام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته جسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قفه من نصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعنق فان كنت لا تشاهد هذا هكذا السأراك إلا عشتا بين خطوة التنزيه وآتونة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف زهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاته وزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقفه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خالق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدرجة بالبرص فكأن مشبها مطلقا كما يقال كمن يهودي صرفا وإلا فلا تطلب بالثورة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصار لا بالأبصار فكأن منزها صرفا ومقدسا خفلا وأطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع بصر قلبك لما يوحى فملكك نجد على النار هدى وملكك من سرادقات العرش تتادى بما نودي به موسى - إني أنا ربك - فلما سمع السائل من العلم ذلك استعظم تصور نفسه وأنه عشت بين التشبيه والتنزيه فاشتغل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيتة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسه نورا لما شمع فيه العلم بمجده اشتغل زيتة فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة واتضح بصرك لملك نجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قيل له إن عيسى يمشي على الماء قال لوزاداد يقينا لشيء في الهواء تقدم .

شرط ابتداء النظر
تقدم كال العقل فهو
إذن من العلوم
الضرورية وليس هو
جميعا فان صاحب
الحواس الحقة حافل
وقد عدم بعض
مدارك العلوم
الضرورية. وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب الحكم بأن
الذاهل عن ذكر
الاستحالة والجواز
لا يتصف بكونه حافلا
ونحن نرى العاقل في
كثير من أوقاته ذاهلا
وقالوا هذا العقل صفة
بنية بها يدرك العلوم .
ونقل عن الحرث بن
أسد المحاسن وهو من
أجل الشائع أنه قال

فأذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب في الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لآس له قضى منه العجب وقال ثم الرقيق العلم جزء الله تعالى عن خبرا إذا لأن ظهر لي صدق أنباءه عن أوصاف القلم فاني أراه قسلا كالأقلام فند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرتني لك وأنا عزم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إليه وقال: ما باليك أيها القلم تخطي الدوام في القلوب من العلوم ما تبث به الإرادات إلى أشخاص القدرة وصرفها إلى القدرات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والنبوة وممعت من جواب القلم إذ سأله فأخاك على اليد قال أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أصبحت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن غاي للقلب يعين الملك فاني قبضته وهو الذي برزني وأنا متهور مسخر فلانرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وإعنا الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن عين الملك قال القلم أصبحت قوله تعالى - والسמות مطويات بينه - قال نعم قال والأقلام إضافي قبضة بينه هو الذي يردها فسافر السالك عنده إلى المين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يربط على عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا يحوى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والمجتهبه أنه يمين لا كالأعنان وبد لا كالأبدى وأصبح لا كالأصابع فرأى القلم عرجا في قبضته فظهر له عذر القلم فقال المين عن شأنه وتحرى كلقلم فقال جوابي مثل ما سمعت من المين التي رأيتها في عالم القدرة وهي الحواشي القدرة إذ الاله لا حكم لها في نفسها وإعنا سحر كها القدرة لأهالة فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استعجز عنه ما قبله وسألها عن تحريك المين فقالت إنمأنا صفة فأقال القادر إذ الصدرة على الوصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزني ويطلق بالجرأة لسان السؤال فكتبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادات الحضرة - لا يستل مما يغفل وهم يشلون - ففتشته هيئة الحضرة غفر صفا يضرب في غشيتها فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك ثبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بفوك من عقابك وبرضائك من سخطك ومالي إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك فأقول : اشرح لي صدرى لأعرفك واحلل عتدتي من لاسي لأنتي عليك فنودي من وراء الحجاب إياك أن تطمع في التناء وتزد على سيد الأنبياء بل ارجع اليه فأخاك غفوه وما نهاك عنه فاشتغته وما قاله لك فقله فإنه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال - سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) - فقال إلهي إن لم يكن لسان جرأة على التناء عليك فهل القلب مطمع في معرفتك فنودي إياك أن تخطي رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق الأكبر فتدببه فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأبهم اقتدبت اهتديت ما سمعته بقول العجز عن درك الإدر الإدر الإدر فيك فيك نسيما من حضرة تارت أن تعرف أنك محروم عن سحر تنا عاز عن ملاحظة جلاله وجلالته فند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعانيه وقال للمين والقلم واللم والإزادة والقدرة وما بعدها أيقوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة لما كان إنكاري عليكم إلا عن قصور وجهي والآن قد صعد عندي عذرك وانكشف لي أن التفرد بالملك والملكوت والمنة والجبروت هو الواحد القهار ثم أتم الإسلامخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الأول والآخر وما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بأخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على تربيته واحد أبدا وهو الآخر

العدل غريزة يتبها بها
درك العلوم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرناه في
أول ذكر العقل : أنه
لسان الروح لأن
الروح من أمر الله
وهي للتحلة للأمانة
التي أبت السموات
والأرضون أن عملها
ومنها يفيض نور
العقل وقو نور العقل
تشكل العلوم فالعقل
لعلوم بمثابة السوح
للكنوب وهو صفته
منكوس متطلع إلى
النفس تارة ومتنصب
مستقيم تارة فمن كان
العقل فيه منكوسا
إلى النفس فرقه في
أجزاء السكون وعدم
حسن الاعتدال
بذلك وأخطأ طريق

(١) حديث سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

بالإضافة إلى سير السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقبين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الالتحاق إلى تلك المحفرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشهادة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى العالم كمين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس المحس ظاهر بالإضافة إلى من يطلعه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالصيرة الباطنة النافذة في عالم لللكوت فيكذلك كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القل: أعني من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبقى على الإيمان بالصلم لللكوت فمن لم يفهم ذلك أوجبه فاطرته ؟ فأقول : أما الواحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم لللكوت كانكار السنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس المحس فأنتكروا القدرة والإرادة والمعلم لأنها لا تدرك بالحواس المحس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس المحس ، فان قال وأنا منهم فأن لا أعتدى إلا إلى عالم الشهادة بالحواس المحس والأعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لما شاهدناه من وراء الحواس المحس كانكار السوفسطائية للحواس المحس فانهم قالوا ما نراه لا نتق به فلما نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملتهم فأن شاك أيضاً في الحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياماً فلائلا وماكل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الواحد . وأما الذي لا يبعد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظر إلى عينه التي يشاهد بها عالم لللكوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد زل فيها ماء أسود قبل الإزالة والتفتة اشتغلوا بتفتيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك على الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد . ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك ولللكوت شهادة التوحيد ككوه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فيه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزلل يغسد بصاحبه والبلد يغسد بأميرين فيقال له على حقه قله إلى العالم واحد وللدير واحد إذ لو كان فيها آلهة إلا قله لعدنا فيكون ذلك على ذوق مارآ في عالم الشهادة وينفوس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، وذلك زل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاوره . فان قلت . فقل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان اعتقاداً إذا قوى عمل الكسفي إثارة الأحوال لأنه في الغالب يضيض ويضارب إلى الاضطراب والتزلزل غالباً ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً وإن كان يزداد وضوحاً كما أن الذي يرى إنساناً في وقت الإسفار لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته ومثال للكسفيين والمتقدين إلا كسرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطبلين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ماجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتفوا بقول فرعون - لأنظن أيديكم وأرجلكم من خلاف - بل - قالوا لن نؤثر لك في ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت فاض إيماناً تخفى هذه الحيلة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التغير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الحيان فما نظروا إلى مجل السامري وصموا خواره وتميروا وصموا قوله - هذا إلهكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا عقل لهم صرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر

الاعتناء ومن اتصّب العقل فيه واستقام تأييد العقل بالصيرة التي هي أرواح بمثابة القلب واعتدى إلى الصكون ثم عرف الكون بالكون مستوفياً أقسام السمرة بالكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله إقباله في أمره دل على إقباله عليه وماكرهه الله في أمره دل على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجنب مساخطه وكل استقام العقل وتأيد بالصيرة كانت دلالة على الرشد ونبيه عن التقي . قال بعضهم : العقل على

إلى ثمان يكره له محالة إذا نظر إلى عمل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا نجد فيه اختلافا وتضادا أصلا . فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا . فاعلم أنه لو كان مع هذا بشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزية القدم وموقع الغلط ولكن علم أنه يعمل بشاء إذا شاء أن يشاء أم لم يشأ فليست الشئبة إليه إذ لو كانت إليه لاحتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تسكن الشئبة إليه فهما وجدت الشئبة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة له محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انحراف الشئبة فالشئبة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس العبد أن يدفع وجود الشئبة ولا انصراف القدرة إلى التدور بعدها ولا وجود الحركة بعدهم الشئبة القدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تسكت الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا . فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ، فلتشرح الاختيار بلسان الحكماء ثم شرحا وجيزا يلحق بما ذكر متظفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم قصد به إلا العلم بالحق ، ولكي أقول لفظ الفصل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتفنى الزمان والخنجرة ويغرق للماء إذا وقف عليه جسمه فينسب إليه الحرق في الماء والتنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعربك عنها بثلاث عبارات فتسمى حرقه للماء عند وقوعه على وجهه فلا طبعيا وتسمى تنفسه فلا إراديا وتسمى كتابته فلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه معاقف على وجه الماء أو خطي من السطح للهو أو أخرق الهواء له محالة فيكون الحرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انحراف الماء إلى قتل البدن فهما كان الثقل موجودا وجد الانحراف بعده وليس الثقل اليه وكذلك الإرادة ليست اليه ، ولذلك لو قصد عين الإنسان بآلة طبق الأجنان اضطرابا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تقيض الأجنان اضطرابا فإرادته إرادته ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا الفعل الطبيعي في كونه ضروريا . وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وثارة يشاء وثارة لا يشاء فيظن من هذان الأمرين وهذا الجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه ، ويأبى أن الإرادة تبع للفعل الذي يحكم بأن الشيء موافق للأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدته الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحجب وتردد وإلى ما قد يتردد الفعل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بآلة أوبدتك بسيف فإذ يكون في علك تردد في أن دفع ذلك خريك وموافق فلاحرم تثبيت الإرادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الأجنان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الأشياء ما يتوقف الخبير والعقل فيه فلا بدري أنه موافق أم لا يحتاج إلى روية وفكر حتى يتبين أن الخير في الفعل أو التارك فإذا حصل الفكر والرؤية العلم بأن أحدها خير التحق ذلك بالذي تقطع به من غير روية ففكر فانبثقت الإرادة ههنا كما تنبث لدفع السيف واللسان فإذا انبثقت فصل ما ظهر للفعل

ضرب بين ضرب يصير به أمر دنياه وضرب يصير به أمر آخرته ، وقد ذكر أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية فالعقل الأول موجود في مادة والدعوى والعقل الثاني موجود في قلبه حين مفقود من الجسمين . وفيما هنا هي العقل عقلا لأن الجهل ظلمة فإذا غلب النور بصيرة في تلك الظلمة زالت الظلمة فأبصر فصار عقلا لا يجهل . وقيل عقل الإنسان مستحسن في التقدير ومتمسك في الصدور بين عيني الضماد والذي ذكرناه من كون العقل لسان

أنه خير حيث هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خبرة العقل في حقه إلا أن الخبرة في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على اليديهة وهذا اذقنا إلى الروية فالإختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيها إلى إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبثق الإرادة إلا بمحك الحس والتخييل أو بمحك جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحزن رغبة نفسه مثلاً لم يمكنه لادعم القدرة في اليأس لادعم السكين ولكن لقدت الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما قدت الإرادة لأنها تنبثق بحكم العقل أو الحس يكون العقل موافقاً وقوله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عتوة مؤلة لا توافق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن تردد بين شر الشرين فإن ترجحه له بعد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن العقل أقل شراً وكان حكمه جزمًا لا ملام فيه ولا صارف منه انبثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يزال ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبثق له داعية التمسك لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة لداعية والحكمة مسخرة للقدرة والكل بمقدار الضرورة فيه من حيث لا يدري فأنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه كلاً ولا فاذن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدث فيه جبراً بعد حكم العقل يكون الفعل خيراً محضاً ما وقعوا حدث الحكم أيضاً جبراً إذا هو مجبور على الإختيار فقتل النار في الأحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى إختيار محض وفعل الإنسان على مثله بين التزلزل فإنه جبر على الإختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأعمالاً كان ذاتها واتصافاً فيه يكاد الله تعالى فسموه كسباً وليس منافقاً للجبر ولا للإختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى إسمى إختياراً بشرط أن لا يفهم من الإختيار إرادة بعد تخير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه . فإن قلت فهل تقول إن المولود الإرادة الإرادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من المتقدم فإن قلت ذلك فقد حكيت بمحدث شيء لا من قدرة الله تعالى وإن آيت ذلك فامتنع ترتب البعض من هذا على البعض . فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتوكل أو بغيره بل حواله جميع ذلك على الله الذي يبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم ينفك كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فأهم وقفاً على كنه معناه والكافة وقفاً على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق فليأت ذلك بطول ولكن بعض القديرات مرتب على البعض في الحدث ترتب الشروط على الشروط فلا تصد من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة وكلاً يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فسذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص السكاكين بنور الحق والإفلاذ يتقدم متقدم ولا تأخر متأخر إلا بالحق والروم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقدم والتأخر عبثاً يضاهي فعل الجاهلين تعالى الله عن قول الجاهل علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما

السلام وكما قال تعالى - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - قاتلوم يذهبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلوم ولكن الله قتلهم - وقال تعالى - ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه ومارميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون البعد به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا ياناه - وقال - أفرايتم ما تمنون أأنتم تخلفونه أم نحن الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فييده ثم بصورها جسدا ، فيقول يارب أذكرهم أم أنسى أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء وخلق الملك^(١)» وفي لفظ آخر «وبصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالكفاوة» . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك ومفهومه فهو حق شاهد أرباب القلوب يصاغرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الآلهة والآيات في الأرض والسماوات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - . فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما ذل بعضهم عرف ربى ربى ولولا ربى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيى والمميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين في الخبر «أن ملك الموت والحياة تناظرا ، فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيى الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كوننا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المميت والمحى لأبديت ولا يحيى سوى^(٢)» فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذى ناوله الخمرة «خذها لولم تأتها لأنتك^(٣)» أضاف الاتيان إليه وإلى الخمرة ، ومعلوم أن الخمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الإنسان إليها وكذلك لما قال اتائب أنوب إلى الله تعالى ولا أنوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله^(٤)»

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة ييده ثم بصورها جسدا الحديث الزوار وابن عدى من حديث عائشة إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبيت ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فأمّن شيء «إلا هو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود نحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيى الأموات فأوحى الله إليهما أن كوننا على عملكما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال للذى ناوله الخمرة خذها لولم تأتها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال للذى قال أنوب إلى الله ولا أنوب إلى محمد عرف الحق لأهله تقدم في الزكاة .

والعقول دون الجامدين
على مجرد العقول دون
الصابئ وقد قال بعضهم
إن العقل عقلان عقل
للله دايمة مكنته في القلب
وذلك للؤمنين الموقنين
ومتمعله في الصدر بين
عيني النؤاد والعقل
الأخر مكنته في الدماغ
ومتمعله في الصدر بين
عيني النؤاد قبل الأول
يدبر أمر الآخرة ،
وبالشأن يدبر أمر
الدنيا والذي ذكرناه
أنه عقل واحد إذا
تأيد بالبصيرة دبر
الأمرين وإذا تردد
دبر أمر واحد وهو
أوضح وأبين ، وقد
ذكرنا في أول الباب
من تديره للنفس
الطمشة والأمانة

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذمها ليس
بظلم بل بتقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تمنح النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على
أهل التبران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل
ولو لا خلق البهائم لم يظهر شرف الإنسان فان الكمال والنقص يظهر بالاشارة ففتنى المجهود والحكمة
خلق الكامل والناقص جميعا وكان قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فعله كامل
بناقص فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور
فيه وحق لالم فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في
السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غاي لا يقبله إلا المألون
ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره الكاشفون . والحاصل
أن الخير والشر مقضى به وقد كان مقضى به واجب الحصول بعد سبق الشبهة فلا راد لحكمه
ولا مبع لفضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن
ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه المرام من دلوام المكشوفة التي هي أصول
مقام التوكل وتزجر إلى علم العلامة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثاني من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ
في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للفرد والمبل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل
في دفع الضرر وبيان التوكل في إزالة الضرر بالدواوي وغيره والله الموفق رحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة
عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد ذكر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتوكلهم
كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كاجرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكتار
فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه
واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى الفوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما
اطمأن إليه نفسه ووثق به ولم يهجم فيه بتقصير ولم يتعذر فيه عجزا وتصورا فالتوكل عبارة عن
اعتماد القلب على الوكيل وحده ولشرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة
يتلبس فوقك للخصومة من يكشف ذلك للتبليس لم يكن متوكلا عليه ولا واقا به ولا مطمئن النفس
بتوكله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى القناعة ومنتهى الشفقة
أما الهداية فليعرف بها موانع التبليس حتى لا ينجي عليه من غوامض الحيل شيء أصلا وأما القدرة
والتقوى فليستجري على التصريح بالحق فلا يبداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا ينجس فانه ربما يطاع على وجه
تلبس خصمه فيمنع الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف الضعفة لقلب عن
التصریح به وأما القناعة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الانصاح عن كل
ما استجرا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بموانع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة
التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعتباره على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته
لا تنهدون الناية إذا كان لجهه أمره ولا يالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان
كان شاكا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه
لمطمئن نفسه إلى وكيله بل يثق بمنزج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يبعد من تصور

رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإن للشيطان لمة
بأن آدم ولذلك لمة
فأمانة الشيطان فأباعد
بالشر وتكذيب الحق
وأمانة للكل فأباعد
بالخير وتصديق بالحق
فمن وجد ذلك فليعلم
أنه من الله فيحمد الله
ومن وجد الأخرى
فليتوذ بالله من
الشيطان ثم قرأ
الشيطان يذمك الفقر
وأمركم بالنقصان -
وإنما يتطلع إلى معرفة
الدين وتبين الخواطر
طالب مريد يتشوق إلى
ذلك تشوق المصلح
إلى الله لما يعلم من
وقع ذلك وخطره
وفلاحه وصلاحه

وكيفه وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتمادات والظنون في القوة والضعف تفاوت تفاوت لا ينحصر فاجرم تتفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوت لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كالوكان الوكيل والدالوكل وهو الذي يسمى بجمع الحلال والحرام لأنه يحصل له يقين ينتهي الشفقة والناية قصير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصلات تصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أضح الناس لسانا وأقوم أينا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال نقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والناية والرحمة بحمد العباد والأحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عنايته ورحمة انك لا محالة قلبك عليه وحده ولم يفتش إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيبه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وازعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج بما للوهم وطاعة له عن غير قصان في اليقين فإن من يتناول عسلا فشيء بين يديه بالعدرة ربما غرطبه وتغصر عليه تناوله ولو كلف العاقل أنه يبيت مع الليث في قبر أو فراش أو بيت فطرطبه عن ذلك وإن كان ميتا فكونه ميتا وأنه جاد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يجترئه الآن ولا يجبهه وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر القلم الذي في يده حية ولا يتقرب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الليث في فراش أو الليث مع في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يغلو الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا مخيف يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ هما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكيف من يقين لطمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام - وألوؤمنن ذل على ولكن ليطمئنن قلني - فانكس أن يكون مشاهدا لإحياء الليث بينه وليث في خياله فإن النفس تتبع الحيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن يتابع بالآخرة إلى درجة النفس للطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا لو من مطمئن باليقين له كسائر أرباب اللل والذهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يقينون الظن وما تهوى الأنس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجراءة غرأ ولا ينفذ اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ما من منته إنسان مثله وقد قال عليه السلام «من استعز بالعبيد أذل الله تعالى» (١) وإذا انكشف لك معنى التوكل وعملت الحالة التي سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالخطوة صفو اليقين ومنع اللوثين وأصغر التشوف إلى ذلك للقرين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ طريق الأبرار قد يتشوف إلى ذلك جبن التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحفظ ومن الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا يتطاع إلى معرفة اللتين ولا يهتم بشي من الخواطر ومن الخواطر ما هي رسل الله تعالى إلى البعد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتر بالعبيد أذل الله العليل في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته العليل في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكلماته وعنايته كحال أبي الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرغ إلى أحد سواها ولا يستمد إلا إياها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يغفلها وإن نأته أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه بأمامه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفرغ عنه فانه قد وثق بكلماتها وكلماتها وشقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك التميز الذي له وبطل أنه مطيع من حيث إن الصبي لو طوب بتمصيل هذه الحاصل لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلاً فانه لو سكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى العز وجل ونظره إليه واعتاده عليه كلف به كأيكف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد وثق في توكله عن توكله إذ ليس يثبت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكفف والسكسب وليس فانياً عن توكله لأن له اتفاناً إلى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وهدوء إلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ماذا قال ترك الأمان قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلامه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركانه وسكناته مثل اللبث بين يدي العائل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه مبتاعاً تحرك القدرة الأزلية كما تحرك يد العامل اللبث وهو الذي قوى يقينه بأنه مجرى لحرركه والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كل محدث جبراً ويكون باثماً عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فإن الصبي يفرغ إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويسعد خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فلازم تطيله وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فلازم تحمله وإن لم يسأله اللبن فلازم نأخه وتسقيه وهذا اللقائم في التوكل يشترط ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يسأل ابتداء أفضل مما يسأل فسكن نعمة ابتداء قبل السؤال والدعاء . وبغير الاستحقاق واللقائم الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط . فإن قلت فهذه الأحوال يصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عز يزاد واللقائم الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه بعد منه بل يكاد لا يكون للقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجه فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع واقتضاه عارض كما أن انبساط النعم إلى جميع الأطراف طبع واقتضاه عارض والوجه عبارة عن اقتضاض النعم عن سائر البشرى إلى الباطن حتى تمتنع عن مظاهر البشرى المحركة التي كانت ترى من وراء الرقيق من سائر البشرى فإن البشرى مسترقق تراءى من وراء المحركة واستباحته يوجب الصفرة وذلك لا بدوم وكذا اقتضاض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا بدوم وأما اللقائم الثاني فيصير صفرة المحموم فانه قد بدوم يوماً وبومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا بد أن بدوم ولا يبعد أن يزول . فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير متعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن اللقائم الثالث ينفى التدبير رأساً مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالملبوث واللقائم الثاني ينفى كل تدبير إلا من حيث الفرع إلى الله بالدعاء والابتهاج كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط واللقائم الأول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الحصونة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسننه دون صريح إشارته فمأماً الذي يعرفه بإشارته بأن يقول له لتكلم إلا في حضورك فيشتغل لهالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا منافضاً توكله عليه إذ ليس هو فزعامة

عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه
واستقامة القلب
أطمانينة النفس وفي
طمانينة النفس بأس
الشیطان لأن النفس
كلما تحركت كدورت
صفو القلب وإذا
تكدس طمع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب محفوف بالذكر
والرعاية والذكر نور
ينقيه الشيطان كاتقاء
أحدنا النار . وقد
ورد في الخبر « إن
الشیطان جائم على
قلب ابن آدم فإذا
ذكر الله تعالى تولى
وخسئ وإذا غفل
التفت قلبه فخذ به موصاه »
وقال الله تعالى « ومن
يشئ عن ذكر

إلى حول نفسه وقوته في إظهار المحبة والإلإى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا مستمداً له في قوله لما حضر قوله وأما العلوم من عاداته وأطراف استغنائه أن يعلم من عاداته أنه لا يحتاج إلى الحزم إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون متوكلاً على سنته وعاداته ووافياً بمقتضاها وهو أن يعمل السجل مع نفسه إليه عند حاجته فاذن لا يستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحصار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان قصراً في توكله فكيف يكون منه تصافيه ، ثم بعد أن حضر وفاء بأشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وقد انظاراً إلى حاجته قد يقبى إلى القيام الثاني والثالث في حضوره حق يتيقن كالموت للتشظير لا يجوز إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فرعه إلى حوله وقوته في الحضور وأحضر السجل بأشارته الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الإقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذا فرغ التوكل إلى حوله وقوته في الحضور والأحضر لا يتناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بالأجدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جله مضاعفاً لهاجته وعرفه ذلك بأشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه السكعة لا يكمل منهاها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لها مفيداً من أنفسهم ولم يكونوا مفيدين لولا فطرته وإعما بصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين إذ جعلهم مشروطاً لما خلقه من بعدهما من القوائد واللقايد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله ، فما صدقاً فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله (١) وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه السكعة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بفهمه لفظها وهيات فاعلم ذلك جواز على هذه الشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه السكعة وتوابعها إلى كلمة لا إله إلا الله وتوابعها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى إذ في هذه السكعة إضافة شيتين إلى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة السكك إليه فانظر إلى التناوت بين الكل وبين شيتين تعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن التوحيد خسران ولين فكذا هذه السكعة والسائر السكعات وأكثر الخلق قبيداً بالقرنين وماتقروا إلى العيين وإلى البين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه علمنا وجهه له الجنة (٢)» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أراد بالطلق هذا التقيد كما أضاف للقرعة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والراد به التقيد بالعمل الصالح فالملك لا يتأهل بالحدث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه حديث نفس وإعما الصدق والإخلاص ورائها ولا ينصب سرير الملك إلا للقرنين وهم المخلصون ، ثم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب المؤمنين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتمى إلى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة القرين السابقين تعرض لسرير الملك قال - على

الرحمن يقبض له شيطاناً فهو له قرين - وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسمع طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فبالقوى وجود خالص الذكر وبها ينتشع بابه ولا يزال العبد يتيقن حق يحصى الجوارح من المكروه ثم يحصى من الفضول وما لا يسيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم تنتقل نقواه إلى باطنه ويظهر الباطن ويقيد عن المكروه ثم من التذوق حتى يتيقن حديث النفس قال سهل بن عبد الله أسوأ الناس حديث النفس وبرى الإنسان

إلى ما تحدث به النفس
ذنباً فينتبه ويتقصد
القلب عند هذا الالتقاء
بالذكر اتقاد الكواكب
في كبد السماء وصير
القلب سماحاً بحفظاً بزنة
كواكب الذكر فإذا
صار كذلك بسد
الشيطان ومثل هذا
العيد يسدر في حقه
الخواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر النفس ومحتاج
إلى أن يتقيا ويبرها
بالعلم لأن منها خواطر
لا يضر إماماً أو
كطالبات النفس
بحاجتها وحاجتها
تنقسم إلى الحقوق
والخطوط وتعين
التمييز عند ذلك وإتمام
النفس بعبادات

سرر موصونة متسكين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب الجين مازاد على ذلك الماء والظلم
والهواك والأكباد والحوار العين وكل ذلك من لذات النظر والشروب والمأكول والنكوح ويتصور
ذلك لها على طي الدوام وأين لذات الهيام من لذات الملك والزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين
ولو كان لهذه اللذات قدر لها وسمت على الهيام ولم أرقت عليها درجة اللامعة أقرى أن أحوال الهيام
وهي مسبية في الرياض متممة بالله والأعجار وأصناف المأكولات متممة بالزوان والسعاد أعلى
والأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكال مغبوظة من أحوال اللامعة في سرورهم. فحرب
من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيات هيات ما أبعد عن التحصيل من إذا خير بين أن يكون
حماراً أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس
يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي تزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من تزوعها
إلى صنعة الكتابة فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه إلى نيل
لذات الهيام أكثر من تزوعها إلى نيل لذات اللامعة فهو بالهيام أشبه منه باللامعة للعالة وهؤلاء
هم الذين يقال فيهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب
درجة اللامعة فتركها الطالب للعجز - وأما الإنسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالدم
وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال. وإذا كان هذا كلاماً مقترفاً فليرجع إلى المتصود
قد يتبادر معنى قول لا إله إلا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله إلى أن لا شئ يشيئ في مشاهدة
فلا يتصور منه حال التوكل . فإن قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة شيئين إلى الله
فلا والله قال الساء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول لا، لأن الثواب على قدر درجة
المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم الساء والأرض وصغر الحول والقوة وإن جاز
وصفهما بالصغر تجوز أفليست الأمور بهظم الأشخاص بل كل عامي فيهم أن الأرض والساء ليستسان
جهة آدميين بل هما من خالق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرها على المعزلة والفلاسفة
وطوائف كثير ممن يدعى أنه يصدق النظر في الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بعدة نظره في مملكة
عظيمة ومزلة عظيمة هلك فيها العاقلون إذ أثبتوا لأشدهم أمراً وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق
سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة يوفق الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو
الذي يصدق قول لا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان. إحداهما: النظر
إلى الساء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات. والثانية: النظر إلى اختيار
الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما يقطعهما كالسر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه السكعة
أعنى ثواب المشاهدة التي هذه السكعة تركتها فأدرك حال التوكل إلى التبري من الحول والقوة
والتوكل على الواحد الحق وسيتضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليبين أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى
الديلمي قلت لأن يزيد ما التوكل؟ فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي
عن عبيك ويسارك ما حرك لذلك سر قال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة
يستمعون زوهار النار في النار يسمعون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فذكره أبو موسى
فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم
الذي هو من أسول التوكل وهو العلم بالحسنة وأن مآله الله تعالى ضله بالواجب فلا تميز بين أهل النار

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل المدل والحكمة وهذا أغنى أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلنا يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في اللقاع الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في النار إذ سد منافذ الحيات (١) إلا أن يقال فضل ذلك برجه ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقاً حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقى حق نفسه وإنما يزول التوكل بتحريك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا الجمل ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك أو أكثر منه لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول ولا قوة لها إلا بالله فإن احترازك يمكن استكاله على تديره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب و قطع الأسباب فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال إلقاء النفس في الصبوة وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك دائن دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لآيس من الله تعالى أن ينفضها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسمه القدرة وأن في القديرات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك فالأول عام للقمامات الثلاث والثاني إشارة إلى اللقاع الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام أنك حاجة فقال أما إليك فلا . إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له قوله ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو التوكل لذلك وهذا حال مبهوت غاب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أيد منه وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فرقه إليه وإتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقته . وقال أبو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتمسك يسكن إلى وعده والسلام يكفي بلمه وصاحب التفويض يرضى بغيره وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور اليه فإن العلم هو الأصل والوعد بيقمه والحكم بيقع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب التوكل ملاحظة شيء من ذلك ولشيوخ في التوكل قالوا ليس شيء ما ذكرناه فلا نطول به فإن الكشف أنفع من الرواية والفعل فهذا متعلق بحال التوكل والله الموفق رحمته وطفه .

بيان أعمال التوكلين

اعلم أن العلم بمرور الحال والحال يثمر الأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب باليد وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكالاجم على الوضع وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أتى على التوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل تنكشف القطع عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بغيره إلى مقاصده وسعى العبد باختباره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسكب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالإضرار ولقد وقع شارحنا بتركه كدفع الصائل والسارق والسباع أو لإزالة ضرر قد نزل به (١) حديث إن أباً بكر سد منافذ الحيات في النار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تحم.

الخطوط قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا - أي فتبينوا
وسب نزول الآية
الوليد بن عتبة حيث
بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني
المصطلق فكذب عليهم
ونسبهم إلى السكر
والمصيان حتى م
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله لم
يأت حاله إليهم فسمع
أذان المغرب والمشاء
ورأى ما يدل على
كذب الوليد بن عتبة
فأنزل الله تعالى الآية
في ذلك فظهر الآية
وسب نزولها ظاهر
وصار ذلك تنبيهاً من
الله عباده على التثبت

كانداوى من الرض فقصود حركات العبد لاتعدو هذه الصنن الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو وقته فانذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

[الفن الأول : في جلب النافع] فقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومطلون ظنا يوثق به وموهوم وحما لاتثق النفس به نعمة تامة ولاطمئن إليه . الدرجة الأولى : المقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت للسبب بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف بأن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكذك لست تعد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك السعي ومد اليد إليسمى وحركة وكذلك مضغته بالأسنان وابتلاعها بإطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك إن انتظرت أن يخاف الله تعالى فيك شيئا دون الخبز أو علقى في الخبز حركة إليك أو يسخر مسلما ليخضع لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطعمت في أن يخاف الله تعالى نباتا من غير بذر أو تله زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا اللقاع بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم . فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأسنان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويستبق . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتقادك على فعل الله تعالى لآلى اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تخف في الحال وتفلج ، وكيف تمول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك ، وكيف تمول على حضور الطعام ، وربما يسلب الله تعالى من يغبلك عليه أو يمتح حية تزحكك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك . وإذا احتل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرج عليه فلتقول فإذا كان هذا حاله وعله فليعد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن السبب لاتحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يبارق الأمصار والقفار ويسافر في البوادي التي لا يطررها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لآلى الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك حائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان بقله الخواص . فان قلت : فهذا سعى في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهد بها وسوها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يافوا به بحيث يصبر عنه بلا شيق قلب وتشوش خاطر وتعدر في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يتقوى على الفتور بالحشيش وما يتقوى من الأشياء الحسية فيمد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجابه به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يمول الخواص ونظراؤه من التوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لا تفرقه الإبرة والفراس والحبل والركوة ويقول . هذا لا يقدح في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للقاء فيها على وجه الأرض وماجرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البريقير لدولوا لحبل ولا ينفب وجود الحبل والدلو في البوادي كما ينفب وجود الحشيش والماء يحتاج إليه لوضوءه كل يوم مرات ولطشه في كل يوم أو يومين مرة فان السافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في هذه الآية الفاسق الكذاب والكاذب صفة النفس لأنها تحلى أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها فعين الثبوت عند خاطرها وإقامتها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب الثبوت ولا يستغفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة . ومن الأدب عند الاشتباه إزال الخاطر بحركة النفس وإلقائها وبارئها وفاطرها وإظهار الفقر والعاقبة إليه والاعتراف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتكشف عورته ولا يوجد القراض والإبريق البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخباطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل مافي معنى هذه الأربعة أيضا يلتحق بالدرجة الثانية لأنه مطنون ظنا ليس مقطوعا بل لأنه محتمل أن لا يتخرق الثوب أو يبطيه إنسان ثوبا أو يوجد على رأس البئر من يديه ولا محتمل أن يتحرك الطعام بمضغوا إلى فيه فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا هو لولوا عاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا طير طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم بهما في هلاك نفسه كما روى أن زاهدا من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سيعا وقال لأسأل أحد اثنين حتى يأتياني رزقي فقد سيعا فكاد يموت ولم يأنه رزقي فقال يارب إن أحييتني فأتني رزقي الذي قسمت لي وإلا فاقض إليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزى لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقدم بين الناس فدخل مصر وقد لجأه هذا بطعام وهذا إشرب فأكل وشرب وأوحى في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بهذه في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل المحسومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع كون النفس إلى سبب السبب لا إلى السبب. فان قلت فما قولك في القدوم في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب. فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السباحة في البادية إذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كسب كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يمدن أن يأتيه الرزق من حيث لا يحسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن إلى أن يتقوى ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراما إلا لأن يصر على الموت ففعل ذلك بغيره الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه رزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واستغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لاحقا وعند هذا يصح مقاله ببعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وإن لموسأ الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصيا وقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك، وذلك قاله ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا رازق ولا محيت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تخدو خمسا وتروح بطانا وتزال بدعائكم الجبال» (١) وقال عيسى عليه السلام: انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم. فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف يقض الله تعالى لها هذا الحق الرزق. وقال أبو جعفر السوسي التوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد لا بمشيم وغيرهم مشغولون مكذوبون. وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل

بالجهل وطالب العرقه والموتنة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب ينشأ إيمان ويتبين له هل الحاضر طلب حظ أو طلب حق فان كان لاحق أمضاء وإن كان لاحق فقام وهذا التوقف إذا لم يتبين له الحاضر بظاهر العلم لان الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسمعه في صوته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويعصى خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره واثرت بدعائكم الجبال وقد تقدمنا قريبا دون هذه الزائدة فرواها الامام محمد بن نصر في كتاب تهذيب قدر الصلاة من حديث معاذ ابن جبل باسناد فيه لين لورقم الله حق معرفته لمشيتم على البحور واثرت بدعائكم الجبال ورواه الباقى في الزهد من رواية وهيب الكلي مرسلا دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع

بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتنان كالصانع وبعضهم يمزكسون به يشدون العزير فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة . الدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يترجم إفضاؤها إلى السبب من غير ثقة ظاهرة كالذي يستعصى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أمعن من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يبطئ التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والسكنى بالإضافة إلى إزالة الضار فإن النبي صلى الله عليه وسلم وصف التوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئا بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب أمثال هذه الأسباب التي يوتق بها في السبب مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يعجزهم عن نفسه وإن عاجزهم بتدبيرهم ولله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالكسوف التي تحتاج إلى تدبير دون الأسباب الجلية فاذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالخيار لا بالعدم . وأما المظنونات فالتوكل فيها بالخيار والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملازمة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظره هو الذي يدور في البوادي غير زاذقة بفضل الله تعالى عليه في توفيقه على الصبر أسبوعا وما نوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تشبته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يعمل الزاد قد يفقد الزاد أو يصل إليه ويغيب ويغيب جوعا فذلك يمكن مع الزاد كما أنه يمكن مع قوته . القام الثاني : أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأصا صار وهذا أضنف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معوله على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض للأسباب الرزق فإن ذلك من الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يبطئ توكله إذا كان نظره إلى الذي يسحره سكان البلد لا يصل رزقه إليه إلا إلى مكان القبل إذ يتصور أن ينقل جميعهم عنه ويضيءه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم . القام الثالث : أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج أيضا عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وسجاءه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة بل يكون نظره إلى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدر الله تعالى كبري القاري يد للك الموقع فلا يكون نظره إلى القبل بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ما يميل وبهم يحكم ثم إن كان هذا المكتسب مكتسبا لغيره أو لغيره على السالكين فهو يبيده مكتسب وبقليه عنه منقطع حال هذا أشرف من حال القاعد في بيته . والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والعرفة كما يجب أن الصديق رضي الله عنه لا يبيع بخلافه أصبح أخذا الأتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المدهون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أثقت الخلافة البوءة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني إن أضعتهم كنت لمسأولهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين ففرضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال بل يكن الصديق

بجزء علم لديه من الله وهو علم السعة لبيد مأذون له في السعة عالم بالأذن فيضى خاطر الحظ والمراء بذلك على بصيرة من أمره بحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته وتقصانه عالم بحاله حكم علم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لأنه أمر خاص بعبد خاص وإذا كان شأن العبد تميز خواطر النفس في مقام تخلصه من لسات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثا وبسقط خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فمن أولى هذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان راعياً في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استنكار وتفاخر وادّخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا وعحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، ثم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجندب رحمه الله عليهما وكان من التوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السؤق كنت أكتب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دافقاً ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجندب لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول أستحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم وقوف وأمرؤا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن بقوى الحال والعلم كنوكل للكسب وإن لم يسألوا بل قموا بما يعمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتباه القوم بذلك قد صار لهم سؤفة فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق . فان قلت لما الأفضل أن يقدم في بيته أو يخرج ويكتب ؟ . فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب وتفكر وذكر وإصلاح واستتراق وقت بالمادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا استتشر نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيعمل إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستتشر إلى الناس قال الكسب أولى لأن استتشاف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركهم أم من ترك الكسب وما كان للتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر الروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فردّه فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فانه قبل فاحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استتشرت نفسه فردّ فلما خرج انقطع طعمه وأبى فأخذه . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً . وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب مראה في أسفاره رأيت الفخر ورعى بصريح ولكن فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكله فاذن للكسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا ينصد به الاستنكار ولم يكن اعتياده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً . فان قلت لما علامة عدم استكاله في البضاعة والكناية . فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو توفى أمر من أموره البضاعة والكناية . ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً فان من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء قد سكن إليه وكان بشر يعمل للنازل فكرها وذلك لأن الباعدي كاتبه قال بلني أنك استمنت على رزقك بالمغازل أرايت إن أخذ الله حملك وبسرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقيل قل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون ديناراً يتجر فيها فلما مات عياله فرقها . فان قلت فكيف يصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب حير بضاعة لا يمكن . فأقول بأن يعلم أن الدين برزقه الله تعالى خير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم ففرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

نادرا لضيق مكانه من
الدمى لأن الشيطان
يدخل بطريق اتساع
النفس واتساع النفس
باتباع الهوى والإخلاق
إلى الأرض ومن ضاب
النفس على التميز بين
الحق والحظ ضاقت
نفسه وسقط عقل
الشيطان إلا نادرا
لدخول الابتلاء عليه
ثم من المرادين التعلقين
بقام المقر بين من إذا
صار قلبه ساء مزينا
بزينة كوكب الذكر
بصبر قلبه ساءوا يترق
وبعرج ياطنه ومعناه
وحقيقته في طبقات
السماوات وكما ترقى
تنضال النفس الطمئنة
وتبعد عنه خواطرها
حتى يجاور السماوات

أن الله لا يعمل به إلا ما فيه صلاحه فإن أهلك بشاعته فهو خير له فلهذا تركه كان سببا لنساقديه
وقد لطف الله تعالى به وغبته أن يموت جوعا فينبئ أن يستد أن الموت جوعا خيرا له في الآخرة هما
قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تنصير من جهته فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود
البضاعة وعدمها في الخير «إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل لكان فيه
هلاكة فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كشيء حزين يتطير بجواره وابن عمه
من سبقني من دهاني وماهي إلا رحمة الله بها (١) » ولذلك قال محمد رضي الله عنه لا يبالي أصبحت
غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم ينصو منه التوكل
ولذلك قال أبو ساهان الداراني لأحمد بن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل
لبارك فاني ما محنت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم يتكر كونه من المقامات المكنة ولكنه
قال ما أدركته ولله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن
كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتعناه العبد لم يكمل حال التوكل
فيما التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال
تتبنى على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين
ولذلك قال سهل من طعن على التسكب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التسكب فقد
طعن على التوحيد . فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القاب عن الزكركن إلى الأسباب
الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تبسير الأسباب الخفية . فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن
تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين اثنين الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشاء
والله يهدم مغفرة منه فضلا - فان الانسان بطبعه مشغوف بساخ تخويف الشيطان . ولذلك قيل
الشفيق بسوء الظن مولع وإذا انغم إلى الجبن وضعف القلب ومشاهدة للتكسين على الأسباب
الظاهرة والباطنين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب
الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم قوله إلا الامام
لوا كنتب لكان أفضل لك فلم يحبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودى في جوار المسجد
قد ضمن لي كل يوم وغيبين فقال إن كان صادقا في ضلته فمكوكف في السجدة خير لك فقال يا هذا
لو لم تكن إماما تقف بين يدي الله وبين الصادق هذا التمس في التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت
وعد يهودى في ضلله الله تعالى بالرزق . وقال إمام السجدة لبعض المصلين من أين تأكل قال لا يا شيخ
أصبر حتى أعيد الصلاة التي ضللتها خلفك ثم أجيبك . وينفع في حسن الظن بمجى الرزق من فضل
الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها معائب صنع الله تعالى في وصول
الرزق إلى صاحبه وفيها معائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى
عن حذيفة الرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن آدم فمئل له ما تعجب ما رأيت منه فقال فيبنا في
طريق مكة أيانا لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوتينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال
يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال في بدواة وقرطاس فحقت به إليه فكتب :
بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا :

(١) حديث إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل لكان فيه هلاكة فينظر الله
إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ماسد ضعيف
حدا نحوه إلا أنه قال إن العبد ليشراف في حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه .

بروح باطنه كما كان
ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بظاهرة
وقلبه فإذا استكمل
العروج تنفع عنه
خواطر النفس لتستره
بأنوار القرب وبعد
النفس عنه وعند ذلك
تقطع عنه خواطر
الحق أيضا لأن الخاطر
رسول والرسالة إلى من
بعد وهذا قريب وهذا
الذى وصفناه نازل
ينزل به ولا يدوم بل
يمود في هبوطه إلى
منازل مطالبات النفس
وخواطره تنحدر إليه
خواطر الحق وخواطر
الملك وذلك أن الخواطر
تستدعي وجودا وما
أشترنا إليه حال الفتاة
ولا خاطر فيه وخاطر

أنا حامد أنا شاكِر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هـى ستة وأنا الضمير لضمها فكن الضمير لضمها يا باري
مدحى لتبرك لخب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال اخرج واتعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة إلى أول من يلقاك فخرجت
قائل من لقيت كان رجلا على بئلة فتناولته الرقة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب
هذه الرقة قتلت هو في المسجد القلاني فدفع إلى صرة فيها ستائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسأله
عن رابك البئلة فقال هذا نصراني فحنت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تحسب فانه يحسب
الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب
الأقطع البصري : جمعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضفعا فحدثني نفسى بالخروج فخرجت إلى
الوادي لعل أجد شيئا يسكن ضففى فرأيت ساجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبى منها وحشة
وكان قالا يقول لى جمعت عشرة أيام وآخره يكون حطك سلجعة متفيرة فرميت بها وودخت للسجد
وقعدت فإذا أنا برجل أحمى قد أقبل حتى جالس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك فقلت كيف
خصصنى بها قال اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام واثمرفت السفينة على الغرق فندرت إن خلصى
الله تعالى أن أتصدق ببله على أول من يقع عليه بصرى من الجوارير وأنت أول من لقيته فقلت
اقتحها فتحتها فإذا فيها صيد مصرى ولوز مشوى وسكر كذاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا
وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسى رزقك يسير إليك من
عشرة أيام وأنت تطليه من الوادى : وقال حماد الديوبى : كان على دين فاشتلت قلبى بسبيه
فرأيت في النوم كأن قالا يقول يا غيل أأخذت علينا هذا القدر من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا
العطاء فما حاسبت بعد ذلك قالا ولا تصابيا ولا غيرهما . وحكى عن بنان الجمال قال : كنت في طريق
مكة أجيء من مصر ومعى زاد فجاىته امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تعمل على ظهرك الزاد وتوهم
أنه لا يربزك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خالخالا في الطريق فقلت في نفسى
أحمله حتى يجمى صاحبه فرميا يطيق شيئا فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول
عسى يجمى صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رمته لى شيئا من الدراهم وقالت أنفقها فأكفيت بها لى
قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فانبط على إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا
هو ذا يجمى الثغير فنشترى ما يوافق فلما ورد الثغير اجتمع ربهى على واحدة وقالوا إنها تصلح له
فقالوا لصاحبكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألقوا عليه فقال إنها لبان الجمال أهدتها إليه امرأة
من مرقدة فحملت إلى بنان وذكرته له القصة ، وقبل كان في الزمان الأول رجل في سفرو ومعه قرص
فقال إن أكلته من فوكل الله عز وجل به مسلكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره
فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخزاز : دخلت
البادية بغير زاد فأصابني فاقة فرأيت الرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في نفسى أنى
سكنت وانسككت على غيره وآليت أن لا أدخل الرحلة إلا أن أحمل إليها فحشرت لنفسي في الرحلة
حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا بأهل الرحلة إن لله
تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل الخلقوه بقاء جماعة فأخرجوني وحمولوني إلى القرية . وروى
أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو يقاتل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر أبو الله تعالى
أذهب فتمل القرآن فانه سيحبك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقد عمر فإذا هو قد اعتزل

الحق اتبني لمكان
القرب وخواطر النفس
بعد عنه لبعد النفس
وخواطر اللك تخلف عنه
كخائف جبريل في ليلة
للراجع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث قال . لودون
أعلة لا حترقت . قال
محمد بن على الترمذى
المحدث والسلك إذا
تخفنا في درجتهم لم يخافا
من حديث النفس
فكنا أن النبوة
محفوظة من إلقاء
الشيطان كذلك عمل
السلكة والهادئة
محفوظ من إلقاء النفس
وفتنها ومحرزوس بالحق
والسكينة لأن السكينة
حجاب السلك والمحدث
مع نفسه . وصمت

واشتغل بالصلاة فجاءه عمر فقال له إنني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني فقال إنني قرأت القرآن فأنا عن عمر وآل عمر فقال عمر مرحباً بك الله الذي وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون - فقلت رزقي في السماء وأطلبه في الأرض فبقي عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه . وقال أبو حمزة الخراساني حجت سنة من السنين فيبينا أنا مشى في الطريق إذ وقعت في بئر فإزعجت نفسي أني استنيت فقلت لا والله لا استنيت فاستنيت هذا الحاطر حتى مر رأس البئر جلان فقال أحدهما الآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت أن أصبح قتلقت نفسي إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فيبينا أنا بعد ساعة إذا أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأ به يقول تعلق بي في مهمة لك كنت أعرف ذلك فتعلق به فأخرجني فاذا هو يسبح فترهفت به فانفأ بأحزمة ليس هذا أحسن نجونا لك من التلف فالتفت فثبتت وأنا أقول:

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى وأغضبني بالهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبدت شاهدي إلى غايي والطف بدرك بالطف
ترامت لي بالتيب حتى صككتما تيسرتي بالتيب أنك في الكف
أراك وبني من هيق لك وحشة فتؤانسى بالطف منك وبالطف
وتحسني محبا أنت في الحب حتفه وإذا حجب كون الحياة مع الخلف

وأمثال هذه الوقائم مما يكثر وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير شيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه، ثم التوكل بهذه الأحوال والشاهدات وإلا فلا يتم أصلاً .

بيان توكل الليل

اعلم أن من له عيال يحكمه غبارك الفرد لأن الفرد لا يصبح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعاً من غير استشراف وسيق نفس . والآخر أبواب من الإيمان ذكرناها من جعلتها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأت رزقه غداً بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فبقي أنه سبق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو للرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فبهذا يتم التوكل للفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالوحد وأن الموت على الجوع رزق مضبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادراً وكذا سائر أبواب الإيمان فاذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو التام الثالث كنز كل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للسكسب فأما دخول البوادي وترك العيال توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد بغض إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة على الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فلا أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضيها إلا أن تساعد على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه وضرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل . ولذلك روى أبي أبا تراب النخعي نظري في صوم فمده يده إلى قدر بطبخ يأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصالح لك التصوف أزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو ليلى الروذاري إذا قال الفقير بعد خسة أيام فأنا جاع فأزموه السوق ومروه بالدمل والسكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر يدهن كتوكل في عياله وإنما غارقه في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبا محمد بن
عبد الله البصري
بالصبر يقول الحواطر
أربعة : خاطر من
النفس واطر من
الحق واطر من
الشیطان واطر من
الملك فأما الذي من
النفس فيحس به من
أرض القلب والذي
من الحق من فوق
القلب والذي من الملك
عن بين القلب والذي
من الشيطان عن يسار
القلب والذي ذكره
إنما يصح لعبه أذاب
نفسه بالقوى والزهدي
ونصي وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالمرآة
المنعكسة لا يأتيه
الشیطان من ناحية

وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس احتياطاً عن الأسباب بل الاعتقاد على الصبر على الجوع مدته الرضا بالوثق بأن تأخر الرزق نادراً ولا ملامة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إلا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسباباً وذلك لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيق أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيراً لا يجوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجبن في بطن أمه لما كان عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرته بألم حتى تنتهي إليه صفات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجبن ثم لما انفصل سبط الحب والشفقة على الأم لتكفله شامت أم أبت اضطراباً من الله تعالى إليه عمل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له من ينضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى الضغ ولأنه لرخواة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند اتصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار يحبث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له أسناناً قواطع وطواحين لأجل الضغ فإذا كبر واستقل يسره أسباب التعم وسلوك سبيل الآخرة ، فحينئذ بعد البلوغ جهل بعض لأنه ما نهضت أسباب معيشته فيلوعه بل زادت فانه لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، ثم كان للشفق عليه شخصاً واحداً هو الأم أو الأب وكانت شفقة مفرطة جداً فكان يطمعهم ويسبق في اليوم مرة وأمرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة في قلبه فكذلك قد تسلط الله الشفقة والوودة والرفق والورع على قلوب المسلمين بل أهل البدع كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس محتاج تألم قلبه وورق عليه وانبتت له داعية إلى إزالة حاجته قد كان الشفق عليه واحداً والآن وللشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتألم لشفقوا عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجاً ولو رأى في الآن في سبي الحبس يتيم قد مات جوعاً مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا يبنين أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان الشفق واحداً وللشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولسكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضغفت فيخرج من مجموعها ما يغيد الغرض فكيف من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضغف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التعم والاعتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جري قلم القضاء بما يكون فسبان التبرك والسكون

جنون منك أن تسمى لرزق ويرزق في غشاوته الجبن

فان قلت الناس يكفلون يتيم لأنهم يرونه عاجزاً بسببه وأما هذا فإنا قلنا قادر على الكسب فلا يفتنون إليه ويقولون هو مثنا فلينجد لنفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطالاً فقد صدقوا فليبه الكسب ولا معنى لتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما البطال والتوكل وإن كان مشتتاً بالله ملازماً لمسجد أبيه ويت وهو مواظب على العلم والعبادة فالتاس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفونهم ذلك بل اشتغاله بالله تعالى بقر حبه

إلا يصبر ، فإذا سود

القباب وعلاه الرّين

لا يصبر الشيطان .

روى عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم « إن العبد

إذا أذنب نكث في

قلبه نكثة سوداء

فان هو نزع واستغفر

وتاب مقل وإن عاد

زبد فيه حتى تملو قلبه

قال الله تعالى - لا بل

ران على قلوبهم -

ما كانوا يكسبون - »

سمعت بعض العارفين

يقول كلاماً دقيقاً

كوشف به فقال الحديث

في باطن الانسان

والخيال الذي تراه

لباطنه وتخيّل بين

القلب وضمان الفكر

فى قلوب الناس حتى يعملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يلقى الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس وما رأى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو فى المصارفات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد ر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه فى قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها فقد ر الله تعالى الملك والملكوت تديرا كافيا لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدير واشتغل به وآمن ونظر إلى مدير الأسباب إلى الأسباب ، نعم ما دبره تديرا يصل إلى الشغل به الحلول والطور السمان والياب الرقيقة والحيل النفسية على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا فى بعض الأحوال لكن دبره تديرا يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى فى كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناول به لا محالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا الرغبة النفس فى التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو فى الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا وفى النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضئيف عند من انشغلت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدير الملك والملكوت تديرا لا يحاوز عبدا من عباده رزقه وإن سكن لا ينادى اندورا عظما يتصور مثله فى حق المضطرب فإذا انكشف هذا الأمر وروكان معه قوة فى القلب وشجاعة فى النفس أبحر ما قاله الحسن البصرى رحمه الله إذ قال وددت أن أهل البصرة فى عيالي وأن حبة دبترار . وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقى لظننت أنى مشترك فاذهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإلا كان تجمع بين الإفلاس من الإفلاس عن وجود اللقائم ذوقا والإفلاس عن الإيمان به علما ، فأذن عليك بالقناعة بالترز القليل والرضا بالقوت فانه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك لله أن يبعث إليك رزقك على يدى من لا تحسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت التجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، لأنه لم يشك له أن يرزقه لهم الطير وقد ألد الأطمعة لها ضمن إلا الرزق الذى تدوم به حياته وهذا الضمون بمنزلة لكل من اشتغل بالضامن والطمأن إلى ضانه فان الذى أحاط به تديرا لله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه فى السماء قال الله تعالى - وفى السماء رزقكم وما تعدون - وأسرار السماء لا يطاع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيذ فقال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال إن علمت أنه ينسأكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الحراز كنت فى البداية فأتى جوع شديد فظلمت نفسى أن أسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من أماله للتوكلين فظالمى أن أسأل الله صبرا فلما همت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

وزعم أنه منا قريب وأنا لا نضيع من أناثا

وبأسأنا على الإقترع جدا حكانا لآرام ولا يرانا

قد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يصف بالجبن باطه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا وإنا بالله عز وجل فان أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كما يأتي من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما تقرر فسألته عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منافاة ومعادنات وتألفا وتوددا وكلا انطلقت النفس فى شئ بهواها من القول والقول تأثر القلب بذلك وتكدر فإذا عاد البدم من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وحمل مناجاته وخدتمته لله تعالى أقبل القلب بالمعاسة للنفس وذكر النفس شيئا من فعلها وقولها كالأم للنفس والمغائب لها على ذلك فإذا كان الخاطر أول الفصل

ليس مطمئناً فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمسئوم من جانب والذى ضمن رزق القاضين بهذه الأسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما بره عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في نكك وحسابك ولا تكن في توكك منتظراً للأسباب بل للسبب الأسباب كالاستكون منتظراً لقم السكاب بل لقلب السكاب فإنه أصل حركة القلم والمحرك الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر للإيالة وهذا شرط توكل من غرض البوادي بلا زاد أو قعد في الأمصار وهو خاضل وأما الذي له ذكر العباد والممل فإذا قنع في اليوم واليلة بالطعام حمزة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذات وتوب خشن بليق بأهل الدين فهذا يأتي من حث مجتنب ولا يجتنب على الدول بل يأتيه أضافه فتزك التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فإن اشتغاره بسبب ظاهره جلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الحامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلاء أتبع لأن شرطهم القناعة والعامل القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا مع إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل كل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه يظهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلك مع الأخذ من يد من يترب إلى الله تعالى بما يسطيه أولى لأنه نزع له عز وجل وإعانة المعطي على نيل الثواب ومن نظر إلى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكماً عن الأحق الرزق والمعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه إن الرزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علوا أن الرزاق غيرهم ولا تعلق بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا
هل تكن إذن من جهلهم البهائم
(بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال)

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال والوقوف أيدياً على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلماناً كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم أن يسطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفاً رغيفاً ويجهدوا في أن لا ينفخوا عن واحد منهم وأمر منادياً حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتمازوا بقلبي إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منهم في موضعه فإن الغلمان مسخرون وهم ماء ورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فمن تلقى الغلمان وأكادهم وأخذ رغيفين فإذا قنع باب اليدان وخرج أتيته بغلام يكون موكلاً به إلى أن أقدم لقوته في معامد معلوم عندي ولكن أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقع برغيف واحد أنه من يد الغلام وهو ساكن فاني أخضه غلعة سنية في البلاد المذكور لقوبة الأجر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا تقوية عليه ولا خلعة له ومن أخطأ غلماناً فما أوصلا إليه شيئاً فبات اليلة جائعاً غير مستحسن للغلمان ولا ذلاً ليه أوصل إلى رغيفاً فاني غدا أستوزره وأفوض مسكناً إليه فانتسم السؤال إلى أربعة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الوعدة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جاثمون فبادروا إلى الغلمان فأكدهم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في البلاد المذكور فقدموا ولم ينفعهم الدم ، وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين قلبه الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا إنا نجلس بجرا من الغلمان حتى لا يغشوا ولكن تأخذ إذ أعطوا رغيفاً واحداً وفتح به فلعنا فنوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم أربع اختلاف في زوايا البلدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا إن اتبونا وأعطينا قننا برغيف واحد وإن

ودعته فمرفته من
أثم شأن العبد لأن
الأفصال من الحواطر
تفتأ حتى ذهب بعض
العلماء إلى أن العلم
للقدر على طلبه يقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « طالب
العلم فريضة على
كل مسلم » هو علم
الحواطر قال لأنهم أول
العمل وبغادها فساد
العمل وهذا لصعري
لا يتوجه لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أوجب ذلك على كل
مسلم وليس كل المسلمين
عندهم من القرعة
والقرعة ما يعرفون به
ذلك ولكن مسلم
الطالب أن الحواطر
بثابة البذر فثما هو

أخطأنا قاسينا شدة الجوع اللبلة فلما نأقوى على ترك التسخط فقال الربية الوزاره درجة القرب عبد الملك فما نفهم ذلك إذ أتتهم العلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفا واحدوا جرى، بل ذلك أياما حتى انتهى على الدور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم يبق عليهم أن يصار العلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم لثالثا تعرضنا للعلمان وأخذنا طعاما فلما نطق العبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والبدان هو الحياة في الدنيا وباب البدان الموت والبياد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو العبد الشهادة المتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعة القيامة لأن الشهادة أحياء عند ربهم يرزقون والتعلق بالعلمان هو التعتدي في الأسباب والعلمان السخرون هم الأسباب والجالس في ظاهر البدان يرى العلمان هم القيمون في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والخفتون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تبهم والرزق يأتيهم لإلحاح سبيل التدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار مترصين السبب بمجرد حضورهم واشتارهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الأصار السالفة وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[الآن الثاني في التعرض لأسباب الادخار] أمن حصل له مال يارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فبأ كل إن كان حاله وألبس إن كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا إن كان محتاجا وبفرق الباقي في الحال ولا يأخذ ولا يدخر إلا بما يقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية التقاية لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنه فما فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة والنمل وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود أو لا وفي الآخرة للتوكلين اختلاف في فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الحواصم إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو طالب السكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثوابه يعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب البينين ، ثم أصحاب البينين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب البينين تلتصق أسافد درجات السابقين فالأمر في التقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الادخار لا يمتنع الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو قيل نفس أن ذلك كالتمتع وجوده أما الناس مفتقونون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينه درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى القصد ممن يؤمل سنة وتقييده بأربعين لأجل ميعة موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة مقصد بها بيان مقدار ماركض الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعد كان لا يمتد إلا بعد أربعين يوما لسن جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور كما قال عليه السلام «إن الله خريطة آدم يريده أربعين صباحا» (١) لأن استحقاق تلك الطينة التحمير كان موقوفا على مدتها فلما ماذر فإذا من مآوراء

(١) حديث خير طينة آدم يريده أربعين صباحا أبو منصور البديلي في مسند الفردوس من حديث

بشر السعادة ومنه
ما هو بذر الشقاوة .
وسبب اشتباه
الخواطر أحد أربعة
أشياء لا خامس لها إما
ضعف اليقين أو قلة العلم
بعمرة صفات النفس
وأخلاقها أو متاعية
الحوى يجرم قواعد
التوى أو عجة الدنيا
جائها وما لها وطلب
الرفعة والرزق عند
الناس فمن عصم
عن هذه الأربعة
بفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن
ابتلى بها لا يلها
ولا يظلمها وانكشف
بعض الخواطر دون
البعض لوجود بعض
هذه الأربعة دون
البعض وأقوم الناس

السنة لا يدخره إلا يحكي ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بأحاطة التدبير من الوكيل الحق غفيا الأسباب فإن أسباب الدخول في الارتفاعات والارتفاعات تنكرر بتكرار السنين غالبا ومن آخر أقل من سنة فله درجة بحسب نصر أمه ومن كان أمه مشهورين لم تسكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلا ، وإن ضعف قلبه فكما قال ادخاره كان ضله أكثر ، وقدرى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه وأسامته أن يشله نفسه فلا وكفناه يردته فلما دفعه قال لأصحابه « إنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولو لولاه كانت فيه لموت ووجهه كالشمس الضاحية . قلنا وماهى يا رسول الله ؟ قال كان صوامقا وما كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما يؤتيتم اليقين وعزيمة الصبر ^(١) الحديث ، وليس الكسوف والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فإن ادخاره لا ينقص الدرجة وأما توب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا يزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشعر نفسه إلى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فإن كان يستشعر في نفسه اضطراب يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضعفة يكون دخله وإقايجه كفايته وكان لا يزعج قلبه إلا به فذلك له أولى لأن للتصود إصلاح القلب ليتجرد للذكر الله ورب شخص يشغله وجوده للال ورب شخص يشغله عدمه والمخدور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدنيا في عينها غير مهدورة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك يث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمهترجون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المهترف بترك حرفه ولا التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعف ادخاره قدر حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم التفرد ، فأما الليل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة ليله جيرا لضعفهم وتسكين قلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تنكرر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتمسك عبارة عن موحى قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله قوت سنة ^(٢) ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخره شيئا ^(٣) ونهى بلال عن الادخار في كسرة خبز ادخارها ليفطر عليها فقال ^(٤) « أتثق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا » ^(٥)

بغير الخواطر وأقوهم بعرفة النفس ومعرفة صفة التال لا تكاد تيسر إلا بمسد الاستغناء عن الزهد والتقوى . واثق الشايع على أن من كان أكسبه من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة . وقال أبو على التماق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق لا يتبدد وذلك أن من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لمراد بادن يرق إليه في الأخذ منه والتفوت به ومثل هذا المعلوم لا يحبب عن تمييز الخواطر إنما ذلك

ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف جدا وهو باطل (١) حديث أنه قال في حق القبر الذي أمر علياً وأسامته نفسه وكفنه يردته أنه يموت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث وفي آخره من أقل ما يؤتيتم اليقين وعزيمة الصبر لم أجده أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا . (٢) حديث ادخر ليله قوت سنة متفق عليه وتقدم في الزكاة (٣) حديث نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئا لقد تقدم نهى أم أيمن وغيرها (٤) حديث نهى بلال عن الادخار وقال أتثق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا قالوا بلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ، وروى أبو يونس والطبراني في الأوسط حديث أبي هريرة وكهما ضعيفة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز فلم أره .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخف » (١) ابتداء بسيد التوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال بيتهم مع قرب الماء ويقول « ما يدري لعل لا يلقه » (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يتق بما آذره. ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليلاً للأقوياء من أمته فإن أقوياء أمته ضفاء بالاضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لعلها سنة لا تضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخير « أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » (٣) تطبيقاً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والضعف فيتركوا اليسور من الخير عليهم بعبزهم عن منتهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإرحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصفانهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضرب بعض الناس وقد لا يضرب ، وبدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي فوجد له كفن فقال **يحيى** تقتنوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره قال صلى الله عليه وسلم كيتان (٤) » وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين: أحدهما أنه أراد كيتين من الدار كما قال تعالى - تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله يظهر الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس. والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كالتقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فإن كل ما خلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحدهما إلا ناشئاً لا نقص قدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدُّخَر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشده ما روى عن بشر قال الحسين الغزالي من أصحابه كنت عنده ضوئاً من التبار فدخل عليه رجل كهل أمر خفيف المعارضين فقام إليه بشر قال ومارأيت قام لأحد غيره قال ودفع إلى كفاهم دراهم وقال اشترنا من أطيب ما تقدّر عليه من الطعام الطيب وما قال في قط مثل ذلك قال بقيت بالطعام فوضعت فأكل معه ومارأيت أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شيء كثير فأخيم الرجل وجهه في ثوبه وحمله معه واضرب فنجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لملك أنكرت فله؟ قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذاك أخونا فتح الموصل زارنا اليوم من الموصل فانما أراد أن يعلنا أن التوكل إذا صبح لم يضرب معه الادخار [الف الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف] أعلم أن الضرر قد يمرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أما في النفس فكان لئول في الأرض المسببة أوفى مجارى السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المنكسر فكل ذلك منبه عن صاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ، ثم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومظنونة وإلى موهومة ترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة السك والرقية

(١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخف الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهوقة ، حديث اللق الله فقيراً [١] قد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم بال و تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لا يلقه ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمرو قد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث للقي الله فقيراً إلح لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل فلهه بنسخته تأمل.

فإن السكى والريقة قد تقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازاحة - رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف للتوكلين إلا ترك السكى والريقة والطيرة ولم يصفهم بأهم إذا خروا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والحية تلبس دفعا للبرد التوقع وكذلك كل ما في معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار بأكل التوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تنجها بقوة الحرارة من الباطن وربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتحويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الحية وترك الأسباب الدائمة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فسرط التوكل الاحتباك والصبر قال الله تعالى - فاعف عنه وكلا وأصبر على ما يؤولون - وقال تعالى - ولنصبرن على ما آتيتونا وعلى الله فليتوكل التوكلون - وقال عز وجل - ودع أذاهم وتوكل على الله - وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - نعم أجر الصابرين إذا صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسيات والقارب فترك دفعا ليس من التوكل في شيء إلا لأفادته فيه ولا يراد السعى ولا يترك السعى لعينه بل لإيادته على الدين وترتيب الأسباب ههنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نلوع لإعادة وكذلك في الأسباب الدائمة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يقتل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعا وإما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهل البعير وقال توكلت على الله «اعفها وتوكل» (١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الجليل - وقال تعالى - أوصى عليه السلام - فأمر ببادي ليل - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله ﷺ في الفار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر (٢) وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والمقرب فإنه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن الظنون كالطوع وإنما هو الوهم هو الذي يقتضى التوكل تركه . فإن قلت قد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسديده على كتفه ولم يتحرك . فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يترك ذلك للقيام فإنه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في السكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يتلف عليها من لينته اليها . فإن قلت وهل من علامة أعلم بها أنى قد وصلت اليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات في ذلك القيام السابقة عليها أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال يضحك ويصيح غيرك فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلى لم يقتل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك فربما ترفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكتب دارك أولى بأن يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكتب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك فأدالم يسخر لك الكلب الباطن فلا قطع في استسخار الكلب الظاهر . فإن قلت فإذا أخذ التوكل سلاحه حذر من العدو وأغلق باب حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن يطلق فأبى اعتبار يكون متوكلا . فأقول يكون متوكلا بالمال والخال فالما الملهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يدفع بكفائته في إغلاق الباب بل لم يدفعه إلا بدفع الله تعالى إياه فكيف من باب يغلق ولا يتفجع وكف من بعير يعقل وعوت أو يقاتل وكف من أخذ سلاحه فقتل

لأنه إذا بقي رجوع صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم . وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه زاد قوة بالأول . وقال أبو عبد الله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردة أعم من الحواطر لأن الحواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط . وقيل بنور التوحيد يقبل الحاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الإيمان

(١) حديث اغفلوا وتوكل الترمذي من حديث أنس قال بعني القطان منكرو رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد فيها (٢) حديث اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر تقدم في قصة اختفائه في الفار عند إرادة الهجرة .

أوشلب فلا تشكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب كاضر بنا للثقل في الوكيل في الحسومة فانه إن حضر وأحضر السجل فلا تشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على مافي البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأتاراض بحكمك فاني لأدري أن ما أعطيتني هبة فلا تترجها وأوعاها وودعة فستردها ولأدري أنه رزقي أوسقت مشيتك في الأزل بأنه رزق غيري وكفما قضيت فأتاراض به وما أغلقت الباب تحسنا من قضائك وتستخطا له بل جريا على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا تقة إلا بك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه عنه لم يخرج عن حدود التوكل بقول البير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد به وجد مسروقا نظرا إلى قلبه فإن وجدته أضرأيا أو في حال ذلك علما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه وإن تأمل قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام يقدم الزهد ولا يصح الزهد إلا لمن لا يتأسف على مفات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل ، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكوه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذي قلبه وأظهر الشكوى لبسائه واستغنى الطلب يذنه فقد كانت السركة مزيدا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع الثمات وكذب في جميع الدعاوى فبمعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتدلى بمجل غرورها فاتها خداعة أمارة بالسوء مدعية للتبر . فان قلت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ فأقول التوكل لا يخلو بينه من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإنما متاعه وجواب يحفظ بعهده وعسا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات العيشة من أثاث البيت وقد يدخل فيه مال وهو عسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مجطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج العكوز الذي يشرب منه والجواب الذي فيه زاده وإنما ذلك في التآكول وفي كل ما لا زاد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء التوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكبرياء والأمتعة في كل يوم ولقي كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحيل والركوة والفراسخ والإبردة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين . فان قلت فكيف يتصور أن لا يعجز إذا أخذ متاعه إليه هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهي لهاجة إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يعجز وقد حبل بينه وبين ما يشتهي . فأقول إنما كان يحفظه ليعتد به به على دينه إذا كان يظن أن الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخير له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن تكون خيرة هي أن يبذل بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط الله تعالى تميز لأنه في جميع الأحوال والوقائع بالحسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخير كانت لي في وجودها إلى الآن والخبرة إلى الآن في عدمها لمأخذها مني فيمثل هذا الظن بتصور أن يدفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسر هامة سبب الأسباب رعاية وتلطافا وهو كالرئيس بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم إليه الدواء فرح وقال لولاه

ينهى النفس ويؤمر
الإسلام يرد على العدو
ومن قصر عن ذلك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تمييز الخواطر بين
الحاضر أولا بعز
الشرع فما كان من
ذلك تفلأ وفرضا فيه
وما كان من ذلك محرما
أو مكروها فنيه فان
استوى الخاطران في
نظر العارفتن أقرهما
إلى عاقبة هوى
النفس فان النفس قد
يكون لها هوى كامن
في أحدها والغالب من
شأن النفس الاغواج
والركون إلى اللون
وقد يلم الحاضر بنشاط
النفس والعبد يظن أنه
يروض القلب وقد
يكون من القلب نفاق

يعرف أن التعاد ينفى وقد قويت على احتماله لما قرره إلى وإن أخر عنه الفداء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الفداء يضرب ويسوق إلى اللوث لما حال بيني وبينه وكل من لا يفتقد لطف الله تعالى ما يستعد للربى في الوالد للشفق الحافق لعم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أخاه وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدري أى الأسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لا لأبى أصبحت غنيا أوقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذاك ينبغي أن لا يأتى للتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خيره في الدنيا أوفى الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتني كنت فقيرا .

(بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم)

للتوكل آداب في متاع يته إذا خرج عنه . الأول : أن يطاق الباب ولا يستغنى في أسباب الحفاظ كالتجسس من الجيران الحفظ مع القلق وبكمه أغلاق كثيرة قد كان مالك بن دينار لا يثق بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا عرض عليه السارق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إساءة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى للغيرة إلى مالك بن دينار ركة قال خذها لأحاجة لي إليها قال له قال يوسوس إلى العدو أناس أخذها ففكاهه احتز من أن يسمى السارق ومن شغل قلبه يوسوس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : إحداها أن يكون ماله مانعا له من الصبة فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بسدود عصابته بكل الحرام لما أن جله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينو دفع الصبة عن السارق أو تخفيفه عليه قد نصح للمسلمين واشتد قوله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » (١) ونصر الظالم أن تنجس من الظلم وغفوه عنه إعدام للظلم ومنع له ولينجح أن هذه التية لا تضرو . بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكن يتحقق بالزهد عنه فان أخذ ماله كان له كل درهم سبعا دراهم لأنه نواه وقصدته وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ترك العزل فأقر النطفة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجماع وعاش قتل في . سبيل الله تعالى وإن لم يؤخذ له (٢) لأنه ليس أمر الله إلا الواقع فأما الحق والحياتة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خافى لكان ثوابه على فعله وقضاه لم يتقدم فكذاك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغي أن لا يعز على يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الحيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين . وإن كان قد جله في سبيل الله فترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

يسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى قسي ساعة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشبه خواطر الحق على من يكون ضعف العلم فلا يدرك نفاق القلب والخواطر التولمة منه إلا العلماء الراسخون . وأكثر ما يدخل الآفات على أبواب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بهم من هذا القيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبما نصب الهوى فيهم . وينبغي أن يعلم البعد قطعا أنه مهما بقى عليه أثر

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل وأقر النطفة قرارها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلا .

أعيد عليه فأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جمعه في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثيابه فطلبها حتى أعيأ ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصل في ركعتين فجاهد رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إن نأتك في مكان كذا فلبس ثوبه وقام ثم قال استنصر الله وجلس فقبل له ألا تنهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل فيها فرأيته قال وهو مع ذلك كتيب حزين قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتفتس الصداق ثم قال نعم إن لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إني لما رأيت منازل في الجنة رفعت لي مقامات في عليين مارأيت مثلي فيها رأيت فقرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اسرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل ، قلت وما إمضاء السبيل؟ فقبل لي كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيت لك . وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هميانه فأنته الرجل ففقد هميانه فاتهم به فقال له كم كان في هميانه فذكر له محله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهيمان مزحما معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذ خذ حلالا طيبا فساكنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا إياها وجعل يصهر صرارا ويبحث بها إلى القنطرة حتى لم يبق منه شيء ففكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغيفا ليطعمه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجة فيطعم فقيرا آخر وكذلك يفعل في البرام والدنانير وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعوى السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأنفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فبأنسب به في الخبر « من دعا على ظلمه فقد انتصر » (١) .

وحكى أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم يزعج لطلبه فجاهد قوم بيزونه ، فقال أما إني قد كنت رأيت وهو يحل قتل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تصلوا قولوا خيرا فأتى قد جمعا بها صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعوى على ظلمك قال إذا كنت أعوذ أن أكون عوناً للشيطان عليه قبل أن رأيت لورد عليك قال لا أخذه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لأخر : أدع الله على ظلمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه السكين ظلم نفسه حتى أدبره شراً . وأكثر بعضهم شتم المحتاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لا تشرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للمحتاج من أشرك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يتيقن للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتبس له من المظالم » (٢) . السادس أن يتم لأجل السارق وعصيانته وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نصفا في دنياه لا نصفا في دينه فقد شكى بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

(١) حدثت من دعا على من ظلمه فقد انتصر تقدم (٢) حدثت إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظلمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يتيقن للظالم عليه مطالبة بالحدوث تقدم .

من الهوى وإن دعى
وقل يتيقن عليه بحسبه
قبسة من اشتباه
الخوارثم ثم قد يغلط
في تمييز الخوارثم من
هو قليل العلم ولا
يؤاخذ بذلك مالم يكن
عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يسامح
بذلك بعض الدالين لما
كوشفوا به من دقيق
الحماة في التمييز ثم
استعجالهم مع عليهم
وقلة التثبت . وذكر
بعض العلماء أن لمة
الملك ولمة الشيطان
وجدنا لحركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت انتصحت من
جوهرها ظلمة تنكث
في القلب همة سوء
فينظر الشيطان إلى

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في السليمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك لما نصحت
للسليمين. وسرق من علي بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يسكن ويعزن قال
أبى الدنانير تكبي؟ فقال لا والله ولكن علي السكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة
وقيل بعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق
السلف رضي الله عنهم أجمعين .

[القرن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواءة للرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب الزيلة للمرض أيضا
تنقسم إلى مقطوع به كالماء للزيل لضرر العطش والخبز للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالصد
والحجام وشرب الدواء السهل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة
وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكي والرقية . أما القطوع فليس من التوكل تركه
بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم للتوكلين وأقواها السكي ويليها الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتداء عليها بالاتسكال إليها
غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالدواءة بالأسباب الظاهرة عند
الأطباء ففعله ليس منافيا للتوكل بخلاف الوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف القطوع بل قد يكون
أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص ففى على درجة بين الدرجتين ويدل على أن
التداوى غير منافى للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه
وسلم « ما من داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهه من جهه إلا السام » (١) بين الموت وقال
عليه السلام « تدادوا عباد الله فان الله خلق الداء والدواء » (٢) . وسئل عن الدواء والرقى هل ترد
من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله (٣) « وفي الخبر المشهور « ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا
مر أمك بالجمامة » (٤) وفي الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة
واحدى وعشرين لا يتبيخ بك الله فيقتل » (٥) « فذكر أن يتبيخ الله سبب الموت وأنه قاتل
يأذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين
إخراج القرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالإغواء
والوسوسة وذكر أن
حركة النفس تكون
إما هوى وهو عاجل
حظ النفس أو أمنية
وهى عن الجهد
الفرى أو دعوى
حركة أوسكون وهى
آفة العقل وعنة القلب
ولا ترد ههنا ثلاثة إلا
بأحد ثلاثة بمجهل
أو غفلة أو طلب فضول
ثم يكون من هذه
الثلاثة ما يجب تقيه
فاتها ترد بخلاف
مأور أو على وفق
منهى ومنها ما يكون
تقيا فضلة إذا وردت
بمحاح . وذكر أن
الروح إذا تحركت
انضج من جوهرها
نور ساطع يظهر من

- (١) حديث ما من داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبراني من
حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفه إلى آخره
وإسناده حسن ولترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الهرم والطبراني في الأوسط والبراز
من حديث أنى سيد الحدرى والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندها ضعيف والبخارى
من حديث أنى هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ولمسلم من حديث جابر لسلك داء دواء
- (٢) حديث تدادوا عباد الله الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك
- (٣) حديث مثل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله فقال هي من قدر الله الترمذى وابن ماجه
من حديث أنى خزامة وقيل عن أنى خزامة عن أنى قال الترمذى وهذا أصح (٤) حديث ما مرت بلا
من الملائكة إلا قالوا مر أمك بالحجامه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وروله ابن
ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
الحديث البراز من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفاً ورفعه الترمذى بلفظ إن خيرا متجمون فيه
سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البراز إن طريقه التقدمه أحسن
من هذا الطريق ولا ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامه فليحتر سبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلاً وفي خبر مقطوع «من احتجهم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دوام من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالجملة (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً (٣) أي قصده وكوى سعد بن زرارة (٤) وقال لعليّ رضي الله تعالى عنه «وكان رمد العين ولا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فإنه أوفق لك (٥)» يعني سلقاً قد طبخ بدقيق شير . وقال أصيب وقد رآه يأكل الفخر وهو وجع العين «تأكل تمراً وأنت أرمد فقال إني أكل من الجانب الآخر فبسم الله عليه وسلم (٦)» . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويحرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنن الشكر . وتداوى ^{عليه السلام} بغير مرة من القرب وغيرها (٨) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فكان يلقه الحناء (٩) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرعة جعل عليها حناء وقد جعل على قرعة خرجت به تراباً (١٠) وما روى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن المحصر وقد صنف في ذلك كتاب ومضى طبع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بقة فدخل عليه بنو إسرائيل ففروا عنه

(١) حديث من احتجهم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دوام من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن جبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على رواه في الصحابي ولاهما فيه زيد الصمي وهو ضيف (٢) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعراب حين سألوهم تداؤوا الحديث وسيأتي في قصة علي وصيب في الحية بده (٣) حديث قطع عرقاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال روى سعد في أكله قصه النبي صلى الله عليه وسلم يده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى سعد بن زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لعلي وكان رمداً لا تأكل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم التمر (٦) حديث قال أصيب وقد رآه يأكل الفخر وهو وجع العين تأكل تمراً وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويحرب الدواء كل سنة ابن عدي من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه صيف بن محمد كذب أحمد بن حنبل ويعني بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبثته غريب فقتل عليه فرقه الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى تقيح كفا من غوزير وشرب عليه ماء وعسل ولأبي علي والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر النائي صلى الله عليه وسلم احتجم به ماسم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صعد رأسه فلقه الحناء الزبارة وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحرص بن حكيم كان إذا خرجت به قرعة جعل عليها حناء الترمذي وابن ماجه من حديث مسلم قال الترمذي غريب (١٠) حديث جعل على قرعة خرجت به تراباً البخاري ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت قرعة أوجرح قال النبي صلى الله عليه وسلم يدهم كذا ووضع سفيان بن عيينة الراوي صباه بالأرض ثم رخصها وقال بسم الله مرة أرسلنا ورقة بضناشني سفيان .

ذلك النور في القلب جملة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بغسل نذب إليه وإما بإباح يمسود صلاحه إليه وهذا الكلام يدل على أن حركتي الروح والنفس هما الوجدان للعتيق . وعندى والله أعلم أن اللعنين يتقدمان على حركة الروح والنفس لحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح بركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيوية من شؤم لمة الشيطان فإذا وردت الهمتان ظهرت الحركة

فقال له لوداويت بكذا ليرث فقال لأتداوى حتى يماضي هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له إن
دواء هذه العلة معروف محرب وإن اتدأوى به فبئراً فقال لأتداوى . وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه
وعزى وجلالى لأبرأئك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ
فأوحى في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمتي بنوكلك على من أودع العقاقير
منافع الأشياء غيرة . وروى في خير آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكاة لبعدها فأوحى الله
تعالى إليه كل البيض . وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم بالبن فان فيها القوة قليل
هو الضعف عن الجماع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم فبع أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم
أن يطعموا نسائم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد . ويغسل ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه
يصور الله تعالى الولد . وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنساء الرطب فهذا تبين أن مسبب
الأسباب أجرى سنته ربط السببات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى
كسائر الأسباب فكان أن الحزن دواء الجوع والنساء دواء العطش فالكسجين دواء الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لإظهاره لإحدى أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والحزن جلى واضح
يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالكسجين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالبحرنة التحق
في حقه بالأول : والثاني أن الدواء يسهل والكسجين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب
في الزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما فوت بعض الشروط فتقاعد الدواء عن
الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب
دواء العطش مع كثرة شرب الماء . ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر في هذين الشيئين
وإلا فالمسبب يتلو السبب لاحالة مهما تحت شروط السبب وكل ذلك بتدريج مسبب الأسباب وتسخره
وترتبه بحكم حكته وكما قدرته فلا يضر للتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب
والدواء . قد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب من الداء والدواء ؟ فقال تعالى من قال فاستمع الأطباء ؟
قال يا كلون أرزاقهم ويطيرون نفوس عبادى حتى يأتى شفاؤى أو قضائى فاذن معنى التوكل مع التداوى
التوكل بالملم والحال كما سبق في فنون الأعمال الداعية للضرر الجالبة للنعيم فأماترك التداوى رأسا فليس
شرطا فيه . فان قلت فالسبب أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب
الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السم وسق اللبردات للحرور والمساك فلولا كان مثله في الظهور
لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقفا يتبادر السكى في أكثر البلاد بمآخذ عادة بعض الأتراك والأعراب
فهذا من الأسباب للهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستثناء
عنه فانه مامن وجع يعالج بالسكى لإلوه دواء يشفى عنه ليس فيه إجرأق فالاحتراق بالنار محرب محرب
للنية محذور السراية مع الاستثناء عنه بخلاف القصد والحجامة فإن سرابتهما بيده ولا يستدسها
غيرها ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى (١) وكل واحد منهما بعيد
عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأخاروا عليه بالسكى فامتنع فلزوا به وعزم عليه
الأمس حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا تسلم على الملائكة فلما اكتويت اقطع
ذلك عنى وكان يقول اكتوينا كيات فوائه ما فاعلت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى

رظهر سر العطاء
والابتلاء من معط
كريم ومبل حكم وقد
تكون هاتان اللتان
متداركتين وينمى أثر
إحداهما بالأخرى
والنفس للتيقظ
ينتج عليه بمطالمة
وجود هذه الآثار في
ذاته باب أنس ويتق
أبداء فقد أحاله مطالما
آثار الاثنين . وذكر
خاطر خامس : وهو
خاطر العقل متوسط
بين الخواطر الأربعة
يكون مع النفس
والمدور لوجود التميز
وإثبات الحجبة على
البعد ليدخل البعد في
التى بوجود عقل إذ
لوقد العقل سقط
العقاب والعقاب وقد

(١) حدث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى البخارى من حديث ابن عباس
ونهى أمي عن السكى ، وفي الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرقية من كل ذى حمة .

فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله أم ترأى للملائكة التي كان أكرمهم الله بها قد ردها الله تعالى عليّ بعد أن كان أخبره بفتحها فاذن السكّ وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكّل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مضموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التصق فيها والله أعلم .

(بيان أن ترك التداوى قد يحمّد في بعض الأحوال ويدل على قوّة التوكّل)

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الذين تدواؤوا من السلف لا ينصرون ولكن قد ترك التداوى أيضاً جماعة من الأكابر فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن حال غيره في التوكّل أكمل من حاله ، وقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له لو دعوتك طبيباً فقال الطبيب قد نظر إلى وقال إنى ضالما أريد . وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشكى قال ذنوبي قيل فأتشفتي قال منغفرة ربى قالوا ألا ندعوك طبيباً قال الطبيب أمرضى . وقيل لأبي ذر وقد رمعت عيناه لودأيتها قال إنى عنهما مشغول قبل لو سألت الله تعالى أن يهلك فقال أسأله فإيه هوأم على منهما . وكان الريح ابن خبّيم أصابه فالج فقبل له لودأيت فقال قد همت ثم ذكرت عاداً وعموداً وأصحاب الرّس وقرونايين ذلك كثير وكان فيهم الأطباء فهلك الدماوى والدماوى ولم تخر الرقى شيئاً . وكان أحد بن خبيل يقول أحب لمن اعتقد التوكّل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره . وكان به علل فلا غير للطلب بها أيضاً إذا سأله . وقيل لسهل متى يصح لعبد التوكّل قال إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فليفتن إليه شغل ماله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فأذا خيم من ترك التداوى وراه ومهم من كرهه ولا ينصح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلهم إلا بعصر الصوارف عن التداوى . فنقول إن ترك التداوى أسباباً . السبب الأول : أن يكون للرّس من الكشّفين وقد كشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً بحدّة تارة رؤيا صادقة وتارة بحس وطن وتارة يكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من الكشّفين فإنه قال لمائسة رضي الله عنها في أمر اليراث إنما هن اختلاف وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأتها حاملاً فولدت أنثى فلم أله كان قد كشف بأنها حامل بأنثى فليعد أن يكون قد كشف أيضاً بأنها مأمية ولا فلا يظن به إلا تكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به . السبب الثاني : أن يكون للرّس مشغولاً بماله وبخوف عاقبته وإطعام الله تعالى عليه فينبه ذلك ألم الرّس فلا تعرّف قلبه للتداوى هماً بماله وعليه يدل كلام أبي ذر إذ قال إنى ضيماً مشغول . وكلام أبي الدرداء إذ قال إنما تشكى ذنوبي فكان تأمناً بخوف من ذنوبه أكثر من تأمّن بدنه بالرّس ويكون هذا كالمصاب بعوت عزيز من أعزته أو كالحائف الذي يعمل إلى ملك من اللوك لقتل إذ تامل له لا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الأصل نافعاً من الجوع ولا طناً فيمن أكل ويقرّب من هذا اشتغال سهل حيث قيل لما القوت فقالوه وذكرا إلى القيوم فقبل إنما سألتك عن القوام فقال القوام هو ألم قبل أن أتاك عن الغذاء قال الغذاء هو ألم قبل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك ولجسد دع من تولاه أولاً بتولاه آخراً إذا دخل عليه علة فردّه إلى مائه أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردها إلى مائه حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون الملة مضمّنة والدواء الهوى يؤمر به بالإضافة إلى علته وهو هم النفع جار مجرى السكّ والرقية فيترك التوكّل وإليه يشير قول الريح بن خبّيم إذ قال ذكرت عاداً

يكون مع الملك والروح
ليوقع الفعل مختاراً
ويستوجب به
التواب . وذكر
خاطر سادس وهو خاطر
اليقين وهو روح
الإيمان ومزبد العلم
ولا يبعد أن يقال الخاطر
السادس وهو خاطر
اليقين حاصله راجع
إلى ما يرد من خاطر
الحق وخاطر العقل
أصله تارة من خاطر
الملك وتارة من خاطر
النفس وليس من
العقل خاطر على
الاستقلال لأن العقل
كما ذكرنا غريزة نبيا
بإيداد الله وألوم ونبيا
بها الانجذاب إلى
دواعي النفس تارة
وإلى دواعي الملك تارة

وتعود وفيهم الأطباء فهلك للدوى والمذوى أى أن الدواء غير موقوف به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند الرض كذلك لقلة ممارسته لطب وقلة تجربته له فلا يلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والنظر بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التدوى من البعاد والزهاد هذا مستند لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التدوى تفعلا في الأسباب كالسكى

والرقى فيتركه توكلًا . السبب الرابع . أن قصد البعد بترك التدوى استباقا للرض لينال ثواب الرض بحسن الصبر على بلاه الله تعالى وألجبر به في القدرة على الصبر قد ورد في ثواب الرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاه ثم الأمثل فالأمثل يتلى البعد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء ^(١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالثار فثم من فخرج كالتذهب الإبريز لا يرد ومنهم من خرج أسود عتقا ^(٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفاه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالخمر الفاضلة لا تخرضون ولا تسمون ^(٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصح شيئا قلبا وأمرضه جسا وتجد المنافق أصح شيئا جسا وأمرضه قلبا . فلما عظم البلاء على الرض والبلاء أحب قوم الرض واقتسموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخبرها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى الملة ورضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشفعه الرض عنه وإما يمنع الرض جوارحه وعلموا أن صلاحهم بقودا متلاحم الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلابة قداما مع العاقبة والصفة في الخبر « إن الله تعالى يقول للأنبياء كتبوا البعدى صالحا ما كان بعمله فانه في وثاق إن أطلقته أبدلته لما خيرا من حله ودما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ^(٦) » فقبل مماته أدخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التدوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التدوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان بداوى الناس منها وكان إذا رأى البعدى صلى من

وإلى دواعى الروح تارة
وإلى دواعى الشيطان
تارة فعلى هذا لا يزيد
الحواطر على أربعة
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يذكر غير
المتين وهاتان اللتان
هما الأصل والحواطران
الأخران فرع عليهما
لأن الله إذا حرك
الروح وهزمت الروح
بالهمة الصالحة قربت
أن تهتز بالهمة الصالحة
إلى حظائر القرب فورد
عليه عند ذلك خواطر
من الحق وإذا تحقق
بالقرب يتحقق بالقضاء
فتثبت الخواطر الربانية
عند ذلك كما ذكرنا
قبل لموضع قرينه
فيكون أصل خواطر
الحق لله للكل وله

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاه ثم الأمثل فالأمثل الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم غرضنا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث على ولم يخرجوه وله في مسنده ولطبراني من حديث أبي عتبة إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه وإذا ابتلاه ابتلاه لا يترك له مالا ولا ولما وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالخمر الفاضلة لا تخرضون ولا تسمون ابن أبي عاصم في الأحاد والمتن وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول للأنبياء كتبوا البعدى صالحا ما كان بعمله فانه في وثاق الحديث الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس تقدم ولم أجده مرفوعا .

فمؤد ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداءى لقوة والصلاة تأمناً. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شيء من الدواء فأنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضميمة. لم يدخل فى شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ عيشاً من الدواء ولو كان هولاء البارء يسئل عنه لم يأخذهم من لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب الصريين تضعيف النفس بالجوع وكر الشهور لهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان له غالباً مدهشاً. وقال سهل رحمه الله على الأجسام رمة وعلل القلوب عقوبة. السبب الخامس: أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فبرى للرض إذا طال تكفيراً فترك التداءى خوفاً من أن يسرع زوال المرض فقد قال رحمته لا تزال الحى واللبلة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة ^(١) وفى الخبر «حى يوم كقارة سنة ^(٢)» قيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثائة وستون مفصلاً تدخل الحى فى جميعها ويحد من كل واحد أما فيكون كل ألم كفارة يوم، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى سأل يزيد بن ثابت ربه عن رجل أن لا يزال محمواً فترك الحى مخافة حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحى لا تزالهم ^(٣) ولما قال صلى الله عليه وسلم «من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوابا دون الجنة ^(٤)» قال فلقد كان من الأنصار من يتحنى العمى وقال عيسى عليه السلام: لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول الصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطايا. وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف أرحمه فيما به أرحمها به أكفر ذنوبه وأزيد فى درجاته. السبب السادس: أن يستمر العبد فى حقه مبادئ البطر والطغيان تطول مدة الصحة فيترك التداءى خوفاً من أن يجاله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الأمل والتسويق فى تدارك الناقص وتأخير الحيرات فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وهما بنيت الهوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصى وأقلها أن تدعو إلى التنعم فى الباحات، وهو تضييع الأوقات وإهمال فروع العظمى فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبه بالأمراض والصائب ولذلك قيل لا يخلو

(١) حديث لا تزال الحى واللبلة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبرانى من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصداع بذكر الحى والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مثل المرض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفائها ولونها وأسانيده ضيقة (٢) حديث حى يوم كفارة سنة القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضيف وقال ليلة بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محمواً بالحدث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمداً أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد أن رجلاً من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الأمراض تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال أنى وإن قلت قال فان شوكتها فادعها أنى لا يفرقه الوعك حتى يموت الحديث والطبرانى فى الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحى قال تجرى الحسنات على صاحبها ما لا تخلى عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم أنى أسألك حى لا تمنى خروجاً فى مبدلك ولا خروجاً إلى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث والاستاذ مجهول قاله بنى للدينى (٤) حديث من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوابا دون الجنة نعم الرفوع منه دون قوله فلقد كان فى الأنصار من يتحنى العمى.

الشیطان اذا حرك
النفس هوت بمحبته
الى مركزها من
الفسرزة والطبع
تظهر منها لحركتها
خواطر ملائكة لتزيينها
وطبيعتها وهواها
فصارت خواطر النفس
نتيجة لمة الشيطان
فأصلها لذات وبتجان
أخرين وخاطر اليقين
والعقل مندرج فيها
واقه العلم
[الباب الثامن
والخسون فى شرح
الحال وللقام والفرق
بينهما]

قد كثر الاشتباه بين
الحال واللقام واختلفت
إشارات الشيوع فى
ذلك وجود الاشتباه
لمسكان تشابههما

الؤمن من علة أوقلة أوزلة وقد روى **وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ الْفَرَسُ سَجَى وَلِلرَّضِ قَيْدَى** حبس بمن أحب من خلقه فإذا كان في الرض حبس عن الطعان وركوب المعاصي فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من مخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين **لإنسان كيف كنت بدى؟ قال في عافية قال إن كنت لم تمس الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوا من النصبة ماعوفى من عصى الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد ماهذا الذى أظهروه ؟ قالوا ياأمير المؤمنين هذايوم عيدهم فقال كل يوم لايمسى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ماأراكم ماعبون - قيل الموافق - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالعافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون - أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصده له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لهنه الله ولوأخذته الشقيقة يوما لتفاته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم **«أكثرنا من ذكر هادم اللذات (١)»** وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للفسوف ، وقال تعالى - أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون - قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها ، ويحال إن العبد إذا مرض مرستين ثم لم يقب قال له ملك الموت ياظفل جاهد منى رسولك بمدرسول فلم تجب ، وقد كان السلف قلبك يستوحشون إذا خرج عام ولم يحابوا فيه ينقص في نفس أو مال وقالوا لاخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بيلة حتى روى أن عمران بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن ترضى فطلقها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم **«عرض عليه امرأة فحسكى من وصفها حتى م أن يتزوجها ، فقيل وانها مامرست قط ، فقال لاحاجة لي فيها (٢)»** . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، وقال رجل والصداع ماأعرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا (٣)» لأنه ورد في الخبر **«الحى حظ كل مؤمن من النار (٤)»** . وفي حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما **«قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة (٥)»** . وفي لفظ آخر **«الذى يذكر ذنوبه يحترمه ؛ ولاشك في أن ذكر الموت على المرضى أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة تركالحقيقة وزوالها إذأرواأنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التداوى هسانا وكيف يكون هسانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم****

في قسمها وتدخلهما
فترامى للبيض الثنى
حالا وترامى للبيض
مقاما وكلا الرؤيتين
صحيح لوجود تدخلهما
ولا بد من ذكر ضابط
يفرق بينهما على أن
اللفظ والبيان عنهما
مشتر بالفرق فالحال
مضى حالحوه والتمام
مقاما لثبوت واستقراره
وقد يكون الثنى
بعبه حالاً ثم يصير
مقاما مثل أن يثبت
من باطن العبد داعية
الحاسية ثم تزول
الداعية بقلبة صفات
النفس ثم تعود ثم
تزول فلا يزال العبد
حال الحاسية يتأهده
الحال ثم يحول الحال
يظهر صفات النفس

(١) حديث أكثرنا ذكر هادم اللذات الترمذى وقاله حسن غريب والنسائي وإن ماجه من حديث أنى هريرة وقد تقدم (٢) حديث عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى م أن يتزوجها قيل فانها مامرست قط فقال لاحاجة لي فيها أحمد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأمجاع كالصداع وغيره ، قال رجل والصداع ماأعرفه فقال إليك عني الحديث أبو داود من حديث عامر البرام أخى الحضر [١] بنحوه وفي إسناد من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البراز من حديث عائشة وأحمد من حديث أنى أمامة والطبرانى في الأوسط من حديث أنس وأبو منصور والبيهقى في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وانها حسان (٥) حديث أنس وعائشة قبل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟

[١] الحضر : طعن من محارب بن خصفة .

(بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء ، فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والصد عند تبخخ الدم . فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلذغه القرب أو الحية فلا ينجم عن نفسه ، إذ الدم يلدغ الباطن والقرب تلذغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ الملقح الماء ولدغ الجوع بالحبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا لاقل به ، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ، وبدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فاتهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الجابية بلتهم الجرب أن به موتا عظيما وباء ذريعا فافترق الناس فرقتين ، قال بعضهم لا ندخل على البوابة فنلتى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نهر من الموت فشكلوا كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت - فرجموا إلى عمر فسألوه عن رأيه ، فقال ترجع ولا ندخل على البوابة ، فقال له المخالفون في رأيه : أضر من قدر الله تعالى ؟ قال عمر نعم نضر من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، فقال : أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فھبط واديا له شعتان : إحداهما حصبة ، والأخرى مجدبة أليس إن رعى الحصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال عندي فيه يأمر المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أنه أكر قال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وإذا سمعتم بالبوابة في أرض فلا تدموا عليه وإذا وقع في أرض وآتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ^(١) فصر عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس ، فأذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أصل القمات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل . فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه البوابة ، وسبب البوابة في الطلب الهواء وأظهر طرق التداوى الفرار من الضرر والهوا هو للضرر فلم يرمخص فيه ؟ . فأعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن الضرر غير منهي عنه ، إذ الحجامة والقصد فرار من الضرر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على القصد ولكن الذي يتقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء آثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر البوابة على الظاهر إلا بعد طول التأخير في الباطن فالخروج من البلد لا يخص غالبا من الأثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس اللوهمات كالرق والطيرة وغيرها ، ولو تجرد هذا إلى إمكان مناقضا للتوكل ولم يكن منيا عنه ولكن صار منيا عنه لأنه أضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأشخاص في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقصدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقصدوا التمددين ولم يبق في البلد من يستقيم الماء ويطمعهم الطعام وهم يسمرون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقينا وخلابهم منتظر

فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة لم أقف له على إسناد ^(١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمعت بالبوابة في أرض فلا تدموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه بلتهم بالشم وباء الحديث رواه البخاري .

إلى أن تداركه
المعونة من الله الكريم
ويقلب حال الحاصية
وتستغفر النفس
وتتغلب وتذل كما
الحاصية تصير الحاصية
وطهروا ستره ومقامه
فيصير في مقام الحاصية
بعد أن كان له حال
الحاصية ، ثم ينازله
حال الرابضة ، فمن
كانت الحاصية مقامه
يصير له من الرابضة
حال ، ثم يحول حال
الرابضة لتناوب السهو
والنفقة في باطن العبد
إلى أن ينشعب صباب
السهو والنفقة ويتدارك
الله عبيده بالمنة
تصير الرابضة مقاما
بعد أن كانت حالولا
يستقر مقام الحاصية

قراره إلا بتأول حال
المراقبة ولا يستقر مقام
المراقبة قراره إلا بتأول
حال المشاهدة فإذا
منع العبد بتأول حال
المشاهدة استقرت
مراقبته وصارت مقامه
ونازل المشاهدة أيضاً
يصكون حالاً محمول
بالاستتار ويظهر
بالتجلى ثم يصير مقاماً
وتخلص نفسه عن
كسوف الاستتار ثم
مقام المشاهدة أحوال
وزيادات وتزقيات من
حال إلى حال أعلى
منه كالمتحقق بالبقاء
والتخلص إلى البقاء
والترقى من عين
اليقين إلى حق اليقين
وحق اليقين نازل
بحرق شفاف القلب
وذلك أعلى فروع

كان أن خلاص الأسماء منتظر فلما قاموا لم تكن الإقامة قاطمة بالوت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطما
بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين واللسون كالبقيان يشد بسنه بضال المؤمنين كالجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الهدى يتقدم عندنا في تعبد التمس ويتكسب
هذا فيمن لم يقدم به على البه فانه لم يؤثر الهواء في باطنه ولا بأهل البه حاجة إليهم، ثم لو لم يرق
بالبه إلا مطعون وانفروا إلى الشهداء وقدم عليهم قوم قريباً كان يتقدم استجاب الدخول هنا
لأجل الاعانة ولا يهين عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم في رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين،
وهذا شبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الخرف (١) لأن فيه كسراً لقلوب بقية
المسلمين وسما في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض
عنده أكثر مامنه وغلط البعاد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك .
فان قلت ففي ترك التدوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التدوى لينال
الفضل ؟ فقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكرها وأخاف على نفسه طيناً العافية وغلبة
الشهوات أو احتاج إلى ما يذكره للوت لقلبة النفة أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن
مقامات الفرائض والتوكلين أو نصرت بصيره عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف
النافع حتى صار في حقه موهوماً كالرأي أو كان شغفه بالله يمنعه عن التدوى وكان التدوى يشغفه عن
حاله لينفضه عن الجميع فإلى هذه الماني رجعت الصوارف في ترك التدوى وكل ذلك كالات بالإضافة
إلى بعض الحلق وقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من
هذه المقامات كلها إذا كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب
وقدحاه فانه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى سبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم تعرضه الأسباب
كما أن الرغبة في المال تقص والحاجة في المال كراهية له وإن كانت كالات فلا هي أيضاً تقص بالإضافة
إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الحجر من الذهب دون
الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب وعدمه وكان لا عسكه لتعلم الحق مقام الزهد
فانه منتهى قوتهم لالحوقه على نفسه من إمساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تترده الذبابة، وقد عرضت
عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لئلا تلهي
المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيماً لأمتة فيما تمس إليه حاجتهم
مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك يعظم ضرره، نعم التدوى لا يضر إلا من حيث رؤية
الدواء نالاً دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصد به الصحة ليستأن بها على المعاصي
وذلك منتهى عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نالاً بنفسه
بل من حيث إنه جملة الله تعالى سبباً للنفع كما يرى الماء مروياً ولا يجز شرباً حكم التدوى في
مقصوده كحكم الكسب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن
اكتسب لتنتم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعنى التي أوردناها أن ترك التدوى قد يكون أفضل في
بعض الأحوال ، وأن التدوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الخرف رواه أحمد بن حنبل في حديث عائشة بإسناد جيد
ومن حديث جابر بإسناد ضعيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبها
تهدم ونظرة عرضت عليه مغابيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنبات وأن واحدا من الفعل والتارك ليس شرطا في التوكل إلا ترك الوجودات كالسكنى والرق فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يلبق بالتوكلين .

(بيان أحوال للتوكلين في إظهار المرض وكنائه)

اعلم أن كنهان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر . وهو من أجل اللقائات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكنائه أسلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار لأبأس به إذا صحت في البنية والقصود ومقاصد الاظهار ثلاثة : الأول أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لافي معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرته تعالى ، قد كان بشر يصف لعبد الرحمن الطبيب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل غير بأمرض يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لعير الطبيب وكان من يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالتم . قال الحسن البصري : إذا حاد المريض لله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك عجزه وانقاره إلى الله تعالى وذلك يحسن من تلقى به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روى أنه قيل لعلى في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فظفر بهضم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أجهل على فقه ؟ فأجب أن يظهر عجزه وانقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتاديبه بأرب التي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى في البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم : لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية (١) » فبهذه النبات برخص في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كاذر كرت في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة وبصر الاظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لعدم الله تعالى فان خلا عن قرينة السخط وعن النبات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه قصع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلنا فلاوجه في حقه للاظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى القضاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله - فصر جيل - لا شكوى فيه ، وقيل ليعقب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحران فأوحى الله تعالى إليه : فغرضت لشكواى إلى عبادى فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالا يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أن ين المرض لأجل إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس لئنه الله من أجوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه فجعل الأنين حظه منه ، وفي الخبر إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لواءه فان حمد الله وأثنى غير دعواه وإن شكا وذكر شرا فلا كذلك تكون (٢) » وإنما كره بعض الباء العادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل ووهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أشتهى أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل المواد رضى الله عنه وعنه أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال قد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لواءه الحديث تقدم .

لشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانا ياتر فلي » قال سهل بن عبد الله القلب بجويشان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسوداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النطق والعين وهو صقال الموضع بخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبت الأشعة المحيطة بالمرئيات هكذا تنبت من نظر العقل أشعة المعلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفيق .

﴿ كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي زده قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا وقصرته ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرة ، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ، ثم نحل لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأنوار معرفته ، ثم كشف لهم عن مبعثات وجهه حتى احترقت بآرعبته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فسلما اهترت لملاحظة كنهه الجلال غشها من الدهش ما غبر في وجه القفل وبصيرته ، وكلاهما بالانصراف آسية نوديت من سرادقات الجلال بمرآة الأيسر عن نيل الحق بجعله وحجته ، فقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرق في بحر معرفته ، ومعتزلة بنار محبته . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من اللقائات والقدرة الملبان من الدرجات لها بعد إدرالك المحبة مقام الإلاهو منجزة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام الإلاهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عر وجودها فلم نخل القلوب عن الإيمان بامكانها ، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكسر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا الواظية على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة بحال إلا مع الجنس والمثال ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولقد للناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجهه تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب للقوية لطلب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأهتمام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للبعد ثم القول في علامات محبة البعد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكرهه المعاصي لاتناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

(بيان شواهد الشرع في حب البعد لله تعالى)

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجود له وكيف يغسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وشجرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعده ذلك بطبع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يحبه ويحبه - وقوله تعالى - والذين آمنوا أهدى بهم - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين الثقفي وبارسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان قال إن يكون

القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى المطايا وأعز الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة حكمة الأجر من التراب إذ يكون ترابا ثم طيناً ثم لبناً ثم أجراً فأشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالأطعم ثم القيام كالعين ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا تستكتب سميت كل المواهب من الوازل بالبعد أحوالا لأنها غير مقدورة

(كتاب المحبة والشوق والرضا)

الله ورسوله أحب إليكم مما سواهما^(١) وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(٢) وفي حديث آخر لا يؤمن البصير حتى يكون الله أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين^(٣) وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبنؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في مرض التهديد والانسكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمغبة فقال «أحبوا ما بينكم وبين نعمه وأحبوا حب الله إياي»^(٤) وروى «أن رجلاً قال لرسول الله إنني أحبك فقال ﷺ: استمد لغيري فقال إنني أحب الله تعالى قال استمد لبلادي»^(٥)

وعن عمر رضي الله عنه قال «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير قبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به قال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه قد أدركته بين أيديه بذنوبه فأطيب الطعام واشرب فدمع حب الله ورسوله إلى ماثون ﴿٧﴾ وفي الخبر المشهور «إن إبراهيم عليه السلام قال لك اللوت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خليلا يمت خلدك فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت حيا بكركه لقاء حبيبه قال يملك اللوت الآن فأقبض ﴿٨﴾ وهذا لا يجده إلا عبد حب الله بكل قلبه . فإذا علم أن اللوت سب الله أزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حيك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حيك واجعل حيك أحب إلي من الماء البارد ﴿٩﴾ » وجاء أغراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أن أحب الله ورسوله قال الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الزم مع من أحب ﴿١٠﴾ » قال أنس فلما رأيت المسلمين فرحوا بي» بعد الإسلام فرحم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى فغف ذلك من طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا ذهبها للؤمن لا يلهو عن خيل فإذا غشرك حزن . وقال أبو سليمان النعماني

(١) حديث أبي زرير القيلي أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد بزيادة في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لا يؤمن البعد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نسي قال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك قال عمر فأتى الآن والله أحب إلي من نفسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أجوا الله لما يذكركم به من نمته الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك فقال استمد لفتقر الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فأعد لفتقر تخفا دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كفيش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية باستاد حسن (٧) حديث ابن إبراهيم قال الملك الموت إجماعه ليعين روحه هل رأيت خلايا يقبض خلية الحديث لم أجده إلا أصلا (٨) حديث اللهم ارزقني حيك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه .

لأبدي بكية فأقبلوا
 القول وتداولت ألسنة
 الشيوع أن القمامات
 كسكب والأحوال
 مواهب وعلى الترتيب
 الذي درجنا عليه
 كلها مواهب إذ
 الكسب محفوفة
 بالمواهب وللواهب
 محفوفة بالكسب
 فأحوال مواجيد
 والقمامات طرق الواجيد
 ولكن في القمامات ظهر
 العكس وبطنت
 الوهاب وفي الأحوال
 بطنت الكسب وظهرت
 الوهاب فأحوال
 مواهب علوية حمولة
 والقمامات نزلها حولة
 أمير المؤمنين بن علي
 أبي طالب رضي الله
 عنه سألني عن طرق

إلى من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من الصميم عه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . وروى
أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغكم بهذا
فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد نحولا
وتغيرا فقال ما الذي بلغكم بما أرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يطمح ما جاوزهم ثم
جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرآة من النور فقال ما الذي بلغ
بكم ما أرى قالوا حب الله عز وجل فقال أنتم للقرىون أنتم للقرىون أنتم للقرىون . وقال عبد الواحد بن زيد
مرت برجل قائم في الناج قلت أما بعد البرد فقال من شغلته حب الله لي مجلد البرد . وعن سري السقطي
تدعى الأمم يوم القيامة بأنيابها عليهم السلام فقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير
المحبين لله تعالى قائم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا . وقال هرم
ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلوة الأقبال إليه
لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين القفرة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة .
وقال يحيى بن معاذ غفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وجه
يدهش العقول فكيف ودهودده بنش مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبدي أنا وحكك لك
عجب دبحي عليك كن لي عبدا . وقال يحيى بن معاذ إلى أبي مقيم بغائك مشغول بذائك صغيرا أخذتني إليك وسرلتني
بمركك وأمكنك من لطفك وتقتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال سترأ وتوبة وزهدا وشوقا ورضا
وحبا تسقين من حياضك وتهلني في رياضك ملازما لأمرك ومشغوقا بقولك ولما طر شاربي ولاح
طأري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك ددته
وبالضراعة إليك هممة لأنني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد
في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاضر وذلك أمر ظاهر وإعماله مضمون
في تحقيق معناه فانشغل به .

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن الطلب من هذا الفصل لا يكتشف إلا معرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها
ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن نتحقق أنه لا يتصور محبة إلا
بعد معرفة وإدراك إدراك لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جاد بل هو من
خاصية الحى المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك وبلاته وبقده وإلى
ما ينافيه وينافره وبؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بلباسه وإدراكه فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو من استغاث لم ولذة لا بوصف
بكونه محبوبا ولا مبغوضا فاذن كل لذة في محبوب عند اللذة ومعنى كونه محبوبا أن الطبع ميل إليه
ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء اللذ فان تأكد
ذلك الميل وقوى سعى عشقا والقبض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوى سعى متفانها
أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للدراك
والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فاسلك حاسة إدراك نوع من المدركات
ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع
لتنظيم لذة العين في الابصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور اللطيفة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في
السماعات اللطيفة واللوزنة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الدوق في الطعوم ولذة اللس في اللين والنعومة

السموات فأنى أعرف
بها من طرق الأرض
إشارة إلى اللغات
والأحوال فطسرق
السموات التوبة والزهد
وغير ذلك من اللغات
فان السالك لهذه
الطرق يصير قلبه
سماويا وهي طرق
السموات ومتمثل
البرصحات وهذه
الأحوال لا يتحقق بها
إلا ذو قلب سبوى .
قال بعضهم الحال هو
الذكر الحقيق وهذا
إشارة إلى شيء مما
ذكرناه وصفت الشايع
بالعرف يقولون الحال
ما من الله فكل
ما كان من طريق
الانكسار والأعمال
يقولون هذا ما من
العبد فاذا لاح للرعد

ولما كانت هذه الدركات بالحواس ملقة كانت محبوبة أى كان لطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» (١) ونفسى الطيب محبوا ومعلوم أنه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم قسط وسعى النساء محبوبات ولا حظ فبين إلا للبصر والنس دون الشتم والدوق والسمع وسعى الصلاة قرّة عين وجعلها بلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنة القلب لا يدرك إلا من كان له قلب وولدت الحواس الخمس تشترك فيها البهائم الإنسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصية الإنسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالثور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاققة فيه وهيئات فالصورة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال للعاني للدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة لا يصر فتكون لامحالة لغة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا لايل إلى ما في إدراكه لأنه كما سيأتى تفصيله فلا يشكر إلا من حب الله تعالى إلا من قد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأمر الثالث : أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا بما قد يشكل على الصفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى الحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلينبذ أسباب المحبة أو أسماها ويأبى أن المحبوب الأول عندك على نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللاتم للحب وأى شيء أتم ملامة من نفسه ودوام وجوده وأى شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخاف من الموت ولا مجرد الخضر من سكرات الموت بل لو اختلفت من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يجب الموت والعدم المحض إلا لخاصة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى بلاء فنجوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالحلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكأن الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقده للسكالك والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والحلاك والعدم ممقوت في الصفات وكأن الوجود كما أنه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات السكالك محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطبع بحكم سنة الله تعالى - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول الإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آلة في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لآلياتها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكأله بها حتى إنه يحب ولده وإن كان لا يئانه منه حظ بل يتحمل للشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاءه له نوع بقاء له فافترض حبه لبقاء نفسه يجب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابتداء . ثم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث الثامن من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم .

شيء من الواهب والواجب قالوا هذا مامن الله ومحبه حلال إشارة منهم إلى أن الحال موهبة . وقال بعض مشايخ خراسان الأحوال موارث الأعمال . وقال بعضهم الأحوال سكال بروق فان بقي غديت النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الإطلاق وإنما يكون ذلك في بعض الأحوال فانها تستغرق ثم تسلبها النفس فأما على الإطلاق فلا والأحوال لا تنجز بالنفس كالمهسن لا يسترجع بماله . وذهب بعضهم إلى أن الأحوال لا تنكون

لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء الحق وكذلك حبه لأخيه وعشيرته يرجع إلى حبه لكل واحد نفسه فانه يرى نفسه كثيرا لهم قويا بينهم متجسلا بكلمهم فان العشرة والمال والأسباب الخارجية كالجنح المكلل للانسان وكال الوجود ودوامه محبوب الطبع لاهلته فاذن المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب السبب الثاني: الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وقال رسول الله ﷺ «اللهم لا تجعل لنا جرحا على يدا فيحبه قلبي» (١) إشارة إلى أن حب القلب للحسن اضطرار لا استطاع دونه وهو جبة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وهذا السبب قد عجب الانسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فان الحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول المخطوط على ما يبتغى الوجود إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما الحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطيب الذي يكون سببا في دوام حبة الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لاقادته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه حبيب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والله تائير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والتائير محبوب لأنها وسيلة إلى الطعام فاذن يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة والإفكاح واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فأحب ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فضل من أفضاله لو زال الحب مع بقاء ذاته تحقيرها ولو هضم الحب ولو زاد وابتدع إلى الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان وهنائه . السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظها وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوق بدمائه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لتغيرها ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة للذة أخرى تدفع الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا لذبة فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والحفزة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الحفزة أوثانها حفظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبه الحفزة والماء الجاري (٢) والطعام السليمة قاضية باستداذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار الملحة الألوان الحسنة النفس المتشابهة الشكل حتى إن الانسان لتفرج عنه الصوم والمعموم بالنظر إليها لالطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملحة وكل لذبة محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لاهلته محبوا عند من انكشفته جماله وجلاله كقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال» (٣) .

[الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المهبوس في مضيق الحيات والمهوسات

(١) حديث اللهم لا تجعل لكافر على يدا فيحبه قلبي أبو منصور الدبلي في مسند القردوس من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعصبه الحفزة والماء الجاري أبو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الحفزة وإلى الماء الجاري وإنسانه ضعيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود.

إلا إذا دامت فأما إذا لم تتم فهي لوائح وطوال وبودروهي مقدمات الأحوال وليست بأحوال . واختلف الشايع في أن البعد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل إحكم حكم بقاءه . قال بعضهم : لا ينبغي أن ينتقل عن الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه . وقال بعضهم : لا يكمل المقام الذي هو فيه إلا بعد ترقية إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى مادونه من المقام فيحكم أمر مقامه . والأولى أن يقال والله أعلم : الشخص في مقامه يعطى حالا من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلق والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحرارة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإصرار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متولنا بقدر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لثمة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقه وامتزاج البياض بالحرارة فإنا نقول هذا خطئ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إمام حسن فأى معنى لحسن الصوت والخطوسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن المعنى تستند بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستند استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فلهذا لم يمتزج الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من أثبت عنه وهذا البحث بطول ولا يليق به العامة الاطّاب فيه فصرح بالحق ونقول كل شيء لمجماله وحسنه وإن كان يحضر كاله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كالاته للممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كثر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقابل يقبضه منه حسن كل شيء في كاله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الألوان بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فإنا قلنا فلهذا الأشياء وإن لم تدرك جميعها يحسن البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها ففى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بأدراك حسنها وإنما ينكر ذلك في غير الإدراك للحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ فى هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والورع وسائر خصال الخيرية من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والوصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاتها وذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصالحة رضى الله تعالى عنهم جميعا ثم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد المشق فيحمله ذلك على أن يفتن جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه وبخاطر يروحه في قتال من يظن في إمامه ومتبعوه فكيف دم أرق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعى مثلا فلم يحب ولم يشاهده قط صورته ولو شاهده رعا لم يستحسن صورته فاستحسنه الذى حمله على إفراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد تأملت ترابا مع القرب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزاة العلم والأحابة بعادرك الدين وإنهائه لأفاده علم الشرع ولشهره هذه الخيرات فى العالم هذه أمور جميلة لا يدرك بالحواس البصيرة فأما الحواس قاصرة عنها وكذلك من يحب أبابكر الصديق رضى الله عنه ويفضله على غيره أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجهه وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وأنعم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات الحمودة التى هى مصادر السير الجميلة فكانت الحب باقيا

مقامه الأهل الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء إلى البعد أنه يرتقى أولا يرتقى فإن البعد بالأحوال يرتقى إلى المقامات والأحوال مواهب ترقى إلى المقامات التى يخرج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للبعد لمن مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب رقى إليه فلا يزال البعد يرتقى إلى المقامات زائدا للأحوال فلي مذكراته يتضح تتداخل المقامات والأحوال حتى التوبة

بقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع مجملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بغير شهواته فجميع خلال الخير ينشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحسّ وعلمهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوا لأجله ، فاذن الجلال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجليلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حيا فالمحسوب مصدر السير الجليلة ، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الثمينة ، وترجع مجملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الحقّ وطبعه إذا أردنا أن نجيب إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يشاك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حبّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لأنه الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن والفتاوى التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتمًا بالسَّخاء ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحبهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ بئانه الحب منهم بل إذا حكم من سيرة بعض اللوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حب على القلوب مع البأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبه المزار ونأى الديار ، فاذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى الحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة واطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبا ولا يميل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للعلماني الباطنة أكثر من حبه للعلماني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : النجابة الحفية بين الحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال صلى الله عليه وسلم « لما عارف منها انتلف وماتنا كرمها انتلف »^(١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعجة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضا من محباب أسباب الحب ، فاذن ترجع أنساب الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الإنسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه بما يرجع إلى دوام وجوده ويسعى على بقاءه ودفع المللكت عنه وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ماهو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فواجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كالأول كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الحلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوا لاحتالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فلتبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام . قال أبو غانم الجبيري منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ، أشار إلى الرضا ويكون منه حالاً ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالازحار أولا . قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا الانتباه من الغفلة ليرده إلى اليقظة فاذا تيسفت أعصر الصواب من الخطأ .

(١) حديث لما عارف منها انتلف مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصعجة .

(بيان أن الاستحقاق للمحبة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله انذلك لجهله وتقصوره في معرفة الله تعالى وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وعحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن يرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها خمسة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره إلا أحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم تخيل ، وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضفاء القول والقلب من استحالة حب الله تعالى حقيقياً وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وجاءه وكاله ودوام وجوده وبضه لهلاكه وعدمه وقصائه وقواطع كاله فهذه جبهة كل حى ، ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكاله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المبتدع الوجود له وهو للبق له وهو الشكل لوجوده بخلاف صفات الكمال وخلق الأسباب للوصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرفاً لاضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك غيب وجوده لولاضل الله عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بتد لوجود لولاضل الله عليه بالتسكيل لخلقه . وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا اليوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يجب التبدد لوجوده وللديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومعتزلاً بقيماً وقبوماً بنفسه ومقوماً لغيره فإن كان لا محبة فهو لجهله بنفسه وربه والمحبة ثمرة المعرفة فتعتمد بالاندامها وتضعف بضعفها وتزوى بقوتها وذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الله نازهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن السكلم آثار قدرته ووجود السكلم تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفاقصمها أو موجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احترازا عند وقوع القابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وهبها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الترض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فله من بقوامه وألوهيته ثانياً في أصاها وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه باضطرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلعت هذا الحب فلا تهاشغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالفه فلم يرفعه حق معرفته وقصير نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم بالشهادة الذى يشترك البهايم في التسم به والانتفاع فيه دون عالم المسكوت الذى لا يطرأ ربه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربته في الصفات من الملائكة ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهايم.

وقال بعضهم : الزجر ضياء القلب يصير به خطأ قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق السلم وزجر من طريق العقول وزجر من طريق الآيمان فينازل التائب حال الزجر وهى موجهة من الله تعالى تخوده إلى التوبة ولا يزال بالبسد ظهور هوى النفس بمحو آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتسير مقاماً وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد بنزلة حال توبه قلة ترك الاعتغال بال دنیا وتبجح له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواسمه بما له ولطافه بكلامه وأمدّه بمعموته وانتدب
 لصرته وقبح أعداءه وقام بدفع شرّ الأشرار عنه وانتهى وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في
 نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاجتماع هذه وهذا بينه يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى فانه
 لو عرف حق المعرفة لعل أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فلست
 أعددّها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد
 أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا نقصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير
 متصور إلا بالإنجاز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنهم عليك بجميع خزانته ومكنك
 منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به
 وبماله ويقدرته على المال وبتدبيره بالعبادة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق
 ماله وخلق قدرته وخلق إرادته ودأبيه ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه
 أن صلاح دينه أودنيه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلب الله
 عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أودنيه في أن يسلم إليك ماله كان متهورا مضطرا
 في التسليم لا يستطيع مخالفته فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباغية
 للرقة إلى القتل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرا
 مجرى الماء في جريان الماء فيه فان انتقدته حسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه حسن لامن
 حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما
 الاحسان إلى غيره فمحال من المخالفين لأنه لا يبدل ماله إلا للعرض له في البذل إما أجل وهو الثواب
 وإما عاجل وهو للذة والاسترخاء أو التناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو مجذب قلوب الخلق
 إلى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان
 إلا للعرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فلست مقصودا بل بذلك آله في القبيض
 حتى يحصل غرضه من الذكر والتناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخر منك القبيض
 للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومتناش بمحابلته من ماله وعوضا هو أرحح عنده
 من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عندنا لما نزل عن ماله لأجل أصل البتة فاذن هو غير مستحق للشكر
 والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسلط الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى
 خازن الأمير فانه لا يرى محسنا بتسليم خزمة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة
 والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولوخلاؤه الأمير ونفسه ما سلم ذلك فكذلك كل محسن
 لو خلاؤه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلب الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظنا دينا
 ودنيا في بذله فبدله لذلك . والثاني أنه متناش بمحابلته خطا هو أوفى عنده وأحب بمحابلته فكذا
 لا يعد البائع محسنا لأنه بذل بموس هو أحب عنده بمحابلته فكذلك الواهب اعتناش الثواب
 أو الحمد والتناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا متوليا بل الحظوظ كلها
 أعراض تستحق الأموال والأعيان بالإضافة إليها فلا حسان في الجود والجود هو بذل المال من
 غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحسانا
 إليهم ولأجلهم لا حظ وعرض يرجع إليه فانه يتعالى عن الأغراض فانظ الجود والاحسان في حق
 غيره كذب أو مجاز ومناش في حق غيره محال ومتمنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد
 بالجود والاحسان والطول والامتداد فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله

فدعوا أرحاله بدلالة
 شره النفس وحرصها
 على الدنيا ورؤية الحاجة
 حتى تتداركه للموت
 من الله الكريم فيزهد
 ويستتر زهده ويصير
 الزهد مقامه ولا تزال
 نازلة حال التوكل تنزع
 باب قلبه حتى يتوكل
 وهكذا حال الرضا حتى
 يطمئن على الرضا ويصير
 ذلك مقامه وهما
 لطيفة وذلك أن مقام
 الرضا والتوكل يثبت
 ويحكم ببقائه مع وجود
 داعية الطبع ولا يحكم
 ببقاء حال الرضا مع
 وجود داعية الطبع
 وذلك مثل كراهة
 مجدها الراضع بحكم
 الطبع ولكن عليه
 بمقام الرضا بغير حكم

تعالى إذ الاحسان من غيره محال فهو السحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك الحسن في نفسك وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه إذا بئلك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متطابق بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وملكك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متبكت شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وتفرقة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني لا تعطاع طمدك عن التوغل إلى بلادها فهذا حب الحسن من حيث إنه محسن فقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا إلا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن إلى الكافة والتفضل على جميع أصناف الخلائق أولا بإيجادهم وثانيا بتكليمهم بالأعضاء . والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بترفيهم وتيسيمهم بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجديهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ومثال الضرورى من الأعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال التزينة مستقواس الحاجبين وحرمة الشفتين وتلوذ اللينين إلى غير ذلك مما لو فات لم يتخزم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورى من التم الحاجبة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة المواءم واللحم والفواكه ومثال اللزوم والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار وقائد الفواكه والأطعمة التي لا تتخزم بدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى القرش فاذن هو الحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه القوة لتثيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه القوة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جبل لذات الجمال لاحظ ببال منه وراء إدراك الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة للدركة وبين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصرة والأول يدركه البصائر والبالهائم والثاني يغشى بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشاهدة حب الأنبياء والماء وذوى الكرام السنية والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسفر الأعضاء وهو الراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، ثم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافى رحمة الله عليه فلا يحجم إلى الحسن مظهره منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف الصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش القماش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجمل وكذا القدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل الدوامات هو الله تعالى فلا جرم أحسن المعلوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهر حكم
الطبع في وجود
الكراهية القسورة
بالعلم لا يخرج عن
مقام الرضا ولكن يفقد
حال الرضا لأن الحال
تجردت موهبة آخرت
داعة الطبع فقال
كيف يكون صاحب
مقام الرضا ولا يكون
صاحب حال فيه والحال
مقدمة المقام واللقاء
أثبتت قول : لأن المقام
لما كان مشوبا بكسب
البعد احتمل وجود
الطبع فيه والحال لما
كانت موهبة من الله
زهدت عن مزج الطبع
بحال الرضا وأصناف مقام
الرضا أصناف ولا بد
للمقامات من زائد
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك بمقاربه ومختم به فشره على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات الصديقين القدين تحميم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور - أحدها علمهم بالله وملاصقته وكتبه ورسله وشرائع آياته . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة . والثالث تزهيمهم عن الرذائل والجائث والشهوات الغالية الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يحب الأتقياء والمعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأُنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأُنسب علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بكل إحاطة خارقة عن النهاية حتى لا يبرز عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الحاقى كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بوعنة لم يطعموا على عشر عتير ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم فتعيلمهم عدوه كما قال تعالى - خلق الإنسان علمه البيان - فإن كان جمال العلم وشرقه أمراً محبوا وكان هو في نفسه زينة وكلاهما موصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلمهم العلماء جمل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجمل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجل وبترك العلم وإن كان الأجل لا يخلو عن علم ما تقتضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجملهم لأن أعلم لا يفضل الأجل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجل بالسكس والاجتهاد وأفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الحاقى متناهية . وأما صفة القدرة: فهي أيضاً كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه للبدن حتى إن الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخاله رضى الله عنها وغيرها من الشجاعات وقدرتها واستيلائها على الأقران فيصادف في قلبه اهترأزا وفرحاً وإرتياحاً ضرورياً بمجرد لذة الباع فضلاً عن المشاهدة ويورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كإلى على قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكاً وأقوامهم بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقهم لحايات النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مامتني قدرته وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا نقلاً بل لا يقدر على حفظ عينه من الممى ولسانه من الحرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج إلى عدم ما يسجن عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متماق قدرته فضلاً عما لا تماق به قدرته من ملكوت السموات وأقلاً كهاوكأها الأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع الأجزاء المتألفة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالقها وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولوسلط جوصا على أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إن أمكننا لأهلكه فليس لعبد قدرة إلا بشمكن مولاة كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إن أمكننا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بشمكن الله تعالى إياهم فمن الأرض والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غير من تلك القدرة ثم تلك العبرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل أن يحب عبداً من عباده تعالى لقدرة تومسياسه وتمكينه واستيلائه وكما قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا
تخرد للمقامات دون
سابقة الأحوال . وأما
الأحوال فإنها ما يصير
مقاماً ومنها ما لا يصير
مقاماً والسر فيه
ما ذكرناه أن السكس
في التامظهر والوهبة
بطنت وفي الحال ظهرت
للوهبة والسكس
بطن فساكن في
الأحوال للوهبة غالباً
لم تنقصد وصارت
الأحوال إلى مالاتهاية
لها ولطف سسنى
الأحوال أن يصير مقاماً
ومقدورات الحق غير
متناهية ومواهب غير
متناهية ولهذا قال
بعضهم لو أعطيت
روحانية عيسى وكلمة
موسى وخسلة إبراهيم

الفاهر والعالم القادر السموات معلويات يمينه والأرض وملكيها وماعليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكيه ذرة وإن خالق أمثاله ألف مرة لم يمس بخلقها ولا يمس له لوب ولا نور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا وهواؤه من آثار قدرته فله الجبال والبهائم والطيور والكسبية والقهر والاستبلاء فإن كان يتصور أن يحب قادر لسكالك قدرته فلا يستحق الحب بكالك القدرة سواء أصلا . وأما صفة التزه عن العيون والقائض والتفدس عن الرذائل والحباث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجبال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون وإن كانوا متهيين عن العيوب والحباث فلا يتصور كالك القدس والتزه إلا لا واحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والأكرام . وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نفس وعن قائض بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين الميب والنقص فالكالك لله وحده وليس لغيره كالك إلا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور أن ينعم بتمتئ الكالك على غيره فإن تمتئ الكالك أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره فأما غيره وذلك محال في حق غيره فهو التفرد بالكالك التزه عن النفس القدس عن العيوب وشرح وجوه القدس والتزه في حقه عن القائض يطول وهو من أسرار علوم الكشافات فلا يطول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوا فلا تمت حقيقة ته إلاه وكالك غيره وتزته لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه قصانا كما أن الفرس كالا بالإضافة إلى الجمار وللإنسان كالا بالإضافة إلى الفرس وأصل النفس شامل للسكك وإغمايتاتون في درجات النفس ؟ فاذن الجليل محبوب والجليل المطلق هو القادر الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا متنازع له الفنى الذي لا حاجة له القادر الذى يفعل ما يشاء وعلم ما يريد لا راد لحكمه ولا مقب لقصاته العالم الذى لا يرب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض التاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفك من سطوته وبطشه رقاب القيامة الأزل الذى لا أول لوجوده الأبدى الذى لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذى لا يحوم إمكان المدم حول حضرته القيام الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجماد والحيوان والنبات التفرد بالعرز والجبروت للتوحد الملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهائم والجمال والقدرة والكالك الذى يتحير في معرفة جلالة المقول ونحرس في وصفه الألسنة الذى كالك معرفة المارقين الاعتراف بالجزع عن معرفته وتمتئ نبوة الأنبياء الاترار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم «جميعي لا أصح شئ عليك أنت كما أثبت على نفسك (١)» وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك إدراك سبحان من لم يعمل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، قلت شمرى من يسكر إمكان حب الله تعالى تحقيا وعمله مجازا أبتسك أن هذه الأوصاف من أوصاف الجبال والمحامد ونعوت الكالك والمحسن أو يسكر كون الله تعالى موصوفا بها أو يسكر كون الكالك والجبال والبهائم والطيور محبوا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العيان غيره على جماله وجلاله أن يطلع عليه لإمن سيقته له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الحاسرين في ظلمات العمى يبهون وفي مساحر المحسوسات وشهوات البهائم يترددون بملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يملكون . فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أود الأوداء إلى من عبدي بغير نوال لكن ليمطى الربوبية عنها ، وفي الزبور : من أظلم بمن

(١) حديث لأحصى شئ عليك أنت كما أثبت على نفسك تقدم .

عليه السلام لطلب ماوراء ذلك لأن مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ولا تغطي الأولياء ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع البصير وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيمن أمر الحق تعالى لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه به على عدم القناعة وقصر باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام «كل يوم لم أزد فيه علما فلا يورك لي في صبيحة ذلك اليوم» وفي دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم ماصر عنه رأبي وضمف فيه

عبدى لجة أوتار لولم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ، ومريم عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد فعلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم مخلوقاً خفتم وعملوا قار جوتهم ، ومريم يقوم آخرين كذلك فقالوا نبيهم جباله وتمطياً لجلاله فقال أتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقوم وقال أبو حازم إنى لأستحي أن أعبد للثواب والثقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ، وفى الخبر «لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل» (١) وأما السبب الخامس لحب فهو للنسبة والشاكلة لأن شبه الله منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالخريف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالدلاح ، وهذا أمر تشبه به التجربة وتشبهه الأخبار والآثار كما استقصاه فى باب الأخوة فى الله من كتاب آداب الصلوة فليطلب منه وإذا كانت النسبة سبب المحبة فإن النسبة قد تكون فى معنى ظاهر كنسبة الصبي للصبي فى معنى الصبا وقد يكون خفياً فى معنى اطلاع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار إليه الصلى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فالعارف هو التناصّب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى للنسبة وباطنة لترجع إلى الشابهة فى الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء التبرة حتى يشعر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك فالتى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر بها بالاعتقاد والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قبل تخلقوا بأخلاق الله وذلك فى اكتساب حماد الصفات التى هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والخلق وإفاعة الخير والرحمة على الخلق والصلوة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنهم من الباطل إلى غير ذلك من مقامات الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمسكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب من النسبة الخاصة التى اختص بها آدمى فى اليوم إلى الله تعالى ، وبشأنك عن الروح قل الروح من أمر ربي - إذ بين أنه أمر ربى - ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى - إننا جعلناك خليفة فى الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بالملك النسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٢) حتى ظن القاصرون أن لصورته إلا الصورة الظاهرة للدركة بالحواس فشيروا وجسموا وصوروا تعالى الله عن أن يحاطوا بما يحاطون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام «مرست فى تدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فم تدم ولوعدت وجدتنى عنه» (٣) وهذه النسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على التواضع بعد إحكام القربى كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلى بالذواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمع الله الذى يسمع به وبصر الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به» (٤) وهذا موضع يجب قبض عنان القلب فيه قد

عملى ولم يتلقه نيق وأمنى من غير وعدته أحداً من عبادك أو خيرات ممطيه أحداً من خلقك فأنا رغب إليك وأشأك إياه فاعلم أن مواهب الحق لا تنحصر بالأحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى يتدف البحر دون قاعها وتنفذ أعداد الرمال دون أبعادها والله التملطى .

[الباب التاسع والخمسون فى الإشارات إلى القامات على الاختصار والإيجاز] أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو الجبب السهروردى رحمه الله قال أنا أو منصور بن

(١) حديث لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل (٢) حديث قوله تعالى مرست فى تدنى فقال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان الحديث تقدم (٣) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالذواقل حتى أحبه الحديث البخارى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا وحد النسابة إلى الأبعاد وقلوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وصل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الإله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتثليل واستحالة الأبعاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقول ، ولعل أبا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لأزلت أنزل من ودادك منزلا
تحرير الألباب عند نزوله

فلم يزل يعدو في وجهه على أجمة قد قطع صعبها وبقي أصوله حتى تشقت قدماء تورتوماوات من ذلك وهذا أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدا وأقلها وجودا ، فهذه هي المعلومات من أسرار الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا وإجازا وفي أعلى الدرجات لا في أدناها فكان للعقول القبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما أن العقول الممكن عند العبيان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير ملشركته إياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد وجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق للنقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشراكة إلى صفاته فهو المستحق إذ الأمل الحية والكمال المحبة استحقاقا لا إسما فيه أصلا .

(بيان أن أجل الذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم)

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن الذات تابعة للأدراكات والأشياء جامع لجملة من القوى والفرائد ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها فتقتضى طبيعتها اللذة خلقت له فان هذه الفرائد ماركبت في الإنسان عينا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في القلب والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والاشماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الفرائد عن ألم ولذتها بالإضافة إلى مدركاتها فتدرك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وتسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا مسمى للاشتغال بالأشياء فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كما إذا كذا في العالم أو افتقارها إلى خالق قديم حكيم موصوف بصفات إلهية ولستم تلك الفريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك بطرق المجادلة والظاهرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها إلهائهم وما يدرك معرفه الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تدم وهذه الغريزة خلقت ليتم بها حقائق الأمور كلها فتقتضى طبيعتها المعرفة والشم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرائد هو لذتها وليس غنى أن في العلم والمعرفة لذة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء خفيف يمت به وحتى إن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحديق بالعلم والنسج به في الأشياء الخفية قال عالم بالآب بالظن نجل خست لا يطيق السكوت فيه عن التمام ونطق لسانه بذكر ما به موكل ذلك لقرط لذة العلم وما يستشعره

خيرون إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن
علي بن محمد الجوهري
إجازة قال أنا أبو عمرو
محمد بن العباس بن
محمد قال أنا أبو محمد
عيسى بن ماعد قال أنا
الحسين بن الحسن
الروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا
الحسين بن جميل قال أنا
كثير بن سليم المدائني
قال سمعت أنس بن
مالك رضي الله عنه
قال أتى النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقال
« يا رسول الله إنني رجل
ذرب اللسان وأكثر
ذلك على أهل قتاله
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أين أنت من
الاستغفار فاني استغفرت الله

من كمال ذاته به فإن العلم من أخص صفات الروية وهي منتهى النكاح ولذلك يرتاح الطبع إذا أنقى عليه بالتداعى وغزارة العلم لأنه يستشعر عند صياغ الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحرارة والحيطة كلذة العلم بسياسة تلك وتدبير أحوال الخلق ولالذذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ومبكموت السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويغير بذلك مجده لئلا يؤان جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بواطن حال فلاح أحواله فإن أطلع على أسرار الوزير وتدبيره ومما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده والذمن علمه بأسرار الرئيس فإن كان خبيراً بواطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بواطن أسرار الوزير وكان تحمده بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وجه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألد المعارف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو لأجل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لأحالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء لأجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينا ومبدئها ومعيدها ومديرها ومربتها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجلال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بعبادى جلالها ومحاسن أحوالها وصفها الوصفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الروية والعلم بترتيب الأمور الهيئية المبطنة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات والذنا وأطيبها وأشرفها وأجلى ما تستشعر به النفس عند الاتصال به كلها والجواهر وأجدر ما يعظم به القرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم ليدنو أن ألد العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في ملكه من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أغنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالوع أولاً كمخالفة لذة الواقع لذة السماع ولذة المعرفة لذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المتعلم من الجماع لذة الفانز للشهوة كمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال لذة النظر إلى مادونه في الجمال وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة في غيرها فإن الخير بين النظر إلى صورة جميلة والتعجب بمشاهدتها وبين استنشاق روائح عطرية إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشرط طريح على اللعب وترك الأكل فعلم به أن لذة العلية في الشرط أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذة الرياضة والعلية والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذات للعين ولا للأنف ولا للذات ولا لللس ولا للذوق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى النكاح من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة السجاج السمين واللوزنج وبين لذة الرياضة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستبلاء فإن كان الخير خسيس المهمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللعوم والحلاوة وإن كان على المهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والعبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة فاختاره للرياسة بدل على أنها ألد عنده من المضمومات الطيبة نعم الناقص الذى لم يتكلم معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالأدى مات قواه الباطنة كالموتور لا يمد أن يؤثر لذة المضمومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والتمت فلكه معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الروية والنظر إلى

في اليوم واليلية
مائة مرة ۞ وروى
أبو هريرة رضي الله عنه
في حديث آخر «فإن
لاستغفر الله وأتوب
إليه في كل يوم مائة
مرة» وروى أبو هريرة
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إنه
ليغان على قلبى فأستغفر
الله في اليوم مائة مرة»
وقال الله تعالى - وتوبوا
إلى الله جميعاً أيه
للمؤمنون للملك
تخلعون - وقال الله
عز وجل - إن الله يحب
التوابين - وقال الله
تعالى - يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله
نوبة نصوحاً - التوبة
أصل كل مقام وقوام
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الإلهية الله من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبادات عن أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين - وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بهار المعرفة ويترك الرياسة ويستحضر الخلق الذين برأسهم لهمه بفناء رايسته وفناء من عليه رايسته وكونه مشوا بالسكودرات التي لا يتصور الخلق عنها وكونه مقطوعاً عما ملأت الذي لا بد من إتيانه مهما أهدت الأرض زخرفها وأزييت وظن أهأها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إلى الإلهية معرفة الله ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فأنها خالية عن الزاحمات والمكدرات مقسمة للمتواردين عليها لا تنطبق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التدبير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لمرضاها فلا يزال العارف عطاء الله في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حباضها وهو آمن من انقطاعها إذ تحار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمديّة لا يظنها الموت إذا لوت لا يهدم محل معرفة الله تعالى وعلمها الروح الذي هو أمر راي صموي وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويغلبها من حبسها فأنما أن يعدمها فلا يحزن الذين يتلوا في سبيل الله أو اتأبل أحياناً عند ربهم يرفزون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية - ولا تظن أن هذا مخصوص بالمتقون بل المركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر «إن الشهيد يتنق في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهداء وإن الشهداء يتنقون لو كانوا علماء لما يرونهم يعود درجة الماء» (١) فإذا ن جميع أقطار مملكتك السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحسب موطنه فنهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بضمه على بعض أصلاً إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في المحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطن أقوى في ذوى السكال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبيسة ولا لصي ولا لمتعمه وأن لذة المحسوسات والشبوات تكون لدوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوته صفاته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يخص معرفته من النورية للمعرفة وذاتها ولا يمكن إثبات ذلك عندهم من لقلب له لأن القلب ممن هذه القوة كأنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الواقع على لذة الحب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم النسيم عند النعنين لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استشفوا راحة هذه اللذة عند انكشاف الشكليات والتخلل الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فأنها أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماً غير شريفة تشرف للمعلومات الإلهية فأنما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ البير فإنه صادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتهجم من نفسه في ثباته واتمائه قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية في قلبه الجدي فهذا

(١) حديث إن الشهيد يتنق في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يتنقون أن يكونوا علماء الحديث .

حال وهي أول اللقائات وهي بنبأ الأرض للبناء لمن لا أرض له لبناء له ومن لا نوبة له لا حال له ولا مقام له وإن يبلغ على وقدر وسعى وجهدي اعتبارت اللقائات والأحوال ونحوها فرائها بجميعها ثلاثة أشياء بمد صحة الإيمان وعقوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة ثم رأيتها في إفاضة الولادة النعوية الحقيقية بنبأ الطابع الأربع التي جعلها الله تعالى بأجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع ليحملكوت السموات

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه الله الأشياء وأنه لائقه فوقها ولهذا قال أبو سليمان المدايرين إن فقه عبدا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدواعي لله وذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخبرني بأحد هؤلاء شي، هاجك إلى العبادة والاطمئنان عن الخلق فكيف فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء، القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء، هذا إن ملكا هذا كله يده إن أحبته نساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كمذاك جميع هذا ، وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت القبر مشغوا يطلب الرب تعالى فقد فُتأ، ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ شرب الحُرث في النوم فقال ماض أبو نصر الحمزا وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى بأكلان وشربان قلت فأنت قال علم الله فقه رغبي في الأمثل والشرب فأعطاني النظر إلى معوي بن الولوف قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملسان عن يمينه وشماله بلمعانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتفحص وجوه الناس فيدخل بضاً ويرد بعضاً قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص يصره ينظر إلى الله تعالى لا يبطرف قتلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبدالله لا خوافاً من نار ولا وشوقاً إلى جنته بل حاله فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين شرب الحُرث وأحمد بن حنبل وبلدك قال أبو سليمان : من كان ليوم مشغولاً بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لأربعة ماحقبة إسماعيل قالت ماعبدته خوفاً من نار ولا بحالجنته فأكون لأجبر السوء، بل عبده حاله له وشوقاً إليه ، وقالت في معنى الجنة نظاما :

أجبت جبين حبّ الهوى
فأما الذى هو حبّ الهوى
وأمّا الذى أنت أهل له
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى

وحبا لأنك أهل لداكا
فنغلى بك كرك عن سواكا
فكشفتلى الحب حتى أراكا
ولكن لك الحمد فى ذاوداكا

ولما أرادت عجب الهوى حب الله لإحسانه إليها أنعامه عليها عظموا العاقبة وعبدوا أهلها بحسب
 لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو على الجبين وأقوامها والذمة طاعة جمال الرب، ويقع على غير عتبا
 رسول الله ﷺ حيث قال حاكبا عن ربه تعالى «أعدت لعبادي الصالحين مالا غير رأت ولا تاذن صحت
 ولا خطر على قلب بشر» (١) وقد تعجل من هذه اللذات في الدنيا أن انتهى صفا قلبه إلى العاقبة لذلك
 قال بعضهم: إن أول ما يبز بالثقة فأجد ذلك على قلبي أنتمل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب
 ويحل رأيت جليسا يبداي جليسه وقال إذا بلغ الرحل في هذا المم الغاية رماه الخلق بالحجارة رأى
 خرج كلامه عن حد وتوهم فيرون ما يتوهم جنونا أو كفرا فتصد المارقين كلهم وصله وقادوا فقط
 نفخ أعمى العين التي لا تعلم من ما أتى بها من مزاد أو حصلت اعتراض المعلوم والشواهد التي لا يمكن
 مستغنى بضمها فلو قال في الناس من لم يحس بها لاستغفره ولو عرض على نعيم الجنة لم ينتف إلى ذلك
 نعيمه وبلوغه الغاية إلى ليس فوقها غاية وليس شئ من بلوهم إلا أحب المحاسن كنبؤ من بلغة
 النظر إلى وجهه تعالى وماله صوره ولا شكل وأنى معنى لو عدته تعالى عبادا مود كرمته أعظم نعم
 بل من عرف الله عرف أن اللذات المرفقة بالشواهد المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كقائل بعضهم:

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم ها کیا عن ربہ تمالی أعددت لعبادی الصالحین مالا عین رأیت الحدیث البخاری من حدیث اُی هریرة .

كانت لقي أهواء مفارقة فاستجمعت مذ رأيتك العيين أهواي
فصار بحسني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولاي
تركك لناس دينام ودينهم شغلا بذكرك ياديني ودنياي
ولذلك قال بنهم : وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إظهار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والتكاح فان
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فدلته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخالق في لذههم ما ذكره
وهو أن الصبي في أول حركته وتعبه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب والله وحى يكون ذلك عنده
ألفه من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة
اللبس ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة
الرياسة والمال والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الآخر إذ يظهر حب اللب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
المتميزين وحب العلوم يقرب الأربيعين وهي الغاية العليا وكأ أن الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن اللذات تنقسم إلى ما يدخل في الحيات كالصور التخيلة والأجسام الثلاثة والتشككة من
أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الحيات كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالم والمقدرة
والارادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
واسكن إذا فتح العين وبصر أدرك مفارقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة للرؤية تكون موافقة للتخيلة وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة
الرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشيء يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء
التيار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تضارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف، فاذن
الحيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الحيات وهو غاية الكشف ومعى ذلك الرؤية لأنه
غاية الكشف لأنه في الدين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل للكشف في الجهة والصدر
مثلاً لاستحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخيولات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً
في الحيات لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداها أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين التخييل والرئي فيسمى الثاني أيضاً بالاضافة إلى الأول
مشاهدة واقعا ورؤية وهذه التسمة حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكأ أن سنة
الله تعالى جارية بأن تطبق الأجفان بمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر
والرئي ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محجوبة بسوارض البدن ومقتضى الشهوات

قلة السلام وقلة الطعام
وقلة المنام والاعتزال
عن الناس . وافق
العلماء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
القناعات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدال أبدالاً بتأييد
الله تعالى وحسن
توفيقه وتبين بالبيان
الواضح أن سائر
القناعات تدرج في
صحة هذه ومن ظفر
بها قد ظفر بالقناعات
كلها بولها بعد الإيمان
التوبة وهي في مبدأ
صحتها تنظر إلى أحوال
وإذا صحت تشتمل
على مقامات وأحوال
ولا بد في ابتدائها
من وجود زاجر

وما عاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتمى إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجنان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراهي - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أى في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى ليلة المراح (١) ، فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكليّة وإن كانت متفاوتة فيها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قدس بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفية وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أيد الأباد نموذجاً لله من ذلك . ومنها ما لم ينته إلى حد الزين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصفية فيعرض على النار عرضاً يقع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار بسبعة آلاف سنة (٢) ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وبصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين آمنوا وندر الظالمين فيها جيئاً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما عهد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فانه واقع بعد اقامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفاته ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قنرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالاضافة إلى ما عده كانكشاف تجلي المرة بالاضافة إلى ما تجليه ، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية ، فادن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل منصور مخصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتتقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المراح على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . وسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيته ربك قال نور أنى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم تره ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منسكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيته نوراً إني أراه رجالاً إسنادهما رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكباثر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضيف .

ووجدان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحسوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها . قال رجل لبشر الحافي مالي أراك مهموماً قال لأنني ضالّ ومطالوب ظللت الطريق واتقصد وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الفسلة أدركتني وليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأزجر . وقال الأصمعي : رأيت أعراباً بالعبرة يشتمون عبده وهما يبذل منها المساء قاتله ألا

الكشف أيضاً صورة لأنها هي بعينها لا تتفرق منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة المرئية هي التخيّل بعينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - يسمي نورهم بين أيديهم وبأيامهم يقولون ربنا آثم كأن نورنا - إذ تعام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كانتقلب النواة شجرة والحب زرعاً ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له ثمر ومن لم زرع الحب فكيف يحصل له ثمر فكذا ذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة باختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كما اختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لامحالة بكثرتها وقوتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام وإن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة^(١) فلا ينبغي أن يظن أن غيري بكم بغيري هودونه يجد من لغة النظر وللشهادة ما يجد أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقرق صدره فضل لامحالة يتجلى أقدر به وكأنك ترى في الدنيا من يؤثر في الربة في الربة على العلوم والشكوك وترى من يؤثر في الربة والروايات اكتشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى الشكوك والعلوم والشكوك جميعاً فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في لغة النظر إلى وجه الله تعالى على نعم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى العلوم والشكوك وهؤلاء بينهم هم الذين حاطهم في الدنيا ما وصفناه من إشارات العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لغة الشكوك والعلوم والشكوك وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت الجارية المذمومة في الدنيا فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لغة المعرفة في الدنيا فلا يجد لغة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة عالم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما عمل عليه ولا يوجع ولا يبعث إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يستمتع به بعينه فقط لأنه ينقلب مشاهدة بكشف النظم فتضاعف اللغة به كما تضاعف لغة الماشق إذا استبدل بحال صورة المشوق رؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فإذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأفضل السعادات هي المعرفة التي عبر الشارع عنها بالإيمان. فإن قلت فلهذا الرؤية إن كان لها نسبة إلى لغة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافاً لأن لغة المعرفة في الدنيا ضئيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها. فاعلم أن هذا الاستحقاق للغة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضئيفة فقلبه مشحون بملائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلما دارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لغة الجنة ثم هذه اللغة مع كمالها لائسبة لها أملا إلى لغة اللقاء والشهادة كالانسبة للغة خيال المشوق إلى رؤيته ولللغة الاستنشاق روائح الأطعمة الشبيهة إلى ذوقها ولللغة المس باليد إلى لغة الواقع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بشر مثله فقول

(١) حديث إن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الاستناد وفي الميزان الذهبي أن لدار قطي رواه عن الهاملي عن علي بن عبيدة وقال الدارمي أن علي بن عبيدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

تسبح عبيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فين لا يزجر فالزجر في الباطن حال بهما الله تعالى ولا بد من وجودها للثواب ثم بعد الانزعاج يجد البعد حال الانتباه. قال بعضهم: من لم يزد مطالعة الطوارق اتقه. وقال أبو يزيد : علامة الانبعاث حس إذا كر نفسه اقتر وإذا كر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اء ر وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اقشمر . وقال بعضهم : الانتباه أوائل دلالات الحيرة إن انتبه البعد من رقة غفلة أداه ذلك الانتباه إلى

لغة النظر إلى وجه المشوق في الدنيا تفاوتت بأسباب أحدها كمال جمال المشوق ونصانه فان الغدق النظر إلى الأجل أكل لأحالة . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والمشوق فليس التذامن اشتد عشقه كالتذامن من ضغث شهوته وجبه . والثالث كمال الادراك فليس التذانه برؤية المشوق في لحظة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذانه لإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك اللغة الضائعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع الوجدان للشهوة والآلام الشائعة للقلب فليس التذان الصحيح الفارغ للتجرد فنظر إلى المشوق كالتذان الخائف للدعوى أو الرين التأم أو للشغل قلبه بهم من الهمات قدر عاشقا ضعيف المشق ينظر إلى وجهه مشوقه من وراء ستر رقيق على يد بحث يمنع انكشاف كنه صورته في حلة اجتمع عليه عقارب وزناير تؤذي بمرئته غه وتشتل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لغة مامن مشاهدة مشوقه فلو طرأت على السجدة حالة انكشافها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سلبا فارغا وجمعت عليه الشهوة القوية والمشق للقرط حتى بلغ أقصى النابات فانظر كيف تضاعف اللغة حتى لا يلقى الأولى إليها نسبة يستدبرها فكذلك فافهم نسبة لغة النظر إلى لغة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاختفاء به والعقارب والزناير مثال الشهوات للنساطة على الانسان من الجوع والعطش والتعب والهم والحزن وضغف الشهوة والحب مثال تصورات النفس في الدنيا وقصاتها عن الشوق إلى اللأ الأمل والتفتاتها إلى أصل السافلين وهو مثل تصور الصبي عن ملاحظة لغة الرياسة والتفتاته إلى الحب والصفور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه اللشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة ثم قد تضاعف هذه العواطف في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبيت العقل وتظم لذته بحث بكاد القلب ينظر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبريق الخاطف وقدا يدمم بل يمرض من الشواغل والأفكار والحواسر ما يشوشه وينتسه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة القانية فلا تزال هذه اللغة منتضة إلى اللوت وإنما الحياة الطيبة بعد اللوت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبلدر وبهر المعرفة لاساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله حال فكلمنا كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرله ملكته وقوت كثر التيمم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البلدر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البلدر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله» (١) لأن المعرفة إنما تسكل وتكثر وتوسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانتظام عن علائق الدنيا والتجرد والمطلب يستدعي ذلك زمانا لا يحصى فمن أحب الموت أحب لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالنا إلى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة . وأما سائر الحقائق فنظرم مقصور على شهوات الدنيا فإن استمت

التيقظ فإذا تيقظ
أكرمته تيقظه الطالب
طريق الرشد فيطلب
وإذا طلب عرف
أنه على غير سبيل الحق
فيطلب الحق ويرجع
إلى باب تو يتم بسط
بأبوابه حال التيقظ
قال فارس : أوفى
الأحوال التيقظ
والاعتبار . وقيل :
التيقظ تبيان خط
السالك بعد مشاهدة
سبيل النجاة . وقيل :
إذا صحت اليقظة كان
صاحبها في أوائل
طريق النبوة . وقيل :
اليقظة خردة من
جهة اللوى لقلوب
الحائضين تدلم على
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحارثي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي ليلى عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ووالد المطلب عبد الله بن حوطب يختلف في صحته ولأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرأة أن يطول عمره وبرزقه الله الأناة والترمذي من حديث أبي بكر عن رجل قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم.

أحبوا البقاء، وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران معمدرة الجهل والتفلة فالجهل والنفلة مفرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبوب ومعنى الشقى فانه الحببة القرطبة القوية ومعنى لفظة المعرفة ومعنى لفظة الرؤية ومعنى لفظة الرؤية ومعنى كونها النفس سائر القذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما يمكن الرياسة أنه من الطموحات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يفتنون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن البقلة ومن يشتهي رؤية مشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلف في عينه أو في جيبه بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وعرف لا ينظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالتقصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ماظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلف في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره . إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا للضرورة والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى)

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أنوارهم حيا فته تعالى فان الآخرة معناها التقدم على الله تعالى ودرك سعادته وما أعظم نعيم الحب إذا قسم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبداً الآباد من غير منقوص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب الحب لله تعالى في الدنيا وأصل الحب لايفك عنه مؤمن لأنه لايفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاءه حتى يتهدى إلى الاحتشاد الذي يسمى عشقا فذلك يفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإيلاء الذي لا يتسع للخدمة لئلا يخرج منه الماء . ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومبادم يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما ينقص من الماء في الإيلاء ينقص من الحل المصوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم - ويقول تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان المعبود التقيد والمعبود هو التقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال ﷺ « أبغض إلي عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله عملا دخل الجنة (٢) » ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يلق في مشركه لئلا يكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومتعود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا - جنة لأنها مأمونة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب لما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقطال إلى المعشوقه وتحادى عنه جسده غلى من السجن وسكن من المحبوب بروح بالأمن أبداً بأدق أسباب متعجب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومحب الأهل والمال والولد والأقارب والفقار والدواب والبساتين والمنتزهات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله عملا دخل الجنة تقدم .

يغضه قلب بذلك إلى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى الحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالحاسبة .

تدل عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا وزئجروا قبل أن توزنوا وتزينوا لعرض الأكر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية - بالحاسبة يحفظ الأنفاس ويضبط الحواس ورعاية الأوقات وإثبات المهمات ومسلم العبد أن

حتى إن التنفر بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملئت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر مأنس بالدنيا فينقص أنه باق ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدرة من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من للشرق إلا ويعد بالضرورة من الغرب بقدرة ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضررتها فالدنيا والآخرة ضرران وهما كالشرق والغرب وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار والبعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد إليهما بزمان الخوف والرجاء لما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكسبها بها أحد ركبي المحبة وهو تغلبة القلب عن غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والخفة والنار ثم يشعب منه الخوف والرجاء ويشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من حبه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسمع بعده لزوال معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركبي المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها يجري مجرى ومنع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والعرفه وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال - ضرب مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب - إلى اللرفة - والعدل الصالح يرثه - فالعدل الصالح كالخالد لهذه المعرفة كالخادم وإتمام العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يزال العمل إلا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم العامة وغرض العمل وغرض العامة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويترنم بلم المعرفة وهو علم المكشفة ومهما حصلت هذه اللرفة تبعها المحبة بالضرورة كما أن من كان متدلاً المراجع إذا أبصر الجليل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع اللرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه اللرفة بعد انتطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصادق والذكر الدائم والجهد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر حقائقه والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى الأنبياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأنفال ثم يترقون منها إلى الفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وبقوله تعالى - شهيداً فإنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له لم عرف ربك قال عرف ربى وربى ولولا ربى لما عرفت ربى وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق - الآية وبقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وبقوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وبقوله تعالى - الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليه البصر خائلاً وهو حير - وهذا الطريق هو الأسهل من الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن المحصر . فان قلت كلاً الطريقين مشكل فأوضح لهما

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لطفه سبحانه بعده واستيلاء الغلبة عليه كي لا يستبدد الهوى وتشرق الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية أداء حق الربوبية وبراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى وسيد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والعبادة ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل المقدع القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تسكت في

(١) حديث الطهور شطر الإيمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

ما يستعان به على تفصيل المعرفة والتوصل به إلى الحق . فاعلم أن الطريق الأيمن هو الاستسقام بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو فاضل والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيراد في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بصيوات الدنيا وحفظ النفس وللناصح من ذكر هذا اتساع وكثرته وانتعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والتهاية إذ ما من ذرة من أهل السموات إلى تخوم الأرضين إلا ونها محائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومتنهي جلاله وعظمته وذلك بما لا يتناهى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فالخوش فيه انتماس في بحر علوم اللوحى لا يمكن أن يتطفل به على علوم العامة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الأيجاز ليقع التنبيه لمنه . فنقول : أسهل الطريقين النظر إلى الفضائل فتسلكهم فيها ولتركها على ثم الفضائل الإلهية كثيرة فطلب أهلها وأصغرها ولننظر في محابها فأقل الخلوقات هو الأرض وما عليها أغنى بالاضافة إلى اللامتناهية وما كوت السموات فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشخص على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض ما تقوينا فستبين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالاضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالاضافة إلى فلكها الذي هي مركزه في فلكه لانه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكسرى ككتلة في فلاة والكرسى في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادير وما أخصر الأرض كلها بالاضافة إليها بل ما أخصر الأرض بالاضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ « الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض » (١) ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن للكشف من الأرض عن الماء بجزيرة صغيرة بالاضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الآجسام المخلوقة من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغرها بالاضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصنرسائر الأعضاء كما خلقه للليل زيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج به ورجله وشق صممه وبصره ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والمأخضة ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أثبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد الرأس وكيف هداه إلى سنام بشرة الانسان حتى يسمع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يفرقه الخرطوم وكيف علمه اللس والتجرع لدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته بجوف حتى يجري فيه الدم الرقيق ويتنهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويندبه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فتملحه جيلة الحرب واستعداد آتله وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بيده يمد يده فتملحه جيلة اللس ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يصير موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحمل حدقة الأجناس لصغره وكانت الأجناس مصققة لمرآة الحدقة عن القذى والنياب والنياب خلق للبعوض والذباب يدين فتنتظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض لم أجده أصلا .

القلب نكتة سوداء
وتقد عليه غمة
والنفق الحساب بين
الباطن لمصلا بضبط
الجوارح ويحق مقام
الحاسبة فيكون عند
ذلك لصلاته نور يشرق
على أجزاء وقته إلى
الصلاة الأخرى فلا تزال
صلاته منور رتامة بنور
وقته ووقته منورا
معمورا بنور صلاته .
وكان بعض المحاسبين
يكتب الصلوات في
قرطاس ويضع بين كل
صلتين ياضا وكما
ارتكب خطية من
كلمة غيبة أو أمر آخر
خط خطأ وكان يكتم
أو تحرك فيها لا يعبه
قط قطعة ليسير
ذنوبه وحركاته فيها

فراه على الدوام يسبح حديقته يديه وأما الإنسان والحيوان الكبير خلق لحديقته الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع القبار الذي يلحق الحديقة ويرمي إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتنبهها عند هيجان القبار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول القبار ولا يمنع الإبصار وأما البؤس تغلق لها حديقين مصفيتين من غير أجفان وعليها كيفية التصقيل باليدن ولأجل مصف ابصارها تراها تهافت على السراج لأن بصره ضئيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت الظلم إلى الوضع الضئيف فلا يزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب السكوة ولم يصبه على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولملك تظن أن هذا نقصانها وجهها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الأكباب على الشهوات الدنيوية الفرائش في التهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه عليها إلى أن ينفس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي كجهل الفرائش فأنها باعترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الأبد أومدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني محسك بحجركم عن النار وأتم تهافون فيها تهافت الفرائش»^(١) فهذه لمة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الألوان والآخرون على الاحاطة بكنهه لم يحجزوا عن حقيقته ولم يسلطوا على أمور جليلة من ظاهرها صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشترك فيها غيره فانظر إلى النحل ومجائنها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يسرون وكيف استخرج من لهاها الشمع والعسل وجعل أحدها شفاء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترارها عن النجاسات والأفذار وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى إنه ليقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة لتضيق منها عجايب آخر العجائب إن كنت بصيراً في تفكك وفارغا من هم بطوك وفرجك وشموات تفكك في معاداة أفرانك وموالاته إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل اللدس فلاتني بيتا مستديرا ولامرأها ولاعسا بل مسدسا لحاسة في الهيكل اللدس بقصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ثمانية وشكل النحل مستدير فترك الربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى قارعة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضامة فإن الأشكال للمستديرة إذا جمعت لم تجميع مزمنة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا اللدس وهذه خاصية هذا الشكل فأنظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صفر جرمه ولطافته وقد

لا يعبه لضيق المحاسبة
محاري الشيطان
والفساد أماراة بالسوء
لوضع صدقة في حسن
الافتقار وحرمه على
تحقيق مقام العباد وهذا
مقام المحاسبة والرعاية
يقع من ضرورة صحة
التوبة قالوا الجيد: من
حسن رعايته دامت
ولاشيه . وسئل
الواسطي: أي الأعمال
أفضل قال مراعاة السر
والمحاسبة في الظاهر
والمراقبة في الباطن
وبكل أحدهما بالآخر
وهما تستقيم التوبة
والمراقبة والرعاية حالان
شريخان وصيران
مقامين شرفيين
صحان بصحة مقام
التوبة وتستقيم التوبة

(١) حدثت إني محسك بحجركم عن النار وأتم تهافون فيها تهافت الفرائش متفق عليه من حديث أبي هريرة . مثل ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجذبت الدواب والفرائش فيمن فأنها أخذ بحجركم وأتم تهافون فيه لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله وسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجركم وأتم تهافون من يدي .

لطفه به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه لينبأ بعبده فسبحان ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعبر بهذه العلة البسيرة من محتررات الحيوانات ومع عنك محابب ملكوت الأرض والسموات فإن القدر الذي يلقه نعمنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولانسبة لما أحاط به علنا إلى ما أحاط به الغناء والأنبياء ولانسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما سائر الله تعالى بطه بل كل ما عرفة الحق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبانظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين وزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالبا مساعدا لقاء الله تعالى فأنبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والتفكير اللازم ففساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك السير ملكا عظيما لا آخر له .

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا يفرقون في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأشياء التي قرعت معهم فخلقونها وحفظوها وربما تخيلوا لها صفات ينال عنها رب الأرباب وربما لم يطلخوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسد بل آتوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغالوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتخييل هم الضالون والعارفون بالحقائق هم القريبون وقد ذكر الله حال الأنساف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من القرآن بين فروح وربحان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لانهم في الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفناء منهم والموام لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن المامى يعرف علمه بمجمل وأتقنه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحيه له أشد فإن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لامحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يستعد الرجل في الشاعر أتم حسن الشعر فيجبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حدثه وصنعتة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والمامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بمجمل ويكون له إعجابه بميل مجمل والبصير إذا فقه عن التصنيف وأطلع على ما فيها من الإعجاب تضاعف حبه لامحالة لأن محب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والوصف والعالم يجملة صنع الله تعالى وتصنيفه والمامى يعلم ذلك ويستعده وإنما البصير فإنه يطالع فضيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البصير مثلا من محابب صنعه ما ينير به عقله ويثير فيه له ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكذا ازداد في أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الضامن وجلاله وازداد بمعرفة حبه حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى محرلا ساحل فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له ومحاببات بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله مثلا لكونه محسنا إليه متعا عليه ولم يجبه قداته ضمنت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والتمنا وأما من يجبه لذاته ولا يتمتع بالحب بسبب كماله وجهه ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فلهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب لتفاوتهم في مسادة الآخرة وذلك قال تعالى - ولا تخرءأ بكون رجاء وأكبر فضيلته .

في الكمال بها
صارت المحاسبة
والرقابة والرقابة من
ضرورة مقام التوبة .
أبرأ بوزرة إجازة
عن ابن خلف أبي بكر
الشيرازي قال سمعت
أبا عبد الرحمن الحلي
يقول سمعت الحسن
القاسري يقول سمعت
الجريري يقول أمرنا
هذا مبقى على ضليق
وهو أن نعلم عك
للراقبة تعالى ويكون
المع على ظاهره قائما .
وقال المرتضى: للراقبة
مראה السر للاحاطة
الحق في كل لحظة
ولقطة قال الله تعالى
- ألن هو قائم على
كل نفس بما كسبت -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في قصور أنفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر الوجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا ينتفي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبغها إلى الأنفهام وأسماها على العقول وترى الأمر بالعدم من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إنه أظهر الوجودات وأجلها لمحي لانتهاه إلى الابدان وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات حياته وعلمه وقدرته وإرادته العناية بأجل عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشموته وغضبه وخلفه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كقدرنا طول واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمانياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فنظفنا إلى كل مافي العالم سواه لم نعرف به صفة شاعليه لإدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حبر وممد وبنايت وشجر وحيوان وسباء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالقل والبصيرة وكل واحد من هذه للدركات له مدرك واحد شاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد تامة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكته والموجودات للدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما حسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يصر في الوجود شئ داخل قوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمتهم وجلاله إذ كل ذرة فاتها تنادي بإسنان حالها أنه ليس وجوده بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولئك أعضائها واتلاف عظامها ولحومها وأعصابها ومنابت شعورها وتشكل أطرافها وأجزاء الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تحرك بنفسها ولكن لما بقى في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومرفع عظم ظهوره فاهتبرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما تضرع عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاء في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله . والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كأن الخفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لا خفاء النهار واستناره لكن لشدة ظهوره فإن يصير الخفاش ضئيف بيهر نور الشمس إذا اشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلمة ووضف ظهوره فكذلك عقولنا ضئيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الانسحاق والشمول حق لم يشهد ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره صلب صفاته فسيحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تتعجبنا بأضدادها وماعم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدرك التفرقة على قرب ولما اشتهرت في الدلالة على نسق واحد أشكال الأمور مثاله نور الشمس الشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الانسحاق لا غروب لها لكانت نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال ومعسرة الزيادة والقصور وهو أن يعلم مبدار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الحاضر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الحواطر تحث في إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تحرك إلا بتحريك القلب بالارادة والمراقبة حسم مواد الحواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الحواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلاح عروق إرادة الكسار من

فإنه لا يشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا تدرك وحدته ولكن لما غابت الشمس وأظلمت الواضحة أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارقتها عند الغروب ففرقا وجود النور بدمه وما كنا نطلع عليه ولا ندعه إلا بصير شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لتغيره انظر كيف تصور استنباطهم أمره بسبب ظهوره لولا طريق ضده فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالاته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أوردت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأفهام وأما من قويت بصيرته ولم تصف منته فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تامة له فلا وجود لها بالحقيقة وتوهمها الوجود والوحد الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذه حالة فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا يرى فيه الأفعال ويذهب عن الفعل من حيث إنه سماه وأرض وحزونا وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظرت في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعصى وزاج ورقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير الصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأجبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه إنه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا قضينا عنا قضيتنا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لمصنف الأفهام عن دركها وتصور قدرته للعالم بها عن إشباحها وبيانها ببارة مفهمة موصلة للفرض إلى الأفهام أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لتغيره مما لا يصيب فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه اللدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند قد العقل ثم تبدو فيه غرزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق فيهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحبوساته وألهه فسقط وقها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا لقادة عجبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحانه الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحسن بشهادتها أطول الأسس بها ولو فرض أنك بلغ عاقلنا ثم انقضت غشاوة عينه فأمدت بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحبب عقله أن ينهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب الخالق فأنه في آثاره من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فأناس في ظلمهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به الليل إذا كان راكبا لجماره وهو يطلب حمارة والجلبات إذا صارت مطلوبة صارت معاتمة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل:

قد ظهرت فما نخفى على أحد إلا على أكه لا يصرف القمرا
لكن بطن بما أظهرت محتجا فكيف يعرف من بالعرف قد سارا

القلب وبالحاسة
استدراك ما افلتت
من المراقبة . أخبرنا
أبو زرعة عن ابن
خلف عن السلمي قال
سمعت أبا عانان السمرقندي
يقول أفضل ما يلزم
الإنسان في هذا
الطريق المحاسبية
والمراقبة وسياسة
العمل بالمعروف وإدراك
التوبة صحت الانابة
قال إبراهيم بن آدم
إذا صدق العبد في
توبته صار منيبا لأن
الانابة ثاني درجة
التوبة وقال أبو سعيد
القرشي المنيب الراجع
عن كل شيء يشغله
عن الله إلى الله وقال
بعضهم الانابة الرجوع
منه إليه لا من شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد أن ينكر حقيقة الشوق إذ لا تصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأبواب البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيمكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشاق إلى فيه في غيبته لاهالة فأما الحاصل الحاضر فلا يشاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر وللوجود لا يطلب ولكن يانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما لا يدرك أصلا فلا يشاق إليه فإن من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق إليه وما أدرك بكامله لا يشاق إليه وكان الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتناقى بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه ومن وجهين لا ينكشف إلا بتأمل من المشاهدات . فنقول مثلا من غاب عنه مشوقه وبقى في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو انهمى عن قلبه ذكره وخیاله ومعرفة حتى نسيه لم يتصور أن يشاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمن شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله كذلك قدره في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته ونعم لا ينكشف في صورته بل يشرق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شمعه مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له أعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوحيان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما تنسحب للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فسكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضاغيا لالتضاح بل يكون مشوبا بشواذب التخيلات فإن الخيلات لا تفرق في هذا العالم عن التبين والها كما لجميع المعلومات وهي مكررات للمعارف ومنصتات وكذلك ينضف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمايزها عن التجليل ولا يكون ذلك إلا في الآخرة ذلك بالضرورة وجوب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين فهذا هو نوع الشوق وهو استكمال الوضوح فيها انضاحا ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهائية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهائية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما يحيط فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لأمروفة واضحة ولأمروفة غامضة والشوق الأول ينتهي في المعارف الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية وإلقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من الشائقين فقال قلت ذات يوم يارب أن أعطيت أحدا من المؤمنين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطيني ذلك فقد أضررتي بالخلق قال فأريت في النوم أنه أوفيتي بين يديه وقال إبراهيم أما استعجبت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءي وهل يسكن الشائق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فأعزوني وعطيني ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيش ما أن يكون له نهاية لافي الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهائية له ولا يزال المبدع عالما بأنه في من الجبال والجبال ما لم ينضج له فلا يسكن قط شوقه لاسيا من يرى فوق درجته درجات كبره فلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد ذلك شوقا لذبا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تسكون

غيره فمن رجح من غيره إليه ضيق أحد طرق الانابة والنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجح سواء فرجع إليه من رجوعه لم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شجوا لا وصف له فأما بين يدي الحق مستغرقا في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأنف والأقدام والجاهدة تتعق بتعق الرعاية والراقبة . قال أبو سليمان ما استجسفت من نفسي عملا فأحسبته وقال أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئا من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجح

أطاف الكشف والظن متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة مترايدا أبداً لا يذوقون لذة ما يتجدد من أطايف النعم شاغلة عن الاحساس بالشوق إلى ما يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يمشي بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأعنام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور ومحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بشماهه وقوله تعالى - انظرونا نحن ونسب من نوركم قبل رجوعنا وإبراهيم وآله وسلم - نوراً - يدل على أن الأنوار لابد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً ما لم يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون محظر ولم يتكشف لنا فيه بعد ما توفى به فتسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه . وأما ما شهد الأخبار والآثار فأكثر من أن نحصى فها أشهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول :

« اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك » وقال أبو الدرداء : لكتب أخيراً عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى : طال شوق الأبرار إلى لقاءى وإني إلى لقاءهم لأشد شوقاً قال ومكتوب إلى جانبها من طلبة وجدى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء : أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفى أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال ياداد أبلغ أهل أرضى أى حبيب لمن أحببى وجلس لمن جالسى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحببى عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه لإقبحته لنفسى وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقى من طلبة بالحق وجدى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فارضوا يا أهل الأرض ما أتم عليه من غرورها واهلوا إلى كرامتى ومصاحبى ومجالسنى وانسوا إلى أوائسكم وأسارع إلى محبتكم فأتى خالفت طينة أحيانى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نبيى ومحمد صفى وخلقت قلوب الشائقين من نورى ونعمتها بجلاى . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عباداً من عبادى يحبونى وأحبهم ويشاقون لى وأشتاق إلىهم ويذكرونى وأذكركم وينظرون لى وأنظر إلىهم فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مضحك قال يارب وما علامتهم قال براعون الظلال بالهار كما يراعى الشقيق غنمه ويحتمون إلى غروب الشمس كما يحسن الطائر إلى وكره عند الغروب فإذا جهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرس ونصبت الأسرة وخسلا كل حبب بحبيبه نص : والى أقدامهم واقتربوا لى وجوههم وناجوا بى بكلامى وتعلقوا لى بأمانى فبين صارخ بالى وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يبتغى ما يتحلمون من أجلي وبسمى ما يشكون من حى أول ما أعطيهم ثلاث : أفند من تورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فىها من موازينهم لاستقلت بهم . والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفى أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه ياداد أنى كم تذكر الجنة ولا تسألنى الشوق إلى الله يارب من الشائقين إليك قال إن الشائقين إلى الدين صفيتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلى آخره فانظرون لى وإنى لأحمل قلوبهم بيدي فأنيها على صفاتى ثم ادعوا نجباء ملائكتى فإذا اجتمعوا

(١) حديث أنه كان يقول فى دعائه اللهم أنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت الحديث أحمد والحاكم وتقدم فى الدعوات .

الى ابتداءه فيروض نفسه ثانياً ومن لربن نفسه بميزان الصدق فيها له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال وروية عجوب الأفعال من ضرورة صحة الانابة وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة الا بصديق المجاهدة ولا يصديق العبد في المجاهدة الا بوجود الصبر . وروى فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يمتد ذلك الا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله يكفوك الهمة عليه وصدق الراقية له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لى فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب الشائقين إلى وأباهم بكم أهل الشوق إلى فان قلوبهم لتضى في سبلى للائتى كما تضى الشمس لأهل الأرض. باداود إني خلقت قلوب الشائقين من رشوائى وقسمتها بنور وجهى فأخذتهم لنفى عهدي ، وجعلت أبدانهم موضع نظرى إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلى بزادون فى كل يوم شوقا . قال داود يارب أرني أهل محبتك ، فقال باداود انت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر تناسل فيهم شيان وفيهم شيوخ وفيهم كحول فأذا أنيتهم فأفرهم منى السلام وقل لهم إني وبكم بقرتكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحيائى وأصفائى وأولائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم فانام داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتكفرون فى عظمة الله عز وجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود إني رسول الله إليكم جيشكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسباعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض ، فقال داود إني رسول الله إليكم بقرتكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تبادون أجمع صوتكم وكلامكم فانكم أحيائى وأصفائى وأولائى أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم فى كل ساعة نظرا الوالدة الشفيقة الرقيقة . قال جبرئيل السموع على خدودهم ، فقال شيخهم سبحانهك سبحانهك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا . وقال الآخر : سبحانهك سبحانهك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانهك سبحانهك نحن عبيدك وبنو عبيدك أنجبرى على الدماء وقد علمت أنه لأحاجة لنا فى شىء من أمورنا فألم لنا لزوم الطريق إليك وأنهم بذلك التمة علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا علينا بحمدك . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أنجبرى على الكلام من هو مشغل بظمتك متفكر فى جلالك وعليتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كلت ألسنتنا عن ذنائبك لعظم شأنك وقربك من أولائك وكثرة منتك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا فذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إجماعى النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترى البعد على سيد إذ أمرتنا بالبقاء بحمدك فهب لنا نورا نهدي به فى الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تزيل علينا وتدعبه عندنا . وقال الآخر : نساألك بحلم نصمتك فيما وهبت لنا وفضلت به علينا . وقال الآخر : لأحاجة لنا فى شىء من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر : أسألك من بينهم أن يسمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامتن علينا باشتغال القلب بك عن كل شىء دونك . فأخى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأحببتكم إلى ما أحببت فليبارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ نفسه سربا فأتى كاشف الحجاب فباينى وبينكم حتى تنظروا إلى نورى وجلالى . فقال داود يارب بى نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكشف عن الدنيا وأهلها والحلوات بى ومناجاتهم لى وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها وليرتقى شىء من ذكره وأفرغ قلبه واختارنى على جميع خلقى بهذا ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر إلى "نظر الناظر بينه إلى الشىء" وأربه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى ، إن

الحسرات والصبر
ينقسم إلى فرض
وفضل فالفضل كالصبر
على آداء للقرضات،
والصبر عن المهرمات
ومن الصبر الذى هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى **وصكان**
الصائب والأوجاع
وترك الشكوى
والصبر على إخوان
الفقر، والصبر على كتم
النسج والكرامات
ورؤية العبر والآيات
ووجوه الصبر فرضا
وفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهذه الأقسام من
الصبر ويضيع عن
الصبر على الله بعلوم
حمة الرابطة والرعاية

مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشقيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فاذا ضل ذلك به يادود عجت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفر عن الاشتغال بـ . يستعجل التذوق وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلق لا يرى غيري ولا أرى غيره . فلو رأته يادود وقد ذابت فيه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانحل قلبه إذا سمع بكركى أباهي به ملائكتي وأهل موائى بزاد خوفا وعبادة ، وعزى وجلالى يادود لأحمدته في المردوس ولأخفين صدره من النظر إلى حق يرضى ونفوس الرسا . وفي أخبار داود أيضا : قل لعبادي للتوحيين إلى محقق ماضرك إذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بيوت فلوبكم وماضرك ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما ضرك مسخطة الحلق إذا التمس رضائي . وفي أخبار داود أيضا : إن الله تعالى أوحى إليه نزع أنك تحبني ، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حب وجهي لا يجتمعان في قلب . يادود خالص حبيبي خالصة وخالط أهل الدنيا خالطة ودينك قهدينه ولا تفقد دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق محقق نفسك به ، وأما ما أشكل عليك قهدينه حقا على أي أسارع إلى سياستك وتوحيك ولا تكن قاتلك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعنيك على الشدائد وإن قد حلفت على نفسي أن لا أتائب إلا عيدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كفه بين يدي وأنه لا عني به عني ، فاذا كنت كذلك نزع الله والوحشة عنك وأسكن القبي قلبك فاني قد حلفت على نفسي أنه لا يطعن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى ضالها إلا وكلته إليها أنشف الأشياء إلى اتخاذ عهلك فتكون متنبيا ولا يخضع بك من يصحبك ولا تجد لمرفق حدا فليس لها غاية ، متى طلبت مني الزيادة أعطتك ولا تجد للزيادة مني حدا ، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أعني لهم ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر إلى يصر قلبك ولا تنظر بينك التي في رأسك إلى الذين حبيت عقولهم عن فأمرجوها وسخت باسطاع ثوابي عنها فاني حلفت بزني وجلالى لا ألتصق ثوابي لبد دخل في طاعتي للتجربة والتسوف تواضع لمن تمله ولا تطاول على الريدن ، فلو علم أهل محبي منزلة الريدن عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها . يادود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كتبت عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المحققين . يادود : تمسك بكلامي وخذ من نفسك نفسك لا تؤثمن منها فأحجب عنك محبي لا تؤثمن عبادي من رحتي أقطع شهوتك لي فاني أحببت الشهوات لشغلة خلقى مبال الأقوياء أن يتألوا الشهوات فاني تنقص حلاوة مناجاتي ، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يسل إليهم أن أحجب عقولهم عن فاني لم أرض الدنيا لطيبى ونزهة عنها . يادود : لا تجعل بيني وبينك طالما محببك يسكره عن محبي . أولئك قطاع الطريق على عبادي الريدن استمن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبي للصوم إيمانه . يادود تحب إلى بمادة نفسك انتمها الشهوات أنظر اليك وترى الحبيب بيني وبينك مرفوعة إنما أداربك مداراة تقوى على ثوابي اذا مننت عليك به وإن أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي . وأوحى الله تعالى إلى داود يادود لو لم للديرون عني كيف انتظاري لهم ورضي بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما نوا شوقا إلى وتطعت أوسالهم من محبي

ونفى الخواطر ، فاذن حقيقة الصبر كاتبة في التوبة ككينة للراقبة في التوبة والصبر من أعز مقامات الوقتين وهو داخل في حقيقة التوبة . قال بعض العلماء : أى شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيئا بهذا العدد وحصة التوبة تحوى على مقام الصبر مع شرفه . ومن الصبر الصبر على التمتع ، وهو أن لا يجرها في معصية الله تعالى وهذا أيضا داخل في حصة التوبة

يأداود هذه إرادتي في اللذين عني فكيف إرادتي في القلبين عني يأداود أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عني وأرحم ما أكون يبدى إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلى . فهذه الأخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإثبات تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

(بيان حجة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك . ولقد قدم الشواهد على محبته ، فقد قال الله تعالى - يحبه ويحبونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فلم يذنبكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والثائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - ^(١) ومعناه أنه إذا أحببه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الناصبة وإن كثرت كما لا يضر السكر لماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال - قل إن كنتين تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب » ^(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحببه الله » ^(٣) وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » ^(٤) الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : عمل ماشئت فقد غفرت لك ، وما ورد من أن الطائفة خارج عن الحصر ، وقد ذكرنا أن حجة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب للفرط ، وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسمى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطق عليها بمعنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلق ، وهذا التباين في سائر الأسماء

(١) حديث أسى إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والثائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس وبلغ شرحه والده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وقد تم في النوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم وصحيح استاده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحببه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد باستان حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن جرير (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء نصيرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والنضب والصبر عن محبة الناس والصبر على المحول والتواضع والتأدب داخل في الزهد وإن لم يكن داخل في التوبة وكل ما فات من مقام التوهم للقامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طائفة النفس وطوائفها من تركها وتركها بالنية

أظهر كالم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضح اللفظ إنما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق إلى القول والأنهم من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستمارة والتجاوز والنقل والمجبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملأه وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال يمكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غير له نظره إلى ذاته وأفعاله قطع وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد البرقي رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - بحبهم وعجبونه - فقال بحق بحبهم فانه ليس يجب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يجب إلا نفسه وأفعاله نفسه وتصانيف نفسه فلا يجوز فيه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يجب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ في حبه لصاحبه فهو مؤول ورجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الطرق لحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الازالة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا البدن من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحوث السبب للفتنى له كما قال تعالى ولا يزال عدى يتقرب إلى بالتوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالتوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى وإلقاه به فهو معنى حبه ، ولا ينهم هذا الإبتثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه وبأذن له في كل وقت في حضور بساطه ليل الملك إليه إما ليصره بوقته أو ليشترج بمشاهدته أو ليشتره في رأيه أو ليوحي أسباب طمأنينة وشراعية لإن الملك يحبه ويكون معناه إليه لما فيه من المعنى الموافق للآثم له وقد يقرب عبدا ولا ينهم من الدول عليه لا لا لتفادع به ولا لا لتستجاد به ولكن ليكون البعد في نفسه موصوفا من الأخلاق الرضية والحاصل الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الحميدة فما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحسب نفسه إلى الملك لحب الله لئلا يكون بالملئى الثاني بالملئى الأول وإنما يصح تشبيه الملئى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القرب من الله تعالى والقرب من الله في البدن من صفات البهائم والسيباع والشياطين والتخلق بكمال الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا لصاحب قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد قد تغير وصف البدن والرب جميعا إذا صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذا تغير عليه محال بل لا يزال في نموت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا يتكشف هذا الإبتثال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بشعرهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فتتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ يطلب القرب من درجة مستأذفة في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالتزول إلى درجة تليذ ، والتليذ متحرك مرتق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائما في التغير والتزق إلى أن يقرب من أستاذة والأستاذ ثابت غير متغير فكذاك ينبغي أن ينهم ترقى البدن في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وآثم علما وإحاطة بمقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن

فالنفس اذا تركت
بالتوبة النصوح زالت
عنها الترساة الطبيعية
وقفة الصبر من وجود
الترساة للنفس وإزالتها
واستصاها والتوبة
النصوح تلين النفس
وتخرجها من طبيعتها
وشراستها إلى اللين
لأن النفس بالحساسية
والرأفة تصفو وتطهر
نيرانها للتأججة
بتأدية الهوى وتبلغ
بطمأنينتها على لرضا
ومقامه وتطمئن في
مجارى الأقدار قال
أبو عبد الله التاجي
فه عباد يستحيون
من الصبر ويتلقفون
مواضع أقدارهم بالرضا
تلقفا، وكان عمر بن
عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بشدركاله، ثم قد يشد التلذذ على القرب من الأستاذ على مساواته على مجاوزته وذلك في حق الله تعالى فإنه لا نهاية لأكماله وسلك البعد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود لا يقطع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله للبعد تفرق بين نفسه بدفع الشواغل والدوام عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بجليه . وأما محبة البعد فهو ميلة إلى درك هذا الكمال الذي هو مفضل عنه فاقد له فلا جرم يشاقق إلى مفاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذ به والشوق والمحبة بهذا الشيء محال على الله تعالى . فان قلت محبة الله للبعد أمر مكتسب فبم يعرف البعد أنه حبيب الله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب الله الحب البالغ انتفاء قيل وما انتفاء ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً (١)» فعلامه محبة الله للبعد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل ليسى عليه السلام لم لا تشترى حماراً تتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشاقق عن نفسه بحماره وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه (٢)» وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد يصفاك ، وقال بعض الزيديين لأستاذهم قد فعلت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بحبب سواه فأترت عليه إياه قال لا قال فلا تطلع في المحبة فانه لا يطعها عبداً حتى يلو، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه (٣)» وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً بصره ببسبب نفسه (٤)» فأخس علاماته حبه لله فإن ذلك يدل على حب الله . وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو الشير عليه والدبر لأمره واللزج لخلقه وللشتم وللجورحه والسدد لظاهرة وباطنه والجامل همومه واحداً وللبيض لعدنيا في قلبه وللوحش له من غيره والمؤنس له بلقة الناجاة في خلواته والكاشف له عن الحبيب بينه وبين معرفته فذا أمثاله هو علامة حب الله للبعد ، فلذلك الآن علامة محبة البعد لله تعالى أيضاً علامات حب الله للبعد .

(القول في علامات محبة البعد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعيها كل واحد ومأسول الدعوى وما أعز للنفس فلا يخفى أن يشتر الإنسان بتأليب الشيطان وخضع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتحجها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار العاقضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة النار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوا إلا واجب مشاهدته لقاءه وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالوت فبئس أن يكون محباً للموت غير قادر منه فإن الحب لا يتقل عليه السفر عن وطنه إلى مستر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولم يسمه في مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة أيضاً حسن لفظاً إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً بصره ببسبب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس زيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالي سرور
إلا مواقع القضاء قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي عباس
حين وصاه «اعمل لله
باليقين في الرضا فان لم
يكن فان في الصبر
خبراً كثيراً وفي الخير
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من خير
ما أعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له»
فالأخبار والآثار
والحكايات في فضيلة
الرضا وشرفه أكثر
من أن تحصى والرضا
ثمررة التوبة النصح
وما تخلف عبد عن
الرضا إلا تخلفه عن
التوبة النصح فاذن
تجمع التوبة النصح
حال الصبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليقيم بمشاهدته والوفاة مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى الشهادة . قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » (١) وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم . وقال بعض السلف : ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد مدح أبناؤه كثرة السجود قدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله لجلل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لمعلمه رضي الله تعالى عنهما : الحق تبارك وهو مع قومه مريء والباطل خفيف وهو مع خفته مريب . فان حفظ وصيقي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وإن ضيقت وصيقي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تمجزه ، وبروي عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فلتأمر رجلا شديدا بأمره شديدا حرره أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجمع أنفي وأذني ويقر بعني فاذا القيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أنك وأنتك فأقول فيك يارب وفي رسولي فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أغمره وأذنه لملعتان في خيط (٢) قال سعيد بن السيب أرجو أن ير الله آخر قسمه كما أبرأه ، وقد كان الثوري وجسر الحافي يقولان لا يكره الموت إلا لمرب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيه . وقال البيهقي لبعض الزهاد أحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لأحبته وتلا قوله تعالى - قد نوال الموت إن كنتم صادقين - قال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لاثنين أحدم الموت » (٣) قال إني ما فعلت لضر نزل به لأن الرضا قضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه . فان قلت بمن لأحب الموت فهل تصور أن يكون عبا ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضئيلة فان الناس متفاوتون في الحب ويبدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة فريش في ذلك وقالوا أنسكت عقيلة من عقائل قريش لولي فقال والله لقد أنسكتها بإياها وإنني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من ضله فقالوا وكيف وهى أخنك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليتنظر إلى سالم » (٤) فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فلتأمر رجلا شديدا بأمره شديدا حرره أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجمع أنفي وأذني ويقر بعني فاذا القيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أنك وأنتك فأقول فيك يارب وفي رسولي فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أغمره وأذنه لملعتان في خيط (٣) حديث لاثنين أحدم الموت لضر نزل به بالحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاها عاتبة فريش في ذلك وفيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليتنظر إلى سالم » (٤) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فلتأمر رجلا شديدا بأمره شديدا حرره أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجمع أنفي وأذني ويقر بعني فاذا القيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أنك وأنتك فأقول فيك يارب وفي رسولي فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وإن أغمره وأذنه لملعتان في خيط

ببقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس بكره الموت وإنما بكره
محبته قبل أن يستمد لقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبيب بقدم
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليرى له داره ويبد له أسبابه فيلقاه كما بهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظفر عن الموائق فالكرهية بهذا السبب لا تأتي كمال الحب أصلاً وعلامة
الدور في العمل واستغراق القلب في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه
في ظاهره وباطنه فيقوم مشاق العمل ويحبت اتباع الهوى ويصر عن دعة الكسل ولا يزال
مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالزواجر وطالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب الحب مزيد القرب
في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالآيات فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
 حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقى مستمراً على متابعة الهوى
فحبوه ما بهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قلع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام انفرجت عنه وتخلت للعبادة واخضعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه
نهاراً فرفضته إلى الليل فإذا دعاها ليلاً - روف به إلى التبارك وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبة لواءه وما أريد به بدلاً حتى قال لها إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وسألهما نبيي فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى ففندتها سكنت إليه ؛ فاذن من أحب الله
لابسيه ولذلك قال ابن المبارك فيه :

نصى إليه وأنت تظهر حبه هذا لدمري في القمار بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضاً :

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إثارته على نفسه وليس كل من يحمل بطاعة الله عز وجل
صار حبياً وإنما الحبيب من اجتنب للناسي وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال
تعالى - يحبه ومحبوته - وإذا أحبه الله تولاها ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهوته فلا
يخذله الله ولا يتركه إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعنادكم وكفى بالله نصيراً -
فإن قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكيف
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد ضعف والشهوة قد تناب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي
أن نبيان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قبل فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن
أتى به يوماً فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لانتله فانه يحب الله رسولاً (١) فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة نعم يخرج به بالمصيبة عن كمال الحب

(١) حديث أنى نبيان يوماً فحده فلعنه رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لانتله فانه يحب الله
ورسوله البخاري وقد تقدم .

يغاف وجاه في نفسه
قوله تعالى - ولانلقوا
بأيديكم إلى التهلكة
هو البعد يذهب
الكبرائم ثم يقول قد
هلك لا ينفع عمل
فالتائب خاف ظن
ورجال للفرقة ولا يكون
التائب تاباً إلا وهو راجع
خائف ثم إن التائب
حيث قيد الجوارح عن
السكران واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
شكر النعم لأن كل
جائحة من الجوارح
نعمة وشكرها قديها
عن النعمة واستعمالها
في الطاعة وأى شأكر
للمعنى أكبر من التائب
الستغفر فإذا جمع مقام
التوبة هذه المقامات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض المارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حيا متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أعجب الله تعالى فاستكت فانك إن قلت لا، كفرت وإن قلت نعم، فليس وصفك وصف المجيب فأحذر اللت. وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعم أعلى من نعم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق شيء من ذلك. ومنها أن يكون مستهترا يذكر الله تعالى لا يفتخر عنه لسانه ولا يغلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامه حب الله حب ذكره. وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب كلب محبته فإذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتسب بالحبوب ومحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسول الله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحبا الله لما يندمكم به من نعمة وأحبوني لله تعالى» (١) وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فاتما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فاتما يكرم الله تعالى. وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلالة النجاسة في سن الإراءة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فاقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدرت ما فيه من لطيف عتاي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي. وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله. وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة حب الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادها وبلغت إلى الآخرة. ومنها أن يكون أنه بالحلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيو أطيب على التهجيد وينتعم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالحلوة الحبيب والتعم بمناجاته فمن كان التوهم والاشتغال بالحديث الله عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبة قيل لأبراهيم بن آدم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تستأنس إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عني رجلين رجلا استبطأ ثوابي فاقطع ورجلا نسيتي فزسى بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبة وفي قصة برخ وهو البعد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برخا نعم البعد هو لي إلا أن فيه عيا قال يارب وماعيه قال يسجيه نسيم الأسفار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى شيء. وروى أن عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرًا طويلا فظفر إلى طائر وقد عتش في شجرة بأوى إليها وصفر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آس بصوت هذا الطائر

التوبة حال الزجر
وحال الانبعاث وحال
التبسط ومخالفة النفس
والنقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والانابة والصبر والرضا
والحاشية والرقابة
والرعاية والتشكر
والخوف والرجاء وإذا
صحت التوبة الصوح
وتزكت النفس انجحت
مرآة القلب وبانقيح
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهديتحقق
فيه التوكل لأنه لا زهد
في الوجود إلا لانعدامه
على الوعد والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكلما بقي
على البدي يفي تحقيق
القمامات كلها بعد
توبته يستدركه

قال فضل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق أحطنتك درجة لا تلتها بشيء من عملك أبداً ، فاذن علامة المحبة كمال الأُنس بتجاجة الميُوب وكال التمس بالخلوة وكال الاستيعاش من كل ما ينس على الخلوة ويعوق عن لذة للتجاجة وعلامة الأُنس مسمى العقل والقلم كله مستغرق بلغة للتجاجة كالتدب مخاطب مشغوفه وتناجيه وقد انتهت هذه اللذة بضمهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وتطعت رجل بضمهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأُنس صارت الخلوة والتجاجة قرّة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الأُنس والحب قلبه حتى لا يغمم أمور الدنيا ما لم تذكر على صممه مراراً مثل العاشق والوهان فانه يكلم النفس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه فالحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال طارفي بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبة إذا جنة الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فيها أن اذا موجود لمن طمئن . وقال موسى عليه السلام يارب أين أنت فأضرك فقال إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه . وقال أيضاً من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأسف على ما فوته عما سوى الله عز وجل ويوظف تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعة فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعفاف والاستغتاب والتوبة . قال بعض المرافين إن الله عبادة أجوبة وأطمانوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاماً ومناهاً كان لسانك لم فهو واصل إليهم ومافاتهم فيحسن تدبيره لهم وحق الحب إذا رجع من غفاته في لحظة أن يقبل على محبته ويستغل للغائب ويسأله ويقول رب بأيّ ذنب قلمت برك عنى وأبديت عنى حضرتك وشغلتني بنفسى وتجاجة الشيطان فيبتخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب بكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سبباً لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا بالمحبوب ولم ير شيئاً إلا بمنه لم يتأسف ولم يشك واستقبل السك بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته وبذكر قوله - وعسى أن تسكروها شيئاً وهو خير لكم - ومنها أن يتمم الطاعة ولا يستغفم ولا يسقط عنه تمها كما قال بضمهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تمتعت به عشرين سنة . وقال الجليد علامة الحب دوام النشاط والدروب بشهوة فتقر بدنه ولا تغتر قلبه . وقال بضمهم العمل على المحبة لا بدخلة القنور . وقال بعض العلماء والله الماتني محب لله من طاعة ولو حل عظيم الوسائل فكل هذا أو مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستغل السعى في هوى مشغوفه ويستغل خدمته بقلبه وإن كان شاقاً على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تتأوده القدرة وأن يفرقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالباً قهر لا عالة ما هو دونه فن كان محبوبة أحب إليه من السكسل ترك السكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه ، وقبل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوماً عبداً وقد خلا بمحبوبة وهو يقول أنا والله أحبك بقلي كله وأنت مريض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فأبش فإني تنفق على قال باسدي أملكك ما أملك

زهد في الدنيا وهو ثالث الأربعة . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن عباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن السروزي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن المبارك قال حدثنا الهيثم بن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بربرة قال قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بغاطمة رضي الله عنها فرأها قد أحدث في البيت وأزواجاً في يدها فلما رأى

ثم أتفق عليك روحى حتى تهلك فقات هذا خلق لحاق وعبد لعبد فكيف سبى لمجد فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحماً بهم شديد على جميع أعداء القوم على كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى - أشداه على الكفار رحماً بينهم - ولا تأخذوا مومة لا تم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفونهم كما يكلف الصبي بالتي . ويأوون إلى ذكري كما يأوى النسر إلى وكفه ويضنون لحارمه كما ينضب النحر إذا حرطه لا يبالى تل الناس أو كثرُوا فانظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذا كلف بالتي لم يفرقه أصلاً وإن أخذته لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإن نام أخذه معه في ثيابه فإذا التبه عاد ونمسه به ومهما فرقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه وأجبه وأما العرفاء فلهذا كلف نفسه عند التنبؤ حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه نصفاً في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحب حبه غير الله تمتع في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب للقرين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لى نعم- ثم قال - يدعون من رحيق عتوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجهم من تسليم عينا يهرب بها القربون - فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب العرفاء الذى هو للمقرين والشراب عبارة عن جملة نعم الجنان كما أن الكتاب عبره عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لى عليلين- ثم قال - يشهد القربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهد القربون وكان الأبرار يجدون للزبد في حلهم ومعرقهم بقرهم من القربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حلهم في الآخرة - ما خلقت ولا تشكر إلا كنس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكما قال تعالى - جزاء وما افاء - أى وافق الجزاء نعمهم قبول الحاصل بالصرف من الشراب وقبول الشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر سابق من الشوب في حبه وأعماله - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعم الجنة والحوار العين والقصور مكن من الجنة ليتوا منها حيث يشاء فليسب مع الولدان ويتنعم بالنسوان فهناك تنتهى لذته في الآخر لأنه إنما يطعم كل إنسان في المحبة ما تشتهيه نفسه ومنطق عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يقبل عليه إلا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدره فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحواري العين والولدان والقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقون نعم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج . مشغولون وللمعجزة أقولهم آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة إليه وعليون لدوى الأبواب »^(١) ولما قصرت الأنعام عن درك معنى عليلين عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليلون - كما قال تعالى - القارة ما القارة وما أدراك ما القارة - ومنها أن يكون في حبه خالفاً متضالاً تحت المحبة والتعظيم وقد بطن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب المحبة كما أن إدراك الجلال يوجب الحب والخصوص المحيين مخاوف في مقام المحبة ليست لتبريم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا النوع في سورة هود هو الذى شيب سيد

(١) حديث أكثر أهل الجنة إليه وعليون لدوى الأبواب البراز من حديث أنس عنه ضيف مقتصرًا على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبى الحواري وأله أدرج فيه .

ذلك رجع ولم يدخل
ثم جلس فجاء يسكت
في الأرض ويقول
مالى ولادنيا مالى
ولادنيا فرأت فاطمة
أنه إنما رجع من أجل
ذلك الستر فأخذت
الستر والروايد
وأرسلت بهما مع بلال
وقالت له اذهب إلى
البي صلى الله عليه وسلم
قل له قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فأنى
بلال إلى التى صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فقال
البي صلى الله عليه وسلم
بأبى وأمى قد فطنت
بأبى وأمى قد فطنت
أذهب فبعه « وقيل
في قوله تعالى - إنا
جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنلومهم أنهم

المحبين (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنفوس - ألا بعدا لمدين كما بعدت نفوس - وإنما اعظم هية العبد وخوفه في قاب من ألف القرب وذاقه وتنم به لحديث العبد في حق البعد ينشيب جماعه أهل القرب في القرب ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ولا يبيح لحوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب الزيد فانا قد علمنا أن درجات القرب لانهية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملوم » (٢) وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليل حتى استغفر الله سبعين مرة » (٣) « وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الغفور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أصلبه لئذ مناجى فسلم للزيد بسبب الشهوات عقوبة للدموم فأما الخصوص فيجبهم عن الزيد مجرد الدعوى والحب والركون إلى مظهر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحفي الذي لا يتدرج على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الواسعة ثم خوف فوت ملا يدرك بعد فوته . مع إبراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفور سوى الإعراض عنا

قد وهبنا لك ما فات فهب ما فات منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل بإبراهيم كن بعدا فكنت بعدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان الحب يلازمه الشوق والطلب الحديث فلا يتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا باللطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه وأوسبب رجته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية صاوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فإذا أراد الله السكر به واستدراجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى والنسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلو والعقل والذكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحسنة فن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرامان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو اللت والسو عنه مقدمة هذا المقام والأعراض والمحاجب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرواقضاعة عن دوام الله كرماله لو طائف الأوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام اللقت نفوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء الراقية دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لاحالة فقدته فلا يغلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض المارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك باليسط والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه باليد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فحبه ومكنه وعله فالحب لا يغلو عن خوف والخائف لا يغلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة

أحسن محمدا - قيل الزهد في الدنيا . مثل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر . وسئل الشبل عن الزهد فقال ويلكم أي مقصد اراد الجناح بعوضة أن يزهد فيها . وقال أبو بكر الواسطي إلى متى تصول بترك كيف وإلى متى تصول بإعراضك عما لا تزن عند الله جناح بعوضة فإذا صبح زهد العبد صبح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهد في الوجود فن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحق

(١) حديث شيبتي هود أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون وما هو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملوم لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام الحبة وسد من الحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت العفة لم ثبت لذلك طاقة البشر فأعما الخوف يبدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقه ووجه قلبه وبقي شائخا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى قال يارب انقصه من القدرة بضعا فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتك جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة فقلت أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من الحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخرت إجابتي إلى أن شفقت أنت لهذا فذا أجبتك فيها سألت أعطيتهم كما أعطيت قصمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك قال سبحانه يا أيها الحاكم انقصه مما أعطيت فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر مشواره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفا وجهه ورجاه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل في وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو رمى بعيد عن الأحرار منهم والبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كأن فؤاده زبر الحديد
قد عزت معانيه وجلت عن الأبصار إلا كسبيد
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عبيد
ولأجباب أفرح بسيد ولا يجد السرور له بيد

وقد كان الجيد رحمه الله يشد أليانا بشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات :

سرت بأناش في التيوب قلوبهم خلوا بقرب اللاجد للتفضل
عراسا يقرب الله في ظل قدسه تجسول بها أرواحهم وتنقل
مواردم فيها على العز والتهى ومصدرم عنها لما هو أكل
تروح جز مفرد من صفاته وفي حل التوحيد تمشي وترقل
ومن جد هذا مانتق صفاته وما كتمه أولى لديه وأعدل
صاكن من على به ما يصونه وأبدل منه ما يرى الحق يذل
وأعطى عباد الله منه خواتمهم وأمنع منه ما يرى اللع بفضل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والعلن أجمل

وشئال هذه العارفين التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس بها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم يتكشف له بل لو اشترك الناس فيها حُرمت الدنيا بالحكمة تنقضي محول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما حُرمت الدنيا بهم فيها بطلت الأسواق ولما يقى بل لو أكل السماء الحلال لا تشغلوا بأنفسهم ولو قفت الألسنة والأعناق عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيها هو خسر في الظاهر أسوار وحكم كما أن له في الخبر أسرارا وحكما ولا منتهى لحسنة كالأمانة قدره . ومنها كثبان الحب واجتباب الدعوى والتوقى من إظهار الوجد والحبة تعظيما للمحبوب وإجلالا له وهبة منه وغيرة على سره فإن الحب سر من أسرار الجيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقراء وتعظيم التقوى عليه في المعنى وتجعل عليه البلى في الدنيا ، نعم قد يكون للمحب سكرة في جبهته حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

هذين للقامين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقق بها ترتيب
التوبة مع الرابطة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
العبد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب التهان
شيئا ثم يرتقى من
تطهير الجوارح عن
للماضي إلى تطهير
الجوارح عما لا يبيح
فلا يسمح بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
ينقل للرعاية والمهابة
من الظاهر إلى
الباطن وتستولى
الراقة على الباطن
وهو التحقق بسلم
القيام بمحو خواطر
الصعبة عن باطنه

فيظهر عليه حينه فان وقع ذلك عن غير تحمل أو اكتساب فهو مذخور لأنه . فهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلاطاق سلطانة وقد يفتش القلب به فلا يندفع فيضانه فالتقدير على الكسبان يقول:
وقالوا قريبا قلت ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
ثمالي مننه غير ذكركم بخاطر يسبح نار الحب والشوق في صدرى
والماجز عنه يقول :

يغنى فيسدى الدمع أسرارته ويظهر الوجد عليه النفس
ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وقد قال بعض المارفين أكثر الناس من الله يبدأ أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكثر التعريض به
في كل شيء . ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محفوت عند الهيبين والمسلماء بالله عز وجل
ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى بلاء . فقال لا يجبه من وجد
ألم ضره فقال الرجل لكني أقول لا يجبه من لم يتم بضره فقال ذو النون ولكني أقول لا يجبه من شمر
نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب إليه فان قلت المحبة تنهى القامات وإظهارها إظهارا للغير
فلماذا يستعكر . فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإظهار النعم للظاهر بها لما يندخل فيها
من الدعوى والانسكاب وحق الحب أن يتم على حبه الحق أيضا له وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي
أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار القبول الدال على الحب بل ينبغي أن يكون
قصد الحب اطاعة الحبيب فقط فاما إرادته اطلاع غيره فترك في الحب وقطع فيه كما ورد في الإنجيل
إذا تصدقت فصدق بحيث لاتعلم شمالك ما صنعت يمينك فالتى يرى الخفيات يحزبك . الآية وإذا صمت
فاغسل وجهك وادهن رأسك لاتعلم بذلك غير ربك فظاهر القول والقول كله مذموم إلا إذا غلب
سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلزم فيه صاحبه . حتى أن رجلا رأى من بعض
المجانين ما استعجله فيه فأخبر بذلك معروفا السكرخى رحمه الله فقسى ثم قال ياخى له محبوب صغار
وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم وما يكرهه التظاهر بالحب بسبب أن الحب إن كان
عارفا وعرف أحوال الملائكة في حبيب الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا يهضمون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستغنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه
من أحسن المحبين في علمه وأنه حبه أقص من حب كل حبه لله قال بعض الكشفيين من المحبين
عبدت الله خالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستغراق الطاقة حتى ظننت
أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات قصة طويلة قال فى آخرها فبلغت صفا
من الملائكة جدد جميع ما خلق الله من شيء . قلت من أتم قالوا نحن المليون هموزج لم نبيدها
منذ ثلاثة آلاف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالى فوهبتها
لمن حق عليه الوعد تخفيفا عنه في جهنم فاذن من عرف فاذن نفسه وعرف ربه واستحياته حتى الحياه
خسر لسانه عن التظاهر بالدعوى ، نعم شهد على حبه حركاته وسكناته وإقامته وإجابه وترددها
كأحكي عن الجنيد أنه قال مرض أسنانا السرى رحمه الله فلم يعرف لملته دواء ولا عرفنا لها حيا
فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لى أراه
بول عاشق قال الجنيد فصمتت رغبى على وقتت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته
فقسم ثم قال قاله الله ما بعصره قلت بأستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر الفضول
فأذا تمكن من
رعاية الخطرات عصم
عن مخالفة الأركان
والجوارح وتستقيم
نوبته قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه
وسلم - فاستقم كما
أمرت ومن تاب
معلك - أمره الله
تعالى بالاستقامة في
التوبة أمرا له ولأتباعه
وأمنه وقيل لا يكون
للريد مريدا حتى
لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيئا عشرين
سنة ولا يلزم من
هذا وجود الصمة
ولكن الصادق الثاب
في النادر إذا ابتلى
بذنب تمنع أثر الذنب
من باطنه في

لو شئت أقول ما ليس جلدى على عظمى ولا سل جسدى إلا جبه ثم غشى عليه وتل القشية على أنه
أصبح في غلبة الوجد ومقدمات القشية فهذه جماع علامات الحب وغراته . ومنها الأنس والرضا كما
سيأتى . وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يشمره الحب فهو اتباع الهوى وهو
من ذرائع الأخلاق ، نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه والمحبون
لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الحنبلية الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام ظنوا
ذلك بمحبتهم في دوام إحسانهم وكثرة نعمه فز يتساءلون أن أرضوه إلا أنهم نقل محبتهم وتكثر
على قدر النعم والاحسان فأما الخاصة فقالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماء الحسنى لم يمتنعوا أن أحبه إذ استحق عندهم المحبة بذلك
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم منهم من الناس من يحب هواه وعدوا الله إليهم وهو مع ذلك
يلبس على نفسه بحجج الضرور والجهل فيظن أنه يحب لله عز وجل وهو الذى قدت فيه هذه
العلامات أو يلبس بها غافقا ورياء ومهمة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك كهؤلاء السوء وقراء السوء أولئك يفسدوا الله في أرضه وكان سهل إذا تسكلم من إنسان قال
يادوست أى ياحبى قليل له قد لا يكون حبيبا فكيف تحول هذا قتال في أذن القاتل سرا لا يغلو
إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب
إبليس وقد قال أبو تراب البخشي في علامات المحبة آياتا :

لا تخدعن فلحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
● منها تنعمه بحر بلائه وسروره في كل ما هو فاعسل
فالتع منه عطية مقبولة والفقر لإحسانهم وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العادل
ومن الدلائل أن يرى متبها والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متشفا متحفظا من كل ما هو ظالم

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشفرا في خرفتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فصل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعم الرائل
ومن الدلائل أن تراه باسكيا أن قد رآه على قبيح فاضل
ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى للبيك العادل
ومن الدلائل أن تراه راسيا بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكك بين الهوى والقلب محزون كقلب النمل كل

(بيان معنى الأنس بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب
نظرة وما يطلب عليه في وقته فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب القلب إلى منى الجمال واستشعر
قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه وتسمى هذه الحالة

ألطف ساعة لوجود
النعم في باطنه
على ذلك والنعم توبة
فلا يحسب عليه
صاحب التوالت شيئا
فإذا تاب توبة نصوحا
ثم زهد في الدنيا
حتى لا يهتم في غذائه
لشائه ولا في عشاءه
لغذائه ولا يرى الأذخار
ولا يكون له تعلق
ثم يند قد جمع
في هذا الزهد
والفقر والزهد أفضل
من الفقر وهو فقر
وزيادة لأن الفقير
عادم لشيء اضطرابا
والزاهد تارك لشيء
اختيارا وزهده
يحقق توكده وتوكله
يحقق رضاه ورضاه
يحقق الصبر وصبره

في الازعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه القرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجلال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يدرك بعد استبصاره القلب بما يلاحظه فيسمى استبصاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات الزوال والاستغناء وعدم البقاء وخطر إمكان الزوال والبدن تألم القلب بهذا الاستعمار فيسمى تألمه خوفا وهذه الأحوال تاجعة لهذه الملاحظات والملاحظات تاجعة لأسباب تخفيا لا يمكن حصرها فالأنس منه استبصار القلب وفرحه بمطالعة الجلال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما ينطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا فإني من يشاق وهذا كلام مستغرق بالقرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقى في الامكان من مزايا الأنطاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوة إلا في الانفراد والخلو كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل قبيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله لازمه التوحيش من غير الله بل كل ما يهوى عن الخلو فيكون من أهمل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلفه ربه مكث دهرًا لاسمع كلام أحد من الناس إلا أخذته النشيان لأن الحب يوجب عدوية كلام المحبوب وعدوية ذكره فيخرج من القلب عدوية ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتاني بذكره وأوحىني من خلقه . وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبني مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل رايته ثلثه عليه التزلة قالت تركي مالا ينبغي وأنسى بمن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مرتب ربابه قتلته يا رباب لقد أعجبنيك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليهم من نفسك الوحدة رأس العبادة قتلته يا رباب ما أتل متعجده في الوحدة قال الرامة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قتلته يا رباب حتى يذوق البعد حلاوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت العامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع الملم فصارها واحد في الطاعة . وقال بعض الحكماء عجبا للخلاق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للأناب كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت فما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرته الخلق والتبرم بهم واستهتارهم بعبودية الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ويجمع في خلو وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعبودية الذكر كما قاله علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاشربوا روح اليقين واستلنا ما استوعب الترفون وأنسوا بما استوحش منه المجاهلون محبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والعبادة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهله علامته وهذه شواهد هذه فذهب بعض للتكميل إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال للدرجات بالصفات أكمل من جمال البصرات ولله معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحد بن غالب يعرف بسلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على العشور فظن أنه لا وجود إلا للعشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الحيال من طريق الدين قصر مجرد ووراءه الحب المطلوب فمن لم يصل من الجوارز إلى قسره يظن أن الجوارز خشب كله ويستعجل عنده خروج الدهن منه لعمالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل :

عشق حبس النفس
وصدق المجاهدة
وحبس النفس قد
عشق خوفه وخوفه
عشق رجاءه وجمع
بالتوبة والزهد كل
القمامات والزهد
والتوبة إذا اجتماع
صحة الإيمان وعقوده
وشروطه يسوز هذه
الثلاثة رابع بهناتها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال السنية
يتكشف بعضها بهذه
الثلاثة وتيسر بعضها
متوقف على وجود
الرابع وهو دوام
العمل وسكينة من
الزهد للتحققين بالزهد
للتسليمين في التوبة
تخلقوا عن كثير من
سوى الأحوال لتخلفهم

الأنس بالله لا يحويه بطلان وليس يدركه الحول محال
والآنسون رجال كلهم نجس وكلهم مسفوة في عمل
(بيان معنى الانبساط والادلال الذى تسمره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكك ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينهضه خوف التضرع والحجاب فإنه يسم
نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والناجاة مع الله تعالى وقد يكون مسكر الصورة لما فيه
من الجرامة وقلة الحيلة ولكنه محتمل عن أقيم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك القام يتشبههم
في الفعل والكلام هلك به وأشرف على السكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى بكليمه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف أستجيب لهم وقد أغفلت عليهم ذنوبهم
سرايرهم خبيثة يدعونى إلى غير يقين ويأمنون مكرى أرجع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له
يخرج حق أستجيب له فقال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فينبأ موسى ذات يوم بمنى في طريق
إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فرفعه موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما سمكت فقال اسمى برخ قال فأنت طلبتنا منذرين
أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعاك ولا هذا من حلك وما الذى بالذك أنقصت
عليك عيونك أم عانت الرباع عن طاعتك أم قد ماعدتك أم أشد غضبك على الذنبيين ألتكتكت
غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالمعطف أم تربنا أنك تمتع أم تخشى القوت فتعجل
بالعوبة قال فابرح حتى أخذت بنو إسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاستم ربى كيف أنصفى
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخاً يضحكى كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن
قال احترقت أخصاص بالصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فآخبر
بذلك فبث إلى صاحب الحصن قال فأتى بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربى عز وجل أن لا يعرجه فقال أبو موسى رضى الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« يكون في أمق قوم شعثاء رؤوسهم دنسة ثيابهم لوانسوا على الله لأبرهم » (١) قال ووقع حريق بالصرة
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال إني أقسمت على
ربى عز وجل أن لا يعرجنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطمأ قال فزعم عليها فطشت وكان أبو خص
بمنى ذات يوم فاستقبله رستاقي مدعوش فقال له أبو خص ما أصابك قال ضل حمارى ولا أملك غيره
قال فوقف أبو خص وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم تزد عليه حمارة قال فظهر حمارة في الوقت ومر
أبو خص رحمه الله . فهذا وأمثاله يجرى لذوى الأنس وليس لغيرهم أن يتشبههم . قال الجيز رحمه الله
أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة . وقال مرة لوصيها
العموم لكفرهم وهم يمدون للزيد في أحوالهم بذلك وذلك محتمل منهم ويليق بهم إليه أشار القائل:

قوم تغالجهس زهو بيدم والعبد يزهو على مقدار مولاة
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولاستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون في أمق قوم شعثاء رؤوسهم دنسة ثيابهم لوانسوا على الله
لأبرهم ، ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه اعطاع وجهالة .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد في الدنيا
إلا لكحل الفراغ
للمستعان به على إقامة
العمل لله تعالى والعمل
فه أن يكون العبد
لازال ذا كرا أو تاليا
أو مصليا أو مراقبا
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعى أو مهم
لا يند منه طبيعى فاذا
استوى العمل القلبي
على القلب مع وجود
الشغل الذى أداه إليه
حكم الشرع لا يفسد
باطنه عن العمل
فاذا كان مع الزهد
والتقوى متمسكا
بدوام العمل قصد
أكل الفضل وما آلى
جهدا في العبودية

هذه المأني لوظفت وفهت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها
بين الاعتبار فاعلموا عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام
وإبليس أما تتراموا كيف اشتراكا في اسم النصية والخالفه ثم تباينا في الاجتناب والنصرة . أما إبليس
فأبلى عن رحمته . وقيل إنه من البعدين . وأما آدم عليه السلام فقبل فيه - ونصى آدم ربه
فقوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى - وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الأعراض
عن عبد والاقبال على عبد وما في الصلوة بيان ولكن في الحال مختلفان ، فقال - وأما من
جاءك يسمى وهو يغنى فأنت عنه تلهى - وقال في الآخر - أما من استنى فأنت له تصدى -
وكذلك أمره بالعمود مع طائفة ، وقال عز وجل - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام
عليكم - وأمره بالإعراض عن غيرهم ، فقال - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض
عنهم - حتى قال - فلا تمد يد الذكري مع القوم الظالمين - وقال تعالى - واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون
بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء - وقوله في التلليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - فقال - ولهم
على ذنب - وقوله - إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطق لسانى - وقوله - إنا
نخاف أن يخرط علينا أو أن يطغى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى
أثم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام مادون هذا لما أثم مقام القبض
والهبة فزوب بالجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة - لولا أن
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم - قال الحسن العراء هو القيامة ، ونهى شيئا
صلى الله عليه وسلم أن يمتدى به . وقيل له - فاصبر لحسرك ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ
نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال وال مقامات وبعضها لما سبق في
الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من
الفضلين والإدلاله سلم على نفسه ، فقال - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا -
وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أثم
مقام الهبة والحياء فلم يطق حتى أتى عليه خالقه ، فقال - وسلام عليه - وانظر كيف احتمل
لإخوة يوسف مافعلوه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أول قوله تعالى - إذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - إلى رأس الشر من أخباره تعالى عن زهدم فيه نيفا
وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد مجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ففتر
لهم وغفا عنهم ولم يحتمل المزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قبل محمى من ديوان النبوة
وكذلك كان بسلام بن باعوراء من أكبر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان
أصف من السرفين وكانت مصيئته في الجوارح فضا عنه قد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان
عليه السلام بإرأس العابدين وإبان حجة الزاهدين إلى كم بمصبي ابن خالناك أصف وأنا أحلم عليه
مرة بعد مرة فوعزنى وجلالى لأن أخذته عصفه من صفاتى عليه لأركنه مثقل من معه ونكلا
لن بيه . فلما دخل أصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :

من خرج من قالب
الصلوة صنع به ما
يسن بالآتي . وسئل
سهل بن عبد الله
القتري : أى منزلة إذا
قام الصلوة مقام
الصلوة قال إذا ترك
التدبير والاختيار فإذا
تحقق العبد بالصلوة
والزهد ودوام العمل
فد يشغل وقت الحاضر
عن وقت الآتي ويصل
إلى مقام ترك التدبير
والاختيار ثم يصل إلى
أن يملك الاختيار ،
فيكون اختياره من
اختيار الله تعالى فيزول
هواه وفور عله
واشباع مادة الجهل
عن باطنه . قال يحيى
ابن معاذ : الرازي مادام

كثيما من رمل ثم رفع رأسه وبديه نحو السماء وقال إلهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكشف أثوب إن لم تب علي وكيف أستصم إن لم تحصني لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا أسفا أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة وقد ثبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام يدل به عليه وهارب منه إليه وتناظر به إليه ، وفي الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشقى على الملكة كم من ذنب واجهته به غفرت له قد أهلكك في دونه أمة من الأمم » فهذه سنة الله تعالى في عباده التفضل والتقديم والتأخير على ما سبقته به للشيئة الأثرية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل ما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالقدس فيقول - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وتارة يتعرف إليهم بصفات جلالة فيقول - ذلك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المحفوفة بالرحمة فينبو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول - ألم تر كيف فعل ربك بآدم ذات الصدأ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القبل ولا يبدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الارشاد إلى معرفة ذات الله وتوحيده ومعرفة صفاته وأسمائه ومعرفة أفعاله وسنته مع عباده ، ولما اختلفت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وانزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال « من قرأ سورة الاخلاص قد قرأ أثلاث القرآن » (١) لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور : لا يكون حاصلًا منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله سلم يله - ولا يكون حاصلًا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله سلم يولفسوا يكون في درجة وإن لم يكن أصلًا له ولا فرعًا من هو مثله ودل عليه قوله - ولم يكن له كفوا أحد - وجميع جميع ذلك قوله تعالى - قل هو الله أحد - وجعلت تفصيل قوله لا إله إلا الله بهذه أسرار القرآن ولا تنتهي أسرار هذه الأسرار في القرآن - ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - وذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه نوروا القرآن والتسوا غرائبه فيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طالع في آحاد كلماته ففكره وصفا له فيه حتى تشبه له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر ملك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن مباءة في طي القصص والأخبار فكنت حريصا على استنباطها ليكشف لك فيه من المعاني ما تستحضر معه العلوم للزخرفة الخارجية عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانسباط الذي هو ثمرة وبيان ثناوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته)

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات التربين وحقيقته غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وقبه في الدين قد أنكروا منكرين تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء . ولما فصل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والعاصي وأنهم بذلك قوم فرأوا الرضا بالعبور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لتضاه الله تعالى ، ولو انكشف هذه الأسرار لمن اقتصر على صماح طواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال « اللهم قبه في الدين وعله التأويل » (٢)

(١) حديث من قرأ سورة الاخلاص قد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث دعاه لابن عباس اللهم قبه في الدين وعله التأويل متفق عليه دون قوله وعله التأويل ورواه أحمد بهجة الزيادة وتقدم في العلم .

البيد يتعرف يقال له
لاختار ولا تحسن مع
اختيارك حتى تعرف
فاذا عرف وصار عارفا
يقال له إن شئت اختر
وإن شئت لا تختار
لأنك إن اخترت
فاختيارنا اخترت
وإن تركت الاختيار
فاختيارنا تركت
الاختيار فانك بنا في
الاختيار وفي ترك
الاختيار والبيد
لا يتحقق بهذا المقام
العالي والحال العزيز
الذي هو القاية والنهاية
وهو أن تلك الاختيار
بعد ترك التدبير
والخروج من الاختيار
إلا بإحكامه هذه
الأربعة التي ذكرناها
لأن ترك التدبير فناء
وتعليك التدبير

فليبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراشدين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصويره في مخالف
الموى ثم نذكر ما يظن أنه من غمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على العاصي .

(بيان فضيلة الرضا)

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان - ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا البعد عن الله تعالى وقال تعالى
- وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن
كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقدره كرهه أكبر - فكما
أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك ^(١) فسلوهم
الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا البعد فسندرك حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن البعدهو
بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للبعد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقتصر أفهام الحلق
عن دركه ومن بقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه . وعلى الجملة فلا تربية فوق النظر إليه فاعلموا
الرضا لأنه سبب دوام النظر فساكنهم رأوه غاية الثبات وأقصى الأمان فلانظر روائعهم النظر فلما مروا
بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلوا أن الرضا هو سبب دوام برغ المحبوب قال الله تعالى - سوفيتنا مزيد
قال بعض المسلمين فيه بأن أهل الجنة في وقت اللزيم ثلاث تحف من عند رب العالمين : إحداهما هدية
من عند الله تعالى ليس عندكم في الجنان مثلاً فذلك قوله تعالى - فلا تحلفن قس مأخين لهم من قررة
أعين - والثالثة السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية ففلا وهو قوله تعالى - سلاماً ولأمن
رب رحيم - والثالثة يقول الله تعالى : إني عنكم راضى . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك
قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أى من التبع الذى فيه فبفضل رضا الله تعالى وهو غير مرضا
البعد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أتى فقالوا
مؤمنون فقال ماعلماة إيمانكم فقالوا نصر على البلاء ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب السمكة ^(٢) » وفي خبر آخر أنه قال « حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء ^(٣) »
وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به ^(٤) » وقال ^(٥) « وقال ^(٦) » رضى من الله
تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ^(٧) » وقال أيضاً « إذا أحب الله تعالى
عبداً ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى استغفاه » وقال أيضاً « إذا كان يوم القيامة نبت الله تعالى لظاهته
من أنى أجنة فيطعمون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فاقول لهم

(١) حديث إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فقالوا رضى عن الله تعالى في الأوسط من حديث
أنس في حديث طويل يسند فيه لى وفيه فيتجلى لهم يقول أنا الذى صدقكم وعدى وأتممت عليكم
نعمى وهذا محل إكرامى سلوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو يحيى بلقظم قول ماذا تريدون
فيقولون رضاك الحديث ورجاله رجال الصحيح (٢) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أتى فقالوا
مؤمنون فقال ماعلماة إيمانكم الحديث تقدم (٣) حديث أنه قال في حديث آخر حكاء علماء كادوا
من قههم أن يكونوا أنبياء تقدم أيضاً (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى
به الترمذى من حديث فضالة بن عبيد بلقظ وقع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من
الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من العمل رويته في أمالي المحاملى باسناد ضعيف من حديث
على بن أبى طالب ومن طريق المحاملى رواه أبو منصور الديلمى في مسند القردوس .

والاختيار من الله
تعالى لعبده ورده إلى
الاختيار تصرف بالحق
وهو مقام البقاء وهو
الانسلاخ عن وجود
كان بالبعد إلى وجود
يصير بالحق وهذا
البعد ما بقى عليه من
الاعوجاج ذرته واستقام
ظاهره وباطنه في
العبودية وعمر العلم
والعمل ظاهره وباطنه
وتوطن حضرة القرب
بنفس بين يدي الله
عز وجل متمسكة
بالاستكانة والافتقار
متحققة بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« لا تنكح إلى نفسى
طرفة عين فأهلك ولا
إلى أحد من خلقك
فأنكح الأئمة الثلاثة

للالسكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فنقول لهم هل جزئ الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فنقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فنقول للالسكة من أمة من أمت فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فنقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا قبلنا هذه التزلة بفضل رحمة الله فيقولون وماها ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحي أن نصبه ونرضى بالبسر مما قسم لنا فنقول للالسكة بحق لكم هذا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر القراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا بواب قهرم وإلا فلا» (٢).

الولد ولأخلاقه.

[الباب الستون :

في ذكر إشارات

الشايخ في القاءات

على الترتيب]

قولهم في التوبة قال

روى معنى التوبة أن

يتوب من التوبة قيل

معناه قول رابعة

أسخفر الله العظيم

من قلة صدق في قولي

أسخفر الله . وسئل

الحسن الغزالي عن

التوبة ، فقال تسألني

عن توبة الانابة أو

عن توبة الاستجابة

فقال الله لا توبة

لما توبة الاستجابة .

فقال : أن

تخاف من الله . عز

وجل من أجل

قدرته عليك . قال

فما توبة الاستجابة .

وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فطنا برضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزله العبد منه حيث أثره العبد من نفسه» (٣) وفي أخبار داود عليه السلام المأوليات والمهم بالدنيا إن الملم يذهب حلالة مناجاتى من قلوبهم . يا داود إن عجب من أوليات أن يكونوا روحانيين لا يشتمون . وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دلي بى أمر فيه رضاء حتى أحمله فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاءى فى كرهك وأنت لتاصر على مانكره . قال يارب دلي عليه ، قال فإن رضاءى فى رضاءك بقضائى . وفى مناجاة موسى عليه السلام أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه المحبوب سلمنى قال فأنى خلقك أنت عليه ساطع . قال من يستخيرنى فى الأمر فإذا قضيت له سخط قضائى . وقد روى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ ربا سواى» (٤) ومثله فى الشدة قوله تعالى فبا أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله تعالى قدرت القادير وديرت التدبير وأحكمت الصنع ، فمن رضى الله الرضا منى حتى يلقائى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقائى» (٥) وفى الخبر للشهور «يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقت له الشر وأجريت الشر على يديه وويل لمن قال لم وكيف» (٦) وفى الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء سكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقلة عشر سنين لما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكوا هكذا كان بذك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أتيت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطربون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على التميمي ساقط هالك والحديث منسك عن خلف القرآن ، وللاخبار الصبيحة فى الورد وغيره . (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا بواب قهرم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عند الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بإلفظ منزلة ومثله الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى الحديث الطبراني فى الكبير وابن حبان فى التسعة من حديث أبي هند الدارنى بمقتصر على قوله من رضى بقضائى ويصبر على بلائى فليتمس ربا سواى وإسناده ضعيف . (٥) حديث قال الله تعالى قدرت القادير وديرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا الحديث لم أجدهم بهذا اللفظ وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبي أمامة خلق الله الحلقى وقضى القضية وأخذ ميثاق النبين الحديث وإسناده ضعيف . (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين فى شرح

وهكذا سبق لك مني وهكذا ضمنت عليك قبل أن أخلق الدنيا أقربد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبذل ما قدرته عليك فيكون مأجب فوق مأحب ويكون ما تريد فوق ما تريد وعزى وجلالى لمن تلجلج هذا في صدره مرة أخرى لأهونك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان يبنى أولاده الصغار يصعدون على يده وينزلون بجمل أحدهم رجله على أعضائه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أعضائه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، قال له بنى ولسه بأيت : أما ترى ما صنع هذا بك لوئيت من هذا قال يابى : إني رأيت ما لم نروا ، وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار السكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيسبىنى ملاءم . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي كفى فقلت له فقلت ولائى : لم أفله لم لأخته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولائى شيء لم يكن ليته كان وكان إذا خاصنى خصام من أهله يقول دعوه لوفى شيء لكان (١) . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإني ما يكون ما تريد فإن سلمت لما أريد كفتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أصبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد . [وأما الآثار] فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يعمدون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز ما مضى لي سرور إلا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ، قال ما مضى الله تعالى . وقال ميمون بن مهران من لم يرش بالقضاء فليس لحقه دواء . وقال الفضيل : إن لم يصبر على تحدير الله لم يصبر على تحدير نفسك . وقال عبد العزيز ابن أبي رواد : ليس الشأن في أكل خبز الشعير والحل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل . وقال عبدالله بن مسعود : لأن الحسى حجرة أحرقت ما حرقوا أجبت ما أجبته أحب إلى من أن أقول كفى شيء كان ليته لم يكن أولئى : لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرعة في رجل محمد بن واسع ، قال إني لأرحمك من هذه القرعة ، قال : إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم يخرج في عيني . وروى في الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دها طويلا فأرى في المنام فلانة الراعية رفيتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلثا لينظر إلى عملها فكان بيت قائما وببيت ناعمة وبظل صائغا ونظل مظرة ، قال أمالك عمل غير ما رأيت ، قالت ما هو والله إلا ما رأيت لأعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خضيلة واحدة هي في إن كنت في شدة لم أؤمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أؤمن أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم أؤمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خضيلة هذه والله خضيلة عظيمة يعجز عنها العباد . وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرشوا بقضائه . وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر بالحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضى الله عنه ما نالني على أي حال أصبحت وأسبغت من شدة أو رخاء . وقال الثوري يوما عند راحة : اللهم ارض عني قالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال استغفر الله قال جعفر ابن سليمان الضبي فحق يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالذمة . وكان الفضيل يقول إذا استوى عند الله التمتع والعطاء قد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبده بما رضى العبيد من مواليهم السنة عن أبي أمامة بإسناد ضيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي كفى فقلت له فقلت ولائى .

قال أن تستحي من الله لقربه منك وهذا الذي ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها برعما ناب في صلاته لمن كل خاطر يلعب به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لإيقاس به ذنب . قال ذوالنون توبة السوالم من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ مآله غيرهم . مثل أبو محمد سهل عن الرجل

قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة قديم عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ الصبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحسنه وجلاله جمل الروح والفرح في الرضا واليقين وجمل الهم والحزن في الشك والسخط (١) » .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يبطل الاحساس بالألم حتى يجري عليه الإلوم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فاته في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الهم استدل به على الجراحة بل الذي يدور في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحاق رأسه بمعدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ للزمن والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عاده فكذلك العاقل المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو محبة قد يصيبه ما كان يتألم به أو يتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والشغف من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجليلة للمدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجليلة الباطنة للمدركة بتور البصرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش وينشئ عليه فلا يحس بما يجري عليه . قد روى أن امرأة فتح الوصل عثرت فاقطعت ظفرها فضحكت قبل لها أما تجدن الوجع ؟ فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه . وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يبلغ شدة قبل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعز، بقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتصق من التصاد الفصد والحجامة فانه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتلذذ من التصاد به منه بفعله فهذا حال الراض بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق مافاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والالسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لأخيه آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه بحبوا بآعنده ومطلوبه وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصلها للتواصلون في نظمهم وشرهم ولائهم إلا ملاحظة جمال الصورة الطاهرة بالبرص فان نظري إلى الجمال فساهوا لإجله ولحمودهم مشحون بالأقدار والأخبار بعبائته من نطقة ملوثة ونهائته جنة قلوة وهو فيما بين ذلك يحمد المذرة وإن نظر إلى المدركة

(١) حديث إن الله يحسنه وجلاله جمل الروح والفرح في الرضا واليقين وجمل الهم والحزن في الشك والسخط (١) من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بتسليمه وقد تقدم .

للجمال فهي العين الحساسة التي تلمظ فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقصيب جليلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدى الذي لا منتهى لكجالة الدرك بعين البصرة التي لا يمتريها الفلظ ولا بدور بها الوت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهمنا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم قد قد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد سألت سري السقطي هل يجد الحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء محبة حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مرت رجل وقد ضرب ألف سوطي شربة فنادى بشكهم ثم حمل إلى الحبس فبقيته فقلت له لم ضربت ؟ فقال لأنني عاشق فقلت له ولم سكنت ؟ قال لأن مشوقي كان بحدائي ينظر إلى فقلت فلو نظرت إلى المشوق الأكبر قال فزق زقعة خر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لارجع إليهم لما ظنك بقلوب وقصت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابته وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال جرير قصدت عبادان في بدايتي فإذا رجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والفيل يأكل لحمه فرضت رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي لو قطعنى إربا إربا ما زددت له إلا حبا . قال بشر لما رأيت بعد ذلك رقعة بين عبد وبين ربه فأشكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا انظروا إلى وجهه فضلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع القسوة أيديهم لاستنثارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم القراق من القيامة أطول والوت من ألم التفريق أجمل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مبرجنى التي ترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي أنه كان يهوى فتي لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ووروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلى على أعبد أهل الأرض فدل على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب فسمعه وهو يقول : إلهى متنتى بهما ماشئت أنت وسلبتني ماشئت أنت وأقيئت لي فيك الأمل يا رب يا رسول . ووروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن قاستد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فنرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضىنا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالدبوك يوقظهم للصلاة والحمار يتقاول عليه الماء ويعمل لهم خباهم والكلب يحرسهم قال جاء الثعالب فأخذ الدبوك لحزنوا له وكان الرجل صالحا قال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب غرق بطن الحمار فقتله لحزنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا ذات عسى من حولهم وبقواهم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذى قاله سهل كاف

بالع لسل طالب صادق

يريد حصة توشه .

والدارف القوى الحال

يشعكن من إزالة

الحلاوة عن باطنه

ويسهل عليه ذلك .

وأجاب سهولة ذلك

متنوعة للعارف ومن

تمكن من قلبه حلالة

حب الله الحاس عن

صفاء مشاهدة وصرف

يتبع فأى حلالة تبقى

في قلبه وإنما حلالة

الحموى لعدم حلالة حب

الله . وسئل السوسي

عن التوبة فقال التوبة

من كل شيء ذمه العلم

إلى مأمده العلم وهذا

وصف بعم الظاهر

والباطن لمن كوشف

بصره العلم لأنه لا يخاف

والخير والديكة فسكانت الحيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف خفي
 لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال . وروى أن عيسى عليه السلام مرّ رجل أعمى أبصر مقعد
 مغشوب الجبين يبالغ وقد تناثره من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاد أراه مصروفا عنك فقال ياروح الله أنا خير من لم يحبل
 الله في قلبه ما جبل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناولوه يده فاذا هو أحسن الناس وجهها
 وأضلم هبة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتبعه معه وقطع عروة بن الزبير
 رجله من ركبه من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدا وابتلى لئن كنت أخذت
 لقد أبغيت ولكن كنت ابتليت قد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والنقى
 مطيتان ما نألى أبتهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الثنى فإن فيه البذل . وقال
 أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فإلى منه إلا شام الربح وعلى ذلك لو أدخل
 الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا . وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال
 أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يمر الخلائق على إلى الجنة ملائكة
 جهنم تحلقه وقسمه وبدلا من خلقته لأجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منه الأحاسيس بألم النار فإن بقي إحساس فيغيره يحصل من لهته في
 استعمار حصول رضا محبوبه بآلائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير عمال في نفسه وإن كان
 بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن
 ماهو عاجز عنه يسجز عنه الأولياء . وقال الروضاري قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الدمثي قول فلان
 وددت أن جسدي قرص بالقاريس وأن هذا الخلق أطاعوه مامنه فقال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التعظيم والجلال فلا أعرف . وإن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فأعرف قال
 ثم غشى عليه وقد كان عمران بن الحصينة استسقى بطنه فيقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يتوهم
 ولا يقعد قد قلب له في سريره من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء
 فجلس يبيح لما يراه من حاله فقال لم تبكي ؟ ولأبي أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي فإن أجيء
 إلى الله تعالى أجيء ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكنتم على حق أموات إن اللائكة
 تزورني فأنتس بها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بقوة إلهيوسبب هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة
 نضوه قرأنا ثوبا ملقى فما ظنا أن تحت شيئا حتى كشف فقال له امرأته أهل قد ذلك ما نفعكم
 ما نسيتك فقال طالت الضجة ودرت الحرافيق وأصبحت نضوا لأطعم طمأنا ولا أسبيغ شرابا منذ كذا
 فذكر أياما وما يسرى أني شمت من هذا غلامه ظفر . ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد
 كان كعب بصره الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه ولما كان في الجباب
 الدعوة . قال عبد الله بن السائب فأتني وأنا غلام فصرقت إليه فصرقي وقال أنت قاري أهل مكة ؟
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها قتلته بإعم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصرك فقدم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى . وضاع لبعض الصوفية ولد صغير
 ثلاثة أيام لم يعرف له خبر قيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترض عليه فأنقض أشد
 على من ذهب ولدى . وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو ؟ قال قلت مرة كذا كان ليته

لجول مع العلم كالإبقاء
 قليل مع طلوع الشمس
 وهذا يستوعب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الخاص والعالم وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن بظهر الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأهم
 أوصافها . وقال
 أبو الحسن التوري
 التوبة أن توب عن
 كل شئ سوى الله
 تعالى . قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ملاك
 دينكم الورع » أخبرنا
 أبو زرعة إجازة عن
 أبي بكر بن خلف عن
 أبي عبد الرحمن السلمي
 إجازة قال أنا أبو سعيد
 الحلال قال حدثني

لم يكن . وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقارض لكان أحب إلي من أن أقول ليس قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لعبد الواحد بن زيد هبنا رجل قد تبتد حسين سنة قصد فقال له يا حبيبي أخبرني عنك هل قمت به ؟ قال لا ، قال أنست به ؟ قال لا ، قال فهل رزيت عنه ؟ قال لا ، قال فأتأمرك من الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولائي أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك حسين سنة قد دخلت مني ودعاه أنك لم يفتح لك باب القرب فتدق إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تعدق طبقات أصحاب البين لأن مريدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل الصوم . ودخل جماعة من الناس على الشيلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لمن أتم ؟ فقالوا عبيدك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة قهاريوا فقال ما بالك ادعيتهم حتى إن صدقتم فاصبروا على بلائي ، وللشيلي رحمه الله تعالى :
 إن الهبة للرحمن أكرنى وهلى رأيت محبا غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصداق وله قد كذب وذلك أن أحدكم لو كان له أصعب من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواربها يعني بذلك أن النهب مذموم عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه . وقيل إن نوح الحريق في السوق قليل للسرى احترق السوق وما احترق دكانك قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلاحي دون للسليق قباب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الموى ليس مستحايلا به مواقف عظم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحفظوا الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين : أحدهما الرضا بالألم لا يتوقع من الثواب للوجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثاني الرضا به لاختاره ورأه إلى لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يلب الحب بحيث ينفع مراد الحب في مراد المحبوب فيكون أنذا لأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه وثقود إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل • فالجرح إذا أرضاك ألم • وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من قدمه من نفسه لأنه إنما قدمه فقد سبه وهو فرط به ومن لم يبق طعم الحب لم يعرف هجائه فلم يجنب هجاء أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافعي قال : كنت في مجلس بالرقعة عند صديق لي وكان معنا فتى يتشقق جارية منية وكانت معنا في المجلس فضربت بالفضيب وغشت :

علامة ذل الموى على العاشقين الكا

ولاحبا عاشق إذا لم يجد مشككا

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفأذنين لي أن أموت فقالت مت راضا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيدي رأيت رجلا متناكفرا صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له الهبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى ذل التفاني الذي تظهره لي قال قد علم الله أني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقة قالت قال فتعشى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال ممنون الحب كان في جيراننا رجل وله جارية بهيافة الحب فاعتلت الجارية فيلس الرجل ليصلح لها حيا فبينما هو يحرك القدر إذا قالت الجارية آت قال فدعش الرجل وسقطت للبعثتين بدو وجل يحرك مافي القدر يده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا إذا قال هذا ما كان توكلا . وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبرصه ابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن تقي قال شاعرين

عنان قال حدثنا قبة عن

أبي بكر بن أبي مريم

عن حبيب بن عبيد

عن أبي الدرداء رضى

الله عنه وأن رسول

الله صلى الله عليه وسلم

توضأ على نهر فلما فرغ

من وضوءه أفرغ فله في

النهر وقال يئنه الله

عز وجل قوما يتفهمهم

قال عمر بن الخطاب

لابني لمن أخذ بالقوى

ووزن بالورع أن يذل

لصاحب دنيا قال

معروف الكرخي اخفظ

لساك من اللبح كما

تحفظه من النمل . نقل

عن الحرث بن أسد

الحامسي أنه كان على

طرف أمية الوسطى

عرق إذا مديده إلى

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رمى شبه إلى الأرض فخلوه ميتاً فهذا أمثاله قد يصدق في حب الخلق والتصدق به في حب الحقائق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد البصر ينكر جمال الصور الذي قد السمع ينكر لذة الألحان والتمتاض للوزونة فإدعى فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضاً هذه الذات التي لا تخضع لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا)

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كرامة للعاصي ومقت أسيابها والسمي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافيه أيضاً وقد غلط في ذلك بعض البطالين للترين وزعم أن للعاصي والتجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جليل التأويل وغفلة عن أسرار الشرع، فأما الدعاء فقد تبعنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما تظاهرت في كتاب الدعوات تدل عليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أطي القمامات من الرضا وقد أتى الله تعالى في بعض عبادته بقوله لم يدعوا ثار غير الله وأما إنكار العاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تبعنا الله به عبادته وذمهم على الرضا به فقال السور ضوا بالحياة الدنيا وأطمانوا بها - وقال تعالى - رضوا بأن يكونوا مع الخوالب وطبع على قلوبهم - وفي الخبر للشيور من شهد منكراً فرضى به فساكنه قد ضله وفي الحديث «الدال على الشر كفاعله» وعن ابن مسعود: إن العبد ليصيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك؟ قال يلغى فيرضى به وفي الخبر: لو أن عبداً قتل بالشرق ورضى بشيء آخر بالمرتب كان شركاً في قتله وفي ذلك أمراً الله تعالى بالاحسود للسانة

في الحريات وتوفي بالشرق وقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبينها في الناس ورجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق» وفي لفظ آخر «ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاه الله القليل والباري يقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لعلت مثل ما فعل». وأما بعض السكفار والنجار والانسكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى - لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين - وقال تعالى - يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء - وقال تعالى - وكذلك نولي بعض الظالمين بشا - وفي الخبر «إن الله تعالى أخذ البيثاق على كل مؤمن أن يفيض كل مناقق وعلى كل مناقق أن يفيض كل مؤمن» وقال عليه السلام «الره مع من أحب» وقال «من أحب قوماً ودالاهم حشر معهم يوم القيامة» وقال عليه السلام «أوثق

(١) حديث الدال على الشر كفاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك ضعيف جداً (٢) حديث لو أن رجلاً قتل بالشرق ورضى بقتله آخر في للرب كان شركاً في قتله لم أجده له أصلاً بهذا اللفظ ولابن عدي من حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرها فكانت ما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانت ما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حسد إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٤) حديث إن الله أخذ البيثاق على كل مؤمن أن يفيض كل مناقق الحديث لم أجده له أصلاً (٥) حديث الره مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوماً ودالاهم حشر معهم الطبراني من حديث أبي قرقصة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوماً في أعمالهم حشر في زمرتهم زاد ابن عدي يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف.

طام فيه شبه ضرب عليه ذلك الرق. سئل الشبل عن الورع فقال الورع أن تتورع أن يشقت قلبك عن الله طرقه عين. وقال أبو سليمان النخعي أن الورع أول الزهد كما أن الناعة طرف من الرضا. وقال يحيى بن ماذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل. سئل الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما رضى الله تعالى. أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت الحسن بن أحمد

عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله ^(١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصلحة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا ينبغي. فان قلت قد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى ^(٢) فان كانت العاصي يبرقضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى ففكر اهتباطها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يبتس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا الكون عن المنكر مقامات الرضا ومحوه حسن الخلق وهو جهل محض بل يقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكروه من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكك فكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إن مات عدوك وكذلك للصبي لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فضله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليلا للملك إلى مالك. الملك راضا بما يفعله فيه وجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلاوة كونه محموتا عند الله وبغضا عنده حيث سلبت عليه أسباب البد والتقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا إلا بثال لفرض محبوا من الخلق قال يدي عبيدني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضره ضرا يبغضه ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته وأخذته عدوا لي فكل من أبغض أعلم بأني أضره عدوى وكل من أبغض أعلم أنه صديق وعبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة خلق على كل من هو صادق في محبة وعلو طمأنينة أن يقول أما تدبرك في إبقاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إليه لبغض والعداوة فأنا محبه لراض به فانه رأيك وتدبرك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من حيث إنه إذا كان حقه أن يعبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك تصدت بضره استطلاقة بالشتم الوجع للمقت فبو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبرك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لك أن ذلك نقصان في تدبرك وتوفيقا في مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنك من حيث إن توصف بهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك إذ كان ذلك يقتضي أن غمتم منك الضرب ولا تقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبرك وأما بفضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحبه له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضا منبغض له لأن شرط المحبة أن يكون محبوب محبوبا وادموه عدوا وأما بغضه لك فأنا راضا من حيث إنك أردت أن يفضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكي أبغضه من حيث إنه وصف ذلك للبغض وكسبه وفعله وأمته لذلك فهو محموت عندى لمته إياك وبغضه ومقتك لك أيضا عندى مكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإنما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت
محمد بن داود الدالوني
يقول سمعت ابن الجلاء
يقول أعرص من أقام بمكة
ثلاثين سنة ولم يترعب
من ماء زمزم إلا من
ماء استقاه بركوته
ورشائه ولم يتناول من
طعام جاب من مصر
شيئا. وقال الخوص:
الورع دليل الخوف
والخوف دليل المعرفة
والعرفة دليل القربة
قولهم في الزهد: قال
الجنيد: الزهد خلو
الأيدي من الأملاك
والقلوب من التبع.
وشرح السبلي عن الزهد
قدا لا زهد في الحقيقة
لأنه إما أن يهد فيها
ليس له فليس ذلك
زهد أو يهد فيها هو

(١) حديث أئمة عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصلحة
(٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعاد بن آدم
رضاه بما قسم الله عز وجل الحديث وقال غريب وتقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن
الناس وحديث إن الله يقسطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة والقدري
الحير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره. وكعبه فهذا لاتناقض فيه وجهه ذلك كل ماكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة للصبي عليه حتى يجرح ذلك إلى حب الصبي ويجرحه الحب إلى فعل الصبي يصاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلالجرح الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض للشتم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختاره لأجابه وفضل الله تعالى ذلك بكل عيب من عيبه أفعى تسليط دواعي الصبي عليه يدل على أنه سبقته مشيئة بإياديه ومقتة فواجب على كل عيب عيب لله أن يضض من أبضه الله ويغت من مقته الله ويصاى من أبضه الله عن حشرته وإن اضطره بجهه وقدرته إلى معاداته وعمافته فانه يبيدهم ويملعون عن الحضرة وإن كان بعيدا بإياديه قهرا ومطرودا بطرده واضطرابه والبعدين درجات القرب يذنب أن يكون مقبلا ينض إلى جميع المحبين موافقة المحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإياديه وهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتخليط عليهم واللباقة في مقته مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستند من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في الشيء والأرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال أيها جميعا منه من غير إقرار في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكف الظلم عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم والقدر سر الله فلا تشروه (١) وذلك يقتضى علم للكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الحق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت اللعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الفرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمفطرة والعصمة من اللعاصي وسائر الأسباب الدينية على الدين غير منقضى للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة الضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا لكشف وسببا لتواتر مزاي اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة سبب ربه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب ربه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن المنكس بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصينا في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويشمل به نعم إظهار البلا في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلا على سبيل الشكر والتمسك عن قدرة الله تعالى لا يناقض . وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أى في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال ودم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة السنة مذمة لصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وعحة والعيال هم وحب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذف في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره وللملكة لما لهما يقول ما قاله عمر رض الله عنه : لا نألى أصيب غنيا أو فقيرا فإني لأدري أيهما خير .

العمل وحديث أسألك الرضا بالقضاء الحديث غير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تشروه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى في الكامل من حديث عائشة وكلاما ضيف .

فكيف يهديه ويهتد
معه وعندده فليس
بالظلف النفس وبذل
مواصلة ، يشير إلى
الأنعام التي سبق بها
الأقلام وهذا لو اطرده
هدم قاعدة الاجتهاد
والكسب ولكن
مقصود الشبلى أن يقال
الزهد في عين اللذ
بالزهد ثلاثا يخر به .
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إذا
رأيت الرجل قد أوى
زهدا في الدنيا ومنطقا
قافروا منه فانه يلحق
الحكمة» وقدمى الله
عز وجل الزاهد بين
علاء في قصة قارون
فقال تعالى - وقال
الذين أتوا العلم وبك
نواب الله خير - قيل

(يان أن القرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومنعتها لا يتخف في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بطنه الطاعون ^(١) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهم فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بمظهر الطاعون أن تلحقه هذا الباب لا تحمل عنه الأصحاء وبقي فيه الرضى مهملين لامتثالهم فيه لكون هؤلاء ضرا وبذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالقرار من الرضخ ^(٢) ولو كان ذلك لقرار من الضمان لما أفن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف للشيء ظهر أن القرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء القوي بالبدن من القرار منه وكذلك مذمة الواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسيات التي تدعو إلى الأجل لتفريع عن المسببة ليست منسوبة فإزاله السلف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على عدم بشاره وإظهارهم ذلك وطالب القرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بها شرا من بشاره وقيل وكيف قاله هو بل تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قبله كيف رأيت بشاره قال ما رأيت بها إلا شربا غضبان أو تاجرا لغفان أو قارعا حيران ولا ينبغي أن تنظر أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بينه حتى يستمر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه ينفذ رغب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يصدق بستانه عشرين ديناراً لكل يوم دينار كفاية لقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار . وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أن تسكن فقال العراق قال لما صنعت به بقلتي أنه آمن أحد يسكن العراق إلا قضيت الله قريناً من البلاد وذكر كعب الأحبار يوماً العراق قال فيه تسعة أعشار الشرف وفيه البلاء الضلال وقد قيل قسم الحيرة عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشام وعشرة بالعراق وقسم ^(٣) الحيرة عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوماً عند النبي بن عباس فقام صوفي متدبراً بسلامة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بشاره فأعرض عنه وقال يا بني أأحدم في ربي الرهبان فإذا سألتهم أين تسكن قال في عبي الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال التجديد ينفذ مثال التبدد في الحش وكان يقول لا تختدوا بي في القمام بهما أن أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد أكثر في رضى قيل وبأن تختار السكنى قال بالثبور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بشاره أهدمهم أم أهدوهم ثم شرر فهذا يدل على أن من يلى بيعة تسكن فيها المعاصي ويحل فيها الحيرة فلا عذر له في القمام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تسكن أرض الله واسعة فهاجروا فيها - فإن منعه عن ذلك عيال أو علة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب من القمامة لا على الدولوم - ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم نزل البلاء وهمر الجميع وشمل الطميين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا يصيب الدين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب هدم الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إباحته إلى فعل الله تعالى فأما هي في غسبا فلو جرح رضا بها محال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القمامة الثلاث رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة الولي ورجل لا يأختر شيئاً بل أوصى

م الزاهدون . وقال
سبل بن عبد الله للعقل
ألف اسم ولكل اسم
منه ألف اسم وأول
كل اسم منه ترك
الدين ، وقيل في قوله
تعالى - وجنتهم
أمة يهدون بأمرنا
لما سبوا - قيل عن
الدين . وفي الخبر
والعلماء أمناه الرسل
مالم يدخلوا في الدنيا
فإذا دخلوا في الدنيا
فاحذروهم على دينكم
وجاء في الأثر لأزال
لإله إلا الله تدفع عن
الباد سخط الله مالم
يألو ما من من
دينهم فإذا ضلوا ذلك
وقالوا لا إله إلا الله قال
الله تعالى : كذبت
لستم بها صادقين .

(١) حديث النبي عن الخروج من بلد الطاعون هدم في آداب السفر (٢) حديث إنهم خرجوا من بلد الطاعون بالقرار من الرضخ تقدم فيه .

بما اختاره الله تعالى ورضت هذه السألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلمهم
فصولوا واجتمع ذات يوم وهب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال للثوري كنت
أكره موت الصبغة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم ؟ قال لما أخوف من الفتنة
فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم ؟ قال لعل أصادف يوما أنوب فيه وأعمل
سالحا تقبل لو هبني إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لا أختار شيئا أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى
قبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكلمة .

(بيان جملة من حكايات الحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

قبل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما محروب والمحبة متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون
إنك واحد من الصبية فقال أنا كل الصبة وكان يقول إذا رأيتموني قد رأيتم أربين بدلا قيل وكيف
وأنت شخص واحد قال لأنني رأيت أربين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاصه وقيل له بلنا
أنك ترى الحضر عليه السلام تقسم وقال ليس المحب بمن يرى الحضر ولكن المحب بمن يبدل الحضر
أن يراه فيحتجب عنه وحكي عن الحضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق دلي
له تعالى إلا عرفته لا ورأيت في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأنني يزيد البسطامي مرة حدثنا عن
مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال وبلك لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قول حدثنا بأحد مجاهدتك
لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياسة نفسك في بدانتك
فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجمعت في حضرة عليا أن لا أشرب الماء سنة ولا أدقق النوم سنة فوفت
لي بذلك . وحكي عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع
الفجر مستوفزا على صدور قدميه وهاهنا أخصيه مع غيبه عن الأرض شاربا بذقنه في صدره شاخصا
ببغية لا يطرף قال ثم سجد عند السحر فأطأه ثم قصد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم الشيء على
الماء والشيء في الهواء فرفضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض
فرفضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرفضوا بذلك وإني أعوذ
بك من ذلك حتى قد نيفا وعشرين مقام من كرامات الأولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت اسم يسدي
فقال مذموني أنت ههنا ؟ قلت منذ حين نسكت قلت يسدي حدثني يحيى . فقال أحدثك ما يصلح لك
أدخلني في الفلك الأمثل فدورني في اللسكوت السفلى وأراني الأرضين وما تحتها إلى التريثم أدخلني في الفلك
المعالي فطوفت في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يدي بقية السلياني
شيء . رأيت حتى أهبه لك ؟ قلت يسدي ما رأيته شيئا استحسنته فأشأك إلياء فقال أنت عبيدي
حفا قبيدني لأجل صدق لأصان بك ولأنهم فذكر أشياء . قال يحيى فقال ذلك وامتلأ به
وعجبت منه قلت يسدي لم لأسأله العرفة به . وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح في
صيحة وقال اسكت وبلك غرت عليه مني حتى لأحب أن يعرفه سواء . وحكي أن أبا تراب الخشي
كان معجبا ببعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجبته
فقال له أبو تراب يوما لو رأيته أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فدا أكثر عليه أبو تراب من قوله
لو رأيته أبا يزيد هاج وجد المريد فقال وعليك ما أضنع أباي يزيد قد رأيته الله تعالى فأغتنى
عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي قلت وبلك تعمر بالله عز وجل لو رأيته
أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبنت الذي من قوله وأنسكرو
فقال وكيف ذلك قال له وبلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ترى أبا يزيد

وقال سهل : أعمال البر
كلها في موازين الزهاد
وثواب زهدم زيادة
لهم . وقيل من سمى
باسم الزهد في الدنيا
قد سمى بألف اسم
محمود ومن سمى باسم
الزعة في الدنيا قد
سمى بألف اسم مذموم .
وقال السري الزهد
ترك حظوظ النفس
من جميع ما في الدنيا
ويجمع هذا الحظوظ
والجاهية وحسب
اللزعة عند الناس
وحسب الممثلة والثناء
وستل الشبل عن
الزهد فقال الزهد غفلة
لأن الدنيا لا شيء
والزهد في لا شيء غفلة
وقال بعضهم لما رأوا
حماره قالوا ناله زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقداره فصرف ماقلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننظره
ليخرج إلينا من الغيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع قال فرأينا وقد قلب فروع على ظهره قلت
لأخي هذا أبو زيد فانظر إليه فانظر إليه التقي فضعف فركناه فاذا هويت فقمنا على دفته قلت
لأخي زيد يا سيدي نظره إليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقاً واستكن في قلبه سر لم ينكشف
له بوصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاقت عن حمله لأنه في مقام الضياء للربدين قتله ذلك.
ولما دخل الریح البصرة قتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا لولست الله تعالى
دفعهم فكنت ثم قال إن لله عبادة في هذه البلدة لودعوا على الظالمين ليصبح على وجه الأرض ظالم
إلامات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل له ؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولولسأله أن لا يقيم الساعة لم يقيمها وهذه أمور ممكنة في نفسها
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يحلو عن التصديق والإيمان بإمكانها فإن القدرة واسعة والفضل
عظيم ومجانب الملك والملكوت كثيرة ومتدورات الله تعالى لإنهاية لها وفضله على عباده الدين اسطفي
لإغاية له ولذلك كان أبو زيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فأطلب
ماوراء ذلك فإن عندك فوق ذلك أضافاً مضاعفة فإن سكنت إلى ذلك حبيبت به وهذا بلاد مشاهير
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأفضل . وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء
رأيتن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوههن يتخششن ويتنقش ويتنقش فتنظرت
إليهن نظرة فوقبت أربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال،
وقيل لي انظر إليهن قال فسجدت ونحمت عني في سجودي ثلاثاً فانظر إليهن وقلت أعوذ بك
عما سألوك لأحاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني . فأما هذه المكاشفات لا ينبغي
أن ينسكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد بالإيمان بشاهده من نفسه للظلمة وقلبه
القاسي لاضاق مجال الإيمان عليه . به هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهراً وباطناً ، ثم
مكافحة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصناً بحسن الخمول فهذا أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأقيام من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق بغض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك . دون التجربة وسلوك الطريق يجرى
يجري إنكار من أنسكرك إمكان انكشاف الصورة في الجديدة إذا شككت وتيقنت وصقلت وصورت
بصورة المرأة فنظر للنسكرك إلى مافي يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنسكرك إمكان انكشاف للرئي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجمل والاضلال فهذا حكم كل من أنسكرك كرامات الأولياء إلا لاستمده له إلا قصوره عن ذلك
وتصور من رآه وبش السند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يتم رواع المكاشفة من
سلك شيئاً ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه المرأة قال كنت أكرم الله
تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم على وغني أمرى . وروى أنه رأى الحضرة عليه السلام ، وقال له
ادع الله تعالى لي ، فقال بسر الله عليك طاعته . قلت : زدني قال وسترها عليك ، قيل معناه
سترها عن الخلق ، وقيل معناه سترها عنك حتى لاتلتفت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال ألقني
الشوق إلى الحضرة عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلم شيئاً كان أهم الأشياء
علي . قال فرأيتني فما غلب على همي ولا همي إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئاً إذا قلته حبيت عن
قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصالح ولا ديانة ، فقال قل : اللهم أسبل على كيف

زهدهم في الدنيا
لهوائها عديم وغندى
أن الزهد في الزهد -
غير هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزهد اختار الزهد
وأرادته وإرادته تستند
إلى عمله وعمله قاصر
فاذا أتم في مقام ترك
الارادة وانسلخ من
اختياره . كاشفه الله
تعالى . جرده فيترك
الدنيا غير ادخاله لاجراء
نفسه فيكون زهد
بالله تعالى حينئذ أو
يعلم أن مراد الله منه
التلبس بشيء من
الدنيا فما يدخل الله
في شيء من الدنيا
لا يقيم عليه زهد
فيكون دخوله في

سرك وحط على سرادات حبيبك واجمعى في مكنون غيبك واحببني من قلوب خافتك قال ثم غاب
فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك فأنزلت أنول هذه الكحات في كل يوم فحكي أنه صار بحيث كان يستدل
ويعتمد حتى كان أهل الدمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يعمل الأشياء لهم لمستهوطه عنهم
وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلّه وخموله فكذلك حال أوليائه
تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمفرورون إنما يطلبونهم تحت الرقعات والطباستوى في الشهورين
بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأنى للإخفاء كما قال تعالى : أوليائي
تحت قباني لا يعرفهم غيبي ، وقال صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم
على الله لأمره » (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشاهد هذه المآل القلوب المتكبرة العجبة بأفسسها للشيعة
معلمها وعلمها وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة للشيعة ذلك نفسا استعمارا إذا ذللوا وهضم
لم يحس بالذل كما يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر بأضيقه استغناه
إلى الذل بل كان عند نفسه أحسن منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون
ذلك حتى صار التواضع الطبع صفة ذات فمثل هذا القلب برجى له أن يستشعر مبادئ هذه الروائح
فإن قدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأنه قد
لا يقدر أن يكون من أوليائه الله فليكن محبا لأوليائه الله مؤنابهم نفسى أن يحرمهم من أحب وشهد
لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال الحق أنول
لكن لا تنبت الحكمة إلا في قلب مثل التراب ولقد انتهى الريدون لولاية الله تعالى في طلب رطوبتها
بإدلال النفس إلى منتهى الضعة والحاجة حتى روى أن ابن السكيت وهو أستاذ الجند بدمرجل إلى
طعام ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في الرذائل أبعفأه من
ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة السكب يطر فينطرد ثم يدعى فيرمى
له عظم فيعود ولوردتني خسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة
فمرقت فوقها وخرجت وجملت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فترعوا مرقتي وأخذوا الثياب وصغفوني
وأوجعوني ضربا فصررت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فكسكت نفسي فكذلك كانوا يروّضون أنفسهم
حتى غامهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فإن التفت إلى نفسه محبوب عن
الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب يدر وتخال حائل وإنما بعد
القلوب شغلا بغيره أو بنفسها وأعظم الحب شغل النفس ، ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من
أعيان أهل بسطام كان لا يشارك مجلس أبي يزيد ، فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أموم الدهر
لأنظر وأقوم الليل لأنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أمدق به وأجبه ،
فقال أبو يزيد ولو صمت ثلاثة سنة وقت ليلى ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محبوب
بنفسك قال فأينما دواء ؟ قال نعم قال قللى حتى أحمله قال لا تقبله ، قال فاذكره إلى حتى أحمل قال
اذهب الساعة إلى الزين فالحق رأسك ولحيتك واتزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك
عملة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفنى صفعة أخطيت جوزة وادخل السوق
وطف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يبرك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول
لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسبحنا

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين مسلم من حديث أبي هريرة . وقد تقدم .

التي من الدنيا بالله
وباذن منه زهدا
في الزهد والزاهد
في الزهد استوى عنده
وجود الدنيا وعدمها
إن تركها تركها بالله
وإن أخذها أخذها
بالله وهذا هو الزهد
العارفين من أقب من
هذا القيام . ففوق هذا
مقام آخر في الزهد هو
لمن برد الحق إليه
اختياره لمة على
وطهارة نفسه في مقام
البقاء فيزهد زهدا
ثالثا ويترك الدنيا بعد
أن مكن من ناصيتها
وأعبدت عليه
موهبة ويكون تركه
الدنيا في هذا المقام
بإختياره واختياره

وما سبحت ربك فقال هذا لأفعله ولكن دلتني على غيره فقال ابتدي به فاقبل كل شيء فقال لا تطيقه قال قد قلت لك إنك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطبق الدواء فلا ينجي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أو لم يرش بعقل هذا المرض أصلاً فقل درجات الصحة الإيمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه السلام «لا يستكمل البدل إلايمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف» (١) وقد قال عليه السلام «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يراى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما لدنيا والآخرة والآخرة أثمر أمراً الآخرة على الدنيا» (٢) وقال عليه السلام «لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له» (٣) وفي حديث آخر «ثلاث من أتوبن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الفنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية» (٤) فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولى الإيمان فالعجب بمن يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجهل ما يكون إلا بعد مجازاة مقامات عظيمة عليه وراه الإيمان ، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أن يأخذ خلق من لا يختر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيء من خلقه وإن حرق بالرمي بعد لحاق النار وجعا وإن قطع بالناشير لم يجد لس الحديد ألباً ، فمن يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا المذهب فمن أين يعرف ما وراء الحب من السكرات والكشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كل الإيمان ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله عنه «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمقى وأعطاني مثل إيمان كل من آمن بعمى ولد آدم» (٥) وفي حديث آخر «إن الله تعالى ثلثاً خلق من لقيه بحلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» (٦) وقال عليه السلام

من اختار الحق فقد
بخار تركها حينا تأتيا
بالأنبياء والصالحين
ويرى أن أخذها في
مقام الزهد فأن أدخل
عليه لموضع ضمه عن
درك شأو الأقوياء من
الأنبياء والصدديقين
فترك الرفق من الحق
بالخلق للحق وقد يتناولوه
بأختياره رقاً بالنفس
بتدبير يسوسه فيه
صرع العلم وهذا
مقام التصرف الأقوياء
العارفين زهدوا ثالثاً
بالله كما رغبوا ثانياً بالله
كما زهدوا أولاً في الله .
[قولهم في الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الخدم موعاها
وقال بسهم: الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وعلى هذا فهو معضل فلي ابن أبي طلحة إنما سمع من التابعين ولم أجد له أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم الزرادي ضمه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق الحديث الطبراني في الصغير بلفظ ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أتوبن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل في الرضا والغضب غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات فقد ذكرهن بنحوه وقد تقدم (٥) حديث إنه قال للصديق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بى من أمقى الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن علي مع تقدم وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث إن الله تعالى ثلثاً خلق من لقيه بحلق منها مع التوحيد دخل الجنة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلق ثبثة عشر وثلثاً خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلثاً شريعة وثلاث عشرة شريعة

«رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمي فوضعت في كفة فرجع بهم (١) ومع هذا كله فقد كان استرقاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للحقة مع غيره فقال «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاختذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢)» يعني نفسه.

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالحبة ينتفع بها)

قال سفيان: الحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره: دوا. الله كرو قال غيره: إشارا المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات الحبة فأما نفس الحبة ففيه يتبرضوا لها، وقال بعضهم الحبة معنى من المحبوب فهر للقلوب عن إدراكه وتمتتع الألسن عن عبارته، وقال الجليل حرم الله تعالى الحبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بموض فاذا زال العوض زالت الحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله أحذر أن تذل لغير الله وقيل للشبي رحمه الله صف لنا العارف والمحِب فقال العارف إن تكلم هلك والمحِب إن سكث هلك وقال الشبي رحمه الله:

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا متيم

يارافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم

عجبت لمن يقول ذكرت إلي وهل أنسى فأذكر مانسيت

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حيت

فأحيا بالي وأموت شوقاً فكم أحيا عليك وكم أموت

شرمت الحب أكسا بعد كسا فما نقد الشراب وما رويت

قلبت خياله نصب ليعبى فان قصرت في نظري عجب

وقالت رابعة العدوية يوماً من بدلتنا حل حيننا فقاتل خادمة لها حيننا معنا ولكن الدنيا قناعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبد فلم أجده فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم ممتون يوماً في الحبة فإذا بطائر يزول بين يديه فلم يزول بقدر بمقاره الأرض حتى سال الدم منه فأت وقال إبراهيم بن آدم إلى إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بموضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأسأتني بذكرك وفرغتي للنفكر في عظمتك. وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحقى يندو وروح في لاش والماعقل عن عبويه فناش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله إنى لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخائف شغلي عن حب المخلصين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والمحِب له وقال أبو يزيد المحِب لأعجب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبي الحب دهش في لغة وحيرة في تعظيم ونيل الحب إن أحمر أترك عنك حتى لا يبق فيك شيء راجع منك إليك وقيل الحبة قرب القلب من المحبوب بالاشتياق والفرح وقال الخواص الحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل عن المحبة فقال:

وفي وفي الكبير من رواية القلبي بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلغض الإيمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضمنية (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاختذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن نصبر في الصبر
أى لا نطالع فيه
الفرج. قال الله تعالى
والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون.
وقيل: ل شكل شيء
جوهر وجوهر الإنسان
العقل وجوهر العقل
الصبر فالصبر عرك
النفس وبالعرك تلين
والصبر جار في الصابر
يجرى الأتاس لأنه
يحتاج إلى الصبر عن
كل مسمى ومكروه
ومذهوم وظاهره: إطلا
والسلم يدل والصبر
يقول ولا تنتفع دلالة العلم
بغير قبول الصبر ومن
كان العمل سائمه في
الظاهر والباطن لا يثم

عطف الله بقلب عبده لشاهديته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة الحب على أربع منازل على الحب والمهبة والحياة والتعظيم وأفضلها التعظيم والمهبة لأن هاتين الزئتين يقينان مع أهل الجنة في الجنود ورفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف به عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي محسرة في الدنيا وزحوة في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد صحت امرأته من التمددات تقول وهي يا كيتو اسمع على خدعها جارية والله قد سمعت من الحياة حتى لو وجعت الوت يباع لاخرته شوقا إلى الله تعالى وحبا لقائه قال قتلتها فطلى ثقة أنت من عهلك قالت لا ولكن على إياه وحسن ظني به أقترأ به يذني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم الدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لما توا شوقا إلىي وتعلمت أوصالهم من محبي ياد داود هذه إرادتي في الدبرين عني فكيف إرادتي في القلبين على ياد داود أوحى ما يكون العبد إلى إذا استغنى عني وأرحم ما أكون بيدي إذا أدر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلىي . وقال أبو خالد الصغار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معشر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياد داود كرى لهذا كرى وجنى للمطيعين وزياري للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فله ومن اشتاق إليه جد في مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه لمن يراني ولا أراه . وقال الجليل رحمه الله يحيى بوني عليه السلام حتى عمى وقام حتى اغشى وصلى حتى أقصد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك محرمن نار لحقت إليك شوقا مني إليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال للفرقة رأس مالي والمقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسى والثقة كزى والحزن رفيق والمعلم سلاحى والصبر ردائي والرضا غنيمتي والمعز غري والزهدر رفيق واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حيي والجهاد خلقى وقرة عيني في الصلاة ^(١) وقال ذوالنون سبحة من جعل الأرواح جنودا بجندة فأرواح العارفين جلالية تسمى فذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك حنوا إلى الجنة وأرواح الفاضلين هوابة فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض السامع رأيت في جبل السكام رجلا أمر اللون ضنيف البدن وهو يتقز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

وبقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والموارض والمحابات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فنقتصر عليه والله اللوف للوصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلوه كتاب النية والإخلاص والصدق .

﴿ كتاب النية والإخلاص والصدق ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الوقيين ونقر بوحدياته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صلى الله تعالى على رسوله وسلم عن سنته فقال للفرقة رأس مالي والمقل أصل ديني المحدث ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجده إلا إسنادا .

﴿ كتاب النية والإخلاص والصدق ﴾

ذلك له إلا إذا كان
الصبر مستقرا وسكنه
والعلم والصبر متلازمان
كالروح والجسد
لا يستقل أحدهما بدون
الآخر ومصدرهما
الفرقة القلبية
وهما متقاربان لا تعاد
مصدرهما وبالصبر
يتعامل على النفس
وبالعلم يترقى الروح وهما
البرزخ والفرقان بين
الروح والنفس ليستقر
كل واحد منهما في
مستقره وفي ذلك
صريح العدل وصحة
الاعتدال والافصال
أحدهما عن الآخر أعني
العلم والصبر ميل أحدهما
على الآخر أعني النفس
والروح وبيان ذلك
يدق وناهيك بشرف

والإله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكف الجن والأنس والملائكة القريبين أن يبدؤوا إعادة المحاسن فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فإنا لإلادين الخالصين . فانه أغنى الأغنياء عن شركة الشاركنين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[illegible]

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعونهم بالهدى ولاقوا الهدى بالهدى والارواح بالشهادتين - الآية وقال **عليه السلام** : «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة أو بنسبها فهجرته إلى ما هاجر إليه ^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم : «أكثر شهادة أمي أصحاب القبرش ورب قليل بين الصفيين ^(٢) ما أعلم بينته ^(٣)» وقال تعالى - إن ربنا إصلاحا بوفى الله بينهما - فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم : «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ^(٤)» وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم : «إن العبد ليعمل أعمالا حسنة تصعد للأشعة في مصف حتمته تلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألتوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بها فيها وجسى ثم ينادى للأشعة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون ياربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه ^(٥)» وقال صلى الله عليه وسلم : «الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما وعاما فهو يعمل بعلمه في الله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمست كما يعمل فربما في الأجر مثل ما آتاه رجل آتاه الله تعالى مالا فهو يتخطى بعمله في الله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لمست كما يعمل فربما في الوزر سواء ^(٦)» الآية كنف شركه بالنية في حسان عمله

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث كثر شهداء أمي أصحاب القرش ورب قتيل بين الضياع الله أعلم بنبته أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن ربيعة (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتقصدها الملائكة الحديث الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علماً ومالا الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى -
يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب - كل أجبر
آخره بحساب وأجر
الصابرين بغير حساب.
وقال الله تعالى لنبيه :-
- واصبر وما مصبرك
إلا بإيمانه - أضاف الصبر
إلى نفسه لشرف
مكانه وتكفل التبعة
به . قيل وقف رجل
على الشئ فقال أى
صبر أشد على الصابرين
قال الصبر في الله فقال
لا ، قال الصبر في فقال لا ،
قال الصبر مع الله
فقال لا ، ففض الشئ
وقال ويحك أى شئ .
وهو قتال الرجل الصابرين
عن الله قال فصرخ
الشئ صرخة كاد أن
تلف روحه . وعندي

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ولما
«إن بالمدينة أنوما مافطما واديا ولاوطشا موطا يخط السكار ولاأنفنا نقة ولاأصابتنا محصلا
شركونا في ذلك وم بالمدينة قالوا وكب ذلك إرسول الله وليسوا مافطما قال حبسهم المذفر فركوا عجن
النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فزوج امرأته فكان
يسمى مهاجرا ميس (٢) وكذلك جاف الحبر» إن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قاتل الحمار (٣)
لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحمارة فقتل على ذلك فأُضيف إلى نيته وفي حديث عباد عن النبي صلى
الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يبتغي إلا عقالا فله ماؤى (٤) وقال أبي استعنت رجلا بنزومي
فقال لاحق نجعل لي جملا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته
إلا ما جعل له (٥) وروى في الأسر اثليبات أن رجلا مريكبنا من رمل في حجارة فقال في نفسه لو كان
هذا الرمل طعاما لقمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد
شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به ، وتورد في أخبار كثيرة «من هم بعنة
ولم يعملوا كتب له حسنة (٦) وفي حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره
بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناؤه في قلبه وجمع عليه
صنيته وفارقها أزهى ما يكون فيها (٧) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا
يخسف بهم البيداء فقلت يا رسول الله ما يكون فيهم السكرة والأجير فقال يخسرون على نياتهم (٨)
وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يبتلى القاتلون على البيات» (٩)
وقال عليه السلام «إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تسكب الحاقق على رياتهم فلان يقال للدنيا
فلان يقال حية فلان يقال عصية ألقا فلان يقال قاتل في سبيل الله فمن قاتل إنكون كلمة الله
من حديث أبي كشة الأنباري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم
ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإنما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس بن
بالمدينة أنوما مافطما واديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر
يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل فزوج امرأته فكان يدعى قاتل الحمار لم أجده لأصافي للوصلات والتمار وأما أبو اسحق الفراء
إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قاتل الحمار لم أجده لأصافي للوصلات والتمار وأما أبو اسحق الفراء
في السفن من وجه مرسل (٤) حديث من غزا وهو لا يبتغي إلا عقالا فله ماؤى في حديث عباد
ابن الصامت وتقدم غير مرة (٥) حديث أبي استعنت رجلا بنزومي فقال لاحق نجعل لي جملا فجعلت له
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعل له الطبراني في مسند الشاميين
ولأبي داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا للفرز ومضى له ثلاثة دنائير فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنائيره التي مضى (٦) حديث من هم بعنة فلم
يسلمها كتب له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل
الله فقره بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بالسند جيدون قوله وفارقها أرغب
ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهى ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبدالله بن
عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف بهم يخسرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم
(٩) حديث إنما يقتل القاتلون على النيات ابن أبي الدنيا في كذب الإخلاص والنية من حديث عمر
بلسان ضعيف بلفظ إنما يبعث وروينا في فوائد تمام بلفظ إنما يبعث المسلمون على البيات ولابن
ماجه من حديث أبي هريرة إنما يبعث الناس على نياتهم وفيه لبث بن أبي سلمة مختلف فيه .

في معنى الصبر عن الله
وجه ولكونه من أشد
الصبر على الصابرين
وجه وذلك أن الصبر
عن الله يكون في أخص
مقامات الشاهد ترجع
العبد عن الله استجابة
وإجبالا وتنطق
سيرته نجلا وذوبانا
وتتبع في مفارز
استنكاته وتخفيه
لإحساسه بعظم أمر
التجلى وهذا من أشد
الصبر لأنه بواسطته
هذا الحال تأدية لحق
الجلال والروح تدان
تكتحل بصبرتها
باستمتاع نور الجلال
وكأن النفس منازعة
لعموم حال الصبر
فاروح في هذا الصبر
منازعة فاشتد الصبر

هي العليا فهو في سبيل الله ^(١) » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ويث كل عبد على مامات عليه ^(٢) » وفي حديث الأحنف عن أبي بكره « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال القتول ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه ^(٣) » وفي حديث أبي هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لا يبوئ أداءه فهو زان ومن أدان ديناً وهو لا يبوئ قضاءه فهو سارق ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب فقه تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنقى من الجيفة ^(٥) » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أدامها القرض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ، وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن شئت قم بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تنظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية . وقال داود الطائي البرهمي التتوي فلو تملت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تعلمون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تتوي الخير فأنت بخير ، وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يداني على عمل لا أزال فيه علاماً لله تعالى فاني لأحب أن يأتي على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمل الله قليل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا قرئت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كماله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أكثر من أن تعدوها ولكن أصبحوا تواوين وأمسوا توايين بفقر أسكن ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولاتهم بمصيبة وانتهت إلى غير إثم . وقال أبو هريرة : يمشون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ سألوا نكسكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأوا أخباركم - يبيى ويردها ويقول : إنك إن بولوتنا فمضنا وهنكت أستاذنا . وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قليله كثير وما أريد به غيري فكثره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يبدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يبدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يبدعه حتى ينظر ماذا تورع فإن صاحبت نيته في البحرى أن يسلمه دون ذلك ، فاذن عماد الأعمال النيات فالعمل مقتصر إلى النية ليعبر بها خير أو النية في نفسها خير وإن تعذر العمل بالحق .

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكثفها

(١) حديث إذا التقى الصفان نزلت للأنسكة تكتب الحاق على مراتبهم فلان يقاتل للدين الحديث ابن المبارك في الزهد موفقاً في ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ^(٢) حديث جابر يبعث كل عبد على مامات عليه رواه مسلم ^(٣) حديث الأحنف عن أبي بكره إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والقتول في النار متفق عليه ^(٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا يبوئ أداءه فهو زان أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الدين دون ذكر الصداق ^(٥) حديث من تطيب فقه جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسل .

عن الله تعالى ذلك .
وقال أبو الحسن بن
سالم م ثلاثة متصبر
وصابر وصابر فالمتصبر
من صبر في الله فرة
يسبر ومرة يجزع
والصابر من يسبر في
الله وقه ولا يجزع
ولكن توقع منه
الشكوى وقد يمكن
مه الجزع وأما الصابر
فذلك الذي صبره في
الله وشه وبالله فهذا لو
وقع عليه جميع البلاء
لا يجزع ولا يتغير من
جهة الوجود والحقيقة
لأمن جهة الرسم
والحقيقة وإشارته في
هذا ظهور حكم العلم
فيه مع ظهور حفة
الطبيعة . وكان
الشيلي يشتمل بهذين
البيتين :

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرة وفروعه وذلك لأن لكل عمل أغنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يسهل فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موقفا للعرض إما في الحال أو في المآل فقد خلق الإنسان بحيث يواجه بعض الأمور ويلازم غرضه ويخالفه بعض الأمور فيتجالح إلى جلب اللذات الموافقة إلى نفسه ودفع النصار الثاقبي عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك الشيء الضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصبر الغداء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصبر النار لا يمكنه الحرب منها غلق الله الهدايا والبرقة وجعل لها أسباها وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغداء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغداء . ويعلم أنه موافق . ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة واللبل ولقد بدأه الحركة إليه غلق الله تعالى له اللب والرغبة والإرادة وأغنى به زوفاً في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يكفيه فكيف من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لسكونه زمنا غلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والمضو لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فإذا جازمت المعرفة بأن الشيء موافق ولابد وأن يفعل وسلست عن ممارسة باعت آخر صارف عنه انبثت الإرادة وتحقق الليل فإذا انبثت الإرادة انبثت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالتية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبثت النفس بحكم الرغبة واللبل إلى ما هو موافق للعرض إما في الحال وإما في المآل فالحرك الأول هو العرض المطلوب وهو الباعث والعرض الباعث هو القصد النوي والاندما هو التصديق والاندما هو القدرة لحكمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انبهاض القدرة للعمل قد يكون باعت واحد وقد يكون باعتين اجتماعاً في فعل واحد وإذا كان باعتين فقد يكون كل واحد محث لو انفرد لكان ملياً بانبهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصراً عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافياً لولا الآخر لكن الآخر انتهى اضداً له ومعاوناً فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن ينفرد الباعث الواحد وينفرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه فصارا فانبثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانبثت القدرة عاملة بتعقضي الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى العرض الباعث ومعناه أنه خالص عن مشاركة غيره وممازجته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بالانبهاض لو انفرد ومثاله من الحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافياً في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قربه الفقير حاجة فقه فقره وقراه وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه يحضره قريب غنى فيرغب في قضاء حاجته وقهر أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مراقبة لبواعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوته الحب من

ألم الشوق

في وخوف الفراق

يوثر ضرا

صابر الصبر فاستغاث

به الصبر

رفصاح الحب للصبر

صبرا

قال جعفر الصادق

رحمه الله أمر الله تعالى

أنبياءه بالصبر وجعل

الحظ الأمل للرسول

صلى الله عليه وسلم

حيث جعل صبره بالله

لا بنفسه فقال

— وما صبرك إلا بالله —

وسئل السري عن

الصبر فتكلم فيه فذهب

على رجله فغرب فجعل

يضره يارته فقبل له لم

لا تدفعه ؟ قال أستحي

من الله تعالى أن أنسكم

ولكن قوى مجموعهما على إتهاض القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضميان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه التي فيطلب درهما فلا يسطيعه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يسطيعه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون إنبات داعيته بجميع الباعثين وهو التراب والفرق وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لمرض الثواب ولمرض الشاء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يشته مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب لسطعا لثواب في التصديق عليه لكان لا يشته مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أو رثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفع عن تأثير بالاعانة والتسهيل . ومثاله في المحسوس أن يتعاون الضعيف الرجل القوي في الحبل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك الجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للانسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فانفق أو حضر في وقتها جماعة من الناس ضار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا ومنذكر حكمها في باب الاخلاص والمرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع لباعث عليه فيكتسب الحكم منه وكذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لاحكام لها في حسمها وإتمام الحكم للنوع .

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله »)

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح للسلطين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكير وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضئيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال لا تدوم والعموم يقتضي أن تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية تجبردها خير من العمل بجبرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بالنية أو على النية لا خير فيه أصلا والنية تجبردها خير وظاهر الترجيح للمشاركة في أصل الخير بل إلى أنه أن كل طاعة تنظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الحيرات وكان العمل من جملة الحيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في القصد وأثر النية أكثر من أثر العمل فغناء نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والمرض أن الجهد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومرتبعة على العمل فلا يهجم إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى التقصد وقاس بسن الآثار بالبعث حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى التقصد فقامت آثار الخير من الفاكهة قائما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاعتناء ولا يشبه ذلك إلا من فهم أن للعداء مقصدا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس ببعضها البعض

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث التماس ابن مسمان وكلامه ضئيف .

في حال ثم أخالف
سأنتكم فيه . أخبرنا
أوزرعة بإجازة عن
أبي بكر بن خفاف بإجازة
عن أبي عبد الرحمن
قال سمعت محمد بن خالد
يقول سمعت القزغاني
يقول سمعت الجنبس
رحمه الله يقول إن الله
تعالى أكرم المؤمنين
بالإيمان وأكرم الأيمان
بالمقل وأكرم المقل
بالصبر فالإيمان زين
للمؤمن والمقل زين
للايمان والصبر زين
للمقل وأنشد عن
ابراهيم الحواس
رحمه الله :
مسبرت على بعض
الأذى خوف كله
وداشت عن نفسي
لنفسى فزرت

فالطاعات غذاء للقلوب ، وللقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتسميها بمقاهاه تعالى . فالقصد لذة السعادة بقاء الله قطع ولن يتنعم بقاء الله إلا من مات عبدا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره هـ ، فالأنس يحصل بدوام الذكر وللرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والحبية تتبع للرفة بالضرورة ولن يفرغ القلب بدوام الفكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا هـ ، ولن يفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهورها حتى يصير مائلا إلى الخير مريدا هـ نافرنا عن الشر مبغضا له وإيماء ميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوط بها كما يميل المائل إلى القصد والحجامة لعله بأن سلمته فيها هـ ، وإذا حصل أصل الليل بالمرقة فالحاجة يقوى بالعمل بمقتضى الليل واللواظية عليه فان اللواظية على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت تلك الصفة حتى ترشح الصفة وتقوى بسببها فالماثل إلى طلب العلم أو طلب الرياضة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا ، فان اتبع مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياضة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعصر عليه الزرع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانقطع بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا لوتبعه وعمل بمنتهى قدوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على الزرع عنه ، ولو لم ينم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الليل ويكون ذلك زبرا ودخا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقطع وينمى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي ترد بها الدنيا والآخرة هـ ، ويدل النفس إلى الخيرات الأخوية وانصرافها عن الدنيا هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا باللواظية على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابه جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بمله يموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وتردعت الفرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للتبوع فكانته الأمير والراعي والجوارح كالخدم والراعي والانابع هـ ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيده صفاتها فيه فالقلب هو للقصود والأعضاء آلات موصلة إلى للقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد» (١) وقال عليه الصلاة والسلام «الله أصالح الراعي والرعية» (٢) وأراد بالراعي القلب هـ ، وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولدمائها ولكن يناله التقوى منكم - وهي صفة القلب هـ ، فمن هذا الوجه يجب لاحالة أن تكون أعمال القلب على الجلة أفضل من حركات الجوارح هـ ، ثم يجب أن تكون النية من جعلتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته هـ . وغرضنا من الأعمال الجوارح أن يمود القلب بإرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليرغ من شهور الدنيا ويكتب على الفكر والفكر بالضرورة يكون خيرا بالاضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود بوهذا كان للعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشراب والدواء الواسل إلى للعدة هـ ، فالشراب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا أريد به أن يسرى منه الأثر

وجرعها للكره

حتى تدريت

ولولم أجربها إذن

لاشعأزت

أأرب ذلساق للنفس

عزة

ويارب نفس بالذال

عزت

إذا ماددت الكف

النفس التي

إلى غدير من قال

أسألوني فقلت

سأبصر جهدي إن في

الصبر عزة

وأرضى بدني وإن

هي قلت

قال عمر بن عبد العزيز

رحمه الله : ماأنتم الله

على عبد من نعمة ثم

اتزعها فمأمنه مما

اتزع منه الصبر

إلا كان مأمنه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث الهذلي بن بشر وقد تقدم (٢) حديث الأمم أصالح الراعي والرعية تقدم ولم أجده .

إلى اللمة ، فما يلقى عين اللمة فهو خير وأرفع فهكذا يبنى أن نعم تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم المادة يؤكده صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعاً ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وتبلة تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بتغيير نية مفيداً أصلاً لأن من مسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه مسح نوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فسكان وجود ذلك كدمه وما سواه وجوده عديمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً فيقال العبادة بتغيير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شراً فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب فيها وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيراً من العمل ، وبهذا أيضاً يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة » لأن هم القلب هو سبيل إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وإنما الانعام بالعمل يزيد بها تأكيدها فليس المقصود من إراقه دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبهذا يتبين أن لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاقب عن العمل عاقب فليزال الله لهما ولا مدحاً ولا إسكان بآله التقوى منكم ، والتقوى هنا أعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوما بالمدينة قد شرعوا في جهادنا » كأنهم ذكره لأن قولهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلام كلمة الله تعالى كقلوب الحارثيين في الجهاد وإنما ما يقوم بالأبدان لمواثيق تخص الأسباب الخارجية عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني نعمهم جميع الأحاديث التي أو ردها في فضيلة النية فأعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة.

(بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالية)

اعلم أن الأعمال وإن اتسمت أقساماً كثيرة فمن فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك بما لا يتصور إحصاءه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي ومباحات. القسم الأول: للناموس وهي لا تلتزم عن موضوع بالية فلا يبنى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أن النية تنقلب طاعة بالية كالذي ينتاب انساناً مرعاضاً للابغية أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجداً أو يربط بالحرمان وقصد الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظاهراً وعدواناً ومعبية بل قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طاب العلم بفرصة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً مهمات بل للرجوع لذلك في القلب حتى التهمة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان سائلاً إلى طاب الجاهل واستماله قلوب الناس وسائر مخلوقات النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى: ما معي الله تعالى بمعية أعظم من الجهل. قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالسكينة باب التعلم فن يظن بالسكينة بنفسه أنه عالم فكيف يعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

عما أنزعه منه وأندس

لسمنون :

تخرجت من حاله

نعمي وأبؤسا

زماناً إذا أجرى عزاليه

أحتس

فكم حمرة قدر عنتي

كؤوسها

فجرت عينا من محرابي

أكؤوسا

تدرعت صبري

والتحفت صروقه

وقلت لنفسي الصبر أو

قاهلك أسي

خطوب لوان الشم

زاحم خطيها

لساخت ولم تدرك لها

الكف لمسا

[قولهم في الفقر] قال

ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فاذا كان

لك لا يكون لك حتى

فان من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكسب الناس عليه من العلوم للزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم ، وقد قال الله سبحانه - فاستولوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يضر الجاهل على الجاهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للمسلم أن يسكت على علمه » (١) ويقرّب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم السفهاء والأشرار للشغولين بالفسق والفجور القاصرين مهمهم على إمارة العلماء ومباراة السفهاء واستالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والسالكين فان هؤلاء إذا تملقوا كانوا قطعاً طريق الله وانتهى كل واحد منهم في بلدته نائباً عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضاً آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ويوال جميعه يرجع إلى العلم الذي علمه الملعن ثم علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي معاصمه وميلسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلاً وأنتي ستغطو بطنك إذا مات مانت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد صدقت بذلك تدر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمصيبة منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإعانة حب الرئاسة والاستبغاب والتفاخر بعلمه العالم بحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرئاسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلاً وأسياباً يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجلية وقد صدقت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان إعداد الحيل والرباط والقوة للغة من أفضل القربات فان هو صرّفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرم عليهم أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله تعالى ثلثاً خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء » (٢) فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم يجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فادّلاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمدّه بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون بأعداء الله عز وجل وهو الهوى فن لا يزال مؤثراً لدنيائه على دينه ولهو له على آخرته وهو عاجز عنها لانه فضل فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوالهم بتردد إليهم فلو رأوا منه تقصيرا في قتل من النوازل أنكروه وتركوا إكرامه وإذاراً وأمنه فجورا واستحلال حرام هجره وشوهه عن الجاهل وتركوا تركه فضلائع تعليمه لهم بأن من تعلم بمسألة ولم يعمل بها وحاوّلها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تدرّج جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وماتوا وذووا من الفاجر الجاهل . حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تقريره عليه وهو

نؤثر . وقال الكتاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح التقي بالله تعالى لأنهم حالان لا يمد أحدهما بالآخر . وقال النوري : نعم القراء السكون عند القدم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاضطراب عند الوجود . وقال الدراج فتشفت كنف أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت ، فلما جاء قلت له : إنى وجدت في كنفك هذه القطعة . قال قد رأيته ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا ففعلت : ما كان أمر بهذه القطعة بحق معبودك فقال مارزقي

(١) حديث لا يضر الجاهل على الجاهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يضر الجاهل على الجاهل وقال لا ينبغي بذلك ولا يحل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن الله ثلثاً خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب المحبة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلى أنك طيفت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدسك الطين وهو أعملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فكذلك كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا وأمثاله مما يتنسب إلى الأغنياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأحكام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أغنى الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والرجوع عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق وتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتفرد على الأثران فاذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يخص

من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون العاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً، نعم لنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة. القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة

يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيها نيات

كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال التقيين ويبلغ به درجات القربين أو لما أن يعتقد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله فيصعبه زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

«من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على الزور إكرام زائره» (٢) وثانيها أن ينظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى «ورابطوا» وثالثها الترهيب

بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف كقعوده في معنى الصوم وهو نوع ترهب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهبانية أمي القعود في المساجد» (٣) ورابعها

عكوف الملم على الله ولزوم السر للفر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله وأولاستماع ذكره ولتذكر به كما روى في الخبر «من غدا إلى المسجد يذكر

الله تعالى أو يذكر به كان كالجاهد في سبيل الله تعالى» (٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر معروف ونهى عن منكر إذ المسجد لا يحل لأجله من شيء في صلواته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهى

عنه عن منكر إذ المسجد لا يحل لأجله من شيء في صلواته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهى عن منكر

إلى الدين فيكون شريكاً معه في خير الذي يعلم من تضاعف خيرات. وسابعها أن يستفيد أخا

في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة وللجسد معيش أهل الدين المهيمن لله في الله. وثامنها

أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما ينقض هناك الحرمه،

وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع

خصال أحاطا مستغدا في الله أو رحمة مستنزلة أو علما مستظرفا أو كفة تدل على هدى أو صرفه

(١) حديث تضعيف الحسنة بعشر أمثالها تقدم (٢) حديث من قصد إلى المسجد فقد زار الله تعالى

وحق على الزور إكرام زائره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان وللباق في الشعب نحوه من

رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بإسناد صحيح وقد تقدم في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمي القعود

في المساجد لم أجده أصلاً (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله ويذكر به كان كالجاهد في سبيل

الله تعالى هو معروف من قول كعب الأحبار روياء في جزء ابن طوق وللطبراني في الكبير من حديث

أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعبه كان له كأجر حج تاما حجاً أو يسأله جدي

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أرواح أعداء الله في الجنة نزلاً كما غدا وأرواح

الله تعالى من الدنيا

صفراء ولا يضاء

غيرها فأردت أن

أوصي أن تشد في كفي

فأردها إلى الله وقال

إبراهيم الخواص القفر

رداء الشرف ولباس

المسلمين وجلباب

المساكين . وسئل

سهل بن عبد الله عن

القيصر الصادق فقال

لا يسأل ولا يرد ولا

يعبس . وقال أبو علي

الروادباري رحمه الله

سألتني الزقاق فقال

يأبأ على لم ترك الفقراء

أخذ البلعة في وقت

الحاجة قال قلت لأنهم

مستغنون بالله عن

العطايا قال نعم ولكن

وقع في شيء آخر قلت

هات أفدني ما وقع لك

عن ردى، أو ترك الذنوب خشية أوحيا، فهذا طريق تسكين النيات، ونسب سائر الطاعات والباحات لإيمان طاعة إلا لا تحتل نيات كثيرة، وإنما يحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمه له وتفكره فيه فهذا تركو الأعمال وتتضاعف الحسنات [القسم الثالث للباحات] كما من شئ من الباحات إلا لا تحتل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها ممالى الدرجات فاعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطى الهائم للهمة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستخفر العبد شيئا من المحطات والحطوات واللاحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم يسهو وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب» (١)

وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عيبه وعن فئات الطينة بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه» (٢) وفي خبر آخر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتم من الجنة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية. فان قلت لما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله. فاعلم أن من تطيب مثلاً يوم الجمعة أو في سائر الأوقات يصور أن يقصد التمتع بلبات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليجدهم الأقران أو يقصد به رياء الخلق لا يقوم له الجاء في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنيات إذا كان مستحلاً بالنظر إليهن ولأموار أخر لأخصى وكل هذا يجعل التطيب معصية في ذلك يكون أنتم من الجنة في القيامة إلا لا قصد الأول وهو التلذذ والتمتع فان ذلك ليس معصية إلا أنه يسئل عنه ومن نوى الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يقصد به في الآخرة ولكن يقص من نعيم الآخرة له بقدره ونهايك خسرانا بأن يستعمل ما يغنى ويغنى زيادة نعيم لا يغنى وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣) وينوي بذلك أيضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا بطيب الرائحة وأن يقصد به ترويع جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إبداء غشاظيه وأن يقصد حسم باب القبيحة عن الغتابين إذا غتابوا بالروائح الكريهة فيصون الله بسببه فمن تعرض للقيبة وهو قادر على الاحتراز فما هو شريك في تلك المعصية كاقبل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفرقهم فالراجلون هم

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وأشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزديده فانه ذو كآؤه ويسهل عليه درك معاصيته بالسكر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب رحمه زاده فقد أوثقه من النيات لا يصح الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطالب الخير غالباً على قلبه وإذا لم يغلب على قلبه إلا النعيم الدنيا لم يحضر هذه النيات

(١) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب تقدم (٢) حديث معاذ بن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عيبه وعن فئات الطينة بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه لم أجده إلا إسناداً (٣) حديث إن ليس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من اعتدل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده وليس أحسن ثيابا الحديث ولأن داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهنته وفي إسناد اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حلة سراء عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشترت هذه فلبستها يوم الجمعة الحديث .

قال لهم قوم لا ينفعهم الوجود إذ قد فاتهم ولا تنفعهم العاقبة إذ قد جردهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال السوحي الفقير الذي لا تشبهه الثم ولا تنفعه المهن . وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر أن لا يستغنى إلا بالله ورحمه عدم الأسباب كلها وقال أبو بكر الطائوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجواب يقتضى حق سألت نصر بن الحامي فقال لي لأنه أول منزل من منازل

وإن ذكرت له لم يثبت لها قلب فلا يكون معه منها إلا حدث النفس وليس ذلك من النية في شيء
والباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ماعاده ولهذا قال بعض العارفين من
السلف إنني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشرب ونومي ودخولي إلى الخلاء
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن ورفاه القلب من
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الأكل الشوى على العبادة ومن الوقاع تحسين دينه
وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى نيل صالح يصيد الله تعالى بدمه تشكراً به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان
عليها ما يأكله وشكاه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بها غير مجتمع لمن غلب
على قلبه ثم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله وإذابله
اغتيال غيره له فليطرب قلبه بأنه سيجعل سيئاته وسئل إلى ديوانه حسنة وليت ذلك بسكوته عن
الجواب في الخير « إن العبد ليحاسب قنطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم يشتر له من
الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيصحب ويقول يارب هذه أعمالها فليطرب قلبه فقال هذه
أعمال الدين اغنايك وأدوك وظلوك (١) » وفي الخير « إن العبد ليوافق عسنتاً أمثال الجبال
لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسنة ولهذه من
حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول اللاتكة قد فئت حسنة وبقي طالبون يقول الله تعالى أذكوا عليه
من سيئاتهم ثم سكاوا له سكا إلى النار (٢) » وبالجملة فأيامكم إن كنتم تتعقروا شيطاناً حرثاً كان لا تحترز
من غرورها وشروورها ولا تصد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليكم وشهيد بما يلفظ
من قول إلا لله رب عبيدوا بعض السلف كتب كتاباً وأردت أن أترجم من حاطط جاري فخرجت
ثم قلت تراب وما تراب قترته فينفذ بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب
وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوباً ففرقه فد به ليصاحبه ثم قضى فلم يسوء فسله عن ذلك
فقال إنني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لتبرأ الله وقد قال الحسن إن الرجل ليمسح بالرجل يوم القيامة
فيقول يبي وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت ابنة من حاطط وأخذت خيطاً من
نوبي فهذا وأمثلة من الأخبار قطع قلوب الحائنين فإن كنت من أولى الزم والتهب ولم تسكن من الغفرتين
فانظر لنفسك الآن ودفق الحساب على نفسك قبل أن يدق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن
ولا تتحرك ما تأمل أولاً أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يوتك
من الآخرة وماذا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأهمل عزمك وما خطر
ببالك وإلا فأنسك ثم راقب أيضاً قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية
صححة فلا ينبغي أن يكون الداعي هو الذي لا يطلع عليه ولا يفرنك ظواهر الأوروم وشرويات الحفريات
وافطن للاغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاعتراق قد دروي عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل
في حائط بالطين وكان أجيراً يقوم قدموا له رغباً إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

(١) حدث إن العبد ليحاسب قنطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم يشتر له من
الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الدين اعتناك أبو منصور
الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شيب بن سعد البجلي مختصراً إن العبد
ليأتي كتابه يوم القيامة منتشراً فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لي وما عملها فقال بما
اغتنابك الناس وأنت لاتشعر وفيه ابن أبي عمير (٢) حدث إن العبد ليوافق القيامة بحسنة أمثال
الجبال وفيه ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف.

التوحيد قصت بذلك
وسئل ابن الجلاء عن
الفقر فكنت حتى صلت
ثم ذهب ورجع ثم قال
أنني لم أسكت إلا للدرم
كان عندي فذهبت
فأخرجته واستجيت
من الله تعالى أن أنكس
في الفقر وعندى ذلك
ثم جلس وتكلم .
قال أبو بصير بن
طاهر عن حكم القبر
أن لا يكون له رغبة
فإن كان ولا بد لا تجاوز
رغبته كفايته . قال
فارس قلت لبعض
الفقراء مرة وعليه أثر
الجوع والضرر لا أنساك
فقطعوك ؟ فقال إنني
أخاف أن أسألهم
فيمنعوني فلا يفلحون
وأشد لهمضهم :

فلم يدهم إلى الطعام حتى فرغ فجمعوا منه لما عدوا من سخائم هذه وظنوا أن الحريق في طلب الساعة في الطعام قال إني أحمل لقرم بالأجرة وقدموا إلى الرغيف لأتقوى به على عملهم فلما كلمتهم لم يكلمهم ولم يكلمني وصنفت عن عملهم فاليسر. هكذا ينظر في البواطن بنور الله فإن صنفة عن العمل قص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام تنص في فضل ولا حكم للفنائل مع القرائن . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلى حتى لقي أميابه ثم قال لولائي أخذته بدين لأجبت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فله وزران وإن لم يأكل فله وزر واحد وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه أخاه لما يكره لوعله فكذا ينبغي أن يتفقد العيد نيته في سائر الأعمال فلا يحسم ولا يحجم إلا بنية فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار .

(بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكبيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس فلأؤكل كل لله ووطن ذلك نية وهيات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية تعزل من جميع ذلك وإنما النية انماث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه مرضا إما عاجلا وإما آجلا والليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبان نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه أوقول الفارع نويت أن أعشق فلانا وأحب وأعظمه يعني فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما تمثت النفس إلى العمل إجابة لغرض الباعث الواقع للنفس اللائم لها ومالم يعتمد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا توجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد قائما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بفرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتمد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يوقع نية الولد بل لا يمكن إلا بنية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا بعت إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يطلب قلبه قضاء الشهوة سنة النكاح (١) ابتاعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعتهم لئلا يمكن أن ينوي بالنكاح ابتاع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية . نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكبير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع الفترات عن الولد من قتل المؤنة وطول التصب وغيره فإذا فعل ذلك ربما انبث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للزواج فحرك تلك الرغبة وتحرك أعضائه بإشارة المقدر فإذا اتمت القدرة المحركة للسان بقبول المقدر طاعة لهذا الباعث القاطع على القلب كان نوايا بان لا يكون كذلك لما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا نية حتى إن ابن سيرين لم يصل في جنازة الحسن الصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره وأن هات الدرى قالت أجبني بالمرأة فسكت ساعت ثم قال نعم قبل له في ذلك قال كان لي في الدرى نية

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

قالوا غدا العيد ماذا

أنت لابه

فقلت خالصة ساق

عبد الجرجا

ففر صبرا ما ثوبان

تخفها

قلب يرى رب الأعياد

والجفا

أحرى اللابس أن تلقى

الحبيب به

يوم التزاور في الثوب

الذي خاما

الدهر لي مأثم إن غبت

بألمى

والعيد مادمت لي

مرأى ومستما .

[فوهم في الشكر]

قال بعضهم الشكر

هو النية عن الذمة

برؤية النعم . وقال

عبي بن معاذ الرازي

لست بشاكر مادمت

تشكر وغاية الشكر

ولم تحضرن في الصلاة فنفقت حتى هبأها الله تعالى ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل
الكوفة قيل للثوري ألا تنهد جنازته فقال لو كان لي نية فقلت وكان أحدهم إذا سئل عما عمل
البر يقول إن رزقي الله تعالى نية فقلت وكان طاوس لا يحدث إلا بنية وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث
ولا يسأل فيندى قيل له في ذلك قال أتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرن نية فقلت. وحكى
أن داود بن الحبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلب منه ففطر فيه أحمد صفحا ورده
فقال مالك قال فيه أسانيد ضاف فقال له داود أنا لم أخرجه على الأسانيد فأنظر فيه بين الخبرين
نظرت فيه بين العمل فانفتحت قال أحمد فردته على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث
عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجده نية. وقال
بعضهم أنا في طاب نية لقيادة رجل منذ شهر لما سمعت لى بعد. وقال عيسى بن كثير مشيت مع
ميسون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تمرض عليه العشاء قال ليس من نيتي
وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لهم
بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لاسبب قرب وعلموا
أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو ابتعاث القلب بمجرى مجرى الفرح من الله تعالى
فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها، نعم من كان الطالب على قلبه أمر الدين يتيسر عليه في
أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا
ومن مائل قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في القرض إلا بمجدد يدبوقاته
أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعم الجنة ويرغب نفسه فيها فرجا تفيض له داعية ضعيفة
فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا
تتيسر للراغب في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويمز على بسيط الأرض من يفهمها فضلا عن
يتطاعها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار
ومنها من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله
وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواء فهو من جملة انبياء الصالحة لأنه مائل إلى اللوعود في الآخرة وإن
كان من جنس المأوفات في الدنيا وأغلب البواعث الفرج والبطن وموضع قضاء موطن الجنة
فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه ليناله بعمله إذا كثرت
أهل الجنة إليه وأما عبادة ذوى الأبواب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حالها وحوالها وسائر
الأعمال تكون مؤكدة وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى النكوح والطمع في الجنة
فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالدعاء والتمنى يريدون وجهه فقط وتواب الناس بقدر
نياتهم فلا جرم يتعمدون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون من يلتفت إلى وجهه الحور العين كالسخر
للتعم بالنظر إلى الحور العين بما يقتضيه بالنظر إلى وجهه الصور للصنوعة من الطين بل أشد فإن التفاوت
بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين
والصور للصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البريئة الشهوانية لقضاء الوطن من غلظة الخلد إن
وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها وإلهائها وإعراضها عن
النظر إلى جمال وجوه النساء فعسى أكثر القلوب عن إحصار جمال الله جلالة ضاهي عظم الخنفساء
عن إدراك جمال النساء فانها لا تشمر به أصلا ولا تلتفت إليه ولو كان لها عقل ودكر لها
لا تحسنت عقل من يلتفت إليهن - ولا يزالون مختلفين - كل حزب بما لديهم فرحون - وذلك خلقهم -

التحير وذلك أن
الشكر نعمة من
الله يجب الشكر
عليها وفي أخبار داود
عليه السلام إلهي
كيف أشكرك وأنا
لا أستطيع أن
أشكرك إلا بنعمة
ثانية من نعمك فأوحى
الله إليه إذا عرفت
هذا قد شكرتني
ومعنى الشكر في لغة
هو الكشف والالتفات
يقال شكر وكشر
إذا كشف عن قعر
وأظهره ففشر التهم
وذكرها وتصادها
بالسان من الشكر
وباطن الشكر أن
تستعين بالسم على
الطاعة ولا تستعين بها
على النصية فهو شكر

حي أن أحمد بن حنبل روى رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون من الجنة إلا أبا يزيد فان يطئني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال إلي . ورؤى التتبي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لمطالبي على الدعوى بالبرهان بالإلحاح قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والفرص أن هذه البليات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له الدلول إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق توثق أعمالا وأفعالا لا يستكثرها الظاهريون من الفقهاء فانما قول من حضرت له نية في بياح ولم تحضر في فضيلة فالباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه تبصرة لأن الأعمال بالبليات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم لم يرغب نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تنبث نية في الحالين للصوم والصلاة فأكل والشرب والنوم هو الأفضل بل لو لمول العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضغفت رغبته وعلم أنه لو ترساعة لم يمدح وتحدث عاد نشاطه فالفوز أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء إني لأستجمن نسي يدي من الله فيكون ذلك عوناً لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها إذا كرهت عيباً وهذه دقائق لا يدركها إلا جسارة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطلب يجد ما يجالج الحرور بالجمع حرارته ويستبدده القاصر في الطلب وإنما ينبغي به أن يجد أولاً قوته ليحتمل المعالجة بالصدو والحاذق في لعب الشرط مخ لا قد يتزل عن الرخ والفرس عجائز ليتوصل بذلك إلى القليق والضعف البصيرة قد يضعك به ويتعجب منه وكذلك الحجير بالقتال قد يفر بين يدي قريبه وبوليده درهم حيلة منه ليتجره إلى مضيق فيسكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قال مع الشيطان ومعه الجنة والقلب والبصير الوفاق يقف فيها على لطائف من الجليل يسبقها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضر إنكاراً على ما رآه من شيخه ولا للمتعلم أن يعرض على أستاذه بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا ينبغي من أحوالها يسلمه لها إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

(الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجته)

(فضيلة الإخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال الأفاضل الدين الخالص - وقال تعالى - إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - زلت فيمن يعمل لله ويجب أن يحمده عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله ^(١) » وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال « ظن أي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) » قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضغائهم ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم ^(٢) » وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من

(الباب الثاني في الإخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي ومحمده من حديث النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بضغائهم ودعوتهم وإخلاصهم ورواه النسائي وهو عند البخاري بلفظ هل تصرون وترزون إلا بضغائكم .

الذمة . وصحت شيخنا رحمه الله بنشد عن بعضهم :

أوليتي نعماً أبوح
بشكرها
وكتبت كل الأمور
بأسرها

فلأشكرنك ما حبيت
وإن أمت

فلأشكرنك أعظمي
في قبرها .

قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« أول من يدعى إلى

الجنة يوم القيامة الذين

يحمدون الله في السراء

والفراء » . وقال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم « من ابتلى فصر

وأعطى فشكر وظلم

فغفر وظلم فاستغفر »

فيل فبا قاله « أولئك

أحببت من عبادي ^(١) » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمأذن بن حبل « أخالص العمل مجزأته القليل ^(٢) » وقال عليه السلام « مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما لأظهرت بتابع الحكمة من قلبه إسنه ^(٣) » وقال عليه السلام « أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فباعت فتقول يارب كنت أقوم به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فتد قبل ذلك ورجل آتاه الله المال فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت يقول يارب كنت أنصدق به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فتد قبل ذلك ورجل قدل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت يقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتل فتقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فتد قبل ذلك قال أبو هريرة ثم خطب رسول الله ﷺ على غزى وقال يا أيها البررة أولئك أول خلق تسمرنار جهنم بهم يوم القيامة ^(٤) » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فسكى حتى كادت نفسه تهزق ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - ألا يقوى في إسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرًا طويلا فجاء قوم فقالوا إن ههنا قوم ما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحلك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذاك تركه إبليس فادتك واشتغالك بنفسك وضرعت لير ذلك فقال إن هذا من عبادي قال فاني لأتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطره إلى الأرض وقصد على صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أكلك فقام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عتقك هذا ولم يرضه عليك وما تبديها أنت وما عليك من غيرك وفيه تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولوشاء لبثهم إلى أهلها وأمرهم يقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فذا به لقتال فغلبه العابد وصرعه وقصد على صدره ففجز إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنزع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لاشيء لك إنما أنت كل على الناس جولونك ولكم تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستنق عن الناس قال نعم قال فارجم عن هذا الأمر وعلى كل أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهم ما فأنفتت على نفسك وعياك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفسر مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك للؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لسبني فيزني قطع هذه الشجرة ولا أدري أن الله أن قطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسلًا يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي وروياه في جزء من مسلمات القزويني مساملا يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء المجبى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضيف (٢) حديث أنه قال لمأذن أخالص العمل مجزأ منه الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدى ومن طريقه ابن الجوزي في اللوضعات عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم .

لهم الأمن وم
ميتون . وقال
الجيد فرض الشكر
الاعتراف بالعم القلب
واللسان . وفي الحديث
« أفضل الذكر لاله
إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله . » وقال بعضهم
في قوله تعالى - وأسبغ
عليك نعمه ظاهرة
وباطنة - قال الظاهرة
العوافي والباطنة
السلوى والفقر
فان هذه نعم أخروية
لما يستوجب بها من
المجزأة . وحقيقة
الشكر أن يرى جميع
النقص له به نعمًا غير
ما يضره في دينه لأن
الله تعالى لا يقضي للعبد
للؤمن شيئًا إلا وهو
نعمته في حقه فيما عاجلة

ومأذركه أكثر منفعة فاعاهده على الوفاء بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دياربنا عند رأسه فأخذهما وكذلك القدر ثم أصبح اليوم الثالث وما بهد فمريشاً فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سيلا لك إليها ذل فتناوله العابد ليفعل به كاذلاً أول مرة فقال هرباً فأخذه إبليس وصصره فاذا هو كالمصفور بين رجله وقعد إبليس على صدره وقال لتتبين عن هذا الأمر أولاً فغلبتك فأنظر العابد فاذا لاطاقة له به قال يا هذا غلبتني غلبة عنى وأخبرتني كيف غلبتني أولاً وغلبتني الآن فقال لأنك غضبت أولاً مرة فو كانت نيتك الأخيرة فسخرني الله وهو غلبتني فغضبت لنفسك وللدينا فصرعتك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - إلا عبادك منهم المخلصين - إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالأخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تنخلصي . وقال يقوب السكفوف : المخلص من يكتم حسنة كما يكتم سيئانه . وقال سليمان : طوبى لمن حصد له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيتك كنهك الله تعالى ما بين وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل . وقال أبووب السخيتاني : تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا حتى له ومن خلط خلط عليه . ورؤي بعضهم في المنام قيل له كيف وجدت ؟ فعمرك ؟ فقال كل شيء عمله فو وجدته حتى حبة رمان لقطها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنة وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيت في كفة السيئات وكان قد تقطع حمار لي قيمته مائة دينار ففاربت له ثوباً فقلت موت سنور في كفة الحسنة وموت حمار ليس فيها قيل لي إنه قد وجده حيث يشت به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك فيه ولولت في سبيل الله لوجدته في حسنة . وفي رواية قال وكنت قد صدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرم إلى فوجدت ذلك لاجل ولاي . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال مجي بن معاذ : الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللين من الثرى والمم ، وقيل كان زجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فأخاف أن حضر يوماً موضعاً فيه يجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نقشش فكانوا يغتصون واحدة واحدة حتى بلغت التوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فذاعا الله تعالى بالاخلاص وقال ابن نجيم من هذه القضيحة لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدرمة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا المرأة فقد وجدنا الدرمة . وقال بعض الصوفية : كنت قائماً مع أبي عبيد التستري وهو يحرق أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدان فسأره بشيء فقال أبو عبيد لا ، فمر كالتحباب يسبح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك ؟ فقال سألت أن أحج معك فقلت لا قلت لهم لا فقلت ؟ قال ليس لي في الحج نية وقد وبت أن أتم هذه الأرض العسية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمت الله تعالى لأنى أدخل في عمل الله شيئاً غيره فيكون مأثاقه أعظم عندي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر ففرش بطناً عملاً فقلت أشتريها فأنتفع بها في غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بيها فرحمت فيها فاشتريتها فرأيت تلك البيلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب المرأة فأملى عليه فخرج فلان منزهاً وفلان مرأياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله ثم نظروا إلى وقالوا اكتب فلان خرج تاجراً فقلت

يبرئها ويغفرها وإما
أجله بما يقضى له من
الكاره فاما أن تكون
درجة له أو تعجيباً أو
تكميلاً فاذا علم أن
مولاه أنصح له من
نفسه وأعلم بمصلحه
وأن كل ما منه نعم فقد
شكر .

[قولهم في الخوف]
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «رأس
الحكمة خيفة الله»
وروى عنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال
«كان داود النبي عليه
السلام يهوده الناس
يظنون أن به مرضاً
وما به مرض إلا خوف
الله تعالى والحيامة»
قال أبو عمر الدمشقي
الخائف من يخاف من

الله في أمرى ما خرجت أنجر وما منى تجارة أنجر فيها ما خرجت إلا للزواج وقال يا شيع قد اشتريت أس حلازة تريد أن تبيع فيها فيكتب وتقول لا تكتبوني تاجرنا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال كتب خرج فلان غازيا إلا أنه اشتري في طريقه حلازة ليربع فيها حتى يحكم الله عز وجل في عمارى. وقال سرى السطى رحمه الله تعالى : لأن تعلى ركعتين في خلوة تخلد بها خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعائة بعلو . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نعمة الأبد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بقدر والعمل وزرع وماؤه الاخلاص . وقال بعضهم إذا أنقض الله عيدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه حمية الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلاق الاخلاص فقط . وقال الجنيد : إن قد عبادا عقلوا فلما عقلوا عدلوا فلما عدلوا أخلصوا فلما أخلصوا فاستدعاهم الاخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد الروزى : الأمر كله يرجع إلى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترض ما فعل وتخلص فيما تعمل فإذا أنت قد سمعت بهذين وفزت في الدارين .

(بيان حقيقة الاخلاص)

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وتخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل الصفى الخاص بإخلاصا قال الله تعالى - من بين فرت ودم لنا خالصا سائنا للشاربين - فالتخلص هو التخلص التام أن لا يكون فيه شوب من المم والشر ومن كل ما يمكن أن يمتزج به والاخلاص بضافه الاشتراك فمن ليس متخلصا فهو مشترك إلا أن التبرك درجات فالأخلص في التوحيد بضافه للتشريك في الإلهية والتشرك منه حتى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فعمله القلب وإنما يكون ذلك في التصرد واليات وقد ذكرنا حقيقة التوبة وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فهما كان الباعث واحدا على التجرد ممي الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى التوبى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو تخلص ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو تخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الالحاد عبارة عن اليل ولكن خصصته العادة باليل عن الحق ومن كان غايته مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولما تنسلكم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربيع للهالكات وأقل أموره ماورد في الخبر من « إن الرأى يدعى يوم القيامة بأربع أسام يمارأى باعنا وعاد بذكر يا كافر (١) » وإنما تنسلكم الآن فيمن أثبت قصد التقرب ولكن أتمزج بهذا الباعث باعث آخر إيمان الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم ليتنفع بالحبة الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يمتق عبدا ليتخلص من مؤننه وسوء خلقه أو ينجح ليصبح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلد أو ليهرب عن عدوله في منزله أو يترجم بأهله وولده أو يشغل هو فيه فأراد أن يستريح من أياما أو ليزور ولجارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على نهضة الساكر وجرحها أو على النيل من غيره في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله أو حاله أو ينظم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزا بين العشرة أو ليعود عاهة أو ماله محروسا يبرز العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصحة ويتفرج بقلعة الحديث أو تسكن خدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرقة عندهم وعند الناس أو لينال بمرقاة الدنيا

(١) حديث إن الرأى يدعى يوم القيامة بأمرأى باعنا وعاد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والاخلاص وقد ختم .

نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان . وقال بعضهم ليس الخائف من بيكى ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك ما عاف أن يعذب عليه . وقال الخائف الذى لا يخاف غير الله قبل أى لا يخاف نفسه إنما يخاف إحلالا له والخوف للنفس خوف العقوبة . وقال سهل الخوف ذكر والرجاء أنى أى منهما تولد فحقيق الإيمان . قال الله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - . قبل هذه الآية قطب القرآن لأن مدار

أو كتب مصحفاً ليجوده بالموافقة على الكتابة خطه أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه السكراه أو نوحاً
ليدثاق أو ينرد أو اغتسل لتنظيف راحته أو روى الحديث ليعرف به أو الاستناد أو اعتكف في المسجد
ليخفف كراه السكون أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله
الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إيلامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضاً ليعاد أضرار
أو يشيع جنازة ليشيع جناز أهل أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالجهر ويذكر به وينظر إليه بين
الصالح والوفاء فهم ما كان ناعته هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انصاف إليه خطرة من هذه
الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج
عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»
وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا يستريح إليه النفس ويعيل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق
إلى العمل تنكسر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه بنفسه في شهواته فلما
يشك فل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأعراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك
فيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى وبذلك لمة الإخلاص وعسر تنقية القلب
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا يباغث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ
إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يبغي شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرنا فيها إذا كان القصد
الأصلي هو التقرب وانضاف إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة اللوافة أو في
رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في البية ، وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث
الذي هو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وإنما الإخلاص تخليص العمل
عن هذه الشوائب كلها قليلاً وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باغث سواء وهذا
لا يتصور إلا من عب لله مستتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى
لا ينجب الأكل والشرب أيضاً بل تكون رغبته فيه كرهته في أداء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجلبة
فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله وينبئ أن لو كثر شر الجوع حتى لا يحتاج
إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الراضية على الضرورة ويكون قدر الضرورة مظلوماً باعتد
لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان
خالص العمل صحيح البية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً حتى يرجع فله يلتوى على العبادة بعده
كان نومه عبادة وكان له درجة الخاصين فيه ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود
عاليه إلا على الدور وكان أن من غلب عليه حب الحق بالآخرة فاكسبت حركاته الاعتدالية صفة معه
وصارت إخلاصاً فالتى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة ، وبالجملة غير الله فقد اكسبت جميع
حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً فإذن علاج الإخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذا ذلك تيسر
الإخلاص ولم من أعمال يتعب الإنسان فيها وبطن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مفروراً لأنه يرى
وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول
لأنى تأخرت يوماً لعذر فصليت في الصف الثاني فاعتزنى خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني
فعرفت أن نظر الناس إلى في الصف الأول كان مسرئ وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا دقيق
غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتبذله إلا من وقته الله تعالى والمالفون عنه يرون حسناتهم كلها في
الآخرة سيئاتهم وهم الرادون بقوله تعالى - وبذلهم الله ما لم يكونوا يحسبون - . وبذلهم سيئاتهم كما سيؤ

الأمر كله على هذا .
وقيل إن الله تعالى جمع
للتخمين مائة مرة على
الؤمنين وهو الهدى
والرحمة والعلم
والرضوان فقال تعالى
- هدى ورحمة للذين
هم لهم يرهون -
وقال - إنما يخشى الله
من عباده العلماء -
وقال - رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن
خشي ربه - . وقال
سهل: كمال الإيمان بالملم
وكمال العلم بالخوف
وقال أيضاً: العلم كسب
الإيمان والخوف كسب
العرف . وقال
ذوالنون: لا يسبق الحب
كل الحب إلا من بعد
أن ينضج الخوف قلبه.
وقال فضيل بن عياض

وبقوله تعالى - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأشدّ الخلق تمرّساً لهذه الفتنه العلماء فان الباعث للأكثرين على نشر العلم لفنة الاستبلاء والفرح بالاستبعا والامتناع بالجد والثاء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزى الواعظين على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للاطمين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسره من نصرة الدين ولو ظهر من أفرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك ونعمه ولو كان باعته الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بشيئه ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إننا نملك لا نطاع التواب عنك لا انصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتفقوا بقوله لكنت أنت الثاب واثباتك لقوات التواب محمود ولا يدرى السكين أن اتياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من اغراهه ، وليت شعري لو اعتم عمر رضى الله عنه بتصدى أبى بكر رضى الله تعالى عنه للإمامة أ كان عمر محموداً ومذموماً ولا يسترب فؤدون أن لو كان ذلك لكان مذموماً لأن اتياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصح منه أعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من التواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر ، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بفرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة التياد في الوعد بأشكال ذلك قبل زوال الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يبق بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغالها بامتناعها ، ففرقة حقيقة الإخلاص والعمل به غير عميق يفرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد القدر وهو للستنى في قوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - فليكن العبد شديد التقدير للرافة لهذه الدقائق وإلالتحق بأتباع الشياطين وهو لا يشمر.

(بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص)

قال الوسى : الإخلاص فقد رؤية الإخلاص ، فان من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الاضافات إلى الإخلاص والنظر إليه بحب ؛ وهو من جملة الآفات . والخالص : ماضيا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محيطه بالفرض وفي معناه قول إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أى شئ أشد على النفس ، قال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال روم : الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجالا وعاجلا والمابد لأجل تنم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة أن لا يرد بالعمل لإجابه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق . فاما من يعدل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مختص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة ولا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لدى الأبواب وجه الله تعالى فقط ، وهو القابل لا يتحرك الإنسان الحظ والبرائة من الحظوظ صفه الالهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتشكفير من يدعى البرائة من الحظوظ وقال هذا من صفات

إذا قيل لك تخاف الله
اسكت فانك ان قلت لا
كفرت وان قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من يخاف .
[قوله في الرجاء] قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقول الله
عز وجل أخر جوامين
النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل
من إيمان ثم يقول
وسزى وجسلاى
لأجعل من آمن بى
من ساعة من ليل
أو نهار كمن لا يؤمن

بى . قيل « جاء أعرابى
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من بى
حساب الخلق ؟ قال
الله تبارك وتعالى قال
هو بنفسه ؟ قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظاً ، وهو الشبوات الموصوفة في الجنة فقط . فأما التذلل بمجرد المعرفة والساجدة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء . وهذا لا يبعد الناس حظاً بل يتنجسون منه . وهؤلاء لو عوضوا عما هم من لذة الطاعة والتساجدة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحققوه ولم يلتفتوا إليه غير أنهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معدوم فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الاخلاص نسيان الحق بدوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في السمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكبه فإنه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما ستر عن الخلاق وصفاً عن الملاقى وهذا أجمع للقاصد . وقال المحاسب : الاخلاص هو إخراج الحق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الحواسب : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص البوذية . وقال الحواريون ليس على السلام : ما الخالص من الأعمال فقال الذي يصل لله تعالى لا يجب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضاً تمرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجنيدي : الاخلاص تصفية العمل من السكودرات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعاينك الله منها . وقيل : الاخلاص دوام الرقابة ونسيان المحفوظ كلها وهذا هو البيان الكامل وأناقول في هذا كثيرة . وللاقامة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الثاني يان سيد الأولين والآخريين صلى الله عليه وسلم «إذ سئل عن الاخلاص قال : أن تقول رب الله ثم تستقيم كما أمرت (١)» أي لاتعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا إربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقاً .

(بيان درجات الشوائب والآفات للسكدة للاخلاص)

اعلم أن الآفات الشوشة للاخلاص بعضها جلى وبعضها خفى وبعضها ضئيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الحفاء ولا يفيهم اختلاف درجاتها في الحفاء والجلاء إلا بالمتال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلذلك منه مثالا . فقول : الشيطان يدخل الآفة على اللص منهم من خلاصاً في صلاته ثم نظر إليه جماعة أودخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يفتاك فيخضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبدئين من الرديين . الدرجة الثانية يكون للربيد دفعهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فإنيته في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك ومناضله يؤثر عنك وتتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت عليك الوزر إن أسأت فأحسن حملك بين يديه ففساد بقدي بك في الحشوع وتحسين العبادة وهذا أغصم من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضاً

تجسم الأعرى قال
التي سئل الله عليه
وسلم م ضحككت
بأعراي ؟ فقال
إن السكبر إذا قدر
عفا وإذا حاسب
سامع . وقال شاه
الكرمانى : علامة
الرجاء حسن الطاعة .
وقيل : الرجاء رؤية
الجلال بين الجلال .
وقيل : قرب القلب
من ملاطفة الرب .
قال أبو على الروذمارى :
الحشوف والرجاء
يكنساى الطائر إذا
استويا استوى الطائر
وتم في طيرانه . قال
أبو عبد الله بن خفيف :
الرجاء ارتياح القلوب
لرؤية كرم الرجو .
قال مطرف : لو

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : رب الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا الفاظ ولترمذني وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعصم به قال قل رب الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أبداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم .

عين الرياء وبطل للاخلاص فانه إن كان يرى الحشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لتغير تركه فلم يرض نفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس بل القديس به هو الذي استقام في نفسه واستدار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما غذا فحس النفاق والتلبس فمن اقتدى به أتى عليه . وأما هو فيطالب بتلبس مو ساقب على إظهاره من نفسه مائس متصفا به . الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب البعد نفسه في ذلك ويثبت له كيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة وللشاهدة لتغير عرض الرياء . ويعلم أن الاخلاص في أن تكون

صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخضع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في اللأ ويصلي في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء التامس لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتفات في الخلوة وللأ إلى الخلق بل الاخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكانت نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة اللرايين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلته في الخلوة للاوهيات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الحلا والملاجيما وهذا من شخص

مشغول الملم بالخلق في اللأ والخلأ جميعا وهذا من للكايده الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلته فيميز الشيطان عن أن يقول له اخضع لأجلهم فانه قد عرف أنه تغفل لذلك فيقول له الشيطان عسكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيضرب بذلك قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين السكر والحداج فان خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الخطرة

تلازمه في الخلوة ولكن لا تخضع حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الأفتان أن يكون هذا الحاضر مما يأله في الخلوة كما يأله في اللأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة سببا لما دالم يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالترك الخفي من الرياء ، وهذا الترك أخفى في قلب ابن آدم من ديب التهمة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من

دق نظره وسعد بصحة الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشرعن بلادة الله تعالى لا يشمل عنهم لحظة حتى يحلمهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين ونفس الشارع وطيب يوم الجمعة وليس الثياب فان هذه سنن في أوقات خصوصية والنفس فيها حط حتى لا يتأبط نظر الخلق بها ولا ستئاس الطبع بها فبدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنن لا ينبغي أن تركها

وتكون اثبات القلب لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس يغاثر بل من يتكف في مسجد مملوء من تليف حسن العمارة بأنس إليه الطبع فالشيطان يرغب فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة السجد واستراحة الطبع إليه ويثبت ذلك في ماله إلى أحد

البدعيين أو أحد للوضعين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك أمرج بشوايب الطبع وكدورات

(١) حديث الترك أخفى في قلب ابن آدم من ديب التهمة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة

تقدم في العلم وفي دم الجاه والرياء .

وزن خوف اللؤمن
ورجاؤه لا اعتدلا .
والخوف والرجاء
للإيمان كالجنابيين
ولا يكون خافا إلا
وهو راجع ولا راجيا
إلا وهو خائف لأن
موجب الخوف الإيمان
والبإيمان رجاء
وموجب الرجاء الإيمان
ومن الإيمان خوف
ولهذا للمنى روى
عن لقمان أنه قال
لا يه خف الله تعالى
خوفا لا تأمن فيه
مكره وارجاه أشد من
خوفك ، قال فكيف
أستطيع ذلك وإني
في قلب واحد ؟ قال
أما علمت أن اللؤمن
لقدو قلبين يخاف
بأحدهما ويرجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمرى النفس الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فيها مايلب ومنها مايقبل لكن يسهل فذلك ومنها مايدق بحيث لايدرك إلا النافذ البصير وغشى الغلاب ودخل الشيطان وخبت النفس أغشى من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركشان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى غلص عنها فان الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حرية الدينار للموهم واستدارته وهو مشغول زائف في نفسه وتوهم من الخالص الذى يرتضيه النافذ البصير خير من دينار يرتضيه الدر الثقي فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومدخل الآفات التطرفة إلى فزون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فليقتنع بما ذكرناه مثالا والقطن يغنيه القليل عن الكثير والبيد لا يغنيه التطويل أيضا فلا غادة في التفصيل .

(بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس قد اخلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذى لم يرد به إلا الرياء فهو عليه طعام وهو سبب للقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في الشوب وظاهر الأخبار يدل على أنه لا ثواب له (١) وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذى يتقنع لما فيه والعالم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الدينى مساويا للباعث النفسى تناووا وتساوا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومضى للعقاب ثم العقاب الذى فيه أخفى من عقاب العمل الذى تجرد للرياء ولم يمزج به شائبة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر مااضل من قوة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها - فلا يذنب أن يضيق قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الظعان عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيده صفاتها فغداية الرياء من الهلكات وإنما غداها هذا الهلك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من اللجبات وإنما قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفةتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تناووا فكان كالمتضرع بالحرارة إذا تناول مايفرجه ثم تناول من البردات مايقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يغل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التى يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الأخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل ينتضى الجهاد في سبيل الله وهو ينتضى عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنساء من حديث أبي أمامة بإسناد حسن أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله فقال لا شيء له فأعاده ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه وللمترضى وقال غريب وابن جبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال له أجزان أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم في فم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأنهما

من حكم الإيمان .

[قوله في التوكل]

قال السرى : التوكل

الانخروج من الحول

والثقة . وقال الجليل

التوكل أنه سيكون لله

كما لم تكن فيكون الله

لك كما لم يزل . وقال

سهل : كل المقامات

لها وجه وفقا غير

التوكل فانه وجه بلافا

قال بعضهم يريد توكل

الناية لا توكل الكفاية

والله تعالى جعل التوكل

مقرونا بالإيمان فقال

- وعلى الله فتوكلا وإن

كنتم مؤمنين - وقال

- وعلى الله فتوكل

المؤمنون - وقال لبيه

- وتوكل على الحى

الذى لا يموت - ودل

من الطعام والشراب والأدوية ولا يملك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده موافق تفرير من الله أو إبعاده فإدباجه بالبر مع شرا مع ما يبعد شرا قد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عيلو وإن كان الفصل مما يفرع بشيرين والآخر يبعد شرا واحدا فضل له لا محالة شي وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الزيادة المحض بمحوه الإخلاص المحض فغلبه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة وشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة ونحو تجارتها غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما اشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان المحط هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب . وما عدى أن الفزاة لا يدركون في أنفسهم غفرة بين غزو الكفار في جهة نذكر فيها التنازع وبين جهة لا غنية فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحيط بالسكينة ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان البائن الأصلي والزعم القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإتمام الغيبة في التسمية على سبيل التبعة فلا يحيط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى التبعة أصلا فان هذا الالتفات قصان لا محالة . فان قلت فآلات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحيط للثواب وفي معناه شوب طلب التبعة والتجارة وسائر المحظوظات قد دروي طاموس وغيره من الثابتين «أن رجلا سأله النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع اللروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فلم يدري ما يقول له حتى نزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - » (٢) وقد قصد الأجر والمجد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن أشرك في عمله خذ أجره من عمل» (٤) وروى عن عباد له (٥) «أن الله عز وجل يقول أنا أغني الأغنياء عن الشرك» (٦) من عمل في شركه في عمله خذ أجره من عمل» (٧) وروى عن أبي موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٨) وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد وله أن يكون قديما دفن راحته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٩) فنقول هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقول من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عتيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

- (١) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاموس وعده من التابعين أن رجلا سأله النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع اللروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فتركت - فمن كان يرجوا لقاء ربه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاموس مرسل وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ أدنى الرياء شرك الطبراني والحاكم وتقدم فيه (٤) حديث أبي هريرة يقال لمن أشرك في عمله خذ أجره من عمل له تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه من غيري تركه وشركه وفي رواية مالك في اللوطا فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تقدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له تقدم في الباب الذي قبله.

ذواته: التوكل ترك تدبير النفس والافتخار من الحول والقوة . وقال أبو بكر الرقاق : التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد . وقال أبو بكر الواسطي : أصل التوكل صدق الفاقدة والافتقار وأن لا يشارك التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره . وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفن فيه وينس الدنيا وأهلها لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله . وقال سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشرك حيث ورد فطلق للتساوي وقد بينا أنه إذا تساوى التصديق تقاوما لم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشرك أبدا في خطر فانه لا يدري أى الأسمين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالواقف ذلك تعالى... فن كان يرجوا قاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا... أى لا يرجى النعام الشركائى أحسن أحواله التناقص ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا يزال إلا بالاخلاص في الغزو وبيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزهجه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنيمته وقدر على غزوها فحينئذ من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة قال إلى جهة الأغنياء لا إله إلا الله والغبية لا ثواب له على غزوه ألبتة ونموذ بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لئاس على المسلمين لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على التدور فيكون تأثير هذا في ضمان الثواب قائما أن يكون في إحباطه فلاء ثم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سر الخط النفس وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون في عبادته أفتكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذى بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لأعتد بما ظهر من عملي وقال عبدالعزیز بن أبى رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحجبت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولاهى ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ القصد أن لا يغوى الاخلاص ومما تترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يحذر بأبسط الحذر ويحفظ في أعماله فكلم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد اخلاص الحركات فأخذ الفقير يفتقه فدهقه عند كل حركة وبطال به بالاخلاص فتمزق عليه قضاء الحوائج واستنصر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بطلانته نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يميز عنها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تفعل إذ الاخلاص لا يقطع العامة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فالتفت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلس العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفضله لأجل الخلق شرك.

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم وإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (١) ويكفى في فضيلة الصدق أن الصديق مشفق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في مرضي اللح والثناء فقال - واذكري الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً - وقال - واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا - وقال تعالى - واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياة وحسن الخلق والشكر - وقال جرير بن الحر شمن عدل الله بالصدق

(الباب الثالث في الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم.

حكيت بين يدي
الفاصل بقلبه كيف أراد
ولا يكون له حركة
ولاندير وقال حمدون
القصار : التوكل هو
الاعتصام بالله . وقال
سهل أيضا : التوكل مهاب
من التبدد والتصدد
باب من الورع والورع
كله باب من الزهد
والزهد كله باب من
التسوكل . وقال :
التقوى واليقين مثل
كفى الوزن والتوكل
لسانه به تعرف الزيادة
والنقصان ويقع لي أن
التوكل على قدر العسر
بلوكيل فكل من كان
أتم معرفة كان أتم
توكلا ومن كل توكله
غلب في رؤية الوكيل
عن رؤية توكله ثم إن

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرضائي رأيت منصوراً الدينوري في المنام قلت له ما فعل الله بك قال غفري ورحمني وأعطاني ما لم أؤمل قلت له أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا قال الصدق وأصبح ما توجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجل الصدق مطيعك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبك . وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقاً فقال له لو كنت صادقاً لفرفت الصادقين وعن محمد بن علي السكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبني على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على القول . وقال الثوري في قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا بحجة الله تعالى وليكونوا بائدين وأوصى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدراؤك من صدقي في سريره صدقته عند المخوفين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي إن كان صادقاً فله تعالى نجيجه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذباً فله تعالى يفرقه كما أفرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والصلحاء على ثلاث خصال أنها إذا صحت فيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب الطعم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويترددون بها . لا أكثر أنفع من العلم ولا مال أرفع من العلم ولا حسب أرفع من التقوى ولا أكرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفسك وأحسن أطن من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الغرور ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا قرأ أدل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من الفقة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من التوكل ولا حارس أخف من الصمت ولا غائب أقرب من اللوث . وقال محمد بن سعيد الروزي إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة يدك حتى تبصر كل شيء من محابب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لدى النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ قال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ماله سبيل

فدعواوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا تفيل

وقيل لسبل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة قبل زلزال ذلك التي والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال قال : قول الحق والعمل بالصدق» (١) وعن الجنيد في قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم- قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراقبته)

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في البنية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن انصف بالصدق في جميع ذلك فهو صادق لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضاً على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقة . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو في تضمين الإخبار وبينه عليه والحجب إيماناً يتعلق بالماضي أو بالمستقبل

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ .

قوة للفرقة بصدق صرف العلم بالعدل في القسمة وإن الأقسام نصبت بأزاء للقسوم لم يعدلوا وموازنة فإن النظر إلى غير الله لوجود الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء يفتح في توكله يراه من منبع النفس فتفقد التوكل يظهر بظهور النفس وكما ثبتت للنفس وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وإنما تسلمهم في تشييب النفس بتقوية مواد القلب فإذا غابت النفس انحسرت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر إليه وكما تحرك من

وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبيد أن يحفظ أفاظه فلا يشكهم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما عاين عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان : أحدهما الاحتراز عن الما رضى فصدق بل العا رضى من مدو حة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ الحذور من الكذب تنهمم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما عاين إليه الحاجة وتنقيته للصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذور عن الظلة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار تلك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه أنه قايأمره الحق به بغيره الذي فاذ نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لقاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الوضع ينبغي أن يعدل إلى الما رضى ما وجد إليه سبيلا ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورى بغيره ^(١) وذلك كي لا ينهى الحجر إلى الأعداء فيقتصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصليح بين اثنين فقال خيرا أو نحي خيرا ^(٢) » ورخص في النطق على ورق للصلحة في ثلاثة مواضع من أصليح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول إلى التية فلا يراعى فيه إلا الصدق التية وإرادة الحجر فهما صح قصده وصدقت نيته ونجرت الحجر لإرادته صار صادقا وصدقيا كيما كان لفظه من التعريض فيه أولى وطريقه ما حكى عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلة وهو في داره فقال لزوجته خطي بأصبعك دارتوضي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأنهم الظالم أنه ليس في الدار فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن الما رضى أيضا لا عند الضرورة والكمال الثاني أن يراعى معنى الصدق في أفاظه التي ينبغي بها ربه كقولته - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأماني الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقولته - إياك نعبد وإياك نستعين - فإننا نعبد الله فإنه إذا تصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولوطولاب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا الدنيا أو عبدا لشهوته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تعبد العبد فهو عبده له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدنيا الحق له عز وجل من أعنت أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرة صار القلب فارغا خلعت فيه العبودية فف تشغله بالله وبعبته وتقيده بطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعنى أيضا عن إرادته في من حيث هو بل يقع بمجاوبه الله له من تقرب أو إبعاد فتفى إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عابد عتق عن غيره فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحرك وإن سكنه سكن وإن اتلاه رضى لم يبق فيه منسحق لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كاليت بين يدي الفاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية

النفس بقية برد على ضميرهم سر قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء - فيتلب وجود الحق الأعيان والأركان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقصد في توكل مثل هذا التوكل ما يقصد في توكل الضمفاء في التوكل من وجود الأسباب والوسائط لأنه يرى الأسباب مواتا لا حياة لها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة . [قوله في الرضا] قال الحرث الرضا سكنون

(١) حديث كان إذا أراد سفرا ورمى بغيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حديث ليس بكاذب من أصليح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث تعس عبد الدينار الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

لله تعالى فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لانه وهذه درجة الصديقين . وأما الخيرية عن غير الله
 فدرجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يتحقق صاحبه أن يسمى صادقا
 ولا صديقا . فهذا هو معنى الصدق في القول . الصدق الثاني: في النية والأرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص
 وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والكلمات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس
 بطل صدق النية وصاحبه يحور أن يسمى كاذبا كبروتيا في فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين
 يمثل العالم ما عملت بما علفت ؟ فقال فمات كذا وكذا ، فقال الله تعالى كذبت بل أروت أن يقال
 فلان عام (١) فإنه لم يكذب ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته ، وقد قال بعضهم: الصدق
 صحة التوحيد في القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - وقد قالوا إنك
 لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لامن حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب
 ينطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يعتقد ما يقول
 فكذب في دلالة بقرينة الحال إلى ما في قلبه فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فخرج أحد
 معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون نعتا . الصدق الثالث:
 صدق العزم فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن زنى فلما التصدتفت بجميعه
 أو بشره أو إن لقيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية
 جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق
 هنا عبارة عن التمام والوثوق كما يقال لقائل شهوة صادقة ويقال هذا الرض شهوة كاذبة مهما لم
 تكن شهوة عن سبب ثابت قوى أو كانت ضمنية فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق
 والصديق هو الذي تصادف عزمته في الحرات كماها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولتردد بل
 تسخو نفسه أبدا بالعزم الصمم الجازم على الحرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه: لأن أعدم قنبر
 عني أحب إلي من أن أتأمر على قوم فهم أبوكبر رضي الله عنهم وكذلك بما ذكره من القتل ومراتب
 والهبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنهم وكذلك بما ذكره من القتل ومراتب
 الصديقين في الزامات تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلى
 ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن
 يقتل هو أو أبوكبر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق . الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم
 فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم والثبوت فيه خفيفة فإذا تحت الحقائق
 وحصل التحكك وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد
 الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - فقد روي عن أنس «أن
 عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشك ذلك على قلبه وقال أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيب عنه أما والله لئن أراي الله متشهدا مع رسول الله
 جل على عليه وسلم ليرين الله ما صنع قال فتشهد أحدا في العام القابل فاستقبله سبعين معاذ فقال
 يا أبا جهمو إلى أين فقال وما لرب الخبة إني أجد ربيها دون أحد قتال حتى قتل فوجد في جده
 بضع ومائتان مابين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخى إلا بيناته ، فقلت
 هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - (٢) هـ . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب

(١) حديث الثلاثة حين سأل العالم ماذا عملت فيما علفت الحديث تقدم (٢) حديث أنس أن عمه أنس بن

القلب تحت جريان
 الحكم وقال دونون
 الرضا سرور القلب ير
 القضاء . وقال سفيان
 عن رابعة اللهم ارض
 عنا فقالت له أما
 تستحي أن تطلب رضا
 من است عنه براى
 فسلها بعض الحاضرين
 متى يكون الصديقا
 عن الله تعالى فقالت
 إذا كان سروره
 بالمصيبة كسروره
 بالنعمة . وقال سهل إذا
 اتصل الرضا بالرضا
 اتصلت الطمأنينة
 - فطوى لهم وحن
 مآب سوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 «ذاق طعم الإيمان من
 رضى بآفة ربه» وقال
 عليه السلام «إن الله

ابن عمر وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فثم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر - (١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جسد الإيمان لقي العدو» صدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته . قال الراوى : فلا أدري قلنسوة عمر أول قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جسد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه يشوك الطلع أتاه سهم عاث فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عمله بالخال وأخر سبيل لقي العدو» فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (٢) وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس فمؤد قتلان إن رزقنا الله تعالى مالا لتصدقن فبخلوا به فزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لتصدقن ولكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نوءه في أنفسهم لم يشكوا به قبحا ، - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لتصدقن ولكونن من الصالحين فما آتاهم من فضله غلوا به وتولوا وهم مرسومون فأعقهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل الزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخطو بالزم ثم تنكس عن الوفاء لشدة عليها ولهيجان الشهوة عند التحكم وحصول الأسباب فذلك استسقى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم تضرب عنق أحب إلى من أن تأمر لي قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن رسول لي نفسى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لأنى أن يتقل عليها ذلك فتتبرعن عنهما ، أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالزم وقال أبو سعيد الخدري رأيت في المنام كأن سلكين تزلان من السماء فتلا لي ما للصدق قلت الوفاء بالمعهد فقال لي صدقت وعرجا لي السماء الصدق الحامس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا تصف هو به لأن لا يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف لما ذكرناه من ترك الرياء لأن للرائى هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو الباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرافه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمتحن الرجل على هيئة الكون والوفاء وليس باطنه موصوفا بذلك القار فلهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مراثيا لإيham ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلاية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أواخرها من ظاهره ومن خيفة ذلك أخاذا بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن حفاقة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد بحيث رياء ويفوت بها الاخلاص وإن كانت عن غير قصد فيفوت

النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في قتاله بأحد حتى قتل فوجد في جسد بضع ومخاؤون من بين رمية وضربة وطعنة وزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائي في الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر (١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم في الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسل (٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جسد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بحكته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقال الحنبل الرضا هو صحة العلم الواصل إلى التسلوب فإذا باشر القلب حقيقة الملم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمجة كالحوف والرجاء فانها حال لا يغار فان العبد في الدنيا والآخرة لأنه في الجبة لا يستنى عن الرضا والمجة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختاره الأفضل بفرض له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس يقال الرضا من الله من

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل سرى سرى خير من علاني علاني واجعل علاني صالحاً (١) وقال يزيد بن الحرث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا :

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الإعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى السكد والعنا
فما خالص الدينار في السوق نافي ومغشوشه الردود لا يقتضى الثنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به اللاتسكة بقوله هذا عدى حقا . وقال معاوية بن قرة من يدنى على بكاء بالليل باسم بالهار ، وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشئ كان من أشمل الناس به وإذا نهى عن شئ كان من أنكر الناس له ولم أر أصدق قط أشبه سريرة بعلانية منه ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول إلهى عاملت الناس فبايى وبشيم بالأمانة وعاملتكم فبايى وبينكم بالحيانة وبكى ، وقال أبو يعقوب التهرجورى : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهو والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فان هذه الأمور لها باد ينطلق الاسم يظهرها ثم لها غايات وحقائق والصادق الحق من نال حقيقتها وإذا غلب الشئ ونمت حقيقته حتى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى - يا أيها المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقبله سألتك عن الإيمان فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية (٢) ولنضرب للتحوف مثلا لما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أى غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصغر لونه وترمد فرسه ويتنفس عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد يزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والشقة والترسب للاخطار كل ذلك خوفا من ذلك المندور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند حيران مصيبة عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لم أر مثل النار نامها ربا ولا مثل الجنة نامها طالبا (٣) فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه اللقائات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبيدته حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوى فإذا قوى حتى صادقا فيه فمرة قال الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لانهابها لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : أحب أن أراك في سورتي التي هي صورتك فقال لا تنطق ذلك قال بل أرى فواعده اليقبح في لية مقمرة فأعانه فظهر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق يضي جوانب السماء فوقع النبي ﷺ منشبا عليه فأفاق وقد عاد

(١) حديث اللهم اجعل سرى سرى خير من علاني علاني تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سألته عن الإيمان فقرأ قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - رواه محمد بن نصر للروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجده إسناده .
(٣) حديث لم أر مثل النار نامها ربا الحديث تقدم .

جبريل صورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرائيل إن العرش لعل كاهله وإن رجليه قد مرقنا تحت غيوم الأرض السفلى وإنه ليضاعف من عظمة الله حتى يصير كالوصع (١) بني كالصنوبر الصغير، فانظر ما الذي يشاهم في العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر اللاتسكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذه الصدق في التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت لية أسرى بي وجبريل بالأمم الأئمة كالجلس البالي من خشية الله تعالى (٢) بني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يلبثوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنتظر الناس كلهم حتى في دين الله . وقال مطرف مامن الناس أحد إلا وهو أحقق قيا بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير (٣) فالصادق إذن في جميع هذه اللغات عزيز ثم درجات الصدق لانتهايتها وقد يكون للصدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن أقوى وفيها سواهن ضئيف ما صليت صلاة منذ أسلت خدعت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة خدعت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لما حتى يفرغ من دقاها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علنت أنه حق فقال ابن السكيت ما ظننت أن هذه الحاصل تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكم قوم من جهة الصحابة قد أدوا الصلوات وأتوا الجنازات ولم يلبثوا هذا البالغ فيه هي درجات الصدق ومعناه والكلمات للأئمة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لأحد هذه اللغات نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لامة للأئمة قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم تختار عليك غيرك فقال تعالى - هو أجباكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا ابتليته بيلا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوعا بشكوكي إلى خلق خذلته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان الصواب والطاعات جيما وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والإخلاص ، يتلوه كتاب الرقابة والحاسبة والحمد لله .

يقطعه عن الله . وقيل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسهم أحب إلى من الصلحة قال رحمه الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من استكمل على حسن اختيار الله له لم يمتن أنه في غير الحالة التي اختار الله له وقال على رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينلهم الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤل لم يرض عن الله في كل حال . وقال يحيى رجع الأمركه إلى هذين الأصلين فضل منه بك وفضل

- (١) حديث قال لجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك قال لا تطيق ذلك الحديث تقدم في كتاب الرجاء والخوف أنصر من هذا الذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين
- (٢) حديث مرت لية أسرى بي وجبريل بالأمم الأئمة كالجلس البالي من خشية الله الحديث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد الإلهي ضمنه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجده له أصلا في حديث مرفوع .

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت على كل جارية عابثت جرت الطلع على ضائر القلوب
إذا هجست الحبيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يزب عن عله مثقال ذرة في السموات
والأرض تحركت أو سكنت المحاسب على التقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت
التفضل بقبول طاعات العباد وإن سمرت التطول بالغو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما بحاسمهم
لنعمل كل نفس ما أحضرت وتنتظر فما قدمت وأخرت فتعلم أنه لو لا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا
لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبسد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لو لا فضله بقبول بضاعتها للرجاء
لحابت وخسرت فسبحان من تمت نعمته كافة العباد وفعلت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا
والآخرة ونحمرت بشفاعت فضله اتسمت القلوب للإيمان وانشرحت وبينن توفيقه تقيدت الجوارح
بالبادات وتآذيت وبحسن هدايته أجملت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وتأييده ونصرته
انقطعت مكابد الشيطان واندفعت وباطلقت عنانيه ترجع كفة الحسنات إذا قهلت وبتييسره
تيسرت من الطاعات ما تيسرت منه العطاء والجزاء والاباء والأدنام والاسعاد والاشقاء والمصلاة
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأنبياء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال
حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا معاملا
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقال تعالى - يوم يعضهم الله جميعا فليبينهم بما عملوا أخساء أفئسو
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يرمس وقال تعالى - ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -
وقال تعالى - يومئذ يحمد كل نفس ما عملت من خير محمدا وما عملت من سوء تود أن ينهوا عنه أمدا بعيدا
ومحذرا لله نفسه - وقال تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - فصرف أرباب البصائر من
جثة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بتأجيل الدر من الحطرات
واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا التوهم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس
في الأغصان والحركات ومحاسبتها في الحطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفي في القيامة
حسابه وحضر عند السؤال به وحسن من قبله وما يؤمن من محاسب نفسه عادت حسراتها وطالت في عرصات
القيامة وقاته وقادته إلى الخزي والقتل سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله
وقد أمرهم بالصبر والرابعة فقال عز من قائل - يا أيها الذين آمنوا صبروا واصبروا وراوا بطواغيا فبطوا
أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة طمأنينة
مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضلها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل
حساب فيبد مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحصران المعاقبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات والله
التوفيق .

(المقام الأول من الرابطة المشاركة)

اعلم أن مطلب للتاملين في التجارات المشتركة في البضائع عند المحاسبة سلامة المروج وكان التاجر

﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

منك ٤ قرضى بما
عمل وتخلص فباقتل
وقال بعضهم الراضى
من لم يندم على قامت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وقيل ليحيى
ابن عازم بنى يبلغ العبد
إلى مقام الرضا قال إذا
أقام نفسك على أربعة
أصول فما يعمل به يقول
إن أعطيتني قلت
وإن منعتني رضيت
وإن تركتني عذبت
وإن دعوتني أجبت
وقال الشبلى رحمه الله
بين يدي الجنب لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
الجنيد قولك ذا ضيق
صدر فقال صدقت قال
ضيق الصدر ترك
الرضا بالقضاء وهذا
إنما قاله الجنيد رحمه

يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما
مطلبه وورجه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أفلح من زكاهها وقد خاب من
دساها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرها
فيا زكيا كما يستعين التاجر بشريكه وعلامة الذي يتجر في ماله وكأن الشريك يصير خبا منازعا
يحاذيه في الربح يحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويقاوه أو يبايعه رابعا فكل
العقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويحيط عليها الشروط ويرشد إلى
طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر يسلك تلك الطرق ثم لا ينفصل عن مراقبتها لحظتها، ولو أهملها لم يربح
إلا الخسارة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو واندر بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن
يحاسبها ويطلبها بالوفاء بمشارطة عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى ويبلغ سدره للنتهى
مع الأنياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنياء أمها
معتقرة بالإضافة إلى نعم العفي ثم كيفما كانت قصيرها إلى الصبر والاعتناء ولا خيرا في خبر لا يدوم بل
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا اشطع بقى الفرح باقظاعه دائما ووافى
الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد اقضى الخير ولقد قيل :

أشد أتم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقلا
عظم على كل ذى حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يخل من محاسبة نفسه والتدقيق عليها في حرركاتها
وسكناتها وخطراتها وحظواتها فان كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نسيمة لا عوض لها يمكن أن
يشتري بها كبر من الكنوز لا ينتهى نسيمة أبد الآباد فاهتمام هذه الأنفاس ضامتها ومصروفها إلى
ما يجب الملاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم بضاعة إلى الشريك
العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة لإلا العمر ومهما فنى فقد فنى رأس المال
ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهأى الله فيه وأنسى أبلى وأتم على
به ولو توفانى لكنت أمتى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحس أنك قد توفيت
ثم قد رددت فأياك ثم إياك أن تضيق هذا اليوم فان كل نفس من الأنفاس جوهرة لا تقمطها واعلى بالنفس
أن اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر "أنه ينشر للعبد بكل يوم ويلة أربع
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيثاب من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار المألوف
على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة
فروح تلتهم ويشتاء ظلاما وهى الساعة التي عصى الله فيها فيثاب من المحول والفرح ما لو تمسك على أهل
الجنة لتنص عليهم نعمها وتتبع له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسرهم ولا ما يسوءهم (١) وهى الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل شئ من مباحات الدنيا فيتنصر على خلوها وبثابه من غيب ذلك ما ينال
القادر على الربح الكثير والمالك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاتته وتاهيك به حسرة وغينا
وهكذا تعرض عليه خزائن ثوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم في أن تمرى خزانتك ولا تدعيها
فارغة عن كدورك التي هى أسباب ماسكك ولا تميل إلى الكسل والدعة والاستراحة فيقول تلك من

الله تنبها منه على
أصل الرضا وذلك أن
الرضا يحصل بالترشح
القلب واتساحه
وانتراح القلب من
نور اليقين بالله تعالى
- أفن شريح الله مدره
للإسلام فهو على نور
من ربه - فإذا تمكن
النور من الإطن اتسع
الصدر وانفتحت عين
البصيرة وعان حسن
تدبير الله تعالى فيترشح
الخط والضرر لأن
اتساع الصدر يتضمن
حلاوة الحب وفعل
المحبوب بموقع الرضا
عن الحب الصادق لأن
المحب يرى أن الفعل
من المحبوب مراده
واختباره فيبقى للذة
رؤية اختيار المحبوب

درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لانفارتك وإن دخلت الجنة قائم العين وحسنة لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن السوء قد عني عنه أليس قد فاعلتها بـ
المحسنين أشار به إلى العين والحسنة وقال الله تعالى - يوم يحكمك يوم الجمع ذلك يوم التفاضل -
فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان
والبطن والفرج واليد والرجل وتسلمها إليها قائمًا رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم
أعمال هذه التجارة وإن لجئهم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تعين تلك الأبواب
لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى
وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم يعين الاحتراز عن كل فضول مستغنى
عنه قال الله تعالى بسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن
هذا لم تنفع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها ويرحمها وهو ما خلقت له من النظر إلى محائب صنع الله
يعين الاعتبار والظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وصلة رسوله ومطالعة كتب
الحكمة للاعتناء والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأذن عليها في عضو عضولها لسانها واللسان والبطن
أما اللسان فلا نفع منطاق الطابع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنابه عظيمة بالنية والكذب والخيلة
وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة والأمن والدعاء على الأعداء والمباراة في الكلام وغير ذلك
كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو يصد ذلك كله مع أنه خلق للذكروا الذكور تكرار العلم
والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراتة فليشترط على نفسه أن
لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الذكر فخلق المؤمن ذكر ونظرة عبرة وصمته فحكمة وسماحة يحفظ
من قول إلا لله ربّي عبداً - وأما البطن فيكفنه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب
الشبهات وبغية من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً
من ذلك عاقبها بالنس عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشترط عليها في
جميع الأعضاء واستقصاء ذلك بطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصية في وظائف
الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها
ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسيابها وهذه شروط يفترق إليها في كل يوم
ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أليماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن
الشارطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد للشارطة فيها بقي ولكن لا يخلو كل يوم
عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشغل بشيء
من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن
يقضي حق الله فيها فليأمن أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ومخدوها
مفبة الأفعال ويعظمها كما يوعظ المبد الآق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستمعية
عن البهوية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الذي تنفع المؤمنين - فهذا
وما يجري مجراه هو أول مقام المرافطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارتكون بعد
العمل وتارة قبله للتجذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وهذا الاستنبط
وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة نقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيها بين يدي العبد
في تهاره ليبرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم
في سبيل الله فنبهوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

عن اختيار نفسه كما
قيل :

وكل ما يغفل المحبوب
محسوب .

[الباب الحادى

والسنتون في ذكر

الأحوال وشرحها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو العجب

السهروردى رحمه الله

قال أنا أبو طالب الترنى

قال أخبرتنا كريمة

السروية قالت أنا

أبو الهيثم الكشميرى

قال أنا أبو عبد الله

السرورى قال أنا

أبو عبد الله البخارى

قال تاسلمان بن حرب

قال حدثنا شعبة عن

قائدة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال ثلاث من

- ولقد خلقنا الانسان ونطم ماتوسوس به نفسه - ذكر ذلك تحذيرا وتنبها الاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه وبسطه وإذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدًا فأمتضه وإن كان غيا فانتبه عنه (١) . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبًا للهوى فلا تحمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال- لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونعمى على الله (٢) . دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله - أننا لمدينون - أي لمحاسيون . وقال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وزنوا قبل أن توزنوا وتبشوا للعرض الأكبر ، وكنت إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تمجدنا في كتاب الله قال ويل لذيان الأرض من ديان السماء ففلا بد بالردة وقال لإمن حاسب نفسه فقال كعب بأمر الله : بين إلهي جنبا في الثوراة ما بينهما حرف لإمن حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة لله - تعالى - إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها . [للرابطة الثانية الرابطة] إذا أوصى الانسان نفسه ودرط عليها مذكراته فلا يلقى إلا للرابطة لها عند الحوض في الأعمال وملاحظتها بالعين السكاكة فانها إن تركت طفت وفست . ولتذكر فضيلة الرابطة ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه » (٣) وقال عليه السلام « عابد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » (٤) وقد قال تعالى - أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت - وقال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وقال الله تعالى - إن الله كان عليكم رقيبا - وقال تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قاتنون - . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن نفسه فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عثمان اللرخي : أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرابطة وسياسة عمله بالعلم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق في دوام الأوقات . وقال الحريري : أمرنا هذا مبنى على أصلين أن تلزم نفسك الرقية لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عبيان : قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يفرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكى أنه كان لبعض الشايعين هذه الطائفة تليذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرمهم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فعدا بمنة طيور وتناول كل واحد منهم طائرا وسكبنا وقال ليذبح كل واحد منكم طائرا . في موضع لابراهيم أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فزج كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حتى في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا ليراني فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الرابطة وقالوا حق لك أن تكرم .

كن فيه وجد حلاوة
الاجمان : من كان الله
ورسوله أحب إليه مما
سواها ومن أحب عبدا
لاجبه لإله ومن بكره
أن يمد في الكفر بعد
إذ أهداه الله منه كا
يكره أن يلقى في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهر بن
أبي الفضل قال أنا
أبو بكر بن خلف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو عمر بن حيوة
قال حدثني أبو عبيد بن
مؤمل عن أبيه قال
حدثني بشير بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهب عن إبراهيم
ابن أبي عتبة عن
الغرياب بن سارية
قال « كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا تدبر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث عابد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خات يوسف عليه السلام قامت فغطت وجهه عنم كان لها قال يوسف ماله
أستعين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه
راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي قال نعم أستحي ؟ وما برأنا إلا السكوا كب قالت فأين
مكوكها . وقال رجل للجنيد هم أستعين على غرض البصر فقال بلك أن نظرك الناظر إليك أسبق
من نظرك إلى المنظور إليه . وقال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه
عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد
الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي
ذكروا عظمى فراقبوني والذين اشتت أصلاهم من خشيق وعزى وجلالى إلى لألم بسذاب أهل
الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والمطعم من مخافى صرفت عنهم المذاب . وسئل المحاسنى عن
المراقبة قال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال للرمضى : المراقبة مراعاة السر بملاحظة القلب
مع كل لحظة ولقطة . وروى أن الله تعالى قال للملكة أتمموا كونكم بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن .
وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تنيب عن نظره إليك واجعل شكره لمن لا تنقطع
نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .
وقال سهل : لم يترق القلب بجنى أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان .
وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - قال معناه
ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لماده . وسئل ذو النون بم نال العبد الجنة ؟ فقال
بخمس استقامة ليس فيها روغان واجباد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السرو والملايغ وانتظار
اللوت بالأتاهب له ومجانبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن مخفيه عنه يغيث
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا لناظر من قريب

وقال حميد الطويل لسبلان بن على عظمى فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك
لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثوري : عليك
المراقبة بمن لا تخفى عليه خافية وعلبك بالرجاء بمن يملك الوفاء وعلبك بالخدر بمن يملك العقوبة .
وقال فرقد السجسي : إن للنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس
ولا يراقب الله تعالى . وقال عباد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة
فمرسنا في بعض الطريق فأنحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بنى شاة من هذه الغنم فقال
إني مملوك فقال قل سيدك أكلها القتب قال فأين قال الله قال وبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى الملوكة
فاشتره من مولاه وأعتقه وقال أعتبتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك في الآخرة .

(بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور
بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا وبراعى جانبه ويعنى بهذه المراقبة حالة القلب يشعر بها نوع من
المرقة وتثمر تلك الحالة أفعالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشغاله به
والفتاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأمانه معرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على
الصائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه
مكتوف كما أن ظاهر البشيرة لا خلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المرقة إذا صارت بقينا

صل الله عليه وسلم
يدعو اللهم اجعل
جك أحب إلى من
نفسى وصمى وبصرى
وأعشى ومالى ومن
لله الباردة فكأن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
خالص الحب وخالص
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكنيته وذلك
أن العبد قد يكون في
حال قائما بشروط
حاله بحكم العلم والجلية
تفاداه بصد العلم مثل
أن يكون راضيا
والجلية قد تصكره
ويكون النظر إلى
الاتحاد بالعلم إلى
الاستعصاء بالجلية
قد يجب الله تعالى
ورسوله بحكم الإيمان

أخبر أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لاشك فيه لأضرب على القلب كالمم بالموث فاذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه وللوقوف بهذه المراقبة هم القربون ، وهم ينتمون إلى الصديقين وإلى أصحاب البين ، لراقتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة القريبين من الصديقين ، وهي مراقبة التنظيم والاجلال ، وهو أن يسير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يقابض فيه مقبس للانفتاح إلى التبر أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب . أما الجوارح فانها تتصل عن التفت إلى اللباحث فضلا عن المحطورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمتصلة بها فلا تحتاج إلى تدبير وثبتت في حفظها على سنن السداد ، بل يسد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمحسوسات والجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه ما واحدا فكفاه الله سائر المهوم ، ومن قال هذه الدرجة قد ينفل عن الخلق حتى لا يصير من محضر عنده وهو قانع عينه ولا يصح ما يقال له مع أنه لا يصح به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك ، قال لمن غابته إذا مرتت في طريقه ولا تستبعد هذا فانك تجد نظره هذا في القلوب المظلمة للملوك الأرض حتى إن خدم للكل قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بهم فقير من مهمات الدنيا فيفوس الرجل في الفكر فيه ويمشي فرحيا يجاوز الوضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له . وقد قيل لبيد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ، قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سرعا حتى دخل عتبة العلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة ، فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من قلت في الطريق فقال ما رأيت أحدا . ويروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فذضا فسهطت على وجهها فقيل له لم ضلت هذا ؟ فقال ما ظفنتها إلا جدارا . وحكي عن بعضهم أنه قال مرتت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكله فقال ذكر الله تعالى أشهى فقلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكتي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا تشكك إلا منه ولا يصح إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراعاة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل النبي على أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجد ما كنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه الرقابة والسكون ، فقال من سنور كانت لنا فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجعر لاتحرك لها شعرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي على الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد إن في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال للرابعة ، فلو نظرت إليهما انظري للملك تسفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطى خرقه وليس على كتفي شيء فدخلت للسجد فاذا بإثنين قاعدن مستقبلتي التبتة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . فقلت : تشدك بالله إلا ردتما علي السلام فرقع الشاب رأسه من مرتعته فنظر إلى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير . يا ابن خفيف : ما أقل شغلنا حتى تنزغ في لقائنا . قال فأخذ بكلمي ثم طأطأ رأسه في السكبان فبقت عندهما حتى صلبنا الظهور والعصر

وجب الأهل والولد
بحكم الطبع . وللمعجة
وجوه وبواعث الهيبة
في الانسان متنوعة
فهي عجة الروح
وعجة القلب وعجة
النفس وعجة العقل
فقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الأهل
واللئال والماء البارد
منه استمال عروق
الهيبة بحجة الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى غالبا فيحب الله
تعالى قبله وروحه
وكلته حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
في الطبع أيضا والهيبة
من حب الماء البارد
وهذا يكون جيا
صافيا لحواصي تنفس

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عطشى فرفعت رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب الصائب ليس لنا لسان العظة فيقتب عندنا ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تأثم ولا رأيكما أكل شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت في سرى أحلفهما أن يعطاني أمل أن أمتنع بظلمتهما فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكر الله رويته وتمتع بهيته على قلبك يظنك بأمان ضله ولا يظنك بلسان قوله والسلام فم عنا فيه درجة للراغبين الذين غلب على قلوبهم الأجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب اليقين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متمسكة بالتنقل إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يحدسون ولا يحجون إلا بعد التثبت فيه ويتشعرون عن كل ما يمتنعون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا معلما عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تعاطى أعمالا فيحترق صبي أو امرأة فتعلم أنه مطاع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وترضى أموالك لأن الجلال وتحظم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرق فاتها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك ولا تستغرق حتى تترك كل ما أنت فيه خلا به لأحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله في نظر انظر قبل العمل ونظر في العمل . أما قبل العمل فيلنظر أن مظهره وتحرك يظهده خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق ، فإن كان لله تعالى أمضاء ، وإن كان لغير الله استعجاب من الله وانكشف عنه ثم لم نفسه على رغبته فيه وهمة به وبه إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة تحسب إن لم يتداركها الله بصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب عتوم لا يحسب لأحد عنه فان في الخبر « إنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الدواوين الأول لم . والثاني كيف . والثالث لمن ^(١) » ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تنه نولك أوملت إليه بشيئك وهو لك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لولاه سئل عن الدواوين الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان شئ كل عمل شرطاً وحكماً لا يدركه قدره ووقته وصفته لا يعلم فقال له كيف فعلت أبلم محقق أم يجهل وظن فان سلم من هذا تشر الدواوين الثالث وهو اللطالية بالإخلاص فقال له لمن عملت ألوجه الله خالصاً وفاق بوقك لإله الله فيكون أجره على الله أولمراً أخلق مثلك غدا أخرج منه أم عملته لتتال عاجل دنياك قد وفيناك نصيبك من الدنيا ثم عملته بسوء وخفة قد سقط أجره وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيري قد استوجبته مقى وعقابي إذ كنت عبداً تأكل رزقى وترفع بعمق ثم تعمل لغيري أما سمعتي أقول لـ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين تمبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - وعلمك أما سمعتي أقول - لا إله إلا الله الدين الحائس - فاذا عرف العبد أنه يصدده هذه اللطاليات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطلب وأعد له سؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدى ولا يبعد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثاني كيف . والثالث لمن . لم أتف له على أصل .

به وينوره نار الطبع والجليلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة يسكوف الروح وخلوصه إلى مواطن القرب . قال الواسطي في قوله تعالى - يحبه ومحبوته - كما أنه بذاته يحبه كذلك يحون ذاته فالحاء راجعة إلى الذات دون التعوت والصفات . وقال بعضهم الحب شرط أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن حبه في حقيقة فاذا لم يكن حبه في حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامثال الأمر وربما كان حبا من معدن السلم بالألاء

ولا يحرك جننا ولا أئمة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما هذه إن الرجل ليستل عن كحل عينه وعن فته الطين بأصبعه وعن لسه ثوب أخيه (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وثبت فإن كان لله أمضاء . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عندهم فان كان مضي وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد بن أوصاه سلمان « اتق الله عند همك إذا هممت (٢) » وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كعاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الرقابة ولا غفل من هذا إلا عالم للثين وللعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكابد الشيطان فلي لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله وبرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا بد في هذه الرقابة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجهل بما يقدر على التعلل فيه بمنزلة هبات بل طلب العلم فريضة بل كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكابد الشيطان وموانع الضروريات ذلك والجهل لا يعرف فكيف يميز منه فلا يزال الجهل في ثوب والشيطان منه في فرح ومجاعة فنصود بقدر من الجهل والفتنة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران حكم الله تعالى على كل عبدا أن يراقب نفسه عند همه بالقلم وسعيه بالجراحة فيتوقف عن الملم وعن السعي حتى يتكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيحسبه أو هو لهوى النفس فينتبه ويرجز القلب عن التفكير فيه وعن الملم بفن الخطيئة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أورث الرغبة والرغبة تورث الملم والملم يورث جزم القصد والتقصير يورث القتل والقصد يورث البوار والقصد فينبغي أن نحجم مادة الشر من منبه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتيمه وهما أشكل على البعد ذلك وأظلت الواقعة فلم يتكشف له فينفسر في ذلك بنور العلم ويستعين بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن همز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستفي بنور علماء الدين ولغير من العلماء للضالين للتبليغ على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قسدا وحس الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عني طالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبي أولئك قطاع الطريق على عبادي ، فاقطعوا المظلة بحب الدنيا وشدة الشر . والتكالب عليها محبوبة عن نور الله تعالى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستفي بها من استبدرها وأقبل على عدوها وعشق بنفها وميتيها وهي شهوات الدنيا فتلكن همه المرید أولا في أحكام العلم أوفى طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضيف الرغبة فيها لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشهوات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات (٣) » جمع بين الأمرين وهما متلازمان حائلين ليس له عقل ولا زرع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشهوات ولقد قال عليه السلام « من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا (٤) » فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الأدمي به حتى يمدد إلى حموه ويحتم بتقاربه الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد هجرُوا هذه العلوم واشتغلوا

والنماء وهذا الحب يخرج من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العلم الذي يكون لكسب البعد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لبسده واصطفاه إياه وهذا الحب يصكون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس للكسب مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « أحب إلى من الماء البارد » لأنه

(١) حديث قال لهذا إن الرجل ليسأل عن كحل عينه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد بن أوصاه سلمان أن اتق الله عند همك إذا هممت أحمد والحاكم وصحه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشهوات الحديث أبو يونس في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حفص بن عمر المدني ضعفه الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا تقدم .

بالوسط بين الخلق في المحرمات الثلاثة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الإذعان والشواغل عن القلوب لينفخ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت (١)» ولهذا توقف طائفة من الصالحين في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لهوامة مجاريه وكان من وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال «فاذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وبغياً بكل ذي أمر رأيته فليقلبك خاصة نفسك (٢)» وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «ياكم والظن فان الظن أكذب الحديث (٣)» وأراد به الظن بالبرهان لا دليل كما يستغنى بعض العوام قلبه فيها أشكل عليه ويتبع ظنه ولصوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه وأمر استبان غيبه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى الله (٤)» وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم (٥)» فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتثنا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيماً - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لامتورون - وقال تعالى - إن علينا الهدى - وقال - ثم إن علينا بيان - وقال - وحلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه: الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طاردهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصدق من صدق غيبه ولا يمدك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكريم والحياء سبب إلى كل جيل وأوفى العرائض وأوفى سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت بمشواك والرزق رزقان رزق تطليه ورزق يطلبك فان لم تأت به أناك وإن كنت جازعاً على ما أصعب مما في يدك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فأنما الأمور أشباه والره يسره ودرك ما لم يكن ليفوته - ووده فوت ما لم يكن ليسدركه لما ناك من دنياك فلا تسكتن به فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أصفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرمتنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فاذن النظر الأول للتراتب نظره في الهم والحركة أي أنه لم يهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرأى بغيره من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخرة والآخرة أثار الآخرة على الدنيا (٦)» وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون متباحلاً ولكن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً الحديث تقدم (٣) حديث ياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو بصير الدبلي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح
تلتذ بحب الذات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظهر عن
مطالعة الصفات ويطلع
من مطالع الإيمان
قالب هذا الروح ولما
صحت بحبهم هذه أخير
الله تعالى عنهم بخوله
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب بذل محبوبه
ولحوب بحبويه
وينشد :

لعين تغدى ألف عين
وتتق
ويكرم ألف للحبيب
السكر

وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
السنية وموجها وهو
في الأحوال كاتوبة
في القامات فن صحت

لا ينبغي فتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبغي» (١). النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقض حق الله فيه ويحسن الثبة في إتمامه وبكل صورته ويتطاه على أكل ما يملكه وهذا ملازم له في جميع أحواله فانه لا يغفل عن جميع أحواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالتيه وحسن العمل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقدم مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس مستقبل القبلة» (٢) ولا يجلس متربا إذ لا مجالس للولك كذلك ومثل ذلك للولك مطلع عليه قال إبراهيم بن آدم رحم الله جلست مرة متربا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس للولك فلم أجلس بعد ذلك متربا وإن كان ينام فينم على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فرائعته لأدائها وفاء بالمراقبة فاذن لا يغفل العبد لما أن يكون في طاعة أو في مصيبة أو في مباح فراقبته في الطاعة بالاخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحسنها عن الأوقات وإن كان في مصيبة فراقبته بالتوبة والندم والافتقار والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فراقبته بمراعاة الأدب ثم بسجود للنعم في التمتع والشكر عليها ولا يغفل العبد في جملة أحواله عن بيلة لا بد له من الضرب عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينك العبد في كل حال من فرضه تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى وسابق به عبادة الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفي عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة - ومن تعد حدود الله قد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من القراءة وقدر على القضاة فينبغي أن يلمس أفضل الأعمال ليستعمل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مبغون والأرباب تاليمزاي القضاة في ذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى - ولا تنس نصيحتك من الدنيا - وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لاتب فيها على العبد كيفما تهافت في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدري العبد أين يعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راحنة فينبغي أن يجاهد فيها نفسه وراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحصر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيقول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أفضاه فله آخر أفضاه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أفضاه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على مزاوله أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون للؤمن طاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لغة في غير هم» (٣) وما روى عنه أيضا في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يتأجر فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يغلو فيها بالمعظم والشرب» (٤)

نوبته على الكمال تحقيق بسائر القامات من الزهد والرضا والتوكل على ما شرعناه أولا ومن صحت محبته هذه تحق بسائر الأحوال من الفناء البقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجبان لأنها مشتملة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجمد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق الهبة يتشكل فيه ويجمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي تقتبل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبغي تقدم (٢) حديث خير المجالس ما استقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون للؤمن طاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد الحديث أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنه في مصحف موسى وقد تقدم (٤) حديث وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتأجر فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطمع والمترب لا ينبغي أن تخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من المعائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بين البصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية أثاره بتأطوفاً الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباغية عليه وخلق الآلات المسخرة للشيء فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بين الوقت والكرهية ويلاحظون وجه الانشغال إليه ويودموا لوستغفوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيفسخون شهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى القامات وهومن مقامات الممارفين وعلامات المحبين إذ الحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى لله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فحش له أبواب الملكوت وذلك عز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بين الرغبة والحرس فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرم من جلته ويذمّون منه ما لا يوافق هوامهم ويعيبونه ويشدون فاعله فيذمّون الطبيخ والطبايح ولا يمدحون أن الفاعل للطبيخ والطبايح ولقدرته وعلوه هو الله تعالى وأن من ذمّ شيئاً من خلق الله بغير إذن الله فقد ذمّ الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر (١) فهذه الرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيها ذكرنا تنبيه على المأخوذ من أحكام الأصول .

(الرابطة الثالثة : بحماية النفس بعد العمل . ولذكر فضيلة الحاسبة ثم حقيقتها)

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لصدوده وإشارة إلى الحاسبة على ماضي من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر « أنه عليه السلام جاء رجل قال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال إذا همت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غيماً فائته عنه » وفي الخبر وبينى المعامل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظير في العمل بعد الفراغ منه بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة » (٢) وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قديمه بالدرّة إذا جبه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون الأبد من التقيين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة تريبك والشرى كان يتحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضوان الله عليه قال لما عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لما كيف قلت فأعادت عليه ما قال قال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكرامة فقه بها وأبدلها بكلمة غيرها « وحدثني أبي طلحة حين شمله الطائر في صلته تدبر ذلك لحمل حائطه صدقة تعالى ندما ورجاء لا مومض ما فاته » (٣)

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث (أبي هريرة) (٢) حديث (إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة تقدم غير مرة (٣) حديث (أبي طلحة حين شمله الطائر عن صلته لحمل حديقته صدقة تقدم غير مرة .

النصح وعند ذلك لا يتقلب في أطوار القامات لأن القلب في أطوار القامات والترقي من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - ومن قوله تعالى - ويهدي إلى صراط مستقيم - ثبت كون الانابة سبباً للهداية المحبوب صريح بالاجتناب غير معال بالكسب فقال الله تعالى - يحزي إليه من يشاء - فن أخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط أطوار القامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا يوسف قد كان في بيتك وغلمانك ما يكونونك هذا قال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن : للؤمن قوام على نفسه عاسبه أتوا بما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وما شاق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة قال إن المؤمن يقبض الشيء بسببه فيقول والله إنك لتجيبني وإنك من حاجتي ولكن هيات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويضربونه الشيء فيخرج إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعوذ لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخلوا فاطمأنته . يقول ويبي وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ينجح في الله لتتقين الله أو ليعذبك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - قال لا يليق المؤمن إلا بإنياب نفسه ماذا أردت بقلبي ماذا أردت بأفلي ماذا أردت بشري والتاجر يعصى فعملا بإنياب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألت صاحبة كذا ألت صاحبة كذا ثم معها ثم خطمها ثم أزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاناة النفس كالسيافى في موضعه ، وقال يميم بن مهران : التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان قائم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة أكل من محارها وأشرب من أنهارها وأعاقق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدنا وأعالج سلاسلها وأغلها فقلت لنفسي يا نفس ما لي شيء تريدن فقلت أريد أن أورد إلى الدنيا فأعمل صالحا فقلت في الأمانة فاعمل ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بستان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في كبره الله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني ، وحكى صاحب لأخف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيئ إلى الصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوبة الخلق فيغني أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسنها على جميع حرركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يوقعهم فيها ما لو فاتهم لكانت الحيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم ليقينوا إلا بإيما قاتل فكيف لا يحاسب الماقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبدا لا ياداهذه المساهلة إلا عن التفلو والخذل ونقلة التوفيق تعود بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسارة ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وهكره وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكفنه متدارك في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربيح النوافل والفضائل وخسران الهامى وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمانة فيحاسبها على الدرهم أولا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بقوتها وتذبتها ومعانيها ليستوفى منها ما يندرك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يقتضى في حساب الدنيا عن الحيلة والقباط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يفتن في شيء منها فيغني أن يتغنى غيبة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكاررة ليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما نكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه

صفوها وخالصها بأنم وصفها والمقامات لا تقبده ولا تحبسه وهو يقبدها وعبسها بترقيتها وانشراحها صفوها وخالصها لأنه حيث أشرفت عليه أنوار الحب الخاص خلغ ملابس صفات النفس ونسوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية فالزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قوة الاعتماد التوكل عن جهل النفس والرضا يصفيه عن ضرر إن عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جود في النفس ما أشرق عليها فتموس المحبة الخاصة فيبقى ظلها

من الحساب ماستتولاه غيره في صعيد القامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقبائه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكن ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس ووسع عنده قدر آدمي الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه طليعية عليها وليسكب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي القبي على شريكه على قلبه وفي جريمة حساب ثم النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون . أما بعضها فالقائمة والشان وبسببها يرد عنه وبسببها القنوية لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما بوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما قلنا عن توبة إن الصلة وكان بالرة وكان محاسبا لدمه لحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة لحسب أياما فإذا هي وأحد عشرين ألف يوم وخمسة أيام يوم فصرخ وقال : ياويلي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فإذا هويت قسموا قاتلا يقول بالك ركعة إلى الفردوس الأعلى فيكذلك ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى مصعبته بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى العبد بكل مصيبة حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والمساكن يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه .

(للرابطة الرابعة في معاينة النفس على تصورها)

مهما حاسب نفسه فترسل عن مقارفة مصيبة وارتنكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنسى بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يباقها فإذا أكل لقمة شبة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بتنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمعصية عن شهوته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على عنقه ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومته فسكت كذلك زمنا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فاقنن بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساقه فقال ما هذا الذي أرى إذا من أمتعت فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فقدم فلما أراد أن يجدره إلى الصومعة قال هيا هيا هيا هيا رجل خرجت تريد أن تعمى الله تعود معي في صومتي تكون والله ذلك أبد أفركم معلق في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تنطمرت فسقط فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيب قال سمعت ابن الكريبي يقول أصابتني ليلة جناية فاحتجبت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا لحدائق نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء وأدخل الحمام ولا أعنى على نفسي فقلت والأيام أنا أعامل الله في طول عمري فيجب علي أن أقف لأجدق للسارة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقفتي هذه وآليت أن لا أزنها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم إذ سكت شفت جارية فمطر إليها غزوان فرقع يده فعلق عينه حتى جثرت وقال إنك للحاة إلى ما يضر لك ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة تجل على نفسه أن لا يشرب للماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينفس على نفسه البش . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بقرعة فقال متى يئيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسأين عما لا ينجيك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن ميثم جاء رباح القبيسي يسأل عن

أبي بديع المصير قلنا إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟ ولم ينصر فأجابنا رسولنا
له ألا نوظفه لك جاء الرسول وقال هو أشغل من أن يفهم عن شيئا أدر كنهه وهو يدخل القمار وهو
يأبى نفسه ويقول أقلت وقت نوم هذه الساعة أنفكان هذا عليك بنام الرجل من شأمو ما يدريك أن
هذا ليس وقت نوم تسلكين بما لا تظنين أما إن لله على عهدا لا أضغأ أبدا لا أوسدك الأرض نوم حولا
إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سواء لك أما تستحين كم توغبن وعن غيبك لا تنهين قال وجعل يكي
وهو لا يشتر بكافى فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته . ويحك عن غيب الدارى أنه نام ليلة لم يقم فيها يتجدد
قام سنة لم يمت فيها عقوبة لذى صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فزوع
تيابه وتغرف في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوق ونار جهنم أشد حرا أجنة بالليل بطالة البهار فينبا
هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأثابه فقال غلبتي نفسي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ألم يكن لك بد من الهوى صنعت أما قد فتحت لك أبواب السماء وقد باهى الله بك اللامكة
ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك فجعل الرجل يقول له بإفان ادع لي بإفان ادع لي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم معهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع لي الهدى أرمم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأبهم^(١) . وقال حذيفة بن قبادة قيل للرجل كيف تصنع
بنفسك في شربها فقال ما طي وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعظم أشوها ودخل ابن
السيك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجت نفسك قبل أن تسجن
وعذبت نفسك قبل أن تعذب فالיום ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن وهب بن منبها ر جلالتيد
زمانا ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سببا بكل في كل سبب إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته
فلم يعطها فخرج إلى نفسه وقال منك آيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فزول إليه ملك وقال
يا ابن آدم سمعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا
في غزاة لنا خضر الدنو فصيح في الناس ققاموا إلى الصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو
يغاطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لي أهلك وعيا لك فأطعنت ورجعت
ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لي أهلك وعيا لك فأطعنت ورجعت والله لأعزمك اليوم على الله
أخذك أو تركك قتلتي لأمرته اليوم فرمته فجعل الناس على عودهم فكان في أو ألهم ثم إن المدوح
على الناس فأنكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا امرأته وثابت قال والله ما زال ذلك الداء باحني
رأيتهم صريحا فصدت به وبدأته ستين أو أكثر من ستين طعنت وقد كرت حديث أبي طلحة لما اختلف
قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فصدق بالحائط كفارة لذلك وإن عمر كان يضرب قديمه بالدرية كل
ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على
نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأحنف بن قيس لا يقرأ الصبح بالليل فكان
يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حلك على أن صنعت يوم كذا كذا . وأتوا كروهبين في الورد شيئا على
نفسه خفف شمرا على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ومحك إنما أريدك الخير ورأى محمد
ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا فيغير ملح فقال له لو أكلته لم يعل قال إن نفسي تدعوني
إلى اللع منذ سنة ولا ذاق داود ملحا مادام في الدنيا فكذا كانت عقوبة آل الحزم لأفسهم والصعب

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فزوع تياه وتغرف في الرضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم
أشد حرا الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع
أو مرسل ولا أدري من طلحة هذا .

يقول سمعت الحسين
ابن عوفيه يقول قال
أبو يزيد ذلك فإذا
التلب في أطوار
للقامات لولم الحين
وطى بساط الأطوار
لحواس الحين وهم
المجوبون تخلفت عن
همهم للقامات وربما
كانت اللقامات على
مستدارج طبقات
السماوات وهي مواطن
من يتسثر في أذيال
بقاياها . قال بعض
الصكبار لا راعهم
الحواس إلى ماذا أدى
بك التصوف فقال إلى
التوكل فقال تسمى في
عمران باطنك أين
أنت من الفناء في
التوكل ربوة الوكل
فالنفس إذا تحركت

أنك تعاقب عبدك وأمنك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاذل
أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبضوا عليك ثم تحمل تسك وهي أعظم عدوك وأعد
طنيانا عليك وضورك من طغيانها أعظم من ضرورك من طغيان أهلها فان طغيانهم أبشع وهوا عليك
معيشة الدنيا ولو عقلت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعم القيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي
تنفس عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

[الرابطة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حسب نفسه فرأها قد فارقت مصية فينبغي أن ياتقها بالمقوبات التي مضت وإن رآها
تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتقريب الأوراد عليها ويبلغها
فنوناً من الوظائف جبراً لما فاتته وتداركاً لما فرط فهكذا كان يعمل الله تعالى قد عاقب عشرين
الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم
وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحياتك الليلة وأخر ليلة صلاة القربى حتى طلع كوكبان فأعنت
رقيبين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعنت رقية وكان بعضهم يعمل على نفسه صوم سنة أو
الجميع ماشياً أو التصديق بجمع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخضة لها بما فيه نجاتها . فان قلت إن
كانت نفساً لا تطاوع على المجاهدة والورابة على الأوراد لماسيل معالجتها . فأقول - سبيلك في ذلك
أن تسميها ماورد في الأخبار من فضل المجتهدين (١) ومن أشنع أسباب العلاج أن تطلب صعبة عبد
من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتفتدى به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعتزيت بقرعة في
العبادة نظرت إلى أموال محمد بن واسع وإلى اجتاده فصملت على ذلك أسبوعاً إلا أن هذا العلاج قد
تعدى إذ قد قد في هذا الزمان من مجتهد في العبادة اجتهد الأولين فينبغي أن يبدل من المشاهدة إلى
السج فلتأني أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا في من الجهد الجيد وقد انقضت عليهم
وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآب لا ينقطع لها أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يفتدى بهم ففتح
نفسه أياماً فتلازل بشهوات مكذبة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أبد الآب انقضاء
تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة للريد في الاجتهاد اقتداء
بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وميام يرضى» (٢)
قال الحسن أمجدتهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتوا وفقهم وجهه - قال الحسن يعملون
ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» (٣) ويروي أن الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين

- (١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام
بشهر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب
من المقنطرين وله وللنساء وابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح رحم الله رجلاً قام
من الليل صلى وأيقظ امرأته ولترتضى من حديث بلال عليكم بقيام الليل فانه ذاب السالمين
قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث
رحم الله أقواماً يحسبهم مرضى وميام يرضى لم أجده له أصلاً في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد
في ازهد موقوفاً على علي في كلام له قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بال قوم من مرض
(٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بشر وفيه بنية
رواه بصيغة عن وهو مدلس وللترمذي من حديث أبي بكر خير الناس من طال عمره وحسن
عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفتها مثقلة من
دائرة الزهد يردّها
الزاهد إلى الفلانة
يزهدهم ولتوكل إذا
تحركت نفسه يردّها
بتوكله والراضى يردّها
برضاه وهذه الحركة
من النفس بقايا
وجودية تفتقر إلى
سياسة العلم وفي ذلك
تسم روح القرب
من بعيد وهو أداء
حق العبودية مبلغ
العلم وبحسبه الاجتهاد
والكسب ومن أخذ
في طريق الخامسة
عرف طريق التخلص
من البقايا بالتستر
بأنوار فضل الحق
ومن اكتفى ملابس
نور القرب بروح دائماً
المكوف محبة عن

فيقولون لها خوتهم شيئا غفوه وشوقهم إلى شيء فاشتقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف
لورأتني عبادي لسكنوا أشد أجادا . وقال الحسن : أدركت أوقاما وصحبت طوائف منهم ما كانوا
يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولمي كانت أهون في أغنيهم من هذا
التراب الذي تملؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم يبعث عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة
طعام قط ولا جمل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جهنم
الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يتاجون ربهم في فسكك
رقابهم إذا عملوا الحسنه فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن ينقلها وإذا عملوا السيئة
أحزنتهم وسألوا الله أن ينفرها لهم والله مازالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلكوا من التوب ولا نجوا
إلا بالفترة . ونحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز بعد دونه في مرضه وإذا بهم شاب
ناحل الجسم فقال عمر له يا بني ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يأتمر المؤمنين أقاموا وأمراض فقال
سألتك بالله إذا دعيتي فقال يأتمر المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصفر عندى زهرتها
وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربى والناس يساقون إلى الجنة والنار
فأظلمات لذلك نهاري وأسهرت ليلي وقابل حفير كل ما أتاني فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال
أبو نعيم كان داود الطائي يشرب القنيت ولا يأكل الخبز قليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن
أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السفوف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزق من غدة إلى الصرفة التفت
بنة ولا يسره قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى
فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق
إلا وساقاه متنفختان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال
أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل
ومجالسة أقوام ينتقون أطياب السلام كما ينتقى أطياب النحر . وكان الأسود بن يزيد يجهد في العبادة
ويصوم في الحر حتى يضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول
كرهتها أريد وكان يصوم حتى يضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن
قالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لأأدع من الاستسكان شيئا إلا جئت
به . وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أفرد من رجليه فكان يصلى بها ألف ركعة
فاذا صلى العصر احتجى ثم قال عجبت للخلقة كيف أرادت بك بدلائلك عجبت للخلقة كيف أنست
بسواك بل عجبت للخلقة كيف استدارت قلوبها بذكر سواك . وكان ثابت البناني قد حبت إليه
الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلى لك في قبره فائذن لي أن أصلى في قبري .
وقال الجنيد : مارأيت أعبد من السرى أمت عليه نجان وتسعون سنة مارؤى مضطجعا إلا في علة
الوت . وقال الحرث بن سعد : سر قوم براهب فرأوا ما صنع بنفسه من شدة اجتهاده فسلموه في ذلك
فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم
وسوا عظم الأكر من ربهم فيسكن القوم عن آخرهم . وعن أبي محمد الغازي قال جاور أبو محمد
الجريري بمكة سنة فلم يلم ينكح ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يعد رجليه فسير عليه
أبو بكر السكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطنى

الطوارق والصروف
لا يزعمه طلب ولا
يوحشه سلب فازهد
والشوكل والرضا كان
فيه وهو غير كائن
فيها على متى أنه كيف
تقلب كان زاهدان
رغب لأنه بالخلق لا
بنفسه وإن روى منه
الالتفات إلى الأسباب
فهو متوكل وإن وجد
منه السكره فهو
راض لأن سكرهاته
لنفسه ونفسه لاحق
وكرهاته لاحق أعبد
إليه نفسه بدواعيها
وصفاتها مطهرة
موهوبة محسولة
ملطوف بها صارعين
الداء دواء وصار
الاعلال شفاء وناب
طلب الله له ناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكراً ، وعن بعضهم قول دحاح على فتح الموصلي
 فرأيتَه قد مد كفيه يكي حتى رأيتَ الدموع تنحدر من بين أماعيه فدنوت منه فإذا دموعه قد
 خاطها صخرة فقلت ولم بالله يافتح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفتني بالله ما أحبرتك ، نعم بكيت دما
 فقلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
 لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيتَه بعد موته في المنام فقلت ما صنعت الله بك ؟ قال غفرت لي فقلت
 له فإذا صنعت في دموعك ؟ فقال قريب ربي عز وجل وقال لي يافتح الدمع على ماذا ؟ فقلت يارب على
 تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لاتصحب لي فقال لي يافتح
 ما أردت بهذا كله وعزني وجلالي لقد صمد حافظك أربعين سنة بصحبتك ما فيها خطيئة ، وقيل
 إن قوما أرادوا سفراً فأتوا عن الطريق فأتوا إلى راهب منفرد عن الناس فادعوه فأشرف عليهم
 من صومعته فقالوا ياراهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء ففهم القوم
 ما أراد فقالوا ياراهب إنا سألوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تسكتوا فإن الهارن يرجع والعمر
 لا يموت والطالب حيث فيجب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحلق غذا عند مليككم فقال
 على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا لي قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البينة ثم أُرشدهم إلى الطريق
 وأدخل رأسه في صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
 فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا
 يراهب إنما الراهب من رهب الله في سبائه وعظمته وكبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحده
 على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهباته وفكر
 في حساب وعقابه فها هو صائم وليه قائم قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فذلك هو الراهب وأما أنا
 فكلب غفور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعثرهم فقلت ياراهب فما الذي قطع
 الحلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخي لم يقطع الحلق عن الله إلا حب الله يا ولديتهما لأشأعمل
 للعاصي والقنوب والماعقل من رمي بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يفر به من
 ربه . وقيل لداود الطائي لو سرت لحيتك فقال إني إذن أقارع ، وكان أويس القرني يقول هذه
 ليلة الركوع فيجيئ الليل كله في ركة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيجيئ الليل
 كله في سجدة ، وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتنبأ بالطعام والشراب فقالت لأمه لم أفرقت بنفسك
 قال الرفق أطلب دعيني أتمب قليلاً وأتمم طويلاً وحجج مسروق لما نام قط لإساجدا . وقال سفيان
 الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقي . وقال عبد الله بن داود :
 كان أحدم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن
 يصل كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي بما أوى كل شر فلما ضف اقتصر على خمسين ركعة ثم كان
 يكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الريح بن خيثم تقول له يا أبت مالي أرى الناس ينامون
 وأنت لاتنام ؟ فيقول يا ابتنا إن أباك يخاف البيات ولما رأته أم الريح ما يلقي الريح من البكاء
 والسر نادته يا بني لملك فقلت تبيلا قال نعم يا أمه قالت فمن هو حتى تطلب أهله فيفو عنك نوافه
 لو يملكون ما أنت فيه لرحموك وغفوا عنك فيقول يا أمه هي نفسي ، وعن عمر ابن أخت بشر بن
 الحرث قال سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لأخي يا أخوتي جوفي وخواصري تضرب على قاتل له
 أمي يا أخي أنا ذنبي حتى أصلع لك قليل حساء بكف دقي عندى تحساه برم جوفك فقال لها
 وحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إيش أقول له فيبكت أمي وبكى معها

طالب من زهد وتوكل
 ورضا أوصار منالوبه
 من الله ينوب عن كل
 مطلوب من زهد
 وتوكل ورضا . قالت
 رابعة : عجب لآل يسكن
 أئينه وحنبسه حتى
 يسكن مع محبوبه .
 وقال أبو عبيد الله
 القرشي حقيقة المحبة
 أن تهب لمن أحببت
 كلك ولا يبق لك . ذلك
 شيء . وقال أبو الحسين
 الوراق : السرور بالله
 من شدة المحبة له والمحبة
 في القلب نار تحرق كل
 دنس . وقال يحيى بن
 معاذ صبر المحبين أشد
 من صبر الزاهدين
 وأجها كيف يصبر
 الإنسان عن حبه .
 وقال بعضهم من ادعى

وبكى معهم . قال عمر ورائت أُمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضيقاً فقالت له أُمي
يا أُنخي ليت أُمك لم تلدن فقد والله تنطعت كبدى عما أرى بك فسمعتنه يقول لها وأنا فليت أُمي
لم تلدن وإذ ولدتى لم يدر نديها على . قال عمر وكانت أُمي تبكى عليه الليل والنهار . وقال الريح:
أُتيت أُويساً فوجدته جالساً قد صلى الفجر ثم جلس فجلست فقات لا أشغله عن التسبيح فكنت
مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت
مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلته عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك
من عين نائمة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أُويس فقال
يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأُويس أن لا يكون مريضاً يطعم المريض وأُويس
غير طاعم ويأثم المريض وأُويس غير يأثم . وقال أحمد بن حنبل : يا عجباً لمن يعرف أن الجنة
تزين فوقه وأن النار تسمر تحته كيف ينাম بينهما ، وقال رجل من النساك أُتيت لإبراهيم بن آدم
فوجدته قد صلى العشاء فقدمت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى نفسه فلف ينقلب من جنب إلى
جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن للؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءاً إلّا قال ذلك في صدرى
فقلت له رحمك الله قد نعت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجد وضوءه فقال كنت الليل كله جالساً في
رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فقل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلاً
كان أحدهم يصلى فيجوز عن أن يأتي فراشه إلا حبوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عباس أربعين سنة
لا يضع جنبه في فراش وتزل الماء في إحدى عينيه فكنت عشرين سنة لا يلم به أهله وقيل كان
ورد ستمون في كل يوم خمسين ركعة ، وعن أبي بكر اللطوسي قال كان وردى في شبين كل يوم
وليلة أقرأ فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوى ، وكان
منصور بن النعمان إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخض الصوت رطب العينين
إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذى تصنع فنسك تبكى الليل عامته
لأنك تملك يا بنى أصبت نفساً لملك قتلت قتيلاً ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل
لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظلمة المواجر فقال هو إلّا أنى صرفت طعام النهار
إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها
ولا مثل النار نام هاربها وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لما ينام حتى يصبح فإذا جاء
النهار قال أذهب حر النار النوم لما ينام حتى يمسى فإذا جاء الليل قال من خلف أدخ وعيد الصباح
يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : محبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر لما رأيته نام بديل
ولا نهار . وروى عن رجل من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت
خلف على رضى الله تعالى عنه الفجر فقام سلم اغتسل عن يمينه وعليه كآبة فكنت حتى طلعت
الشمس ثم قلت بده وقال وإله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما رأى اليوم شيئا سهرهم
كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد بانوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله براوحون بين أقدامهم
وجباهم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يجيد الشجر في يوم الربح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم
وكان القوم بانوا غائلين ينى من كان حوله وكان أبو مسلم الحولاني قد علق سوطاً في مسجد بينه
يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون السكلك منك لا يلقى
فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابقي وكان يقول
أعطى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا والله لأزاحمهم عليه زحماً حتى يملوا
أفهم قد خفروا ورواهم رجلاً . وكان صفوان بن سليم قد تعدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

عجة الله من غير تورع
عن محارمه فهو كذاب
ومن ادعى عجة الجنة
من غير إغراق لمسلكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب الفقراء فهو كذاب
وكانت رابعة تشدد :
نعمى الإله وأنت
تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال
يدبع
لو كان حبك صادقاً
لأطعته
إن الحب لمن يحب
حطيط
وإذا كان الحب
للإحवाल كالسوبة
للمقامات فمن ادعى
حالاً يهترج به ومن
ادعى عجة تخبر بئوته

ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مترايدا ، وكان إذا جاء الشتاء اضطلع على السطح ليقر به البرد
 وإذا كان في الصيف اضطلع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان
 يقول : اللهم إني أحب قارك فأحب قاتى . وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذ اغدوت
 بدأت بمائسة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي تصل صلاة الضحى ، وهي تقرأ
 - فن الله علينا ووقانا عذاب السموم - وبكى وتدعو وتردد الآية فمئت حتى ملئت وهي كاهي
 فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفزع من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت
 وهي كاهي تردد الآية وبكى وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود
 حاجبا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء المشاء . وقال
 بعضهم : ما أخاف من لوث الأمان حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال على بن أبي طالب كرم
 الله وجهه صيا الصالحين صفة الألوان من السهر وعشى العيون من البكاء وذبول الشفاء من
 الصوم عليهم غيرة الحاشعين . وقيل للحسن : ما بال التبهدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا
 بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلمى خلقتى ولم تؤامرني
 وتميتى ولا تمنى خلقت مى عدوا وجعلته يجرى متى جرى الدم وجعلته يرانى وألاراه ثم قلت
 لى استمسك إلمى كيف استمسك إن لم تمسكنى إلمى فى الدنيا المموم والأحران فى الآخرة العقاب
 والحساب فأبى الراحة والريح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات
 كان إذا صلى الضحى وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه
 بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا
 كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صباحه
 ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصبحتين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان
 زمنة نازلا عندنا بالحسب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر
 نادى بأعلى صوته أها الركب للرموسن أكل هذا الليل ترددون أفلا تقومون فترحلون فيوثا ثيون
 فيسمع من ههنا بك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى
 بأعلى صوته عند الصباح يمدد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أنهم عليهم فرفوفه
 وشرح صدورهم فأطاعوه وتكلموا عليه فسلوا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء
 اليقين وبيوت الحكمة وتوايت للفضيلة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبولون ومدبرون وقولهم
 تجول فى للسكوت وتلوز بمحجوب النجوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف القوافل واللام يمكن
 واصفا أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم فى الظاهر متناديل مبذولون لمن أرادهم
 تواضعا ، وهذه طريقة لأبلغ إليها بالكشف وإعما هو فضل الله بؤيته من يشاء . وقال بعض
 الصالحين : بينا أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد
 علا وإذا تلك الجبال تحييه لها دوى عال فابتعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها جسر متلف وإذا
 أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا - إلى قوله - وسعدركم
 الله نفسه - قال فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرمشيا عليه فقلت
 وأسأله هذا الشقائى ، ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعت وهو يقول أعوذ بك من مقام
 السكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراض التافلين ثم قال لك خست قلوب
 الحاضنين وإليك فرغت آمال القصرين ولعلمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفس يده فقال مالى ولادنيا

فان التوبة قال الروح
 الحب وهذا الروح
 قيامه بهذا القلب
 والأحوال أعراض
 قوامها بجوهر الروح.
 وقال سمون : ذهب
 المحبون لله بشرف
 الدنيا والآخرة لأن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال «لله مع من
 أحب» فهم مع الله
 تعالى وقال أبو سفيان
 السوسى لا تصح المحبة
 حتى تخرج من رؤية
 المحبة إلى رؤية
 المحبوب ببناء علم
 المحبة من حيث كان
 له المحبوب فى القلب
 ولم يكن هذا بالمحبة
 فإذا خرج المحب إلى
 هذه النسبة كان
 محبا من غير محبة

ومالادنيا ولي عليك يادنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك إلى عريك فاذهي وإياهم فاحدعي ثم قال
أين القرون للناضرة وأهل الدهور السالفة في التراب ييلون وعلى الزمان يغنون فاذيته يا عبد الله تألمت
اليوم خائفك أنظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يادار الأذوت وتوب تبادره غاف - سقمها بالهوت إلى نفسه
أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لما عني
ساعة وقرأ - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر
منشيا عليه قتلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو بسط رب ثم فاق وهو يقول من أنا ما اطرى
هب لي إسماعى من فضلك وجللى بسترى واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقت بين يديك قتلت
له بالدي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كفى فقال عليك بكلام من ينفك كلامه ودع كلام من أوجته
ذنوبه إنى لفي هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ومجاهدى فلم يجد عونا لي ليخرجنى مما أنا فيه
غرك فالبك عني يا عبدود قد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلى وأنا أعوذ بالله
من شرك ثم أرجو أن يبدى من سخطه ويتفضل على رحمة . قال فقلت هذا لى إله أخاف أن أشغله
فأعاقب في موسى هذا فانصرف وتركته . وقال بسن الصالحين بينا أنا أنسى في مسيرى إذ علمت إلى
شجرة لأسترج تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لي يا هذا من فى اللوت لم يمت ثم هام على وجهه
فابتعته فسمعت وهو يقول - كل نفس ذائقة الموت - اللهم بارك لي فى اللوت قتلت وقبا بعد اللوت
فقال من أيقن بما بعد اللوت شعر مرز الحذر ولم يكن له فى الدنيا مستغر ثم قال يا من لوجهه عنت
الوجوه يبيض وجهى بالنظر إليك وإعلاء قاي من الهبة لك وأجرى من ذل التزيغ عندك فقد
آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الاعراض عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسنى أجلى ولولا
غفوك لم ينسب فبا عندك أمل ثم مضى وتركنى ، وقد أنشدوا فى هذا اللحن :

نحيل الجسم مكنث الفؤاد تراه بقعة أوبطن واهى
ينوح على معاص فاضحات يكدر قلبها صفو الزهاد
فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته أغنى يا عبد الله
فأنت بما ألقىه علم كثير الصنع عن زلل العباد
وقيل أيضا : الله من التسلخ بالقوى إذا أقبلن فى حلال حسان
منيب فر من أهل ومال يسبح إلى مكان من مكان
ليحمل ذكره ويعيش فردا ويظفر فى البصاة بالأمانى
تلقذه التسلاوة أين لى وذكر بالنسواد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنساجة من الهوان
فيذكر ما أراد وما تمسى من الراحة فى غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يحتم القرآن فى كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه فى العبادات غابة الجاهدة قليل له
قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا قليل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قليل حسون
ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأتى من ذلك اليوم ينى ألك لو عشت عمر الدنيا
واجهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان رجلك
كثيرا وكنت بالريفة فيه جديرا فكيف وعمرك قصر والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف
الصالحين فى مرايطة النفس ومراقبتها لهما تمرت نفسك عليك وامتنعت من الواطئة على العبادة
فطالع أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثله ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم ثم وأنصح

مثل الجنبه عن
الحبة قال : دخول
صفات المحبوب على
البديل من صفات
المحب . قيل هذا على
مضى قوله تعالى « فاذا
أحبته كنت له مصما
وبصيرا » وذلك أن
الهبة إذا صفت وكلت
لأزال تجذب بوصفها
إلى محبوها ، فاذا
انتهت إلى غاية جهدتها
وقفت والرابطة متأصلة
متأكدة وكال وصف
الهبة أزال اللوان من
المحب وبكالم وصف
الهبة تجذب صفات
المحوب تطلقا على
المحب الخاص من
موانع قادحة فى صدق
المحب ونظرا إلى
قصوره بعد استفاد

في القلب وأبست على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا هجرت عن هذا فلا تنفل عن سباع أحواله ولا
 فان لم تكن إبل لمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زميرهم ونحارهم وموتهم الغلاء والحسكة
 ودوو الباصثر في الدين وبين الاقتداء بالمجيلة النافلين من أهل عصرك ولا ترض لها أن تتخرط في سلك الحق
 وتقع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة الغلاء فان حدثت نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء بلا طلاق الاقتداء
 بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها بانفس لا تستكفي أن تكون أقل من امرأة فأفسس رجل
 يفسر عن امرأة في أمر دينها وديناها ، ولندكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات فقد روى عن حبيبة
 المدوية أنها كانت إذا صلت الغنمة قامت على سطحها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد
 غارت النجوم ونابت البون وغلفت اللوك أبوابها وخلاكل حبيب بحبيبه وهذا قاضي بين يديك ثم
 تضيل على صلاتها فإذا طلع الصبح قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فقلت شعري أقبلت
 مني ليلتي فأهأت أم رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما بقيتني وعزتك لو اتبريتني عن بابك
 ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . وروى عن هجرة أنها كانت تحي الليل وكانت مكشوفة
 البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها موزون إليك أعظم العابدون دعي إلى الليالي يسقون إلى رحمتك
 وفضل مغفرتك فيك يا إلهي أسألك لا يشرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترضى ليديك في عليين
 يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الصبح . وقال عبي بن بسام:
 كنت أشهد مجلس شعوانة فسمت أرى ماضع عن النياحة والبكاء فقلت لصاحب لولأيتها إذا دخلت
 فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأيتها فقلت لها لورقت بنفسك وأفسرت عن هذا البكاء
 شيئا فكان لك أقوى على ما تريد من قال فيك ثم قالت والله وددت أن أبكي حتى تنفد دعوى ثم أبكى دما
 حتى لا تبقى قطرة من دم في جرح من جوارحى وأبكى إلى البكاء وأبكى إلى البكاء فلم تزل تردد أبكى إلى البكاء
 حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من للتبيدات قالت رأيت في منامي كأنى دخلت
 الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه
 للراءة التي زخرفت الجنان فقدموها فقلت ومن هذه للراءة فقيل أسوداء من أهل الأيكة يقال لها مشوافة
 قالت فقلت أختي والله قالت فيينا أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء فدارأيتها ناديت
 يا أختي أما تترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فألقنى بك قالت فتبسمت إلى وقالت ليأمان
 قدومك ولكن احفظى عن اثنتين أترمى الحزن قلبك وقدسى حبة الله على هؤلاء ولا يضرهم منى .
 وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبى
 فانتبهت فالتفتها فمرأجدها فعمت أطالها فإذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى إلا ما غفرت لى ذنوبى
 فقلت لها لا تنولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقلت يا مولاي بحبى لى أخرجنى من الشرك لى إلى
 الاسلام وبحبى لى أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشى قدمت علينا امرأة من
 أهل اليمن يقال لها سرية فزلت في بعض ديارنا قال فسمت أسمع لها من الليل أيتها وضعت فقلت يوما
 لحامد لى أشرف لى هذه للراءة ماذا صنعت قال فأشرف عليها فما رآها صنعت شيئا غير أنها لاترد
 طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غديتها بنعمتك من حال لى إلى حال وكل
 أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جيل وهى مع ذلك متعرضة لخطك بالتوكل على مصابيك
 فلنة جد قلقة أثرها تظن أنك لاترى سوء فإلها وأنت علم خير وأنت على كل شيء قدير . وقال
 ذو النون الصيرى خرجت ليلة من وادى كتمان فلما علوت الوادى إذا سواد مدبل على وهو يقول

جهده فيعود الحب
 يشواء الكسب
 الصفات من الميوب،
 فيقول عند ذلك :
 أنا من أهوى
 ومن أهوى أنا
 نحن روحان حلتا بدنا
 فإذا أبحرني أبحرته
 وإذا أبحرته أبحرنا
 وهذا الذى عبرنا عنه
 حقيقة قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « تخلقوا بأخلاقه »
 لأنه براهة النفس
 وكال الزكية يستمد
 للمحبة والحية موهبة
 غير معلقة بالزكية
 ولكن سنة الله
 جارية أن يركب نفوس
 أحيائه بحسن توفيقه
 وتأييده وإذا منح
 نزاهة النفس وطهارتها

- وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ويكفي فلما قرب من السواد اذاهى امرأه عليها جية صوف وبيدها ركوة فقالت لي من أنت غير فرقة مني قتلت رجلا غريب فقلت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي أبكاك قتلت قد وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاها قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت برحمتك الله والصادق لا يبكي قالت لا قتلت ولم ذك قالت لأن البكاء راحة القلب فسكت متجنباً من قولها . وقال أحمد بن علي أسأذنا على غيرة فنجبتنا فلا زلنا الباب فلما علت ذلك قاست لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك من جاد يفتلني بمن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها قلنا ما يا أئمة الله ادعي لنا فقالت جعل الله فراكم في بيتي للفرقة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى اللباسات منه نظرة غير متشاي عليه فأصابه فتق في بطنه فبالت غيرة إذا رقت رأسها لم تنس وباليها إذا عصمت لم تمده . وقال بعض الصالحين خرجت يوماً إلى السوق ومعي جارية حبشية فاحتسبتها في موضع بائحة السوق وذهبت في بعض حوائجهم وقلت لا تبرح حتى أنصرف إليك قال فأنصرفت لم أجدها في اللوح فأنصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها فلما رأيته عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تبصلي على إنك أجلسني في موضع لم أر فيه ذاكر الله تعالى فقلت أن يحسف بذلك اللوح فبصبت قلوبها وقلت لها أنت حرة . فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أجدها . وقال ابن العلاء السلمي كانت لي ابنة عمي قال لها برودة تصببت وكانت كثيرة القراءة في الصحف فلما أتت لي آية فيها ذكر النار بكيت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عنها من البكاء قال بنو عمها انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نضلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها قلنا يا بريرة كيف أصبحت قالت أصبحتنا أمنا فإني متخيف بأرض غربة تنتظر مني ندعي فتجيب قلنا لها كره البكاء فذهبت عنها فقلت يا إنك يكن لبيبي عند الله خير لما يفرها مذهب منها في الدنيا وإن كان لها عند الله شرف فزبد بها بكاء أطول من هذا ثم أعرضت . قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه . وكانت معاذة الصديقة إذ جاء النهار تقول هذا يوم الذي أموت فيه فما تطعم حتى تمسي فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي أموت فيها فقصي حتى تصبح . وقال أبو سليمان الداراني بث ليلة عند امرأة فقامت إلى عراب لها وقالت لي نأج من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جاز من قواني على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها إلى ما أشوقني إلى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يضل عندك شوق للشتاتين إلى ما كان دنأج لي ولم يقربني منك عمل فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلى قد جرت على نفسي في النظر لها وبق لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدني إلى إنك لم تزل لي برا أيام حياتي فلا تقطع عني رك يدعها وتقدر جوت من تولاني في حياتي بأحسانه أن يسمني عند مماتي بفترانه إلى كيف أبيأس من حسن نظرك ليدع مماتي لم تولني إلا الجليل في حياتي إلى إن كانت ذنوبي قد أخافني فان عجب لك فقد جارتني فتول من أزمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره بجهل إلى لواردت إهاتي لما هدني وتولدت فضيحي لم تسترني فمتني بما له هدني وأدم لي ما به سترني إلى ما أظنك تردني في حاجة أنتبت فيها عمري إلى لولا ما قازفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك . وقال الحواسب دخلنا في رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمت وصلت حتى أقصدت وكانت تحصى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من الغلو ليهن عليها الأمر قال فتصقت

جلب روحه بمجاذب
الحبة خلغ عليه خلغ
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك عنده
رتبة في الوصول فثارة
ينبعث الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطاشا لله
غير متناهية
وثارة يقبض بها منه
فيكون ذلك وصوله
الذي يسكن نيران
هوقه ويأبى الشوق
تستقر الصفات للهوبة
الحققة رتبة الوصول
عند الحب ولولا بائث
الشوق رجح القهقري
وظهرت صفات نفسه
الحالة بين الله وقلبه
ومن ظن من الوصول
غير ما ذكرناه أو تخايل
له غير هذا القدر فهو

ثم قالت على بنسى فرح فؤادى وكلهم كبدى والله لو ددت أن الله لم يخلفنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أقبلت على صلاتها . ففعلت إن كنت من الرابطين الراغبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين لينت فساطك وزيد حركك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطع أكثر
من في الأرض ينالوك عن ميل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيها ذكرناه كفاية للمتبرون
أردت مزيدا ففعلت بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وبالقوف عليه يستبين لك بديك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان
حدثك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان
والآن فان خالفت أهل زمانك أولك مجنونا وسخروا بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك
إلا ما جرى عليهم والصية إذا عمت طابت فأياك أن تتدلى بمجل غرورها وتخدع بتزويرها وقل
لها أريت لو هي سبل جارف يبرق أهل البلد ويبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقدرة أنت على أن تارقهم وتركهم في سفينة تتخاضب بها من الرق فهل يتجلى
في نفسك أن الصية إذا عمت طابت أم تتركين مواضعهم وتستجلبهم في صميمهم وتأخذين حذرهم
كما ذكرك فإذا كنت تتركين مواضعهم خوفا من الرق وعذاب الرق لا يتعاضد إلا ساعة فكيف
لأهريين من عذاب الأبد وأنت متمرة له في كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل
النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العصور والخصوص ولم يهلك الكفار إلا بواقعة أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - ففعلت إذا اشتغلت بمعاينة نفسك
وحملها على الاجتهاد فاستصحت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريصها وتفرغها سوء نظرها لنفسها
فصاها تنزيه عن طغيانها .

(للراظلة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمانة بالسوء مائلة إلى التفرقة من الخير
وأمرت بتزكيتها وتزويجها وقودها بسلال القهر إلى عبادة ربها وخالقتها ومنعها عن شهواتها وفطامها
عن لذاتها فان أهملتها جمعت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمها بالتوبيخ والمعاينة والمعدل
والملامة كانت تحسك هي النفس الواهمة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس اللطيفة الدعوة
إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تنفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تنفلن
بوعظ غيوك مالم تشتغل أولاً بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ
نفسك فان انطعت فطت الناس وإلا فاستحي منى وقال تعالى - وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين -
وسبيلك أن تقبل عليها فقرر عندها جعلها وغايتها وأنها أبدا تتمرز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها
واستكفافها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والقطنة
وأنت أشد الناس غباوة وحماقا أما تحرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداهما على
القرب فسالكة تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم
تختطفين أوغدا فأراك تزين الوت بعيدا ويراها الله قريبا أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
المعيد ما ليس بآت أما تعلمين أن اللوت يأتي بجنة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة
وأنة لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل
دون نهار ولا يأتي في الصادون الشباب ولا في الشباب دون الصبايل كل نفس من الأنفس يمكن أن يكون
فيه اللوت فجاءة فان لم يكن اللوت فجاءة فيكون الرض فجاءة ثم يغنى إلى اللوت فجاءة لا تستعدين للوت

متعرض للهب
النصارى في اللاهوت
والناسوت. وإشارات
الشيخ في الاستغراق
والقاء كلها عائدة إلى
تحقيق مقام المحبة
بإسبلاء نور اليقين
وخلاصة الذكر على
القلب وتحقيق حق
اليقين بزوال اعوجاج
البقايا وأمنت اللوت
الوجودى من بقاء
صفات النفس وإذا
صحت المحبة تربت
عليها الأحوال وتبشأ.
سئل السبل عن المحبة
قال كأس لها وجه
إذا استقر في الحواس
وسكن في النفوس
وتلاشت وقول للجنة
ظاهر وباطن ظاهرها
اتباع رضا المحبوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أما تدبرين قوله تعالى - اقرب للناس مناهم - وما بينهم من ذكر من ربهم محدث إلا اسمعوه وهم يأمون لاهية قلوبهم - وبك يا نفس إن كانت جراتك على عصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع غلك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك . وبك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أغم من إخوانك بما تكرهه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فأبى جسارة ترضين لقت الله وغضبه وعدده فاعفاه أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات جري نفسك إن الهالك البطر عن ألم عذابه فاحسب ساعة في الشمس أوفى بيت الحمام أوفى أصبعك من النار لبتين لك قدر طاعتك أم تفتري بكرم الله وقضله واستثناءه عن طاعتك وعبادتك فمالك لاتمولين على كرم الله تعالى في مهمات دينك فإذا قد صدق عدو فلم تستطيع الحيل في دفعه ولا سكينته إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقت حاجة إلى شئ من شهوات الدنيا مما لا ينقي إلا بالله نار والدرم فمالك تزعين الروح في طلبها وتحييلها من وجوه الحيل فلم لاتمولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كثر أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أتحسبين أن الله كرم في الآخرة دون الدنيا وقد عرف أن سنة الله لا يتبدل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ماسعى . وبك يا نفس ما أعجب ثقافتك ودعائك بالباطلة فأنك تدعين الإيمان بإسنانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولك ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخرة وأول ليس للإنسان إلا ماسعى - فقد شكك الله بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تكاذبن على طلبها تكالب الدعوى للستر وكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراضا للفرور وللستر فما هذان علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلو كان الناقون في الدرك الأسفل من النار . وبك يا نفس أنك لاتؤمنين يوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انقلت وتخلصت وهيات أتحسبين أنك تتركين سدى أم تكون نقطة من مقيمي ثم كنت علة خلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فأن كان هذا من إضمارك فما أكره وأجهلك أما تفكرين أنه بماذا خلقك من نقطة خلقك قدرك ثم السبيل يسرك ثم أمانك فأقبرك أفسكذبيته في قوله ثم إذا شاء أشرك فأن لم تكوني مكذبة فمالك لاتأخذين حذرَكَ ولو أن يهودي أخبرك في آفة أطمعته بأنه يضررك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفسكان قول الأنبياء للؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وطن مع قصان عقل وصور علم والعجب ألعو أخبرك طفل بأن في ثوبك غمرا لربيت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أن كان قول الأنبياء والملائكة والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأنبياء أم صار حرجهم وأغلغلنا وأنكأهم وزقومهم ومقامهم وصديدها وصومها وأفاعيها وعقوبها أفسر عندك من غريب لا تحسبن بألها إلا يوما أو أقل منه ما هذان أفعال العقلاء بل لو انكشف لبها ثم حالك لفسحكوا منك وسخروا من عقلك فأن سكنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به فمالك تسوفين العمل ولت لك بالمرصاد ولله يختطفك من غير مهلة فبها إذا أمنت استمتع بالآجل وهبك أنك وعدت بالأموال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض القبة يطلع ويترد على قطع القبة بآي أن ظننت ذلك فاعظم جهلك أرايت لو سافر رجل ليقف في القرية فأقام فيها سنين متعللا بظلال بيده نفسه بالشفقة في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكن من عقله وظنه أن تنقيه النفس مما يطعم فيه بدمه قرية أو ديهانه أن مناصب القتها تال من غير غفقه اعتادا على كرم الله سبحانه وتعالى

وباطنها أن يحكون مفتونا بالحبيب عن كل شئ ولا يلقى فيه بية لغيره ولا لنفسه فمن الأحوال السنية في الهبة الشوق ولا يكون الحب إلا مستاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لاهية له فما من حال ياتها الحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم حزنك لحسنك لآلها أمد ينهى إليه ولآله أمد ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كعب وإنما هو موجبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي سليمان دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم تستغل فيه بذلك فإن أوحى إليك بالامبالا لما للنازع من البادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا بهزلك عن مخالطة شهبواتك لما فيها من التنب والشقة اختنطرين يوما بأهلك لا تصبر فيه مخالطة الشبوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق قط فلا تكون الجنة قط إلا محفوة بالمسكاره ولا تكون للكاره قط خيفة على النفوس وهذا عمال وجوده أما تأملين مذكم تمددين نفسك وتقولين غدا غدا قد جاء القد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن القد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمل لا بل تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أهمل وأهمل لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد قلعها فإذا هزل العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن هجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول العدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضفة او هو نالما لا تغدر عليه في الشباب لا يتدر عليه قط في الشباب بل من الضاء رياضة الحرم ومن التعذيب تهذيب القلب والتعذيب الرطب يجلل الأختاء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يجل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجلية وتركبين إلى التسويف لما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة يزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما ينبغي عن الاستقامة إلا حرصي على لغة الشبوات وقلة الآلام وللشقا فما أخذ غباوتك وأصبح اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التمتع بالشبوات الصافية عن الكدورات الداعة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشبواتك فالنظر لها في مخالطة غريب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك اللذات الباردة ثلاثة أيام ليصح وبها يشرب به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنًا وامتنع عليه شربه طول العمر فما متقضى العقل في قضاء حق الشهوة يصبر ثلاثة أيام ليتطم طول العمر أم يقضى شهوته في الحال خورًا من ألم المخالطة ثلاثة أيام حتى يلزمه ألم المخالطة ثلثة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدة ، ولست شرى ألم الصبر عن الشبوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دكات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراك تواتين عن النظر لنفسك إلا لكفر حتى أو لحق جلي . أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك ببطم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتادك على كرم الله تعالى وغفوه من غير التفات إلى مكروه واستدرج واستغفاله عن عبادتك مع أنك لا تعتمد على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من اللؤلؤ أو كلة واحدة تسميتها من الخلق بل توصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الجليل وبهذا الجهل تستعفين قلب المخالطة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « السكيس من دان نفسه وحمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله الأمان » وبك والغش لا ينبغي أن يترك الحياة الدنيا ولا يترك بالله التورع فانظري لنفسك فما أملك بهم فليردوا لضعبي أو فانتك فالأغصان معدودة فإذا مضى منك شيء قد ذهب بضعك فاغتمى الصلحة قبل السقم والفرار قبل الضلال والفرار قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستمدى للآخرة على قدر جفافك فيها يا نفس أما تمتددين لشتاء بقدر طول مدته فتجعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب ولا تتكلمين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير حبة ولبدو حطب وغير ذلك فاته قادر على ذلك أختلطين أيها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلاً أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداراني فرأيتني
قلت ما يريك حرك
الله قال وعك يا أحد
إذا من هذا الليل
اقرشت أهل الحبة
أقدامهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأشرف الجليل
جل جلاله عليهم
يقول « بيني من تقذ
بكلامي واستراح إلى
مناجاتي وإلى مطلع
عليهم في خلواتهم أصعب
أنيهم وأرى بكلامهم
يا جبريل ناد فيهم
ما هذا البكاء الذي
أراه فيكم هل خيركم
خير أن حبيباً يذب
أحبابه بالنار كيف
يعدل بي أن أعذب
توما إذا من عليهم
الليل تنقلوا إلى فم

في الشدة والبرودة أظن أن البعد يجو منها غير سعي هيات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبهة والنار
وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبرد الماء إلا بحسن التوحيد وخندق الطاعات وإعما كرم الله تعالى
في أن عرفك طريق الحصن ويسر لك أسبابه لافي أن يندفع عنك المذاب دون حسنة كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهذا الطريق استخرجها من بين حديدته وجرح حتى تدعى
بها برد الشتاء عن نفسك وكما أن شراء الحطب والجلبية مما يستغنى عنه خالك ومولاك ولا تشتربه
لنفسك إذ خلقه سبيلا لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك أيضا هو مستغن عنها وإعماها هو طريقك إلى
نجاتك فمن أحسن فلسفه ومن أساء فطليها والله غنى عن العالمين . وبحك بانفس اتزعى عن جهلك
وقبى آخرتك بدنياك فما خلقك ولا يشكك إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق فعيده . وكما
بدأكم تودون وسنة الله تعالى لا تعبدن لها تبديلا ولا تحويلا . وبحك بانفس ما رآك إلا ألفت الدنيا
وأنست بها فصر علك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكد في نفسك مؤذنها فاحسى أنك
غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فأنت مؤمنة بالموت الملقى بينك وبين حالك
أقربين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فعد بصره إلى وجهه ملجأ يعلم أنه يستغرق ذلك
قلبه ثم يضطر لاحتالة إلى مفارقتها أهو معدود من العقلاء أم من الحي . أما طلعين أن الله نادى الملك
الملك مالك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المتأخرين بها بعد الموت ولذلك قال السيد السمر على الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة ما عملت ماشئت فانك تجزى
به وعش ماشئت فانك ميت (١) » . وبحك بانفس أظن أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا وبأى
أما ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا علوا وذهبوا أو خلووا كيف أورت أقدارهم وديارهم أعداءهم
أما تريهم كيف يجمعون مالا يأكلون وينبون مالا يسكنون ويؤمنون مالا يدركون بيتي كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانتكاس أعظم من
هذا يصير الواحد دنياه وهو مرغل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو سائر إلى المقام أما تستعين بانفس
من مساعدة هؤلاء الحق على حماقتهم واحسى أنك لست ذات بصيرة تهدي إلى هذه الأمور وإعما غيبلين
بالطبع إلى التقية والافتداء فقيس عقل الأنبياء والمساء والحكام بعقل هؤلاء التكسين على الدنيا
واقترى من الفريقين من هو أعدل عندك إن كنت تتعبد في نفسك العقل والد كاد بانفس ما أعجب
أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، هيبالك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية ولعلك بانفس
أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تفكرين أن الجاه لامتق إلى لامل القلوب من بعض
الناس إليك فاحسى أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة
لا يتبين أنت ولا أحد من على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسبأ في زمان لا يبقى ذكر ولا ذكر
من ذكر لك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحصى منهم من أصد أو سمع لهم ركزا
فكيف تبين بانفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا
من ملوك الأرض سلم لك الترق والغرب حق أدعت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف وبأى
إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر عائلتك بل أمر دارك فضلا عن عائلتك فان كنت بانفس لا تتركين
للدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعشى بصيرتك فما لك لا تتركها ترضا عن خسة شركائها وتزها عن
كثرة عنايتها وتوقيا من سرعة فناءها أم مالك لا تزهدين في قلبها بعد أن زهدك كثيرها وما لك

حلفت إذا وردوا
القيامة على أن أسرع لهم
عن وجهي وأيهم
رياض قدسى بهذه
أحوال قومين المهين
أقيموا مقام الشوق
والشوق من الهبة
كأزهد من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الزهد وإذا
استقرت الهبة ظهر
الشوق . قال الواسطي
في قوله تعالى وسعجت
إليك رب لترضى . قال
شوقا واستهانة بمن
وراءه . قال هم أولاد
على أنرى . من شوقه
إلى مكاله الله ورمى
بالألواح لما فاته من
وقته . قال أبو عثمان
الشوق مرة الهبة قد
أحب الله اشتاق إلى

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديت تدمع في العو وغيره .

تفرحين بلديا إن ساعدتك فلا تغلو بذلك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها وزيدون عليك في نصيحتها وزينها فأف لهدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخصاء فما أجهلك وأخس همك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تسكون في زمرة للمترابين من التبيين والصديقين في جوار رب العالمين أهد الأبدنين لتسكون في صف النعال من جملة الخلق الجاهلين أياما فلا تزل فاحسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري وبحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد الدفن فادخلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ، وبحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بشاعتك إن أبحرت فيها وقد ضيقت أكثرها فلوكبت بقية عمرك على مضيق منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيقت البقية وأصررت على عادتك . أماتعدين يا نفس أن الموت موعدك والقبر ينك والتكبر فراشك والدود أنيسك والفرع الأكبرين يديك ، أماتعدين يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرونك وقد ألوا على أنفسهم كلهم بالآيمان اللطيفة أنهم لا يرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ، أماتعدين يا نفس أنهم يثنون الرحمة إلى الدنيا يوما ليستغلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمانيهم ويوم من عمرك لو يسع منهم بالدنيا عذاقها لا يشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيقين أيامك في العفلة والبطالة . وبحك يا نفس أماتسجين تزئين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظام أفنتسجين من الحاقق ولانستجين من الخالق . وبحك أهو أهون الناظرين عليك أنا مرمين الناس بالحجر وأنت متلطفة بالذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين الله وأنت له ناسية ، أماتعدين يا نفس أن الذنب أنتن من المذرة وأن المذرة لا تظهر غيرها فم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . وبحك يا نفس لو عرفت نفسك حق العرفة لطفت أن الناس ما يبهم بلاء لإبشؤك . وبحك يا نفس قد جئت نفسك حاررا لإبليس فودك إلى حيث يريد وسخر بك ، ومع هذا تضجين بمملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها أبا رأس لكان الربح في يديك وكيف تضجين بمملك مع كثرة خطاياك وذلك لأن الله إبليس بخطة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . وبحك يا نفس ما أندرك وبحك يا نفس ما أوقحك وبحك يا نفس ما أجهلك وما أجهلك على الناس وبحك كم تعددين تخضعين وبحك كم تعددين تفقدوين وبحك يا نفس أنتغلين مع هذه الخطايا بعمارة ديناك كأنك غير مرتحلة عنها أماتنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جميعا كثير أبونا مشيدا وأملوا بيديا فأصبح جمعهم بورا وبناهم جورا وأملهم غرورا وبحك يا نفس أمالك بهم عيرة أمالك إليهم نظرة أنتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين هبها هبها ساء ماتوهمين مانت لإق هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراق أن تدورسل ربك منحدرة إليك بسواد الألو وكلح الوجوه ويشري بالعذاب فهل ينعك حينئذ الدم أو يقل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين بكل يوم بزيادة مالك ولا تحزينين نقصان عمرك وما تع مال يزيد وعمر ينقص . وبحك يا نفس تد ضن عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتضلين على الدنيا وهي معرضة عنك ، فك من مستقبل يوما لا يستكفه وك من مؤمل لمد لا يلبثه فأنت تشاهددين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قترين تحسرم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالك فأحدرى أبنا النفس للسكينة يوما أتى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دققه وجلبه سره وعلايته

للقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فإن أجل الله أأت - تحيرة للمشاقين معناه أف أعلم أن شوقك إلى غالب وأنا أجلت للقائك أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه وقال الذنون: الشوق أعلى الدرجات وأعلى القامات إذا بلغها الإنسان استبطلت الموت شوقا إلى ربه ورجاء لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السكُن في الهجين إلى رب يتوقفه في الدنيا غير الشوق الذي يتوقون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده ببطايا يمدونها

فانظري يا بنى بأى بدن تفتيح بين يدي الله وبأى لسان تحييين وأعدى للسؤال جوابا وللجواب
 صوابا واعلمي بقة حمرى فى أيام تصار لأيام طوال وفى دار زوال الدار مقام فوق دار حزن ونصب الدار نعيم
 وخلود اعملى قبل أن لا تملئ اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على
 الاضطراب ولا تفرجى بما يساعدك من زهرات الدنيا قرب مسرور منبور وورب منبور لا يشرف ويل
 لمن له الوليد ثم لا يشرف بضحك وضح ويلمو ويحرج ويأكل وحرب وقد حق له فى كتاب الله أنه
 من وفود النار فليكن نظرك يا بنى إلى الدنيا اعتبارا واسميك لها اضطرابا ورفضك لها اختيارا وطلبك
 للأخرة ابتدارا ولا تسكون بمن جبر عن فكر ما أوتى ويتنى الزيادة فيا بنى وبني الإنسان ولا يتنى
 واعلمي يا بنى أنه ليس للدين عوض ولا لإيمان بدل ولا لجسد خفف من كانت مطيته الليل والنهار
 فانه يساره وإن لم يسر فاقطع يا بنى بهنه للوعظة واقبل هذه النصيحة فان من أعرض عن
 للوعظة قد رضى بالنار ومأثر الله بها راضية وللهنه للوعظة واعية فان كانت التساوة تمنحك عن
 قبول للوعظة فاستعين عليها بدوام التهجيد والقيام فان لم تزل فبالوطة على الصيام فان لم تزل فبقية
 الحاشطة والكلام فان لم تزل فبصلة الأرحام والطف بالأيتام فان لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك
 وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلة الذنوب على ظاهره واطنه فوطئ خشك على النار قد خلق الله
 الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلقه فان لم يبق فكبح بالحوظ
 فاقطع من تشك والقنوط كيرة من الكبار فمؤذ بالله من ذلك فلامسلك إلى القنوط ولا سبيل
 لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برباء فانظري الآن هل يأخذك
 حزن على هذه الصيبة التي اجتلبت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على تشك فان
 صمت فسنتى السمع من بحر الرحمة قد بقى فيك موضع لرجاء فوطئ على النباح والبكاء واستغنى
 بأرحم الراحمين واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدنى الاستانة والتمس طول الشكاية لعلك ترحم
 تشك وبشك فان صمتك قد عظمت ولبنتك قد خافت وعماذك قد طال وقد انقضت منك
 الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستأث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ إلا إلى مولك
 فافزعى إليه بالتضرع واخضعى فى قعر عك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم للتضرع
 الدليل ويثبت الطالب للتلمذ ويجب دعوة للضرع وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته
 محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق واقطعت منك الحيل ولم يتجمع فيك العفائف
 ولم يكسر لك التوبيخ فالطوب من كرم والستول جواد والستاث ب ر دوف والرحمة ولهمة
 والكرم فاض والفوضائل وقول يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا اللذنب
 الصر أنا الجرم الذى لا أقنع أنا اللبأى الذى لا أستغنى هذا مقام للتضرع للسكين والبأسى القفير
 والضعيف الخفير والمالك الفريق فبذل إغاثنى وفرجى وأرأى آثار رحمتك وأذقنى بدعوك ومعرك
 وارزقنى قوة عظمتك يا أرحم الراحمين ائدءه بأبيك آدم عليه السلام فقد قال هو بن منبه لما أبط
 الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له فمعة فاطلع الله عز وجل عليه فى اليوم السابع وهو محزون
 كتيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ملهذ الجهد الذى أرى بك قال يارب عظمت
 مصيقت وأحاطت بى خطيئى وأخرجت من ملكوت ربى نصرت لى دار الهوان بعد الكرامات وفى دار
 الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار
 وفى دار اللوث والفتناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكى على خطيئى فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم
 أصطلك لنفسى وأحللتك دارى وخضعتك بكرامتى وحذرتك سخطى ألم أخلقك يديى ودفعت فيك

علما ويطلبونها ذوقا
 فكذلك يكون شوقهم
 ليعبر لهم ذوقا وليس
 من ضرور مقام الشوق
 استبطاء اللوث وربما
 الأسعاب من الحبسين
 يتخذون بالحيلة لله
 تعالى كما قال الجليل
 لرسوله عليه الصلاة
 والسلام قل إن سألنى
 ونسكى وعماي وعماي
 لله رب العالمين فمن
 كانت حياته لله منحه
 الكريم لمة للنجاة
 والمجة فحتم عينه
 من القدر ثم يكلفهم من
 اللع والطايق فى الدنيا
 ما يحقق عقاب الشوق
 من غير الشوق إلى
 ما بعد اللوث وأنكر
 بعضهم مقام الشوق
 وقال إنما يكون الشوق

من روعي وأسجدت لك ملائكتي فصبت أُمري وسيت عهدي وتعرست لسطحي فوعزني وجلالي
لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لأزيتهم منازل العاصين فيكي آدم
عليه السلام عند ذلك ثلثائة عام . وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلة: إلهي أنا
الذي كمال طالع عمرى زادت ذنوبي أنا الذي كمال همتي بترك خطيئة عرضت لي شهوات أخرى وأعيدها
خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى وأعيدها إن كانت النار لك مقبلا وما أدري وأعيدها إن كانت
القاع لرأسك تنها وأعيدها فضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تغضى . وقال منصور بن حازم سمعت
في بعض الليالي بالكوفة قائلا ينادي رب وهو يقول يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك عافاك ولا عصيتك
إذ عصيتك وأنا بكنائك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا نظرك مستخف ولكن سؤلٌ لي نفسي
وأعاني على ذلك شقوى وغرني سترك الرخى على فمعصيتك بجعلى وخالفك بفعل ففن عذابك
الآن من يستغنى أو يجمل من اعتصم إن قطعت حبلك عنى واسوأناه من الوقوف بين يديك غدا
إذا قيل للمحققين جوزوا وقيل للمتعقلين حطوا أمع المحققين أجوز أمع المتعقلين أخطؤوا لي كذا كبرت حتى كثرت
ذنوبي ويلي كمال طالع عمرى كثرت معاصي قالى متى أتوب وإلى متى أعود أما أنى أن أستنجي من ربى
فبهد طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من الناجاة الاسترخاء ومقصدهم
من المعاتبة التنبيه والاسترخاء فمن أهل المعاتبة والناجاة لم يكن لنفسه مراعى وبوشك أن لا يكون
الله تعالى عنه راضيا والسلام . ثم كتاب الحاشية والمراقبة . ويتلو كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

﴿ كتاب التفكير ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لم يخذل لاهتاه عزته ونحوه ولا قطرا ولم يجعل لراق أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام
إلى حمى عظمته يجرى بل ترك قلوب الطالبين في يدها كبرياته والهبة حيرى كلها اهتزت لذل
مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجلال صبرا
صبرا ثم قيل لها أجيلى في ذل البودية منك فكرا لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدرى
له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا فانظري في نعم الله تعالى وأياديه كيف توالى عليك
تجرى وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى في بحار القادير كيف فاضت على الطالبين خيرا
وشرا ونفعا وضرا وعسرا وبسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطبا ونشرا وإعنا وكفرا وعرفانا
ونكرا فان جاوزت النظر إلى الأعمال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمبرا وخاطرت بنفسك
بما جاوز حد طاقة البشر ظنا وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادئ إشرافه وانقضت على أعقابها
اضطرابا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادته غمرا صلاة تبقى لنا في
عرصات القيامة عنة وفخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا
ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فقد وردت السنة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » (١) وكثر الحديث في كتاب

﴿ كتاب التفكير ﴾

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة

لقائب ومعنى الجيب
الجيب عن الجيب
حتى يشاق ولها مثل
الأنطاكي عن الشوق
قال إنما يشاق إلى
القائب وما غبت عنه
منذ وجدته وإنكار
الشوق على الإطلاق
لا أرى له وجهاً لأن
رتب العطايا والنسج
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف ينكر الشوق
من الحب فهو غير غائب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجدته ولكن
يكون مشتاقاً إلى ما لم
يجد من أنصبة القرب
فكيف يمنع حال
الشوق والأمور هكذا
ووجه آخر أن الإنسان
لا يلد له من أموره ردها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يعني أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الابتصار وهو شبكة العلوم ومصبدة المعارف والتهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جهلوا حقيقته ونعمته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لهيته أم لفكرة تستفاد منه فان كان لفكرة فما تلك لفكرة أهى من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير ونعمته ثم مجاري الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تتدروا قدره » (١) وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسكعون؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهنا القرب أرضا بيضاء ثورها بيضاء وياضها ثورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا؟ (٢) وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمر إلى عائشة رضى الله عنها فكلتنا وبيننا وبينها حجاب قالت يا عبيد ما بينكم من زيارتنا؟ قال قول رسول صلى الله عليه وسلم زر غبا تردد قال بها ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكيت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذربي أتريد لري عز وجل قدام إلى القرية قنوصا منها ثم قام يصلي فسبكي حتى بل لحيتي ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بسلامة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال وعلمك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (٣) » قيل

بلطف ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أبو منصور الدبلي في مسند القردوس من حديث أنس بلطف ثمانين سنة وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلطف خير من قيام ليلة (١) حديث ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تتدروا قدره أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصماني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الزايع بن نافع متروك (٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسكعون فقالوا نتفكر في خلق الله الحديث وروناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام (٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمر إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض - وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء .

حكم الحال لموضع
بشرته وطيبته
وعدم وقوفه على حد
العلم الذي يقتضيه حكم
الحال ووجود هذه
الأمور من آثار الشوق
ولا نفي بالشوق إلا
بمطالبة بتبعث من
الباطن إلى الأولى
والأولى من أنصبة
القرب وهذه المطالبة
مكتفية في المحبين فالشوق
إذن كائن لأوجه
لانكاره وقد قال قوم
شوق للشاهد واللقاء
أشد من شوق البعد
والقبوية فيكون في
حال القبوية مشتاقا
إلى اللقاء ويكون في
حال اللقاء وللشاهدة
مشتاقا إلى زوايد
ومبار من الحبيب

للأوزاعي ما غاية التفكير فهو قال يقرؤهن ويعلمهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : الفكر مرآة تريك حسانتك وسيئاتك ، وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مع العقل ، وكان سيفان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

إذا للره كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون ليسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطق ذكرا وصمته فكبرا ونظره عبدة فانه مثلى . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لغو وفي قوله تعالى - أسأرف عن آياتي الذين يشكرون في الأرض بغير الحق - قال أمتنع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظا من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظنا من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير فيه والاعتبار عند الحاجة » (١) ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت . لو تطالمت قلوب للتقين تفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تفر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول لقمان إن طول الوحدة أنهم للفكر وطول الفكر فلو جلست مع الناس كان آسئ لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أمرى . قط لإلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراثا ما كنا متفكرين أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشر بن توفكر الناس في عظمة الله باعصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يمضي إذ جلس ففتح بكسائه فجعل يبيق فيقول له يبيك ؟ قال تفكرت في ذهاب عمرى وقلة عمل واقتراب أجلي . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان التفكير في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة بورت الحكمة ويحي القلوب . وقال حاتم من العبدة يزيد العلم ومن الحب يزيد الفكر يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إنى لست أبذل كلاما حكيم ولكن أنظر إلى فهو هو فإذا كان فهو هو أملى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتفكر . وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يودون بالذكور على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . وقال إسحاق بن خافض كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قراءه تفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبيح حتى وقع في دار جارية له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عرايا يده سيف وظن أنه لمن فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال له ذا الذي طرحت من السطح قال ما شئت بذلك . وقال الجبدي أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنم بنسيم المعرفة والشراب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن ثم عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجملها ومن شراب ما ألذ طوي لمن رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظا من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن جبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف .

وإفضاله وهذا هو الذي
أراه وأستأره . وقال
فارس : قلوب الشتاين
منورة بنور الله فإذا
تحركت اعتبارة أنوار
النور ما بين الشرق
والغرب فيمرضهم الله
على اللاتسكة فيقول
هؤلاء للشتاين إلى
أشبهكم أنى إلى السهم
أشوق . وقال أبو يزيد :
لو أن الله حجب أهل
الجنة عن رؤيته
لاستفتوا من الجنة
كما يستفتي أهل النار
من النار . مثل ابن
عطاة الله عن الشوق
فقال هو احتراق الحشا
وتلب القلوب وتقطع
الأرباب من البعد
بعد القرب . مثل
بعضهم هل الشوق

وقول الشاهي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الضرر والعزم في الرأي سلامة من التفریط والندم والروي والفكر بكشفان عن الخرم والخطئة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة فذكر قبل أن يصرح بوجهه قبل أن تهجم وشاور قبل أن يهجم . وقال أيضا الضائل أربع : إحداهما الحكمة وقوامها الفكرة . والثانية الصفة وقوامها في الشهوة . والثالثة القوة وقوامها في التسبب . والرابعة المدلول وقوامها في اعتدال القوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها ويان مجاربها .

(بيان حقيقة الفكر وعمرته)

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار مرتبتين في القلب ليستمر بينهما معرفة ثابتة . ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإتيار من العاجلة فله طريقان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإتيار من الدنيا فيقبله ويصدقته من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيقبل بصله إلى إيثار الآخرة اعتقادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأتي أول الإتيار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المرتبتين معرفة ثابتة وهو أن الآخرة أولى بالإتيار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإتيار إلا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المرتبتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكير فضرورات مترادفة بمعنى واحد ليس عنها معان مختلفة وأما اسم التدبر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل اللفظ واحدا كما أن اسم الصارم وللهدى والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع وللهدى يدل عليه من حيث نسبه إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المرتبتين من حيث إنه يصر منها إلى معرفة ثابتة وإن لم يقع الصور ولم يمكن إلا الوقوف على المرتبتين فينتقل عليه اسم التدبر كواسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثابتة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا ، وفائدة التدبر كارتكاز المعارف على القلب ترسخ ولا تتحى عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكير والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أنمرت معرفة أخرى فالعرف تاج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتسلسل النتاج وتتسلسل العلوم ويتسلسل الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق . هذا لمن يقدر على استقراء العلوم ويهتدي إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فاعلموا الزيادة في العلوم لتقدم رأس المال وهو المعارف التي بها تستمر العلوم كالنوى لا بضاعة لا يقدر على الربح وقد بكت البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج للفضى إلى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستقراء تارة تكون بنور اليأس في القلب يحصل بالقطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ثم للتفكير قد تحضره هذه المعارف وتحصل له العجرة وهو لا يثمر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها قلعة محارسة لصناعة التعبير في الإرادة فكأن من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإتيار علما حقيقيا ولو شغل عن سبب معرفته لا يقدر على إبراده والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته إلا عن المرتبتين السابقتين وهو أن الأتي أولى

أهل أم الهبة ؟ قال الهبة لأن الشوق يتولد منها فلا مشتاق إلا من غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصر اباضي : لخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هاه فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرير . ومنها الأنس وقد مثل الجنب عن الأنس فقال : ارتضاع الحشمة مع وجود الهيبة . ومثل ذو النون عن الأنس فقال : هو انبساط الحب إلى الميوس قبل معناه قول الخليل - أرى كيف تهيم بالوعد ويقول موسى - أرى

بالإثبات وأن الآخرة أبقى من الدنيا فحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإثبات فرجع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة . وأما ثمرة التفكير فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرة الخاصة العلم لاغير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر ، فالتفكير إذن هو للبدن وللشعائر كلها وهذا هو الذي يكشفك عن فضيلة التفكير وأنه خير من الفكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل بالعلمين من الفكر ، فاذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل شكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذي ينقل من السكارة إلى الحباب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والفتنة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى - لهم يقنون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يمر فأنت الآخرة أولى بالإثبات فإذا رسخت هذه المعرفة بقيت في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهدي في الدنيا وهذا ما عني به بالخال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب المادية والميل إليها والفرقة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته وورغته ثم تغيرت إرادته أعمال الجوارح في طراح البدن والانبال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار للرفق في القلب ، وثانيها التفكير وهو طاب المعرفة للقصد منها . والثالثة حصول المعرفة للطلوب واستدارة القلب بها . والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها للوضع فخير العين بصيرة بعد أن لم تكن بصيرة وتنتهي الأعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو التفكير فيجمع بين الرفق في كل جمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كانبثاق النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى عالم يمكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهي الأعضاء للعمل بتقضي حال القلب كما تنتهي الساجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يصير ، فاذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لانها تعلوها الأحوال التي تصورها أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر وجاريها وأنه فإذا تفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير منتهية ، نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريها بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فالحق مشتتة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلننتز إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر .

(بيان مجرى الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بشؤون الدارين وإما غيرهما يتعلق بالدين فلتترك القسم الآخر ونفني بالدين الخاصة التي بين البدن وبين الرب تعالى لجميع أفكار البدن ما إن تتعلق بالبدن وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمبود وصفاته وأحواله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبدن إيمان يكون نظرا فيها هو محبوب عند الرب تعالى أو قبحا هو مكروه . ولحاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنات ولهذا أن يكون في أمثاله ملكه وملكوته وجميع مافي السموات والأرض وما بينهما ويشكك

أنظر إليه وأنتد

لروبه

تخلت قلبه عما يدرك فلا

ينفك طول الحيلة

عن فكر

آسنق منك بالوداد قد

أوشقني من جميع

ذا البشر

ذكرك لي مؤني

يعارضني

يوعديك عنك منك

بالفكر

وحبنا سكنت

بأمدى همي

فأنت من موضع النظر

وروي أن معطف

ابن التخيير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنسك بالله

واخطأك إليه فان

فك عبادا استأنسوا

بأنه وكانوا وحدهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثل وهو أن حال السائرین إلى الله تعالى والمشتاقین إلى لقاءه ينشأه
 حال العاشق فلتنخذ العاشق للسهر شائنا ، فنقول : العاشق يستغرق المحم يشقه لا يصدق فكره من أن
 يتعلق بمشوقه أو يتأق بنفسه فان تفكر في مشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته
 لينتم بالفكر فيه ومشاهدته وإما أن يتفكر في أفضاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون
 ذلك مضغاً لذته ومقوياً لهيبته وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقط من عين محبوه
 حتى ينزعه عنها أوفى الصفات التي تقر به منه وتحب إليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن
 هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق
 ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه مقصداً لغيره فحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يصدق نظره
 وتفكره محبوه ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى
 المحبة أصلاً فليبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفضاله نفسه ليزيد المحبوب منها عن
 المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بلم العاملة الذي هو التصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر
 فيتعلق بلم للكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب يتنقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي
 وإلى باطن كالصفات النجيات والمهلكات التي عملها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المهلكات والنجيات
 والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالقرار من
 الزحف وغفوق والوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكير في ثلاثة
 أمور : الأول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فربما يشي لا يظهر كمكروه أو هال يدرك بديق
 النظر . والثاني التفكير في أنه إن كان مكروهاً فطريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو
 متصف به في الحال فتركه أو هو معرض له في الاستقبال فيجتز عنه أو قارعه فيما مضى من الأحوال
 فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه
 الأقسام زادت مجاری الفكر في هذه الأقسام على مائة أو يزيد مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها
 وشرح آحاد هذه الانقسامات بطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي
 والصفات المهلكات والصفات النجيات فلنذكر في كل نوع مثالا لقيس به المرید سائر ما هو مفتتح له باب
 الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصي] ينبغي أن يغش الإنسان مديحة كل يوم جميع
 أعصائه السبعة تفصيلاً ثم يذنه على الجلة هل هو في الحال ملابى لمصيبة بها فتركها أو لا يصبها بالأسى
 فيتداركها بالترك والتندم أو هو معرض لها في نهارة فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في البأسان
 ويقول إنه معرض للنية والكذب وتركبة النفس والاستزراء بالخير والمماراة والمنازح والحوش
 فما لا يلقى إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد
 القرآن والسنة على شدة المذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر
 أنه كيف يجتز منه ويعلم أنه لا يئمه ذلك إلا بالزلة والافتراء أو بأن لا يجالس إلا صالحاً حتى ينسكب عليه
 مهما تنكس بما يكرهه الله وإلا فيضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً لله فكذلك
 يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في معصية أنه يصني به إلى التيقوا والكذب وفضول الكلام وإلى الهوى
 والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمرو وأنه ينبغي أن يجتز عنه بالاعتزال أو بالتي عن الفكر
 فمهما كان ذلك فيتنسكب في بطنه أنه إنما يصي الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال
 فان ذلك مكروه عند الله ومقوٍ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإما بكل الحرام والشبهة
 فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه ومالكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخلة ثم

أشد استئناساً من
 الناس في كثرتهم
 وأوحش ما يكون
 الناس أنس ما يكونون
 وأنس ما يكون الناس
 أوحش ما يكونون .
 قال الواسطي : لا يصل
 إلى عمل الأنس
 من لم يستوحش من
 الأكوان كلها . وقال
 أبو الحسين الوراق :
 لا يكون الأنس بالله
 إلا لومه التنظيم لأن
 كل من استأنست
 به سقط عن قلبك
 عظمه إلا الله تعالى
 فانك لا تترايد به أسأ
 إلا ازددت منه هية
 وعظماً . قالت راحة :
 كل مطع مستأنس
 وأنشدت :
 ولقد جلتك في الفؤاد
 عهد

مجهول وقد تقدم .

وقال مالك بن دينار :
 من لم يأمن بحادثة
 أقدم حادثة الخلقين
 فقد قل عليه وعي .
 قبله وضع عمره .
 قبل بعضهم من معك
 في الدار قال الله تعالى
 معي ولايتوحن من
 أنس بره . وقال
 الحراز : الأنس حادثة
 الأرواح مع الحبوب
 في جمالي القرب .
 ووصف بعض المارفين
 صفة أهل الحبة
 الواصلين قال : جدد
 لهم الودف في كل طرفة

لحم الود في كل طرفة

بغير حاله عند الموت بسوء الحجة فإذا عرف أن السكر مهلك وأن أصله الحاقة فيفتكر في علاج إزالة ذلك بأن يتماثل أفعال للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه فتفكر في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كاللأن كان ذلك من صفات الله وصفات اللائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن اللائكة القربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في النضب ثم يفتكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن ينسج له طريق السكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب (١) وأما النوع الرابع وهو للنجيات [فهو التوبة والنظم على القنوط والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه وإرضاء أماله والشوق إليه والخشوع والنواضع وكل ذلك ذكرناه في هذا الريع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليبتكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يورثه من هذه الصفات التي هي للقرية إلى الله تعالى فإذا افترق إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يمرها إلا علوم وأن العلوم لا يمرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والنسب فليفتش ذنوبه أولاً وليتفكر فيها وليجمعها في نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لقتل الله تعالى حتى يثبت له حال الندم وإذا أراد أن يستبتر من قلبه مال الشكر فليظفر في إحسان الله إليه وأبداً به عليه وفي إرساله جيل ستره عليه على ما تشرنا بعنه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليفتكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعته كما ستشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليظفر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فها يمد من سؤال المنكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه ويدبانه ثم في هول النداء عند نفثة الصور ثم في هول المحتر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في التنوير والقطير ثم في الصراط وقدوة محدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى السبيل فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى العيين فيزول دار القرار ثم ليحضر بسند أحوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركانها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزانية الموكلين بها وأنهم كلنا نضجت جلودهم بدلوها جلوداً غيرها وأنهم كلنا أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد صموا لها نفيظاً وزفيراً وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرورها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليظفر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها ولذاتها ونعيمها للقيم وملوكها الدائم فلهذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تشر اجتلاب أحوال محبوبة أو التزهد عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أشنع من قراءة القرآن بالفكر فإنه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه غشاء للعلمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يخرج عن سائر الصفات الذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويرد الآية التي هو محتاج إلى التفكير فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة قراءة آية فتفكر وفيهم خير من ختمه بغير تدبر وفيهم فليوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها سراراً لاتصغر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق للعلماء وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي جوامع السكك (٢) وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

بدوام الاتصال وآوام
في سكنته بمحافق
السكون إليه حتى
أنت قلوبهم وحت
أرواحهم شوقاً وكان
الحب والشوق منهم
إشارة من الحق إليهم
عن حقيقة التوحيد
وهو الوجود بالله
فذهبت مناهم واشتظت
آمالهم عنده لما بان
منه لهم ولو أن الحق
تعالى أمر جميع الأنبياء
يسألون لهم ما سألوه
بعض ما أعد لهم من
قديم وحدانيته ودوام
أزليته وسابق عله
وكان نصيبهم معرفته
به وفرغ همهم عليه
واجتماع أهوائهم فيه
ضار بحمد من
عبيده الموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلام تقدم .

العالم حق التأمل لم ينتفع فيها بنظره طول عمره ونشر آحاد الآيات والأخبار بطول فانظر إلى قوله
 صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب فانك مفارقة وعش ماشئت
 فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزى به ^(١) فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي
 كافية للتأملين فيها طول العمر إذلو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستنراقهم لحال
 ذلك بينهم وبين التفت إلى الدنيا بالسكية فهذا هو طريق الفسك في علوم العامة وصفات العبد من
 حيث هي محبوبة عند الله تعالى أوسكرهه والبتدى بنين أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار
 حتى يسمر قلبه بالأخلاق المحمودة والقامات الشريفة ويزه باطنه وظاهره عن السكاره ويعلم أن هذا
 مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية للطلب بل للشغول به محبوب عن مطلب الصديقين
 وهو النعم بالعكر في جلال الله تعالى وجهه واستغرق القلب بحيث يبقى عن نفسه أى ينسى نفسه
 وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق المه بالهوب كالصاعق السهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يفرغ
 للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبق كالهبوط الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق . فأما
 ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن لإصلح للقرب والوصال فاذا شيع جميع عمره في إصلاح نفسه
 فحق يتمم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقية الحسين بن منصور وقال فم أنت قال
 أدور في البوادي أصلح حالى في التوكل قال الحسين أقيمت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في
 التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين . وأما التزهد عن الصفات
 الملهكات فيجرى مجرى الخروج عن الدعة في التكاثر . وأما الاتصاف بالصفات النجيات وسائر الطاعات
 فيجرى مجرى نهية المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فان
 استغرقت جميع عمرها في تزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب ، فكذا
 ينشئ أن تهم طريق الدين إن كنت من أهل المحالة وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفا
 من القرب وطمعا في الأجرة فدونك وإتباب البدن بالأعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا
 كثيفا فاذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت جمال
 الفسك في علوم العامة التي بين العبد وبين ربه فينبى أن تتخذ ذلك عادتك وديدتك صباحا ومساء
 فلا تنفلت عن نفسك وعن صفاتك للبعد من الله تعالى وأحوالك للقربة إليه سبحانه وتعالى بل كل
 مرية فينبى أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات الملهكات وجملة الصفات النجيات وجملة
 للامى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتبه من الهللكات النظر في عشرة فانه إن سلم
 منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشرا ما طعام وشرا
 الواقع وجب لئلا وح الجاه . ومن للنجيات عشرة : التسم على القنوب ، والصبر على البلاء ،
 والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهد في الدنيا ، والاخلاص في
 الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشرة
 مذمومة وعشرة محمودة فمهدا كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويضع الفسك
 فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتزبه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله
 تعالى وعونه ولو وركه إلى نفسه لم يقدر على عو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية
 وهكذا يعمل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالنجيات ، فاذا انصف
 بواحدة منها كالتوبة والتزم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ، وهذا محتاج إلى المزيد المشر .

(١) حدث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب فانك مفارقة الحديث تقدم غمرة

رفع عن قلوبهم جميع
 الهوم . وأنشد في
 معناه :
 كانت قلبي أهواء
 مفارقة
 فاستجمت إذا رأتك
 النفس أهوائى
 فصار يهدنى من
 كنت أحده
 وصرت مولى الورى
 مدصرت مولائى
 تركت للناس دينام
 ودينهم
 شعلا بذكر ك ياديين
 ودنيائى
 وعد يكون من الأنس
 الأنس بطاعة الله
 وذكره وتلاوه كلامه
 وسائر أبواب القربات
 وهذا القدر من الأنس
 نعمة من الله تعالى
 ومنحة منه ولكن

وأما أكثر الناس من المدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم الماعى الظاهرة كأكل
 الشهية وإطلاق اللسان القلبية والنية والراء والتناء على النفس والافراط في مباداة الأعداء، وموالاة
 الأولياء، والداهية مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يندفعه من
 وجوه الصالحين لابتغى عن جملة من هذه الماعى في جوارحه ومأمله، يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن
 الاشتغال بمعاراة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يطلب عليهم نوع من العصية فينبغي أن يكون
 تقدم لها وتغكرهم فيها لافى مصاصهم بمنزل عنها، مثاله عالم الورع فإنه لا يخفى في غالب الأمر عن إظهار
 نفسه بالمع والطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة
 لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفعه عن الإعجاب
 والخيلاء، والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن غيظ وأتفة وحقد على من
 يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد بلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من
 حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد خرقه بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو منور
 ومنحه للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالتناء واستنكاف من الرأ والاعراض لم يخل
 عن تكلف وتصنع لتحسين القف والأيراد حرصا على استجلاب الثناء، والله لا يحب التكلفين والشيطان
 قد بلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لنشر الحق وعسن موقعه في
 القلب إغلاء لدن الله فإن كان فرحه بعسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على
 واحد من أقرانه فهو خمدوع وإنما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما
 اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للورع له المتعد لفتنة أكثر احتراما
 ويكون بقاءه أشد فرحا واستبشارا بمن يغلو في موالاة غيره وإن كان ذلك القير مستحقا للموالاة وربما
 ينهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتشاروا بخار النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره
 وإن كان يعلم أنه متع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكة المستكنة في سر
 القلب التي قد يظن أن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما يتكشف ذلك بهذه العلامات فتفتت العالم
 عظيمة وهو إمامك وإمامك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب
 عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهاسل فقد كان السجدة عوى في زمن الصحابة
 رضى الله تعالى عنهم جما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مغتوب وكانوا يتدافعون
 الفتوى وكل من كان يغنى كان يؤد أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن تفتى شياطين الإنس إذا قالوا
 لانتقل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الحق ولينقلهم إن دين الإسلام مستغن
 عنى فإنه قد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولومت لم تهتم أركان الإسلام فإن الدين مستغن
 عنى وأما أنت فلست مستغنيا عن إصلاح قلمي، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم لحال يدل على غاية
 الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرماية
 والعلوم محامى على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم
 لا يندرس مادام الشيطان يحب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفت عن عمله إلى يوم القيامة بل يتنمض
 لتسرير أوقام لا تصيب لهم في الآخرة قال كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أقد يؤيده الله
 بأقوام لا خلاق لهم» (١) و «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ولا ينبغي أن يتر العالم بهذه
 التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يترى في قلبه حب الجاه والتناء والتعظيم فإن ذلك يذر التفات

ليس هو حال الأنس
 الذى يكون للجهين
 والأنس حال تزييف
 يكون عند طهارة
 الباطن وكنهه بصدق
 الزهد وكال الفتوى
 وقطع الأسباب
 والعلاق ومحو الحواطر
 والمواجس ومحقته
 عندى كنس الوجود
 بشغل لأحم العظمة
 وانتشار الروح في
 مبادى القسوح وله
 استقلال بنفسه يشتمل
 على القلب فيجمعه به
 عن الهية وفي الهية
 اجتماع الروح ورسوبه
 إلى عل النفس وهذا
 الذى وصفناه من
 أسس المذات وهيسة
 الذات يكون في مقام
 البقاء بعد العبور على

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين
 بالرجل الفاجر تقدم أيضا في العلم .

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يثبت التفاف في القلب كائنت الماء البقل »^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذنيان ضاربان أرسلتا في زريبة غنم بأكثر إفساد فيهما من حب الجاه والمال في دين الله »^(٢) ولا ينقطع حب الجاه من القلب إلا بالأغزال عن الناس والحرب من مخالطهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التفتن تخفيا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم للتيق فاما أمثالا فبني أن يكون تشكركنا فلما يقوى إيماننا يوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطما إن هؤلاء لا يؤمنون يوم الحساب فإعمالنا أعمالهم من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد عدنا أن الحرب من النار ترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة يشكركنا نوافل الطاعات ونحن مقصرون في القرائن منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والسيالك عليها ويقال لو كان هذا مضموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كأولم إذ امتنا ماتت معنا دنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا ففسأل الله تعالى أن يصلحنا وصلاح بنا وبقوتنا لتوبة قبل أن نوثقا إنه الكريم اللطيف بنا للتم علينا فنهج مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المأملة فإن فرغوا منها انقطع التفاهم عن أنفسهم وارتقوا إلى التفكير في جلال الله وقوته وعظمته والتمتع بمجاهدته بين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع الهلكات والانصاف بجميع النجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مَدْخولا مَعْلولا مَكْدَرا مَقْطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالماض الذي خلا بمشوقه ولكن تحت ثيابه حبات وعقارب تلدغ ممره بد أخرى تنقض عليه قلة للمشاهدة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات للتمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها بل لدغ المقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر البدي في صفات نفسه المحبوبة والكسوة عند ربه تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ، وفيه مقامان القام الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أفعاله وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن العقول تحجر فيه فلا يطبق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطبقون دولم النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالاضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الحفاش بالاضافة إلى نور الشمس فانه لا يطبقه البتة بل يخفى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في شبة نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الانسان في النظر إلى الشمس فانه يقدر على النظر إليها ولا يطبق دومها ونحوه على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف إليها يورث ألم العين ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهش واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتمر لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان أكثر العقول لا تختمه بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهاث وأنه ليس داخل العالم ولا خارجا له ولا هو متصل بالمالم ولا هو منفصل عنه قدر عقول أقوام حتى أنسكروا إذ لم يطبقوا اصماغه ومعرفة بل صفت طاقة عن أحوال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يشاعظ ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنسكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحكماء من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف إلا لظن السكين أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يثبت التفاف في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ماذنيان جاحمان أرسلتا في زريبة غنم الحديث تقدم .

عمر الفناء وما غير
الأنس والهيبة الذين
يذهبان بوجود الفناء
لأن الهيبة والأنس
قبل الفناء ظهرا من
مطالعة الصفات من
الجلال والجمال وذلك
مقام التلويح وما ذكرناه
بعد الفناء في مقام
التحسين والبقاء من
مطالعة القدات ومن
الأنس خضوع النفس
للطشنة ومن الهيبة
خشوعها والخضوع
والخشوع يتقاربان
وبتقاربان يفرق لطيف
يدرك بإيماء الروح.
وضا القرب قال الله
تعالى لبيه عليه الصلاة
والسلام - واسجد
واقرب - وقد ورد
« أقرب ما يكون العبد

والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الإنسان لا يحرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، نعم غايته أن يقدر نفسه جيل الصورة جالساً على سريره وبين يديه غفان يتناولون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان كذلك لعقل وقيل له ليس خالقك جناح ولا يد ولا رجل ولا له طير أن لا تنكر ذلك وقال كيف يكون خالق أنف من أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمناً لا يقدر على الطيران أو يكون في آلة وقدرة لا يكون له مثله وهو خالق ومصور وعقول أكثر الخلق قرب من هذا العقل وإن الإنسان لجهول ظالم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عني بما يفهمون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته محظراً من هذا الوجه اقتضى أدب الشعر وصالح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكننا نعدل إلى القيام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره ومجائب صفته وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلالة وكبريائه وتقدمه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى تهاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فإننا لا نطيق النظر إلى صفاته كما أننا نطيق النظر إلى الأرض مهما استتارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على اللزوم دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس اللزوم وجميع وجودات الله تعالى من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاطلة أحد من العلم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته القديم بنفسه كإيمان قولهم نور الأجسام بنور الشمس الضئيلة بنفسها وبهما انكشف بعض الشئس قد قدرت العادة بأن يوضع ملئت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة بعض قليل من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأفعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا نهراً بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال فهذا سر قوله **يَعْلَمُ** وتذكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى .

(بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل مافي الوجود مما سوى الله تعالى فهو فضل الله وخلق الله وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشره غيره ولكننا نشير إلى جملته ليكون ذلك كائناً ما عداه . فنقول للوجودات الخلقية منقسمة إلى مالا يحرف أصلها فلا يمكنها التفكير فيها وتم من الموجودات التي لا تسلمها كما قال الله تعالى **وخلق ما لا تعلمون** . سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يلحون - وقال - **وننشئ ما لا تعلمون** - وإلى ما يحرف أصلها وجملتها ولا يحرف تفصيلها فيمكن أن تفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما تدركه بحس البصر وإلى مالا تدركه بالبصر أما الذي لا تدركه بالبصر فكالأشياء الجوانب والشياطين والعرض والكسرى وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يشيق ويصعب فنعدل إلى الأقرب إلى الأفعال وهي اللدركات بحس البصر وذلك هو السموات والارض وما بينهما فالسموات مشاهد بكونها وحسها وقهرها وحركتها ودوراتها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بأفعالها من جبالها ومعادنها وأتارها ومجاريها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بنوعها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصورها وسموها وعواصفها وما يصفها من الأجناس الشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وكل جلس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينقسم كل قسم

من ربه في سجوده «
فالساجد إذا ذاق طعم
السجود يقرب لأنه
يسجد ويطوى
بسجوده بساطه ليكون
ما كان وما يكون
ويسجد على طرف
رداء العظمة فيقرب.
قال بضمه إلى لأجد
الحضور فأقول بالله
أو يارب فأجد ذلك
على أثقل من الجبال
قيل ولم قال لأن التذاه
يكون من وراء حجاب
وهل رأيت جليسا
ينأى جليسه وإنما
هي إشارات وملاحظات
ومتناغاة وملطفت
وهذا الذي وصفه مقام
عزى متحقق فيه
القرب ولكنه مشعر
بمحو ومؤذن بسكر

إلى أصناف ولا نهاية لانشعب ذلك واتساعه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك جمال العسكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وحكمتان أو عشر وألف حكمة كل ذلك
شاهد قد تعالى بالوحدة ودال على جلالة وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره ، فلنذكر كيفية التفكير
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من الجوانب
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنفض الأعمار في الوقوف على عشر عشره وأنت غافل عنه ، يا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نقطة قدرة فقال - قتل الإنسان
مأ كفرة من أمي شيء خلقه ، من نقطة خلقه قدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إنا نأشأه
أنتره - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتفكرون سواء قال تعالى - ألم
يك نقطة من مقي شيء ثم كان علقه خلق فسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فاذا هو خبيث بين وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نقطة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقه والعلقه مضغاً والضمغ عظاماً
فقال تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقه - الآية ، فكرر ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسع لفظه ويرتكب التفكير في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قد ردت لو تركت ساعة ليضربها الهواء فصدت وأنت كيف أخرجها
رباً الأربع من العصب والتراب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفه والهبة في قلوبهم وكيف
قدم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل حركة الواقع وكيف
استجلب دم الحوض من أعماق المروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق الولود من النطفة وسقاء بهما
الحضن وغذاه حتى يماوربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاه مشرق علقه حمراء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم أجزاها للنطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والمروق والأوتار والدم
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والمروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وعق السمع والبصر
والأنف والتم وسائر المنافذ ثم هداها إلى الرجل وقسمه ، وسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأظفار ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب واللمدة والكبد والطحال والرئة والرحم ولثانة والأمعاء كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة ولو فقدت طبقة
منها أوزالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار فلماذا بنا إلى أن نصف ما في أحادي هذه الأعضاء
من العجائب والآيات لا تنضى فيه الأعمار فانظر الآن إلى النظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها
من نقطة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواماً لبدن وعماداً له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه ضير وكبير وطويل ومستدير وجوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجاً
إلى الحركة بجملته وبدنه ويضع أعضائه مفتتحة للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظماً واحداً بل
عظاماً كثيرة فيها مفاصل حتى تيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتنا من أحد طرفي العظم والصفة بالعظم

يكون ذلك لمن غابت
نفسه في نور روحه
لغلبة سكره وقوة حموه
فإذا صحوا فاقى تتخلص
الروح من النفس
والنفس من الروح
ويود كل من البعد
إلى محله ومقامه فيقول
يا الله وولرب بلسان
النفس للطمشة الماغبة
إلى مقام حاجتها وحمل
ميسورتها والروح
تستقل بنفوسه وبكمال
الحال عن الأقوال
وهذا أتم وأقرب من
الأول لأنه وفي حق
القرب باستقلال الروح
بالفتوح وأقام رسم
الميسورية بيود حكم
الذئس إلى عمل الافتقار
وحظ القرب لا يزال

الآخر كالرباط له ثم خالق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفر اغتصبه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتمتع عليه ولولا لفواصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وربكها وقدر كبرها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه منها ستة تخص الفحف وأربعة عشر للحي الأعلى واثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وربكها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها عقر غفوات وزيدات وقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وربك الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وربك عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فيصل به من أسفله عظم الصمص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بنظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام المانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلانطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا وستين وعائة وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حتى بها خلل للفواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة صغيرة رقيقة ، وليس للقصور من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء وللتروحون وإنما الغرض أن ينظر منها في مديرتها وخالفها أنه كيف قدرها وادبرها وخالف بين أشكالها وأعدادها خصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان محتاج إلى قله ولوقص منها واحدا لكان قصارا محتاج إلى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها ففتان بين النظريين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسما وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأعشيه ، وهي مختلفة للتأدية والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حذقة العين وأغفانها لو قصت واحدة من جعلتها اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات يبدد مخصص وقدر مخصص وأمر الأعصاب والعروق والأوردن والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول ، فلكل مجال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والذمة ما يفيض به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة ترى من هذا صنع في قطرة ماء فما صنع في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في مواضعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلانظرن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأتم صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لانبية الجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاها - فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها ولولا وما سارت إليه ثانيا وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للنطفة سمما أو بصرا أو عقلا أو قدرة أو عقلا أو روحا أو مخلوقا فيها عظما أو عرقا أو عصباً أو جلداً أو شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقه بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت إلى صورة

بتوفر نصيب الروح
باقامة رسم العبودية
من النفس . وقال
الجنيد إن الله تعالى
عسرب من قلوب
عباده على حسب
ما يرى من قرب قلوب
عباده منه فانظر ماذا
يقرب من قلبك .
وقال أبو يعقوب
السوسي مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن
قريبا حتى يقرب عن
رؤية القرب بالقرب
فاذا ذهب عن رؤية
القرب بالقرب فذلك
قرب وقد قال قائلهم:
قد تحققتك في الد
ر فاجاك لسان
فاجعنا لمعان
وافترقا لمعان

إنسان مصور على حائط تأنيق النقاش في صورتها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناطق إليها كأنه إنسان عظم تصيبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتعام فطنته وعظم في قلبك محله مع الله تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبيغ والقلم واليد والحائط والبالقدرة والعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فله الجمع بين الصبيغ والحائط على ترتيب مخصوص فكبر تصيبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطق القدرة كانت معدومة خلقها خالقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصورها وقسم أجزائها للشبابه إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورب عروقها وأعصابها وجعلها يجري لنفائها ليسكون ذلك سبب بقائها وجهها ميمية بصيرة عالة ناطقة وخلق لها الظهر أساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهياكلها ثم حماها بالأجنان لتسترها وتحفظها وتصفها وتدفع الأفتداء عنها ثم أظهر في مقدار عذبة منها صورة السموات مع اتساع أركانها وتباعد أنظارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ سمها ويدفع الهواء عنها وحوطها بسدة الأذن لتجمع الصوت قرده إلى صاخبها وتحمس بديب الهواء إليها وجعل فيها عيرفات واعوجاجات لتكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فينتبه من النوم صاحبها إذا قصدها ذابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وقبح منفرجه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامحه وأغذيت وليستشقق بفنغ للشميرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه وقبح القم وأودع اللسان ناطقا وترجمانا ومعبرا مما في القلب وزين القم بالأسنان لتسكون آلة الطحن والكسور والقطع فأحكم أسولها وحدد ردوسها ويعين لونها وترتب صفوفها متساوية الرءوس متناسقة الترتيب كأنها الدر للنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتتطابق على القم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهماها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في عارجل مختلفة تختلف بها الحروف ليتم بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والحشونة وللالة وصلابة الجوهر وروخاوته والطول والصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقة حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ وزين الوجه بالعروق والحاجبين وزين الحاجب رقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر للعدة لنضج الغذاء والسكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلى لحمة الكبد فالطحال يخدمها يجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بمجذب الصفراء عنها والكلى تخدمها بمجذب للامية عنها والثالثة تخدم الكلى بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق الديدن وطولها يمتد إلى للقاعد وعرض السكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع ثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطلوا بدقيق الفكر وجهها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلت اليد للقبض والإعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها حاريد وإن جمعها كانت له آلة لضرب وإن ضمها

إن يكن غيك التمد
ظلم عن لحظ عيان
فلقد صبرك الوج
مد من الأحشاء ذات
قال ذوالنون ما زاداد
أحد من الله قربة إلا
ازداد هية . وقال
سهل أدنى مقام من
مقامات القرب الحياه
وقال النصراني
باتباع السنة تال
للمسرة وبأداء
القرائن تال القرية
وبالمواظبة على الدواقل
تال الهية . ومنها
الحياه والحياه على
الوصف العام والوصف
الحساس فأما الوصف
العام فما أمر برسول
الله صلى الله عليه وسلم
في قوله «استحيوا من
الله حتى الحياه قالوا

ضاً غير تام كانت مفرقة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرقة له ثم خلق الأنفطار على رءوسها زينة للأنايل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنايل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يتم أحد مقامه في حرك بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمت إليه ولو في النوم والشفقة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يثر على موضع الحك إلا بعد تسب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ثلاثين ثلاثين يوماً كنف الطاء والقشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها هيئاً فتيهاً ولا يرى الصور ولا آتة فهل رأيت مصوراً أو فاعلاً لا يمس آتة ومصنوعة ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فيبحاته ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فانه لما خلق من ذلك الضيق وطلب للتفاد كأنه الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تتكسب وتحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للتفاد كأنه غافل صير بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى القيام الذي ثم لما كان بدنه ضعيفاً ليجتلب الأغذية الكيفية كيف دبر له في خلق اللبن العطيف واستخرجه من بين القرت والحلم سائماً خالصاً وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأثبت منهما حلبتين على قدر ما ينطبق عليهما ثم الصبي ثم فصح في حلة الثدي تقياً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن منه إلا بدمالسي تدريجاً فان الطفل لا يطبق منه إلا القليل ثم كيف هداه للاقتصار حتى يستخرج من ذلك الضيق اللبن الكبير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورافته كيف أخر خلق الإنسان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا ينفذ إلا اللبن فيستغنى عن السن وإذا كبر لم يرواثة اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأثبت له الأسنان عند الحاجة لآكلها ولا بعدها فيبحاته كيف أخرج تلك النظام الصلبة في تلك الفئات البنية ثم حتى قلوب والوحدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه فلم يسلط الله الرحمة على قلوبها لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والخيير والقلوب المسداة تدريجاً حتى بلغ وتكامل فصار مراقباً ثم هاباً ثم كلاً ثم شيئاً إما كفوراً أو شكوراً إما طامعاً وإما مأمناً أو كافراً تصديقاً لقوله تعالى - هل آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنما خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبثله فجاءه ممياً يسيراً إنا هدناه السبل إما هادراً وإما كفوراً - فانظر إلى العطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة بتهر كهاب الحضرة الربانية والسبب كل العجب ممن يرى خطأ حسناً أو نقصاً حسناً على خاطئ فيستحسنه فيعرف جميع همه إلى التفكير في النقائص والمخاطات وأنه كيف شفه وخطه وكيف اتقده عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعه وأحسن قدره ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم ينظر إلى صانه ومصوره فلا تدعشه عظمت ولا يجره جلاله وحكمته فهذه بذرة من هجاب بذلك التي لا يمكن استنساؤها فهو أقرب مجال تفكيرك ولا أجل شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول بظنك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن مجموع فأكمل وتنبع فتنام وتنشئ فتجوع وتنشئ وتغيب فتناول والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإحساس خاصية الإنسان التي حجبته البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وهجاب الآفاق والأرض إذ بها يدخل البعد في زمرة للأنسكة القريين وعشر في زمرة النبين والصدقين مغرباً من حضرة رب العالمين وليست هذه الزرة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا بصوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير إذ لا قدرة

إننا نستحي يا رسول الله
قال ليس ذلك ولكن
من استحي من الله
حق الحياء فليحفظ
الراس وماوعى والبطن
وماوعى وليد كركلوت
والجلى ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا فمن
فضل ذلك فقد استحي
من الله حق الحياء
وهذا الحياء من
القصاصات وأما الحياء
الحاص فمن الأحوال
وهو ما نقل عن عثمان
رضي الله عنه أنه قال إن
لأعقل في البيت للظلم
فأنطوى حياء من
الله . أخبرنا أبو زرعة
عن ابن خلف عن
أبي عبد الرحمن قال
صمت أبا العباس
القيس بن عاصم يقول
صمت أحمد السقطي

لحكمة على ذلك وأما هو قد خلق الله له القدرة ثم عظمها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وإذا عرفت طريق الفكر في حرك خضرك في الأرض التي هي مفرقة ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آيات أن خلق الأرض فراغا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتعشوا منها كبا وجعلها قارة لاتحرك وأرسى فيها الجبال أودعها لها غنما من أن تحمد ثم سمع أكنافها حتى يجرأ المديون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى - واليه يفتنوا بأيدي وإن لموسون والأرض فرشتها فتم للهادون - وقال تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فاشقوا في منابها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر في مجابها فظهرها مقر للأحياء وبسطها مرقداً للموت قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا - فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأخضرت وأنبئت مجابب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراميات التوامع الصم الصلاب وكيف أودع للماء تحتها فجراحيون وأسفل الأنهار تجري من مجبها وأخرج من المجارة الباسة ومن التراب السكر مارة قاعا بصافيا لا لاجل به كل شيء من فآخري به فكون الأحجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرايح بفضل بعضها على بعض في الأكل مسق عاء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فحق كان في النواة نطفة مطوقة بتناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة تسبع مناب إلى كل سبعة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وفنش ظاهرها وباطنها قراها تراه مائة حبة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعم وريح ولون وهكل مخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافعة للنبات في هذا القوي وهذا هو وهذا يمتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في المدة قطع الصفراء من أحماق العروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع البلم والسودا وهذا يستحيل إليها وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دما وهذا يبرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تبت من الأرض ورقة ولا نبتة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربيته إلى عمل مخصوص فالتنخل وتبر والسكرم يكتسح والزرع يثق عنه الحشيش والدغل ويص ذلك يستنبث بيت البذر في الأرض ويصف بفسر الأغصان ويصف بركب في الشجر ولوأردنا أن نذكر كراتها لاف اجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله ومجابه لاهضت الأيام في وصف ذلك فيكتبك من كل جنس ثلثة بسيرة تلك على طريق الفكر فهذه مجابب النبات [ومن آياته الجواهر اللوذة تحت الجبال وللعادن الحاصلة من الأرض] في الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللؤلؤ وغيرها بعضها منطبعة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والبرص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللؤلؤ وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتفتيتها واتخاذ الألوان والآلات والتقود والحق بها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها للنع ولا يحتاج إلى الانتقيب الطمام ولو خلعت عنه بهة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبعة بجورها بحيث يجمع فيها الماء الصافي من اللط فيستعمل ملحا صالحا بحرقه لا يمكن تناول مثقاله .

ابن صالح يقول سمعت
عبد بن عبدون يقول
سمعت أبا البساس
الذوب يقول قال لي
سرى : احفظ عنى
ما أقول لك إن الجباء
والأنس يطوفان
بالقالب فإذا وجداه فيه
الزهد والورع حطوا
وإلا رحلوا والمياه
إطراق الروح إجلالا
لعظم الجلال والأنس
التساقذ الروح بكمال
الجلسال فإذا اجتمعا
فهو الغاية في النى والتباهة
في العطاء وأنشد
شيخ الاسلام :
أشانه فإذا بدا
أطرق من إجلاله
لاخية بل هبة
وصيانة لجلاله
الوث في إدباره
والبش في إقباله

ليكون ذلك تطبيقاً لطعامك إذا أكلته شيئاً نبتت ومان من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفي حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثاً ولا لباً ولا هزل بل خلق السلك بالحق كائناً على الوجه الذي ينشئ ولكل حيوان عقله وكرمه ولفظه ولذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا صهيحاً ما خلقناهما إلا بالحق . ومن آياته أصناف الحيوانات : وانقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي وانقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك منه في عظمتها خلقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب الأفعى والخلة أو النحلة أو السمكة أو السمك أو هي من صفات الحيوانات في نباتها وحياتها وفي جميعها غذاءها وفي ألقها وزوجها وفي أقدارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نعد على ذلك قري السمكة يمشي على طرفه فيرغب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بقدر ذراع فما دونه حتى يمكن أن يصل بالخطين بطريقه يمشي يمشي ويلقي اللباب الذي هو خيطه على جانب يلتصق به ثم يمشي إلى الجانب الآخر فيعكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بعد ما يمشي متتابعاً تاسياً هندسياً إذاً حكم معاد القسط وربط الخيط كالسدى لاشتغال بالهبة فيضع الحبة على السدى ويضيف بضه إلى بعض ويحكم القدر على موضع التقاء الحبة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب وتبعد في زاوية مترسدة لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد باد إلى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زوايا من حائط أو صلب حتى يمشي إلى زاوية فيخيط ثم علق نفسه فيها غيطاً آخر وفيه ينسكس في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إلى زاوية فأنه لو لم يخطئ في خطه على رجله وأحكمه ثم أكله ومان من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يمكن أن يقرى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو زعمه أو لا هادي له ولا معاً أو فيك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل القبل العظيم شخصه الظاهر وقوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشسكه وصورته وحركته وهديته وعجائب صنعه قاطرة الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخائف لا بد رجلاه وكما قدرته وحكته متعجب فيه الأبواب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا يحصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنهم أكثر الشاهدة ، نعم إذا رأى حيواناً غريباً ولودوداً تجد تعجبه وقال سبحانه الله ما أعجبهم ولا إنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي أنعم الله عليها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لها خلقها وإمكانها في طعمهم وإقامتهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبودى والقارات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا ليعمل محيط بجميع منافعها سابق على خالقها إياها سبحانه من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استماع أو تمييز فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما لخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والامرار بالعجز عن معرفة خلقه وعظمته فن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن

وأصد عنه إذا بدا وأروم طيف خياله قال بعض الحكماء من تسلك في الحياة ولا يستحي من الله فيها يتكلم به فهو مستدرج . وقال ذو النون: الحياة وجود الحياة في القلب مع حشمة ما سبق منك إلى ربك . وقال ابن عطاء . العلم الأكبر الهية والحياة فإذا ذهب عنه الهية والحياة فلا خير فيه . وقال أبو سليمان : إن العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتسليم والحياة وأشرفهم منزلة من عمل على الحياة لما آخى الله تعالى به على كل حال

معرفة فسأل تعالى أن يكرمنا بهدايته بنه ورأفته . ومن آياته البحار العميقة المكتشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع للكشف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : **الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض** ^(١) **فانصب إصطبل إلى جميع الأرض** .
واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله ومشاهدت عجائب الأرض وما فيها فأنمل الآن عجائب البحار فأن
عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أصناف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كأن سته أصناف
سعة الأرض ولعلم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فظن أنها جزيرة
فيزل الركاب عليها فربما تحس بالتيار إذا اشتعلت فتتحرك وبعلم أنها حيوان وما من صنف من
أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحر أمثاله وأصنافه وفيه أجناس لا يحصى
نظير في البر وقد ذكرت أو صافيا في مجلدات جميع أقوام عنوا بركوب البحر وجميع عجائبهم أنظر كيف
خلق الله الثؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما
هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عده من العنبر وأصناف النفاس التي يغذيها البحر
وتستخرج منه ثم أنظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب
الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتعمل أفعالهم ثم أرسل الرياح لتبوق السفن ثم عرف للآلاتين موارد
الرياح ومهاجها ومواقيتها ولا يستغنى على الجملة عجائب منع الله في البحر في مجلدات وأعجب من ذلك كله
ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشتمل على أجزاء
كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه منفصل يسخر للتصرف قابل للاتصال
والانفصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع
منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها
لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدنار
والدرهم ونفائس الجواهر ويفعل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستغراغ عنها
بذل جميع الدنيا فما تأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فقبها متسع للفكر ومجال لكل ذلك
تشاهده متظاهرة وآيات متعاصرة ناطقة بلسان حالها مفضحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته
فيها مناداة أرباب القلوب بنفاتها قائلة لكل ذي لب أماراتي وترى صورتي وتركيبتي وصفاي ومنافعي
واختلاف حالتي وكثرة فوائدي أنظن أني كوت نفسي أو خلفي أحد من جنس أو ما تستحي أن
تنظر في كفة مرقومة من ثلاثة أحرف فقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد منكلم ثم تنظر
إلى عجائب الخطوط الإلهية الرفوعة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته
ولا حركته ولا اتصاله بمجمل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة مائه وتقول النطقة لأرباب السمع
والقلب لا فدين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلة الأحتشاء مغموسة في دم الحيش في الوقت الذي
يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينشق النقاش حديق وأجفاني وجهي وخدي وشفتي فترى
التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدرج ولا ترى داخل النطقة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم
ولا خارجة ولا خير منها للآدم ولا للآب ولا للنطقة ولا للرحم إنما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده بنفس
بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لعلته فهل تعدد على أن تعلم هذا الجنس من
النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطقة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملازمة للظنة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنة
أكثر مما استحيا
العاصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : الغالب
على قلوب المستحيين
الاجلال والتعظيم دائما
عند نظر الله إليهم .
ومنها الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكتشفات الصلوب
ومشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
الدهول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يجد
العبد غير خافه
ولا يتصل بسره خاطر
لتسري مائه . وقال .
سهل بن عبد الله
حركوا بالبلاد فحركوا
ولو سكنوا اصلوا .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لامن داخل ولا من خارج فان كنت لاتتجيب من هذه السجائب ولانهم بها أن الذي صور ونش وقدر لانظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما أن عشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين القاطعين من اللبابة والتباعد ما بين الفاعلين فان كنت لاتتجيب من هذا فتجيب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تعجب منه فبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وقبح بصائر أرحابه فاشاهدوا في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلايته الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والتعظيم لآراد حكمه ولا معقب لقضائهم ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقر السماء ومحدب الأرض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملة مثل البحر الواحد والطيور ععلقة في جو السماء ومسبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله رجحاهة فان شاء جعله نيرانا يدمر سمته كالقار - سبحانه - وأرسلنا الرياح لوائح - فيصل يحركه روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فيستدل القاء وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ترتفع الناس كأنهم أعجاض نخل ممتعر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما منقط للواء فان في النفوخ يتعامل عليه الرجل القوى لنفسه في الماء فيجوز عنه والحديد الصلب تقصمه وجه الماء فيربس فيه فانظر كيف ينقض الهواء من الماء قوته مع لطافته وهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل بحرف فيه هواء لا ينوس في الماء لأن الهواء ينقض عن القوس في الماء فلا يتصل عن السطح الداخلة من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها ععلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في بحر فيتعلق بذيل رجل قوى تمتنع عن الهوى في البحر فالسفينة تقهرها تثبت بأذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والقوس في الماء فبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجوى وما يظهر فيه من النجوم والرعود والبروق والأمطار والكوج والنهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعبارة واحدة وهي يومنا وأشار إلى تفصيله في مواضع حتى حيث قال تعالى - والسحاب المنسحب بين السماء والأرض - وحيث - تعرض لرفع الدرب والسحاب والطرر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى للطرر بينك وتسمع الرعد بأذنانك فالهبة تشاركك في هذه المعرفة فارفع من حضين عالم البهائم إلى عالم اللاألهي فقد فتحت عينك فأدرك ظاهرها فتمض عينك الظاهرة وانظر بصيرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب بطول التفكير في إلامطيع في استقامته تأمل العجائب الكثيرة الظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لاكدورة فيه وكيف تخلفه الله تعالى إداشاه ومن شاء هو مع سر خاتمه داخل لساء التثيل وتمسك له في جو السماء إلا أن يأذن الله في إرسال اللاء وتنطيط القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراه الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش السماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصة لاتدرك قطرة منها قطرة ولا تصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لاتمدل عنه فلا يتقدم للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسبب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلدوا منها قطرة أو يعرفوا عددا ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرة واحدة - أو احدة - اجتمع حبابها لجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة - نها عينت

الرازي : الصالح أربعة
ثابت وزاهد ومشتاق
وواصل فالثابت
محبوب يتوبه
والزاهد محبوب بزهده
والمشتاق محبوب
بجاهه والواصل لا يحبه
عن الحق شيء . وقال
أبو سعيد القرشي :
الواصل الذي يصله الله
فلا غنى عليه القطع
أبدا والصل الذي
بجهده يصل وكما دنا
اقطع وكان هذا
الذي ذكره حال
المريد والزاهد ليكون
أحدهما مبادأ
بالكشف وكون
الأخر مردودا إلى
الاجتهاد . وقال
أبو زيد : الواسلون
في ثلاثة أحرف مهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة غلط إلى لا يدرك بالبرص انظارها أن رزق البودرة الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء الأظرف وفي تآثر التلويح كالتلويح للندوف من الصباغ التي لا تخفى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للذي عين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلالة وعظمته ولا لهمايمان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل الغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له وبصر بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء الصوب في أصداف الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقل بطبعه فكيف هو إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فينضى كل جزء من كل ورقة ويجري إليها في تجاويف عروق شجرة صفار يروى منه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للمدود في طول الورقة عروق صفار فسكان الكبير نهروا انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تتبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة لينضجها وينضجها ويؤنسها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء النواكل كان كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك محبباً جاذباً لما لا يدرك من ذلك الجاذب وإن كان ينشئ بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والمسلوك فلم لا يحال عليه من أول الأمر فضاية الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عيايبت السموات قد فاته الكل تحقيقاً فالأرض والبخار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابنا سورة لا تشتمل على تفصيلها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والسماوات ذات البروج - والسماوات الطارق - والسماوات ذات الحيك - والسماوات بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمَر إذا ابتلاها - وكقوله تعالى - فلا أقسم بالحنس الجوار الكسبي - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى - فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو تعلمون عظيم - فقد علمت أن عجائب النطفة الفكرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها لما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى - وفي السماوات رزقكم وما نعدون - وإنني على التفكير فيه قائل - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته» (١) أي تجاوزها من غير تفكيرهم للرضين عنها قاله - وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومن عنبها من رزقهم - فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شدة محفوظات عن التغير إلى أن ياتي الكتاب أجله وذلك السماء الله تعالى محفوظا قال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وفيها فوقكم سما شدا - وقال - أنتم أشد خلقا أم السماء بما فيها من عذابا فما نظر إلى الملكوت ترى عجائب المزاويل والبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه ترى زرة السماء وضوء الكواكب وغرورها فإن البهائم

(١) حديث ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبته أي قوله تعالى - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - تقدم -

له وشغلهم في الله ورجوعهم إلى الله . وقال السباري الوصول مقام جليل وذلك أن الله تعالى إذا أحب عبداً أن يوجهه اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعيد . وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال روم أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم فهم محفوظ القوى ممنوعون من الخلق أبداً . وقال ذوالنون مارجع من رجع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد قرع عنه . واعلم أن الاتصال والواصلات أشار إليه الشيوخ وكل من

تشارك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم يدرك إبراهيم بقوله - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لآل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يبرهنه بالملك والشهادة وما ناب عن الأوصاف فيبر عنه الغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فمضى بفتح لك أبواب السماء فتجول قبلك في أقطارها إلى أن يقوم عليك بين يدي عرش الرحمن فعد ذلك ربما يرجي لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : رأى قلبي ربي . وهذا لأن بلوغ أقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مفرك ثم الهواء الكتنفك ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكوا كلها ثم الكسرى ثم العرش ثم الملكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منة مجاوز إلى رب العرش والكسرى والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبين هذه الفلاز النظيفة والسموات الشائعة والغيبات الشائعة وأنت بعد لم تفرغ من العتبة القوية النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاكتك وتدعى معرفتك بك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقيا ذا أنشكر وإلى ماذا أنطلق فأرفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها وحسبها وقررها واختلاف مشارقتها ومنابرها ودورها في الحركة على الدوام من غير ثور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعاً في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدرج عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحررة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة المقر وبعضها على صورة الجبل والطور والأسد والإنسان وامان صورة في الأرض إلا وله أشكال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سفرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرفوا الوقت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت العاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل ليأسا والنوم سباتاً والنهار معاشاً وانظر إلى إبلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إمالة مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد التبريد وإذا كانت في بينهما اعتدل الزمان وهجأت السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق التفكير واعتقد على طريق الجملة أنه مامن كوكب من الكواكب إلا وله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي تحيط به وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذا من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانبسة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فانت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدّر آدمي على أن يدركه أو يدور بجوانبها وقد انفق الناظرين على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمتها^(١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فيهم من بعد الله بطريق الأمثال وهو رتبة في التجلي فيفنى فله وقل غيره لوقوفه مع فعل الله وخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهية والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجلال والجلال وهذا يحل طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لتمام الغناء مشتملاً على باطنه أنوار اليقين وللشاهدة منياً في

(١) الحديث الدال على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « في نار الله الحامية لولا ما زعمنا من أمر الله لأهلكنا

التي تراها أمسرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها يمتد إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وهذا تعرف ارتفاعها وبسببها إذ لجيد صارت ترى صفارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بسببها فقال - رفع سمكها فضاها - وفي الأخبار أن ما بين كل سما إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام (١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضعافا فانتظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لأعجب بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة قد صار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام (٢) فانتظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أكتافها في حدة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها هذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنتظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصخب موهبا بالذهب فلا ينقطع تمجيدك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى حوائطه وإلى عجايب أمتعته وغرائب حيواناته ونباتاته وقومه ثم لا تتحدث فيه ولا تلفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخص أجزاء هذا البيت ومع هذا لا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفراد بينائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت بطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تخدر على أن تأكل عشر مائتا كلبه بهيمة فحسكون البهيمة فوقك بشعر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقضون بألسنتهم بين يدك وبضمرور خائث الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضارا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اختلفت بهذا القدر وغفلت عن النظر في جلال السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك للسموات والأرض وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي خفرت في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنان حصن الأركان مزين بالجواهر والفلان وأنواع الدخان

ما على الأرض والقطراني في الكبير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالليل كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرته (١) حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال وروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي بصرة عن أبي ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي بصرة سماع من أبي ذر (٢) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجد له أصلا.

شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلّي القات لحواص القربين وهذا القام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لا خواص له وهو سريان نور الشهادة في كلية البعد حتى يغطي به روحه وقلبه ونفسه حتى قاله وهذا من أعلى رتب الوصول فإذا تحققت الحقائق علم البعد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول الزلزال فإن الوصول هبات منازل طريق الوصول لا تقطع أبدا الآباد في عمر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى ومنها

والإنسان فيها إذا خرجت من جحرها وقبعت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على النطق لإعانيتها
وعذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر والملوك الذي في القصر فهي عمول عنه وعن التفكير في
بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبينها إلى غيره وكما غفلت الخلة عن القصر
وعن أرضه وسقته وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله
تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه الخلة من سقف بيتك
ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه الخلة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للخلق طريق إلى
أن تعرفك وتعرف بحجاب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في
الملوك وتعرف من بحجاب ما الخلق غافلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال
لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما فضل الله تعالى علينا بعرفته وكل ما عرفناه
قليل زرع حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل زرع حقير بالإضافة إلى ما عرفه
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفه للملائكة القربون كالسرافيل وجبريل وغيرهم
جميع علوم الملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى
علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وتصورا وعجزا أقرب فسيحان من عرف عباد ما عرف
ثم خاطب جميعهم فقال - وما أو تيتيم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان عقائد الجمل التي تجول فيها فكر
التفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في
الخلق لاجل معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثر من معرفة عجيب صنع الله تعالى
كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تنظم علما بسبب معرفتك به فلا تزال تطلع
على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما
حق إن كل كلمة من كتابه وكل بيت عجب من آياته شعره يزيدك علما من قلبك يستدعي التعظيم
له في نفسك فيكندا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه
والنظر والتفكير فيه لا ينهائي أبدا وإنما لكل عبد منهما بقدر مازق ، فلتقتصر على ما ذكرناه
ولنصف إلى هذا ما فضلنا في كتاب الشكر فانا نظرا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث
هو إحسان إلينا وإحساننا ، وفي هذا الكتاب نظرا فيه من حيث إنه فعل الله قطب كل ما نظرتنا
فيه فان العبيد ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والوقوف ينظر فيه فيكون سبب هدايته
وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهديها
من يشاء ، فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه للفرقة بجلال
الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قصيرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض
لامن حيث ارتباطها بسبب الأسباب فقد شق وارتمى فعوذ بالله من الضلال ، ونسأله أن يجنبنا
مزة أقدام الجهال بينه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

(تم الكتاب التاسع من ربيع النجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه)

بقوله كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جريح الدبوان بحمد الله تعالى وكرمه .

القبض والبسط هما
حالات شريقتان قال الله
تعالى - والله يفيض
وبسط - وقد تكلم
بهما النبي صلى الله عليه وآله
بإشارات هي علامات
القبض والبسط ولم
أجد حكايا عن
حقيقتهما إلا كلفوا
بالإشارة والإشارة
تضع الأهل وأحببت
أن أشيع السلام فيهما
له يشوق إلى ذلك
طالب وبعب بسط
القول فيه والله أعلم .
واعلم أن القبض
والبسط لهما موسم
معلوم ووقت محتم
لا يكونان قبض ولا
يكونان بسط ووقتهما
وموهمهما في أوائل حال
الحبة الخاصة لا في نهايتها

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع النجيات، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قسم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصر به آمال القبايسة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر اللوت نافرة، حتى جادهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة، فقلوا لمن القصور إلى القبور، ومن ضياء الهوى إلى ظلمة اللحد، ومن ملاعبة الجوارى والتمائم إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التفرغ في التراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن الشجع الوثير إلى الصرع الويل، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا، وانخدوا من دونه حجابا وحرزا، وانظر - هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا - فمبجحا من اغرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر باستحقاق البقاء، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا في حقهم لقاء، وجعل القبر سجنا للأشقياء وحسابا عينا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الانعام بالنعمة الظاهرة، وله الانتقام بالنقمة القاهرة، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فبعدد بين اللوت مصرعه، والقراب مصعبه، والدودأنيسه، ومنكر وكبر جليسه، والقراب مقره، وبطن الأرض مستقره، وإلياقاموعدمه، والجنة والنار مورد، أن لا يكون له فسكر إلا في اللوت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعرج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار إلا برئسه، وإله، وحقيق بأن بعد نفسه من اللوت وبراهها في أصحاب القبور، فان كل ما هو آت قريب والبعد ما ليس بآت، وقد قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» (١) ولن يتيسر الاستعداد للشي إلا عند تجديد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند الذكر بالاسماء إلى المذكرات له والنظر في النيات عليه ونحن نذكر من أمور اللوت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للبعد من تذكره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحشا على الاستعداد فقد قرب لما بعد اللوت الرجل فابق من العمر إلى القليل والخلق عنه غافلون - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين :

(الشرط الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور، وفيه ثمانية أبواب) :

الباب الأول في فضل ذكر اللوت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات اللوت وعذبه وما يستجب من الأحوال عند اللوت . الباب الرابع في وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين . الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة اللوت ومايلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور . الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللوت بالمكاشفة في المنام .

(كتاب ذكر اللوت وما بعده)

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة .

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن التزك في الدنيا السكب على غرورها الحب لشهواتها بفعل قلبه لاجلها عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكره به كرهه ووفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم - قل إن الموت الذي ترون منه فإنه ملائكم ثم تردون إلى عالم العيب والشهادة فبينكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إيمانهم وإيماننا مبتدئ، وأعارف منته أمانهم فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويستغل بغمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا ، وأما النائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبت به من قلبه الخوف والحشية فينبت التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يخطئه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم «من كره لقاء الله كره لقاء الله» (١) فإن هذا ليس بكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشغلا بالاستعداد للقاءه على وجه رضاه فلا يدركه لقاءه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا يشغل له سواه وإلا التحق بالمهلك في الدنيا وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعود للقاءه لحببه والمحبة لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستبطنه «بحي» الموت ورغب محبه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب المالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لأفزع من دندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من النقي والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك ، فأذن النائب معذوري في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتحميه وأعطى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يخاف لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو القابض المنتهى وبه كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فإن المتحباك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينفض عليه نصيبه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكره على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات» (٢) معناه تنصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم «لو تعلم الهائم من الموت ما يهيل ابن آدم ما كلمت منها ميتا» (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها «يا رسول الله هل يحضر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة» (٤) «وإنما سبب هذه الفضيلة كماها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتفاض الاستعداد للآخرة والافتقار عن الموت تدعو إلى الاتمك في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن الموت» (٥) «وإنما قال هذا

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره لقاء الله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثرُوا من ذكر هادم اللذات الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لو تعلم الهائم من الموت ما يهيل ابن آدم ما كلمت منها ميتا البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجنيبة وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحضر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم من حديث عبدالله بن عمر رسلنا بسند حسن .

والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فإذا ارتقى من حال الهبة العامة إلى أوائل الهبة الخاصة يصير ذحال وذاق قلب وذات نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الايمان وحال الهبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى قال الواسطي يقبضك عمالك ويبسطك فيها وقال النوري يقبضك بياك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وطهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته

لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدامعة شيطانه فآلوت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تخفة من حقه وقال صلى الله عليه وسلم «اللوث كفارة لكل مسلم» (١) «وأراد بهذا السلم حقا للؤمن صدقا الذي يسلم السلون من لسانه وبده ويتحقق فيه اتصال المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالهم والصغار فالوثة يطهره منها ويكفرها بعد اجتنبائه الكبائر وإقامته الفرائض . قال عطاء الخراساني «نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس قد استعمل فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال اللوث» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر اللوث فإنه يمس الذنوب ويذهب في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كفى باللوثة مفرقا» (٤) «وقال عليه السلام «كفى باللوثة إعطاء» (٥) . «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال: اذكروا اللوث أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦) . «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه ، فقال: كيف ذكر صاحبك للوث قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر اللوث قال فان صاحبك ليس هنالك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت التي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال: أكرم ذكر الموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم أكياس ذهابوا يشرف الدنيا بكرامة الآخرة» (٨) «وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى ضحك اللوث الدنيا فلم يترك لدى لب فرحا . وقال الربيع ابن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من اللوث وكان يقول لا تشعروا بي أحدوا سألوني إلى ربي سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يأخى احذر اللوث في هذه الدار فإني أن تصير إلى دار تربي فيها اللوث فلا يجده . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده اللوث مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيندأ كرون اللوث والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئا فطما عني لثة الدنيا ذكر اللوث والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب (١) حديث اللوث كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والطحاوي في التاريخ من حديث أنس قال ابن العري في سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرفه في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني من النبي صلى الله عليه وسلم يجلس قد استعمل الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث هكذا مرسلًا وروينا في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثرُوا من ذكر اللوث فإنه يمس بعض الذنوب ويذهب في الدنيا ابن أبي الدنيا في اللوث باسناد ضعيف جدا (٤) حديث كفي باللوثة مفرقا الحديث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر الوصلة من رواية أبي عبد الرحمن الحلي مرسلًا (٥) حديث كفي باللوثة وإعطاء الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا اللوث الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٧) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبك للوث الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن مغول فقد كره بلافا زيادة في (٨) حديث ابن عمر أثبت التي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكاه باسناد جيد .

والنفس مادامت لواءه
فتارة مغلوبة وتارة
غالبة والقبض والبسط
باعتبار ذلك منها
وصاحب القلب تحت
حجاب ثوراني لوجود
قلبه كما أن صاحب
النفس تحت حجاب
ظلفاني لوجود نفسه
فاذا ارتقى من القلب
وخرج من حجاب
لا يشيده الحال ولا
يتصرف فيه فيخرج
من تصرف القبض
والبسط حيث فلا
قبض ولا بسطه اداه
متخلصا من الوجود
الثوراني الذي هو القلب
وتحققا بالقرب من
غير حجاب النفس
والقلب فاذا عاد إلى

من عرف اللوت هانت عليه مصائب الدنيا ومهمها . وقال مطرف رأيت فيها يرى النائم كأنه لا يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر اللوت قلوب الخائمين فوالله ما ترامى إلا والهمين . وقال أشتت كنا ندخل على الحسن فأنما هو النار وأمر الآخرة وذكر اللوت . وقالت صفيّة رضي الله تعالى عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر اللوت يرق قلبك فعملت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر اللوت عنده يطر جلد له دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر اللوت والقيامة يبكي حتى تتخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن . ما رأيت قاطلا قط إلا أصيبته من اللوت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض السقاء عظمى فقال ألسنت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آباءك أحد إلى آدم إلا ذاق اللوت وقد جاءت نوبتك فيكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر اللوت وكان يقول لو فارقت ذكر اللوت فاني ساعة واحدة لتسعد . وقال مطرف بن عبد الله بن التميمي إن هذا اللوت قد تنفس على أهل النعم نعيمهم فاطلبوا منها لأموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنبة أكثر ذكر اللوت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسه عليك . وقال أبو سليمان الهاراني قلت لأبي هرون : أتحببني للوت ؟ قالت لاه قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدميا ما شئت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (بيان الطريق في تحقيق ذكر اللوت في القلب)

اعلم أن اللوت هائل وخطره عظيم وغفة الناس عنه لفة فكم هم في هذه كرمهم ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجح ذكر اللوت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ القلب قبله عن كل شيء إلا عن ذكر اللوت الذي هو بين يديه كالذي يردد أن يسافر إلى مكان عن طريق البحر فانه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر اللوت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأجمع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيندرك موتهم ومعارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم وكيف أجزأهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتيموا أولادهم وضيموا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم واقطعت آثارهم فهمما تذكر رجلان رجلا أو فصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت والتخادع بواناة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك والبهو وغفلة عما بين يديه من الموت والتدريج والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآل قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يشحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه اللوت في وقت لم يحسبه فانكشف له صورة الملك وقرع صممه الذئابة إما بالجنة أو بالنار ضد ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلة كغفلتهم وسكون عاقبتهم كعاقبتهم . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكرت الموتى قد تنسك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غداً وأمر الله إلى الله عز وجل تسلمونه في صدم من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فلازمة هذه الأفكار وأنشأها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يعبد ذكر اللوت في القلب حتى يصاب عليه بحيث يصير نصب عينيه فنقد ذلك . وشك أن يستعمله ويتجافى عن دار القبر والآخر . كظاهر القلب وعنده باللسان

الوجود من الغناء والبقاء يسود إلى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود القلب إلى البسط إليه عند ذلك ومهما تخلص إلى الغناء والبقاء فلا تبيض ولا يسقط قال فارس أوالا القبيض ثم البسط ثم القبيض ولا بسط لأن القبيض والبسط يقع في الوجود فأما مع الغناء والبقاء فلا ثم إن القبيض قد يكون عقوبة الإفراط في البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتلئ القلب منه وهو حلو فرحا واستبشارا فتشرق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فإذا وصل أثر الوارد

قابل الجدوى في التحذير والتنبية ومهما طالب قلبه شيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حناهم بكى فقال والله لو لاوت كنت بك مسرورا ولولا بانصر إليه من ضيق القبور اقربت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .
(الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك استمكت فانك يا عبد الله لا تدري ما صحت غدا » (١) وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : لأن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب وينقي وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان لأن الدين أبناء والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا لأن الدنيا قد ارتحلت مولية لأن الأخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل » (٢) وقالت أم النضر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس قال : أيها الناس أمانتحيون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا ناكأون وتأمّلون ما لا تدركون ويبنون ما لا تسكنون » (٣) وقال أبو سعيد الخدري « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة أطول أهل الأمل والتي نفس يده ما طرفت عينا إلا ظننت أن شري لابنتي حتى يقبض الله روحي ولا رفت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقيت لقمة إلا ظننت أني لأسيغها حتى أغص بها من اللوت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من اللوت والذي نفس يده - إن ما توعدون لآت وما أتم بمعجزين - » (٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لأبائه » (٥) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كفي في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث طي إن أخذ ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف (٣) حديث أم النضر أيها الناس أمانتحيون من الله تعالى قالوا وما ذلك يا رسول الله قال تجمعون ما لا ناكأون وتأمّلون ما لا تدركون ويبنون ما لا تسكنون الحديث ابن الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجبون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالياب فأقول الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لأبائه الحديث ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبراز بإسناد ضعيف .

إلى النفس طنت بطبيها وأفرطت في البسط حتى تشاكل البسط فطافا فتقابل بالقبض عقوبة لكل القبض إذا تقبض لا يكون إلا من حرصه النفس وظهرها بصفتها ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تخر بالعفتان تارة والعصيان أخرى ما وجد صاحب القلب القبض وما دام روحه وأنسه ورعاية الاعتدال الذي يمد باب القبض متلقى من قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لا يكلف

بين يديه وبآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبديته فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا
الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يتعاطاه ابن آدم وغنجه الأجل دون الأمل ^(١) وقال عليه السلام
«مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته النيا وقع في الحرم ^(٢)» قال ابن مسعود هذا
لله وهذه الختوف حوله شوارع إليه والحرم وراء الختوف والأمل وراء الحرم فهو يؤمل وهذه
الختوف شوارع إليه فأبها أمر به أخذته فان أخطأته الختوف قتله الحرم وهو ينتظر الأمل قال
عبد الله «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مر بها وخط وسطه خطا وخط خطا وخطوا على جنب
الخط وخط خطا خارجا وقال أندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط
وهذا الأجل يحيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنبئه إن أخطأه هذا تنبئه هذا وذلك الأمل
يسمى الخط الخارج ^(٣)» وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان
الحرس والأمل ^(٤)» وفي رواية وثبتت معه اثنتان الحرس على المال والحرس على العمر وقال رسول
الله ﷺ «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبذلك آخر هذه الأمة باليأس والأمل ^(٥)» وقيل بيننا
عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى اللهم أنزع منه الأمل فوضع
الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل ففعله عيسى
عن ذلك قال بينا أنا أعمل إذ قالت لي نسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فأبقت السعادة واضطجعت
ثم قالت لي نسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت قدمت إلى مسحاة وقال الحسن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «أكلتكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال فصر وامن الأمل وثبتوا أجالكم
بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ^(٦)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني
أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل تمنع
خير العمل ^(٧) الآثار : قال مطرف بن عبد الله لوعلت متى أحلى لحشيتي وذهب عفتي ولكن
الله تعالى من على عباده بالشفقة عن الموت ولولا العتلة ماتهمشوا بهيش ولانامت بينهم الأسواق وقال
الحسن السهوي والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا هاهما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري
يلقي أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك لم يهنا العيش . وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

ولا يتوجب صاحب
النفس سببا إذا لطف
بالفرح بالوارد بالأبواب
إلى الله وإذا لم يتنجس
بالأبواب إلى الله تعالى
تطلمت النفس وأخذت
حظها من الفرح وهو
الفرح بما أتى المنوع
منه فن ذلك القبض
في بعض الأحيان
وهذا من أطف
الذنوب الموجهة للقبض
وفي النفس من حرارتها
وصفات وأوثان متعددة
موجبة للقبض ثم
الحشوف والرجاء
لا يسهما صاحب
القبض والبسط ولا
صاحب الأنى والهنية
لأنهما من ضرورة
الايان فلا يندمان
وأما القبض والبسط

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد فقرض عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل
واللفظ له الزاهر رمزي في الأمثال من رواية أبي التوكل الناجي عن أبي سعيد الحدرى وإسناده
حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي التوكل مرسل (٢) حديث
مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال
حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مر بها وخط وسطه خطا
الحديث رواه البخارى (٤) حديث أنس يرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان الحرس والأمل وفي رواية
وثبتت معه اثنتان الحرس على المال والحرس على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في
قصر الأمل باللفظ الأول باسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبذلك آخر هذه
الأمة باليأس والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث الحسن أكلتكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال فصر وامن الأمل الحديث
ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسل (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني
أعوذ بك من أمل تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل تمنع خير العمل
ابن أبي الدنيا فيه من رواية حبيب بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف وجهه ولا يدرى من حوشت

عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث أعجزني حتى أحسكني مؤملا
الدنيا وقلوب بطابه وغافل وليس يفكر عنه وضاحك مله فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه
أم راض وثلاث أجزتني حتى أكنيتي فراق الأحبة محمد وحزبه وهول اللطم والوقوف بين يدي الله
ولا أدرى إلى الجنة يؤمر في أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زرارة بن أبي أوفى يدمونه في المنام
فقلت في الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس
بأكل الفايط ولا لبس العباة وسأل الفضل بن قضاة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام
والشراب ثم دعا ربه فرفع عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن يا أبا سعيد لا تنسل
قبضك فقال الأمر أعجل من ذلك . وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم
وقال بعضهم أنا كرجل ياد عنقه واليهيم عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أملت
أن أعيش شهرا لأرتبني قد أنبت عظمي وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تقش الحلائق في ساعات الليل
والنهار . وحكي أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني وفي طرف كساه شيء مصور
فقال له أستاذة إيش هذا معك فقال لوزات دفنها إلى أخ لي وقال أحب أن تنظر عابها فقال يا شقيق
وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا تكفك أبدا قال فأغلق في وجهي الباب ودخل . وقال عمر
إن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا محالة فزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى
وكفوا كن عاين ما أعد الله من نوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يظنون عليكم الأمد فتقولونكم
وتتقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط أمل من لا يدري له له لا يصبح معه ماله ولا عسى بعد ما حو ربحا
كانت بين ذلك خطافات للناسي وكم رأيت وأبهرت من كان بالدنيا مفترا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة
من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلها إلا أصابه جرح من
ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بما لا ينهي عنه نفسي فتخسر صفتي وتظهر
عيني وتبدو مسكني في يوم يبدو فيه الفنى والفقر والوازين فيه منصوبة لقد عيبت بأمر لو عيبت به
النجوم لانكدرت ولو عيبت به الجبال لهابت ولو عيبت به الأرض لثقت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة
والنار منزلة وأنكم صائرون إلى أحدهما وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الله ياحارب والآخرة بقطة
والوسط بينهما الموت ونحن في أضواء أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل
واللوت من الانسان قريب وللتقص في كل يوم منه نصيب واللبلاء في جسمه ديب فبادر قبل أن تنادى
بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أهله خلف ظهروه وأجله بين عينيه
فما أصاب الخبيثة حول فجعل أهله بين عينيه وأجله خلف ظهروه . وقال عبد الله بن مسعود سمعت أبي يقول
أما القبر بطول صحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها القبر بطول المهلة أما رأيت مأخوذا فظمن غير
عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبدا لصحة تفترق من أبطول العاقبة
تخرجون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجتريون إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك زعمك
ولا كثرة امتشادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على الفترير ثم يقال رحم
الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو بكر الصديق يينا
سايان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذا نى بحجر متقرب فطاب من يقرؤه فأنى يوهب من ينسب فإذا
فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بين من أجلك لهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك
واقصرت من حرصك وحيلك وإنما بقاءك غدا ندمك لو قد زلت بك دمعك وأسلكك أهلك وحشمتك
وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناك زائدة عمل

فيعدمان عند صاحب
الإيمان نقصان الحظ
من القلب وعند صاحب
الفناء والبقاء والقرب
لتنقص من القلب
وقد ورد على الباطن
قبض وبسط ولا
يرف سببها ولا
يغنى سبب القبض
والبسط إلا على قليل
الحظ من العلم القى
لم يحكم علم الحال ولا
علم المقام . ومن أحكم
علم الحال والمقام لا يغنى
عليه سبب القبض
والبسط وربما يشبهه
عليه سبب القبض
والبسط كما يشبهه عليه
الهم بالقبض والنشاط
بالبسط وإنما علم
ذلك لمن استقام قلبه
ومن عدم القبض
والبسط وارتضى منها

يوم القيامة قبل الحفرة والندامة فيكي سلمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أحذرك متحولك من دار مهلكة إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك تقصير في قرار باطن الأرض بدهاها فباتيك منكر ونكير فيقعدانك وبترانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقون يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبليتك صيحة الحشر وتشمع الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسماوات من سكانها فباتت الأسرار وأسرعت النار ووضعت الموازين وجاء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتوح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فاليك شعرى محال وحالك ومثدفي هذا ماهدم اللذات وأسلم عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائم وحذر النافلن فأعانا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك وموهبهما من قلوب التقيين فاعلمنا نحن بوجهه والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز لعهد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم أنخلقوا عبثا وإن تركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والقسط فبنا بينكم خطاب وشغى غدا بعد أخرجه الله من رحمته ألقى وسعت كل شيء وجته ألقى عرشها السماوات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف وأثنى وباع قليلا بكثير وقائنا ياتي وشقوة بسعادة الأترو أنسكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بدمك الباطن ألا ترون أنسكم في كل يوم تسيعون غادا ورأحا إلى الله عز وجل قد قضى نعيمه وأقطع أمه فتصونه في بطن صعد من الأرض غير موصد ولا ممد قد دخل الأسباب وقارق الأحياب وواجه الحساب وأبى الله إلى أنأوله مقاتلي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما علم من نسي ولكن هاتين من الله عاقلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن مصيئته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يكي حتى بلبت دموعه لحية وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القصاص بن حكيم قد استمددت الموت منذ ثلاثين سنة فلو أناني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أناني ما أمرته شيء ولا نهيت عنه شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة ضحكك ولعلك كفاك قد خرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فتبقت قعدت ناحية وهي تدفن فلبثت قعدت قريبا منه فتكلم قائل : من خالف العبد قصره عليه الجعد ومن طال أمه ضف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشكك عن ربك فهو عليك مشكوك واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يمدحون على ما يخلدون ويغرورون بما يندمون لما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفيه يتناسون وعليه عند القضاء خصمون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي نوبة فقال لي تقدم فقلت إن إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصل صلاة أخرى نموذج الله من طول الأمل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها النظم عنها فكم من عامر موقق عما قليل يخر بكم من مقيم متنبط عما قليل يظلمن فأحسبوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما حضر نكم من التقلية وتزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كثره ظلال قلبي فذهب بينا ابن آدم في الدنيا باف وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماء يوم حنقه فسله آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومضاه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تسر إنها تمر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبي بكر الهذلي رضي الله تعالى عنه

فدسه مطمئنة
لا تنقدح من جواهرها
نار توجب القبض ولا
يتلاطم بحر طيها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسط وربما
صار مثل هذا القبض
والبسط في نفسه لا من
نفسه فتسكون نفسه
المطمئنة بطبع القلب
فيجدرى القبض
والبسط في نفسه
المطمئنة وما قلبه قبض
ولا بسط لأن القلب
منصهرن بشعاع نور
الروح مستقر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها الفناء
والبقاء) قد قبض
الفناء أن يبقى عن
المحظوظ فلا يكون له
في شيء حظ بل يبقى

أنه كان يقول في خطبته أين الوضاعة الحسنة وجوههم للمحبوبين بشبابهم أين الولد الذين بنوا الدنانير وحسنوها بالحيطان أين الذين كانوا يسلطون القلبة في مواطن الحرب قد تدمر معهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحاتم النجا النجا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وشبهها ولها ما وعلاقتها مثل حل قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمن نفسه أبدأ بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوجه ويقدره في نفسه ويحذر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كغلاف هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له في بعض الأحوال الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تنصر شيئا فإذا صار شيئا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيقة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجاهزه وتدبير مسكنه له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخرى وهكذا على التدرج يؤخر يوما بعد يوم ويغشى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تحطه التيقن وقت لا يجتنبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون واخرنا من سوف والسوف السكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا وإنما زاد بطول اللذة قوة ورسوخا ويظن أنه يتصور أن يكون لغاغن في الدنيا والحافظ لها فرغ فذهبها تبارف فرغ منها إلا من اطرحها :

فما قضى أحد منها لبائسه وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والقلة عن معنى قوله **فما قضى** « أحب من أحببت فانك مفارقة » (١) . وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعود على شيا به فيستبعد الموت مع الشباب وليس يتفكر السكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قالوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشباب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالارض فجأة غير بعيد وكل مرض فائتاق فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولتفكر هذا القائل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وريبع من ليل ونهار لمظلم استشاره واشغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى القلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصور أن يألفه فانه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وبسببه أن يقبس نفسه بغيره . يعلم أنه لابد وأن تعمل جنازته وبدفن في قبره ولعل الذين ينطلي به لحد قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسوفه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالتفكير الصافي من القلب الحاضر وبمعاد الحكمة

(١) حديث أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

عن الأشياء كلها
شغلا بمن فنى فيه
وقد قال عامر بن
عبد الله لأبالي
امرأة رأيت أم حاططا
وبكون عفوفا فبا
له عليه مصروفا
عن جميع المخالفات
والبقاء يعقبه وهو
أن يفنى عماله ويفنى
بعائه تعالى . وقيل
الباقى أن نصير
الأشياء كلها له شيئا
واحدا فيكون كل
حركته في موافقة
الحق دون مخالفته
فيمكن فانيا عن
المخالفات باقيا في
المواقفات . وعندى
أن هذا الذى ذكره
هذا القائل هو

البائسة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو الباء العضال التي أعيأ الأولين والآخرين علاجها ولا علاج له إلا الإيمان. باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطيئة هو الذي يمسو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا وقامسة الآخرة استبكتف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منفس فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرنا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير اللوث في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم اللوث في وقت لم يحتسبوا أماناً كان مستمداً فقد فاز فوزاً عظيماً وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراً مبيناً فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه ولينبذ أنها كيف تأكلها الديدان لهالة وكيف تنتفت عظامها وليشكر أن الدود يبدأ بحديثه التي أولاً أو اليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يشكر فيما سنوره من عذاب القبر وسوء المنكر ونكير ومن الحشر والتشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأما هل هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر اللوث على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أي دأق الله تعالى - يود أحدكم لو يسير ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر التي شاهد دوراً وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوته من الكبر إلا الذين انقوا وقليل مأم (١) » ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر نفسه وجوداً في عام قابل ولكن هذا يستمد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكفيك استهت اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا للتهارر وأماله فلا قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فتأقن فيأمر أركم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لأجل غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كما قال تيناً عليه «يا عبد الله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح » ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقرب مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لمي لأبلفه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأنهيها أخرى (٢) وكما نقل عن الأسود وهو حبلى أنه كان يصلى ليلاً ويالتفت يمينا وشمالاً فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك اللوث من أي جهة يأتيني فنهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صحة التوبة النصح وليس من الفناء والبقاء في شيء ومن الإشارة إلى الفناء ما روى عن عبد الله ابن عمر أنه سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقالا له كنا تراءى لله في ذلك المكان . وقيل : الفناء هو التوبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه له . وقال الحرانز : الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق . وقال الجنيد : الفناء استجماع السك عن أوصافك واشتغال السك منك بكتبته

(١) حديث الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترقوته من الكبر إلا الذين انقوا وقليل مأم لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال الشيخ شاب في حب اثنين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لما ذكر عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لأنهيها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف .

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فإن الله لا ينظم متقال ذرة - ومن يعمل متقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في البادرة إلى العمل لكل إنسان يدعي أنه يصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يمتنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة قبل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون اللواتي نصب العيون لا يفعل عنه ماعة فلو لم تعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى النساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فثل هذا إذا مات سعد وغم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المتاحة فالوقت له سعادة والحياة له مزيد فليكن اللواتي على بالك يا مسكين فإن السير حث بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت التزلز وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا ببادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهات فيه .

(بيان البادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان وينظر قدوم أحدهما في غد وينظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينظر قدومه غدا فلا استعدادا لنتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء البدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر لئلا يفتك لا يفتك منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى نفسه متعذرا من تلك السنة فيؤخر العمل كما قال عليه السلام « ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقرا منسيا أو مرضا مقبدا أو هرا مقبدا أو موتا محييا أو والدجال فالجالد شر غائب ينتظر أو الساعق أو نساء أدهى وأمر » (١) وذال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رجل وهو يظنه « اغتمت حسبا قبل خمس شيا بك قبل هرمك ومهنتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفرغتك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (٣) أي أنه لا ينتظمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه » (٥) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك المنة رابطة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة » (٦) وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت الغير والساعة الوعد » (٧)

(١) حديث ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو فقرا منسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غنا الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ الصنف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتمت حسبا قبل خمس شيا بك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا في بائنا حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمه يرمون الأزدي مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة الحديث الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك المنة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أنا النذير أنا النذير والموت الغير والساعة الوعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي إسناد فيه لين .

وقل إبراهيم بن
شيبان علم الفناء
والبقاء يدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
كان غير هذا
فهو من المفايط
والزندقة . ومثل
الحراز ما علمنا
الغاني قال علامة من
ادعى الفناء دهاب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل الصاء
في الفناء صحتهم أن
يصحبهم علم البقاء
وأهل البقاء في الفناء
صحتهم أن يصحبهم
علم الفناء .

واعلم أن أقاويل
الشيوخ في الفناء

وقال ابن عمر ^(١) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع ^(٣) وقال جابر كان رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسيكم بكت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه ^(٤) وقال ابن مسعود رضى الله عنه وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر انفسح قليل يارسل الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجاقي عن دار الضرر والالتفات إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ^(٥) وقال السدي - الذي خلق اللوت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا - أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرجل الرجل وتصديق ذلك قوله تعالى - إليها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر في اللوت وقال سبحانه مولى بني نعيم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصل فأوجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرخصي عما جئتك فاني أبادر قلت وما تبادر قال ملك اللوت رحلك الله قال فقلت عنه وقام إلى صلاته ومرداد الطائي فساء له رجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج نفسي قال عمر رضى الله عنه التؤدة في كل شيء خبرني إلا في أعمال الخير للأخرة ، وقال النضر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه وعليك بادري قبل أن يأتك الأمر وعليك بادري قبل أن يأتك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في مواعظه البادرة البادرة فأعماهي الأغصان لو جسيتم انططعت عنكم أعمالكم التي تتربون بها إلى الله عز وجل ورحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية - أعماهم عدائهم يعني الأغصان آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهدا يوم موسى الأعمى قبل موته اجتهدا شديدا فقيل له لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخيل إذا أرحلت تقارب رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجل أقل من ذلك قال فزل على ذلك حتى مات، وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الحلقاء على منبره: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيحين بهم فانتبهوا وعلوا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت قد أظلمكم وترحلوا قد جد بكم وإن غابة تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجذرة بقصر للدة وإن غابا يجد به الجديدان الليل والنهار لحرق بسرعة الأوبة وإن أقاموا محل الفوز أو الشقة ولم تستحق لأفضل العدة الفاتني عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شيوته فإن أجله مستور عنه وأمله خانع له والشيطان موكل به غيه التوبة ليسوقها ويزين إليه العصية ليرتكبها حتى تهجم ميتته عليه أعمل ما يكون غنيا وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا اللوات ينزل بها فيها لها حشرة على غفلة البعيد فيقلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن وللترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل القاب انفسح الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في المستدرک وقد تقدم .

والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء الخالقات وبقاء اللواقف وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف للذمومة وبقاء الأوصاف الحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حذيفة الفناء الطابق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستوي من أمر الحق سبحانه وتعالى على البعيد فيقلب كون

أن يكون محرره عليه حجة وأن ترد به أيامه إلى شؤفة جلدنا الله وبإياكم لن ينظره نعموا ولا تشربه
عن طاعة الله ومصية ولا يحل به بعد اللوث حمية إلى جميع البداءة إنه يدها الحرد أنما فاعل المشاءة وقال
بعض المفسرين في قوله تعالى - فنتم أشك - قال بالشمو والذات - ورتبتم - قال بالتو بصواريتهم -
قال شككم - حتى جاء أمر الله - قال اللوث - وغركم بالله الغرور - قال الشيطان . وقال الحسن
تصبروا وتشددوا فانما هي أيام قتالهم وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب
ولا يلتفت فانتقلوا يصلح ما يحضركم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله
عارية والضيف ومرحل والمارية مؤدة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا في الحسن في مرضه الذي مات
فيه فقال مرحبا بكم وأهلا بكم الله بالسلام وأحانا وبإياكم ندار اللقام هذه عناية حسنة إن صبرتم
وعدتم وانتميت فلا يكن ظلمكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسموه بهذه الأذن ونخرجوه من هذه
الأذن فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رأى عاديا وأرحامنا يضع لبنه على لبنه ولا يصح على قصة
ولكن رفع له علم فشمه إليه الواح الواح النجا جعلناهم تخرجون آياتهم ورب الكعبة كأنكم والأمر
مما رحم الله عبدا جعل المبعش عيشا واحدا فأكل كسرة وليس خلقا قوارق بالارض واجبة في العبادة
ويكي على الخطيئة وهرب من العقوبة يا بني الرحمة حتى آتيا محله وهو على ذلك^(١) . وقال عاصم الأحول
قال لي فضيل الرقاشي وأنا ساله بإهدا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر بخلص إليك
ودهنه ولا تغل أذهب هذا وهما فيقطع عنك التهار في لاشي^(٢) . فإن الأمر بحفظ علك ولم ترشيئا
قط أحسن طلبا ولأسرع إدراكا من حسنة حديثه للنب قدس .

(الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستحب من الأحوال عنده)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي البعل السكين كرب ولا هو له ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجرد هالكان
جديراً بأن يتنفس عليه عيشه ويشكر عليه سروره وبفارقته سوءه وغفلته وحقيقاً بأن يطول فيه
فكره ويعظم له استعداده لاسيما وهو في كل نفس يصده كإزالة بعض الحكام كرب يدسوا ولا تدرى
مقي فشاك. وقال لقمان لابنه يا بني أمر لاندري متى يلقاك استمد له قبل أن يفجأك والعجب أن
الانسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس الأهل فانظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس
خشبات لتسكدرت عليه لدته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس يصدد أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات النزح وهو عنه غافل لم يلهذا سبب إلا الجهل والغرور. واعلم أن شدة الألم في سكرات
الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فاعلم يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي تأمر كراهياً
بالاستدلال بأحوال الناس في النزح على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشبه له فهو أن كل عضو
لا يروح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالمركب للألم هو الروح فمعها أصاب العضو جرح
أو حرق سرى الأثر إلى الروح فقد رعى ما يرسى إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاق غيره فعلمنا عظم
ذلك الألم وما تشده. والنزح عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق
جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حبل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي
يجمده إنما يجرى في جزء من الروح بالإتيان في ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر
الاحتراق لأن أجزاء النار تنصس في سائر أجزاء البدن فلا يفيى جزء من العضو المحترق ظاهراً

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث
 ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه .

وإطنا لإلواصيه النار فتحمه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم ، وأما الجراحة فإما تسبب للوضع الذي منه الحديد قطع فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم التزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه التزع المجدوب من كل عرق من المروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من العرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن اللوت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمنشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لملقه بالروح فكيف إذا كان للتناول للباشو نفس الروح وانما يستغنى للضررب ويصبح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت اللب وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتضاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهذا كل قوّة ونصف كل جراحة فلم يترك له قوّة الاستقامة . أما العقل فقد غشي وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد ضمها وبودت لوقدر على الاستراحة بالأين والصباح والامتنانة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوّة سمحت له عند تزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدرة وقد تقبلوه واربدت حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حiale فألم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أفجانه وتقلص الشفتان وينقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأثنيان إلى أعالي موضعهما وتخضر أنامله فلا تملك عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجدوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجدوب نفس الروح التالما لامن عرق واحد بل من جميع العروق ثم يهجم كل عضو من أعضائه تدريجا فترد أو لا تقدمه مسافة ثم غداء ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فتعد ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وينطق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والتدامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قبل توبة العبد مالم يفرغ ^(١) » وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني نبت الآن - قال إذا عاب الرسل فمن ذلك تبدوله صنعوه جعلك اللوت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند تواف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت ^(٢) » والناس إنما لا يستعيدون منه ولا يستظفون له لجهلهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك علم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اللوت حتى قال عيسى عليه السلام بامتنع الحوار بين ادعاء الله تعالى أن هوّن على هذه السكرة بيني وبين اللوت فقد خفت اللوت مخافة أوقفني خوف من اللوت على اللوت . وروى أن تيرامان بنى إسرائيل صرا وبقرة فقال بعضهم لبعض لودعون الله تعالى أن يخرج لكم من هذه البقرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبر فقال يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت اللوت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة اللوت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا أغبط أحدا هوّن عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول « اللهم إنك تأخذ الروح من بين المصّب والقصب والأنامل اللهم فأعني على اللوت وهوّنه عليّ ^(٣) » وعن الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغضته وألمه فقال

يطعمه ويستقيه كيف شاء وأحب وهذا لعمري فناء لأنه في عن نفسه وعن الغير نظرا إلى قتل الله تعالى بغناه فعل غير الله والقضاء الباطن أن يكشف تارة بالصفات وتارة بعشادة آثار عظيمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة القضاء أن يذهب إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة القضاء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري

- (١) حديث إن الله ينبل توبة العبد مالم يفرغ الترمذ وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر
- (٢) حديث كان يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ الروح من بين المصّب والقصب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعبة ابن غيلان الجبني وهو معتل سقط منه الصحابي والتابعي .

هو قدر ثلثة ضربة بالسيف (١) . « ووصل صلى الله عليه وسلم عن اللوت وشدة فقال إن أهون اللوت بمنزلة حكة في صوف فهل تخرج الحكة من الصوف إلا ومعها صوف (٢) » . « ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا وبألم الموت على حدة (٣) » وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي تقي يده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن البت يجد ألم اللوت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالناسير وقرض بالمقاريض وغلى في القدرورولون البت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتصموا ببش ولا تلبوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه اللوت ليبلغ سكرات اللوت وكره بدرجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يحزه هون عليه في اللوت ليستكمل ثواب معروفة فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف يجدون اللوت فلما مرض قيل له فأتى كيف يجد فقال كان السموات مطبقة على الأرض وكان نفسي يخرج من قف إبرة وقال صلى الله عليه وسلم « موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر (٤) » وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن شجرة من شجر البت وضعت على أهل السموات والأرض لما توارى الله تعالى لأن في كل شجرة اللوت لا يقع للوت بشيء إلا مات (٥) » وروى « لو أن قطر من ألم اللوت وضعت على جبال الدنيا كلها لكانت (٦) » وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت اللوت يا خليلي قال كنفوس جمل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت اللوت قال وجدت نفسي كالصفر حين يقل على اللقى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تلغ يد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان عنده قرح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات اللوت (٧) »

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغصته وأله فقال هو قدر ثلثة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسل ورجاله ثقات (٢) حديث سئل عن اللوت وشدة فقال إن أهون اللوت بمنزلة حكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسل (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم مايلقي مامنه عرق إلا وبألم الموت على حدة ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد ابن عمير مرسل مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولأبي داود من حديث خالد السلمي موت النجاة أخذة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شجرة من شجر البت وضعت على أهل السموات والأرض لما توارى الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت من رواية أبي ميسرة وفيه لو أن أشم شجرة ، وزاد وابن في يوم القيامة التسعين هولا أرباعها هولا يضاعف على اللوت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٦) حديث لو أن قطر من اللوت ولو وضعت على جبال الدنيا كلها لكانت لم أجده أصلا ولعل الصنف لم يورده حديثا فانه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قرح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات اللوت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون بقاء التخييلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الحقيقى وكان عندى أن ذلك من الشرك الحقيقى فقال لى هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الحقيقى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة فوقعت أسطوانة في الجامع فأزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه في الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقعها فهذا هو الاستغراق والقائه بالنعاس ثم قد يشع وعأوه حتى يسه له يكون

وقاطمة رضي الله عنها تقول واكره ان لسكرتك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على أيك بعد اليوم (١) وقال عمر رضي الله عنه لسكرت الأبحار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم بأمر المؤمنين إن الموت كمن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بقرق ثم جذبه رجل شدبدا الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاسله ليسم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارني وأفارقك إلى يوم القيامة (٢) فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن التهمكون في العاصي وتوالي علينا من سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة الزرع كذا كثرناه . اللهابة الثانية

مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والجوف منه على القاب فلو رأى صورته التي تقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته ، فقد روى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال ملك الموت هل تستطيع أن تربي صورتي التي تقبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود قائم الشعر من الرخ أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهب النار والدخان فتش على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت لاصورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي رجل في الدار قتلت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليقين منه عتاء بلاء . داود فرأه فقال من أنت فقال أنا أددى لا أهاب اللوك ولا ينزع مني الحجاب فقال فأنت وأنت إلهك الموت زميل داود عليه السلام كانه (٣) وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجمعة فضر بها رجله فقال تسكمني بإذن الله قتلت ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سر رملي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فإلت ما كان من تلك الجوع كان فرقة وبألت ما كان من ذلك الأتس كان وحشة ، فهذه ذاهية يلقاها الصائد ويكفها اللطيفون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة الزرع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنفس عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما للطبع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتجد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا رجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربه فقال أنا ربه فقال أدخلنيها من هو أملاك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تربي الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه ، ومنها مشاهدة المسكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ميت يموت حتى يترامى له ملكه

متحققا بالفتاة ومعناه روحا وقلبا ولا يفيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فصل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الأذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منظر لنفسه الحق فان وصاحب الانتظار لإذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لامتناهيا للأفعل ولا منظرًا إلا الإذن هو باقي والباقي في مقام

(١) حديث إن قاطمة قالت واكره ان لسكرتك يا ابتاه الحديث البخاري من حديث أنس لفظ واكره ابتاه وفي رواية لابن خزيمة واكره (٢) حديث إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاسله ليسم بعضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هذبة إبراهيم بن هذبة عن أنس وأبو هذبة هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد بإسناد جيد نحوه وإن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه .

السكراتين عمله فان كان مطيعا قال له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سددى أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لجزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخص بسر البت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا. الهادية الثالثة : مشاهدة الصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل للمشاهدة فاتهم حال السكرات قد تحاذلت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمو الله ملك الموت بأحد البشريين إما أشر ياعود الله بالنار أو أجيى ياولى الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الأنلاب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره » حتى يرى مقعده من الجنة أو النار (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذلك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (٢) » وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أرى ساعة هي قادم ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحرام فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما بكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم النار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرعى محسني من محله قد بولته فوجدته حيث أحب فيزل ملك الموت ومعه خمسة من الملائكة ومعه قضبان الریحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره بيشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة سفین لخروج روحه معهم الریحان فنادوا بنظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال يقول له جنوده مالك يا سيدنا يقول أمارتون ما أعطى هذا العبد من السكرامة أن كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصوما (٣) » وقال الحسن لاراحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى قيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا إخوانا ما الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوانا ما عليكم السلام إلى النار أو ينفوا الله وتحن بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . يخوف سوء الحاتمة قطع

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره . حتى يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفا لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عباد بن الصامت ما يشهد بذلك إن المؤمن إذا حضر الموت جبر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر جبر بمذاب الله وعقوبته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عباد بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرعى محسني من محله قد بولته فوجدته حيث أحب فيزل ملك الموت ومعه خمسة من الملائكة ومعه قضبان الریحان فنادوا بنظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال يقول له جنوده مالك يا سيدنا يقول أمارتون ما أعطى هذا العبد من السكرامة أن كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصوما (٣) » وقال الحسن لاراحة للمؤمن إلا في لقاء الله تعالى قيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا إخوانا ما الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوانا ما عليكم السلام إلى النار أو ينفوا الله وتحن بعضهم أن يبقى في الترع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . يخوف سوء الحاتمة قطع

لا يجبه الحق عن
الحق ولا الحق عن
الحق والقائ محبوب
بالحق عن الحق
والقاء الظاهر لأرباب
القلوب والأحوال
والقاء الباطن لمن
أطلق عن وثاق
الأحوال وصار بالله
من الأحوال وخرج
من القاب فصار مع
مقلبه لامع قلبه .
[الباب الثاني والسبعون
في شرح كليات مشيرة
إلى بعض الأحوال في
اصطلاح الصوفية]
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي بن سليمان
إجازة قال أنا أبو الفضل
أحمد بن أحمد قال أنا
الحافظ أبو نعیم

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الوضع ، ولكننا لانطول بذكره وإعادته .

(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبست فشفاه فمى من رحمة الله قد زلت به وإذا غط غطيط الخنوق واحمر لونه وإريدت فشفاه فهو من عذاب الله قد زل به ^(١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ^(٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهدي ما قبلها من الخطايا ^(٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ^(٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا حضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه من عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : احضر واموت كما وكذا كروم قاهم يرون ملائكة وقنوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا فترك لحية فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكته يقول لا إله إلا الله فخر له بكلمة الاخلاص ^(٥) » ويبنى للفقن أن لا يبلغ في التلقين ولكن يتلطف فرميا لا يطق لسان المريض فيشقى عليه ذلك ويؤدى إلى استئصاله التلقين وكراهته للكلمة ويحتمى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوبا بالدين ملتفتا إليها متأسفا على لغاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن ينشغل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل وائلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشررت على هلكة ولكن أرجو رحمة ربي فبكر وائلة وكبر أهل البيت بتكبيره . وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أناعد ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ^(٦) » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك قال أرجو الله وأخافه ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جمعا في قلب عبد في مثل هذا

(١) حدث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودفرت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهدي ما قبلها من الخطايا (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وصي في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طاحه وهو ضعيف (٦) حديث دخل وائلة ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أناعد ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ابن حبان المرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جرما .

الأسفهانى قال تناهده ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم الكنى قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من معادن التقوى صلتك إلى ما قد علمت علم مالم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما زهد الرجل في علم مالم يعلم قلة الانتفاع بما قد علمه فتنازع الصوفية أسكوا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما طهروا لموضع خوارم قطعهم الله تعالى مالم

للوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف^(١) وقال ثابت البناني كان شاب به حدوث وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يا بني إن لك يوما فاذا كر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذرك مصرك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لي ربا كبير للرفوف وإني لأرجو أن لا يصدني اليوم بعض معروفه ، قال ثابت فرحه الله بحسن ظنه بـ ربه . وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني تومي بشيء قال نعم خاتمي لانتسبيني فإن فيه ذكر الله تعالى ففعل الله رحمتي فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن السكعة قد نعتني وأن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي فقيل له إنك غوت فقال ابن يذهب بن قالوا إلى الله قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو العتمر بن سليمان قال يا بني الحاضرة الوفاة يا معتمر حدثني بالرخصل إلى أني الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستجون أن يذكروا لبيد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بـ ربه

(بيان الحسرة عند لقاء ملك اللوت بحكايات يعرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سألت إبراهيم عليه السلام ملك اللوت واسمه عزرائيل وله عتبان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك اللوت ما تصنع إذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الوهاب بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أَدْعُو الأرواح بأذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد حدثت به الأرض فتركت مثل الطلثت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام ملك اللوت عليه السلام مالي لأراك التمدل بين الناس فأخذ هذا وتدع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي مصفا أو كذب تلقى إلى فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدعا بنياب ليليساف ثم تجهه فطلب غير هاجق ليس ما يحب بعدمرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فتم تجهه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاءه إبليس فنفخ في منخره نفخة فلأه كبرها ثم سار وسارت معه الحيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرافجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم ير عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل البجام فقد تطايت أمرا عظيما قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فسارمه وقال أنا ملك اللوت فخير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضى حاجتي وأودعهم قال والله لا ترى أهلك وتعلم أبدا تقبض روحه غمرك أنه خشيته ثم مضى فلم يبق عبدا مؤثما في تلك الحال فلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقالت فسارمه وقال أنا ملك اللوت فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك فقال ملك اللوت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر لي أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم إن أمرت بذلك قال فدعني حتى أتومنا وأمسلي ثم أقبض روحي وأنا ساجد تقبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبيته أروني أوصاف أموالي فأتى بشيء كثير من الحيل والابل والريق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه فرأى ملك الموت وهو يكى فقال له ما يبكيك فو الذي خولك ما أنا بخارج من مترك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرق قال فهيات اطعمت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه . وروى أن رجلا جمع مالا فأوصى ولم يدع صنفا من المال إلا أخذته وأبقي قصرا وجعل عليه بايين وثيقين وجمع عليه حراسا من غلماناه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما وقصد على سريرته ورفع إحدى رجله على الأخرى وهم يأكلون

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخافه وذو القربى الحديث تقدم.

يسفوا من غرائب
المولود ودقيق الاشارات
واستنبطوا من كلام
الله تعالى غرائب العلوم
ومحائب الأسرار
وترسخ قدمهم في العلم
قال أبو سعيد الخزاز
أول القهم لكلام الله
العمل به لأن فيه العلم
والفهم والاستنباط
وأول الفهم إلقاء السمع
والمشاهدة لقوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد .
وقال أبو بكر الواسطي
الراسخون في العلم هم
الذين رسخوا بأبوابهم
في غيب القريب وفي
سر السر فرفعهم
ما عرفهم وأراد منهم
من مقتضى الآيات

فما فرغوا ، قال يانسى انسى لسنين قد جمعت لك ما يكيفيك فم فرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه خجلة يتشبه بالمساكين قرح الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعوه وهو على فراشه فوثب إليه الفلمان وقالوا ماشأناك فقال ادعوا إلى مولانا كم قالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فسلم به وفعلتم فصرع الباب قرعة أحد من الأولي فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الدل والتخضع فقال قولوا له قولنا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتي عن عبادة ربى ومنعتنى أن آخذنى لربى فأطلق الله الال فقال لم تصبى وقد كنت تدخل على السلاطين بى وبرد التقى عن باهم وكنت تنسك التمتع بى وتجلس بجالس للوك بى وتتفقى في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو أنفقنى في سبيل الخير لفتحك وتجلس وابن آدم من تراب فنتطق ير ومنطلق باسم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب منى منه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة قال الأرض مثله عرج إلى السماء وقالت اللائكة لمن كنت أحد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحبته لقربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا تمتد له بها فقلت اللائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحانه اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال قبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان البديل لفرس الفراس وينسك الأزواج وبينى البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فباخذ ملك الموت بضادى الباب فيقول والله ما كنت أرزقا ولا أقبض له عمرا ولا انتصت له أجلا وإن لى فيكم لمودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لسهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشى بينا جبار من الجبابرة من بنى إسرائيل جالس فى منزله قد خلا مريض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مضطبا فقال له من أنت ومن أدخلك على دارى فقال أما الذى أدخلنى الدار فربها وأما أنا فالكى لابعث منى الحجاب ولا أستاذن على للوك ولا أخاف مولة السلاطين ولا ينتع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مرید قال فسقط في يد الجبار وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت مجلى حق أحدث عهدا قال هيأت انقطعت مدتك وانت قد انقضت سعادتك فليس إلى تأخرك سبيل قال فإلى أين تذهب بى قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهمته قال فإنى لم أقدم عملا صالحا ولم أؤمد بيتا حسنا قال فإلى انظر نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارخ وبك قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء الثقل كان الدويل على ذلك أكثر وعن الأعمشى عن خيمته قال دخل ملك الموت على سلمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيت به ينظر إلى كاهى ردى قال فلماذا تريد قال أريد أن تخلصى منه فأمر الربح حتى تحملنى إلى أقصى الهند فقامت الربح بذلك ثم قال سلمان لملك الموت بعد أن أقام ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى . قال نعم كنت أنتعج بمن لأنى كنت أموت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فمجبى من ذلك.

مالم يرد من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالقهم لطب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الحزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من القهم ومجائب النصوص فاستخرجوا الدر والجواهر ونطقوا بالحكمة . وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه سفیان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة أنه قال إن من العلم كهيئة المنكون لا يملأه إلا الماء بالله فإذا انطوا به لا ينسكه إلا أهل القرة بالله . أخبرنا أبو زرعة قال

يقنطرون وقد قال تعالى
على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم (يٰٓزَيْنَبُ) في
هو العلم القدسي الذي
قال الله تعالى في حق
الحضر - آيينه رحمة
من عندنا وعلمنا من
قد علمنا - فمما دونه
السنن من الكلمات
تضاهي بعضهم البعض
وإفرازهم إلى أحوال
بمجموعها ومعاملات
قلبية يعرفونها قولهم
الجامع والتفرقة قليل أصل
طبيخ والتفرقة قوله تعالى
شهد أنه لا إله إلا
هو - فمما دونه من فرق
تصادموا للاشكك وأولوا
جمعه قوله تعالى -
بأنه - فمما دونه من فرق
قوله - وما أنزلنا -
وإجماع أصل والتفرقة

أَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يَشَاطِرُواكُمْ الْفَارِ أَلَمْ يَوْسِعُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّبَارِ أَلَمْ يَأْتُواكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِمُ الْخَاصَّةُ
أَلَا فَنَ وَلَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيَلْقِيَهُنَّ مِنْ حَسَنِهِمْ وَلِيَجْازِيَ عَنْ مَسِيئَتِهِمْ أَلَا وَلَا تَسْتَأْذِنُوا عَلَيْهِمْ
أَلَا وَإِنِّي قَرِئْتُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَحْقِقُونَ بِي أَلَا وَإِن مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ حَوْضِي أَعْرَضَ عَمَّا بَيْنَ بَصَرِي الشَّامِ
وَصَعْنَةِ الْهَيْئِ يَصِبُ فِيهِ مِزَابُ الْكَوْثَرِ مَاءٌ أَشَدُّ يَاضًا مِنَ الْبَيْتِ وَأَلَيْنَ مِنَ الزَّيْدِ وَأَحْلَى مِنَ الصَّبَدِ
أَلَا فَنَ مِنْهُ لَمْ يَنْظُمًا أَبَدًا حِصَابُهُ الْوُكُوفُ وَبَطْحَاؤُهُ السَّلَكُ مِنْ حَرَمِهِ فِي الْوَقْتِ غَدَاةً حَرَمَ الْخَيْرِ
أَلَا فَنَ أَجَبَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى غَدَاةٍ فَلْيَكْفِفْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا عَمَّا يَنْهَى قَالَ الْبَاسُ يَا بَنِي أَهْلَ الْوُسْ قَرِئْتُ
قَالَ إِنَّمَا أَوْصَى بِهَذَا الْأَمْرَ قَرِئْتُهَا وَالنَّاسُ تَبِعَ قَرِئْتُ بِرَمِّ لَبَرَمٍ وَفَاجِرَمٍ فَهَاجِرَمٍ فَاسْتَوْصُوا
أَلْ قَرِئْتُ بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَبَا النَّاسِ إِنْ الْقَنُوبُ تَغَيَّرَ النِّمَّ وَتَبَدَّلَ الْقَصَمُ فَذَا بَرِ النَّاسِ بِرَمِّ أُنْثَمِ
وَإِذَا فَجَرِ النَّاسِ عَقُومُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ نَوَى بِضَى الظَّالِمِينَ بَسْمًا عَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١)
وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ
قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلُ فَقَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَتَدَلَّى قَالَ لَيْتَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا عَدَدَ اللَّهُ قَلْبِي شَعْرِي
عَنْ مَنَاقِبِكَ قَالَ إِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْغَيْثِ ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْأَوْيِ وَالْقُرْدُوسِ الْأَعْلَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى
وَالرِّيقِ الْأَعْلَى وَالْحِطِّ وَالْمَيْسِ لِلَّهِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ عَلَى غَسَلِكَ؟ قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى الْأَدْنَى
قَالَ فَصَبِّ نَسْفَكَكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةِ بَيْتَانِي وَفِي يَاضِ مَعْرِ قَالَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَنَا
وَبَكِيْنَا وَبَكِيْنَا ثُمَّ قَالَ مَهْلَا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَيْبِكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفْتُمُونِي فَضَمُونِي
عَلَى سِرِّي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُوا عَنْ سَاعَةِ قَانِ أُولَسْنَ يَصِلُ عَلَى أَهْلِ عَزْوَ جِلْهَوِ
الَّذِي يَصِلُ عَلَيْكُمْ وَمَلَانِكْتُهُ - ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى قَاوُلٍ مِنْ يَدْخُلُ عَلَى مَنْ خَلَقَ اللَّهُ
وَيَصِلُ عَلَى جِبْرِيلَ ثُمَّ مِيكَائِيلَ ثُمَّ إِسْرَافِيلَ ثُمَّ مَلَكُ اللَّوْتِ مَعَ جُنُودِ كَثِيرَةٍ ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى
اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّ فَادْخَلُوا عَلَى أَفْوَاجٍ فَضَلُّوا عَلَى أَفْوَاجٍ زُمَرَةٌ وَسَلَمُوا سَائِلًا وَلَا يُؤْذَنُ
بِزَكَاةٍ وَلَا مِصْبَحَةٍ وَلَا رَنَةٍ وَلَيْدًا مِنْكُمْ الْإِمَامُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ثُمَّ زَمَرُ النِّسَاءِ ثُمَّ زَمَرُ الصِّبْيَانِ
قَالَ لَنْ يَدْخُلَكَ الْقَبْرِ؟ قَالَ زَمَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا زَمَرَهُمْ وَهُمْ رَوْنَهُمْ
قَوْمُوا فَأَدَاوْا عَنِّي إِلَى مَنْ يَسُدُّ (٢) « وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْرَةَ جَاءَ بِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ فَأَذَنَ
بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصِلُ بِالنَّاسِ نَفَرَجَتْ فَمِنْ أَرَبْ حَضْرَةِ الْبَابِ لِإِعْمَرِي
رَجُلًا لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ قَدْ يَأْمُرُ فَصَلَّ النَّاسُ قَامَ عَمْرٌ فَلَا كِبَرَ وَكَانَ رَجُلًا مَبْنِيًا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِالنَّكِيرِ قَالَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ذَلِكَ وَالسَّلَوْنُ قَالَتَا ثَلَاثَ
مَرَاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقُ
الْقَلْبِ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ فَقَالَ إِنَّكَ نَ صَوْبِحَاتٍ يُوسُفُ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ

(١) حَدِيثُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَزْدَادُ تَحَلُّا طَافُوا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْبَاسُ فَأَعْلَهُ بِكَتَمِهِمْ وَإِسْفَاقِهِمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثُ فِي خُرُوجِهِمْ وَكَتَمَتْ
مَصُوبُ الرُّأْسِ يَحْطُرُ رَجُلِيهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَذَكَرَ خَطْبَتَهُ بِطَوْلِهَا وَحَدَّثَتْ
مُرْسَلٌ شَيْفٍ وَفِيهِ نِكَارَةٌ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خُرَّازٍ بِنُ الْأَزْوَ رَوَى تَابِي. رَوَى عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ سَعِيدٌ لَيْسَ بِالْقَوِي (٢) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ سَلِّ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلُ فَقَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلُ الْحَدِيثُ فِي
سَوَائِهِمْ لَمْ يَنْظُمًا أَبَدًا حِصَابُهُ الْوُكُوفُ وَبَطْحَاؤُهُ السَّلَكُ مِنْ حَرَمِهِ فِي الْوَقْتِ غَدَاةً حَرَمَ الْخَيْرِ
أَلَا فَنَ مِنْهُ لَمْ يَنْظُمًا أَبَدًا حِصَابُهُ الْوُكُوفُ وَبَطْحَاؤُهُ السَّلَكُ مِنْ حَرَمِهِ فِي الْوَقْتِ غَدَاةً حَرَمَ الْخَيْرِ
أَلَا فَنَ أَجَبَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى غَدَاةٍ فَلْيَكْفِفْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا عَمَّا يَنْهَى قَالَ الْبَاسُ يَا بَنِي أَهْلِ الْوُسْ قَرِئْتُ
قَالَ إِنَّمَا أَوْصَى بِهَذَا الْأَمْرَ قَرِئْتُهَا وَالنَّاسُ تَبِعَ قَرِئْتُ بِرَمِّ لَبَرَمٍ وَفَاجِرَمٍ فَهَاجِرَمٍ فَاسْتَوْصُوا
أَلْ قَرِئْتُ بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَبَا النَّاسِ إِنْ الْقَنُوبُ تَغَيَّرَ النِّمَّ وَتَبَدَّلَ الْقَصَمُ فَذَا بَرِ النَّاسِ بِرَمِّ أُنْثَمِ
وَإِذَا فَجَرِ النَّاسِ عَقُومُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ نَوَى بِضَى الظَّالِمِينَ بَسْمًا عَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١)
وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ
قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلُ فَقَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَتَدَلَّى قَالَ لَيْتَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا عَدَدَ اللَّهُ قَلْبِي شَعْرِي
عَنْ مَنَاقِبِكَ قَالَ إِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْغَيْثِ ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْأَوْيِ وَالْقُرْدُوسِ الْأَعْلَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى
وَالرِّيقِ الْأَعْلَى وَالْحِطِّ وَالْمَيْسِ لِلَّهِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ عَلَى غَسَلِكَ؟ قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى الْأَدْنَى
قَالَ فَصَبِّ نَسْفَكَكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةِ بَيْتَانِي وَفِي يَاضِ مَعْرِ قَالَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَنَا
وَبَكِيْنَا وَبَكِيْنَا ثُمَّ قَالَ مَهْلَا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَيْبِكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفْتُمُونِي فَضَمُونِي
عَلَى سِرِّي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُوا عَنْ سَاعَةِ قَانِ أُولَسْنَ يَصِلُ عَلَى أَهْلِ عَزْوَ جِلْهَوِ
الَّذِي يَصِلُ عَلَيْكُمْ وَمَلَانِكْتُهُ - ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى قَاوُلٍ مِنْ يَدْخُلُ عَلَى مَنْ خَلَقَ اللَّهُ
وَيَصِلُ عَلَى جِبْرِيلَ ثُمَّ مِيكَائِيلَ ثُمَّ إِسْرَافِيلَ ثُمَّ مَلَكُ اللَّوْتِ مَعَ جُنُودِ كَثِيرَةٍ ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى
اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّ فَادْخَلُوا عَلَى أَفْوَاجٍ فَضَلُّوا عَلَى أَفْوَاجٍ زُمَرَةٌ وَسَلَمُوا سَائِلًا وَلَا يُؤْذَنُ
بِزَكَاةٍ وَلَا مِصْبَحَةٍ وَلَا رَنَةٍ وَلَيْدًا مِنْكُمْ الْإِمَامُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ثُمَّ زَمَرُ النِّسَاءِ ثُمَّ زَمَرُ الصِّبْيَانِ
قَالَ لَنْ يَدْخُلَكَ الْقَبْرِ؟ قَالَ زَمَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا زَمَرَهُمْ وَهُمْ رَوْنَهُمْ
قَوْمُوا فَأَدَاوْا عَنِّي إِلَى مَنْ يَسُدُّ (٢) « وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْرَةَ جَاءَ بِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ فَأَذَنَ
بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصِلُ بِالنَّاسِ نَفَرَجَتْ فَمِنْ أَرَبْ حَضْرَةِ الْبَابِ لِإِعْمَرِي
رَجُلًا لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ قَدْ يَأْمُرُ فَصَلَّ النَّاسُ قَامَ عَمْرٌ فَلَا كِبَرَ وَكَانَ رَجُلًا مَبْنِيًا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِالنَّكِيرِ قَالَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ذَلِكَ وَالسَّلَوْنُ قَالَتَا ثَلَاثَ
مَرَاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقُ
الْقَلْبِ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ فَقَالَ إِنَّكَ نَ صَوْبِحَاتٍ يُوسُفُ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ

فَرَعَ فَكَلَّ جَمْعَ
بَلَا خُمْرَةٌ زَنْدَقَةٌ
وَكُلَّ خُمْرَةٌ بِلَا جَمْعِ
تَعَطَّلَ . وَقَالَ الْحَمِيدُ
الْقَرَبُ بِالْوَجْدِ جَمْعِ
وَضِيئَةٌ فِي الْبُشَيْرَةِ
خُمْرَةٌ وَقِيلَ جَمْعُهَا فِي
الْمَرْفَعَةِ وَفَرَقَهُمْ فِي
الْأَحْوَالِ وَالْجَمْعُ إِصْطِلَاحٌ
لَا يَشَاهِدُ سَاحِبَهُ إِلَّا
الْحَقُّ فَقَدْ شَهِدَ غَيْرُهُ
فَأَجْمَعُ وَالْخُمْرَةُ شَهَادَةُ
لِمَنْ شَاءَ بِالْمُبَانِيَةِ
وَعِبَارَتُهُمْ فِي ذَلِكَ
كَثِيرَةٌ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ
أَشَارُوا بِالْجَمْعِ إِلَى
تَعْبِيرِهِمُ التَّوْحِيدَ
وَأَشَارُوا بِالتَّفَرُّقِ إِلَى
الْاِكْتِسَابِ فَهِيَ هَذَا
لَا جَمْعَ إِلَّا بِشَرْقَةٍ
وَيَقُولُونَ فَلَانِ فِي عَيْنِ
الْجَمْعِ يَتَوَلَّى اسْتِغْلَاةً

قال صلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمة بعد ذلك وبحكم ماذا صنعت في والله لو لا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما صنعت فيقول عبد الله إن لم أر أجدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما في الخلافة من المخاطرة والمالكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله يجسدون ويوتون عليه ويتشامدون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءه وعصمه الله من كل ما عوفت عليه من أمر الدنيا والدين (١) وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرقوا عنه إلى جبالهم وحواليهم مستبشرين وأخوارا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فيينا نحن على ذلك لم تكن على مثل حالتنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجني عن هذا للثك يستأذن علي» فخرج من في البيت غيры ورأسه في حجرى وجلس وتحت في جانب البيت فاجى الملك طويلا ثم إنه دعا فأعادورأسه في حجرى وقال لفتوة ادخلني قتلها هنا جسر جبريل عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك اللوت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقضت حتى تأمرني فإذا أمرك قتلها كلف عنى حتى يأتيني جبريل عليه السلام فينه ساعة جبريل قاتلت عائشة رضي الله عنها فاستبنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجنا وكأنا ضربنا بصاحبة ما يحير إلى شيء وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته وسلم فرقت حه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمك قال أجدنى وجها قال أضر فان الله تعالى أراد أن يملك ما عدك قال يا جبريل إن ملك اللوت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يهلك الذى يريدك لا والله ما استأذن ملك اللوت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يبعى وأذن لهناء فقال باطامة ادنى فأكبث عليه فاجاها فرضت رأسها وعيناها تسمع وما تطيق الكلام ثم قال ادنى منى رأسك فأكبث عليه فاجاها فرضت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فأسألت بعد ذلك قاتلت أخبرني وقال إنى ميت اليوم فكبت ثم قال إني دعوت الله أن يهلك بي في أول أهل وأن يهلك منى فضحك وأدنت أنفها منه فشمها قالت وجاء ملك اللوت فسلم وأسأذن فأذن له فقال الملك ما تأمر بنا محمد قال ألتحقى برى الآن قال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد ترده عنك

(١) حديث عبد الله بن زمة جاء به بال في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله قالت عائشة إن أبا بكر رجلا رقيق إلى آخره ولم يقل في أول ربيع الأول وقال مروا من يصل بالناس وقال يأبى الله ذلك ولؤلؤ منون مرتين وفى رواية له قال لا لا لا ليصل للناس ابن أبى حمزة يقول ذلك منضبا وأماما في آخرهم من قول عائشة فى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يارسول الله إن أبا بكر رجلا رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء قال إنك من صواحب يوسف مروا أبا بكر بصكر فليصل بالناس .

مراقبة الحق على باطنه
فاذا عاد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة
ضحة الجمع بالفرقة
وحمة التفرقة بالجمع
فهذا يرجع حاله
إلى أن الجمع من العلم
بالله والتفرقة من العلم
بأمر الله ولابد منهما
جما . قال الزين
الجمع عين القاء بالله
والتفرقة البسودية
متصل بينهما بالضم
وقد غلط قوم وادعوا
أهم في عين الجمع
وأعادوا إلى صرف
التوحيد وعطلوا
الاكتساب فزندقوا
وإنما الجمع حكم الروح
والتفرقة حكم القالب
وما دلم هذا التركيب
بائيا فلا بد من الجمع

ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بأذن غيره ولكن ساعدك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقي لا والذي بئس محمد بالحق ما لي البيت أحد يستطيع أن يجير إليه في ذلك مكة ولا يمشي إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قالت قممت إلى النبي ﷺ حتى أضمر رأسه بين ثديي وأمسكت بصدروه جعل يضيء عليه حتى يطلب وجهه ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط لحملت أسلت ذلك الفرق وما وجدت راحة شيء أطلب منه فكنيت أتول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي وتقي وأهلي ما تلقى جهنم من الرشح قال يا عائشة إن نفسي المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شقيقه كنفس الحمار فتند ذلك ارتنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهد أخى يشه إلى أبي فثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وإنما صدم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمى عليه قال بل الرقيق الأملح كان الحيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متناكبين ما صلتم جميعاً الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بغضظة

(١) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوالهم مستبشرين وأخلاء رسول الله ﷺ بالنساء فينا نحن في ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجني عنى ، هذا الملك يستأذن على الحديث يطوله في يجيى ملك الموت ثم ذهابه ثم يجيى جبريل ثم يجيى ملك الموت ووفاته ثم صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي ونصي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأرفق به في قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذانه في قبضه فقال بأمك الموت أين خلفت حبيبي جبريل قال خلفته في صاء الدنيا ولللافة يمزونه فيك لما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أذن بأمك الموت فأنته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فدنا ملك الموت إلى قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد التميم بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضا متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني أيضا من حديث الحسين بن علي أن جبريل جاءه وألقاه له عن ربه كيف تجدك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولافاً ثم استأذن ملك الموت وقوله امضى لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجيى ملك الموت أولاً واستئذانه قوله إن ربك يقرئك السلام فقال ابن جبريل فقال هو قريب منى الآن يأتي فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع منكر الحديث. (٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والنفسرة . وقال الواسطي إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت . وإذا كنت قائماً بربك فانت فأن بلا جمع ولا نفرة . وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة أنه إذا أثبت نفسه حكماً ونظراً إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء الخلق فهو في الجمع ومجموع الاشارات بنى أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظراً إلى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فإذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما قبلت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل أبي فمأقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها «لما مات رسول الله ﷺ أقحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما نكلمكم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاتوا الكلام بنير بيان وبني آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى

الله عليه وسلم لم يمت وليرجمه الله عز وجل وليقطن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمشون رسول الله صلى الله عليه وسلم نالوت إنما وأعد الله عز وجل كما وأعد موسى وهو أتيتكم^(١)» وفي رواية أنه قال : بأبها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما هي فانه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فحصل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أبدى بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يرفعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبابكر الحبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يمدح محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يسب مدح محمد فانه حتى لا يمتدح قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أن أنزلنا من قبله ما نعلم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا بيوث وفي رواية : أن أبابكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تملان بغضمه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخداه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي وتضى وأهلى طبت

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أقحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ اللاتكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجمه الله عز وجل وليقطن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يمشون رسول الله صلى الله عليه وسلم نالوت إنما وأعد الله عز وجل كما وأعد موسى وهو أتيتكم^(١)» وفي رواية أنه قال : بأبها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسفي هذا . وأما هي فانه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فحصل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أبدى بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يرفعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبابكر الحبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يمدح محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يسب مدح محمد فانه حتى لا يمتدح قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أن أنزلنا من قبله ما نعلم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا بيوث وفي رواية : أن أبابكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تملان بغضمه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخداه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي وتضى وأهلى طبت

أثبت طاعته نظرا إلى كسبه فرق وإذا أثبتا بالله جمع وإذا تحقق بالقضاء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال غرة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . مثل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال : أففى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كالم فكان الكلام والكلم هو وحكىف كان يطبق موسى حمل الخطاب ورده الجواب لولا يلما مع ومعنى هندا أن الله تعالى منحه قسوة بتلك

حيا وميتا اقتطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة فضظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخضعت حتى صرت سلاطة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدا لحزنك بالنفوس ولولا أنك تبيت عن البكاء لأخذنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع فيه عنا فكند وأدرك عائلان لا يرخان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولكن من بالك فولا ما خلفت من السكنة لم يتم أحد لما خلفت من الوحدة اللهم أبلغ نيك عنا واحفظه فينا (١). وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأتى عجم أهل البيت يحجبهم أهل الصل كما ذكر عيشا فآزادوا لما سكن يحجبهم إلا نسلج رجل على الباب صبت جلد قال السلام عليكم يا أهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خفا من كل أحد ودركا لكل رغبو فاجتمع كل عاقبة فأله فارجوا وبه فتقوا فاستمعوا له وأكروه وقطعوا البكاء فلما اقتطع البكاء قد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته بأهل البيت اذكروا الله وأحمدوه على كل حال تهبكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فاته فأطيعوا وأبأمره فأطيعوا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع عليها السلام حضرا التي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى القصاص بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أب بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلجان وغصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقمل ذاك فأك عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحفظه فينا إن في الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في صماع التعزية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عاقبة فاته فارجوا وبه فتقوا ثم صموا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فاته فأطيعوا وأبأمره فأطيعوا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع لم أجبه ذكر البسع وأما ذكر الحضر في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بل قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس وبمسححه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله ليكون تدخل عليهم رجل طويل شعر للشكيبين في إزار ورداء ينخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بضادني باب البيت فيبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فاته وخلفا من كل هالك قال في الله تعالى فأنيوا ونظروا إليكم في البلاد فانظروا فان للصاب من لم يجره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فظفروا بيننا وشمالا ثم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخو نينا عليه السلام جاء بمزينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء آن نسمع حمولا نرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك وذكر من كل فاته فاته فتقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم قال علي بن تدرون من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والعرف عن علي بن الحسين مرسل من غير ذكره على كما رواه الشافعي في الأموليس فيذكر الحضر.

القوة مع ولولا

تلك القوة ما قدر

على السمع ثم أنشد

القاتل مثملا :

وبدا له من بعد

ما اندمل الهوى

بق نائي موها

لما نه

يدو كاشية الرداء

ودوه

صحب البرى منمنع

أركانها

فبدا ينظر كيف لاح

فلم يطق

نظرا إليه ورهه

أشجانه

فالنار ما شتمت عليه

شأوه

ولما ما جمعت به

أحجانه

ومنا قولهم التحل

والاستار . قال الجنيدي

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده منزه عن عيبه ونقص عبده وعلب الأحزاب وحده لله الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كآزول وأن الدين كآسرع وأن الحديث كآحدث وأن القول كآقل وأن الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومغافلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام التقيين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقام محمودا يضيئه به الأولون والآخرون وانصبا مقامه المحمود يوم القيامة واخفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كاصليت وباركت على إبراهيم وإسماعيل حين جعدهما أبنا للناس إنه من كان يعبده محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبده الله فإن الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم إليك في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعدته على ما عندكم وقضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالناسط ودوننا مشغلين الشيطان يموت نيبيكم ولا يغتنمكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجلوه ولا تستظفروا فليعلم بكم ريختكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبه قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا: كذا وكذا وأيام كذا: كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإنهم ميتون - فقال والله لك أني أسمع ما في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كآزول وأن الحديث كآحدث وأن الله حي لم يموت - إن الله وإنما قد وانا إليه راجعون - واصلوات الله على رسوله وعند الله تحسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لجلسه قالوا : والله ما ندري كيف تنسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبجده عن ثياب كآ نصنع بموتنا أو أنفسه في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى مايق منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره ما تسمع قال فإني لا يدري من هو عدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فاندبوا ففعلوا ذلك فنسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قميصه فتودنا لا نخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررناه ففعلناه في قميصه كما تنسل موتانا مستقبلي ما شاء أن يلقب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نرغم منه وإن معنا لحفيا في البيت كآ ربح الرخاء وبصوت بنا ارفقوا برسول الله ﷺ فانكم ستكفون فكذلك كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك صيدا ولا ليدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحدته بمفرش وقطيفة ونفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والفرش ثم وضع عليها في أكفانه ثم برك بحد وفاته مالا ولا يبقى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قطبة على قصبة ^(١) في وفاته عبرة تامة للمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حدث أبي جعفر فرش لحدته بمفرش وقطيفة وفيه فلم يترك بحد وفاته مالا ولا يبقى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع الفرشة والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بقي في حياته فقد تقدم أيضا .

إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجليل والتذويب للأولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجليل راجع إلى ظهور صفات النفس . (ومنا الاستتار) وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القاب (ومنا التجلي) ثم التجلي قد يكون بطريق الأفعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على المحسوس موضع الاستتار رحمة منه

لمسرك ما بيني الثراء عن الفنى إذا حشرت يوما وصاق بها الصدر
فكشفت عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تعيد - انظروا نوبى هذين فاعلموا ما كنتم توفى فيهما فان الحى إلى الجديد أحوج من الميت .
وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع التامى عصمة للأرامل

قال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا ينظر إليك؟
قال قد نظر لى طبيي وقال إني ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه
بعده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله فاعل عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاءك « واعلم أن
من صل صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تضرن الله في ذمته فيبك في النار على وجهك ، ولما نقل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخاف عمر رضى الله عنه فقال الناس
له استخلفت عينا فظا غليظا فإذا تقول لربك فقال أقول استخافت على خلقك خير خافك ثم أرسل
إلى عمر رضى الله عنه فجاهد فقال إني موصيك بوصية . اعلم أن فة حقا في التبار لا يخفيها إلا بالوأن
فة حقا في الليل لا يخفيها في النهار وأنه لا قبيل النافعة حتى تؤدى الفريضة وإما قلت موازين من قلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وقته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يقل
وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفت عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ويجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء . فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم وورد عليهم ما لى الذى عملوا
فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون للؤمن رغباءها
ولا يأتى يديه إلى التأسك ولا يمتنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب
إليك من الموت ولا يبدلك منه وإن ضيبت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا يبدلك
منه ولست بمعجزه ، وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زدونا فانا نراك لما بك . قال أبو بكر من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق البين قالوا وما الأفق البين ؟ قال فاع بين يدي العرش
فيه رياض الله وأشجار وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا
الساكن : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا
للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير . اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت
منهم ذميا وسعيدا وغويا ورشيذا فلاتشقى بمعاصيك . اللهم إنك علقت ماتكسب كل نفس قيل
أن تخلقها فلا تحصر لها مما جعلت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيتك أن أشاء ما يقربني إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تتحرك شيء
إلا بأذنك فاجعل حركاتي في ثوبك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عملا
يعمل به فاجعلني من خير التسمين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا
فاجعلني من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيق به صدورهم فأشرك صدرى
للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأجني بيد الموت حياة
طيلة وقربي إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى تمته ورجاؤه غرك فأنت تقوى ورجاؤى ولا حول
ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل .

لهم ولغيرهم فأما لهم
فلا تهم به يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لغيرهم فلا تولوا مواضع
الاستئثار لم ينفع بهم
لاستئثارهم في جمع
الجمع وبروزهم فله الواحد
الشهارة . قال بعضهم
علامة تجللى الحق
لأسرارها وأن لا يشهد
السر ما يسلط عليه
التعبير ويحويه الفهم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
اجلال . وقال بعضهم
التجلى رضى حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستئثار أن تكون
البشرية حائلة بينك
وبين شهود القريب .
(ومنها التعجيب والتفريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر مائقي وبينه والإباعد الله بن عباس وكان إذا مرّ بين الصنين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استوتوا حتى إذا لم يرفهيه خلا تقدم فسكر قال ورب ما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فمأهوا إلا أن كبر فسمته يقول قتلني أو كفى السكيب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار الملعج يسكن ذات طرفين لا يمر لي أحد بيتنا أو عمالا إلا اطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برسا فلما ظن الملعج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه قائماً من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأمانوا لي السجود ما يدرون ما الأمر غير أنهم قد قعدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله صلى الله عليه عبد الرحمن صلاة خديفة فلما انصرفوا قال يابن العباس انظر من قتلت قال فضاب ساعة ثم جاء فقال غلام البيرة بن شيعة قال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكرمهم رفيقاً فقال ابن عباس إن شئت ضلت : أي إن شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانك وصلا إلى قتلكم وجواحبكم فاستحل إلى بيته فأنطلقنا معه قال وكان الناس لم تقسم مصيبة قبل يومئذ قال قتال يقول أخاف عليه وقائل يقول لأبأس فأني بنيذ فخرت منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فخرت منه فخرج من جوفه فصرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبتري أمير المؤمنين يشرى من الله عز وجل قد كان لك محبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قدم في الاسلام ما قد فعلت ثم وليت فضلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كما فاعلا لاي وللي فلما أدر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال ردوا على الفلام فقال يابن أخي ارفع يديك فاني لوبك وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما لي من الدين لحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً ونحوه فقال إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدى بن كعب فإن لم تفأ أموالهم فسل في قريش ولا تقدم إلى غيرهم وأدعني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة قل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدوها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبه فقالت كنت أريده لنفسى ولأولادته اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارضوني فأستند رجل إليه فقال ما لي الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أدنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قبضت فأخوفني ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أدنت لي فأدخلوني وإن ردوني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يستترن فلما رأناهما قننا فولبت عليه فيكث عنه ساعة واستأذن الرجال فوالت داخلها فسمعا بكاهما من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء الغر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمي علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كثيرة التهمة له فان أصابت الامارة سعدا فذاك وإلا فليستن به أيكم أمرفاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وقال أوصي خليفتي من بعدى باللهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمته وأوصي بالأنصار خير الذين تبوؤ والدار والإيمان من قبلهم أن يبل من محبتهم وأن ينفو عن مسيئهم وأوصي بأهل الأوصياء خير أقاتهم رده الاسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يخصه لا ياتي بما ياتي به نظراً إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف بمن حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وإحياداً والتفريد أن لا يرى نفسه فيما ياتي به بل يرى مئة الله عليه فالتجريد بنى الأغيار والتفريد بنى نفسه واستغفراته في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن حجبها (ومنها هو وجد والتسواجد والوجود) فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحاً أو حزناً ويضيره عن هيئته

وجبة الأموال وغيظ المدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضائهم وأوصيه بالأعراب خيرا فافهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويرد على قترانهم وأوصيه بمنة الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بمهدم وأن يقاتلهم من وراءهم ولا يكافهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحشى فلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فتألت أدلوهم فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر (١) » وعن ابن عباس قال « موضع عمر على سريره فكشفته الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيه فلم يرعني إلا رجلا قد أخذ بمكسي فانفتحت فاذا هو بي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وإيم الله إن كنت لأظن لي جيلتك الله مع صاحبك وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر (٢) » فاني كنت لأرجو أو لأظن أن يجيئك الله بهما .

(وفاة عثمان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أنبت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهى خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلوا فيه ماء خربت حتى رويت حتى لى لأجد رده بين يدي وبين كفى وقال لى إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أظفرت عندنا فاخترت أن أظفر عندك فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لى حضر : تحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشطح ؟ قالوا معناه يقول : اللهم اجمع أمه محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قل والذى نفس يده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال اتوني صاحبك الذين ألبا على قال فجئ بهما كأنما هما حملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم للدينة وليس بها ماء يستدب غير بشر رومة فقال من يشترى رومة يجعل دلوها مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتم اليوم تمنون أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أى جيزت جيش السرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فزيد بها في المسجد غير منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتم اليوم تمنون أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فحرك الجبل حتى تساقطت حجراته بالخصيص قال فركفته برجله وقال اسكن ثبير فما عليك إلا نى وصدق وشيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أى شهد (٣) . وروى عن شيخ من منبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر أبو بكر الآجرى في كتاب الترمذى من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى في الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفته الناس يدعون ويصلون فذكر نول على بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائى .

ويتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة يجدها للقلوب عليه صفات تده ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود الساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خير مع البان فالوجد برضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل : قد كان بطريق وجده فأصندين عن رؤية الوجد من في الوجد موجود والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

ضرب والدعاء تنزل على لحينه جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم
إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأأسألك الصبر على ما ابتليتي .
(وفاة علي كرم الله وجهه)

قال الأصمعي الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه أنما ابن التياح حين طلع الفجر
يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متماثل فماد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على بئس وهو يقول:

اشدد حيازك الموت فان الموت لا يثيبا
ولا تجزع من الموت إذا حسل بواديا

فما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضر به فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول
مالي وللصلاة الفداء قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الفداء قتل أبي صلاة الفداء وعن شيخ من قريش أن
علي كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه
ثم لم ينطق إلا ببلا إله إلا الله حتى قبض ولما قتل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله
عنه فقال يا أخى لأى شئ تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وهما بالود على خديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم مثله
وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنهما وبني أنهم قاتلوه قام في أصحابه
خطيبا حمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمراء من إن الدنيا قد تغيرت وتكررت وأدبر معروفها
وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كسبابة الإناة الأحصى من عيش كل عمرى الويل لأتروا الحق لا يعمل به
والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإني لأرى الموت بالإمامة والحيات مع الظالمين إلا جرما .

(الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أقدموني فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويدكره ثم بكى
وقال تذكر ربك بأمعوبة بعد الحرم والاحتياط ألا كان هذا وغصن الشباب فضريراني وبكى حتى
علا نكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل الشرة واغفر الزلة وعد عجلتك
على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه
في مرضه فأروا في جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فمهل الدنيا أجمع إلا ما جرت بناؤها
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بمجدتنا واستأذنا ببشنا فما لبثنا الدنيا أن تفضت ذلك منا حالا
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستأثمت إلينا أف لدينا من
دار ثم لم لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إني من زرع
قد استحصد وإني قد ولينكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني
وبأزيد وإذا وقى أجلي فولى رجلا ليبيأ فان البيب من الله بكان نعيم القتل ويجهز بالسكيد
ثم اعهد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقرآن من شعره وأطفائه
فاستودع القراصة أنى وفى وأذى وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني وبأزيد احفظ
وصية الله في والدين فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتوني في حفرتي غفلوا معاوية وأرحم
الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بدى طوت
وإني لم أكن من هذا الأمر شيئا . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسل بجانب دمشق
يلوى ثوبا بيده ثم ضرب به لفظة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي وما يميم

(الباب الخامس في كلام جماعة من المحتضرين)

(ومنها العلية) العلية
وجد متلاحق فالوجد
كالبرق يبدو والقلبة
كتلاحق السبرق
وتوارى يغيب عن
التحيز فالوجد ينطق
سرما والقلبة تنطق
للأمرار حرز أمنيما .
(ومنها السامرة) وهى
تفرد الأرواح عسى
مناحتها ولطيف
بلغتها في سر السر
بلطيف إدراكها
للقب لتفرد الروح بها
فخلت بها دون القلب
(ومنها السكرو والصحو)
فالسكرو استيلا
سلطان الحال والصحو
المود إلى ترتيب الأمال
وتهذيب الأقوال
قال محمد بن خفيف

ولم آل من أمر الدنيا شيئاً فبلغ ذلك أباحارم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضروا الموت لم تمن ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف جددك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدي قال قال الله تعالى - ولقد جئتنا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية ، ومات . وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى وولوا معاً من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبته فسمته يقول - تلك الدار الآخرة يجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا ساداً ولا عابدة للنفوس -

ثم هذا فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً قلت لوصيف له انظر أنا هم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما قتل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فصالح يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال رب خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شغافى عند شجرة أذن ما رفضت بدى إلى أذن فتناوله اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى قويل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك شيئاً وأظهر لك عدلاً فبكى ثم قال أليس أوقف فأشغل عن أمر هذا الخلق فوائده لو عدلت فيهم فحلت على نفسي أن لا تقوم بحجبتها بين بدى الله إلا أن يلقها الله حجبتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات ولما قرب موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت وبيتيت نصبت ثلاث مرات ولكن إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر قليل له في ذلك فقال إني لأرى خضرة مام بأني ولا جن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انشقى أكفانه يده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول ما أنقى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش الأمان رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه وكان التميمي يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت وكان للتيمم يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبيته من يأخذها بما فيها لبيته كان يبرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لا تنفرد لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويضبطه عليها ولما حكى ذلك الحسن قال أفلها ؟ قبل نعم قال عسى .

(بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم)

(من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين)

لما حضرت ماذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأتوار ولا فرس الأشجار ولكن لظلم الأجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الفكر ولما اشتد به التزع وتزع زعاً لم يزع أحد كان كما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أختفى خفيك فوعزتك إنك تبارك عني عني وما لحضرت سلمان الوفاة بكى قويل له ما يبكيك قال ما أبكى جزاء على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر غلبان القلب
عند معارضات ذكر
المحبوب وقال الواصفى
مقامات الوجد أربعة
الذهول ثم الحيرة ثم
السكر ثم الصحو كن
صح بالبحر ثم دنامته
ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج فلى هذا من
بقى عليه أثر من
سريان الحال فيه
ففيه أثر من السكر
ومن عاد كل شيء منه
إلى مستقره فهو صاح
فالسكر لأرباب القلوب
والصحو لله كاشفين
عما في القلوب .
(ومنه الجو والإتيان)
المحو بإزالة أوصاف
النفوس والاثبات بما
أدبر عليهم من آثار
المحب ككؤوس أولهو

صلى الله عليه وسلم أن تكون بلقة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب^(١) فقامت سلمان نظري جميع مارك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزنه فقال بل وامرأه غدا نقى الأعبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وشحك وقال لكل هذا فليعلم السامعون - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قبيل له مايكك قال أنتظر من الله رسولا يشترى بالجنة أو بالدار ولما حضر ابن السكندر الوفاة بكى قبيل له مايكك فقال والله ما بكى لذب أعلم أني أئيمه ولكن أخاف أني أئيمه شيئا حسبه هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى قبيل له مايكك قال ما بكى جزعا من الموت ولا حسرا على الدنيا ولكن أبكى على ما عجزت من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابد سفره وافته زادله ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال نصر مولا اجل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له مايكك قال ذكرت ما كنت فيه من النعم وأنت هو ذا بموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سألت الله تعالى أن يعينني حياة الأغنياء وأن يبقيني موت الفقراء قال له فقل ولا تحد على ما لم أكتم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار تيدى إليس لرجل عند الموت فقال له بموت فقال ما أمك بسد وبكى بضمهم عند الموت قبيل له مايكك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل - إنما يتقبل الله من التقيين - ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يعود بنفسه فقال إن أمرا هذا أوله لجدير أن يبقى آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يذهبي أوله . وقال الجري ركت عندا لجديد في حال زعه وكان يوم الجمعة ويوم التبروز وهو يقرأ القرآن فتمت قتلته في هذه الحالة يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي . وقال روم حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول:

حين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكركم وقت لناجاة للسر
أدبرت سككوس للنبا عليهم
فأغفوا عن الدنيا كما غفاه الله للشكر
همومهم جواة بمسكك به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتل بحبه
لما عرسوا لإجسرب حبيهم وماعرجوا من مس يؤس ولاضر

وقيل للجديد إن أبي سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بسبب أن تطير روحه اشتياقا وقيل لدى النون عند موته مات شهيداً قال أن أعرفه قبل موته بلحظة وقيل لبضمهم وهو في التزع قل الله قال إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله . وقال بضمهم كنت عند عشاء الدينوري قد تم وقيل وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشار إليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومدرجليه ومات وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدت فقال لها موني فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار انفتحت إليه وقالت قد مت ووقت ميتة . وبكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت ما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغتك الرتبة القصوى وإن لم تردها تم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا بسنين مودة حتى أراكا
أراك معذري بفتور لحظ وبالحمد للورد من حياكا

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلقة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم .

هو رسوم الأعمال
بنظر الفناء إلى نفسه
وامتنسه والاثبات
إثباتها بما أنشأ الحق
له من الوجود به
فهو بالحق لا بنفسه
بإثبات الحق إياه
مستأفا بمسد أن
عماه عن أوصافه .
قال ابن عطاء يحمو
أوصافهم - وثبت
أسرارهم (ومنها علم
اليقين وعين اليقين
وحق اليقين) فظم
اليقين ما كان
من طريق النظر
بالاستدلال وعين اليقين
ما كان من طريق
المشاهدة والشواهد
وحق اليقين ما كان
بتحقيق الاقتران
عن لوث الصلصال

وقيل للجنيذ قل لا إله إلا الله فقال ما نسبته فأذ كرموسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلمة ونصدت عن صاحبه بألوف فما عليّ فاني شغل أعظم منه ثم قال وضئ الصلاة ففعلت ففعلت تخليل لحية وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلني في لحية ثم مات فبكى جعفر وقال ماتوا في رجل لم يفقه في آخر عمره وأدب من آداب الكثرة فقولوا لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل للصالحين مسار ألا توصي بانيك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيرهم ولما احتضر أبو سليمان الداراني أنه أصحبه قالوا أجزر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا يقولون احذر فانك تقدم على رب محاسبك بالصغير وبما يكبر ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا أعماراد الحق فيكم احتضر بعضهم فبكى ثم أراه فقال لها ما يبكيك فقالت عليك أبيك فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيذ دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تحمدك فأنتأ يقول :

كيف أشكر إلى طبيبى ماني والذي بي أصابني من طبيبى
فأخذت الروحة لأروحه فقال كيف يجد ربح الروحة من جوده يحترق ثم أنتأ يقول :
القلب محترق والدمع مستبقي والكرب مجتمع والصر مفترق
ككيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يأرب إن يك شيء فيه لى فرج فامتنن على به مادام لى رفق

وحكى أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنتأ يقول :
إن يبتأ أنت ما كنهه غير محتاج إلى السرج وجهدك الأموال جحشا
يوم يأتي الناس بالحجج لا أنأخ الله لى فرجا يوم أدعوك منك بالفرج
وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيذ في وقت نزع فسلم عليه فلم يجبه ثم أحاب بمداعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولّى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل لاسكتاني لما حضرته الوفاة ما كان محمداً فقال لو لم يقرب أبلى ما أخبرتك به وقفت على باب قلب أربعين سنة فكشاهما فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن التميمي قال كنت فيمن حضر الحسبك بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال من التكم؟ فقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لى إني بكل سخي رفيق ثم طفي وولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجدته قلما فقال يا أبا محمد هذا أوان القاني والجرع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا ألقى ولا أجزع وإنى لا أعلم أنى صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأجابه لهذا الرجل الصالح علف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله. وعن المغازلي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بي . ودخل بعض الشافعي على عماد الدينوري في وقت وفاته فقال له فضل الله تعالى وضع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض لى اللجنة بما فيها لما أعزتها طرفي . وقيل لأروم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لأحسن غيرهم ولما حضرت الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل للزني على الشافعي رحمه الله عليه ما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا وللآخرة مفارقا ولسوء عملي ملانيا ولكأس الية شارباً وعلى الله تعالى واردا ولا أدري أروحي نصير إلى الجنة فأهبط أم إلى النار فأعزها ثم أنتأ يقول :

بورود رائد الوصال
قال فارس : علم اليقين
لا اضطراب فيه
وعين اليقين هو
العلم الذي أودعه
الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نصت
اليقين كان علما
بشبهة فإذا انغم
إليه اليقين كان علما
بلا شبهة وحق اليقين
هو حقيقة ما أشار
إليه علم اليقين وعين
اليقين . وقال الجنيذ
حق اليقين ما يتحقق
بالبدن بذلك وهو
أن يشاهد القيوب
كما يشاهد الرغبات
مشاهدة عيان
وعلم على القلب في خبر
عنه بالصدق كما أخبر
الصديق حين قلما

ولما قسا قلبي وضاعت مذاهبي جمعت رجائي نحو غفوك سلما
تصانفي ذني فلما قرنته بغفوك ربي كان غفوك أعظما
فما زلت ذا غفوك عن الذنب أنزل تجود وتغفو منة وتكرما
ولولاك لم ينوي بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صنك آدماء

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة قدمته عليه وقال يا بني باب كنت أدفع خسا
وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لأدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فكان لي أوام الجواب فنهت
أقاولهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرءاء وعلى
بعضهم الشوق والمحبة فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

(الباب السادس في أقوال العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل النفقة فإنها لا تزدى بهم مشاهدتها إلا قسوة لأنهم
يظنون أنهم أبدا إلى جنائز غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لاهالة على الجنائز يحملون أو يحسبون
ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون
فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها
فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولله في غد أو بعد غد. وروى عن أبي هريرة أنه كان إذا
رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر. وكان مكحول السمعي إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا راى
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والاخر لا عقل له. وقال أسيد بن حنيفة ما شهدت جنازة
لحدثني نفس شيء سوى ما هو مفقود به وما هو صادر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك
في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم مادمت حيالوا لم أحمس
كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نغزى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا ندري إلا
متنعما بما كنا في خوفهم من الموت والآن لا نتظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثروا
يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في مراثيه وما خلفه لورثته ولا يفكر أقرانه وأقاربه إلا في الجلبة
التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل
عليها ولا سبب لهذه النفقة إلا قسوة القلوب بكثرة العاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر
والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونفعل ونشتغل بما لا ينبغي فنسأل الله تعالى النقطة من هذه
النفقة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو غفلوا عن البكاء على أنفسهم لاطل البيت
نظرا إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم فإنه
نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الحاخنة وقد
أمن . وقال أبو عمرو بن الصلاح : جلست إلى جرير وهو على على كتابته شعرا فأطلعت جنازة
فأسكس وقال شيتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

تروعن الجنائز مقبيلات وتلهو حين تذهب مدبرات
سكرة وثلة لخار ذئب فلما غاب عادت راتمات

فن آداب حضور الجنائز التمسك والتنبه والاستعداد والتي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا
آداب وسنة في فن الفقه ومن آداب حسن الظن بالميت وإن كان قاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن
كان ظاهرها الصلاح فإن الجماعة عظيمة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن عبد الله مات

(الباب السادس في أقوال العارفين على الجنائز والمقابر)

قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« ماذا أتيت لمالك »
قال الله ورسوله « وقال
بعضهم : علم اليقين
حال التفرقة وعين
اليقين حال الجمع وحق
اليقين جمع الجمع
لبان التوحيد وقيل
اليقين اسم ورسم
وعلم وعدين وحق
فلا سم والرسول المأمون
وعلم اليقين للأولياء
وعين اليقين لخواص
الأولياء وحق اليقين
للأنبياء عليهم الصلاة
والسلام وحقبة اليقين
أخصن بها نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم .
(ومنه الوقت والراد
بالوقت ما هو غالب
على العبد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فنجاق كثير من الناس عن جنازته لحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقت على قبره وقال يرحمك الله بأبأ فلان فلقد صبحت عمرك بالتوحيد وغفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذى خطايا . ويحك أن رجلا من قهقهين في الفساد مات في بطن نواحي البصرة فلم يجد امرأته من بينها على حمل جنازته إذ لم يدرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت محالين وحملتها إلى الصلي فاصلى عليه أحد خدمتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالنظير للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد زل يصلى على فلان فخرج أهل البلد فصرى الزاهد وصلوا عليه وتجنب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليه فانه منفور له فرأته تجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وأعلمها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يبق من سكره وقت الصبح يبذل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشتمل بالفسق ، والثاني أنه كان أبدا لا يغلو بينه من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم ، والثالث أنه كان يبق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث متى تفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تخرج منها نتج من ذى عظيمة وإلا فلاي إلا خالك عاجيبا

(بيان حال القبر وأقاربهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل « يا رسول الله من أزهّد الناس قال من لم ينس القبر والي وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما بقى على ما بقى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور (١) » . وقيل لـ « كرم الله وجهه ما سألتك جاورت القبرة قال إني أجدم خير جيران إني أجدم جيران صدق بكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظرا إلا والقبر أقطع من (٢) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فيكي وبكيت وبكى فقال ما يبكيك فلنا بكى البكاء قال هذا قبر أمي آمنه بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن استغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة (٣) »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهّد الناس؟ قال من لم ينس القبور والي وترك فضل زينة الدنيا والآخرة . (٢) حديث : ما رأيت منظرا إلا والقبر أقطع من آفة الناس . (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر فجلس إلى قبر أمي آمنه بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن استغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة . وقال أبو حاتم صالح .

ما على العبد وقت فانه كاسف بعض الوقت يحكه ويقطع وقد يراد بالوقت ما بهج على العبد لآبكه فيصرف فيه فيكون يحكه يقال فلان يحكم الوقت يعني مأخوذا عما منه بما لحق . (ومر القية والشهود) فالشهود هم الحضور وقتا بنت المرافة وقتا بوصف للشاهدة لآدام العبد موصوفا بالشهود والزياة فهو حاضر فاذا قصد حال للشاهدة والمرافة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد ينون بالنية

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فستل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وإذا وقف على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لم يعبده أيسر منه وإن نجا منه لم يعبده أشد»^(١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنع فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فنقول أنا بيت اليهودي بيت الوحدة بيت النروبيات الظلمة هذا ما أعدت لك فما أعدت لى . وقال أبوذر ألا أخبركم يوم قفري يوم أوضع في قبري وكان أبو البراء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك قال أجلس إلى قوم يذكرون معادي وإذا قت في شتا بوني وكان جعفر ابن محمد يأتي القبور ليلا ويقول بأهل القبور هالي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول جيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع القبر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرتقت الليلة أشكرك في القبر وسأكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة قفريه لاستوحشت من قربه بعد طول الأنى منك به ولرايت بيتا يحول فيه الهوام ويمجى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن المهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شق شقيقة خرمشبا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيها القبور في حفرته والتخلى في القبور وحده للسناسي في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالكم استبشرت وبأي أخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر بالله بأعماله الصالحة واغتبط بالله بأخوانه للتعاون على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يغور الثور وقال حاتم الأصم من ثم القار فم يفسكر نفسه ولم يدع لهم قد خان نفسه وخانهم وكان يكر العابد يقول يا أماء ليك كنت بي عقبا إن ليك في القبر حيسا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين يجيئ إن أجبتك من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبتك من قبرك منعها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القار يقول ما أحسن ظواهركم إنما الدواهي في بواطنكم وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول بأهل القبور من قومواته وعائيت أعمالكم فواعلامه ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك ذابح حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجدته روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدته حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجسون لى أعمل صالحا فإ تركت يرددها ثم يرد على نفسه ياربس قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تتجعب الأرض من رجل يهد مضجعه ويسوى فراشه فنوم فنقول يا ابن آدم من لا تذكر طول بلاك وما بين وبينك شيء وقال يمين بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا يمين هذه قبور آبائي بنى أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم الثلاث واستحج بهم البلى وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت القار فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يفرئك صوت أهلها فكسر

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه ابن القبر أول منازل الآخرة الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة .

القبية عن الأشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام القناء (ومنها النوق والشرب والرى) فالنوق إيمان والشرب علم والرى حال الفائق الأرباب البوادم والشرب لأرباب الطوالع والالوانح والواويع والرى لأرباب الأحوال وذلك أن الأحوال هي التي تستقر فما لم يستقر فليس بحال وإنما هي لواويع وطوالع وقيل الحال لا تستقر لأنها تحوّل فاذا استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة وللحاشية وللشاهدة) فالمحاضرة لأرباب التسلوب وللشاهدة

من نفس مضمومة فيها ، و يروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فظلت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا السطاط ودخلت المدينة فسموا صوتا من جانب البقيع أهل وجدوا ما قصدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعروا فأتبعوا . وقال أبو موسى القمي : توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تصافى أهد من القبر إتهابا وأضيقا

إذا جاني يوم القيامة قائداً عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم مني إلى النار مفلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحتها من منكم للعمور في ظلماتها

ومن للصكر منكم في قرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جاوبوك لأخبروك بالسن نصف الحقائق بعد من حالاتها

أما الطبع فتنازل في روضة يفضي إلى ماشاء من دوحاتها

والجسر المطاوى بها متقلب في حفرة يأوي إلى حياتها

وعنارب تسعى إليه فروجه في شدة التعذيب من لدعاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عسدت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا

فكيف أذوق لطمع السكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابتاه بأى خذبك بدأ الدود فصنع داود مكانه وخر مغشيا عليه . وروى مالك بن دينار مررت بالقبيرة فأنشأت أقول :

أثبت القبور فناديتها فأين للنظم والمختر

وأين الدل بسلطانه وأين الزكي إذا ما اختر

قال فنودبت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

فناونا جميعا فما خبر وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتدفو بات الترى قدمو محاسن تلك الصور

قياسا لي عن أناس مضوا أما لك فما ترى مغشور

قال فرجعت وأنا بك .

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تأجيك أجداث وهن صدوت وسكانها تحت التراب خفوت

أي جامع الدنيا لتسير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تعوت

لأرباب التكفين

وللكشفة بينهما إلى

أن تستقر فالمشاهدة

والمخاضة لأهل العلم

وللكشفة لأهل العين

والشاهدة لأهل الحق

أي حق اليقين (ومنها

الطوارق والبولادي

واليساده والواقع

والقادح والطوايع

واللوامع والواويع)

وهذه كلها ألفاظ

متقاربة المعنى ويمكن

بسطة القول فيها

وبكون حاصل ذلك

راجعا إلى معنى واحد

يكثر بالعبارة فلا فائدة

فيه والتقصود أن هذه

الأسماء كلها مبادئ

الحال ومقدماته وإذا

صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيّا غائب أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجواب حكم
وما ينفع القبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه بينهم
وقال ابن السكك مررت على القابر فإذا على قبر مكتوب :

يعر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يبرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون أن جعدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فإله أسرع ما نسوني
ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب يختلس لا ينسح اللوت بواب ولا حرس
فكيف تفسح بالدينا وقتها يامن يعد عليه القفط والنفس
أصبحت يا غفلا في القمص متمسكا وأنت دهرك في اللذات متمسك
لا يرسم اللوت ذا جبل لفرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس اللوت في قبر وقتت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الأحداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأعبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأيت عيناى بينهم مكان
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لي قائل صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه في الساء مع جسسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لي أمل قصير ب عن بلوغه الأجل
فلتلق الله ربه رجلا أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي قلت حيث ترى كل إلى مثله سينقل

فله آيات كذبت على قبور لتضير مكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصر هو الذي ينظر إلى
قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستند للحوق بهم ويصلهم أنهم لا يرحلون من مكانهم ما لم يلحق
بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من
الدنيا بهذا قبرها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور فأنما حسرتهم على يوم
من العمر ليتدارك القصر به قصيره فينخلص من العقاب وليستزبد الوفق به ربته فيضاعف له
الثواب فاتهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك
الساعة وأملك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التبحر على تضيقها عند
خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين
رأيت أخا لي في الله فإرى النائم قتل يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها
بني الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني لأن فلانا

هذه الأسماء كلها
ومعانيها .

(ومنها التسليون
والتمكين)

التسليون لأرباب
القلوب لأنهم تحت
حجب القلوب وللقلوب
تخلص إلى الصفات
والصفات تعدد بتعدد
جهاتها فظهر لأرباب
القلوب بحسب تعدد
الصفات تلونيات ولا
تجاوز للقلوب وأربابها
عن عالم الصفات وأما
أرباب التمكين

فخرجوا عن مشاهم
الأحوال وخرقوا
حجب التسلوب
وباشرت أرواحهم
سبطوع نور الذات
فارتفع التلون لعدم

قد قام فصلى ركعتين لأن أكون أندر على أن أجلبها أحب إلى من الدنيا وما فيها .

(بيان أقاولهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أوتقرب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عذابي في اللوت منزلة مالوكا في سفر فسبته الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا اللوت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يالحق التآخر وإذا اعتد هذا قل جزعه وحرته لاسيا وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يسي به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله» (١) وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لدواد عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فبذل له ما كان عدله عندك قال له الأرض ذهباً قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ ولا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أثنان قال أو اثنان (٢) وليخلص الوالد الدعاء لولده عند اللوت فإنه أرجى دعاء وأقرب به إلى الاجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم . ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما صر فيه من يرى فهب له ما صر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن عمر بن ذر قال أبو عمر بن ذر بعد ما وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فبذ شمرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعني به ما متعتني ووفيت له أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت أزمته طاعتك وطاعتك اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي قد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تنهه فأبكي الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فادع مضينا وتر كناك ولوالفنا ما مضيناك . ونظر رجل إلى امرأة بالصرة فقال ما رأيت مثل هذه الضاربة وماذا لك إلا من فقة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشاركني فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحي وكان لي صبيان مليحان بامان قالوا أكرها للآخر أزيد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذته وذبحه وما نعرفنا به إلا متسقطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب القلام فاجأ إلى جيبه فرهقه ذنب فأكله وخرج أبوه يطلبه فبات عطشا من شدة الحر قالت فأرادني الدهر كما ترى فأمثال هذه الصالب يبنني أن تذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فإمدن مصيبة إلا لا تصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للحيث وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجود به ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلى من فارس أخلفه خاني (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الحديث تقدم في السكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

التغير في القات إذ جلت ذاته عن حسابات الحوادث والتغيرات فلما اخلص إلى مواطن القرب من أنصبة تحلى الذات ارفع عنهم التلويح فالتلويح حينئذ يكون في محل نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلويح الواقع في النفوس لا يخرج صاحبها عن حال التمسك لأن جريان التمسك في النفس لبقاء رسم الانسانية وبطون القسمة في التمسك ككشف حق الحقيقة وليس للنهي بالتمسك أن لا يكون للبدن تدبير فإنه بشر وإنما للنهي

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تلوها هجرا» (١) وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فربا كيا أكثر من يومئذ (٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار (٣) كما وردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقيمت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يأم المؤمنين من أين أقيمت قلت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمرها (٤) ولا ينبغي أن يتمسك بهذا يؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فانه يكثرن الهجر على رسول المقابر فلا ينبغي خير زيارتهن بشرها ولا يخون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزيارسة فكيف يحتمل ذلك لأجلها ، نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة تدعى الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زار القبور تذكر بها الآخرة واغسل للوثة فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله» (٥) وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زوروا موتاكم وسولوا عليهم فان لكم فيهم عبرة» (٦) وعن نافع أن ابن عمر كان لا يبر شيئا أحدا لا وقت عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فضلى وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا» (٧) وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين» (٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كشف له من الحقيقة لا يورى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التسليم قد يتناقص الشيء في حق عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون نبوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للهتهى الوقت المبتدى والحال المتوسط فكانه إشارة منه إلى أن المبتدى يطرقة من الله تعالى طارق لا يستقر وللتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والتهى صاحب نفس

(١) حديث على كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تلوها هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور والافظه وإقبال أحمد وأبو يعلى غير أن لا تلوها هجرا وفيه على بن زيد بن جعدان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يصح ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فربا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأحنس متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا مع قريمان ألف راك وفيه أنه لم يأذن له في الاستغفار (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ذريتي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقيمت عائشة يومان من المقابر فقلت يأم المؤمنين من أين أقيمت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمرها ابن أبي الدنيا في القبور اسناد جيد (٥) حديث أن ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل اللوثة فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحال كما اسناد جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسولوا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسل وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا الطبراني في المعبر والأوسطن من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان رفقه وهو مفضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الاسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزاز عن محمد بن جعدة

« من زار قبري قد وجبت له شفاعتي » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » (٢) وقال كعب الأحمري: ما من جريط لمع إلا أنزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فضعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يقرؤنه. والستجب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه ليلت وأن يسلم ولا يسبح القبر ولا يسبه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رايا مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي وبنصر. وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » (٣) وقال سليمان بن سحبر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أنتفع سلامهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا من الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا من بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجندري رأيت عاصميا منامي يمد يده بيديني فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أن أنت فقال أنا واقف في روضة من رياض الجنة أنا وتر من أصحابي فنجتمع كل ليلة جمعة وصباحي إلى أبي بكر بن عبد الله اللزني فتلا في أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيأت ليلت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تموتون بزيارتنا إياكم قال نعم نعم فليعلم عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قات وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع ويوم الجمعة قيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن اللزني يطون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر أجدل طلوع الشمس يوم السبت علم ليلت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختاف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب القابر فقال آسن الله وحشتكم ورحم غربتكم ونجوا من سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فانصرف إلى أهل بيته ولم آت القابر فأدعوا كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذا بخليق كثير قد جاءني فقلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل القابر قلت ما جاءكم بكم قالوا إنك قد عددت منك هدية عند انصرافك إلى أهلنا قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعوذ لذلك فما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب هداياك تأتي بنا على أربعة أنواع نور محرقة بتبادل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا له فني فاستجيب لهم جميل ذلك الدعاء على أطباق النور وخرق بتبادل الحرير ثم أتى به ليلت فقيل له هذه هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ليلت في قبره إلا كالتريق للقوت ينتظر دعوة تلحق من أياه »

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس ومجيب عن عقبه والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حدث من زار قبري قد وجبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حدث من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حدث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الله نافي القبور وفيه عبد الله بن حنمان ولم أتف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشيلي.

تمسكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالنية والحضور بل تكون الواجبه مقرونة بأفهامه مقببة لا تناوب عليه وهفه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع يبركهم آمين

[الباب الثالث

والستون في ذكر

شئ من البشائير

والهيات ومنها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو العجب

السهرودي قال أنا

الشراف أبو طالب

الحسين بن محمد الزبي

قال أخبرنا كريمة

الارزية قالت أخبرنا

أبو الهيثم محمد بن مكي

أوأخيه أوصديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هذا الأحياء للأموات
الدعاء والاستغفار (١) . وقال بعضهم مات أشجى فرأيت في المنام قفلة ما كان حالك حيث وضعت
في قبرك قال أنا أنى آت يشهب من نار فلو أن داعيا دعاني لرأيت أنه سيضربني به ومن هذا يستحب
تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي وشهدت أبأمامة الباهلي وهو في
الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم
فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب
ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدته ثم يقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا
برحمتك الله ولكن لا نسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنت رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن
إماماً فان منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما بعدنا عند هذا وقد لقن حبيبه
ويكون الله عز وجل حبيباً دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسب إلى
حواء (٢) . ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحداق قال: كنت مع أحمد بن
حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير رقيقاً أعند القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلا خرجنا من القابري قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئاً قال نعم قال أخبرني مبشر بن
اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له بقرأ . وقال محمد
ابن أحمد الروزي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم القابري فارقوه وأغارحة الكتاب واللعو ودين وقل
هو الله أحدوا جعلوا ثواب ذلك لأهل القابري فإنه يصل إليهم وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة
فنزلت الحندق فظهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فسمعت ثم ثلثت فإذا صاحب القبر
يشتكي يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال إنك لا تعلمون ونحن نعلم ولا نهدر على العمل ثم قال هل ركعتان
اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جرى الله عنا أهل الدنيا أخيراً أفرهم السلام فقدم يدخل
علبتنا من دعائهم نور أمثال الجبال فالقصد من زيارة القبور للزأر الاعتبار بها وللزور الانتفاع بدعائه
فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وللعن الاعتبار به وإجماعاً على الاعتبار بأن يصور
في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبيت من قبره وأنه على القبر سيلقى به كما روى
عن معمر بن أبي بكر الهذلي قال كانت هجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل
تعمزت ثم قامت إلى المهرب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور بلقيتها فاعوتبت في كثرة آياتها للقابر

الكشميهي قال أنا
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القبري قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن إبراهيم
البخاري قال حدثنا
الحسين بن علي بن
صفيان بن عيينة قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأنصاري قال أخبرني
محمد بن إبراهيم النخعي
أنه سمع علقمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضي الله
عنه يقول على التبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
«إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ
ما نوى فمن كانت
هجرته إلى الله
ورسوله فحجته إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ما لیت فی قبره إلا كالفریق القوت ینتظر دعوة تلحقه من أیه أومن أخیه وأصدق له
الحديث أبو منصور الدیلمی فی مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علی بن
عبد الواحد قال الدیلمی حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت أبأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا باسناد ضعيف .

قالت إن القلب القاسى إذا جفأ لم يلبه إلا رسوم البلى وإن لآلئ القبور فسكانى أنظرو قد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتفجرة وإلى تلك الأجسام المتفجرة وإلى تلك الأجناف الدمية فيها من نظرة لواتسرها العباد قلوبهم ما أنسل مرارتها للأفئس وأشد تلفها للأبدان بل ينبئ أن يحضر من صورة الليث مذكركم عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فيه فحبب من تغير صورته لشجرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبورى وقد خرجت الحداثت فسألتا على الحدين وتقلعت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم وتآ البطن فلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر رأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب الشاء على الليث والابذكر لإلأجل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تمعوا فيه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فاتهم قد أقضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فاتهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمخوا وإن يكونوا من أهل النار لحسبهم ما هم فيه» (٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومرو بأخري فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أتيت عليه خيرا فوجب له الجنة وهذا أتيت عليه شرا فوجب له النار وأتم شهاده فـ في الأرض» (٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المديون يفتنى عليه القوم الشاء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى ونجاوزت عن على فى عبيدى» (٥)

(الباب السابع فى حقيقة اللوت وما يلقاه الليث فى القبر إلى فتحة الصور)

(بيان حقيقة اللوت)

اعلم أن لناس فى حقيقة اللوت ظنونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظنّ بعضهم أن اللوت هو العلم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشّر وأن موت الانسان كوت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للحدّين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظنّ قوم أنه يتعدى بالوت ولا يتألم بقتاب ولا يتشم بشتاب مادام فى القبر إلى أن يصاد فى وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تتدم بالوت وإنما القاب والمثاقب هى الأرواح دون الأجساد لا تبيث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تمعوا فيه أبو داود من حديث عائشة (٢) حديث لا تسبوا الأموات فاتهم قد أقضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جريد مقتصر على ما ذكر منه هنا بلطفه هلكا ثم وكرهه بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة إن المديون يفتنى عليه القوم الشاء يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جبراته الأدنين غير لإقال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبيدى على ما علموا وغفرت لهم ما علم.

(الباب السابع فى حقيقة اللوت وما يلقاه الليث فى القبر)

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه النية أول العمل ومحسبها يكون العمل وأهم ما للبريد فى ابتداء أمره فى طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزأ بزهم وبغالب طاعتهم لله تعالى فان دخوله فى طريقهم هجرة حاله وقته. وقد ورد «الهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وقد قال الله تعالى - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله - فالبريد ينبغي أن

وكل هذه تلون قاسدة، ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار ونطق به الآيات والأخبار أن اللوت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامة وبها منعمة، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات لروح تستعملها حتى أنها لتبتلى بالبد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة وذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكسد ويتعمق بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكمه على كل عبد من عباده وإنما تعطل الجسد بالموت ينشأه تعطل أعضاء الزمن فساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالة العالقة للدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعمل عليها بعضها واللوت عبارة عن استصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأغنى بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام العلوم ولذات الأفرح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفرح والعلوم والذات ولا بطل منها قبولها للآلام والذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام والذات وذلك لا يعوت أى لا يتعمق ومعنى اللوت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج البدن عن أن تكون آلة مستعملة فالوت زمانة مطلقاً في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهى باقية . ثم تغير حاله من جهتين : أحدهما أن يسلب منه غيبه وأذنه وإسائه وبدنه ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلفانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه والآخر بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء فإن اللؤلؤ هو القراق والقراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسي الرجل عن ذلك واللؤلؤ والألم واحد في الحائنين، وإنما معنى اللوت سلب الإنسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأمن به ويستريح إليه ويستند بوجوده فيه لم يتغير عليه بعد اللوت ويصعب شقاؤه في مفارقتها بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأمن إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ دخل بينه وبين عبويه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحسن وجهي الخاتمة بين حال اللوت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالوت مالم يكن مكتشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكتشوفاً له في النوم والياس نيام فاذما نوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسنة وسيئانه وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلانظر إلى سيئة إلا ويحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسياساً - وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتغل فيه نيران القراق أغنى قراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ للتصديق فرح

مخرج إلى طريق القوم لله تعالى فإنه إن وصل إلى نهايات القوم قد لحق بالقوم بالمتزل وإن أدركه اللوت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره الله على وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخيراً، بوزرة إجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الخلدی قال سمعت الجنب يقول أكثر العوائق والحوائل والوائع من فساد الابتداء فالمريد في أول سلوك هذا الطريق يحتاج

بفارقته بجة الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لئنه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بدمه الضرورة وكان
يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب
والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب
وقد بينى عنه ويكون حال التتم بالدنيا للطمع إلى إليها كحال من تتم عند غيبة ملك من الملوك في داره
وملكه وحريره اعتادا على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتطاه من قبيح
أفعله فأخذ الملك بئنة وعرض عليه جريدة قد دوت فيها جميع فواحته وجناباته ذرة ذرة وخطوة
خطوة والملك قاهر مبتسلط وغور على حرمه ومنتم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع
إليه في الصاة عليه فانظر إلى هذا للأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك بمن الخوف
والججلة والحياء والتجسس والندم فهذا حال البت القاجر الغر بالدنيا للطمع إلى إليها قبل نزول عذاب
القبر به بل عند موته نمود بالله منه فان الخزي والانفضاح وهناك السرا أعظم من كل عذاب بحل بالجسد
من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهداها ولو البصائر بشاهدة باطنة
أقوى من مشاهدة العين وشهد ذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه
حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الطيابة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك
ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى (١) »
فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن أطلع عليه وإعما للأودون فيذكر كحال
الروح بعد الموت وبدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار
كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهادة إذ قال تعالى - ولا تحبين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون فريحين - ولما قتل صناديق قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فبل وجدتم ما وعد ربكم حقا فبل
يا رسول الله أنادهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا السلام
منكم إلا أنهم لا يسمعون على الجواب (٢) » فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة
الآية نص في أرواح الشهداء ولا يغلو لبيت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم « النبر
إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٣) » وهذا نص صريح على أن الموت معناه
تغير حال فقط وأن ما يسكون من شقاوة الميت وسعادته يتمثل عند الموت من غير تأخر وإعما
بتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله - وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه
مقعد غرور وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا
مقعدك حتى تبت إليه يوم القيامة وليس معنى ما في مشاهدة القعدين من عذاب ونعيم في الحال (٥) »

إلى أحكام النية وإحكام
النية تنزيها من
دواعي الهوى وكل
ما كان للنفس في عجز
عاجل حق يكون
خروجها خالصا لله تعالى.
وكتب سالم بن عبد الله
إلى عمر بن عبد العزيز
اعلم يا عمر أن عون الله
للعبد بقدر النية فمن
تبت نية تم عون الله له
ومن قصرت عنه بنته
قصر عنه عون الله
بقدر ذلك . وكتب
بعض الصالحين إلى
أخيه أخلص النية في
أعمالك يكفك قليل
من العمل ومن لم يمتد
إلى النية بنفسه صحب
من يله حسن النية.
قال سهل بن عبد الله
التستري أول ما يؤمر به

- (١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح . متفق عليه من حديث
ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويستأنسك عن الروح - وقد تقدم
- (٢) حديث نداءه . من قتل من صناديق قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا الحديث
مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة
الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجا . والخوف (٤) حديث أنس الموت القيامة من مات
فقد قامت قيامته إن أنى الدنيا في الموت باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم
عرض عليه مقعد بالغداة والنسي الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

وعن أبي قيس قال كنا مع عاتكة في جنازة فقال أما هذا فقد قمت قيامته . وقال علي كرم الله وجهه
 حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا » ووقى فأنات القبر وغدى وريح
 عليه برزقه من الجنة (١) . وقال مسروق ما غبطت أحدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من
 نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمتنى يوما مع أبي البدرء قتلته
 ما أحب لمن يحب قال اللوث قلت فإن لم يمت قال يقل ماله وولده وإن أحب اللوث لأنه لا يحب إلا المؤمن
 واللوث إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للناس بالدنيا والانس
 بن لا بد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوي الله وذكره والانس فلا بد من فراقه عند اللوث لا محالة
 ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين يخرج منه أو روحه مثل رجل بات في سجن
 فأخرج منه فهو يتفزع في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من يخاف عن الدنيا ويترجم بها
 ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه من محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه
 فسكان في اللوث خلاصه من جميع المؤذيات وانفراجه بحبوه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا
 دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعم والهدايا وأكل اللذات للبهائم الذين قتلوا في سبيل
 الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين للتنازع عن علاقق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل
 في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا وبالآخره والبايع لا يلتفت قلبه إلى البيع وإن نظر
 إلى الآخره قد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه ما أقل الفناء إلى ما باعه إذا
 فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد ينطق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه اللوث عليه فيختير
 والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك اللوث على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعم الذي معنى النعمان
 نال الانسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعلماني قد اتفقتا
 وأعظم المذاب أن ينفع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - فكان
 هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا النعم يذكره الشهيد كأقطع نفسه من غير تأخير وهذا
 أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع الحديث
 الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن
 عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أيسرك يا جابر وكان قد
 استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى يشرك الله بالخير فقال إن الله عز وجل قد أحبب إليك وأقصد بين يديه
 وقال تمن على عبيد ما شئت أعطيك فقال يارب ما عبدتك حتى عبدانك أتمنى عليك أن تردني إلى
 الدنيا فأقول مع نبيك فأقول فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إلى الراجع (٢) وقال كعب
 بوجود رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا فتنة واحدة
 فكنت أشتنى أن أرى فأقتل فيه فتلات . واعلم أن المؤمن ينكشف له عيب اللوث من سعة الجلال
 الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

المريد البدء النبوي
 من الحركات للدمومة
 ثم النقل إلى الحركات
 الممودة ثم التفرّد
 لأمر الله تعالى ثم
 التوقف في الرشد ثم
 الثبات ثم البيان ثم
 القرب ثم المناجاة ثم
 الصادقة ثم الموالاة
 ويكون الرضا والتسليم
 مراده والتفويض
 والثوكل حاله ثم بمن
 الله تعالى بسد هذه
 بالمعرفة فيكون مقامه
 عند الله مقام التبرئين
 من الحول والقوة
 وهذا مقام حملة العرش
 وليس بسد مقام
 هذا من كلام سهل
 جمع فيه ما في البداية
 والنهاية ومعنى تحمك
 المرید بالصديق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فأنات القبر ابن ماجه بسند ضعيف وقال
 فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا خان (٢) حديث عائشة ألا أيسرك يا جابر الحديث وفيه إن الله أحيا
 أباك فأقصد بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في اللوث باستناد فيه ضعف وللمتقدم وحسنه وابن
 ماجه من حديث جابر ألا أيسرك بما لني الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبيدي
 تمن على أعطك قال يارب تحبيني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجعون.

إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأعجار والأزهار والثمار والطور فلا يشتهي العود إلى السجن النظم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال لرجل مات وأصبح هذا مرتعاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يبره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يبر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ^(١) فترك هذا أن نسبة سمة الآخرة إلى الدنيا كغلبة سمة الدنيا إلى غلبة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ^(٢) وكذلك المؤمن يخرج من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلاناً قد مات قال مستريح أو مستراح منه ^(٣)» وأشار بالمستريح إلى المؤمن والمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب القيا مبرنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا ججمة بادية فأمر رجلاً فوارها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الترى شيئاً وإنما الأرواح التي تصاب وتجاب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإتهم ليسألونه ويكفونونه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلات تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على النبي يقول إلا أنه لم يبق من الدنيا إلا مثل للتياب يمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ^(٤)» وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فاتها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ^(٥)» ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في حواصل طير يسى في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يبره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يبر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية يقيه عن جابر بن غانم السلمي عن سلم بن عامر الجنازي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قد مات قال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة بالظن مرّ عليه بجملة قال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في الوت باللفظ الذي أورده الصف (٤) حديث النعمان بن بشير إلا أنه لم يبق من الدنيا إلا مثل للتياب يمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله الله ﷻ ورواه بكتاه الأزدى في الضعفاء وقال لأصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكتاه في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية من مالك بن أدي وشغل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزدى لأصح إسناده وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدي (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فاتها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والهاملي بإسناد ضعيف ولأحمد من رواية من مع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث .

صلى الله عليه وسلم يقول «إن الميت يعرف من يفعله ومن يحمله ومن يدليه في قبره» (١). وقال صالح الرى يلقى أن الأرواح تتلاقى عند اللوت فتقول أرواح اللوى الروح التي تخرج إليهم كيف كان ماؤك وفي أي الجسد كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الأخبار فإذا أتاهم الميت قالوا ماض فلان ؟ فيقول ألم تأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إن الله وإنا إليهم اجبون سلك به غير سبيلا . وعن جعفر بن سعدة قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد: إن الرجل ليكثر بصلاح ولده في قبره . وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبل قالوا إن الله وإنا إليهم اجبون ذهب به إلى أمه الهاوية» (٢) .

(بيان كلام القبر للبت)

وكلام اللوى إما بلسان اللقال أو بلسان الحال التي هي أنصح في تفهيم اللوى من لسان اللقال في تفهيم الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للبت حين يوضع فيه يوم يحك باأذن آدم ما غرك في ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك في إذ كنت تحرق فذاذا فان كان مسلما أجاب عنه يجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمرءوف وينهى عن المنكر فيقول القبر إنني إذا أتخول عليه خضرا ويسود جسده نورا وتصدد روحه إلى الله تعالى» (٣) . والقد اذهو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا قسره الراوى . وقال عبيد بن عمير البئى ليس من ميت يموت إلا نادته حفرة التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراء فان كنت في حياكته شط مطعيا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك شقة أنا الذي من دخلني مطعيا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثيرا . وقال محمد بن صبيح بلسان الرجل إذا وضع في قبره فغضب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من اللوى أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فيما مضى أما كان لك في متقدمنا إليك فكرة أمارأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في الهمة فها استدركت مافات إخوانك وتناديه بقاع الأرض أيها للفتن بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض بمن غرت الدنيا قلبك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا لها دابة: إلى التزل الذي لا بد منه . وقال يزيد الرقاشى يلقى أن الميت إذا وضع في قبره احتوته أعماله ثم أنظمتها الله ؟ فقالت أيها البعد المنفرد في حفرة انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا تأيس لك اليوم عندنا . وقال كعب: إذا وضع البعد الصالح في القبر احتوته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال تخرج ملائكة العقاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سيد لكم عليه فقد أطال في القيام لله

الصدق فان الله تعالى مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصدق يهdy إلى البر» . ولابد للبريد من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق قطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فلم يفتقن الموى وخما بانهوات النفس وأنتع شئ للعرب معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب الفضول والزادات أو عليه من الموى بقية . قال زيد بن أسلم: فصلتان هما كمال أمرك تصح

(١) حديث أبي سعيد الخدري إن الميت يعرف من يفعله ومن يحمله ومن يدليه في قبره ورواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي بوبن نسي اللوى من إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح إن أبي الدنيا في كتاب اللوت والطبراني في مسند الشاميين باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزيف موقوفا على أبي أيوب باسناد جيد ورفعه ابن ساعد في زوائد على الزاهد في سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه . من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث يقول القبر للبت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك في بيت الفتنة الحديث إنني الدنيا في كتاب القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في السك من حديث أبي الحجاج الثمالى باسناد ضعيف

عليها فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسمى لك عليه قد أطال ظمأه في دار الدنيا فلا سبيل لك عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليك عنه قد أنصب نفسه وأنبأه بدنه وحج واجهده فلا سبيل لك عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقفت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لك عليه قال فيقال له ههنا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويضع له في قبره مد بصره ويؤتى بتبديل من الجنة فيستغفره بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن حمير في جنازة بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يسمع خطو مشيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول وعيك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرتني حتى وتيت وهولي ودودي فلماذا أعدت لي (١) » .

(بيان عذاب القبر وسؤال مسكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبر من الآخرة يث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفته فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى الله عليه وسلم على كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء . وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل روحه منه فإذا صعد بروحه قبل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروهم ما أعدت لهم من الكرامة فأتوا وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناله إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما بينك ومن نبيك ؟ فيقول ربني الله ودينى الاسلام ونبي محمد ﷺ قال فيقبره انتهارا شديدا وهو آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقم فيقول وأنت فيشرك الله غير من أنت ؟ فيقول أنا عمك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريما إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة واغشوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم حمل قدام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال وأما الكافر فإذا كان من قبل من الآخرة واشتاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من قطران فيحتشونه فإذا خرجت نفسه لسه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وعلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكبره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نند ويقول أي رب عبيدك فلان لم تقبله ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروهم ما أعدت له من الشر إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناله إذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فقال لا دريت ثم يأتيه آت فيسبح الوجه من الروح تهب الثياب فيقول أشر بسخط من الله وبسخط أليم مقم فيقول يشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عمك الحبيب والله إن كنت لسريما في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن حمير بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يسمع وهو يسمع خطو مشيه فلا يكلمه إلا قبره يقول وعيك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسله ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلقي ولم يرفعه .

لاهم له بمسكن
ولا بهم في مصبة
أحكم الزهد والتقوى
انكشفت له النفس
وخرجت من حجبها
وعلم طريق حركتها
وخفى شهوراتها
ودسايسها وتلبساتها
ومن تمسك بالصدق
فقد تمسك بالعروة
الوثقى . قال ذوالنون
فه تعالى في أرضه
سيف ما وضع على شيء
إلا قطع وهو الصدق
وتقل في معنى الصدق
أن عابدا من بني
إسرائيل راودته
ملكته عن نفسه ،
فقال اأعجلوا لي ما دق
الحلأ أنتظف به ثم
صعد على موضع في
القصر فصرى بنفسه

فيقول وأنت جزاك الله شرا ثم يقبض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يبتغيوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فضره بها ضربة فصر ترابا ثم تمود فيه الروح فضره بها بين عينيه ضربة يسهما من على الأرضين ليس الثقلان قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار واقتحوا له بابا إلى النار فيقرش له لوحان من نار ويغش باب إلى النار (٢٧) وقال محمد بن علي مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنات وأعماله السيئة قال فينصت إلى حسناته ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بمجررة فيها مسك وضائر الرمان فقلل روحه كاتسل الشعر من العجين ويقال : أيتها النفس اللطمة اخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضمت على ذلك المسك والرمان وطويت عليها الحريرة وبث بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه بمجررة فتزجر روحه أنزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الجبينة اخرجي ساخطة ومستغوطا عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضمت على تلك الحجرية وإن لها نقيشا ويطوى عليها السح ويذهب بها إلى سبعين (٢٨) وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لمثل عمل ما حلما فبكرت - قال أي شيء تريد في أي شيء تريد أن ترجع لتجمع المال وتقرس القراس وتبني البنيان وتشتق الأنهار قال لا لمثل عمل ما حلما فبكرت قال يقول الجبار - كلا إنما كلة هو قاتلها أي ليوقلها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا وضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون لماذا أنزلت - فان له مائة شوكا - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسقط عليه تسعة وتسعون نينا هل تدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤوس يخذشونه ويلحسونها ويفخون في جسمه إلى يوم يعشون ولا يبنى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان أعداد هذه الحيات والعقارب بسدد الأخلاق للدمومة من الكبر والرياء والحسد والتل والمقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تنشب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعبائها هي المهلكات وهي بأعبائها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يبلغ لدغ التين والضعف يبلغ لدغ العرب وما بينهما يؤدي إيداء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانتعاب فروعها إلا أن مقدار عدها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٢٩) فأما هذه الأخبار لها ظواهر مجيدة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تكشف له حقائقها فلا يبنى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأشكال هذا [أهو الأظهر والأصح

فأوحى الله تعالى إلى ملك المراء أن ازم عبيدي قال فآمره ووضعه على الأرض وضعا رفيقا فقبيل لإبليس ألا أعوينه فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وبنى للسريد أن تكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا يلبس إلا لله هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت قد لانتصمى النفس وتجبب إلى ما يرد منها من المائلة لله والإخلاص وإذا

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منسكسا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكاه وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بمجررة فيها مسك وضائر الرمان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبراز بالظ بالضم (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والألم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلغى لئلا يتلذذ بها ولا تشاهد ذلك فان هذه الدنيا لا تصلح لمشاهدة الأمور للكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم المكنوت أما ترى الصحابى رض الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فان كنت لاتؤمن بهذا فتصيح أهل الإيمان بالملائكة والوحى أم عليك وإن كنت أنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في الميت وكما أن الملك لا يذهب إلا بميتين والحيوانات والحيات والنقار التي تلغى في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتترك بحاسة أخرى [لقام الثانى] أن تذكر أمر التائب وأنه قد يرى في نومته تلذذه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصبح في نومه ويبرق جبينه وقد يترعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى البقطن وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى حواله والحية والحية موجودة حتى والقدر العذاب حاصل ولكنك في حقد غير متشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللذخ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد [لقام الثالث] أنك تعلم أن الحية نفسها لا تؤلم بل الذى يلقاها منها وهو السم ثم السم ليس هو أو أذى بل عذابك في الأثر الذى يحصل فيك من السم فاحصل مثل ذلك الأمر من غير سم لكن العذاب قد توفروا وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يلقى فيه إلى العادة فانه لو خلق في الإنسان لذة الواقع مثلاً من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إلى تلك لذة الإضافية للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد للثمرته لا لآثاره وهذه الصفات للمسلكت تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون ألامها كالآلام للحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية ضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت العشوق فانه كان لا يقبداً فطرت حالة صار اللذبة بنفسه مؤلماً حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يمتنع معاً لم يكن قد قسم بالعشق والوصال بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه ضار بشئ ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله ليس يعظم شقاؤه ويشدد عذابه ويتمنى ويقول لئله لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لاتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة الحيات الدنياوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على مفاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله عجيبة عن لقاء الله والتمتع به فينوالى عليه ألم فراق جميع عيوبه وحسرتة على مفاته من نعيم الآخرة أبدال الآداب وذو الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يمدب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى - كلا إنيهم عن ربهم يومئذ لجوبيون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه الموائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الأبد ولعل ذلك فليعمل العاملون والتصدق أن الرجل قد يحب فرسه يحب لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلذغه غريب آخر الصبر على لدغ القربى فانه ألم فراق القربى عنده أعظم من لدغ القربى وجهه للفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليست هذه اللذات فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وتبؤله بل يأخذ منه ميمه وبصره وأعضائه ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في شئ من رفق النفس لأنه يفر من رقة صالحة صار ذلك وبالاً عليه وقد ورد في الخبر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة ورجه أطيب من السك الأذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة ورجه أثنى من الجيفة» . وقيل كان أس يقول طيبوا كفى بسك فان تابا يصالحى ويقبل بدى وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متفرجين بذلك إلى الله بنيتهم فالمريد يذنبى أن يشقذ جميع أحواله وأعماله وأدوابه ولا يسمع نفسه أن تتحرك بحركة أو تكلم بكلمة إلا الله تعالى

من المقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فمعظم عقابه فكذلك إذا مات لأننا قدينا أن
 للحي الذي هو للدرك للآلام والشدات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة ينسب بأسباب
 يشغل بها حواسه من مجالة ومحادثة وينسب لرجاء العود إليه وينسب لرجاء الموت منه ولا ملو
 بعد الموت إذ قد انسحب عليه طرق التسلل وحصل اليأس ، فاذن كل قبيح له ومندبل قد أعجب بحيث
 كان يشقى عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان عسفا في الدنيا سلم وهو للحي
 بقولهم بما اتفقون وإن كان مقللا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من
 يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو للحي قوله

صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين» (١) «وإمن شيء من الدنيا
 يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل
 فان استكثر فلست بمستكثر إلا من الحسرة وإن استقل فلست بتخفف إلا عن ظهر كره وانما استكثر
 الحيات والمقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفسحوا بها وأطمأنوا إليها
 فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه . رأى أبو سعيد الجدي
 أبنا له قد مات في المنام فقال له يابن عظمي قال لا تخاف الله تعالى قال يريد قال يابن زندي قال يابن
 لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قيما فالبس قيما ثلاثين سنة . فان قلت فالصحيح
 من هذه القامات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر
 الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما اتفق القدي استكشفنا بطريق الاستبصار
 أن كل ذلك في حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لتلقي حوصلة وجهه باستماع قدراته
 سبحانه ومحجائب تدبيره فينكر من أمثال الله تعالى ما لم يأمن به وبآلته وذلك جهل وصور بل
 هذه الطرق الثلاثة في التذنب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد ياقب بنوع واحد من هذه
 الأنواع ورب عبد يجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة تنوز بالله من عذاب الله قلبه وكثيره ، هذا
 هو الحق فصدق به تقليدا فميز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن
 لا تنكر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان
 فان أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وحبه ليقطع يده
 ويجمع أغنه فأخذ طول الليل يفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق
 الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد
 الموت من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فاما البحث عن تفصيل
 العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

(بيان سؤال منكرو وصورتها وضغطة القبر وقيمة القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله
 ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم فسخ له
 في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم فيقول دعوني أروح إلى أهلي
 فأخبرهم فيقال له ثم فينام كنومة الروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه
 ذلك وإن كان منافقا قال لأدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين لم أجده له أصلا .

وقد رأينا من أصحاب
 شيخنا من كان ينوي
 عند كل لقمة ويقول
 بلسانه أيضا أكل
 هذه اللقمة لله تعالى
 ولا ينفع القول إذا لم
 تكن النية في القلب
 لأن النية عمل القلب
 وإنما اللسان ترجمان
 لها لم تشتمل عليها
 غزيرة القلب لله
 لا تكون نية . ونادى
 رجل امرأته وكان
 يروح شعره فقال
 هات للدري أراد
 الليل لفرق شعره
 فقالت لمرأته أجي
 بالمسدي والرداء
 فكنت ثم قال ثم
 فقال له من ممسكت
 ونقضت عن الرداء
 ثم قلت نعم فقال إنى

أنت تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه قلتم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال المعذب حتى يمتن الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك ففسلوك وكفوك وحطوك ثم احملوك حتى يصفوك فيمهلوا عليك القرب ويدفونك فإذا انصرفوا عنك أنكأنا القبر منكروا ونكبر أوصانها كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الحاطف يجران أشداهما ويبعثان التبر بأنايهما فتلتاك وتراك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ فقال عمر ويكون معي مثل عقل الآن ؟ قال نعم قال إذن أكتبكمها (٢) » وهذا نص صريح

في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالم بالآلام والذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل للدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا يتقسم في نفسه هو الدرك للأشياء ولو تأثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الحيز للدرك الذي لا يتجزأ ولا يتقسم لكان الإنسان العاقل بكامله قائماً باقياً وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يجله الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن السكندر يلقي أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة بحياء صافي يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجبل تضربه به إلى يوم القيامة لاتراه فتتبعه ولا تسبح صوته فتحرقه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحشونه فإن أتاه من قبل رأسه جاء قرابته القرآن وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت البدان والله لقد كان يسبطني للصدقة والدعاء لاسبيل لكم عليه وإن جاء من قبل يده جامد كره وصيامه وكذلك تنف الصلاة والصبر نائحة فيقول أما إني لو رأيت خلا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان نحاس عن أعماله الصالحة كما يجاضى الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فعم الأخلاء أخلاقاً وتم الأصحاب أصحابك . وعن حذيفة قال « كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة جلوس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يضبط المؤمن في هذا ضبطة ترد منه حياته (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضبطة ولو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما أتيها إلى القبر فدخله انقم وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شأناً فما ذلك ؟ قال ذكرت ضبطة ابنتي وشدة عذاب القبر ، فأتيبت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا رسلوا ورجاله فها قال البيهقي في الاعتقاد رويته من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسل . قلت ووصله ابن بطه في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب هذا الإسناد خرد به مفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر أريد أن يناعوا لنا فقال نعم كبريتكم اليوم فقال عمر بن أبي الحجر (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلوس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بن حنبل في حديث عائشة (٤) إن القبر ضبطة لو سلم أو نجما منها أحد لنجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات المدري بنية فلما قالت والمرأة لم يكن لي في المراكبة فزوقت حتى هبأ الله تعالى لي نية فقلت نعم وكل مبتدئ لا يحكم أساس بدايته بمهاجرة الآلاف والأصدقاء والمعارف وبتمسك بالوحدة ولا تستر بدايته ، وقد قيل من قلة الصدق كثرة الخطاء وأقبح ماله لزوم الصمت وأن لا يطرع صممه كلام الناس فإن بطله يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة وكل من لا يعلم كالزهد في الدين وبتمسك بحقائق التقوى لا يعرف أبداً فإن عدم

قد حذف عنها ولقد ضطت ضفلة مع صوتها ما بين الحافقين (١) .

(الباب الثامن فيها عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام)

اعلم أن أنوار البصائر للنفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة واتسامهم إلى سعاد وأشقاء ولكن حال زيد وعمر وسبينة فلا يتكشف أسلافنا إن عولنا على إيمان زيد وعمر ولا ندري على ماذا مات وكيف ختم وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى عمله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يتقبل الله من المتقين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمر ولا معاهدته ومشاهدة ما يجري عليه إذا مات فقد تحول من عالم الملكوت والشهادة إلى عالم النيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شوائبه وأغشاله الدنيوية فصار لا يصرها ولا يتصور أن يصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنشق تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة منقشة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظرنا إلى الملكوت وشاهدوا ما فيه وهو الموتى في عالم الملكوت فشاهدوه وأخبروا ، وذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منظره القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقصده بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه الشاهدة لا مطلق فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تحرب درجته منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضمنية إلا أنها أيضا مشاهدة توبقوا على بها للشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرؤيا الصالحة خبر من ستة وأربعين جزءا من النبوة (٣)) وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا باقتسام الشواهد عن القلب فذلك لا يوفق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن أكثر كذبه لم تصدق رؤيته ومن أكثر فساده ومعه أعظم قلبه فكان مראה أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم ليأمن طاهرا (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التمسك بالشككة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما يكون في المستقبل كما انكشف دخول سكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى - قد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - (٥) ونفا غلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدناها صحيحا والرؤيا وصرة القلب في النوم من محاجبات صنع الله تعالى وبدائع فطرة آدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والحق غافلون عنه كمنظمتهم عن سائر محجبات القلب ومحجبات العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره

(١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث

وفيه لقد ضطت ضفلة مع صوتها ما بين الحافقين ابن أبي الدنيا في الموت من رواه سليمان الأعشى

عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيها عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منظره القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعا فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ابن أبي حاتم في تخيير من رواية مجاهد مرسل .

معرفة لا يتجس عليه خيرا وبواطن أهل الابتداء كالشمع قبل كل قش وربما استمر المبتدى، بمجرد النظر إلى الناس ويستمر بفضول النظر أيضا وفضول التي يفقد من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يجهد أن يكون نظره إلى الطريق التي يسلكه لا يلتفت بمينه ويساره ثم يبق موضع نظر الناس إليه وإسماهم منه بالرعاية والاحترار فإن علم الناس منه بذلك أسر عليه من ضله ولا يستحق فضول

علاوة على علم العامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هنا مثال يفهمك التصود وهو أن تمل أن القلب مثله مثال امرأة تراهي فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يبر عنه تارة بالروح وتارة بالكتاب البين وتارة بإمام مبین كما ورد في القرآن لجميع ما جرى في العالم وما يجري مكتوب فيه منقوش عليه شفا لا يشاهد هذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغذ أو ورق بل ينبغي أن نعلم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كتبت تطلب له مثلاً يقر به إلى فهمك فاعلم أن ثبوت التقدير في اللوح ضاهي بثبوت كلمات القرآن وحرروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو قشقت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخطر فأولاً كان ليس هناك خط يشاهده ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن نعلم كون اللوح من خشب وما شاع من مآذره الله تعالى وقضاء والوقوع في التال كمرأة ظهر فيها الصور فلو صنع في مقابلة المرأة مرة أخرى لكانت صورة تلك المرأة تراهي في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب امرأة تعقل رسوم العلم والروح امرأة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهوته وقضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت ، فان هبت ربيع حركت هذا الحجاب ورفته تالاً في امرأة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب ومادام متيقظ فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ، ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا تورده على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كاتع الصورة من امرأة في مرة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحريك ما يقع في القلب فيبدره الخيال فيحكيه مثلاً بقرابه وتكون التخييلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المبر أن ينظر إلى هذا الخيال كحكمة أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمتاسبة التي بين التخييل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وبكيفية مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء قال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الختم هو الملح ولأجله يراد الختم وإعمايك كشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه ما أمثال الناس من الأكل والشرب ولكن الخيال ألف الملح عند الختم بالحلمة فتشبه بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجاليه وكيف لراهو أخو الموت وإعما الموت هو حجب من العجائب وهذا لأنه يشبه من وجه ضئيف أثر في كشف الطاء عن عالم التيب حتى صار الناس يعرف ما يكون في المستقبل لماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف النطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محموفة بالانسكال والمجازي والصالح نوزباًه من ذلك وإما كنوفا بنعم مقم وملك كبير لا آخره وعند هذا يقال للأفتياء وقد انكشف الطاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم جديد - ويقال - أفسر هذا أم أتم لا تبصرون اسألوها فابصروا أو لا تبصروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون وإلهام الإشارة بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون -

الشي فان كل شيء من قول وفعل ونظر وسامع خرج عن حد الضرورة جبر إلى التناول ثم يجر إلى تنزيح الأصول . قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فكذلك من لا يتسلك بالضرورة في القول والقول لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومعنى تعدي الضرورة تداعت عزائم قلبه وأعلنت بيتا بدئى قال سهل بن عبد الله من لم يسداده اختياراً يبد الخلق اضطراباً وينفع على البعد أبواب الرخص

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر بن سجد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل علي فقال غفر الله لك ^(١) وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواشيا لأبي لهب مصاحبا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزن علي وأهني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يريني إياه في المنام قال فرأيتني يثيب ناراً فسألت عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا تخفف عني ولا روح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام واليالي قلت وكيف ذلك قال وله في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني أمية فبشرني بولادة أمية إياه ففرحت به وأعفت وليدة في فرحها به فأتاني الله بذلك أن رخص عني العذاب في كل ليلة الاثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجاً فصحبني رجل كان لا يؤمن ولا يغمد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألت عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا بحث في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال قممت مذخوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك التم إذ غلبني عيني فميت فإذا لي رأس أبي أربعة سدان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه يمين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا لوجه وجهه يده ثم أتاني فقال قم فقد بعث الله وجهه إليك فقلت له من أنت يا بني أنت وأمي فقال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسين عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس إذ أتني بلي ومعاوية فأدخلاني وأجيب عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن أخرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي وزب الكعبة وما كان بأسرع من أن أخرج معاوية علي أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستقبلني ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتل فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال إذا لم تأمن أنتي بمدي قتلوا ابني الحسين وهذا دم ودم أصحابه أرزفها إلى الله تعالى فنجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً يقتله في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه قتيلاً له إنك كنت تحول أبداً في لسانك هذا أووردني اللوائد لماذا فعل الله بك قال قلت به لا إلا لله فأوردني الجنة .

(بيان منامات للشيخ رحمه الله عليهم أجمعين)

قال بعض الشايع رأيت منما الدور في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال دري في الجنان قبل لي يا منما هل استحسنيت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنيت منها شيئاً لو كنتك إليهم وأوصلك إلى رؤي يوسف بن الحسين في المنام قبل له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه ففكر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فأتني استحييت أن أقربه فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنيت فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر السيداني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من القراء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فزل ملكان أحدهما بيده طشت ويد الآخر يريق نوح الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم يده ثم أمر حق غشوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن النكدر عن جابر ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

التعبد وأن أرباب
الأحوال ارتضوا عن
ذلك . وبينني الفقير
أن يقتصر على الفرائض
وصوم رمضان وحسب
ولا ينبغي أن يدخل
هذا الكلام صمه رأساً
فانا اخترنا ومالنا
الأموار كلها والخالين
الفقراء والصالحين
ورأيت أن الذين يقولون
هذا القول ويرون
الفرائض دون
الزيادات والنوافل
تحت التصور مع كونهم
أصحاء في أحوالهم فعل
العبد التمسك بكل
فريضة وفضية فذلك
ثبت قدمه في بدايته
وبرأى يوم الجمعة
خامسة ويصله لله تعالى
خالصاً لا يمزجه به

من أحوال غسه
ومآربها ويسكر إلى
الجامع قبل طلوع
الشمس بعد الصل
للجمعة وإن اغتسل
قريبا من وقت الصلاة
إذا أمكنه ذلك لحسن
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا أبا
هريرة اغتسل للجمعة
ولو اشترت لباء
بشائك وما من
نبي إلا وقد أمره
الله تعالى أن ينقل
للجمعة فان غسل
الجمعة كفارة للذنوب
ما بين الجمعةين ويشتغل
بالصلاة والتضرع
والسجود الثلاثة وأنواع
الأذكار من غير خور
لله أن يجعل الجمعة
وجلس متكئا في

قال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم قلت يارسول الله أليس قد روى عنك أنك
قلت «الرد مع من أحب» قال بلى قلت يارسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله
عليه وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كأنى أنسك على الناس فوقك على
ملك فقال أقرب ما تقرب به للقرىون إلى الله تعالى ماذا قلت عمل خفي يميزان وفي فولى للملك
وهو يقول كلام موفق والله وروى مجمع في النوم قيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزاهد بن
في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للعلماء بن زياد رأيتك في النوم كأنك
في الجنة فتزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فقصمت منه فأخض رجل
يقتلى . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر للؤمن ولا تتره وقال صالح بن بشر رأيت عطاء السلي في النوم
قلت له رحك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعفيت ذلك راحة طويلة وفرحا
دائما قلت في أي الدرجات أنت - فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية . وسئل
زرارة بن أبي أوفى الشام أي الأعمال أفضل عندك فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذكور
رأيت الأوزاعي في المنام قالت يا أبا عمرو دلت على عمل أقرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة
أرفع من درجة العلماء ثم درجة المهزوين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبيح حتى غلظت عيناه
وقال ابن عيينة رأيت أخى في المنام قلت يا أخى ما فعل الله بك قال كل ذنب استغفرت منه غفر لي
وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال على الطلمسى رأيت في المنام امرأة لانتبه نساء الدنيا قلت من أنت
قالت جوراء قلت زوجي نفسك قالت اخطيني إلى سيدي وأمهرني قلت وما مهرك قالت حبس فكس
عن آفاتنا وقال إبراهيم بن إسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام قلت ما فعل الله بك قالت غفر لي
قلت لها بما أغفقت في طريق مكة قالت أما التفقات التي أغفقتها رجسا أجورها إلى ربها وغفر لي
بنقي ولما مات سفيان الثوري روى في المنام قيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط
والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت في المنام جارية جارية ما رأيت أحسن منها وكان
يتلأ ولها نور قلت لها ماذا ضوؤ وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت
أخذت دمك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوؤ وجهي كما ترى وقال السكاني رأيت الجنيد في المنام
قلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك البارات وما حصلنا إلا لركبتين
كنا نصلهما في الليل ورؤيت زبيدة في المنام قيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي هذه الكلمات
الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمرى لا إله إلا الله أدخل بها نبري لا إله إلا الله أدخل بها وحدي لا إله إلا الله
ألقى بها ربي وروى بشر في المنام قيل له ما فعل الله بك قال دحرمني في عز وجل وقال يا بشر أما استحييت
من كنت تخاف كل ذلك الخوف وروى أبو سلمان في النوم قيل له ما فعل الله بك قلت رحموني وما كان
شيء أضر علي من إشارات القوم إلى وقال أبو بكر السكاني رأيت في النوم شابا بارأ أحسن منه قلت له
من أنت قال الفتوى قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فإذا امرأة سوداء قلت من أنت
قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتماهدت أن لا أضحك إلا لأغلبة
وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن إبليس وثب على فأخذت العصا لأضربه فلم يفرغ منها
فهتف ب هاتف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحى رأيت
إبليس في النوم يمشى عريانا قلت ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس
ما كنت ألب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالسكر بل الناس قوم غير هؤلاء قد أقسموا
جسمي وأغار يدهم إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخزاز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي

صلى الله عليه وسلم جادى متسكنا على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فجاءه فوقف على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق في صدرى هال شهذا كثر من غيره. وعن ابن عينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول لئلهذا أقام عمل العالمون فقلت له أوصني قال أقل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قيس بن عبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي
هنيئا رضى عنك يا ابن سعيد
فدعك قوما إذا أظلم الدجى
بصرة مشتاق وقلب عبيد
فدونك فاخرأى قصر أردته
وزرني فاني منك غير بعيد

وروى الشبلبي بعد موته بثلاثة أيام قيل له ما فعل الله بك قال ناقتني حتى أبست فلما رأيت بأسى تمدني برحمته وروى مجنون بن عامر بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرتي وجملي حجة على المحبين وروى الثوري في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رحمى فقبل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو من بلج على ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فمثل عن حاله فقال: حاسبوا فادفوا ثم امنوا فاعتقوا وروى مالك بن أنس قيل له ما فعل الله بك قال غفرتي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجلالة سبحانه الحى الذى لا يموت وروى في البلية التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض وروى الجاحظ قيل له ما فعل الله بك قال :

ولا تكتب بخطك غير شئ يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيب إبليس في المنام عريانا فقال ألا تستحي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيب فلما انتهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يشكرون فلما رأوني قالوا لا يتركك حديث الحديث وروى الصرامذى بمكة بعد وفاته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال عوبت عذاب الأشرف ثم نوديت بأبى القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال لما وضعت فى اللحد حتى لحقت برى ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أتألك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا فيجالح بينى وبينك فقال عتبة طلعت الدنيا ثلاثا لارجمة لى عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السخيتاني جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يسل علىها فرأى لبيت بعضهم في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفرتي وقال قل لأيوب- قل لو أنتم تملكون خزائن رحمتي إذا ألقىكم خشية لا تغافلون وقال بعضهم رأيت في البلية التى مات فيها داود الطائي نوراً وملائكة تزولوا ولا تمسكهم خشية لا تغافلون لية منه فقالوا لية مات فيها داود الطائي وقد زخرقت الجنة قدوم روحه وقال أبو سعيد النخعي رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت أبا الشيخ قال دع التشيخ قلت تلك الأحوال التى شاهدتها فقال لم تنعنا فقلت ما فعل الله بك قال غفرتي بمسائل كان يسأل عنها المجزوق قال أبو بكر الراشدي رأيت محمداً الطوسي المعلى في النوم فقال لي قل لأبي سعيد الصغار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى
فقد وحيات الحب حلم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مات قال بلى قلت فما صنع الله بك قال غفرتي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال يخرج ذلك - من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين- الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصل
فرض الصبر وبقية
النهار يشغله بالتدبير
والاستغفار والصلاة
على الصلى على الله عليه
وسلم فانه يرى ركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من يضبط
أحواله وأقواله وأفعاله
جميع الأسبوع لأنه يوم
المزيد لكل صادق
ويكون ما يجده يوم
الجمعة معياراً يستبر به
سائر الأسبوع الذى
مضى فانه إذا كان
الأسبوع سليماً يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأخبار والبركات وما يجده
في يوم الجمعة من الظلة
وسأمة النفس وقلة

قال أجلس على كرسى من ذهب وشرعى الأوثار لطلب ورأى رجلا من أصحاب الحسن البصرى ليللمات الحسن كأن مناديا ينادى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين فاستطفي الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الذى قرئ رأيت فى منامى رجلا آدم طولا والناس يقيمونه قتل من هذا قالوا أوسى القرنى فأتيته فقلت أوسى رحلك الله فكلع فى وجهى قاتل مسترشد فأرشدنى أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبتة واحذر ثقتة عند محبتة ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى قتل ما ضلته يورقاء قال نجوت بعد كل جهد قتلته فأبى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعمة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرأها وبها فى المنام فقال لها بنية أخبريني عن الآخرة قالت أبأت قدما على أمر عظيم نعم ولا نعلم وتعلمون ولا تعلمون والله لتسبحة أو تسبيحتان أو ركة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عبدة الغلام رأيت عتية فى المنام قتل ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتي فاذا خط عبدة الغلام فى حائط البيت يهاذى الضليين وياراسم الذين يامقيل عثرات العائرين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والسليخين كلهم أجمعين واجلنا مع الأسياء للرزوقين الذين أنصت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بمن كنت هذا فقال البورع قلت فقال على بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كابيرى السكوك وراى رجلا من التابعين الذى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يارسول الله عظمى قال نعم من لم ينقذ النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان قالوت خير له . وقال الشافعى رحمة الله عليه دهمى فى هذه الأيام أمر أمضى وأخفى ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى فقال لى يا محمد بن إدريس قل لى لى لا ملكت لى نفسى تملوا لى وألوموا ولا حياة ولا ثورا ولا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطيتنى ولا أنسى إلا ما أوفىنى الله فوقع لى ما تحب وترضى من القول والعمل فى عاقبة فلما أصبحت أعدت ذلك فلما نزل النهار أعطانى الله عز وجل طليق وسول لى الخلاص مما كنت فيه فطليكم بهذه الدعوات لانقلوا عنها فهدم جملة من الكاشفات تدل على أحوال اللوتى وعلى الأعمال القبرية إلى الله زلتى ، فلنذكر بعدها ما بين يدي اللوتى من ابتداء نقعة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشطر الثانى من كتاب ذكر اللوت فى أحوال البيت من وقت نقعة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو فى النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار كآفة بيان نقعة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامه ودواهيها وأساميها وصفة النساء عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الحصاص ورد اللظام وصفة الصراط وصفة الشفاة وصفة الخوض وصفة جهنم وأهوالها وأنسكها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وصفة أصفان نعيمها وأعداد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأبهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وشررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة نقعة الصور)

قد عرفت فيما سبق عدة أحوال البيت فى سكرات اللوت وخطره فى خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشطر الثانى من وقت نقعة الصور)

الانصراف فلما ضيع فى الأسبوع يعرف ذلك ويستبره ويتنى جدا أن يلبس قناس اما للرفع من الثياب أو ثياب التشفي ليرى بين الزهد قنى ليس للرفع قناس هو وفى ليس الحسن رياء فلا يلبس إلا لله . فلما أن سفيان ليس القميص مغلوا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونهيه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويشير ثم أمسك وقال ليست بنية فلا أغيره فألبسه بنية قناس فليعلم البعد ذلك وليستبره ولا بد للبتدى أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ

وإيدانه ثم لشكر ونكير وسؤلهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مضطربا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من فتح الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والمثول أعين القليل والكثير ونصب اليزان لحرقة القادر ثم جواز الصراط مع دفته وحدثه ثم انتظار الشدة عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها إيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبت من قلبك دواعي الاستعداد لها أو أكثر الناس لم يدخل الإيمان اليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدها أئنتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لمطر الصيف وبرد الشتاء ونهارهم بحر جهنم وزمهرير هابع ما كنته من الصاعب والأهوال بل إذا استأذن اليوم الآخر نطق به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مده كتأوله كان مصداقا بل ما هو مكذبا به له وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شتني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولها وأما تكذيبه فتأوله لن يدينني كابداني (١) » وما عاين القور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا المأل أمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان نواله الحيوانات وقيل له إن صافيا يصنع من النطفة القدر مثل هذا الأدمى الصور المعلق النكاح التصرف لا شئت فهو باطنه عن التصديق به وذلك قال الله تعالى سأولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصم مبين - وقال تعالى أعجب لإنسان أن يترك سدى ألم بك نطفة من منى مخي ثم كان علقه خلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - في خلق الأدمى مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تريد على الأعاجيب منه وإعادته في فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنته وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فتو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثله وأسهل منها وإن كنت قوى الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلم عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشعر للعرض على الجبار وتفكر ألا فبا يقرع صمع سكان القبور من شدة نفع الصور فإنها صبيحة واحدة تنفجر بها القبور عن روس الموتي فيثورون دفعة واحدة قوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك متغيرا بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو الشداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور إلى طالع فيها بلازم وقد أزعجهم القزع والربع مضافا إلى ما كان عندهم من الهوموم والعموم وشدة انتظار لعابنة الأسر كما قال تعالى - وتفتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم فتح فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قرأ فاتور فلذلك يومئذ عسير على الكافرين غير يسير - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا لصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وتفتح في الصور فإذا هم الأجدات إلى ربهم ينسبون قالوا يا أولنا من بشرنا من مرقدا هذا ما وعد الرحمن وصعد المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يثق قاطبة نقحة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب الصور قد اتهم القرن وحى الجبهة

(١) حديث قال الله تعالى شتني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أفضل أو أكثر كيف أمكن ولا يفتي إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي يتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم الريد ذكرا واحدا ليجتمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة نصيحة التلاوة والصلاة أو في ما يغيه الفكر الواحد فإذا سئم في بعض الأحيان يصانع النفس على الله كرمصانمة وينزل من التلاوة

وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفع^(١) قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام وامن فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كمرض السموات والأرض وهو شامخ بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفع النفخة الأولى فإذا نفع صق من في السموات والأرض أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك اللوت ثم بأمر ملك اللوت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرائيل ثم يأمر ملك اللوت فيموت ثم يابث الحلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله إسرائيل فيأمره أن ينفع الثانية فنفع قوله تعالى - ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البيت وقال صلى الله عليه وسلم « حين يث إلى يث إلى ما حب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفع ألا فاتفقوا النفخة^(٢) ففسكر في الخلائق وذلم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبياء خوفا من هذه الصفة وانظارا لما يقضى عليهم من معادة أو عقاب أو أنت فيها بينهم منكسر كانكسارهم متعجب كعجبهم بل إن كنت في الدنيا من الترفين والأغنياء التتمعين فلو لك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض ألمج وأصغرهم وأحقهم بوطون الأقدام مثل الدبر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رومها محتظة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حشرتهم شدة الصفة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أنبلت الشياطين الردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرش على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لنحشرنهم واليطيالن ثم لنحشرنهم حول جهنم جثا - ففسكر في حالك وحال قالك هناك .

(صفة أرض المحشر وأهله)

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور خائفاء غراغرا إلى أرض المحشر أرض يضاء قاع مصصف لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها رطوبة تخفى الإنسان وراءها ولا وهدية تنفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا فسيبان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالرافقة تنبيهها بالرافقة والرافقة هي النفخة الأولى والرافقة هي النفخة الثانية وحقيق تلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء غفراء كقرص النقي ليس فيها شيء إلا أحد^(٣) »

(١) حديث كيف أنهم وصاحب الصور قد التزم القرن وحتى الحجة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبه القرن بأيديهما أو بأيديهما قرنان بإحطان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحاج بن أوطاة مختلف فيه (٢) حديث حين يث إلى يث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث ثم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخارى في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضمه على فيه شامخ يصبره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخارى ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مد وكل به مستند ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينه كوكبان دريان وإسناده جيد (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء غفراء كقرص النقي ليس فيها شيء إلا أحد

إلى الله كره فأنه أخف على النفس وينسى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يشتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحشر الوسواس وحديث النفس فانه مضروءه عصال فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطله فكلما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يزمجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القسر أن في القلب لا يزمجه بحديث النفس وإن كان أعجيبا لا يلم

قال الراوي : والعفرة يبيض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعنى أن لا يابى استر ولا تفاوت برد البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص ويندب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتبدل مد الأديم العكاظي أرض يضاء مثل الفضة يفسك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسماوات تذهب شمسه وقرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وأظلت فاته إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلت الأرض تجلود سراجها فيبناهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانثقت مع غلظها وشدتها خشيانة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انثاقها في صمك وباهية ليوم تنشق فيه السماء مع صلاتها وشدتها ثم نثار وتسيل كالفضة اللذابة تغلظها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالملح وصارت الجبال كالهن واشتبك الناس كالفراس البثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يبيت الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآدان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يا رسول الله واسوأنا ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - (١) » فأعظم يوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والانتفات كيف وبضهم يشون على بطونهم وجوههم فلا قدرة لهم على الانفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة على وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يشون على وجوههم ؟ قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يشبههم على وجوههم (٢) » في طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمتد على ظهرها كالبرق الخاطف لأنكر تصور التى على غير جلوده وهى بالرجل أيضا مستعبد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة تحافته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل الشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوقا ذليلا مدحورا متجريا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة العرق)

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الوقوف أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وطيور فأشرفت عليهم الشمس وقد تصاعف حرها وتبدلت محاسنات عليه من خفة أمرها ثم أدبت من رؤس العالمين كغاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستئلال به إلا القربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضطج حر الشمس قد صهرته بخرها واشتدكر به وغمه من وجهها ثم تداغت الخلائق ودفع

متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجاءهم من قول سهل وغيره وأدرجها مسلم فيه (١) حديث يبيت الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآدان قالت سودة رواية الحديث واسوأنا الحديث الثمالي واليهوى وهوى الصبيحين من حديث عائشة وهى القائمة واسوأنا ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائمة واسوأنا (٢) حديث أبي هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكفار على وجوههم قال أليس ألقى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يشبهه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بطلاعة نظير الله إليه ممكن حديث النفس فان بالدوام على ذلك يسير من أرباب الشاهدة . قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتبعك الريد بهذه الأصول وليستعن بدوام الافتقار إلى الله في ذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الحجلة والحياء من الانضاح والاختراء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أيديهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حنويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يئيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يقوم الناس لرب العالمين - حق يئيب أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه ^(١) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باوايلهم ويبلغ أذانهم ^(٢) » كذا رواه البخاري . وسلم في الصحيح وفي حديث آخر « قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فلياجهم العرق من شدة الكرب ^(٣) » وقال عتبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ عنقه ومنهم من يبلغ خصره ومنهم من يبلغ فاه ، وأشاريده فألقاها فاه ، ومنهم من ينطيه العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا ^(٤) » فأقبل يمسك في عرق أهل الحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب أرحمني من هذا الكرب والانتظار ولولاي النار وكل ذلك ولم يلتوا بعد حسا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ لك العرق . وعلم أن كل عرق لم يخرج التنب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجته مسلم وتحمل مشقة في أمر يعمره ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو لم يكن آدم من الجهل والغرور لم ألن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمنا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف فيه الخلائق شاحصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا ينظرون في أمورهم يقفون ثلثائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم . قال كعب وقادة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلثائة عام بل قال عبيد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال « كيف يك إذا جمعك الله كما تجمع البلى في السكينة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ^(٥) » وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يئيب أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يبرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا الحديث أخرجاه في الصحيحين كما ذكره اللصنف (٣) حديث قياما شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طية عيسى ابن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لأظن أنه كان يتمد الكذب لكن له تشبيه عليه (٤) حديث عتبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فبعضهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمرو تلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف يك إذا جمعكم الله كما تجمع البلى في السكينة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبيد الله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة وفيه ذكر له ابن أبي حاتم رواه غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة هذا أحمد مصرى والثلاثة الآخرون شاميون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق القسوم وهذا الافتقار مع كل الأضراس لا ينشأ بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراعاة الله والافتقار فيها لا تنقب خيرا قطعا علنا ذلك وتحققناه . وقال سهل

من اتقى من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيها لا يئيبه وتركه ما يئيبه . ولما أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن عذبه الله ثم رجس إلى

لأياكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شرية حتى إذا انقضت أعاقهم عطشا واحترق أوجافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لهما فلما بلغ المجهود منهم الملائكة لهم به كلم بعضهم بضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلموا بني الإدفهم وقال دعوني تقى نفسى شغلى أمرى عن أمر غيرى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فأتى كل طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن العاصى في عمره المختصر . واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا لعموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقهر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال «والذى نفسى بيده» يخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة بصلياً في الدنيا (١) فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فإدام يبق لك نفس من عمره فالأمر إليك والاستعداد بيدك فاحمل في أيام قصار الأيام طول أربع ربحاً لامتتهى لسروره واستحقق عمره بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يومئذ داره خمسون ألفاً السكان رحلك كثير أو تبك يسيراً .

(صفة يوم القيامة ودواهي وأسامي)

فاستعد بالمسكين لهذا اليوم العظيم فإنه اللبيب زمانه القاهر سلطان القرب أوانه ، يوم ترمى السماء فيه قد انقطرت ، والكواكب من هوله قد انثرت ، والنجوم الزواهر قد انكسرت ، والناس قد كورت ، والجبال قد سيرت ، والثمار قد عطلت ، والوحوش قد حشرت ، والبحار قد سحرت ، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والحجيم قد سمرت ، والجنة قد أزلت ، والجبال قد نسفت ، والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيزال لها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، ويومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ، ويعمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، يوم تدهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبزواها ، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتركها قاباً مضمضاً لا ترى فيها عرجاً وأولاً ، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كاللحان ، ويومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان ، يوم يمنح فيه العاصى من الكلام ولا يستل عنه الإجمار ، بل يؤخذ بالنواصي والأقدام ، يوم تجد كل نفس ماعلمات من خير محضها وما عملت من سوء تود أن يراها وبينه أمداً بعيداً ، يوم يحل فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تحرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة بصلياً في الدنيا أو يوفي بالبيقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ابن لميعة وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدله ابن لميعة وهو حسن ولا يبعد على ما حديث أبي هريرة بسند جيد بهون ذلك على المؤمن كندى الشمس للغروب إلى أن تهرب روماء عاديته في الشعب إلى أن قال أنه زعمه باقظ إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفرصة .

نفسه وقال مالى وهذا السؤال وهل هذه إلا أكلة لاتعنين وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أديها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لنفسه الكعبة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا . أخسبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصوراً يقول سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول سمعت الجندى يقول لو أنبل صادق على الله لكان ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته من الله أكثر مما نال وهذا

وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت يا رسول الله قال شيبتي هو دواهيهم^(١) وهى الواقعة والمرسلات ونعم يسألون وإذا الشمس كورت؟ فبا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءة كتابك أن تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فبا تروء لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك بما شاب منه شعر سيد المرسلين وإذا اقتضت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرت أساميتها لتنف بكثرة أساميتها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولى الألباب فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفى كل نعت من نعتيها فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك أساميتها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاسبة ويوم المساواة ويوم السابقة ويوم النافذة ويوم النافذة ويوم الرزلة ويوم الخدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم العاقبة ويوم الداهية ويوم الألفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاعقة ويوم التلاق ويوم القراق ويوم الساق ويوم القصاص ويوم التذاد ويوم الحساب ويوم المكاب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم المقام ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الحج ويوم البعث ويوم الفتن ويوم الحزى ويوم عظيم ويوم عظيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم الدين ويوم النشور ويوم العسير ويوم النشوة ويوم الصبغة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم المجمع ويوم التهنى ويوم الأولى ويوم اللغات ويوم المعاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الحرق ويوم الانتصار ويوم الانكسار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الحرج ويوم الثمان ويوم عيوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لارب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأصوار ويوم لا ينسى مولى عن مولى شيئا ويوم لا تغلغ نفس نفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والله عن ولده ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار يوم تردفهم الماذر وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار يوم تخضع فيه الأصوار وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخبيثات يوم يساق العباد ومعهم الأشهداء ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت المبعج وأغلى الحجم وزفرت النار وشى السكفار وسمرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت الجوارح الإنسان فبا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت الشجور واستترت عن الخلاق قارفت الفجور فهاذا نعمل وقد شهدت عليك جوارحك ولويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب للذين ينجربنا بهذه الصفات من نفوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اقرب لئلا حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقربت الساعة

الجلية يحتاج البدنى أن يحكمها والنفسى عالم بها عامل بحقائقها فالمتشدد صادق والنهسى صدق قال أبو سعيد القرشى الصادق الذى ظاهره مستقيم وباطنه يميل أحيانا إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الحلاوة فى بعض الطاعة ولا يجدها فى بعض وإذا اشتغل بالله كر نور الروح وإذا اشتغل بحفظ النفس صعب عن الأذكار والصديق الذى استقام ظاهره وباطنه يبد الله تعالى بتسلويع الأحوال لا يجيبه عن الله وعن الأذكار أكل

(١) حدث شيبتي هود والواقعة والمرسلات ونعم يسألون وإذا الشمس كورت الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وانفق القمر - إثم يرونه بيذا وكراء قريبا - وما يدرك ليل الساعة تكون قريبا - إثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا تتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأسمايه ولا نستمد لتفصيل من دواحيه فتعود بالله من هذه الفتنة إن لم يدركنا الله بوسع رحمة.

(صفة السامعة)

ثم تفكر بإمكانك بعد هذه الأحوال فما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير رحمان فتشغل عن القليل والكثير والنقر والتقطير فينبأ أنت في كرب القيامة وعرقها وحسنة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن قهز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة مائة عام ^(١) » فما ظنك بنفسك إذا عاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وترام على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين بما بدا من غضب الجبار على عباده وعند زولهم لا يبق نبى ولا صديق ولا صالح إلا وغرورن لأذنتهم خوفا من أن يكونوا هم للأخوذ في هذا حال اللقرين فما ظنك بالصا للمجرمين وعند ذلك يادرأقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وحسنة هيئتهم فتفزع للملائكة من سؤالهم إجلالا لحاقهم عن أن يكون فيهم فنادوا بأصواتهم مزهين ليلبكم عما توهه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه أت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفائحدين بالخلق من الجوانب وعلى جرحهم شعار الدل والحضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنأتى الذين أرسل اليهم ولنأتى الناس للرسائل فننقسن عليهم بطوعا كنا

غائبين - وقوله - فوريك لنساءهم أجمعين عما كانوا يعملون - فيبدأ بجانه بالأنبياء - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام النبوء - فيأشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنسى علومهم من حسنة الهبة إذ يقال لهم ماذا أجيتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد فعلوا قد هدى عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانغمت العلوم إلى أن يعوهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك هل بلغت فيقولون ما أتانا من نذير دؤبى يمسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنت قلت لناس اتخذوني وآمى الهين من دون الله فينتق متشظا تحت هبة هذا السؤال سنين فيالعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء يمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم إلى موقف العرض وعند ذلك ترعد القرائس وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وينشأ أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا ترض قبايح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرفت الأرض بنور ربها - وأغن قلب كل عبد بأقبال الجبار لمسألة العباد وطن كل واحد أنه ما يراه أحد سواء وأنه التصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل اتنى بالنار فجيء لها جبريل ويقول يا جبريل أجيى خالقك وملكك فيصا دفما جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد دئانه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشتمت وسمع الخلائق تخطي وزفيرها وانبهت خزنتها متوبة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأخطر يبالق وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فادعوا إلى الربك

(١) حديث إن قهز وجل ملكا مابين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ .

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصديق
يريد نفسه لله وأقرب
الأحوال إلى النبوة
الصدقية . وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء . واعلم
أن أرباب النهايات
استقامت بواطنهم
وظواهرهم قد
وأرواحهم خلصت
عن ظلمات النفوس
ووطئت بساط القرب
وتغسروهم منقادة
مطوعة صالحة مع
القلوب مجيبة إلى كل
ما تجيب إليه القلوب
أرواحهم متعلقة
بالحق الأعلى انضقت
فهم نيران الهوى
وتخمر في بواطنهم

وولوا مدرين يوم ترى كل أمة جالية - وسقط بعضهم على الوجه ومنكبين وينادي الصائغو الظالمون بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسى نفسى قينا هم كذلك إذ زفرت التارز فرمها الثانية تضاعف خوفهم وتخاذلت قوامهم وعلوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقطوا لخلق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خائعين وانهمضت عند ذلك قلوب الظالمين فبليت الحانجر كاظمين وذهلت العقول من السداء والأغصاء أجمين وبسد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا نجيتهم فإذا رأوا ماقد أقبل من السيادة على الأنبياء اشتد الفرع على العصاة فصر الوالد من ولد الوالد الأبرار من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيأهله الله تعالى شفاهنا عن قليل عظمه وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعشاه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تشارون في رؤية الشمس في الظهيرة تليس دونها سحب قالوا لا قال فهل تشارون في رؤية القمر ليلة البدر تليس دونه سحب قالوا لا قال فوالله تليس يديه لا تشارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له أ أم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والأبل وأذكرك رأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك لائق فيقول لا فيقول فأتنا أنساك كاستيتي ^(١) » فتوم نفسك بإسكيب وقد أخذت اللامكة بسندك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاه فيقول لك أ أم أكرمك عليك الشباب فبى ذا أبلبته أ أم أمهل لك في العمر فبى ذا أفتيته أ أم أزرقت لك المال فمن أين أكتسبته فبى ذا أفتقته أ أم أكرمك بالم فبى ذا أجاهمت فباعت فكيف ترى حياك وخجالتك وهو يعد عليك إنعامه ومماصيك وأياديه ومساويك فان أنكرت شمت عليك جوارحك . قال أنس رضى الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أندرون ثم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب أ أم تجزى من الظلمة قال يقول لى قال يقول لى لا أجزى لى نفسى إلا شاهداتى فيقول كنى بنفسك اليوم عليك حسيبوا بالكرام الكاتين ثم ودا قال فيختم لى فيه ويقال لأركان النطقى قال تنطق بأعمالهم غلى بينه وبين الكلام فيقول لأعشاه بدا لكن وسحقا فسنكن كنت أنا مثل ^(٢) » فعوذوا فمن الاتضاح على ملائحتى فبى شهادة الأضواء إلا أن الله تعالى وعد المؤمنين بأن يطلع عليهم غدا . سألوا عن بصره فقال له كيف سمع رسول الله صلى الله على الله وسلم يقول فى النبوة فىقول نعم فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم ^(٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر لى مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة ^(٤) » فهذا انما جرى ليدعو من ستر لى الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه قصيرهم ولم يحرك لسانه بدكر مساوئهم ولم يدكرهم فى غيبهم عما يكبرون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة وهب أنه قد ستر عن غيرك أليس قد ستر عنك الله النار إلى المرض فيسكتك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بنابتك فتعاقدون إذك مضطرب ولك طائر وفراصك مرتدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والمالم عليك من عدة المول مظهر قدر

صرح العلم انكفت
لهم الاخرة كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حق أبي
بكر رضي الله عنه من
أراد أن ينظر إلى مبت
يعنى على وجه الأرض
فليظر إلى أبي بكر
إشارة منه عليه
الصلاة والسلام إلى
ما كشف به من
صرح العلم الذى
لا يصل إلى عوام
الؤمنين إلا بدلول
حيث يقال فكشفنا
عك غطاءك فصرح
اليوم حديد - فأرباب
الباب مات أهولهم
وخلصت أرواحهم .
قال يحيى بن معاذ وقد
سئل عن وصف
العارف فقال رجل

(١) حديث أبي هريرة هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارن في رؤفة الشمس في الظهيرة ليس
بها سحاب الحديث متفق عليه دون قوله فيأتي العيد الخ فأورد بهامس (٢) حديث أنس أنهم
م أشجع قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخالطة العيد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن
عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى الحديث رواه مسلم
(٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتغرق الصفوف وتقاد كقناد الفرس المجبوب وقد رفع الحلائق إليك أيصارهم فوم نفسك أنك في أيدي اللوكين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرؤوك من أيديهم وناذاك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم إني قد فوتت من قلب خائف محزون وجل وطرف خائف ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسبنا فخذ كرتها وك من طاعة غفلت عن آفاتنا فانكشفتك عن مساوينا فكم لك من خجل وجبن وك لك من حسر وهجر فليت شري بأى قدم تقف بين يديه وبأى لسان تجيب وبأى قلب تفعل ما تقول ثم تفكر في عظم جرائك إذا ذكرك ذنوبك شغافا إذا يقول يا عبيدى أما استحييت منى قباورتنى بالبيع واستحييت من خلق فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظري غيرى ألم أنعم عليك فإذا غرك في أظننت أنى لا أراك وأنت لا تلتفتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مانسكم من أحد إلا وبأسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليقن أحدكم النار ولو يبق عرق فأن لم يجد فكملة طيبة» (٢) وقال ابن مسعود مانسكم من أحد إلا يسأله الله عز وجل به كما غلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما رك في يا ابن آدم ما عملت فيما علفت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك وأنت تنظر بها إلى مالا جل لك ألم أكن رقيبا على أذنك وهكذا حتى عدنا شرايعنا وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا أنفق فاعظم يأمنكسك بجناحك عند ذلك ويحطرك فانك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فصد ذلك بعظم سرورك وفرحك ويفطك الأولون والآخرون وإيمان يقال لله لا تسكنك فخذوا هذا العبد السوء فتلاوه ثم ألجم صلوته وعند ذلك لوبكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك.

(صفة اليزان)

ثم لا تخفل عن التمسك في اليزان وتطارى الكتب إلى الأيمان والشاغل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم في النار فيقتلهم النار وينادى عليهم شقاوة لاسمادة بعدها وقسم آخر لاسيتهم فينادى مناد ليتم الحامدون فله كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل ذلك فييام الليل ثم يعم لم تشغلهم تجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لاشقاوة بعدهوا يهين قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يغنى عنهم ولا يغنى الله تعالى أن الغالب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يرفقهم ذلك بين فضله عند العفو وعذله عند العقاب فتتطارى الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب اليزان وتشتخص الأبصار إلى الكتب أتمع في العين أو في الصلابة ثم إلى لسان اليزان أو يميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث مانسكم من أحد إلا وبأسأله الله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبى حاتم بلطف إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخارى من حديث عدى بن حاتم .

مهم بأش منهم وقال مرة عبد كان فإن فأرباب الهبات ثم عند الله بحقيقته معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهوى وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرم دواء ظاهرهم مخفوط بالحكم وباطنهم معمور بالمعلم . قال ذو البشون علامة المارق ثلاثة لا يطيق نور مفرقه نور ورعه ولا يستقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله فأرباب الهبات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضى الله عنها فنفس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال معها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشبه فقال ما يبكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكر أن أهلكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت للوزن ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أن يحف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أيمنه يأخذ كتابه أو جناله ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي البران ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سدد فلان سعادة لا يبقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية بأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فأثدون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « يا أيها يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فأيث بئس النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبأسوا حتى ما وضوا أبدا حاكم فدا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي محمد بيده إن معكم لحفوتين ما كانتا مع أحد قط إلا أكثرته مع من هلك من بني آدم وبني إيليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالحرقعة في ذراع الدابة (٢) »

(صفة الحصاء ورد الظالم)

قد عرفت هول البران وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان البران - فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية - وإع أن لا ينجو من خطر البران إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بيزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته وحفظاته كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا وإعنا حاسبه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل اللوت توبة نصوحا وينتدرك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد الظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويظلم قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد الظالم أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتماق بلبيه هذا يقول ظفنتي وهذا يقول شئتني وهذا يقول استبرأتني وهذا يقول ذكرتنى في القبية بما يسوءنى وهذا يقول جاورتنى فأنت جوارى وهذا يقول عاملتنى فشدتني وهذا يقول يا بعتني فبعتنى وأخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر

كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكلما تاولوا شهوة من شهوات الفسوس استخرجت منهم شركا عافيا يتداولون الشهوات ذرة رقعا بالنفوس لأنها مهمهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهذى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يتعنون نفوسهم للشهوات تأسيا بالأبناء واختيارهم التقلل من الشهوات النبوية قال

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكر أن أهلكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
- (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فأيث بئس النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا لما أطمعتني وهذا يقول وجدته مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عن فداهت الظالم وما راعيتني ، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الحياء فيك محالهم وأحكوا في تلايتك أيديهم وأنت مهوت متعبر من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة نبية أو خيانة أو نظر بين استحقار وقد ضمنت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخاصك من أيديهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزى كل نفس بما كتبت لآلظم اليوم - فند ذلك ينخل قلبك من الحية وتوقن نفسك بالبور وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقننى رهوسم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس بالآفة ما أشد فحرك اليوم بتمشك بأعراض الناس وتناول أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوقته بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عدرا فند ذلك تؤخذ حسناتك التي تبيت فيها عمرك وتنقل إلى خصائلك عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من النفس قلنا النفس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال النفس من أمق من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن ثبت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ^(١) » ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة من آفات الزيادة ومكاييد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدعها خصاؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواطن على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقضى عنك يوم إلا ويجزى على أسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف يبقىة السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من الظالم في يوم يقتضى فيه للجماة من القرناء ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شابين يتطحنان فقال يا أبا ذر أتدرى فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن الله يدري ويسقي بينهما يوم القيامة ^(٢) » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا لأمم أمثالكم - إنه يحشر الحاق كلهم يوم القيامة إليهم والوداب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني ترايا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكنت أنت بإمكانك في يوم ترى هيبتك خالية عن حسنات طال فيها تصبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى هيبة خصائلك وترى هيبتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصيبك واشتد بسبب الكف عنها عاؤك فتقول يارب هذه سيئات ما أقرفها فقل فيقال هذه سيئات القوم الذين اعتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في البائسة والمجاورة والمناظرة ولذا كرة والمدايسة وسائر أصناف العاملة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من النفس ؟ قالوا النفس يارسول الله من لا درهم له ولا دينار الحديث تقدم (٢) حديث : يا أبا ذر أتدرى فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن ربك يدري ويسقي بينهما أحمد من رواية أشياخ لم يسوموا عن أبي ذر .

يحي بن معاذ الدنيا
عروس تطلبها ما شقتها
والزاهد فيها يسقم
وجهاها ويتفشمها
ويحرق ثوبها والعارف
بالله مشتعل بسيده
ولا يلفظ إليها .
واعلم أن التهي مع
كالحاله لا يستغنى أيضا
عن سياسة النفس
ومنها السهوات وأخذ
الخط من زيادة الصيام
والقيام وأنواع البر
وقد غلط في هذا
خلق وظنوا أن التهي
استغنى عن الزيادة
والتواضع ولا على قلبه
من الاسترسال في
تناول اللذات والشهوات
وهذا خطأ لا من حيث
إنه يحجب العارف
عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يشئ أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيريض منكم بما هو دون ذلك المحقرات وهي الوبقات فافقوا الظلم المستطعم فان العبد ليحيى يوم القيامة بأعمال الجبال من الطاعات فيرى أمنه سينجيته لها يزال عبد يحيى فيقول رب إن فلانا ظلمي بمظلة فيقول امح من حسناته لها يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم - حطب ففترق التوهم لحطوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنك يوم القيامة عند ربك تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال : نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسمع فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن الطمة ولا عن مكة حتى ينتقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر العباد

عراة غبرا بما قال : قلنا ما بها قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الله أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلة حتى أقصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أقصه منه حتى الظلمة قلنا وكيف وإنما تأتي الله عز وجل عراة غبرا بما قالوا بالحسنات والسيئات (٣) » فافقوا الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالتفرغ إليه ما أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب غبرا وعسر عليه استحلال أرباب الظالم فليكثر من حسناته يوم القصاص وليس بعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يظلم عليه إلا الله فضاء يرمي بذلك إلى الله تعالى فيقال به لطفه الذي ادخره لأحبابه للؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إلى بني يثرب حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله أبى أنت وأمي قال رجلان من أمي جثا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لي مظلي من أمي فقال الله تعالى أعطاك مظلة فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال وقاضيت عني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

يوقف عن مقام الزيد
وفوم لما رواه أن هذه
الأشياء لا تؤثر فيهم
فسو ولا نورهم - حجة
ركنوا إليها واستمسكوا
فيها وقسموا بأداء
القرائن واتسموا في
الأساطير والشرب وهذا
الانسياط منهم بقية
من - صكر الأحوال
وتقيد بنور الحال
وعدم التخاص
بالكلية إلى نور الحق
ومن تخاف من نور

(١) حدث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيريض منكم بما هو دون ذلك المحقرات وهي الوبقات الحديث وفي آخره إياكم ومحقرات الذنوب فانهم يجتمعون على الرجل حتى يهلكونه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لمن مثالا الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر إن الشيطان قد أيس أن يعبد الصالون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنك يوم القيامة عند ربك تختصمون قال الزبير يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غبرا بما قال بها قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله ابن أنس رواه أحمد بإسناد حسن وقال غرلا مكان غبرا .

مرضاة وقصورا من ذهب مكالمة بالؤلؤلأى نب هذا أولأى صدق هذا أولأى شهيد هذا قال لمن أعطاني
الغن قال يارب ومن يملك غننه قال أنت تملكه قال وما هو قال غفوك عن أخيك قال يارب إنى قدغفوت
عنه قال الله تعالى خلدك أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
وأسلعوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين (١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتذكر الآن في نفسك إن خلت صحتك عن الظلم أو تلتطف
لك حق فعناك وأبغضت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع
عليك خلمة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها غفاه وينعم لا يدور بمحوه الفناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابتسج وجهك واستنار وأشرق كإشراق القمر ليلة البدر ففهم تبتكر بين الخلائق
رافضا رأسك خاليا عن الأوزار ظهورك ونضرة نسيم الريح وبرد الرضا لا لمن جينك وخلق الأولين
والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويضطرونك في حسنك وجمالك واللائكة يشعرون بين يديك ومن
خلفك وينادون على رموس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنوا رضىوا وقد سمد سعادة لا يشقى
بعدها أبدا أقرى أن هذا النصب ليس بأعظم من السكينة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا يريائك
ودراحتك وتصنعك وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لائبة له إليه فقول بل إلى إدراك هذه
الربة بالأخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فإن تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى
والإله بالذات بأن خرج من صهيقتك جربة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة ففتنك لأجلها قال
عليك لعن يا عبد السوء لا تقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويأسود وجهك ثم تقضب
للائكة نقشب الله تعالى فيقولون عليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنال إليك الزبانية
وقد غضبت لنصب خالقها فأندست عليك بظافتها وزعارتها وصورها للشركة فأخذوا بناصيتك
يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون إلى أسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
تنادى بالويل واليبور وهم يقولون لك لا تسمع اليوم ثبورا واحدا وادع ثورا كثيرا واتدى لللائكة
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعجزه ولونه بيا غمساويه شقي شقاوة لا يسعد
بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طابا للمكانة في قلوبهم أو خوفهم من
الافتضاح عندهم لما أعظم جهلك إذ تعترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا
النفسية ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التمرض لسخط الله وعبابه الأليم والسباق
بأيدي الزبانية إلى سواء الجميع فهذه أحوالك وأنت لم تشمر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تذكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى - يوم نحشر النشيق إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
إلى جهنم وردا - وفي قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم - فتقوهم إنهم مسئولون عما نالوا بعدهم
الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السيف وأدى من الشعر فرف
استقام في هذا العالم على الصراط للمستقيم خفف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
وأثقل ظهره بالأوزار وعصى شرف أول قدم من الصراط وتردى فتذكر الآن فيا يغفل عن الفرع بغوادك
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع يسررك على سواد جهنم من غته ثم قرع صمرك شريق النار وتغيظها
(١) حديث أنس يينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأته ضحك حتى بدت نثاياه فقال
عمر ما ضحكك يا رسول الله أبني وأمي قال رجلان من أمي جيا بين يدي رب العالمين الحديث بطوله
ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والمحكم في الاستدراك وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
ينهب عنه بجاء
السكر ويوقف نفسه
مقام العبيد كأحد
عوام المؤمنين يتقرب
بالصلاة والصوم وأنواع
البر حتى يملأه الأذى
عن الطسرق ولا
يستكر ولا يستكف
أن يسود في صور
عوام المؤمنين من
إظهار الإرادة بكل
بر وصلة فيتناول
السنوات وقتا رهقا

وكانت أن تثنى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهرك بالأوزار
 النافعة لك عن التثني على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه
 إحدى رجايبك فأحسست بحدة واضطرت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزولون
 ويتعثرون ويتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاب وأنت تنتظر إليهم كيف يشكون فتسفل
 إلى جهة النار ردوسهم وتعلو أرجلهم فيأله من . نظر ما ألقه ومرتقى ما أصبح وما مضى فأنظر
 إلى حالك وأنت ترحف عليه وتصعد إليه وأنت مثل الظهر بأوزارك تلنت بينا وشالا إلى الخلق
 وهم يتأثتون في النار والرسول عليه السلام يقول «يا رب سلم سلم» والزعماء بالويل والثبور قد
 ارتفعت إليك من قدر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك
 ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياي باليتي
 اتخذت مع الرسول سيلا بأوليئنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا باليتي كنت ترابا باليتي كنت نسيما
 باليتي أمتي لم تلدني ، وعند ذلك تحطفتك النيران والعايا بالله وبأدى النادى اخشعوا بها ولا تسكعون
 فلا يتسبى سبيل إلا الصباح والأبين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عتلك وهذه الأخطار
 بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وإن كنت
 به مؤمنا وعنه غافلا وبالاتعداد له متهاونا فما أعظم خسارتك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا
 لم يثبتك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا هو الصراط
 وارتباع قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فناهيك به هولا وفزعار عبال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يمر بأمتهم من الرسل ولا يتكلم ويومض
 إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل أيتهم
 شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فأتها مثل شوك السعدان غير أنه لا يملأه عظمه إلا الله تعالى
 تحطفت الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعمله ومنهم من يغرق ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكراليب وخطاطيف
 تحطفت الناس بينا وشالا وعلى جنبتيه . لا تسكة . يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق
 ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يسعى مشيًا ومنهم من
 يجبو جبوًا ومنهم من يزحف زحفا فأتاهل النار الذين هم أهالها فلا يزوتون ولا يحجون وأماناس
 فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون لحما ثم يؤخذ في الشفاعة^(٢) وذكر إلى آخر
 الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الأولين والآخرين
 لمقات يوم معلوم فبما أربيعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فضل القضاء » وذكر الحديث
 إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال « ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رءوسكم فرفعوا رؤوسهم فبعظهم
 نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من
 يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من
 ذلك حتى يسكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة ويجزو مرة فإذا أماء
 فمن قدمه فتضى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس للظهرة الزكاة
 للعبادة الطوعية لأنها
 أسيرته وبعثها
 الشهوات وقتا لأن
 في ذلك صلاحها
 واعتبر هذا سواء
 بحال الصي فانه إن
 جاوز حد الاعتدال
 من إعطاء السراد
 وقتا ومنه وقتا
 اتسدت طبعه لأن
 الجيلة لا بد من قهرها
 بسياسة العلم ومادامت
 الجيلة باقية لا بد من

بِر كطرف العين ومنهم من بِر كالبرق ومنهم من بِر كالسحاب ومنهم من بِر كغضاض السكوا كَب
ومنهم من بِر كشد الفرس ومنهم من بِر كشد الرجل حتى بِر الذي أعطى نور على إمام قدمه يجيو
على وجهه ويديه ورجليه غير منه بد وتعلق أخرى وتعلق رجل وغير أخرى وتصيب جوانبه النار
قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلس وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط
أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ أُرثيتا فَنُطَاق به إلى غدير عند باب الجنة فيقتل ^(١) وقال أنس بن
مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعر وإن اللاتكة
ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإنى لأقول برب سلم - ثم قال - إن
والزلات يومئذ كثير ^(٢) » ثم ذكر أهوال الصراط وعظائم العقول فيذكر كأن أسلم الناس من أهوال
يوم القيامة من طالع لها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال
في الدنيا أمَّنَا في الآخرة ولست أعنى بال خوف رقة كرتة النساء تدمع عينك وبرق قلبك حال السباع
ثم تنفسه على القرب وتعود إلى الهوك ولبيك فمأذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئًا برهته
ومن رجا شيئًا طلبه فلا ينجاك إلا خوف تتعك عن معاصي الله تعالى ويترك على طاعته وأبمدن
رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استغث بالله لنعوذ
بأنه لا يهزم سلم سل ولم مع ذلك مصرون على العاصي التي هي سبب هلاكهم فالتيطان ينسجك من
استغاثتهم كما ينسجك على من يقصده سبع ضار في حمراء ووراء حصن فاداري أي أنياب السبع وعونه
من يده قال بلسانه أعوذ بهذا الحصين وأستعين بشدة بنيانه وأحكم أركانه يقول ذلك
بلسانه وهو قاعد في مكانة فأني ينبغي عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حد الأول
لإله إلا الله صادق والمصدق صدقه أن لا يكون له مقصود الله تعالى ولا ما بعد وغيره من أخذ الله
هواه فهو بعيد من الصدق وتوحيد وأمره خطر في نفسه ما يحجز عن ذلك كما فكسبح بحمدا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرصا على تحصيل سنته ومتقوا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمتهم وتبركا
بأعتيهم فسادك أن تال من شغاعته أو شغاعتهم فتجوب بالشفاعة إن كنت قابل الشاعة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى يضلّله قبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة الملائكة والصالحين وكل من له عند الله تعالى عاود حسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكأن حرصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تخسر آمنا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عباده فأمل الذي يزدرب عليك هوولي الله ولا تستعصر معصية أصلا لأن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل تمت الله فيه ولا تستعصر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبا رضاء في طاعته فلعل رضاء فيه ولو السكينة الطيبة أو القنعة أو التوبة الحسنة أو ما يجري مجراة وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولعل يعطيك ربك فترضى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم فيما أربعين سنة شاخته أصابهم إلى البقاء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدي والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشجرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا إسناد ضعيف قال وروى عن زياد الفيزي عن أنس: مرفوعا الصراط كحد الشجرة أو كحد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه إن لمحة.

سياسة السلم وهذا
باب غامض دخل
في الهيايت على المنهى
من ذلك ودخل ووقع
الركون واند به
باب المزيد فالمنهى
ملك ناصية الاخبار
في الأخذ والترك ولابد
له من أخذ وترك
في الأعمال والحظوظ
ففي الأعمال لابد له من
أخذ وترك فتارة
يأتى بالأعمال كاحاد
الصادق وتارة يترك

روى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنك ولانك ولا نسوك^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحللت لي القتائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطريقاً فأبصر رجلاً من أمتي أدر كنه الصلاة فقلت وأعطيت الشفاعة وكل نبي يست إلى قومه خاصة ويشت إلى الناس عامة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « وإذا كان يوم القيامة كنت إمام التبيين وخظيم وصاحب شفاعتهم من غير نكر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول منشف يدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة^(٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقيمون منبري لا يجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً يخاف أن يثبت إلى الجنة وتبقى أمتي بعدى فأقول يارب أمتي يقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يارب عمل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاً لرجال قد ثبت بهم إلى النار حتى إن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لتتضب ربيك في أمتك من بقية^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر^(٦) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحهم فرقة إلى القدرع وكانت تصبج قريش منها نهباً ثم قال أنا سيد الرسلين يوم القيامة وهل تدرون من ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من التهم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس

زيادة الأعمال رقاً
بالنفس وتارة يأخذ
المخطوط والتهنوت رقاً
بالنفس وتارة يتركها
افتقاداً للنفس بحسن
السياسة فيكون في
ذلك كله مختاراً فمن
ساكن ترك المخطوط
بالكلية فهو زاهد
تارك بالكلية ومن
استمر في أخذها
فهو راغب بالكلية
والنهي شمل الطرفين
فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه . ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنك ولانك ولا نسوك في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النسخ (٢) حديث أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي وأعطيت الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام التبيين وخظيم وصاحب شفاعتهم من غير نكر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقيمون منبري لا يجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البجلي ضعيف (٦) حديث إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر الحديث والطبراني من حديث بردة بسند حسن .

بضمهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بأدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجر فصبته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد حماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ويدكرها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك برسائه وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وإنى قلت تساموا وأمرى بقتل نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلته ألقاه إلى مريم وروح منه وكلت الناس فى الهدى اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وحاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأعطى فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من حماده وحسن انشاء عليه شيئا ثم يفتح على أحد قبى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطوا اشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول آمين آمين يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ثم يركبهم شركاء الناس فاسوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسى بيده إن بين الصرايين من مصارع الجنة كباين مكوك حمر أو كباين مكة وبصرى ^(١) وفى حديث آخر هذا السياق بينه مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله فى الكواكب هذا ربى وقوله لأهتهم بل ضله كبيرهم هذا وقوله إنى سبق فهدى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحاديث من السماء والصالحين شفاعة أيضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل تم يا فلان فأشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة

(١) حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله فرغ إليه الدراع وكان يعرجه فتشربها نهشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السياق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجه مسلم ^(٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر وروياه فى جزء ابن عمر بن السالك من حديث أبى أمامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان للشبيخة برون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان وإسناده حسن ولازمى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجعدا يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمتى أكثر من بنى نعيم قالوا سواك قال سوى قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قبل أراد بالرجل أوبسا .

واقف على الصراط
بين الافتراط والتفريط
فن ردت إليه
الأنعام فى النهاية
فأخذها زاهدا فى
الزهد فهو تحت قهر
الحال من ترك الاختيار
وتارك الاختيار الواقف
مع فعل الله تعالى مقيد
بالحال وكان الزاهد
مقيد بالترك تارك
الاختيار فكذلك
الزاهد فى الزهد الأخذ
من الدنيا ماسيق إليه

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقي شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ قلت لا من أنت ؟ فقال أنا الذي استسقيت في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجاً إذا بنوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا بشوا الواء الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا غير (٣) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك اللقائم غسيري (٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلكم تكسبوا ، وقال آخر فعبس كفة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا غير وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك خلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلهم ومعى قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) »

(صفة الحوض)

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته أن من شرب منه لم ينظماً أبداً . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغناءه فرفع رأسه متبجاً فقال والله يارسول الله لم ضحكك ؟ فقال آية أنزلت على آتفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعدنيه

(١) حديث يقال للرجل قم بإعلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أممي من يشفع للقبائل ومنهم من يشفع للقبيلة الحديث وقال حسن ولليزار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقيت شربة فسقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجاً إذا بنوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب (٤) حديث فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليل الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا غير وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك خلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلهم ومعى قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) »

لرؤيته فعل الله مقبدا بالأخذ وإذا استغفرت النهاية لا ينقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختيار من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافقة وصلاته النافقة يأتي بها وقتا ويسمح للنفس وقتاً لأنه مختار صحيح الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر

ربى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آتيت عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يبتأ أنا أسير في الجنة إذا نهر حاتفه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فحضر الملك يده فإذا طينه منك أذفر (٢) وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابتي حوض مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة ومحمان (٣) وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حاتفه من ذهب شرابه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل وأطيب رجحا من السك يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان (٤) وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضى ما بين عدن إلى عمان اللقاء ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظأ بعدها أبدا أوكل الناس ورودا عليه قرداء المهاجرين قال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله قال ثم التفت رهوبا الدنى ثوبا الدين لا يبتكمون التمتع والانتفع لهم أبواب السدد (٥) قال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكت المتعات فاطمة بنت عبد الملك وتحت على أبواب السدد لأن رضى الله لاجرم لأدهن رأسى حتى شعث ولا أغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتشع وعن أبى ذر قال «قلت يارسول الله ما آتية الحوض؟ قال والذى نفس محمد بيده لأنيت أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة للضجة من شرب منه لم يظأ آخر ما عليه شخب فيه ميزان من الجنة عرضه مثل طول ما بين محمان وأيلة ماؤه أشدّ يابسا من اللبن وأحلى من الصل (٦) وعن حمزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون بهم أكثر واردة وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة (٧) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متمنيا ومفترا وهو يظن أنه راج فان الراعى للحصاد من بيت البذر يوفى الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحرث أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإغفاءة فرغ رأسه متمسكا فقالوا له يارسول الله لم ضحك فقال آتية تزل على آغا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس يبتأ أنا أسير في الجنة إذا نهر حاتفه قباب اللؤلؤ المجوف الحديث الترمذى وقال حسن صحيح ورواه البخارى من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابتي حوض مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة ومحمان (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حاتفه من ذهب الحديث الترمذى مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الداريمى في مسنده وهو أقرب إلى لفظ المصنف (٥) حديث ثوبان إن حوضى ما بين عدن إلى عمان اللقاء الحديث الترمذى وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبى ذر قلت يارسول الله ما آتية الحوض قال والذى نفس محمد بيده لأنيت أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث حمزة إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون بهم أكثر واردة الحديث الترمذى وقال غريب قال وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن بن النضر عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه غيره عن حمزة وهو أصح

ويستقيم بشكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غدير رمضان ويتناول الشبهوات ولما قال الرجل إننى عزمت أن لا أكل اللحم قال فإنى أكل اللحم وأجبه ولوسألت

فهذا مفر ومنمن وليس من الراجين في شيء* وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحقى نموذبا لله
من التور والنفقة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدين قال الله تعالى - فلا تترنم الحياة
الدنيا ولا يترنمكم بالله التورور -

(القول في صفة جهنم وأهوالها وأنسائها)

يا أيها الناقل عن نفسه التورور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا للشرقة على الاشياء والوالدع
التفكر فيها أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل -
وإن منكم إلا زواجرها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الدين اتقوا ونذر الظالمين فيها جياشا فأتت
من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستدرك ما جئته
وتأمل في حال الخلاق وقد قالوا من دواهي القيامة ما قاسوا فيها في كرها وأهوالها وقوا في انتظار
حقيقة أبايتها وتشفيح شعاعها إذ أحاطت بالهجرين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب
وصموا لها زفيراً وجرجرة فصيح عن هذه التيط والتضرب فعد ذلك أيقن الهرمون بالعطب وجث
الأم على الركب حتى أشفق البراء من سوء التقلب وخرج للناسى من الزبانية قالوا : أين فلان
ابن فلان السوف نفسه في الدنيا بطول الأمل الضيع عمره في سوء العمل فيأبدونه بمقام من
حديد ويستنبطونه بظلمتهم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، ويسكنونه في قصر الجحيم
وينولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا ههنا ضيقة الأرجاء مظلمة السالك بهمة اللهالك
غلد فيها الأسير وبوقد فيها الدعير شراهم فيها الحميم وسفرهم الزبانية تدمهم والمهاوية
تجمعهم ما نهم فيها الهلاك ومالم منها فكك قد شدت أقدامهم إلى النواصي وأسودت وجوههم
من ظلمة العاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا
الوحيد يا مالك قد أقتلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نموت فنقول
الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاحشوا ذنوبها ولأنكم لموتوا فخرجتم
منها لستم إلى ما نهمت عنه تمودون فعد ذلك ينطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا
ينجهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم
والنار عن أعينهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طامهم نار وشراهم نار وليأسهم نار
ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القاع وتل السلال فهم يتجلبون
في مضائقها ويتحطمون في دركاتنا ويضطربون بين غواشيها تفل بهم النار كفى القدرور ينون
بالويل والويل ومهما دعوا بالثور صب من فوق رموسهم الحميم يصهر به ماني بطونهم والجلود
ولهم مقام من حديد تهشم بها جباههم فينتجر الصديد من أفواههم وتقطع من العنق أكبادهم
وتسيل على الحدود أقدامهم ويسقط من الوجات لحودها ويتمطم من الأطراف شعور هابل جلودها
وكلا نضجت جلودهم بدلو جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة
بالروق وعلاق العصب وهى تنش في لقع تلك النيران وهم مع ذلك يتعنون الموت فلا يتون فكيف
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأعميت أصارهم وأبكت ألسنتهم
وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصهم وأقدامهم وهم يشنون على النار بوجوههم ويطلون حاك الحديد بأقدامهم
فليب النار سار في بواطن أجسامهم وحيات المهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا مبين

(القول في صفة جهنم)

ي. أن يطمع كل يوم
لأطمع وذلك يدلك
على أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
عشارا في ذلك إن شاء
أكل وإن شاء لم يأكل
وكان يترك الأكل
اختيارا وقد دخلت
الجنة على قوم كذا
قيل لهم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فل كذا يقولون كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشرقا وهذا إذا

جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتذكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعبة في كل شعبة سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والنافق حتى يواقع ذلك كله^(١) » وقال في كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قبل يارسول الله وما وادي أوجب الحزن قال واد في جهنم تمود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء للرايين^(٢) » فلهذا سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعابها وعدد أبوابها يمدد الأعضاء البسة التي بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجعيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شبوات الدنيا فكذلك لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا رجلا يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا جحر أرسل في جهنم من مذبحين عاما الآن انتهى إلى نهرها^(٣) » ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الآخرة كبر درجات وأكبر تفضيل لافسكا^(٤) إن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهم من استكثر كالفرق فيها ومن خالف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم يتفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقامهم عذابا لو عرست عليه الدنيا بخلافها لانتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يشتمل بنقلين من نار ينطى دماغه من حرارة تنليه^(٥) » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فاقرب أصبعك من النار وقل ذلك به ثم اعلم أنك أشطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيأت لو وجد أهل الجعيم مثل هذه النار لحاظا وهاططا من هراهم فيوعن هذا غير في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقتها أهل الدنيا^(٦) » بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمار الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احترمت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة^(٧) » وقال عليه السلام « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي ظنين

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعبة في كل شعبة سبعون ألف ثمان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والنافق حتى يواقع ذلك كله ثم أجده هكذا جملة وسبأني بعده ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على توذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهاني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم في ذم الجاهل والرياء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا رجلا يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا جحر أرسل في جهنم الحديث رواه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من يشتمل بنقلين من نار الحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (٥) حديث إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقتها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد ولإزار من حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليك حتى أحسبه قال نضحت بالماء فتنهى عليك (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار ألف عام حتى احترمت الحديث تقدم

قلوه على معنى أنه لا يلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد قوله والعزيمة التأسي بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخصه وفعله لأرباب العزائم ثم إن المنتهى محاكي حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل

نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من
 زمهريرها (١) وقال أنس بن مالك يؤتى بأثم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغمره في النار غمرة
 ثم يقال له هل رأيت نبياً قط يقول لا يؤتى بأثم الناس غمره في الدنيا يقال اغمره في الجنة غمرة
 ثم يقال له هل رأيت غمره في النار قط يقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة ألف أو يزيدون ثم تنفس
 رجل من أهل النار لما أتوا وقد قال بسن الماء في قوله تالله وجوههم النار - إنها لهم حبة واحدة فما
 أقيت لحما في عظم إلا أقتته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى
 يفرقون فيه وهو السناق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ «لأن دلوام من غساق جهنم ألقى
 في الدنيا لأن أهل الأرض» (٢) فهذا شرابهم إذا استنقوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد
 يتجرعه ولا يكاد يسيغه وبأثمه الموت من كل مكان وما هو بيت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالملح
 يشوى الوجوه بسن الشراب وساءت مرتفعاً . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى
 - ثم إنكم إليها المثلون للكاذبون لا تكون من شجر من زقوم المثلون منها البطون فثابرون
 عليه من الجحيم فثابرون شرب الحميم - وقال تعالى - إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه
 ردوس الشياطين قائم لا تكون منها المثلون منها البطون ثم إن لهم عليها ثلثون من حميم ثم إن مرجعهم
 إلى الجحيم - وقال تعالى - تصل ناراً حامية تسقي من عين آنية - قال تعالى - إن لدينا أنكساً وجعياً
 وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ «لأن قطرة من الزقوم نظرت في
 بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك» (٣) وقال أنس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «ارغبوا فيها رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله فيه من عذابه
 وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبها لكم ولو كانت
 قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثها عليكم» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيهم من العذاب فيستغيثون بالطعام فيثابرون بطعام
 من ضريع لا يسمن ولا يبنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيثابرون بطعام ذي غصة فيزدكرون أنهم
 كما كانوا يجيرون القصص في الدنيا شراب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد
 فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع مائل بطونهم فيقولون ادعوا
 خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فيقولون وألم تترك
 تأنيك رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا أوما دعا الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكم
 فيدعون فيقولون يا مالكم ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ما تكونون» (٥) وقال الأعمش أن

ما كان يستمد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 ينهى أن يستمد
 فكان قيام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وصامه الزائد لا يغلو
 إما أنه كان يقتدي به
 وإما أنه كان لمزيد
 كان يجده بذلك فان
 كان يقتدي به
 فالله أيضاً مقتدى
 به ينهى أن يأتي مثل
 ذلك والصحيح الحق
 أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين الحديث تنق
 عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلوام من غساق ألقى في الدنيا
 لأن أهل الأرض الترمذي وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث
 ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معاشهم الحديث
 الترمذي وقال - حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارغبوا فيها رغبكم الله واحذروا وخافوا
 مما خوفكم الله من عذابه من جهنم الحديث لإجله إسناداً (٥) حديث أبي الدرداء يلقى على
 أهل النار الجوع حتى يعدل مام فيهم من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذي من رواية حمزة
 ابن عطاء عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والناس لا يعرفون هذا
 الحديث وإنما روى عن الأعمش عن حمزة بن عطاء عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعائهم وبين إجابة مالك بإمام ألف عام قال فيقولون ادعوا ربك فلا أحد خير من ربك فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخشوا فيها ولا تسمكون قال فمعد ذلك يشقوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل، قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعوه ولا يكاد يسيغه - قال «يقرب إليه فيشكره فإذا أدنى منه سوى وجهه فوقف فرورق أسه فاذ شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من بده رسول الله تعالى - وسقوا ماء حما قطع أمعاءهم وقال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١)» فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة صومها وعظم أشخاصها وقنطرة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فوسى لا تفر عن التشى واللذع ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله المال فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بله زممه يعني أشداه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا عسرين الذين يخيّلون بما آتاهم الله من فضله الآية - (٢)» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حوتها أربعين خرقة وإن فيها لعقارب كالإبل للوكمة يلسعن اللسعة فيجد حوتها أربعين خرقة وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم يثل له (٣)» ثم تفسر بهذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولفح العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفقة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه (٥)» وقال عليه السلام «إن الكافر ليجر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦)» ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار حررات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما ضجعت جلودهم بدلناهم جلوداً غير لها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيمردون كما كانوا - ثم تفسر الآن في بكاء أهل النار وتشريقهم ودعائهم وبولل والبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إقامتهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يومئذ لما سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧)» وقال أنس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون لهم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأندود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء

- (١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعوه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه
- الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة - رسول من حديث جابر نحوه
- (٣) حديث ابن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شفقة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث إن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب وأبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى بهم يومئذ لما سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبدالله بن مسعود.

عليه وسلم لم يفعل ذلك لجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الحيلة . قال الله تعالى خطايا له - وابدع ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمداداً من الحضرة الإلهية وقرب باب الكرم والوفاء عليه الصلاة والسلام مغفر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستثنى

والسبيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلم يه مفسروح ولكنهم يمتون أيضا من ذلك (٥)
قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجهم الله عز وجل في أربعة إذا كانت الخامسة لم يتكلموا
بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا الذين وأحبنا الذين عترفنا بديننا فإله إلى مخرج من سبيل - فيقول
الله تعالى عيما لهم - ذلك بأنه إذا دعا الله وحده كفرتم وإن شرك به تؤمنوا بالحكمه العاقل
الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا وحناننا لمصالحنا فيجهم الله تعالى - أولم تكونوا أقسمتم
من قبل ما كن من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - فيجهم الله تعالى - أولم
نعصمكم ما تذكركم فيه من تذكر وجاءكم النذر فتدعوا لها بطائين من نصير - ثم يقولون ربنا غلبت
علينا شغوتنا وكنا قوما سالحين ربنا أخرجنا منها فإن عذابنا قد ظالمونا - فيجهم الله تعالى - أحسنوا فيها
ولانكسبون - فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله رضى عنه:

قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محرم - قال صبروا ما مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا - قال صلى الله عليه وآله وسلم «يؤتى بالوت يوم القيامة كأنه كبش أملع فذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلدوا بل موت ويا أهل النار خلدوا بلاموت»^(١٠٧) وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتى كنت ذلك الرجل وروى الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهو يكي قيل له تبكى؟ قال أشتى أن يطرحنى في النار ولا يأتى هذه أسناب عذاب جهنم على الجنة وتفضل نحوها وأحزاتها وبها وحسرتها لانهائية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة قوت نعيم الجنة قوت لقاء الله تعالى وقوت رضاه مع عليهم بأنهم باعوا كل ذلك بشئ نفس داهم معدودة إذ ليسوا بذلك إلا جهنم وأحسرت كيف أهلكنا أنفسنا بهيمان ربنا وكيف أنكفأ أنفسنا الصبر أيا ما فاقلنا ولم نبرنا لكنا قد اهضمت عنا أيامه وشيئا الآن في جوار رب العالمين متنعين بالرضا والرضوان في الجنة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم بلوا على بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا والديار إنما هم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفوا وأرغمتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصفروا ثم عتيا لا تصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون ينشأ فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نرتبنا ما نرى نيمان ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى إذا أردت بك كشيء إذا أوتيت بآرزوتى ما بالعظماء وإذا ألقيت الناس لقيتهم تخبون تخبرنا من خلاف ما نعتظم من قولك بك شيء من ما يهتوب وأجلمت الناس لقيتهم تخبون وتركت الناس ولم تتركوا لي فالיום أذهب الذباب أذهبنا مع ما حرمتكم من التواب القيم»^(١٠٨) قال أحمد بن حنبل وإن أمدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام من جسد صحيح وجهه مسيم ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود الهلالي لأصبرنى على حر حشمتك . كيف صبرى

عن ذلك ثم في ذلك
سر غريب وذلك أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم برابطة
جنسية النفس كان
يدعو الخلق إلى الحق
ولولا برابطة الجنسية
ما وصلوا إليه ولا
اتصافوا به وبين قسمة
الطاهرة وقسوس
الأبباع برابطة التأليف
كما بين روحه وأرواحهم
رابطة التأليف ورابطة
التألف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسى لى أهل النار البكاء فيكون حق تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من روية يزيد الزقافى عن أنس والزقافى ضعيف (٢) حديث يوزى بالوت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث ابن سعيد وقد نسب (٣) حديث يوزى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حق إذا ذنوبا مشيا واستشفقوا رواهها الحديث رويها الأرسنى لى عدة عن أنس وأبو هذبة إسماع بن هذبة هاك

على حر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وقرع منه قال الله تعالى - وأنذرهم يوم الحسرة إذ نضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتستغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك ؟ فان قلت فليت شعري ماذا مودى وإلى ماذا مآلى ومرجى وما الذى سبق به القضاء في حقك فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك بعدد عن النار وإن كنت لا تقصد خيراً إلا لو تحيط بك الموائق فخذمه ولا تقصد شراً إلا وتبترس لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على الساقية كدلالة الطلح على النيات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى - إن الأبرار لاني نعيم وإن التجار لاني جحيم - فأعزض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من العارفين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تنهاها دار أخرى تأمل نعيمها وسرورها فان من يبد من أحدها استقر لراحة في الأخرى فاستقر الخوف من قايك بطول الفكر في أهواله الجحيم واستمر الرجاء بطول التفكير في النعيم القيم الوعد لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقد عاينهم بزام الرجاء إلى الصراط للتعظيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتصكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعم يسفون من رحيق غنوم جالين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من القؤل الرطب الأبيض فيها بسط من البقرى الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالحر والصلل مخوفة باللسان والولدان مزينة بالخور العين من الحيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان يعيش في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتجير فيه الأبصار مكلمات بالتيجان للرصة بالقؤل والمرجان شكلات غنجات عطرآت أمينات من المرم واليؤس مقصورات في الحجام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم بطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأنثال القؤل للكون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرفت في وجوههم نضرة النعم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتماهدون فهم فيها اشتبهت أنفسهم خادون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب النون آمنون فهم فيها يتمتعون وبأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وحماً وعسلاً في أنهار أراضين من فضو حصبائها مرجان على أرض ترابها مسك أذفر وبناتها زعفران ويطفرون من سحب فيها من ماء اللسرين على كتاب الكافور ويؤتون بأكواب وأكواب وأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كواب فيه من الرحيق المختوم مزوج به السلسيل العذب كواب يشرق نورهم من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه وقته وحرته لم يصبه آدمى فيعصر في تسوية صنعه وتحسين صناعته في كف خادم يحكي منياه وجهه الشمس في إشرافها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصدائه

(القول في صفة الجنة)

أنت آها كما أن
الأرواح أنت أولا
ولكل روح مع
نفس تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديم
العمل تصفية نفسه
وتقوس الأنبياء لها
احتاج إليه نفسه من
ذلك ناله وما فضل من
ذلك وصل إلى خوس

وملاحة أحداقه فيأجيبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا أهل التبعاع عن
 نزل غنائها ولا تنتظر الأحداث بين الكثير إلى أهلها كيف يأتي بدار قد أذن الله في خرابها وبنينا
 بيتي دونها والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والعطش وسائر أصناف
 الحدائق لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتفحص من ضرورته
 كيف وأهلها مالوك آمنون وفي أنواع السرور تمتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم ينفاء العرش
 يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون منه إلى سائر نعيم
 الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم بكرة دونهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينادي مناد بأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم
 أن تحبوا فلا تحبوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تشبوا أبدا وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبدا
 فذلك قوله عز وجل - ونودوا أن عليكم الجنة أورشتموها بما كنتم تعملون^(١) ومهما أردت أن
 تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء الله تعالى بيان وأقرأ من قوله تعالى - ولن خاف مقام
 رب جنان - إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف
 تفصيل صفاتها من الأخبار فأقبل الآن تفصيلها بعد أن اطلمت على مجملها وتأمل أولا عدم الجنان
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولن خاف مقام رب جنان - قاله جنان من غنة
 آتيتها وما فيها وجنان من ذهب آتيتها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء
 الكبرياء على وجهه في جنة عدن^(٢) ثم انظر إلى أبواب الجنة فإني كثيرة بحسب أسرار الطاعات كالأن
 أبواب النار بحسب أسرار المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى زوجين
 من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلوة دعى
 من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب
 الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد قال أبو بكر رضي الله عنه فلهما على أحسن
 ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال نعم وأرجوان تكون منهم^(٣) وعن جابر بن
 سمرة عن علي رضي الله عنه أنه ذكر النار فظمير أمرها ذكر الأخطأه ثم قال - وسبق الذين اتهاوا
 ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتهاوا إلى باب من أبوابها وعدوا عند معجزة يخرج من تحتها
 عيانا ثمران فسلموا إلى إحداها كما أمروا به فصرخوا منها فأذهبت ماني بطونهم من أذى وأبأسهم
 عمدوا إلى الأخرى فخطروا منها فخرجت عليهم نضرة النعم فز تثير أشعارهم بعدها أبدا ولا تمشي
 رؤسهم كأنها دهنوا بالدهان ثم اتهاوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طينم فاطلوا
 خالدين ثم تلتهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يسقم عليهم من غيبة
 يقولون له أجزر أعد الله لك من السكارية كذا قاله فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بني
 أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان بأهله أقبى كان يدعى في الدنيا فيقول أنت رأت فيقول
 أنا رأيت وهو بأثرى فيستخفي الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله فنظر إلى أساس
 بنيانه فإذا جند اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأسفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

الأمة وهكذا التفتي
 مع الأصحاب والأبناء
 على هذا الذي لا يتخلف
 عن الربادات والنوافل
 ولا يسترسل في الشهوات
 والذفات إلا بدلالة
 نفس النفس ولا يعطى
 الاعتدال حتى من
 ذلك لا يتأيد الله تعالى
 ونور الحكمة وكل
 من يحتاج إلى صحة
 الجاوة فليسر لا يده
 من خشوة صبيحة
 بالحق حتى تكون

- (١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث
 أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنان من غنة آتيتها وما فيها وجنان من ذهب آتيتها وما فيها
 الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أتى زوجين من ماله في سبيل
 الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لأم أن يذهب بصره ثم يطأه رأسه فإذا أرواجه وأكواب موضوعه وتمازق مصفوفة وزراتي مشونة - ثم انكأ قال - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد يحيون فلا يحوتون أبداً وتحيون فلا تموتون أبداً وتصورون فلا تفرضون أبداً - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى يوم القيامة باب الجنة فأنفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أُفتح لأحد قبلك^(١)» ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وكان بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهرة كذلك فلما يجازون به تفاوتاً ظاهرة فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمساقة والتنافس فيها قال تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - والعجب أنه لو تخدم عليك أفرانك أو حيرانك بزيادة درهم أو بصلواته هل عليك ذلك وشاق به صدرك وتنتم بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستغرق الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بطاعاتهم لا نوازها الدنيا بخلافها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكوكب الفائر في الأفق من الشرق إلى الغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينلها غيرهم بل على الذي نفس بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا بالرسولين^(٢)» وقال أيضاً «إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كائناً من التجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أباً بكر وعمر منهم وأمنما^(٣)» وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأحاديثكم بنرف الجنة قلت بل يا رسول الله صلى الله عليه عليك بأبينا أنت وأمنما قال إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من التجم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله هل في هذه الغرف قال لمن أفضى السلام وأطمع الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله من يطبق ذلك قال أمي تطبق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه مسلماً عليه أو ورد عليه فقد أفضى السلام ومن أطمع أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطمع الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى المشاء الآخرة وصلى العداقة في جماعة حتى بالليل والناس نيام^(٤)» يعني اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - وما كن طيبة في جنات عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من باقوت أحمر في كل دار سبعون بيتاً من زهر أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوتاً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويسعى للزومين في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع^(٥).

(١) حديث أتى يوم القيامة باب الجنة فأنفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكوكب الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كما يرون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وإن ما به من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر الأحاديثكم بنرف الجنة قلت يا رسول الله بأبينا أنت وأمنما قال إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث مثل عن قوله تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة والآجر في كتاب النصيحة

جلوته في حماية خلوته
ومن بترأى له أن
أوقاته كلها خلوة وأنه
لا يحجبها شيء وأن
أوقاته بالله ولله لا يرى
تقصاً لأن الله حافظه
لحقيقة الزيد فهو
صحيح في حاله غير أنه
تحت تصور لآله مانبه
لسبابة الجبله وما عرف
سر تملك الاختيار
وما وقف من البيان
على البيضاء النقية وقد
نقلت عن الشايع كلمات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعتها بالدنيا عوضاً عنها فقد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبن من فضة ولبن من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك» (١). «وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمك يضاء مسك خالص» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣) «أنهار الجنة تتفجر من تحت ثلاث أوتحت جبال للسك» (٤) «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلة أهل الدنيا جميعاً لكان ما يجلبها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعاً» (٥) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها القردوا إن شتم - وظل محمود -» (٦) «قال أبو أمامة : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومساألهم أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكاً فقال قد قال الله تعالى - في سدر محضود - يخشد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة ثم تتفتح الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر» (٧) «وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفا فإذا رجل قائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تلتفه فقلت للفلان انطلق بهذا الطع فأظله فأتعلق فأظله فأتعلق فأتعلق فأتعلق فأتيت أسلم عليه فقال يا جرير تواضع قد فأن من تواضع لله في الدنيا رضى الله يوم القيامة هل تدري ما التقلات يوم القيامة قلت لأدري قال ظلم الناس بعضهم بضام أخذ عوبداً لا آخذ أرواء من

فها موضع اشياء قد يسمها الانسان ويبني عليها والأولى أن يقتدر إلى الله تعالى في أى كلمة يسمها حق يسمها الله من ذلك الصواب . قل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت التفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التميز ومثل هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور (١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبن من فضة ولبن من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذي بلفظ وبلاطها السك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي متصل ورواه البزار من حديث أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل عن تربة الجنة فقال درمك يضاء مسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صبياح سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وللنسائي بإسناد صحيح : من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تتفجر من تحت ثلاث أوتحت جبال للسك الغبيل في الضعفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلة أهل الدنيا جميعاً لكان ما يجلبه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي قال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سلم بن عامر مرسل من غير ذكر لأبي أمامة .

سفره فقال باجر لوطلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر قال أصولها للؤلؤ والذهب وأعلها النر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - والآيات في ذلك كثيرة وإنما خصي في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومن يدخل الجنة ينعم وليأس لاتبلى ثيابه ولايفى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (١) . وقال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلق أم نسج نسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم م تضحكون من جاهل سألت علما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينسج عنها ثمر الجنة مرتين (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصقون فيها ولا يمتطون ولا يتبولون وآبائهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورجلهم للسكر لكل واحد منهم زوجتان يرى مع ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حلة (٣) »

وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها نقي مابين الشرق والغرب (٤) » وقال ﷺ « الحجمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للزمن أهل لإبراهيم الآخرون (٥) » ورواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحجمة درة مجوفة فرسغ في فرسغ لها أربعة آلاف مصرع من ذهب وقال أبو سعيد الحدرى « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى - وفرش مرفوعة قال مابين الفراشين كما بين السماء والأرض (٦) »

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الثواك والطيور والبهائم واللبن والسوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - ، وذكر الله تعالى شرب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة ينعم وليأس لاتبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لا عين رأت الخ فانفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة آخلق خلقا أم نسج نسج الحديث رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها نقي مابين الشرق والغرب الترمذى من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا تعرفه إلا من حديث رشدين سعد (٥) حديث : الحجمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاه الصنف للبخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعرى (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال مابين الفراشين كما بين السماء والأرض الترمذى لفظ : ارتفاعها لساكني السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث رشدين سعد .

لا ينجس بين الحلوة والبلوة وبين القيام بسور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يبنى أن حظ للفرقة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ للفرقة لا يتغير ولا يتغير إلى التغيير وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ للفرقة يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاءه حمر من أجبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة بيني على الصراط ؟ فقال قفراء المهاجرين ، قال اليهودي فما تحفهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الحوت ، قال فما غداؤهم على أرضها ؟ قال ينحرفهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها . قال فما شربهم عليه ؟ قال من عين فيها تسمى سلسيلا . فقال صدقت ^(١) » وقال زيد بن أرقم « جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أأست زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسى بيده إن أحدهم ليملى قوة مائة رجل في الطعام والشرب والجماع ، فقال اليهودي فإن الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل اللسك فاذا البطن قد صغر ^(٢) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لتنتظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا ^(٣) » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة طيرا أمثال البخاني . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لنامعة يارسول الله . قال أنتم منها من يأكلها وأنتم ممن يأكلها يأأيا بكر ^(٤) » وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى - يطاف عليهم بصحاف - قال يطاف عليهم ببعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس في الأخرى مثله . وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من تسنيم - قال يمزج لأصحاب الجن ويشربه القربون صرفا . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : في قوله تعالى - خاتمه مسك - قال هو شراب أبيض مثل الفضة يخمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجهما لم يبق ذوروح إلا وجد ريح طيبها .

(صفة الحور العين والولدان)

قد تكررت في القرآن وصفهم ووردت الأخبار زيادة شرح فيه ، روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غداة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة طاعت إلى الأرض لأضاءت وللا ثلاث ما بينهما رائحة ولتصفيها على رأسها خير من الدنيا بما فيها ^(١) » بيني الحمار وقال

(١) حديث ثوبان جاء حمر من أجبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول الناس إجازة بيني على الصراط فقال قفراء المهاجرين قال اليهودي فما تحفهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت الحديث رواه مسلم زيادة في أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم أأست زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وفيه حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل اللسك للناس في الكبرى بإسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتنتظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن في الجنة طيرا أمثال البخاني الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير نامعة قال أكلها أنتم منها قالها ثلاثا وإنى أرجو أن تكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذي من وجه آخر ذكر فيه زهر السكون وقال فيه طير أعناقهم كأعناق الجوز قال عمر : إن هذه لنامعة الحديث وليس فيه ذكر لأبي بكر وقال حسن (٥) حديث غداة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخاري من حديث أنس .

التميز وليس في هذا الكلام وأمثاله ما ينافي ما ذكرناه . قيل لعمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الحصة التي كسبت بها الحسن كلها لا وهي الاستقامة وكل من كان أنتم معرفة كان أنتم استقامة واستقامة أرباب الثبابة على التمسك والعبد في الابتداء مأخوذ في الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الحدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهن الباقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أنقى من الرئة وإن أدنى لؤلؤة عليها لنقى ما بين الشرق والغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ^(١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى في الجنة موضعا يسمى البديع عليه خيام اللؤلؤ والزرجد الأخضر والياقوت الأحمر قالن السلام عليك يا رسول الله قتلت يا جبريل هذا النداء قال هؤلاء التصورات في الحيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقفن عن الراضيات فلا تسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نطمئن أبدا ، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الحيام - ^(٢) وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة من الجن والنجس والنافط والبول والبصاق والبخامة والمني والولد - وقال الأوزاعي - في شغل ما يكون - قال شغلهم اقتضاى الأبتكار . وقال رجل يا رسول الله أيا باضع أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك ^(٣) وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى مع أهل سدوم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج حسنة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا » ^(٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لم يجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلاق مثلها يقفن نحن الخالدات فلا نبتدون نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط قطوني لمن كان لنا وكنا له » ^(٥) وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أبي سعيد الحدرى في قوله تعالى - كأنهن الباقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أنقى من الرئة الحديث أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد إسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن طيبة ورواه ابن المبارك في الزهد والرائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسل دون ذكر أبي سعيد والترمذى من حديث ابن مسعود إن المرأة من نساء أهل الجنة ترى باضع مخها قدام من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوف قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ^(٢) حديث أنس لما أسرى في الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والزرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه ابن جبريل قال هؤلاء التصورات في الحيام وفيه طفقن يقفن نحن الراضيات فلا تسخط لم أجده هكذا إجماعه ولترمذى من حديث علي بن في الجنة لهنما للهور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلاق مثلها يقفن نحن الخالدات فلا نبتدون ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوي لمن كان لنا وكنا له وقال غريب وآبى الشيخ في كتاب العظة حديث ابن أبي أوفى بسند ضيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقال بأصوات الحديث ^(٣) حديث قال رجل يا رسول الله أيا باضع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى وصححه ابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة ^(٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج حسنة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يباين كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات المحدثين وفي كتاب العظة من حديث ابن أبي أوفى لإنيته قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناق لهن وإسناده ضيف وتقدم قبله حديث ^(٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرنه في موضعين من حديث علي وقد تقدم بعضه قبل هذا حديثين .

عن الأحوال وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد يجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا يجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم . مثل الجنيد عن النهاية فقال هي الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه أنه كان في ابتداء أمره في جهل ثم وصل إلى

« إِنَّ الْحَوْرَ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَبَّهْنَ نَحْنُ الْحَوْرُ الْحَسَنُ خَبَشًا لِأَزْوَاجِ كَرَامٍ ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - فِي رَوْحَةٍ يَجْرُونَ - قال السباع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يتنانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بزمزم الشيطان ولكن بتعبد الله وتحمده ^(٢) » .
(بيان جل مغفرة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب السمكة نور يتلأأ وريحانة تهتز وصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حيرة وضمة في مقام أبدا وضرة في دار عالية حبة سليمة قالوا نحن للشعرن هنا يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحسن عليه ^(٣) » وجاء رجل إلى رسول الله ^(٤) وقال هل في الجنة خيل فأنها تصبني فقال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فخطب بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تصبني فهل في الجنة من إبل فقال يا عبد الله إن أدخلت الجنة ذلك فما اشتئت فتمسك ولدت عيناك ^(٥) وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليوثله الولد كإبنته يكون حمله وفضاله وشبابه في ساعة واحدة ^(٦) » وقال رسول الله ^(٧) « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الأخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول بأشئ تذكر يوم كذا في مجلس كذا فذعنوا الله عز وجل ففترنا ^(٨) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يضج جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع ^(٩) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذن أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

لمعرفة ثم ردى إلى التعبير والجمل وهو الكفوفية ويكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئا - وقال بعضهم: أعرف الخلق بأهل الجنة ثم يحسبوا فيه ويعجز أن يكون من ذلك ما ذكرناه أنه ينادى الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع بين الأعمال والأحوال وهذا يكون للنتهى

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتنبن فيقولن نحن الحور الحسن خبشاً لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للتسكدي قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يتنانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بزمزم الشيطان ولكن بتعبد الله وتحمده الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد أن أهل من مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فأنها تصبني الحديث الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه السموى يختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ الصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط مر سلا قال الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى للدين عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن مندوق الصحابة ولا يصح له محبة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليوثله الولد كإبنته ويكون حمله وفضاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون وله انتهى ولأحمد من حديث أبي رزق بن يثرب ولم مثل قد اتسك في الدنيا ويتلذذ بك غير أن لا نواله (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الأخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البراز من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن عمار عن أنس وقال لا خطه بروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاستناد فخره به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسل دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يضج جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ بن حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله خلقا من

وثنتان وسبعون زوجة وينسب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كباين الجابية إلى صنعا وإن عليهم النيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لثمن مائين الشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم ونظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها تكلف البعير القتب وإذا طيرها كالبعث وإذا جارية قتلت يابجارية لمن أئت؟ قالت فريد بن حارثة وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) وقال كعب: خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قالها تكلمى فقالت: قد أفلح المؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم هلناها تفصيلا، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جلها فقال: إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنها من خمر لا يشار بين لانسف الأحلام ولا تصدع منها الرءوس وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك نامعون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء شكل جرد مرد قد آمنوا العذاب وأطمأت بهم الدار وإن أنهارها تجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وإن عروقتها وأغصانها وكمرها اللؤلؤ وعملها لا يبل عليها إلا الله تعالى وإن ريعها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها نياول وأبلا هنافس رحاها وأزقتها وسروجها من ياقوت يترأوون فيها وأزواجهم المحور العين كآهن يشم مكون وإن المرأة تأخذ بين أصبعي سبعين حقة فقلبها فيرى مخساقها من وراء تلك السبعين حقة فظهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يتخطون فيها ولا يولون ولا يتنوطون وإنما هو جشاه ورشح مسك لهم وزرقم فيها بكرة وعشا أما إن ليس ليل بكرة الندوى والرواح على الندى وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليله في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والنضوخيام اللؤلؤ ويحسب له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يمدى عليهم سبعين ألف حفرة من ذهب وبراح عليهم يمثلها في كل حفرة لون ليس في الأخرى مثله ولا يجد طعم آخره كما يجد طعم أوله وإن في الجنة ياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا تقب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرضهم التي ينظر إلى ربها بالعداء والمشي. وقال سعيد بن المسيب: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسور تسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها البناء إذا مشيت مني عن يميني ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول يا ابن الأمرين بالمرور فوالله ما هو عن النكر. وقال يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد ترك الدنيا بالمرأة الأخيرة. وقال أيضا في طلب الدنيا والنفوس وفي طلب الآخرة عن النفوس فيها لمن يختار الآخرة في طلب ما يغنى ويترك العز في طلب ما يفيق.

(صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - ولئن أحسنوا الحسن وزيادة - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة ورواه أيضا من حديث أبي هريرة مختصرا أهل الجنة جرد مرد كل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ثنتين فدا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي لا يمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعاً من أوله إلى قوله وإن عليهم النيجان ومن هنا يستأنه أيضا وقال لا يعرف إلا من حديث رعد بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها كالبعير القتب وإذا طيرها كالبعث الحديث رواه الثعلبي في تفسيره من رواه بقاء هرون البدي عن أبي سعيد وأبو هرون اسمه حارثة بن حريث صنف جدوا في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعدمت لبائى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

المراد للأخوة طريق
المحبوبين تجذب
روحهم إلى الحضرة
الالهية وتستب
القلب والقلب يستب
النفس والنفس تستب
القلب فيكون بكينته
قائما بالله ساجدا
بين يدي الله تعالى
كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«سجد لك سواي
وخيلي» وقال الله تعالى
- وفيه يسجد من في

الكبرى التى ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب الهبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يستداه أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليل البدر قال إنكم ترون وبكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لافضلوا ثم قرأ « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » (١) وهى مخرج فى الصحيحين وروى مسلم فى الصحيح عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فلذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويمرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فاعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) وفدروى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هى غاية الحسنى ونهاية التمنى وكل ما مضاهى من التمنى عند هذه النعمة ينسب ليسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة لشيء ممن لذات الجنة إلى لذة اللقاء ، وقد أوجزنا فى الكلام هنا لما مضاهى فى كتاب الهبة والشرق والروا فلا ينبغي أن تكون همة البصير من الجنة بغير سوى لقاء الولي . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه الهبة للرحمة فى الرعى .

(نغم الكتاب يباب فى سنة رحمة الله تعالى على سبيل التناول بذلك)

قد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب القائل (٣) » وليس لنامن الأعمال ما نرجوه بالمغفرة ففتدى رسول الله ﷺ فى التناول ونرجوا نغم عاقبتنا بالحيرى الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى قد قال الله تعالى - إن الله لا يفرق أن يشارك به ويفتر مدون ذلك لمن شاء - وقال تعالى - قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله مجده غفورا رحما - ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أو ظنى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا ونستغفره من أقوالنا التى لانواقها أعمالنا ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدنى الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى مصيبته ونستغفره من كل تصريح ونخبر بشيئنا ناقص ونقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى صنع وتكلف ترينا لناس فى كتاب مسطرته أو كلام نظفناه أو علم أهدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولن طالع كتابنا هذا أو كتيبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع النيات ظاهرا وباطنا

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليل البدر قال إنكم ترون وبكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ثم قرأ « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » (٢) حديث صيب فى قوله تعالى - فلذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره المصنف .

(باب فى سنة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التناول متفق عليه من حديث أنس فى أثناء حديث : يصيبى القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبي هريرة : وخبرها القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسهما أحدهم .

السموات والأرض
طوعا وكرها وظلالهم
بالصدور والآصال -
والظلال القوابل تسجد
بوجود الأرواح وعند
ذلك تسرى روح الهبة
فى جميع أجزائهم
وأبوابهم فيتقدون
ويتنعمون بذكر
الله تعالى وتلاوة
كلامه بحجة وودا
فيحبه الله تعالى

فان السكر عقيم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فاض ونحن خلق من خاف إلى عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى ما ترحمة أمزل منهار حمواحدة بين الجن والإنس والطيور والبهائم والحوامق فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وآخر تسعوا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (١)» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة (٢)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٣)» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف (٤)» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لقاتي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي (٥)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام (٦)» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بأخراجهم من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٧)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبيده المؤمن من الوالدة الشفيع بولدها (٨)» وقال جابر بن عبد الله

(١) حديث إن الله تعالى رحمة أمزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسنان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضى الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمى سبقت غضى لفظ البخاري وقال مسلم كتب في كتابه على نفسه إن رحمى تطلب غضى (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أشيروا بعشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولأبي داود أمثى أمقر حومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارضوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه عين يزيد ابن جعدان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببت لقاتي فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بنسند ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ - ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - النساء في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٨) حديث هو أرحم بعبيده المؤمن من الوالدة الشفيع بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة المرأة من السي إذ وجدت صبا في السي فأخذته فآلذته يبطها فأرضته .

ويعيهم إلى خلقه
نعمة منه عليهم وفضلا
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
الهرودي رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزبي قال أخبرتنا
سكينة المروزية
قالت أنا أبو الهيثم
الكشميري قال أنا
عبد الله الفريرى قال
أنا أبو عبد الله البخاري

من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوتي نفسه وأئذله ظهره ويرى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك فاروق فلم تقمته وعزتي وجلالي لو استغاثت بي لأعنته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤمى يوم القيامة بأخراجه رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد وأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلسله حتى يفتحهما وتلكا الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فضلهما فيقول الذي عدل إلى النار قد حذرت من وبال العصية فلم أكن لأعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظلي بك كان يشمرني أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وجهته لكم وقيمت الثيمات فدأبوهوا وادخلوا الجنة رحمى » (١) ويروى أن أعرايا مع ابن عباس يقرأ - وكنت على شفاخرة من النار فأخذكم منها - فقال الأعراي والله ما أعتقدكم منها وهو يريد أن يوقفكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قبية وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض اللوث فيكتب قتال مهلا ثم تكتب : فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه لإحاديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » (٢) وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمي على رموس الخلاق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعين سجلاكل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتشكر من هذا شيئا أظنك كفى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفك غفر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهله البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وتخلت البطاقة فلا ينقل مع اسم الله شىء » (٣) وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه

قال حديث إسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار من أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

القيامة يأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وجهته لكم وقيمت الثيمات فدأبوهوا وادخلوا الجنة رحمى » (١) ويروى أن أعرايا مع ابن عباس يقرأ - وكنت على شفاخرة من النار فأخذكم منها - فقال الأعراي والله ما أعتقدكم منها وهو يريد أن يوقفكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قبية وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض اللوث فيكتب قتال مهلا ثم تكتب : فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه لإحاديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » (٢) وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمي على رموس الخلاق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعين سجلاكل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتشكر من هذا شيئا أظنك كفى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفك غفر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهله البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وتخلت البطاقة فلا ينقل مع اسم الله شىء » (٣) وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه

(١) حديث ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد غفرت لكم وقيمت الثيمات فتدأبوهوا بينكم وادخلوا الجنة رحمى رويته في سابعيات أبي الأسعد القيسري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البجلي قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار مسلم من هذا الوجه واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمي على رموس الخلاق يوم القيامة فينثر عليه تسعة وتسعين سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال يقول الله تعالى شفعت لللائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حملا فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحية في حبل السيل ألا ترونها تكون حاملي الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أسفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أيضا قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواتيم يرفههم أهل الجنة يقولون هؤلاء اعتقاد الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل علوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فإرايتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم نطلب أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا ^(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الأمم عمر النبي و عمر الرجل والنبي و عمره الرجل والنبي ليس مع أحد والنبي مع الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتي قبيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق قبيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا قبيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فخرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذكر ذلك الصحابة قالوا أما نحن فولهنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء هم أبنائنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا يكتوبون ولا يسترقون ولا يتطربون وعلى ربهم يتوكلون قام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يارسول الله قال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبكت بها عكاشة ^(٢) وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال «تقرب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم رجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا قلنا يارسول الله احبست عنا حق قلنا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم وإلى سألت ربي في هذه الثلاثة أيام لا يذوق جدتي ربي ما جادا واجدا كرما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا قال قلت يا رب تبلغ أمتي هذا ؟ قال أكل لك العدد من الأعراب ^(٣) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال جبرأمتك أنه من مات لأشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل

(١) حديث إن الله يقول لللائكة كنتم خير فأتوا جودهم من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث في إخراج الواحد من أهل الجنة فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس عرضت على الأمم عمر النبي مع الرجل والنبي مع الرجل والنبي مع أحد الحديث إلى قوله سبكت بها عكاشة ورواه البخاري (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري تقرب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم رجع وفيه إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لاحساب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا السبق في البيت والنشور ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر فهل استزدت فقال قد استزدت فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهل استزدت قال قد استزدت فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبدا له وبسط باعياه وحفي عليه وفيه موسى بن عبيدة الرندي ضيف .

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأحبه فيحبه جبريل
ثم ينادي جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء
ويوضع له القبول في

فهرس

١١٥	الطرف الخامس في رسم الله تعالى في الأسباب الوصلة للألمعة إلخ
١١٦	الطرف السادس في إصلاح الألمعة الطرف السابع في إصلاح المصلحين
١١٧	الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام
١٢٠	بيان السبب الصادق الخلق عن الفكر
١٢٤	الركن الثالث من كتاب الصبر
	بيان وجه اجتماع الصبر والفكر على شيء واحد
١٣١	بيان فضل النعمة على البلاد
١٣٢	بيان الأفضل من الصبر والفكر
١٣٨	(كتاب الخوف والرجاء)
	ويقتل على شطرين أما الشطر الأول فيقتل على
	بيان حقيقة الرجاء الخ
١٣٩	بيان حقيقة الرجاء
١٤١	بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
١٤٧	بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وينقلب
١٥٢	الشرط الثاني من الكتاب في الخوف
	بيان حقيقة الخوف
١٥٤	بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
١٥٥	بيان أقسام الخوف بالإشارة إلى ما يخاف منه
١٥٧	بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
١٦١	بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالها
١٦٤	بيان الذي به يستجلب حال الخوف
١٧٠	بيان معنى سوء الخاتمة
١٧٧	بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف
١٨٠	بيان أحوال الصعابة والتأبين والسلف والمعالين في شدة الخوف
١٨٥	(كتاب الفقر والزمرد)
	الشرط الأول من الكتاب في الفقر
١٨٦	بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه
١٨٩	بيان فضيلة الفقر مطلقاً
١٩٥	بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراسخين والناهين والصادقين
١٩٦	بيان فضيلة الفقر على الثنى
٢٠١	بيان آداب الفقير في فقره
٢٠٢	بيان آداب الفقير في قبول السطاء الخ
٢٠٥	بيان محرم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطرب فيه
٢٠٩	بيان مقدار الثنى المحرم للفقير

٢	(كتاب التوبة)
٣	الركن الأول في نفس التوبة الخ
	بيان حقيقة التوبة وحدها
٤	بيان وجوب التوبة وفضلها
٧	بيان أن وجوب التوبة على القور
٩	بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال
	فلا ينفك عنه أحد البتة
١٢	بيان أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لأعماله
١٥	الركن الثاني فيها عنه التوبة وهي القيوب
٢٢	بيان أقسام القيوب بالإضافة إلى صفات المبد
	بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا
٣٢	بيان ما تعظم به الصفات من القيوب
٣٤	الركن الثالث في تمام التوبة الخ
٤٣	بيان أقسام الصادق في دوام التوبة
٤٦	بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب الخ
٤٩	الركن الرابع في دواء التوبة الخ
٥٩	(كتاب الصبر والفكر)
٦٠	الشرط الأول في الصبر
	بيان فضيلة الصبر
٦١	بيان حقيقة الصبر ومعناه
٦٥	بيان كون الصبر نصف الإيمان
	بيان الأسامي التي تتجدد للصبر الخ
٦٦	بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
٦٧	بيان مظان الحاجة إلى الصبر الخ
٧٣	بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٧٨	الشرط الثاني من الكتاب في الفكر
	الركن الأول في نفس الفكر
	بيان فضيلة الفكر
٧٩	بيان حد الفكر وحدته
٨٣	بيان طريق كشف الضياء عن الفكر في حق الله تعالى
٨٧	بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٩٦	الركن الثامن أركان الفكر الخ
	بيان حقيقة النعمة وأقسامها
١٠٦	بيان وجه التأمؤج في كثرة نعم الله تعالى وتسللها وخروجها من الحصر
١٠٧	الطرف الأول في رسم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك
١٠٨	الطرف الثاني في أمثاف النعم في خلق الإرادات
١٠٩	الطرف الثالث في رسم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة
١١٣	الطرف الرابع في رسم الله تعالى في الأصول التي تحصل فيها الألمعة الخ

ملحة

- ٢١٠ بيان أحوال السابقين
٢١١ القدر الثاني من الكتاب في الزهد
بيان حقيقة الزهد
٢١٤ بيان فضيلة الزهد
٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ
٢٢٤ بيان تفصيل الزهد بما هو من ضروريات الحياة
٢٢٦ بيان علامات الزهد
٢٢٨ (كتاب التوحيد والتوكل)
بيان فضيلة التوكل
٢٤٠ بيان حقيقة التوحيد اقدس هو أصل التوكل وهو
القدر الأول من الكتاب
٢٥٣ القدر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله
وفيه بيان حال التوكل الخ
بيان حال التوكل
٢٥٧ بيان ما طاله الصيوع في أحوال التوكل
٢٥٨ بيان أعمال للتوكلين
٢٦٥ بيان توكل الليل
٢٦٨ بيان أحوال التوكلين في الصلوة بالأسباب بشرط مثال
٢٧٤ بيان آداب التوكلين إذا سرق متاعهم
٢٧٩ بيان أن ترك التداوى قد يحمي في بعض الأحوال
ويصل في قوة التوكل الخ
٢٨٣ بيان الرد على من طال ترك التداوى أفضل بكل حال
٢٨٥ بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكفائه
٢٨٦ (كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا)
بيان شواهد الفرح في حب البدة تعالى
٢٨٨ بيان حقيقة الحبة وأسبابها وتحقيق معنى حبة البدة
تعالى
٢٩٣ بيان أن السحق المعبة هو الله وحده
٢٩٩ بيان أن أجل اللذات وأعلاها سرقة الله تعالى الخ
٣٠٣ بيان السبب في زيادة الطرق قلة الآخرة على المعرفة
في الدنيا
٣٠٧ بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى
٣١١ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٣١٢ بيان السبب في قصور أنفهام الخلق عن معرفة الله
سبحانه وتعالى
٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣١٨ بيان حبة الله تعالى للبدن ومناعها
٣٢٠ القول في علامات حبة البدة تعالى
٣٢٩ بيان معنى الأنس بالله تعالى
٣٣١ بيان معنى الانبساط والإدلال الفنى تشبه
خلقة الأنس
٣٣٣ القول في معنى الرضا بفضاء الله الخ
٣٣٤ بيان فضيلة الرضا
٣٣٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره بما يخالف الموى
٣٤١ بيان أن الدعاء غير منافس للرضا

ملحة

- ٣٤٤ بيان أن الحرمان من البلاد التي هي مطلق للناس
ومنتها لا يقدح في الرضا
٣٤٥ بيان حبة من حبات الحبيب وألوانهم ومكشفتهم
٣٤٩ غائبة الكتاب بكلمات متفرقة تتخلل بالحبة
ينفتح بها
٣٥٠ (كتاب التبة والإخلاص والصدق)
٣٥١ الباب الأول في التبة
بيان فضيلة التبة
٣٥٣ بيان حقيقة التبة
٣٥٥ بيان سر قول صلى الله عليه وسلم : تبة للؤمن
خير من عمله
٣٥٧ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالتبة
٣٦٢ بيان أن التبة غير داخلة تحت الأخذ
٣٦٤ الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته
ودرجاته
فضيلة الإخلاص
٣٦٧ بيان حقيقة الإخلاص
٣٦٩ بيان أوائل الفيوض في الإخلاص
٣٧٠ بيان درجات القوالب والأغصان الكسرة
للإخلاص
٣٧٢ بيان حكم العمل للفتور واستحقاق الثواب به
٣٧٤ الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته
فضيلة الصدق
٣٧٥ بيان حقيقة الصدق ومماته ومراتبه
٣٨١ (كتاب المراقبة والمحاسبة)
المقام الأول من المراقبة المباشرة
٣٨٤ المراقبة الثانية للمراقبة
بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
٣٨٥ المراقبة الثالثة محاسبة النفس الخ
٣٩١ فضيلة المحاسبة
٣٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل
٣٩٣ المراقبة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها
٣٩٥ المراقبة الخامسة المجاهدة
٤٠٣ المراقبة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها
٤٠٩ (كتاب التفكير)
٤١٠ فضيلة التفكير
٤١٢ بيان حقيقة التفكير وثمرته
٤١٣ بيان مجازي التفكير
٤٢٠ بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى
٤٢٣ (كتاب ذكر الموت وما بعده)
القدر الأول في مقدماته وتوابعه الخ
٤٣٤ الباب الأول في ذكر الموت الخ
بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان
٤٣٦ بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب
٤٣٧ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل
وسبب طول وكيفية ما يوجب

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
١٨٦	بيان سؤال منكر ونكير وصورتها ونقطة القبر	١٤١	فتحة قصر الأمل
	وعدة القول في عذاب القبر	١٤١	بيان الحب في طول الأمل وعلاجه
١٨٨	باب الثامن فيما يعرف من أحوال الموتى بالكشف في المنام	١٤٢	بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
١٩٠	بيان منامات تكشف من أحوال الموتى والأعمال	١٤٣	بيان المبادأة إلى السبل وحذر آفة التأخير
	الثانئة في الآخرة	١٤٥	باب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب
١٩١	بيان منامات المشايخ رحة الله عليهم أجمعين		من الأحوال منه
١٩٤	القطر الثامن من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت	١٥٠	بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
	من وقت فتحة الصور إلى آخر الاستمرار في الجنة	١٥١	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمكاييد يهرب
	أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأموال والأخلاق		لأن الحال عنها
	وفيه بيان فتحة الصور الخ . صفة فتحة الصور	١٥٣	باب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٦	صفة أرض المحصر وأهلها		والخلفاء الراشدين من بعده
١٩٧	صفة العرق		وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٨	صفة طول يوم القيامة	١٦٠	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
١٩٩	صفة يوم القيامة ودواهي وأسماهي	١٦٧	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
٢٠١	صفة المسألة	١٦٣	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
٢٠٣	صفة الميزان	١٦٤	وفاة علي كرم الله وجهه
٢٠٤	صفة الغصاة ورد الظالم		السبب الخامس في كلام المحتضرين من الخفاء
٢٠٧	صفة الصراط		والأسماء والصالحين
٢٠٩	صفة الشفاعة	١٦٥	بيان أوائل جماعة من خصوص الصالحين من
٢١٢	صفة الحوس		الصعابة والتأبين ومن يهدم من أهل التصوف
٢١٤	القول في صفة جهنم وأهلها وأنكفها		رضي الله عنهم أجمعين
٢١٩	القول في صفة الجنة وأهانتان نصيبها	١٦٨	باب السادس في أوائل المارفين على الجنات والمقابر
٢٢٢	صفة طائر الجنة وأراضيها وأشجارها وأنها رما		وعن زيارة القبور
٢٢٣	صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسورهم	١٦٩	بيان حال القبر وأهلهم عند القبور
	وأرائكهم وخيامهم	١٧٣	بيان أوائلهم عند موت الولد
	صفة طعام أهل الجنة		بيان زيارة القبور والدعاء للبيت الخ
٢٣٤	صفة الموردين والرفدان	١٧٧	باب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه
٢٣٦	بيان جل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردة		البيت في القبر إلى فتحة الصور
	بها الأخبار		بيان حقيقة الموت
٢٣٧	صفة الزرقية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .	١٨٧	بيان حال القبر للبيت وكلام الموت لما يلسان المقال
	نظم الكتاب بباب في سعة رحة الله تعالى على سبيل		أو بلسان الحال
	التناؤل بذلك	١٨٣	بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
٢٣٨	باب في سعة رحة الله تعالى		

